مروان المدوّر

الأرمن عبر التاريخ

منشورات دار نوبل
دمشق - سوريا







الأرمن عبر التاريخ



الأرمن عبر التاريخ

تأليف

مروان المدوّر

منشورات دار نوبل
دمشق - سوريا



الطبعة الثانية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاهـــداء

إلى الحقيقة التاريخية المجردة ، حباً بها ، وبما تعنيه بمضامينها الانسانية لكل الشعوب المغلوبة في العالم من حق وخير وجمـــال . . .

وإلى الشعب الأرمني تقديراً واعتزازاً ، عسى أن ينهض هذا الكتاب بمهمة التقدير هذه ، ويؤديها معرفة خاصة لكل « عربي » و« أرمنـي » و« مطلق انسان » حيثما كان . . .

وإلى يقيني بأن هذا العمل ، هو أولاً وأخيراً ، قد وضـع لمصلحـة الشعبين العربي والأرمني معاً بغـرض زيادة أواصر الأخـوة و« المعرفـة المتبادلة » والصداقة القائمة بينهما . . .

وإلى كل من يهمه أن يعرف « أسماء » الشعوب التي أسهمت حقاً في التقدم الذي ينعم به اليوم . . .

وإلى كل من ساهـم ، بشـكل أو آخـر ، في رؤية هذا الكتـاب للنور . . .

إلى كل هؤلاء معاً ، وفي نفس الوقت ، أقدم هذا العمل .

المؤلف
مروان المدوَّر

* * *



كلمة حق

كتابنا هذا ، « الأرمن عبر التاريخ » ، توخينا من وراء وضعه سد ثغرة واسعة في المكتبة العربية التي تكاد تخلو ، وهي بالفعل كذلك ، من أي مؤلف بالعربية عن تاريخ الشعب الأرمني وحضارته وعلاقاته بالشعوب والامبراطوريات القديمة والحديثة على مدى القرون التي سبقت الميلاد وحتى اليوم ، في حين أنه من السهولة بمكان، أن نعثر في أسواق ومكتبات بيروت ودمشق والقاهرة وبغداد وسواها من العواصم العربية على مؤلفات ، وبالعشرات ، موضوعة باللغات الحية الأجنبية : الانكليزية والافرنسية والألمانية والروسية تتحدث كلها عن هذه المواضيع بالذات ، أي عن تاريخ هذا الشعب وتراثه ومآسيه .

وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً ، فان ثمة ثلاثة كتب فقط وضعت بالعربية عن تاريخ الأرمن ، جاء أولها قبل ربع قرن (عام ١٩٥٠ للدكتور استارجيان : الموصل ، العراق) ، ثم وضع ثانيها قبل عشرين عاماً (١٩٦٠ السيد عثمان الترك : حلب ، سورية) ، وأخيراً جاء ثالثها (عام ١٩٧١ تأليف الأستاذ أديب السيد، حلب، سورية) حيث تحدثت كلها عن الأرمن باعتبارهم سكان ولايات امبراطورية ما، أكثر من أن تتحدث عنهم كشعب وحضارة .

ورغم الجهد المبذول في إعداد الكتب الثلاثة المذكورة ، وهي الوحيدة من نوعها بالعربية عن الأرمن كما أسلفنا ، فانها جاءت ناقصة ، لا لقصور من قبل مؤلفيها ، ولكن لبعد الشقة بينها وبين تلك التنقيبات والحفريات التي جرت مؤخراً في كل من

أراضي جمهورية أرمينيا السوفيتية و« أرمينيا التركية » ، والتي ألقت أضواءً على أكثر الحقبات غموضاً في تاريخ هذا الشعب (سيما خلال قرون ما قبل المملكة الأرمنية الثانية) ، وهو ما تكفلنا بايضاحه وتغطيته في كتابنا هذا انسحاباً على الفكرة السابقة ذاتها ، بحيث جاء هذا الكتاب « الرابع » مكملاً للجهود التي بذلها الكتّاب السابقون ومتمماً لها ، عدا عن تلك الاجتهادات المتواضعة التي أبديناها ، وحيثما تيسر لنا الأمر ، سواء بالنسبة لتفسير ما غمض من تاريخ هذا الشعب في بعض الحقب ، أو فيما يتعلق بالتكييف القانوني والمعالجة الحقوقية للمسألة الأرمنية استناداً إلى مصادر القانون الدولي العام ومراجعه.

ولعلي أكون أكثر تجرداً وأمانة للتاريخ، عندما أقر واعترف، آسفاً، أنني كنت قبل أن أبدأ بتسطير هذا الكتاب قبل أعوام عدة، لا أعي أو أعرف، تماماً كما هو الحال الآن بالنسبة للغالبية العظمى من أفراد أمتي العربية، أي شيء البتة عن هذا الشعب الصديق، إلا أنه قد اضطر الى مغادرة تركيا قبل نصف قرن أو أكثر.

أما الآن ، وقد جعلتني تلك المحرضات المجردة التي دفعتني إلى وضع هذا الكتاب ، بالشكل نفسه الذي دفعت فيه بعشرات المستشرقين « وغيرهم » للكتابة عن العرب والفرس وسواهم « إعجاباً » منهم بالحضارات التي أبدعتها هذه الشعوب و« تقديراً » منهم أيضاً لهذه الأمم ، تماماً كما حدث معي . . أقول أما الآن ، وقد بدأت أعرف الكثير و« الكثير » حقاً عن تراث الأرمن وتاريخهم ، فان « كل » هذا « الكثير » بات من اللازم أن يعرفه أيضاً أفراد شعبي وحتى الأرمن أنفسهم ، حسبما استقر عليه تاريخهم وفق أحدث النظريات العلمية والمكتشفات الأثرية ، ان لم يكن حباً بالحقيقة التاريخية ، فعلى الأقل بحكم التعامل اليومي بين العرب والأرمن والاخوة القائمة بينهما ، وشوقاً للحقيقة ، لمن يفهم الحقيقة ويقدرها من غير أبناء هاتين الأمتين .

ان ما يلفت الانتباه في تاريخ الأرمن هو كثرة الحروب والغزوات والكوارث والهجرات التي تعرضوا لها ، أو التي قاموا بها (بالنسبة للحروب والهجرات) ،

سواء دفعاً لهذه المخاطر، أو تجنباً لها ، مما يجعل القارىء العادي يقع في حيرة وذهول ، بل وقد يصيبه شيء من الفتور في متابعة تاريخهم السياسي . . إلا أن الوجه الحضاري المشرق لتاريخ هذا الشعب على المستويات الدينية والثقافية واللغوية والاقتصادية ، وحتى السياسية نفسها ، سوف تزيل من أفكار هذا القارىء مثل هذه الخواطر « حتماً » ، عندما ينتهي من قراءة تاريخ الدولة الأرمنية بكامله .

ولعل أكثر ما يفسر هذا التاريخ « الحافل » للشعب الأرمني ، هو ذلك الموقع الجغرافي الفريد والاستراتيجي الذي استقرت ضمن حدوده أراضي الدولة الأرمنية . ويؤكد هذا التفسير ما أورده الأستاذ زين نور الدين زين في كتابه « الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان » ، حينما يتحدث عن آثار الموقع الجغرافي للدول في العالم بشكل عام - فيقول : « ليس في الدنيا مناطق كثيرة كمنطقة الشرق الأدنى[1] حيث كان للموقع الجغرافي وما يترتب عليه من خطورة استراتيجية ، دور في تقرير مصائر الشعوب التي تتوطنها » .

ثم يقول في مكان آخر من المرجع المذكور :

« إن موقع الشرق الأدنى الجغرافي شديد الارتباط بأهميته الاستراتيجية ، ولا يمكن الفصل بينهما ، فان العبارات التي كانت تطلق في القرن التاسع عشر وصفاً لهذه المنطقة ، كقولهم انه « جسر إلى آسيا » وانه « طريق حيوي للامبراطورية البريطانية » ، و« الشريان الرئيسي للمواصلات بين أوروبا وآسيا » ، أصبحت عبارات متداولة ومألوفة . نعم ، ان نظرة على خريطة العالم السياسية تظهر لنا أن هناك بقاعاً أخرى يمكن اعتبارها « جسوراً » و« خطوطاً حيوية » و« شرايين مواصلات » ، ولكن[2] ربما ليس هناك من بقعة أخرى في الدنيا كلها وقعت

---

١ - وارمينيا من دول هذه المنطقة ونتصح بهذه المناسبة الرجوع «مباشرة» الى الصفحة(٦٨)من الفصل الثاني من الباب الأول من هذا الكتاب.

٢ - والعبارات التي تلي هي من تلويننا للتدليل على ما اوردناه سابقاً حول هذا التاريخ «الحافل» والحروب المتواصلة التي شهدتها الدولة الارمنية على امتداد حياتها ، وبالتالي التأكيد على المعنى الذي سقناه آنفا في معرض ايضاح اسباب ذلك « الفتور » الذي قد يصيب القارىء نتيجة كثرة الكوارث والحروب التي سيطالعها (عبر الباب الثاني بكامله ،وايضا في معرض بيان دور الوجه الاخر للصورة « التاريخ الحضارى » للامة الارمنية الذي سيهز الصورة الفاترة السابقة ويعيد لها حيتها .

حروب على أرضها وعبرت شعوب ثم عادت لتعبر ثانية فوق أرضها ، « كمنطقة الشرق الأدنى » . فهذه المنطقة كانت أبداً ساحة معركة للجيوش . كما انها كانت معتركاً للفكر »[1].

وإذا أردنا أن نحدد أكثر اهتمامات هذا الكتاب فاننا نستطيع أن نجملها في النقاط التالية :

١ ـ أولها هو ذلك الترتيب الذي جرينا عليه في تنسيق المواد التاريخية التي تضمنها بين دفتيه ، عندما فرزناها إلى « أبواب » مستقلة ، عالج كل منها موضوعاً « معيناً » ، ضمن فصول محددة فيه من تاريخ الشعب الأرمني .

٢ ـ وثانيها هو ملاحقتنا لتاريخ هذه الأمة عاماً بعد عام منذ تشكلها في القرن السابع قبل الميلاد وحتى اليوم ، دون أن نترك فجوة زمنية واحدة ـ ولو قصيرة ـ دون أن نطالها بعنايتنا .

٣ ـ وثالثها التزامنا الموضوعية التاريخية الخالصة .

٤ ـ ورابعها كثرة الشروحات والتفاصيل التي أدرجناها في حواشي هذا الكتاب عن تواريخ الشعوب التي عاصرت الأرمن بهدف تسهيل مهمة القارىء في فهم الموضوع المعني ، نظراً للارتباط الوثيق بين تاريخ الأرمن وتاريخ هذه الأمم ، مع ملاحظة أننا أخذنا بهذه الطريقة كلما كان ذلك مطلوباً .

ولعل هذه « الاهتمامات » تبدو طبيعية وعادية بل ومطلوبة ، على أساس أن « التأريخ » عموماً يجب أن يتم تدوينه وفق هذه الصورة بالذات ، أي أن يكون : موضوعياً ، مبوباً ، ومسلسلاً من الناحية الزمنية .

ولكن إذا بدت هذه الأمور بديهية ، وفق هذه العموميات ، بالنسبة للقارىء الذي يطلع على تاريخ الأرمن للمرة الأولى ، عبر هذا الكتاب ، أو تاريخ أي أمة

---

١ ـ الصفحات ٩، ١٣ من المرجع نفسه.

أخرى في كتب ثانية ، فاننا نستطيع أن نؤكد له أن وصولنا إلى هذه « الترتيبات » لم يكن على مثل هذه البساطة إطلاقاً ؟ .

فكل المؤلفات التي أرخت لهذا الشعب ، بغض النظر عن اللغة التي وضعت بها ، سواء العربية أو الانكليزية أو الافرنسية وحتى الأرمنية ، قد عالجت هذا التاريخ بشكل مكثف ومتداخل ،وبحيث تحدثت كلها عن تاريخ الأرمن سياسياً واجتماعياً وقومياً ودينياً بان واحد وضمن الفصل الواحد. وإذا صدف وأغفلت هذه المؤلفات هذه الطريقة في التأليف في بعض الأحيان ، فانها تكون قد خصصت أو كرست مجمل أبوابها وفصولها للحديث عن أحد هذه الجوانب (السياسية ، الاجتماعية، القومية، الدينية) فقط، وبالتالي اهملت دراسة بقية الجوانب المذكورة . . وإذا استخدمت هذه الطريقة الأخيرة، فبإيجاز شديد لا يؤدي الهدف المطلوب ! .

أما بالنسبة لملاحقتنا لتاريخ هذا الشعب مسلسلاً عاماً بعد عام ، وفق ما قصدناه آنفاً ، فان ثمة قفزات زمنية غريبة لدى أغلب هذه المؤلفات . . قفزات تجاوزت في اهمالها الحديث عن قرن أو نصف قرن من حياة الدولة الأرمنية ، وهو ما عملنا على إزالته وتجاوزه بجد ومثابرة حثيثين عن طريق التوليف والمقارنة بين كافة هذه التواريخ ، بعضها مع بعض ، ومن ثم إعادة تركيب هذا التسلسل الزمني وفق ما أكدته الأبحاث التاريخية الدقيقة مؤخراً .

وإذا قلنا هذا فاننا لا نعني أن هذه « القفزات » الزمنية قد جرت حقاً على عموم « التأريخ » للدولة الأرمنية ، بل نقصد أنها كانت « معنية » بفترات معينة ومحدودة[1] من هذا التاريخ ، بحيث اختلفت (هذه الفترات) من مؤرخ لآخر ، ومن موسوعة لثانية، ومن كتاب لثالث ، وهكذا . . . ومن هنا تجيء صعوبة التأريخ للشعب الأرمني .

---

١ ـ ينطبق هذا المعنى على تاريخ ارمينيا السياسي خلال القرون القليلة التي سبقت الميلاد بشكل خاص ، وفي فترات محدودة من تاريخهم الذي اعقب الميلاد بشكل عام .

٥ ـ وخامسها ، اهتمامنا الموسع بالمسألة الأرمنية سواء على الصعيد المحلي (أثناء وجود الأرمن في الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين والإضطهادات التي ارتكبت بحقهم)،أو على الصعيد الدولي،حيث أبرزنا المؤ يدات الدولية المستندة إلى مصادر القانون الدولي التي تعضد هذه المسألة أمام الهيئات والمحافل الدولية المعنية فيما لو عرضت عليها هذه المشكلة المستعصية . . كما ركزنا في الوقت نفسه على استخلاص واستنباط الأحكام التي أصدرتها هذه الهيئات في قضايا مماثلة للمسألة الأرمنية بحيث يمكن اعتبار هذه الأحكام ، وبهذا المعنى ، رديفاً قانونياً ثانياً وداعماً للمؤ يدات السابقة .

٦ ـ وسادسها ، العناية بابراز العلاقات العربية الأرمنية عبر التاريخ وموقف هذين الشعبين الموحد من سياسة الامبراطورية العثمانية تجاههما (السياسة الطورانية بالنسبة للأرمن ، وسياسة التتريك فيما يتعلق بالعرب) .

٧ ـ وسابعها ، الاهتمام بوضع الأرمن اليوم في لبنان وسوريا ، وبيان دورهم ومساهمتهم في الحياة الاقتصادية والثقافية في هذين البلدين ، باعتبارهم مواطنين عرب لبنانيين وسوريين . ومن أجل هذا الغرض ، عمدنا إلى التفصيل حول توزع الأرمن المهني والسكاني فيهما ، فضلاً عن بيان الجمعيات الثقافية والخيرية والاجتماعية العاملة في ميادين تمتين العلاقات بين الأرمن في الأقطار العربية من جهة ، وبين الأرمن وأشقائهم العرب من جهة ثانية ، وكذلك إلى تعداد المدارس والمعاهد والكنائس والأديرة والنوادي الرياضية الأرمنية ورجالات الأرمن البارزين على مختلف الأصعدة المذكورة في سوريا ولبنان

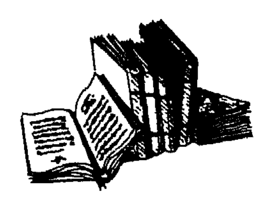
٨ ـ وأخيراً ، أفردنا باباً خاصاً اتخذنا له عنواناً هو« الأرمن بين الأمس واليوم » تناولنا فيه بالحديث ، جمهورية أرمينيا السوفيتية الاشتراكية واعلام الأرمن وتوزعهم العددي بالعالم في العصر الحديث ، كما شرحنا وضعهم في القرون الغابرة

عندما وصل العديد منهم إلى سدة الحكم « كأباطرة » في الدولة البيزنطية وكحكام وأمراء وقادة جيوش في دول أخرى بحيث غطينا بهذه«الأهتمامات»، وغيرها مما سيرد ضمن صفحات هذا الكتاب ، تاريخ هذا الشعب الصديق وفق ما قدرنا عليه.

والله الموفق ..

المؤلف

مروان المدوّر





الصداقة العربية الأرمنية
كلمة الدكتور طوروس طورانيان [1]

تمتين أواصر الصداقة بين الشعوب،مطلب في هذا اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى.

الصداقة أساس السلام وشعوب العالم أجمع بحاجةٍ إليها.

والصداقة تبدأ بالمعرفة. حتى إنك تحب بلادك أكثر إذا ما عرفت جبالها ووديانها وتصدعاتها.

وها أمامنا فرصة جديدة حيث يتعين للقارىء العربي المناسبة لمعرفة شعب آتٍ عبر التاريخ، لهو الشعب الأرمني.

الأرمن عبر القرون كانوا على صلةٍ وصداقة مع شعبٍ من أقدم شعوب الأرض لهم العرب.

الأرمن، عقدوا معاهدات مع العرب، وأعطوا قادة للجيوش العربية، أعطوا مماليك لمصر، للتذكير نورد اسمين: بهرام الأرمني وبدر الجمالي وغيرهم.

ولكن الأرمن في الأزمنة الحديثة، وبالأخص بعد الحرب العالمية الأولى، هرباً من المجازر الجماعية التي تعرضوا لها من العثمانيين والاتحاديين، أتوا إلى الأراضي العربية ليلاقوا هناك المأوىء.

هؤلاء المهاجرون مجدون، أرباب مهن،تجار، بسرعة استلطفهم الشعب العربي

---

(١) الدكتور طورانيان هو من الأدباء والكتاب الأرمن المرموقين.

النبيل بالأخص في سوريا ولبنان حيث يعيشون بجماعاتٍ كبيرة.

العربي، عرفنا كشعب ممتهنٍ. ونحن الأرمن قليلاً ما اتحنا الفرصة للشعب العربي الذي استضافنا لكي يتعرف أيضاً علينا كشعب نذر نفسه للفن والعلم.

وها مرةً أخرى، عربيٌ، مواطن سوري من مواليد دمشق العريقة مروان طه المدور، باجتهاد شخصي بعد دراسة دامت سنوات لتاريخنا كتب كتاباً ضخماً عن الشعب الأرمني منذ ولادته حتى أيامنا. عمل له كل التقدير وسيأتي حتماً ليلعب دوراً في تمتين أواصر الصداقة الأرمنية العربية.

مروان طه المدور، درس الحقوق في جامعة دمشق، عمل سنتين كقاضٍ في السويداء،ثم رحل إلى بودابست والولايات المتحدة. نال دبلوم من جامعة كولوراد و باختصاص تطوير التجارة الخارجية للمنتجات الزراعية،وآخر باختصاص تطوير التجارة العالمية.

يجيب عن سؤالي كيف ولد في ذاته الكتابة عن تاريخ الأرمن بلغته الأم إذ يقول:

كنت قد قررت أن أكتب دراسة عن النهضة العربية. ولذلك كنت القي نـظرةً على الكثير من المؤلفات.

أثناء مطالعاتي لقيت أسطراً كتب فيها أن الأرمن تعرضوا لمجزرة لا يمكن وصفها من قبل الأتراك. وأعطوا مليوني شهيد.

صدمتُ. في قرننا هذا. في بلدٍ يجاورنا يتم تقتيل الملايين من الأرمن. في دمشق وسوريا عرفت وتعرفت على الكثيرين من الأرمن وأنا لا أعلم شيئاً عن ذلك الموضوع.

بدأت أقوم بالبحث. طالعت لمدة سنتين كاملتين بالعربية واللغات الأجنبية ما لقيته عن الأرمن. وأخيراً وصلت إلى تلك النتيجة بأن علي أن أكتب كتاباً عن الأرمن ليعرف شعبي، الشعب العربي. الأرمني جيداً.

وها مؤلف هذا الكتاب مع كتابه. كتاب حتماً سيولّد عند العربي حباً مقيماً نحو الأرمني.

العربي شعبٌ معذبٌ كالشعب الأرمني، العربي حتى اليوم يعطي ضحايا للسياسة الامبريالية ولكنه قد جيَّش قدراته ليكون صاحب حقوقه.

شعب، وهو قد استيقظ حتمًا سينال حقوقه. والعروبة قد استيقظت. ونصرح أن مروان طه المدور،كإنسانٍ عارفٍ للتشريع الدولي في كتابه هذا،رفع من شأن القضية الأرمنية وأكد على الظلم المقترف تجاه شعبنا.

من كل قلوبنا نتمنى انطلاقة خيرة لكتاب الصداقة هذا.

حلب في ٢٢ تشرين الأول ١٩٨٠.





المحتويات

الفصل الثالث :

سكان أرمينيا القدماء وامبراطورية أورارتو URARTU .

أرمينيا في العصر البرونزي. نتائج الاضطراب العنصري في أرمينيا. ولادة دولة نائيري. ظهور دولة أوراردو. تحول أوراردو إلى امبراطورية. مهاجمة الآشوريين لهذه الامبراطورية.

نهضة أوراردو ثم سقوطها (٨٨٠- ٥٩٠ قبل الميلاد). الاثباتات التاريخية الحديثة حول الاضطراب العنصري المذكور، ومراحل نشوء وتطور وسقوط دولتي نائيري NAIRI وأوراردو. جدول بأسماء ملوك أوراردو منآراميه ٨٨٠ق.م الى روزاس الثالث ٦١٠ ق.م- ٥٩٠ ق.م.

الفصل الرابـــع :

الأصول العرقية للأرمن وتشكل الأمة الأرمنية.

هجرات القبائل الهندوأوروبية INDO-EUROPE من آسية إلى أوروبا. تقسيمات هذه القبائل: قبائل هندو أوروبية «آسيوية»، قبائل هندوأوروبية «أوروبية». موقع الأرمن من هذه المجموعات: إعتبارهم من القبائل الهندو أوروبية «الأوروبية- الآسيوية المشتركة». تعريف العرق الآري ARIAN، ومفهوم تعبير الهندو أوروبي. أسطورة بيل BEL وهاييك HAYK. الدولة الهيكازانية. نظريات المؤرخين هيرودوتس HERODOTUS واسطرابون STRABO حول أصل الأرمن. النظريات الحديثة حول تشكل الأمة الأرمنية: عودة القبائل الفريجية PHRYGIAN من البلقان إلى فريجيا، افتراق الأرمن عن أنسبائهم الفريجيين واتجاههم إلى مقاطعة هياسا HAYASA الحثية (في أعالي الفرات)، وسيطرتهم عليها، نزولهم إلى سهول فان VAN، وأراكس ARAX، وتأليفهم لاتحاد أرميني- شوبريا ARMINI-SHUBRIA. سقوط الامبراطوريتين الحثية HITTITE والأوراردية. استفادة الأرمن من هذا

السقوط، وتشكل الأمة الأرمنية نتيجة انضمام الأرمن في الشمال (هاياسا)، إلى الأرمن في السهول (اتحاد أرميني- شوبريا). اشتقاق اسمي هايستان وأرمينيا.

إثباتات علماء الأنسال البشرية حول اعتبار الأرمن من الشعوب الهندو أوروبية (والنموذج الأرمني): غروسيبه، دانتس، روزباخ، ماكس، كلند، روث، ريخمان، باتيرسون. الصفات السيكولوجية والفيزيولوجية للأرمن.

الباب الثاني: تاريخ الدولة الأرمنية، أو تاريخ أرمينيا السياسي.

الفصل الأول :

أرمينيا وحكم الأجانب ٦١٠ - ٣٣١ ق. م.

أرمينيا وحكم الميديين THE MEDES EMPIRE ٦١٠- ٥٥٠ قبل الميلاد. أحوال أرمينيا في هذه الفترة. أرمينيا وحكم الفرس: الأسرة الأخمينية ACHAEMENIDS ٥٥٠- ٣٣١ قبل الميلاد، ملوك هذه الأسرة والأسرة الأرمنية اليروانتية ORONTIDS DYNASTY، الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية للمرزبانية SATRAPY الأرمنية تحت حكم الأخمينيين، التأثيرات الفارسية على الحضارة الأرمنية. بدء تشكل المملكة الأرمنية الأولى، «اليروانتية».

الفصل الثاني :

المملكة الأرمنية الأولى :

الأسرة اليروانتية ٣٣١ - ١٨٩ قبل الميلاد.

تحت النفوذ السلوقي: تأثيرات الحضارة الهيلينستية HELLENISTIQUE على أرمينيا.

تقديم تاريخي. تحول أرمينيا من مرزبانية (مقاطعة) إلى مملكة. تأثير فتوحات الاسكندر على أرمينيا. وفاة الاسكندر الكبير ALEXANDER THE GREAT

ونتائجه. انضمام أرمينيا لحكم سلوقس الأول SELEUCUS I. فراآتافرنيس: فتوحاته وحكمه لأرمينيا الغربية (٣٢٣- ٣٢١ قبل الميلاد). ملوك الأسرة اليروانتية. مهران MITHRANES وحكمه لأرمينيا الشرقية، ثم أرمينيا بكاملها، بعد وفاة فراآتافرنيس PHRAATAPHERNES. حقيقة الاسم الذي تنتسب إليه الأسرة اليروانتية. ملوك الأسرة السلوقية SELEUCIDS DYNASTY. دراسة تاريخ أرمينيا بين أعوام ٣٢٣- ١٨٩ قبل الميلاد من خلال مقارنة التعامل بين ملوك الأسرتين اليروانتية والسلوقية على الأصعدة: الدينية، الثقافية، الاجتماعية، والسياسية. بدء تشكل المملكة الأرمنية الثانية: الأسرة الارداشيسيه ARTASHESES DYNASTY، عقيب زوال الأسرة اليروانتية مع وفاة يروانت الرابع وتعيين انطوخيوس الثالث ANTIOCHUS III لأرداشيس الأول ARTASHES I حاكمًا على أرمينيا الكبرى، وزاره ZARIADRIS، حاكمًا على أرمينيا الصغرى.

الفصل الثالث:

المملكة الأرمنية الثانية:

الأسرة الارداشيسية ١٨٩ ق. م. - ١ ميلادية.

الامبراطورية الأرمنية THE AREMENIAN EMPIRE

وديكران الثاني الكبير.

تمهيد تاريخي. ارداشيس الأول ١٨٩ - ١٦٠ قبل الميلاد وتأسيسه المملكة الأرمنية الثانية على أرمينيا الكبرى، محاولته ضم مملكة زاره وفشله، لجوء هانيبل القرطاجني HANNIBAL THE CARTHAGINIAN إلى بلاط ارداشيس، اقتراحه موقع بناء عاصمة الدولة الأرمنية، موافقة ارداشيس على ذلك وبناء ارتاكساتا ARTAXATA (ارداشاد)، فرض ارداشيس استخدام اللغة الأرمنية كلغة رسمية، نشاطاته الادارية والاقتصادية، صده قبائل الآلان ALANS (الشركس). اردافست الاول ARDAVZD I ابن ارداشيس ؟ - ؟ق.م. ديكران الأول TIGRANES I ابن ارداشيس؟ - ؟ ق.م. ديكران الثاني الكبير TIGRANES II THE GREAT

٩٥/٩٤ـ٥٥/٥٤ ق.م ابن ديكران الأول.

عهد ديكران الثاني الكبير : دور الازدهار وتوحيد المملكة الأرمنية ثم اشادة الامبراطورية وحدودها، دور الانحطاط وحروبه مع الرومان (لوغوللوص LUCULLUS، وبومبي POMPY)، ودور حميه مهرطاد (ميثريداتس MITHRIDATES) ملك البونت في جره (ديكران) الى حرب الرومان. سقوط الامبراطورية الارمنية وعودة ارمينيا الى حدودها الطبيعية. أحوال أرمينيا في عهد ديكران. اردافست الثاني ARDAVAZD II ٥٥/٥٤ـ ٣٤ ق.م ابن ديكران الأول:

موقفه من الرومان والبرثويين، مصاهرته لملك بارثيا PARTHIA، نزاعه مع مارك انطوني (حاكم مصر الروماني)، مقتل اردافست الثاني. ارداشيس الثاني ARDASHES II ابن اردافست الثاني ٣٠ـ ٢٠ق.م ، وظهور الأحزاب الموالية لروما وبارثيا. مقتل ارداشيس الثاني. ديكران الثالث TIGRANES III ٢٠ـ٨ ق.م

ابن اردافست الثاني. ديكران الرابع TIGRANES IV والملكة يرادو IRADO ٨ـ ٥ ق.م :دور الرومان والبارثيين في عهد هذين الملكين. اردافست الثالث ARDA-VAZD III ٥ق.م- ٢ق.م ومقتله. عودة ديكران الرابع والملكة يرادو ٢ق.م- ١.ب.م وسقوط المملكة الأرمنية الثانية عام ١ ميلادية.

الفصل الرابع

أرمينيا وحكم الملوك الأجانب

١ - ٦٦ ميلادية.

النزاع الروماني ـ البارثي. الأحزاب الأرمنية البرثوية- الرومانية ودورها في تعيين هؤلاء الملوك. أحوال أرمينيا خلال هذه الفترة. ملوك أرمينيا الأجانب بين أعوام ١ـ٦٦ ميلادية. سياسة الامبراطور اغسطوس الروماني.

الفصل الخامس :

المملكة الأرمنية الثالثة :

الأسرة الارشاغونية ARSACIDS DYNASTY

٦٦ - ٤٢٩ بعد الميلاد.

معاهدة رهانديا (هرانديا) RHANDEIA ٦٣ ميلادية بين روما وبارثيا. تنصيب الامبراطور نيرون NERO لدرطاد الأول TRDAT I في «الفوروم» بروما ملكاً على أرمينيا، وتأسس المملكة الأرمنية الثالثة. ملوك هذه الأسرة (أهم هؤلاء الملوك مع تعدادهم بالكامل): الملك درطاد الأول ٦٦- ١٠٠م. الملك درطاد الثاني (خسروف الأول الكبير) ٢١٧- ٢٣٨ ميلادية، مصرع خسروف على يد أناك من أسرة سورونيان، خضوع أرمينيا لحكم الساسانيين والرومان وتدمر PALMYRA. الملك درطاد الثالث، والقديس كريكور المنوِّر، وفترات حكمه الثلاث (٢٥٠- ٣٣٠ ميلادية): أحوال أرمينيا في عهده، تنصر أرمينيا. الملك خسروف الثاني الصغير ٣٣١- ٣٣٩ ميلادية. الملك ديران ٣٤٠- ٣٥٠ ميلادية وتصرفاته. الملك أرشاق الثاني وانتحاره ٣٥١- ٣٦٧ ميلادية. الملك باب ٣٦٩- ٣٧٤ ميلادية. الملك وار زطاد ٣٧٤- ٣٧٨ ميلادية. الملك ارشاق الثالث وواغارشاق ٣٧٨- ٣٨٦ ميلادية. الملك خسروف الثالث ٣٨٦- ٣٩٢ ميلادية. تقسيم أرمينيا بين الساسانيين والبيزنطيين عام ٣٨٧ ميلادية. الملك فرام شابوه ٣٩٢- ٤١٤ ميلادية، واختراع الأبجدية الأرمنية. عودة خسروف الثالث للحكم ٤١٤- ٤١٥ ميلادية. الملك شابوه (شابور) ٤١٦- ٤٢٠ ميلادية. أرمينيا بين أعوام ٤٢٠- ٤٢٣م. الملك ارداشيس الرابع ٤٢٣- ٤٢٩ ميلادية[1]، وسقوط الأسرة الارشاغونية.

١ - السنين المفقودة من التسلسل الوارد ضمن حكم الملوك المذكورين معلل أسبابها بالتفصيل ضمن نبذات هذا الفصل.

الفصل السادس:

أرمينيا بعد سقوط الأسرة الأرشاغونية وحتى الفتح العربي ٤٢٩- ٦٤٠ ميلادية : الحروب الدينية [١]، وأحوال أرمينيا السياسية والاجتماعية في قسميها الفارسي والبيزنطي.

مقدمة تاريخية. الحروب الدينية: حرب أفارايرAVARAYR ٤٥١ ميلادية: أسبابها ونتائجها، ظهور وارطان ماميكونيان، ثم واهان ماميكونيان. عودة الحروب الدينية واستمرارها حتى عام ٤٩١م. انتصار الأرمن وحصولهم على معاهدة تصون حقوقهم الدينية. أحوال أرمينيا السياسية والاجتماعية في أرمينيا الفارسية: أرمينيا يحكمها المرازبة SATRAPS، تقوية فارس لنظام الاقطاع في أرمينيا، امتيازات (المرازبة- رجال الاقطاع)، إدارتهم لمقاطعاتهم. جدول بأسماء الحكام- المرازبة- الذين حكموا «أرمينيا الساسانية» بين أعوام ٤٣٠- ٦٣٤ ميلادية. أحوال أرمينيا السياسية والاجتماعية في «أرمينيا البيزنطية»: إضعاف بيزنطة لنظام الاقطاع الأرمني الناخارار NAKHARARS، واتجاهها إلى تدميره بغرض تفتيت الوحدة الوطنية الأرمنية التي تؤمنها هذه العائلات، قرارات الأباطرة البيزنطيين بهذا الصدد: زينون وجوستنيان. جدول بأسماء الناخارار (القناصل) الذين حكموا أرمينيا البيزنطية بين أعوام ٥٩١- ٧٠٥ ميلادية.

الفصل السابع : أرمينيا وحكم العرب ٦٤٠ - ٨٨٥ ميلادية،

الفتح العربي لأرمينيا : أرمينيا والعرب.

تمهيد حول أسباب فتح العرب لأرمينيا.

١ - فتوح أرمينيا في عهد الخلفاء الراشدين ٦٤٠ - ٦٦٠ م:

الحملات العربية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، الحملة الأولى بقيادة عياض

---

١ - مع الفرس المردكيين الذين رعوا بفرض هذه الديانة على الأرمن بديلاً لديانة هؤلاء النصرانية.

ابن غنم والأراضي التي وصلتها. الحملة الثانية في عهد الخليفة نفسه بقيادة سراقة ابن عمرو وكتب الأمان بين العرب والأرمن. رأى الدكتور استارجيان حول الحملة الأخيرة. الحملات العربية في عهد الخليفة عثمان بن عفان. الحملة الثالثة بقيادة حبيب بن مسلمة، فتوحاتها، ومواثيقها. الحملة الرابعة في عهد الخليفة نفسه واحتلال أرمينيا عام ٦٦٠ ميلادية. موقف الأرمن من هذه الحملات. الأمير ثيودور رشدوني يوقع معاهدة الصلح مع العرب. نص المعاهدة. موقف بيزنطة من التحالف العربي الأرمني.

٢ ـ العرب وأرمينيا في عهد الدولة الأموية ٦٦٠ ـ ٧٥٠ ميلادية:

١ ـ معاوية والأرمن ٦٦٠ ـ ٦٨٠ ميلادية : حكام أرمينيا من العرب والأرمن. سير العلاقات بين الدولتين في عهد معاوية. إعلان المؤتمر الأرمني بعد وفاة الأمير

العربية الأرمنية السابقة. زيارة سمباط والأمير كريكور

إحتفاء معاوية بهما.

٦٨٠ ـ ٦٨٥ ميلادية: طبيعة العلاقات بين الدولتين في هذه

الفترة.

٣ ـ عبد الملك بن مروان والأرمن ٦٨٥ ـ ٧٠٥ ميلادية: الحكام العرب والأرمن لأرمينيا في عهده. هجمات قبائل الخزر. حملات امبراطور بيزنطة. نظام الحكم في أرمينيا (والٍ عربي، وحاكم أرمني). تسوية العلاقات العربية ـ الأرمنية.

٤ ـ الوليد بن عبد الملك والأرمن ٧٠٥ ـ ٧١٥ ميلادية : الولاة والحكام العرب والأرمن في عهده. أعمال الوالي قاسم وموقف الخليفة.

٥ ـ سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز والأرمن ٧١٥ ـ ٧٢٠ ميلادية: زيارة البطريرك هوفهانيس أوتسنيستي لدمشق، ومحاورته الدينية مع عبد العزيز. احتفاء عبد العزيز وإعجابه بالبطريرك.

٦ ـ يزيد بن عبد الملك والأرمن ٧٢٠ ـ ٧٢٤ ميلادية : صد العرب والأرمن لغزوات الخزر.

٧ ـ هشام بن عبد الملك والأرمن ٧٢٤ ـ ٧٤٣ ميلادية : الحكام الأرمن في عهده. موقف الخليفة العربي من الدولة الأرمنية الودي. عودة القتال بين العرب والأرمن من جهة، والخزر من جهة ثانية. نشوء علاقات صداقة ومودة بين الوالي العربي مروان بن محمد (الذي سيصبح خليفة فيما بعد) والأمير الأرمني سمباط باقرادوني. اشتراك الجيوش العربية والأرمنية أيضاً في حروبها ضد الخزر واحرازهما النصر. وضع أرمينيا في عهد هذا الخليفة.

٨ ـ مروان بن محمد والأرمن ٧٤٥ ـ ٧٥٠ ميلادية : دعوة مروان لسمباط لزيارة دمشق. تعيينه كريكور ماميكونيان قائداً عاماً على أرمينيا ثم موشيغ ماميكونيان. العلاقات العربيةـ الأرمنية في عهد مروان.

٣ ـ العرب وأرمينيا في عهد الدولة العباسية ٧٥٠ ـ ٨٦٥ ميلادية:

١ ـ تعيين أبي جعفر المنصور والياً على أرمينيا ٧٥٤ ـ ٧٧٥ م : موقفه من الأرمن. حصول تمرد في أرمينيا. تدخل الامبراطور البيزنطي. وضع أرمينيا عندما أصبح أبو جعفر خليفة للدولة العباسية. تسميته يزيد بن أسيد والياً على أرمينيا؛دورهذا الوالي في إعادة النظام إلى أرمينيا. نزوح القبائل العربية في عهد يزيد إلى الدولة الأرمنية: أسبابه. تعيين أبي جعفر للأمير ساهاك باقرادوني حاكماً على أرمينيا واشتراك الدولتين في صد هجمات الخزر.

٢ ـ المهدي والأرمن ٧٧٥ ـ ٧٨٥ ميلادية : حكام أرمينيا خلال خلافته: الأمراء سمباط باقرادوني، وبقراد باقرادوني. وضع أرمينيا وعلاقتها بالدولة العربية في هذه الفترة.

٣ ـ هارون الرشيد والأرمن ٧٨٦ ـ ٨٠٩ ميلادية : ازدهار أرمينيا وتنعمها بفترة هدوء وتقدم.

٤ ـ الأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والأرمن ٨٠٩ ـ ٨٦١ ميلادية: عاصر هؤلاء الخلفاء العرب في حكم أرمينيا الأمراء سمباط باقرادوني، باغارات باقرادوني، أشوط باقرادوني (الذي سيصبح أميراً للأمراء ومؤسس الأسرة الباقرادونية: المملكة الأرمنية الرابعة). تموج العلاقات العربية الأرمنية في عهود

هؤلاء الخلفاء والأمراء (الأرمن)، بين السلم والمهادنة. أرمينيا بين أعوام ٨٦٥ - ٨٨٥ وحكم أشوط باقرادوني كأمير للأمراء، ثم كملك وتأسيسه المملكة الأرمنية الرابعة. جدول بأسماء الحكام الأرمن في عهد الدولة العربية ٦٤٠- ٨٨٥ ميلادية. جدول آخر بأسماء الحكام العرب بين أعوام ٦٥٢- ٨٧٠ ميلادية.

الفصل الثامن :

المملكة الأرمنية الرابعة :

الأسرة الباقرادونية BAGRATIDS DYNASTY

٨٨٥ ميلادية - ١٠٧١ ميلادية[١].

تمهيد تاريخي. تعيين **أشوط باقرادوني** ملكاً على أرمينيا ٨٨٥- ٨٩٠ ميلادية: مقاومة أشوط للأمراء الأرمن الذين نافسوه على حكم أرمينيا وانتصاره عليهم، سفره الى بيزنطة، أعماله وأحوال أرمينيا خلال حكمه. **الملك سمباط الأول ٨٩٠- ٩١٤** ميلادية: خلافه مع الوالي الأفشين، حروبه والأفشين وانتصار سمباط، أحداث أرمينيا في عهده؛ ظهور الأمير أحمد، خلاف سمباط مع الأمير يوسف وحروبهما، تمرد يوسف على الخليفة العربي، ووقوف سمباط الى جانب الخليفة، خيانة أمير فاسبوراكان للملك سمباط، ندمه، سجن سمباط من قبل يوسف ومقتله. **الملك أشوط الثاني** الحديدي **٩١٤- ٩٢٩**: وضع أرمينيا المضطرب عند استلامه الحكم، دوره في إعادة النظام الى المملكة الأرمنية، قتله الأمير يوسف بمساعدة الجيوش العربية، سياسة اشوط الداخلية. **الملك عباس ٩٢٩- ٩٥٣** ميلادية: دوره في توحيد الأمراء الأرمن، اهتمامه بعمران أرمينيا وازدهارها. **الملك اشوط الثالث** الرحيم **٩٥٣- ٩٧٧** ميلادية: ثقافته الأغريقية الواسعة، تأثيرات هذه الثقافة على

---

١ - انتهى حكم الاسرة الباقرادونية، فعلا مع سقوط الملك كاكيك الثاني عام ١٠٤٥م.

إدارته المملكة الأرمنية، وتأمين تقدمها، اعلان شقيقه «موشيغ» نفسه ملكاً على قارص KARS، اتخاذ اشوط مدينة آني ANI عاصمة لمملكته وازدهارها، بناؤه جامعتين، تقدم فن الريازة (الهندسة المعمارية) في عهده. **سمباط الثاني ٩٧٧ـ ٩٨٩**. **الملك كاكيك الأول ٩٨٩ـ ١٠٢٠** ميلادية: اهتمامه بالعمران والفنون وعنايته بالاقتصاد، تقدم ارمينيا في عصره على الأصعدة الثقافية والاقتصادية، الخليفة العربي يمنحه لقب شاهنشاه لنشاطه. الملك **سمباط الثالث ١٠٢٠ـ ١٠٤٢** ميلادية: بدء ظهور السلاجقة الأتراك. الحكم الازدواجي وحكم **اشوط الرابع** الى جانب **سمباط الثالث**، مقاومة الأرمن لهجمات السلاجقة الأتراك. تنازل ملوك ارمينيا لبيزنطة عن ممالكهم وامارتهم. ارمينيا وسقوط الأسرة الباقرادونية ودور البيزنطيين في ذلك: مقاومة **الملك كاكيك الثاني** (١٠٤٢ـ ١٠٤٥) لمحاولات بيزنطة ضم ارمينيا اليها. خضوع ارمينيا للحكم البيزنطيين. معركة ملاذ كيرت MANAZKERT ١٠٧١، وحكم السلاجقة الأتراك لارمينيا.

الفصل التاسع :

المملكة الأرمنية الخامسة: RUBENIDS DYNASTY

الأسرة الروبينية.

مملكة كيليكيا ١٠٨٠ ـ ١٣٧٥ ميلادية.

تمهيد تاريخي. وصف كيليكيا جغرافيا. عهود المملكة الأرمنية الخامسة:

١ ـ دور الإمارة : روبين الأول ١٠٨٠ ـ ١٠٩٥ وتأسيسه الدولة الأرمنية في كيليكيا بعد سقوط آني. الأمير قسطنطين الأول ١٠٩٥ـ ١١٠٠م: احتلاله فاهكا VAHKA، توسيعه حدود الدولة الأرمنية الجديدة، ظهور الحملات الصليبية وتعاون قسطنطين مع أمير الرها EDESSA. بدء عهد البارونية BARONY. البارون الأمير

طوروس الأول ١١٠٠ـ ١١٢٣م: مده حدود بلاده وتوسيعه لها، تحالفه مع أمير انطاكية، اهتمامه بعمران امارته، مقاومته للفرس وانتصاره، حروبه مع البيزنطيين، ذيوع صيته في أوروبا. الأمير ليون الأول ١١٢٣ـ ١١٣٧م: نزاعه مع أمير انطاكية، خلافه مع القيصر كومينوس البيزنطي. الأمير طوروس الثاني ١١٤٥ـ ١١٦٨م: نجاحه في الهرب من الأسر واستعادته أجزاء كبيرة من امارة كيليكيا من البيزنطيين، وامتداد سيطرة الأرمن في عهده على السهل الكيليكي، حروبه مع البيزنطيين، هزيمته وإذعانه لشروطهم، استمرار الدولة الأرمنية في كيليكيا بسبب قبول طوروس لشروط بيزنطة، مهاجمته لقبرص. الأمير مليح ١١٦٩ـ ١١٧٤ م: تعاونه مع نور الدين الزنكي، وغزوه لكيليكيا، ثم تنصيب نفسه حاكمًا عليها، مقتل مليح واستلام روبين الثاني للحكم. البارون روبين الثاني ١١٧٥ـ ١١٨٧م: اهتمامه بإصلاح ما أفسده مليح من أحوال كيليكيا، نزاعه مع أمير انطاكية، اسره من قبل الحاكم المذكور، قيام ليون (شقيق روبين) بحملة عسكرية استطاع بها فك اسر هذا الأخير وعودته للحكم، تنازل روبين لشقيقه ليون عن الحكم، تحول الإمارة الأرمنية الى مملكة.

٢ ـ دور الملكية:

١ ـ الملك ليون الثاني ١١٨٦ـ ١٢١٩م: تتويج ليون ملكاً على كيليكيا بموافقة البابا وامبراطور المانيا وملوك أوروبا. تحقيق ليون للوحدة الوطنية في كيليكيا بضم امارتي لامبرون وبابيرون LAMPRŌN- BABIRON .مصاهرته لحكام انطاكية وقبرص والقدس. بلوغ كيليكيا في عهده مصاف الممالك «الأوروبية». تقدم بلاده وازدهارها اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. ادخاله الاصلاحات الى بلاده، أحوال كيليكيا في عهده وقضية امارة انطاكية، حدود مملكته. صكه النقود الأرمنية.

٢ ـ فترة الوصاية: ١٢١٩ ـ ١٢٢٦ م.

٣ ـ الملكة زابيللا والملك هيتوم الأول ١٢٢٦ـ ١٢٧٠م: بقاء ارمينيا ٧ سنين بعد وفاة ليون الثاني تحت حكم الوصاية على الملكة زابيللا (التي كانت تبلغ الثانية عشر من عمرها): ادام دي غستيم ثم قسطنطين. محاولات هذا الأخير تأمين زواج زابيللا

لابعاد الأطماع عن العرش. زواج زابيللا بهيتوم الأول. حكم الملك هيتوم لكيليكيا ٤٤ عاماً: سيره على سياسة الملك ليون الثاني داخلياً، تأمينه الوحدة الوطنية، تحقيق تقدم بلاده اقتصادياً واجتماعياً، وبالنسبة لسياسته الخارجية سار على أسلوب المهادنة مع أمير قونية السلجوقي. تحالفه مع المغول ودفعهم عن احتلال بلاده. حروبه مع المماليك.

٤ ـ الملك ليون الثالث ١٢٧٠ ـ ١٢٨٩ م: حالة كيليكيا في عهده. الاضطراب السياسي الداخلي. حروبه ضد غزوات المماليك. اهتماماته بتنظيم مملكته. تحالفه مع المغول. معاهدة الصلح بين الأرمن والمماليك وشروطها.

٥ ـ الملك هيتوم الثاني ١٢٨٩ ـ ١٣٠٥ م: اعتلاؤه العرش وأجزاء كبيرة من بلاده تحت الحكم والاحتلال المملوكي. عودة المماليك الى غزو كيليكيا. تنازل هيتوم لهم عن بعض المدن الأرمنية. الصلح الأرمني- المملوكي تنازل هيتوم عن العرش لشقيقه طوروس. عودته للحكم، تعاونه مع قازان خان ملك التتر. توقيعه معاهدة معه وحصوله على امتيازات لصالح دولته. مصاهرته للبلاط البيزنطي. سفر هيتوم الى القسطنطينية واستيلاء شقيقه طوروس على الحكم. طمع الدول الأجنبية بالدولة الأرمنية نتيجة الخلافات على العرش. عودة هيتوم الى المُلك. هزيمة الأرمن والتتر أمام المماليك، وتنازل هيتوم عن العرش.

٦ ـ الملك ليون الرابع ١٣٠٥-١٣٠٨م: ظهور المنازعات الدينية، وأثرها على كيان المملكة الأرمنية. مقتل ليون.

٧ ـ الملك أوشين الأول ١٣٠٨ ـ ١٣٢٠م: مهاجمته للمغول لقتلهم ليون الرابع، ودحرهم الى ما وراء حدود كيليكيا. مواجهته للمنازعات الدينية، خطواته في هذا الصدد. استمرار الهجمات المملوكية. وفاته عام ١٣٢٠.

٨ ـ الملك ليون الخامس ١٣٢٠-١٣٤٢م: جلس على العرش وخاله وصياً عليه. تصرفات الوصي أوشين المتذبذبة. تسلم ليون العرش وتدفق الغزوات المملوكية على بلاده مجدداً. المعاهدة الأرمنية المملوكية نتيجة تدخل أوروبا، نقض المماليك

للمعاهدة واحتلالهم لأكثر اجزاء الدولة الأرمنية. معاهدة صلح جديدة. ظهور حزبين دينيين ساعدا على إضعاف الدولة الأرمنية.

٩ ـ انتقال العرش لأسرة دي لوسينيان الافرنسية. الملك غي دي لوسينيان ١٣٤٢ـ ١٣٤٤م، صده لغزوات المماليك. سياسته الداخلية.

١٠ ـ الملك قسطنطين الثاني ١٣٤٤ ـ ١٣٦٣م: سياسته الداخلية، ومحاولته جذب الأرمن بالسماح لهم باستلام المراكز الحساسة في الدولة، وسحب الافرنسيين واللاتين منها. استخدامه اللغة الأرمنية. مهاجمة المماليك كيليكيا (اياس AYAS واحتلالها)، وكذلك مسيس وطرسوس وسيس. تدخل ملك قبرص الى جانب الأرمن. فشل المماليك، وفاة قسطنطين.

١١ ـ الملك قسطنطين الثالث ١٣٦٣ ـ ١٣٧٣م: عودة الخلافات المذهبية.. تصرفات قسطنطين الشاذة واغتياله.

١٢ ـ الملك ليون السادس ١٣٧٣ ـ ١٣٧٥ م : وسقوط مملكة كيليكيا.

الفصل العاشر :

أرمينيا بعد سقوط آني ANI (١٠٧١ م)، وسيس SIS (١٣٧٥ ميلادية).

خضوع أرمينيا لحكم البيزنطيين أولاً ثم السلاجقة. تحرير الجيورجيين لارمينيا. ظهور المغول واجتياحهم لارمينيا. جنيكز خان. احتلال تيمورلنك لارمينيا. اعلان اوزون حسن «١٤٦٨» م نفسه سلطاناً على فارس ومهاجمته ارمينيا. محمد الثاني العثماني (١٤٤٠ـ ١٤٨١م) وهزمه لاوزون حسن واحتلال تركيا للدولة الارمنية، مهاجمة الشاه اسماعيل الأول (١٥١٤م) لارمينيا وهزيمته أمام السلطان سليم العثماني. احتلال تركيا لأكثر أراضي ارمينيا. استيلاء الشاه عباس الأول في مطلع القرن السابع عشر على اقليم ارارات من الأتراك. عودة الأتراك الى أرمينيا بقيادة السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ـ ١٦١٧م)، وهزيمة شاه عباس. تصرفات الشاه

المذكور تجاه الأرمن. احداثه، مدينة جولفا. الأرمن واقليم كاراباغ. الممالك الأرمنية الخمسة في هذا الاقليم والاسر الارمنية الحاكمة. تصرفات خلفاء الشاه عباس المشينة ضد الأرمن. مؤتمر سري في ايتشمايازين (١٦٧٨م). ظهور الأمير اوري. محاولات اوري للاتصال بالدول الأوروبية بشأن استقلال ارمينيا. موافقة بطرس الأكبر على ذلك (١٧٠١م). الحرب الروسية- الفارسية. ظهور القائد دافيد، قائد المقاومة الأرمنية ووفاته (١٧٢٨م). الحرب الفارسية- الروسية (الامبراطورة كاترين الثانية). هزيمة الفرس واحتلال الروس لاقسام كبيرة من ارمينيا. الحرب الروسية- التركية (١٨٢٩م)، واقتسام الدولتين لارمينيا، واستمرار هذا الوضع (مع تعديلات في حدود حصة الدولتين) حتى الربع الأول من القرن العشرين.

الباب الثالث : تاريخ ارمينيا الحضاري:

الفصل الأول :

ارمينيا من الوثنية إلى المسيحية. أرمينيا الدولة المسيحية
الأولى في العالم عام ٣٠١ م.
القديس كريكور المنوَّر LUSSAVORITCH
والملك درطاد الثالث وأعمالها.

- الوثنية في أرمينيا: نظرة الى تطور الدين نفسه. عقائد السومريين والأكاديين والآشوريين والايرانيين وتأثيراتها على الديانة الأرمنية القديمة. الآلهة الأرمنية القديمة. تأثيرات الديانة الاغريقية على الوثنية الأرمنية.

- أرمينيا المسيحية: المبشرون الأوائل. الملك درطاد والقديس كريكور المنوَّر THE ILLUMINATOR. الكنيسة الأرمنية. المجامع الدينية. التقاليد الخاصة بالكنيسة الأرمنية. ادارة الكنسية وتنقل كرسي الكاثوليكوس.

الفصل الثاني :

تطور اللغة والآداب الأرمنية :

اختراع الأبجدية الأرمنية وآثاره البعيدة والمباشرة .

اعتبار اللغة الأرمنية من اللغات الهندية والأوروبية واثباتات العلماء حول ذلك . جدول باللغات العالمية يؤكد هذه النظرة واستقلال اللغة الأرمنية . استخدام اللغة الأرمنية القديمة للحروف الآرامية واليونانية والسريانية . دخول كلمات فارسية الى اللغة الأرمنية . تأثير الأدب الأرمني القديم على الآداب الرومانية والاغريقية . الأدب الأرمني غير المكتوب . اشعار كوغهاتن . الأدب الأرمني المكتوب وتطوره بفعل اختراع الأبجدية الأرمنية . طريقة اختراع الأبجدية الأرمنية ، ودور فرام شابوه ، وسحاق بارثيو ، وميسروب ماشدوتس في ذلك . جدول بالحروف الأبجدية . الآثار المباشرة والبعيدة لاختراع الأبجدية الأرمنية :

١ ـ حركة التأليف والترجمة ، وأشهر المترجمين (ترجمة الكتاب المقدس والكتب الدينية وكتب ارسطو والكتب العلمية والفلسفية والأدبية الأغريقية وغيرها) .

٢ ـ حركة التأريخ ، وأشهر المؤرخين .

٣ ـ الحركة العلمية ، وأهم العلماء الارمن .

٤ ـ الحركة الشعرية ، وأعظم الشعراء : مقتطفات من الاشعار الأرمنية للقديس كريكور ناريكاتسي (دونارك) ، ونرسيس شنورهالي ، ونرسيس لامبروناتسي . دور منظمة المخياتاريست والكنيسة الارمنية في حفظ الادب والقومية واللغة الارمنية .

الفصل الثالث :

التركيب الطبقي ومظاهر الحياة الاجتماعية في ارمينيا وكيليكيا ـ البنية الاقتصادية .

١ ـ نظام الاقطاع (التركيب الطبقي) وتطوره في أرمينيا :

آ ـ خلال حكم الاسرة الاخيمينية الفارسية ٥٥٠ ـ ٤٠٠ قبل الميلاد ، وأيضا

خلال حكم الاسرة اليروانتية الارمنية ٤٠٠ قبل الميلاد - ٣٣١ قبل الميلاد (المرزبانية).

ب - نظام الاقطاع والتركيب الطبقي في عهد المملكة الارمنية الأولى: اليروانتية ٣٣١ ق.م- ١٨٩ ق.م.

جـ - نظام الاقطاع والتركيب الطبقي في عهد المملكة الارمنية الثانية: الارداشيسية: ١٨٩ ق.م- ١.ب.م.

د - نظام الاقطاع والتركيب الطبقي في عهد المملكتين الثالثة والرابعة: الارشاغونية والباقرادونية (وخلال حكم الاجانب): البادیشاه- الناخارار- السيبلوس- الازاتز- الراميكس. رجال الدين ١م- ١٠٧١م.

٢ - **نظام الاقطاع (التركيب الطبقي) وتطوره في كيليكيا:** المملكة الارمنية الخامسة: الاسرة الروبينية.

٣ - **مظاهر الحياة الاجتماعية اليومية في ارمينيا وكيليكيا، على مستوى العرش (البلاط)، والاشراف، والشعب:**

آ- مظاهر الحياة اليومية في «أرمينيا» على **مستوى العرش والاشراف** (نظام الاقطاع، وحفلات الصيد، والمسرح).

ب - مظاهر الحياة اليومية في «أرمينيا» على **مستوى الافراد** (الاعياد الدينية والقومية، حفلات الصيد والرقص، العادات الاجتماعية للشعب الأرمني).

جـ - مظاهر الحياة اليومية في «كيليكيا»على **مستوى العرش والاشراف** (نظام الفروسية، عادات الفرنك، المؤسسات الاجتماعية).

د - مظاهر الحياة اليومية في «كيليكيا» على **مستوى الافراد** (التجارة-الفروسية- الصيد- الحفلات).

٤ - **البنية الاقتصادية في ارمينيا وكيليكيا:**

الرفاه الاقتصادي في الدولتين. تجارة الترانزيت. النقود الارمنية. ازدهار التجارة وتقدمها. دروب التجارة والمدن التجارية. المرافئ الارمنية في كيليكيا.

الفصل الرابع :

الريازة الأرمنية ، الهندسة المعمارية .

تمهيد تاريخي . الدراسات الاولية للريازة الارمنية . دور النصب والاثار الارمنية المكتشفة في تحديد اهمية هذه الريازة . موقع الهندسة المعمارية الارمنية بين فنون العمارة العالمية . اقوال العلماء الاختصاصيين في ذلك . اعتبار الهندسة المعمارية الارمنية فناً مستقلاً ومتطوراً . نظريات بعض علماء الاثار حول تأثيرات الفن الارمني على الريازة البيزنطية . اعتبار الارمن اول من ادخل القباب المبنية من القرميد الى ايران . الارمن اول من صمم الكنائس على هيئة دائرة .

تأثيرات الهندسة الارمنية على الريازة القوطية . دور الارمن في هذا الفن : تزيين كنيسة ايا صوفيا في استانبول . تأثير الريازة الارمنية على الهندسة السلافية . تطور الهندسة المعمارية الارمنية ، واعتبارها واحدة من أهم الريازات (إلى جانب البيزنطية والرومانية والاغريقية) في العالم . اقوال حول تأثير الارمن في تصميم كنيسة نوتردام دو باري (في باريس) .

الباب الرابع : المسألة الارمنية THE ARMENIAN QUESTION

الفصل الأول :

الجذور التاريخية للمسألة الارمنية .

دور الموقع الجغرافي للدولة الارمنية واثاره البعيدة :

١ ـ زوال الدولة الارمنية .

٢ ـ ظهور المسألة الارمنية على الصعيدين المحلي والدولي . تحديد مفهوم الموقع الجغرافي :

آ ـ ان وجود ارمينيا كجسر بين امبراطوريات متصارعة ، قد ابرز لهذه الامبراطوريات ما للدولة الارمنية من اهمية استراتيجية من النواحي العسكرية

والبشرية والاقتصادية، مما دفع بهذه الدول الى مهاجمة ارمينيا على مدى ٢٠ قرناً وأكثر ثم اقتسامها.

ب ـ ان وقوع ارمينيا على محاور تقدم القبائل الطورانية (السلاجقة ـ المغول ـ التركمان)، قد سدد ضربة قاضية ومدمرة لاستقلال الدولة الارمنية.

جـ ـ ان التمزق الداخلي ودائرة الصراعات المحلية قد ساعدا على تحقيق النتيجتين السابقتين: زوال الدولة الارمنية، وظهور المسألة الارمنية. تفسير ما تقدم:

١ ـ وجود ارمينيا بين امبراطوريات متصارعة: وجه هذا الموقع اهتماماً عسكريا ـ سياسيا، وبشريا، واقتصادياً للدول المجاورة لأرمينيا: فمن الناحية العسكرية ـ السياسية هاجم هذه الدولة على مدى تاريخها كل من الميديين والبارثيين والرومان والفرس والساسانيين والاغريق والاعاجم والاتراك والروس والكرج والشركس والاكراد، واحتلوها، واعملوا فيها الدمار والتخريب على مدى ٢٠ قرناً ونيف. ومن الناحية البشرية، ادت هذه الحروب المستمرة الى افناء العنصر البشري الارمني بسبب دفاعه عن بلاده، او إنخراطه في جيوش الدول المتحالفة، او تطويعه كرها في جيوش الدول الاخرى. ومن الناحية الاقتصادية ادى العاملان السابقان الى افناء الثروة الاقتصادية للدولة الارمنية، ودمار الزراعة والصناعة الارمنية، وتأخر الدولة الارمنية، فضلا عن الهجرات المتعاقبة للارمن الى دول العالم هرباً من هذه الكوارث.

٢ غزوات القبائل الطورانية: ان وقوع ارمينيا طبيعياً، على محاور تقدم هذه الشعوب، وهي في طريقها الى آسيا الصغرى وأوروبا، قد ادى الى القضاء على ارمينيا، وفقدانها لاستقلالها نهائياً على يد السلاجقة الاتراك اولا، ثم المغول ثانياً، والتركمان ثالثاً، مما ترك الدولة الارمنية تحت رحمة الغزاة الاخرين: الفرس، الروس، الاتراك، الخ..

٣ ـ دائرة التمزق الداخلي والصراعات المحلية: ادى التنافس على العرش،

وظهور احزاب موالية لهذه الدولة او تلك، الى نسيان وحدة الهدف، وتفتيت الوحدة الوطنية، الامر الذي ساعد الدول الاجنبية على تقسيم ارمينيا واحتلالها، حيث انتهى الموقف أخيراً الى توزع أرمينيا بين روسيا القيصرية وتركيا العثمانية.

الفصل الثاني:

المسألة الارمنية والصدامات العثمانية ـ الأرمنية.

تمهيد تاريخي: ١ ـ المسألة الارمنية قبل مجيء السلطان عبد الحميد ووضع الارمن في تركيا ٢ ـ المسألة الأرمنية في عهد السلطان عبد الحميد:

١ ـ ظهور المسألة الارمنية على الصعيد الدولي نتيجة معاهدتي سان استيفانو وبرلين.

٢ ـ مطالب الدول الاوروبية بالاصلاحات في الولايات الارمنية في تركيا.

٣ ـ اهم الحوادث في عهد السلطان عبد الحميد:

آ ـ احداثه فرق فرسان الحميدية، واعمالها (١٨٩١).

ب ـ حوادث صاصون ١٨٩٣.

جـ ـ اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ وظهور الشباب الاتراك.

د ـ اضطهادات السلطان في اضنة وكيليكيا.

٣ ـ المسألة الارمنية في عهد الاتراك الشباب (جمعية الاتحاد والترقي):

آ ـ موقف الأرمن من جمعية الاتحاد والترقي.

ب ـ سياسة هذه الجمعية الطورانية من الارمن.

جـ ـ سياسة الامبراطور غليوم (المستمرة من عهد السلطان عبد الحميد وارتفاع تواترها في عهد الشباب الاتراك)، سياسة الزحف شرقاً DRANG NACH OSTEN.

د ـ توسع النفوذ الالماني في تركيا واثره على المسألة الارمنية ـ مد خط سكة حديد بغداد ـ وتأثيراته على المسألة الارمنية.

هـ ـ مؤتمر لندن ومشروع الاصلاحات.

و ـ الموقف السلبي لجمعية الاتحاد والترقي من هذا المشروع.

ز ـ التخطيط لعمليات الـ GENOCIDE .

حـ ـ اثر توزع الأرمن بين روسيا القيصرية وتركيا، وانتهاز هذه الاخيرة لهذه المناسبة كذريعة لتنفيذ مخططاتها.

ط ـ المجزرة الكبرى ٢٤ نيسان ١٩١٥ (مليون ونصف قتيل)، وموقف العرب منها.

الفصل الثالث:

المسألة الأرمنية خلال الحرب العالمية الأولى:

الجمهورية الارمنية ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ ميلادية.

تحليل تاريخي : الاتفاقية السرية الثلاثية، الروسية القيصرية ـ الأنكليزية ـ الافرنسية، واثارها السلبية على الجمهورية الارمنية والمسألة الارمنية ككل (١٩١٦ ميلادية).

وضع أرمينيا خلال الحرب الاولى: نشوب الثورة في الروسيا وتأثيرها على الأرمن. استلام الشيوعيين الحكم واعلانهم حق تقرير المصير للارمن (وغيرهم). الاتحاد السوفيتي (لينين) وقرار «ارمينيا التركية». معاهدة برست ليتوفسك وانسحاب روسيا من الحرب واثر ذلك على المسألة الارمنية. اعلان دول ما وراء القوقاز استقلالها: جيورجيا ـ اذربيجان ـ ارمينيا. الجمهورية الارمنية: معارك الارمن والاتراك، هزيمة الارمن ثم انتصارهم واعلان الجمهورية، في ٢٨ ايار ١٩١٨، بعد قرون من الضياع، تشكل المجلس الوطني، تأسيس مجلس النواب للجمهورية الجديدة.

نهضة هذه الدولة : وضع دستور دائم، تشكيل جيش وطني، انشاء جامعة، الاهتمام بالاقتصاد (الزراعة والصناعة)، اطماع الدول المجاورة (الكرج، الأذربيجانيون، الترك، الالمان) بالجمهورية الارمنية. المعاهدة السرية الثلاثية وتأثيراتها على هذه الجمهورية: منع انضمام الجمهورية الارمنية الى عصبة الامم،

منعها من الحصول على الحماية (الانتداب MANDATE)، عدم مساعدتهاعسكرياً واقتصادياً. تحليل تاريخي للمعاهدة السرية الثلاثية، والمعاهدات الدولية: .

١ ـ سيفر:نقض الاتراك لهذه المعاهدة ومهاجمة الجمهورية الارمنية.

٢ ـ معاهدة الكسندر بول.

٣ ـ معاهدات اخرى، وزوال الجمهورية الارمنية.

الباب الخامس : المسألة الارمنية والقانون الدولي.

THE ARMENIAN QUESTION AND THE INTERNATIONAL LAW

الفصل الاول:

عمليات الابادة في القانون الدولي.

عمليات الابادة تشكل جريمة بموجب القانون الدولي. المستند القانوني في اعتبار هذه التصرفات جريمة تجب معاقبتها استنادا الى القانون الدولي (المواد ١، ٣، ٤، من ميثاق الابادة الجماعية لعام ١٩٤٨). تعريف القانون الدولي ومصادره. العرف الدولي والمادة ٣٨ منه التي تؤيد ادانة عمليات الابادة وتسمح باعتبار مداخلات الدول الاوربية بشأن طلب الاصلاحات في الولايات الأرمنية بمثابة العرف الدولي الصالح للتطبيق على الجرائم المرتكبة بحق الارمن بين اعوام ١٨٩٥ـ ١٩٢٧. شواهد على هذه المداخلات التي يمكن أعتبارها بمثابة العرف الدولي. تأكيد وجود العرف الدولي المؤيد لادانة عمليات الابادة عموماً: العرف الدولي الناجم عن محاكمات نورمبرغ، المفعول الرجعي للعرف الدولي ومؤيداته كما اكدته محاكمة نورمبرغ، وبالتالي صلاحية هذا المفعول الرجعي للتطبيق (استنادا الى ميثاق الابادة الجماعية لعام ١٩٤٨) على عمليات الابادة الجماعية للارمن. حماية الحقوق البشرية في ميثاق الأمم المتحدة وتأكيدها على ادانة عمليات الابادة هذه:

١ ـ مقدمة ميثاق الامم المتحدة والميثاق نفسه.

٢ ـ الاتفاقية الاوربية لحماية حقوق الانسان والحريات الاساسية.

٣ ـ اجتهاد المحاكم الدولية.

٤ ـ آراء الفقهاء وكتابات المؤرخين الدوليين التي تصلح كمصدر انشائي واثباتي يمكن الاعتداد به أمام المحاكم الدولية المختصة الى جانب المؤيدات السابقة في حالة عرض المسألة الارمنية على المحاكم الدولية.

الفصل الثاني:

مؤيدات القانون الدولي في الاعتراف بالحقوق الارمنية.

A ـ تطور المسألة الارمنية: من المطالبة بالاصلاحات، الى منح الأرمن حق الاستقلال الذاتي، ثم اعطائهم حق تقرير المصير بالنسبة لحقوقهم في الولايات الارمنية في تركيا. المؤيدات الدولية لهذه المطاليب:

١ ـ القانون الدولي ومصادره.

٢ ـ الزخم القانوني الذي تتمتع به المسألة الارمنية استنادا الى المبادىء السابقة نفسها.

B ـ مراحل الاعتراف بالحقوق الارمنية:

آ ـ المرحلة الأولى: مرحلة «الاعتراف الدولي» بضرورة تحقيق الاصلاحات في الولايات الأرمنية في تركيا ومؤيداته:

١ ـ الدستور الوطني الارمني الذي اقرته الامبراطورية العثمانية نفسها.

٢ ـ مواقف الدول الاوروبية ومداخلاتها المتعددة بشأن طلب هذه الاصلاحات.

٣ ـ معاهدتا سان استيفانو وبرلين.

٤ ـ معاهدة برلين.

٥ ـ مؤتمر لندن.

ب ـ المرحلة الثانية: مرحلة «الاعتراف الدولي» بشرعية الجمهورية الارمنية ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ ومؤيداته:

١ ـ تعريفات اولية «ذات صبغة دولية» تفسر وتؤكد قانونية الاعتراف الدولي بهذه الشرعية:

آ ـ عوامل نشوء الدول.

ب ـ تعريف الاعتراف الدولي.

جـ ـ اشكال الاعتراف الدولي.

د ـ الاسباب القانونية غير المباشرة التي دعمت انشاء الجمهورية الارمنية.

هـ ـ الاسباب القانونية المباشرة التي ادت الى ظهور الجمهورية الارمنية.

و ـ المؤيدات الدولية للاعتراف بشرعية واستقلال الجمهورية الارمنية ١٩١٨ ـ ١٩٢٠.

٢ ـ الاثباتات القانونية بشأن هذا الاعتراف الدولي:

١ ـ اعلان استقلال الجمهورية الارمنية.

٢ ـ اعتراف «الدول» بالجمهورية الارمنية: اعترافاً فعلياً DÉ FACTO، واعترافاً قانونياً DÉ JURE.

٣ ـ المعاهدات الدولية التي ايدت استقلال الجمهورية الارمنية والاعتراف بها:

آ ـ معاهدة سيفر: شرح مفصل لبنودها وظروف توقيعها وشروطها ومؤيداتها الدولية.

ب ـ المعاهدة التركية مع الحلفاء حول الاعتراف بالجمهورية الأرمنية.

جـ ـ معاهدة باطوم.

د ـ معاهدة الكسندر بول.

هـ ـ معاهدة لوزان: نتائجها ـ تحليل.

الباب السادس : العلاقات العربية ـ الارمنية عبر التاريخ.

الفصل الاول: العلاقات العربية ـ الارمنية وتطورها منذ قرون ما قبل الميلاد وحتى القرون الوسطى.

بدء هذه العلاقات في عهد ديكران الثاني الكبير (٩٤ـ ٥٥ قبل الميلاد) عندما

قاتلت فرق عربية في حروب ديكران الهجومية والدفاعية. كذلك الامر عندما وجدت كتائب عربية في جيش اراداشيس الأول. اثار التجاور الجغرافي بين شبه جزيرة العرب وسورية ولبنان من جهة، وارمينيا من جهة ثانية في سير هذه العلاقات. نص العهد الذي اعطاه النبي العربي محمد (ﷺ) الى البطريرك ابراهام بشأن حماية كنائس الارمن والقبط وشعوبهم وممتلكاتهم. تعهد الخلفاء باحترام هذه العهد. نقض العثمانيين لهذا العهد. فتوح الارمن لسورية ولبنان. اسباب فتوح العرب لارمينيا. كتب الامان العربية للأرمن. سير العلاقات العربية الارمنية في عهود الخلفاء العرب والامراء والملوك الارمن. العلاقات الارمنية في المضمار الحضاري. مقتطفات أدبية ارمنية حول الشاعر العربي ابي العلاء.

الفصل الثاني:

العرب مواطنون «ارمن» في ارمينيا.

تمهيد. الهجرات العربية الى ارمينيا. هجرات جماعية عقيب فتوح ارمينيا. هجرات افراد لدوافع اجتماعية واقتصادية. تقسيم هذه الهجرات حسب تواريخ وقوعها: خلال الحكم الاموي وثانياً خلال الحكم العباسي. نتائج هذه الهجرات الثقافية العلمية والاقتصادية على الشعبين.

الفصل الثالث:

موقف الدولة العثمانية الموحد من الشعبين الارمني والعربي وردود فعلها تجاه السياستين الطورانية (بالنسبة للارمن)، والتتريك (بالنسبة للعرب).

الاضطهاد العثماني للعرب والارمن على المستويات: اللغوية، القومية، الاجتماعية، الثقافية. قيام العرب والارمن (في الوجه المقابل)، (وكل بمفرده)، بانشاء المدارس والمطابع والصحف والجمعيات الثقافية والسياسية وتحول هذه الأخيرة الى احزاب لمقاومة السياسة العثمانية المتطورة اضطهاداً للشعبين. أسماء

الأدباء والأعمال الأدبية والصحف والمدارس والأحزاب العربية والأرمنية. النهضتان العربية والأرمنية نتيجة الأعمال السابقة. اشتراك الأرمن مع الروس في حرب الأتراك. اشتراك العرب في الحرب ضد الأتراك مع الإنكليز. الفرقة الأرمنية تحارب الى جانب الإنكليز والعرب في فلسطين. خيانة الحلفاء للقضيتين الأرمنية والعربية. ضياع الجمهورية الأرمنية ودخول المسألة مستودع القضايا الدولية «المعلقة» (معاهدة لوزان).

الفصل الرابع :

الارمن مواطنون عرب في لبنان.

هجرة الأرمن الى لبنان عبر التاريخ: اقوال المؤرخين في ذلك: يوسف يزبك، سيساك فارجا بيديان VARJABEDIAN ، وجميل جبر. المتصرفان الأرمنيان (حكام لبنان) داوود باشا واوهانيس قيوجيان. هجرة الارمن الحديثة الى لبنان: مع اعوام ١٨٩٥ و١٩٠٩ و١٩١٥ و١٩٣٩. الكثافة وتوزع الارمن في لبنان. المعسكرات الاولى للأرمن في لبنان ومناطق سكنهم. توزعهم الحالي في لبنان. عدد الارمن في لبنان. توزعهم من النواحي المهنية:

١ - الصناعة:

آ ـ صناعة الدباغة ـ ب ـ صناعة الاسفنج الاصطناعي ـ ج ـ صناعة الادوات المنزلية ـ د ـ صناعة الصياغة ـ هـ ـ صناعة الميكانيك ـ و ـ صناعات مختلفة.

٢ ـ التجارة: آ ـ تجارة ترانزيت، تجارة عامة، جـ ـ مؤسسات تجارية، ـ مصارف، هـ ـ محلات تجارية للبيع بالمفرق.

٣ ـ المحاماة: عدد المحامين، توجه الارمن الى هذه المهنة. الارمن قضاة «عرب» في لبنان.

٤ ـ الهندسة: اشهر المهندسين الارمن. اعمالهم في لبنان والدول العربية.

٥ ـ الطب: المستوصفات الطبية والمستشفيات الارمنية في لبنان.

٦ـالسياسة: النواب الأرمن في المجلس النيابي اللبناني في عهود ما قبل الاستقلال وما بعده. الوزراء الأرمن في لبنان. عدد هؤلاء الوزراء. نشاطات رجال السياسة والدين الأرمن لصالح القضايا العربية.

٧ ـ الصحافة الارمنية والادباء الارمن في لبنان: اسماء وعدد الصحف الارمنية في لبنان. اشهر الادباء الارمن في لبنان ومؤلفاتهم. دور النشر الارمنية في لبنان.

٨ ـ المدارس والمعاهد الارمنية في لبنان: آ: مدارس الطوائف الثلاث، ب ـ المدارس الارمنية الخاصة، جـ اسماء هذه المدارس ومواقعها.

٩ ـ الجمعيات الثقافية والخيرية الارمنية: اسماء هذه الجمعيات. اهداف هذه الجمعيات الرامية الى تمتين العلاقات بين الارمن في لبنان، والارمن في العالم من جهة، وبين الارمن في لبنان مع مواطنيهم العرب اللبنانيين والسوريين والعرب عامة من جهة ثانية. اسماء هذه الجمعيات وتنظيماتها.

١٠ ـ الاديرة والكنائس الارمنية العائدة للطوائف الثلاث: اسماء هذه الكنائس وادارتها.

١١ ـ النوادي الرياضية: اسماء هذه النوادي. نشاطاتها. اهدافها.

١٢ ـ النشاطات الارمنية: ١ ـ فرق الرقص الفولكلوري. ٢ـ فرقة هامسكايين المسرحية، ٣ـ فرق رقص الباليه، ٤ ـ اشهر المصورين الأرمن في لبنان والجوائز العالمية التي حازوها، ٥ ـ الرسامون الأرمن اللبنانيون: اشهر هؤلاء ومعارضهم الدولية، ٦ـ النحت الأرمني وأهم النحاتين، ٧ـ الغناء الاوبرالي.

الفصل الخامس:

الارمن مواطنون عرب في سوريا.

هجرة الارمن القديمة الى سورية في اعوام: ٥٢٩م، وايضا اعوام ٧١٧ـ٧٢٨م، وكذلك اعوام ٩٣٧ـ ٩٩٢ ميلادية. هجرة الارمن الحديثة الى سورية بعد اضطهادات ١٨٩٥ـ ١٨٩٦ـ و١٩٠٩ و١٩١٥ و١٩٢٠ـ ١٩٣٧. الكثافة وتوزع

السكان. توزع الارمن في سورية ضمن المدن. توزع الارمن من النواحي المهنية:
١ـ الصناعة، ٢ـ الطب، ٣ـ المحاماة، ٤ـ التجارة، ٥ـ الاعمال الحرة، ٦ـ الادباء (والصحف الارمنية) في سورية، ٧ـ المدارس الارمنية في سورية: اسماؤ ها وعددها ومواقعها، ٨ـ الاديرة والكنائس الارمنية في سورية، ٩ـ الجمعيات الارمنية الثقافية والخيرية. ١٠ـ النوادي الرياضية. ١١ـ الاعياد الدينية الارمنية. ١٢ـ الخرافات والاساطير (في سورية ولبنان والعالم). ١٣ـ اشهر الشخصيات الارمنية السورية: النواب الارمن في مجالس الشعب السورية. ١٤ـ العادات والتقاليد الارمنية.

الباب السابع : الارمن بين الامس واليوم:

- الفصل الأول: **الارمن بالأمس:**

اباطرة وحكام في الامبراطورية البيزنطية، ووزراء وقادة في دول الاتحاد السوفيتي وايران.

- الفصل الثاني: **الارمن اليوم:**

جمهورية ارمينيا السوفيتية.

- الفصل الثالث: **الارمن في العصر الحديث:**

توزعهم في مختلف دول العالم في الوقت الحاضر.

- الفصل الرابع: **اعلام الارمن في القرن العشرين.**
- كلمة الختام.

* * *

الباب الأول

أرض أرمينيا وتشكّل الأمة الأرمنية

THE ARMENIAN LAND, AND THE FORMATION OF THE ARMENIAN NATION

أين أنت يا نسيم ماسيس[1]؟ ..
انني مشوق إلى ألحانك وأنين السرو في
أرماوير[2]..
أنسيت أنني أنتظرك بشوق يائس ملتاع ؟.
أين أنت يا نسيم وطني[3]؟

خورين ناريك.

١ ـ ماسيس هو جبل أرارات كما يسميه الأرمن .
٢ ـ ارماوير غابة سرو في ارمينيا ، كان الأرمن القدماء يعبدون حفيف اوراق اشجارها .
٣ ـ راجع بهذا الخصوص كتاب : تاريخ الثقافة والأدب الأرمني لمؤلفه الدكتور ك.ل. استارجيان .



يهدف هذا الباب إلى تعريف القارىء بأرض أرمينيا ARMENIA ، وحدودها وتركيبها الجيولوجي ومناخها وتربتها واقتصادها ومدنها ومقاطعاتها « وموقعها » الذي جعل منها « واحدة » من أهم المراكز الاستراتيجية في العالم التي انطلقت منها حضارة الانسان البدائي إلى مختلف أرجاء المعمورة[1] ثم تطورت إلى الشكل الذي نعرفه اليوم .

●

ونحن في محاولتنا هذه سوف نتعرض أيضاً إلى الحديث عن الشعوب العديدة التي سبقت الأرمن في سكنى هذه البلاد بدءاً من الألف الثانية THE SECOND MILLENNIUM قبل الميلاد وحتى وصول هؤلاء الأخيرين إليها في القرن السابع للميلاد ، حيث انتهى تشكلهم (أي الأرمن) كأمة ، ثم بدأت مسيرتهم التاريخية التي ما زالت مستمرة حتى وقتنا الحاضر .

وفي هذا كله لن ننسى ، بالتأكيد ، تحديد الأصول العرقية لهؤلاء وانتماءاتهم الجنسية باعتبارهم أحد الشعوب الهندو أوروبية INDO-EUROPEAN NATIONS ، تماماً كلغتهم المستقلة .

وما نود أن نشير إليه أخيراً ، في هذا المجال ، أن أرمينيا نفسها ، وقبل أن تعرف بهذا الاسم لأول مرة (عام ٥٢١ قبل الميلاد) ، كانت تسمى أيضاً ببلاد أورارتو أو أوراردو URARTU وأرارات ARARAT وخلدي KHALDIS وبياني BIANI ، وذلك نسبة للأقوام التي سكنتها قبل الأرمن ، تماماً كما سيمر معنا بالتفصيل عبر الفصول التالية التي سيتألف منها هذا الباب وهي :

---

١ - سيمر معنا في هذا الباب أسماء المراكز « المحدودة » التي اعتبرت بمثابة نقاط انطلاق للحضارات الانسانية في العالم إلى جانب « أرمينيا » .

ـ الفصل الأول : الانسان البدائي (أشباه البشر) والعصور الجيولوجية في ارمينيا.

ـ الفصل الثاني : أرض أرمينيا وموقعها الجغرافي.

ـ الفصل الثالث : سكان وشعوب أرمينيا القدماء : امبراطورية أورارتو .

ـ الفصل الرابع : الأصول العرقية ETHNICAL ORIGIN للأرمن وتشكل الأمة الأرمنية : اشتقاق اسمي هايستان وأرمينيا .

* * *

الفصل الأول

الانسان البدائي والعصور الجيولوجية في أرمينيا.

تقديم :

لا يمكن لنا أن نفهم تطور الحياة الانسانية في بلد ما[١]، إلا من خلال دراستنا للتعاقب الجيولوجي[٢] GEOLOGIC SUCCESSION الذي مر به هذا البلد عبر تاريخه، حيث يبين لنا هذا التعاقب بوضوح تطور الكائنات الحية ورقيها من كائنات بدائية الى كائنات أخرى أكثر تعقيداً وتخصيصاً.

ويستدل العلماء على هذا التعاقب أو التطور،عبر علم الحفريات FOSSIL الذي يستخدم بقايا أو آثار المخلوقات البشرية،والحيوانات والنباتات القديمة المحفوظة في الصخور ، أو في أماكن أخرى،فيدرسها ويحللها عبر علوم حديثة هي النشاطات الاشعاعية RADIO-ACTIVITY إلى أن يعطي رأيه النهائي بشأنها،من حيث تحديد تاريخها (الحقبة التي تنتمي إليها)،وبيان المراحل التي مرت بها، وانتماءاتها وأحوالها الخ . . . .

---

١ ـ والمهم بالنسبة لنا هنا هو دراسة تطور حياة الانسان البدائي ، وإثبات وجوده في أرمينيا،عبر دراسة العصور الجيولوجية التي أثرت على هذا التطور بشكل ملحوظ كما سيمر معنا .

وتأتي أهمية هذا الموضوع ، وتوسعنا فيه بهذا الشكل ، مما قرره بعض العلماء من أن الأراضي الأرمنية كانت مقراً للحضارات الانسانية البدائية ، باعتبارها نقطة اتصال بين حضارات الانسان البدائي وتطوره في آسيا (انسان جاوه وبكين) ، وحضارات الانسان البدائي وتطوره كذلك في أوروبا (انسان نياندرثال وكرو-مانون) .

٢ ـ وهو ما أسميناه بالعصور الجيولوجية .

١ ـ العصور الجيولوجية :

درج العلماء من أجل تسهيل دراسة تطور الكائنات الحية (من إنسان وحيوان ونبات) ،ومن أجل دراسة التبدلات التي شهدتها الكرة الأرضية ـ عبر عمرها الذي يقدره العلماء بـ ٤٥٠٠ مليون سنة ـ إلى تقسيم التاريخ الجيولوجي (أو ما يسمى بأزمان الحياة) إلى قسمين :

- **الأول ، وهو عصور ما قبل الجيولوجيا ـ أي أزمان اللاحياة :** وهي العصور التي اتسمت ـ كما يستفاد من اسمها ـ بانعدام الحياة على الكرة الأرضية على مختلف أشكالها بسبب التطورات الهائلة التي مرت بها الأرض نفسها..

وقد دلت نتائج الحسابات الإشعاعية على أن هذه العصور قد بدأت منذ حوالي مليار وثمانمائة وخمسين مليون سنة ، وهي بهذا الشكل لا تعنينا في هذا البحث،وإنما جئنا على ذكرها لتحديد مفهوم العصور الجيولوجية بالذات .

- **والثاني ، وهو العصور الجيولوجية نفسها ـ أي أزمان الحياة :** وقد ظهرت الحياة على الكرة الأرضية خلال الحقب التي احتوتها هذه العصور على شكل جين GENE [1] وذلك قبل ٥٠٠ مليون سنة ثم تطورت بالتدريج .

وقد قسم العلماء هذه العصور الجيولوجية إلى خمس حقب زمنية هي :

١ ـ حقب الحياة البدائية (الدهر العتيق) ARCHEOZOIC ERA ومدته ؟ ـ ٢٠٠٠ مليون سنة .

٢ ـ حقب الحياة الأولية (الدهر الفجري) PROTEROZOIC ERA ومدته ٢٠٠٠ ـ ٥٠٥ مليون سنة .

٣ ـ حقب الحياة القديمة (الدهر القديم) PALEOZOIC ERA ومدته ٥٠٥ ـ ٢٠٥

١ـ تدل الأبحاث الجديدة على أن الحياة قد بدأت في البحار ثم انطلقت بواسطة هذه الجينات والكروموسومات إلى أشكال حياتية أكثر تعقيداً مثل : الرخويات والمفاريات واللافقاريات والثدييات الخ . . .

مليون سنة .

٤ ـ حقب الحياة الوسطى (الدهر الوسط) MESOZOIC ERA ومدته ٢٠٥ ـ ٧٥ (٦٠) مليون سنة .

وهذه الحقب تقسم أيضاً إلى عصور تنقسم بدورها إلى عهود . وقد تمخضت هذه الأدوار الأربعة جميعها عن تطور هائل بالنسبة لتركيب الأرض وتشكلها، وكذلك بالنسبة للحياة ونشوئها ، حيث انتهت جميع الأحداث والمظاهر التي مرت بها هذه الحقب ـ التي استغرقت تقريباً ملياري سنة ـ قبل بداية الحقبة الخامسة والأخيرة ، « حقب الحياة الحديثة » ، إلى ما سنذكره عنها الآن بالتفصيل ، باعتبارها موضوع اهتمامنا في هذا الفصل :

٥ ـ حقب الحياة الحديثة CENOZIC ERA : وامتدت منذ ٦٠ ـ ٧٥ مليون سنة وحتى الآن . وتقسم هذه الحقبة إلى الأدوار التالية :

١ ـ دوري الباليوسين PALIOCENE والأيوسين AIOCENE ، وتميزا بطغيان واسع للبحار في معظم أنحاء العالم ، حتى وصل طغيان البحر الأبيض إلى مصر وشمالي افريقيا . . أما بالنسبة للحياة فقد انتشرت الأسلاف الأولى للخيل والكلاب والقطط وبظهور الطيور عديمة الأسنان الخ . . .

٢ ـ دور الاليجوسين ALIJOCENE : انحسر فيه المتوسط وتميز بنشاط بركاني وتعرية في منطقة الشرق الأوسط . . أما بالنسبة للحياة ، فقد ظهرت القوارض وأجداد الفيلة والجمال والخنازير والقردة المنتصبة الأولى .

٣ ـ دور الميوسين MIOCENE : ازدادت البرودة في العالم خلال هذا الدور ، ثم طغت البحار على كثير من الشواطىء ، وازداد النشاط البركاني حتى تشكلت جبال الآلب وهيمالايا . . أما بالنسبة للحياة فقد حدث تطور ملحوظ في عائلات الكلاب والقطط، كما ظهرت بشريات حقيقية في العالم

القديم،وأدى انتشار المراعي إلى تطور الحيوانات الراعية وتكاثرها .

٤ ـ دور البليوسين PLIOCÈNE : وحدث خلاله نشاط بركاني حول البحر الأبيض المتوسط وازدادت قسوة الشتاء ثم برزت معظم القارات حيث تم رسوخ جبال الآلب وأرارات. . أما بالنسبة للحياة فقد استعملت المخلوقات ـ قبل الانسان ـ آلات حجرية بدائية ، كما بدأ تفوق الثدييات وهجرتها (ومنها الانسان) .

٥ ـ دور البلايستوسين PLEISTOCENE : وهو ما يهمنا من هذه الأدوار في هذا الفصل . وقد بدأ منذ حوالي مليون سنة ، عرف العالم خلاله ٤ دورات جليدية . وأعيد في هذا الدور تشكيل الجبال حتى وصلت إلى ارتفاعاتها الحالية . . أما بالنسبة للحياة فقد تم انقراض العديد من أشكال الحياة الحيوانية والنباتية القديمة وبدأت الفيلة والنمور الخنجرية الأنياب والجمال والخيل تملأ العالم ثم ظهر أشباه الانسان والانسان نفسه .

٦ ـ الدور الحديث : وبدأ منذ ٢٥٠٠٠ سنة فقط ، وتميز بتراجع الثلوج وصعود الأراضي التي كانت مغطاة بالثلوج،وكذلك باتساع المناطق القاحلة ونصف القاحلة . . أما بالنسبة للحياة فقد انتشرت حضارة العصر الحجري الحديث حيث بدأ الانسان باستئناس الحيوان وزراعته للنباتات واستخدامه لأدوات حجرية أكثر رقياً مما استخدمه سابقاً .

والدوران الأخيران (٥ ـ ٦) يسميان بالزمن الرابع،الذي يعرف أيضاً بالعصر الحجري . والجدير بالذكر هنا ، أن علماء التاريخ البشري قد درجوا على تقسيم العهود التي مر بها الانسان منذ مليون سنة قبل السيد المسيح وحتى وقتنا الحاضر إلى عصور متعددة عرفت بأسماء الأدوات التي استخدمها خلال هذه العصور وندرجها فيما يلي مرتبة حسب تسلسلها الزمني :

١ ـ العصر الحجري STONE AGE : انظر بشأنه الجدول رقم واحد المرفق بهـذا الفصل .

٢ ـ العصر النحاسي COPPER AGE : وعرف فيه الانسان هذا المعدن كما استخدمه لمصلحته وظهر قبل ٣٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ سنـة قبـل الميلاد في مصر وبـلاد ما بـين النهرين .

٣ ـ العصر البرونزي BRONZE AGE : وتميز باستخدام الانسان لمعدن البرونز في صنع الآلات والقطع . ولم يسد هذا العصر العالم كلـه في وقـت واحـد بل اختلف تاريخه من بلد لآخر . حيث بدأ في انكلترا حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م. ، وفي جنوبي غربي آسيا حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م. وخلال هذا العصر استخدم الانسان الخيل والماشية لأول مرة في النقل . كما ان أهم اختراعات عصر البرونز هي القوس والعجلة وعجلة صانع الفخار .

٤ ـ عصر الحديد : وبدأ باستخدام الانسان لمعـدن الحـديد قبـل ٤٠٠٠ عام في مصر ، و١٠٠٠ عام في اليونان ، وما زال مستمراً حتى وقتنا الحاضر . وورث الانسان في هذا العصر عن العصور السابقة علوم الزراعة واستخدام الحيوانات والمراكب ذات العجلات .

٢ ـ تطور الانسان :

يتضمن سجل تطور الجنس البشري مجموعة من الأشكال اقتربت تدريجياً من هيئة الانسان الحالي، ويمكن اعتبار انسان جنوب افريقيا القرد AUSTRALOPITHECUS AFRICANUS أول نوع مشابه حقيقة للإنسان . ولقد عاش هذا النوع منذ حوالي مليون سنة وكان قصيراً نسبياً وبه شبـه بالقـرد الكبـير من حيث شكل وصفات الجسم . ولقد اكتشفت عدة حفريات من هذا النوع في افريقيا بواسطـة العالم DART. ويعتقد الآن معظـم العلماء أن هذا النـوع يتميز بصفـات عائلـة الانسان وعائلة القردة وبذلك لا يمكن اعتباره قرداً أو إنساناً ، وكان حجـم مخـه

يساوي تقريباً نصف حجم مخ الانسان الحالي ، وكان يستطيع أن يصطاد الحيوانات ليأكلها بواسطة أسلحة حجرية . أما النوع الذي نعتبره إنساناً حقاً فيسمى إنسان كرو ـ مانيون CRO-MAGNON (فنان الكهوف) الذي عاش قبل حوالي ٣٢٠٠٠ ـ ١٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد . . ولقد كان هذا النوع طويلاً ومنتصب القامة وذكياً نسبياً .

وقد اكتشف علماء الحفريات عدداً من الأنواع المتوسطة بين الرجل القرد وانسان كرو ـ مانيون . نذكر منها الأنواع التالية :

١ ـ الانسان القرد الجاوي JAFA APE MAN وينسب إلى جزيرة جاوة باندونسيا .

٢ ـ انسان بكين PECKING MAN الذي اكتشفت بقاياه في الصين .

٣ ـ انسان هايدلبرج HEILDELBURG MAN الذي اكتشفت بقاياه في المانيا .

٤ ـ إنسان نياندرثال NEANDERTHAL الذي اكتشفت بقاياه في المانيا (دوسلدورف) .

أما الانسان الحديث فيسمى HOMO SAPIENS أو الانسان العاقل (الحاذق) ، وبدأ ظهوره منذ حوالي ١٢٠٠٠ عام فقط . ولا يمكن تحديد المكان الذي ظهر فيه هذا الانسان بدقة ، فبعض العلماء يعتقدون أنه ظهر أولاً في آسيا وبعضهم الآخر يقول انه ظهر في افريقيا .

الانسان البدائي (وأشباه الانسان) في أرمينيا:

لقد كان هذا التمهيد المطول ضرورياً لفهم موضوع هذا الفصل ـ الانسان البدائي في أرمينيا ـ نظراً لتعقده بما احتواه من مراحل جيولوجية متعددة ومتشابهة في التسميات ومتفاوتة في الأزمان التاريخية من جهة ، ولأن عديداً من العلماء

المعاصرين[1] - استناداً إلى الحفريات التي أجروها في كل من أراضي جمهورية أرمينيا السوفيتية الاشتراكية ، والولايات الأرمنية في الجمهورية التركية - باتوا الآن يعتقدون أن هذه البلاد - أي أرمينيا التاريخية - كانت واحدة من مراكز الحضارات القديمة التي تطورت من خلالها الحياة الانسانية نفسها .

وبالفعل فقد جرت حفريات حديثة في أرمينيا - وخصوصاً في الثلاثينات والخمسينات وحتى الستينات من هذا القرن - قامت بها بعثات علمية متعددة سوفيتية ، تركية ، المانية الخ . . . أثبتت وجود بقايا نوع من المخلوقات التي توسطت ما بين الشمبانزي والغوريللا[2] وعرفت باسم UDABNOPITHECUS وذلك على الحدود الشمالية لأرمينيا السوفيتية . . وهذه البقايا (وهي بالتحديد نابان « سنّان ») هي الوحيدة من آثار حقب الحياة الحديثة وبشكل خاص من عهود العصر الحجري القديم PALAEOLITHIC (قبل مليون سنة قبل الميلاد أو أقل قليلاً) .

ومن البديهي أن لا يعثر في أراضي أرمينيا والاتحاد السوفيتي خلال هذا العهد (الحجري القديم) على أي من البقايا والأدوات الحجرية لانسان تلك الأزمان . . اذ يفترض عند وجود مثل هذه الأشياء ، توفر حد أدنى من التفكير ، وبالتالي توفر القدرة على الاستفادة منها لدى من يصنعها . . وهو أمر لا تقدر على فعله مخلوقات من نوع الرجل القرد APE MAN الذي ذكرناه والذي يمكن اعتباره من أشباه البشر[3] ويتحنط :

---

١ - كان المؤرخون قبل الثلاثينات من هذا القرن ، يمون أو يشكون ، وكذلك الأمر بالنسبة لعلماء الحفريات والاثار ، في سكنى ، أو وجود حياة ما في أرمينيا خلال العصر الحجري . . أو على الأقل خلال الدورين الأولين (انظر الجدول المرفق) . إلا أن الاكتشافات الحديثة أثبتت وجود الانسان القديم في أرمينيا ، ومن هنا جاءت فكرتنا في التوسع بخصوص التمهيد لهذا الفصل بحيث أدت هذه الاكتشافات إلى اعتبار «ارمينيا» موطناً من مواطن الحضارات الأولى في العالم .

٢ - تؤلف الغوريللا والشمبانزي والسعلاة ORANGUTAN عائلة واحدة تسمى باسم القرديات PONGIDAE .

٣ - ان أشباه البشر هؤلاء الذين وجدوا في العصر البلايستوسيني (انظر الجدول رقم ٣) كانوا قادرين على الجري على قدمين . إلا ان أمخاخهم كانت صغيرة ولم يكن حجمها يزيد عن حجم أمخاخ القردة العليا . ويمكن أن نعرف الفرق في حجوم هذه الأمخاخ إذا أدركنا أن متوسط السعة عند الغوريللا هي حوالي ٥٠٠ سم³ وعند الشمبانزي حوالي ٤٠٠ سم³ في حين أنها لدى سلالات الانسان العاقل هي ١٣٢٠ سم³

١ - إلا ان الانسان البدائي الأول ما لبث أن ظهر بالفعل في أرمينيا خلال الفترة الشيلية CHELLEAN (انظر الجدول رقم ١) أي في تلك السنوات الممتدة ما بين مليون وحتى نصف مليون سنة قبل الميلاد .

وقد أثبتت ذلك أبحاث العلماء السوفييت والعلماء الأتراك التي جرت في أراضي أرمينيا التركية . . حيث أدى تحسن ظروف الحياة (انظر الدورين الخامس والسادس - والدور الحديث PLEISTOCENE-) إلى ظهور أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات (على أعتاب انقراض العديد من أسلافها) ، ومن ذلك الفيلة والجمال والنمور ذات الأنياب الخنجرية والثيران . وقد وجدت بقايا من عظام حيوانات هذه الحقبة بالقرب من الحدود الشمالية لأرمينيا أيضاً .

كما وعثر على بقايا ورموس تعود إلى الفترة الشيلية CHELLEAN - التي نحن بصددها الآن - تؤكد ما ذهبنا إليه في مطلع هذه الفقرة من وجود الانسان البدائي - أو أشباه البشر[1] على وجه أدق - في أرمينيا عندما عثر علماء الحفريات على « أدوات حجرية » تأتي من حيث التصنيف التقني على درجة بدائية جداً من التطور وذلك في هضاب جبل أرتين ARTIN على المنحدرات الجنوبية الغربية لجبال آلاغوز ALAGOZ . ومن هذه الأدوات فأس يدويه وأحجار موسى (للقطع) اكتشفتها بعثة العالم الأثري المعروف SARDARIAN وهي محفوظة اليوم في متحف التاريخ الأرمني في يريفان.

وقد وزن العلماء هذه الفؤوس فوجدوا أن الواحدة منها تزن حوالي كيلوغراماً واحداً ونصف في حين بلغ طولها ١٥ سم . . وتتميز هذه الأدوات

---

١ - ومتوسط سعة حجم أمحاح هذه السلالة هي ١٠٠٠ سم^3 . وهي تلي في التقدم أشباه البشر من النوع القردي (انظر الحاشية رقم « ١ » أعلاه) .

الحجرية بنوع من الصقل الذي أصابها على يد صانعيها من أحد أطرافها كما توجد عليها ندوب وتعرجات معينة .

والجدير بالذكر هنا هو أن صنع هذه الأدوات الحجرية قد تم بدوره عن طريق استخدام مطارق حجرية قاسية وصلبة أو بواسطة أحجار ثقيلة وحادة .

ومن المعروف الآن أن الإنسان البدائي في أرمينيا قد قام باستخدام هذه الأدوات لغايات وحيدة الهدف فقط ، كالقطع أو الحفر أو إحداث الخدوش .

وإلى جانب هذه الأدوات الحجرية البدائية[1]، نجد من مخلفات الفترة الشيلية نفسها ، في أرمينيا والأراضي المجاورة لها ، أدوات حجرية أخرى من أحجام متباينة ، وبأشكال متعددة تم صنعها من أجل استخدامها لأغراض مماثلة ولغيرها .

٢ ـ أما بالنسبة للفترة الاشولينية ACHEULEAN (انظر الجدول رقم ١) فقد قام علماء الآثار والجيولوجيا الأتراك بحفريات في شمالي مدينة قارص KARS (في ارمينيا التركية حالياً) حيث عثروا على ادوات حجرية ترجع الى هذه الفترة وذلك بالقرب من KISIR DAGH (التي تبعد مسافة ٥٠ ميلاً عن جبال آلاغوز الأرمنية) .

وهكذا فان أهمية العثور على هذه الأدوات الحجرية ، رغم بساطتها

---

١ ـ يركز العلماء كثيراً على هذه الأدوات والواقع ان « صناعة الالات » لها أهمية خاصة في التطور الانساني ، حتى ان معظم الباحثين قد تقبلوا الان الفكرة القائلة بان « الألات أو الأدوات » هي التي ، بشكل أو آخر ، صنعت الانسان . وبهذا المعنى أيضاً يعتبر الانسان أحد الثدييات الاجتماعية النادرة التي تنتظم في زمر اجتماعية من أجل الحصول على الغذاء . لكن الطعام الذي تم الحصول عليه ـ في تلك الفترة ـ وبخاصة لحم الحيوان لن يمكن تناوله إلا إذا استعين على إعداده بالأدوات المتوفرة ، كالأدوات الحجرية مثلاً . ولما كانت أسنان الانسان ـ في ذلك العهد ـ غير مهيأة للقيام بعملية التمزيق والتقطيع ، فان الالات تصبح حيوية للتمكن من تقطيع اللحم .

ومن هنا كان لاستخدام الالات وصناعتها أهمية خاصة في التطور الانساني . . وهو السبب الذي جعلنا ـ في هذا الفصل ـ نتابع تطورها مرحلة عبر مرحلة من تطور الانسان البدائي في أرمينيا .

وقلتها ، في أراضي أرمينيا ، له دلالة كبيرة على المستوى الحضاري ، إذ يربط ـ كما أشرنا ـ هذه البلاد بالمناطق الحضارية القليلة في العالم التي شهدت ولادة الانسان القديم وتطوره في صناعة مثل هذه الأدوات في كل من جنوبي انكلترا وفرنسا واسبانيا مروراً بالمناطق الصحراوية حتى مصر وإلى افريقيا وشماليها مع فلسطين وسورية وعبر جنوبي الهند وحتى الصين . ولا أدل على أهمية هذه المكتشفات ، بالنسبة لتحديد دور أرمينيا في المساهمة بالحضارة الانسانية من أن القاء نظرة سريعة على خارطة العالم بغرض التعرف على مراكز هذه الحضارة يشير إلى وجود أرمينيا التاريخية كواحدة من الدول المعنية بهذا الاعتبار .

وقد أكد البروفسور V.P. LYUBIN ، أنه خلال الحقبة البولايستوسينية التي بدأت قبل مليون عام (وهي العصر الحجري القديم) ، كان لنهر مراد صو MURAT -SU ، كما وقدَّم ، فوائد عديدة بالنسبة لتطور حياة الانسان البدائي في أرمينيا بما أوجده من مناخ رطب معتدل وملاجىء صخرية تصلح كسكن له ومياه عذبة يقدمها له . وبهذا التعبير يكون هذا النهر قد استخدم كقناة هامة لعبور الهجرات الثقافية والبشرية فيما بين القوقاز والأقاليم الأرمنية الخصبة في الفترة الأشولينية وبالتالي شكل همزة وصل بين حضارة انسان جاوه وانسان نياندرثال في أوروبا .

وقد اعتبرت مكتشفات الدور الاشوليني ، بما أبرزته من تقدم ملحوظ بالنسبة لصناعة الأدوات الحجرية ورقيها (انظر الحاشية السابقة) ، في هذا الدور عنها في سابقها (الشيليني) ، حلقة هامة في تطور تفكير الانسان البدائي نفسه وانتقاله إلى مرحلة أكثر استيعاباً . فقد امتازت هذه الأدوات بالنعومة والأناقة . وأكد هذه النظرة ما عثر عليه البروفسور SARDARIAN في أرمينيا ، فيما يخص هذا الدور ، وبالتحديد في مرتفعات ARTIN من جبال ALAGOZ ، من « ٤٠٠ » أداة حجرية بأشكال متعددة وأحجام متنوعة .

وعلمياً تميزت فترات معينة من التاريخ الاشوليني هذا ، باتخاذها أسماء

معينة ، حسبما درج عليه العلماء بالنسبة لتسهيل دراسة الحقبة أو الفترة التاريخية الواحدة عن طريق تقسيمها بدورها إلى أدوار ثنائية أو ثلاثية تعرف بأسماء مناطق معينة من العالم التي اكتشفت فيها هذه الأدوات . ومن ذلك أن هذه الفترة الاشولينية تضمنت كلاً من عهد الكلاكتونيان CLACTONIAN والليفالويسيان LEVALLOISIAN ، والاثنان عرفا في ارمينيا وشهدا بالنسبة لتطور تقنية صناعة الادوات الحجرية تقدماً ملحوظاً، ، حيث عثر على خناجر وأسلحة حجرية متنوعة تعود إلى هذين العهدين . كما ان الفؤوس الحجرية (وهي التي عثر عليها في منطقة تبعد ١٨ كم شمالي يريفان) أصبحت الآن في هذه الفترة الأشولينية تتخذ ألواناً مختلفة تتراوح بين الأسود والأحمر والبني تبعاً لنوعية الأحجار المصنوعة منها . وهو ما يدل على تطور الفكر البشري لدى الانسان البدائي في هذه المناطق ويؤكد في الوقت نفسه على سكن هذا المخلوق لأرمينيا خلال الأزمان الممتدة (تبعاً لعمر الحقبة الأشولينية نفسها) من أعوام ٤٠٠٠٠٠ قبل الميلاد إلى أعوام ١٠٠٠٠٠ قبل الميلاد أيضاً .

وإذا عدنا الآن ، إلى ما ذكرناه في مقدمة هذا الفصل ، حول وصف المظاهر الطبيعية لحقب الحياة الحديثة ، وخاصة منها الدور البالايستوسيني (الذي بدأ قبل مليون عام) لوجدنا أن ظروف الحياة المناخية قد أدت (سيا في العهود الأخيرة من هذا الدور) إلى استقرار شبه نهائي للقشرة الأرضية وإلى ثبات النباتات ونموها بشكلها الحالي ، مما ساعد بالتالي على نشوء وتطور الحياة الانسانية والحيوانية معاً . وهكذا نجد أن الارتباط بين المناخ وتطور الحياة الانسانية كانا متأثرين ببعضهما تماماً . وفي ظروف هذا المناخ بدأ الانسان يعيش الآن ضمن جماعات صغيرة (مكونة منه ومن عائلته على الأغلب) أخذت تقتات من الصيد (بواسطة أدواتها الحجرية المصقولة التي رأينا تقدم صناعتها) وعلى قطف الثمار عن طريق هز أشجارها بعصي طويلة . وقد استمرت الحياة البشرية خلال الحقبة الاشولينية على هذا النمط وحتى نهايتها (أي إلى ما قبل ١٠٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد) :

٣ ـ وذلك عندما اكتشف الانسان مع بداية العصر الحجري القديم المتوسط (الموستيري MOUSTERIAN والذي امتد من ١٠٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد وحتى عام ٤٠٠٠٠ قبل الميلاد) حدثاً هاماً ـ بطريق الصدفة ـ وهو النار التي بدأ يستخدمها الآن لأغراض متباينة وخاصة في شي لحوم الحيوانات التي يصطادها . وفي غضون آلاف قليلة من السنوات من هذا العهد (الموستيري) ظهر انسان نياندرثال[1] الذي أحدث تطوراً خطيراً في حياة الانسان باعتباره انساناً . إذ يمكن اعتباره قفزة فطرية بين أشباه البشر (الانسان البدائي) وانسان كرو ـ مانون السلف المباشر للانسان العاقل HOMO SAPIENS الذي يشكل بدوره انسان الوقت الحاضر .

وقد وجد هذا الانسان ـ إنسان نياندرثال ـ في أرمينيا التي اعتبرها العلماء ـ بالنسبة لتطور حياة هذا النوع من البشر ـ واحدة من عدة مناطق قليلة في العالم شهدت مثل هذا التقدم . ويؤكد هذا الاعتبار ان احدى البعثات الجيولوجية السوفيتية قد عثرت على ٥ مراكز لسكناه على نهر الكورة KURA في أرمينيا ، ومن ذلك الكهف الموجود في OSSETIA الذي ضم عظام هذا الانسان وبعض بقاياه . كما وجدت بقايا انسان نياندرثال في المناطق الأرمنية التي تشكل الآن جمهورية أرمينيا السوفيتية ، وفي جبال أرتين ARTIN بالذات . وأيضاً عثر على مخلفات انسان نياندرثال على ضفاف نهر HERAZTAN حتى بلغ عددها

---

١ ـ اكتشفت رموس وبقايا هذا الانسان أولاً في المانيا في دوسلدورف DUSSELIDORF ، كما وجد في مناطق متعددة من العالم . وان كان يجب تسميته هنا بالنسبة لأرمينيا وغيرها ، بأشباه انسان نياندرثال تمييزاً له عن سميه الألماني في شمالي افريقيا وآسيا وأوروبا الخ . . وكان من العوامل المساعدة على ظهوره تطور الحياة المناخية والفكرية للانسان نفسه فضلاً عن انقراض الحيوانات الضخمة نهائياً واتخاذ الغابات والنباتات شكلها النهائي .
وفي هذا الجو أخذ انسان نياندرثال يسكن الكهوف ويرتدي جلود الحيوانات التي يصطادها ، وباستخدام النار نفسها ، ولكن لغايات أوسع وأبعد مدى من الطهي والتدفئة وذلك باشعالها على مداخل كهوفه لابعاد الحيوانات المفترسة ليلاً . كما أصبح هذا النوع من البشر صياداً ماهراً يستخدم آلات من الخشب والعاج والحجر والعظام ويمشي مستقيماً . وأضحت له مجموعات انضمت لبعضها حتى شكلت قبائل صغيرة CLANS ثم ظهرت لديه معتقدات دينية بدائية وحياة اقتصادية وفكرية متقدمة نسبياً .

٣٤٠ أثراً تختلف أشكالها وأحجامها وأنواعها . ولم يختلف الأمر بالنسبة للمكتشفات الخاصة بآثار هذا الانسان في هذه الحقبة MIDDLE PALAEOLITHIC في الأراضي الأرمنية التي تؤلف في الوقت الحاضر الولايات الشرقية من الجمهورية التركية. حيث وجدت آثاره على ضفاف نهر BORLUK (جنوبي قارص) وبالقرب من بلدة LIZ (غربي بحيرة فان) وفي موش أيضاً .

وإذا سرنا بالتاريخ نحو عهود أكثر قرباً من الميلاد فاننا نصل الآن إلى الفترة الأولى من العصر الحجري القديم الأعلى UPPER PALAEOLITHIC (راجع الجدول رقم ١) المسماة ؛

٤ ـ الزمن الأوريجانسي AURIGNACIAN الذي امتد من سنوات ٤٠ ٠٠٠ قبل الميلاد وحتى ٢٠ ٠٠٠ قبل الميلاد . وفي هذه الفترة كان المناخ في العالم ما زال بارداً بعض الشيء وان كانت الثلوج قد بدأت بالذوبان رغم أنها ما زالت بعد تغطي سيبريا وقسماً من أوروبا ، وكذلك الأمر في أرمينيا حيث كان كل من الثلج المتجمد والأنهار الجليدية تغطي جبال ومناطق أرارات ARARAT وآلاغوز ALAGOZ وبنغول داغ BINGOL DAGH .وذرى جبال أخرى .

وفي هذا المناخ بدأ الانسان البدائي ، في العالم ، وأرمينيا التي مرت بهذا العهد بثقة ، باستخدام الخناجر الحجرية الحادة الطرفين ـ وهذه كانت نادرة في أرمينيا حيث عثر منها فقط على ١٨ قطعة ـ والأدوات الحجرية ذات الاستخدامات المتنوعة .

وكان أبرز ما عرفه الزمن (الأوريجانسي) ظهور انسان كرو ـ مانون CRO-MAGNON الذي امتاز عن انسان نياندرثال بأنه أطول قامة وأقوى بنية وذو تقاطيع أكثر تناسقاً وبذكاء واسع . وفي أرمينيا تمثلت هذه الفترة بشكل واضح عندما عثر في جبل أرتين (موطن الحضارة القديمة في أرمينيا) على

أدوات تعود إلى هذا العهد مصنوعة من OBSIDIAN [1] وكذلك الأمر في وادي هرازتان HERAZTAN وأيضاً في الكهوف العديدة المنتشرة عبر هذه المناطق .

ومما يلفت الانتباه ان الأدوات الخاصة بإنسان كرو ـ مانون ، في أرمينيا وغيرها ، امتازت بدرجة عالية من التقدم والتقنية بالنسبة لسابقاتها . فقد ضمت ـ مكتشفاته في أرمينيا ـ أسلحة وأدوات حجرية يصعب حتى تقليدها اليوم . كما ان هذه الأدوات أصبحت الآن تستخدم ـ خلافاً لعهود سابقة ـ لغايات مزدوجة في نفس الوقت ، فمثلاً كانت الأداة الحجرية الواحدة تستخدم للحفر والثقب وكذلك للحك والقشر وأيضاً للقطع والبتر . كما شاع استخدام هذا الانسان لأدوات عظمية .

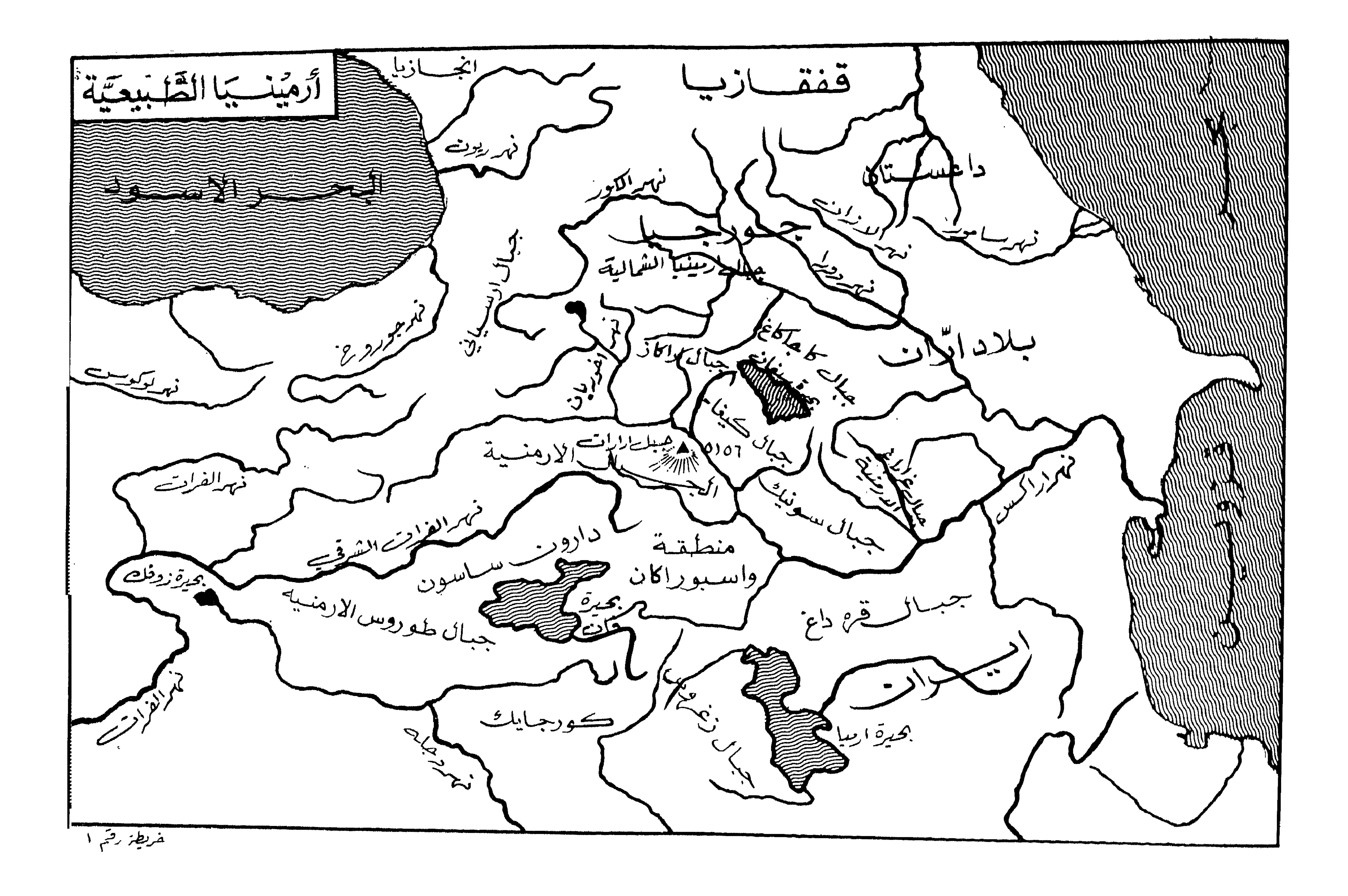
٥ ـ وما لبثت الزمن السلوتري SOLUTREAN (انظر الجدول المرفق) ان عاش في أرمينيا أيضاً حيث بدأ انسان هذا الوقت (أو الزمن) يعيش ضمن عشائر منظمة ومتقدمة من الناحية التقنية أو الاجتماعية ، سواء بالنسبة لنظام العيش أو اللبس أو الطهي أو الرسم والنحت . كما ان المعتقدات الدينية ، التي بدأت مع انسان نياندرثال (انظر حاشية سابقة) أخذت الآن تتسع وتصبح أكثر تقدماً ، فضلاً عن أن شكل انسان هذا العهد قد اتخذ سمات الانسان الحالي .

ورغم ان الصيد وقطف الثمار قد بقيا من النشاطات الرئيسية لانسان هذه الفترة ، إلا أنه اهتم أيضاً وتعلم صيد الأسماك وتأنيس الحيوانات بشكل جيد . والجدير بالذكر بالنسبة للفترة السلوترية ان العلماء لم يعثروا على كهوف تعود إلى هذه الفترة مما أمكن معه الاستنتاج ان الانسان الآن قد أخذ يسكن الخيام المصنوعة من الجلود وفي بيوت مسقوفة بغصون الأشجار أو بناء البيوت تحت الأرض (وفي فصل قادم سوف نصف ما ذكره المؤرخ والقائد اليوناني

---

١ ـ ويسمى بالعربية « السبخ » ، وهو حجر بلوري بركاني .




أرمينيا الطبيعية
قفقازيا
البحر الأسود
نهر ريون
نهر الكور
جورجيا
جبال أرمينيا الشمالية
داغستان
نهر سامور
بلاد ارّان
نهر جوروخ
جبل ارارات
الارمنية
٥١٥٦
نهر الفرات
نهر الفرات الشرقي
دارون
ساسون
منطقة
واسبوراكان
بحيرة وان
جبال سونيك
جبال قره داغ
نهر اراكس
ايران
بحيرة ارميا
كورجايك
نهر دجلة
جبال طوروس الارمنية

خريطة رقم ١



اكزينوفون XENOPHON حول هذه البيوت) ذات الفتحات الضيقة من الأعلى. كما توسع النظام العشائري وامتد ليصبح أكثر عمقاً مما كان سابقاً .

٦ ـ وقد أعقب الزمن السلوتري في أرمينيا العهد المعروف باسم المجدوليني MAGDALENEAN (وهو العهد الأخير من العهد الحجري القديم الأعلى UPPER PALAEOLITHIC ـ انظر الجدول رقم ١ ـ الذي بدأ قبل ١٢٠٠٠ سنة من الميلاد) . وفي هذا العصر أضحت أدوات الانسان البدائي تصنع أيضاً من قرون الحيوانات ومصقولة بنعومة وذكاء كما تطور الفن خلال العصر البرونزي وقبله بقليل الذي امتد من منتصف الألف الثانية قبل الميلاد وحتى القرن العاشر للميلاد ، حيث أخذ الانسان الآن يرسم على جدران الكهوف التي يتواجد فيها . ومن هذا القبيل ما عثر عليه في أرمينيا ، واحتوى على نقوش ورسوم تمثل حفلة صيد وهي تلك المحفورة على سطوح الصخور . ووجدت مثل هذه النقوش أيضاً في كهوف حول نهري اخوريان AKHURIAN و هرازتان HERAZTAN ، وعلى هضبة أرتين .

وامتد رقي الانسان في أرمينيا الآن فأخذ يستخدم القوس والسهم تصحبه الكلاب أثناء عمليات الصيد التي تناولت الوعول والخرفان الوحشية . وعملياً انتقل انسان هذه الحقبة من حياة التنقل والبداوة إلى حياة الثبات والاستقرار ضمن مجموعات تعيش في قرى صغيرة محددة .

وهكذا تكون أرمينيا ـ خلافاً لما كان شائعاً ـ واحدة من بلدان العالم القديم التي انطلق منها الانسان فيما بعد إلى أرجاء المعمورة ليعمرها ويرقيها .

مصادر البحث لهذا الفصل :

1- SIMPSON, THE MEANING OF EVOLUTION.

2 ـ تطور الكائنات الحية : الدكتور علم الدين كمال

3 ـ الاصول البشرية : ترجمة فاروق مصطفى اسماعيل

4 - ENCYCLOPED'EIA BRITANICA

5 -DAVID MARSCHALL LANG, ARMENIA CRADLE OF CIVILIZATION.

وقد اعتمدنا المرجع الأخير (رقم ٥) بشكل رئيسي في تحديد أشكال تطور الانسان البدائي في أرمينيا فقط.

١ ـ جدول العصر الحجري STONE AGE

استغرق مليون سنة قبل الميلاد.

العصر الحجري القديم OLD STONE AGE ويسمى ايضا PALAEOLITHIC ١٠٠٠,٠٠٠ ـ ٤٠٠٠٠٠ عام قبل الميلاد	العصر الحجري الحديث NEOLITHIC بدأ منذ ٢٥٠٠٠ عام

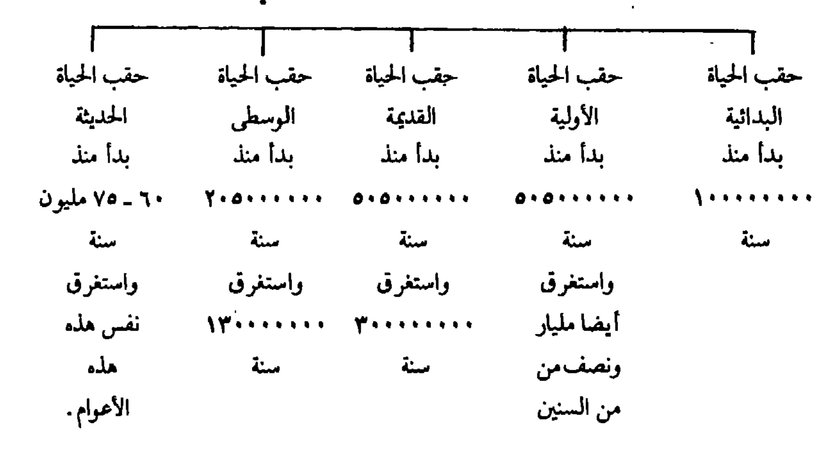
العصر الحجري القديم الأدنى LOWER PALAEOLITHIC	العصر الحجري القديم الأوسط MIDDLE PALAEOLITHIC	العصر الحجري القديم الأعلى UPPER PALAEOLITHIC
١٠٠٠٠٠٠ / ٤٠٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد	٤٠٠٠٠٠ / ١٠٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد	١٠٠٠٠٠ / ١٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد

الشيلي CHELLEAN	الاشولي ACHEULEAN	الموستيري MOUSTERIAN	الأوريجاني AURIGNACIAN	السلوتري SOLUTREAN	المجدوليني MAGDALENEAN
١٠٠٠٠٠٠/ ٤٠٠٠٠٠ قبل الميلاد	٤٠٠٠٠٠/ ١٠٠٠٠٠ قبل الميلاد	١٠٠٠٠٠/ ٤٠٠٠٠ قبل الميلاد	٤٠٠٠٠/ ٢٠٠٠٠ ق.م.	٢٠٠٠٠/ ١٢٠٠٠ ق.م.	١٢٠٠٠/ قبل الميلاد حتى الميلاد.

٢ ـ جدول حقب الحياة الحديثة GENOZIC ERA بدأ منذ ٦٠ ـ ٧٥ مليون سنة

دوراالباليوسين والايوسين AIOCENE-PALIOCENE	الاليجوسين ALIJOCENE	الميوسين MIOCENE	البليوسين PLIOCENE	البلايستوسين PLEISTOCENE
٧٥ (٦٠) ـ ٣٠ (٢٥)	٢٥ ـ ٢٠	٢٠ ـ ١٥	١٥ ـ ١٠	بدأ منذ
مليون سنة ق.م.	مليون سنة ق.م.	مليون سنة ق.م.	مليون سنة ق.م.	مليون سنة.

٣ ـ جدول العصور الجيولوجية



حقب الحياة البدائية	حقب الحياة الأولية	حقب الحياة القديمة	حقب الحياة الوسطى	حقب الحياة الحديثة
بدأ منذ ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة	بدأ منذ ٥٠٥٠٠٠٠٠٠ سنة	بدأ منذ ٥٠٥٠٠٠٠٠٠ سنة	بدأ منذ ٢٠٥٠٠٠٠٠٠ سنة	بدأ منذ ٦٠ ـ ٧٥ مليون سنة
	واستغرق أيضا مليار ونصف من من السنين	واستغرق ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة	واستغرق ١٣٠٠٠٠٠٠٠ سنة	واستغرق نفس هذه هذه الأعوام.

* * *

الفَصْل الثَّاني

أرض أرمينيا

THE ARMENIAN LAND

الموقع والحدود : تمتد أرمينيا التاريخية بين خطي الطول ٣٧° - ٤٩° شرقاً ، وخطي العرض ٣٥° - ٥° , ٤١° شمالاً . وقد بلغت مساحتها في أقصى امتداداتها ١٣٠ ٠٠٠ ميل مربع .

خريطة رقم ١

هذا ويتراوح متوسط ارتفاع الهضبة الأرمنية بين ٢٥٠٠ - ٥٥٠٠ قدم (أي ما يعادل ٨٥٠ - ١٨٥٠ م) فوق مستوى سطح البحر . وثمة مناطق في أرمينيا ينخفض ارتفاعها عن ٣٠٠٠ قدم ، كما هو الأمر بالنسبة لسهل أراكس ARAX ، في حين أن بعض مناطقها الشمالية مثل DEBEDASHEN - على الحدود الجيورجية - تهبط ارتفاعاتها إلى ١٢٠٠ قدم .

وعلى العموم ، تبقى أرمينيا أكثر علواً وارتفاعاً من البلدان التي تجاورها . وهي بهذا المعنى تبدو للناظر إليها من بعيد وكأنها « جزيرة » من الكتل البركانية تنهض من بين البلدان التي تحيط بها .

وإلى الغرب من أرمينيا تقع المرتفعات المركزية للهضبة الأناضولية . أما إلى الشمال الغربي فتحدها سلسلة جبال البونتيك PONTIC RANGE والمنحدرات الغابية للازستان LAZISTAN. وفي الشمال تجاورها بلاد جورجيا (كرجستان) التي

تمتد بدورها حتى سلسلة الجبال القوقازية الضخمة . وعلى حدودها الشرقية تنفصل أرمينيا عن شواطيء بحر قزوين CASPIAN SEA بكل من أذربيجان السوفيتية والايرانية . أما حدودها الجنوبية فتجاور (من الجهة الغربية) سلسلة جبال طوروس TAURUS وسهول الجزيرة والعراق (من الجهة الجنوبية الشرقية) .

وتتألف بلاد أرمينيا من الناحية الطبيعية من وحدة جغرافية ذات صبغة خاصة تميزها عن غيرها من البلاد التي تجاورها ، اذ تخترقها مجموعة من السلاسل الجبلية المتوازية التي تأخذ اتجاه شرق في جنوب شرقي ، بحيث تنقسم أرمينيا ـ لهذا السبب ـ إلى عدد من المناطق المنفصلة والمنعزلة عن بعضها البعض . وان كان هذا لا يمنع من وجود ممرات وطرق صعبة بعض الشيء تعود فتربط بين هذه المناطق من جديد[1] .

وبهذا الشكل تؤلف أرمينيا قسماً من الهضبة الكبرى الممتدة من آسيا الصغرى ASIA MINOR وحتى إيران .

التركيب الجيولوجي : خلال دوري الباليوسين PALIOCENE والايوسين AIOCENE [2]، وقبل ملايين السنين ، فان أرمينيا ، وكما نعرفها اليوم ، قد غمرها البحر بكامل امتداداتها ثم انحسر عنها بعد ان استقر أكبر مدة زمنية في وادي أراكس .

وعندما حدثت الحركة الالتوائية الألبية (خلال دوري البليوسين والميوسين : راجع الحاشية رقم ٢ السابقة) التي كونت الأقواس الجبلية ، كان اتجاه الالتواءات يتأثر بمواقع الكتل القديمة حول آسيا الصغرى أو في داخلها ، حيث غلب على جبال طوروس لهذا السبب (الحدود الجنوبية لأرمينيا) الاتجاه الشمالي الشرقي ـ الجنوبي

---

١ ـ وكما سنرى في فصل قادم ـ الجذور التاريخية للمسألة الأرمنية ـ فانه قد نجم عن هذا التقسيم الجغرافي الطبيعي فضلاً عن موقع أرمينيا نفسه ـ باعتبارها الأرض المتوسطة بين الهضبة الايرانية والهضبة الأناضولية (التي سكنت كل منهما أمبراطوريات متصارعة على مدى التاريخ) ـ تأثير خطير على تاريخ أرمينيا السياسي .

٢ ـ راجع الجداول رقم ١ ـ ٢ ـ ٣ من الفصل السابق (الانسان البدائي والعصور الجيولوجية في أرمينيا) ، وبشكل خاص الدورين المذكورين أعلاه في موضعهما من الفصل المذكور .

الغربي في شمال كيليكيا نظراً لقربها من الكتلة العربية الصلبة ، ثم تغير اتجاهها فأصبح من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي فاصلة بذلك بين الأناضول والأراضي الارمينية (الـولايات الشرقية من أرمينيا) . كما ان جبـال البـونتيك PONTIC RANGE في الشمال أصبحت في حالة تقعر أو تحدب تبعاً للضغط من الشمال أو من الجنوب .

وقد أدت كثرة الصدوع في آسيا الصغرى إلى كثرة المقذوفات البركانية التي عدلت كثيراً من مظاهر السطح في أرمينيا . كما ان هذه المقذوفات البركانية هي التي أعطت أرمينيا شكل الهضبة وسوت بين أجزاء السطح المتباينة فيها وأضافت جبالاً وقمماً جديدة من البراكين (أرارات نفسه) .

وتتألف الهضبة الارمنية عموماً من هضبة مركزية التوت في الجنوب والشمال ثم جاءت ـ كما ذكرنا ـ المقذوفات البركانية فأوجدت بعض القمم (الجبال) التي تنتشر فيها وبين بقايا الالتواءات ، الصخور الكلسية على ارتفاعات تتراوح بين ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ م . كما نجد الأحواض الانهدامية التي تتخللها بعض البحيرات (فان VAN وسيفان SEVAN).

المعالم الطبيعية : تخترق أرمينيا العديد من السلاسل الجبلية معقدة التركيب التي تعشعش على سفوح بعضها الغابات المعروفة بأخشابها النادرة ، كما تنبع منها مجموعة واسعة من الأنهار الكبيرة والمتوسطة مع روافدها الصغيرة ، عدا عن أن هذه البلاد تحتوي بين مناطقها على بحيرات واسعة متنوعة تتفاوت نوعية مياهها بين الملوحة والعذوبة .

١ ـ **الجبال** : الجبال في أرمينيا ذات طبيعة بركانية خامدة ترجع في تشكلها إلى حقب الحياة القديمة[١] . وأشهر هذه الجبال هي :

لوحة رقم ٦٩ — **ـ جبال أرارات** : تعتبر جبال أرارات ARARAT بذراها السامقة

---

١ ـ راجع الحاشية السابقة رقم (٢) .

المكللة بالثلوج ، وبمنحدراتها المغطاة بحقول الـ NÊVÊ (أرارات الكبير) ، واحدة من أشهر الجبال في العالم . وقد ازدادت شهرتها هذه عندما قررت الكتب المقدسة استقرار فلك نوح عليها NOAH'S ARK. وتمتد جبال أرارات طبيعياً من بحيرة VAN في الجنوب الغربي وحتى بحيرة SEVAN إلى الشمال الشرقي وهي تنقسم إلى قسمين :

آ ـ **جبل أرارات الكبير** GREAT ARARAT : ويسمى أيضاً جبل النار ، ويبلغ ارتفاعه ٥٢٠٥ م . وتبقى الثلوج على ذراه المخروطية على مدار العام . ويبلغ مخروط أرارات البركاني الضخم ١٢٠ كم أو يزيد . وهو يشرف على انكسار وادي أراكس ARAX الأوسط .

ب ـ **جبل آزارات الصغير** LITTLE ARARAT: ويبلغ ارتفاعه ٣٩١٤ م ، ويقع إلى الشرق من شقيقه آرارات الكبير . ويقول علماء الجيولوجيا ان كلاً من جبلي أرارات الكبير والصغير كانت تغطي منحدراتها الغابات في العصور القديمة ، أما اليوم فهما عاريان من الأشجار .

ـ **جبال آلاغوز** ALAGÖZ : وتسمى بالأرمنية ARAGATS وتقع في قلب أرمينيا . وهي بدورها جبال بركانية الأصل تمتد إلى مسافة ٤٠ ميلاً بالقرب من بحيرة سيفان ثم تتجه نحو الغرب حتى منبع نهر ارباشاي ARPA CHAI (من روافد نهر أراكس ARAX). ويبلغ ارتفاع هذه الجبال ٤١٨٠ م . كما وتزدان سفوحها بالغابات والينابيع والبحيرات .

ـ **جبال بنغول داغ** BINGÖL [1] DAGH : وتعرف أيضاً بجبال البحيرات الألف ، أو الينابيع الألف . وينبع منها نهر أراكس ARAX ، ومعظم روافد نهر الفرات . ويبلغ ارتفاعها ٣٦٥٠ م .

ـ **جبل سيفان داغ** SUPHAN DAGH : ويرد ذكره في الأناشيد والتراتيل لذكراه

---

١ ـ كلمة DAGH هنا تعني « جبل » .

الخاصة في نفوس الأرمن . ويبلـغ ارتفاعـه ٤١٧٦ متـر . ويقـع بالقـرب من الشواطيء الشمالية الغربية لبحيرة فان VAN. وتغـطيه الثلـوج على مدار العـام تقريباً .

- جبال نمرود داغ NIMRUD DAGH : ويبلغ ارتفاعها ٢٩١٠ أمتار . كما توجد في أرمينيا جبال أخرى مثل بوزداغ BOZ DAGH وآلا داغ DAGH وتندريك داغ TENDUREK DAGH (٣٥٤٨م) ، التي مع جبال أرارات ، تقسم أرمينيا من الناحية الجغرافية إلى قسمين متمايزين : المنطقة الجنوبية الغربية ، ومركزها مقاطعة فاسبوراكان . والمنطقـة الشمالية الشرقية ، ومركزهـا مقاطعـة SIUNIA، وتضم سهل أراكس وبحيرة سيفان .

٢ - الأنهار .

العديد من الأنهار في أرمينيا عبارة عن سيول وتيارات جارفة تنحدر من الجبال المنتشرة بكثرة في هذه البلاد وذلك عبر أخاديد عميقة حفرتها لنفسهـا باندفاعاتهـا القاسية ضمن مجموعات رهيبة من الصخور الشامخة . وأطول هذه الأنهار هو :

- نهر أراكس ARAX: الذي ينبع من جبال بنغول داغ على مسافة ١٥ كم من مدينة ارضروم شرقاً ، وبعد أن يشق مجراه في طريق جبلي متعرج تحف به الغابـات ، يخترق سهل أرارات متجهاً نحو الجنوب ثم يغير مساره إلى الشمال الشرقي لينضم إلى نهر الكورة (الكر) KURA كرافد له ثم يصب النهران معاً في بحر قزوين .

وتصب في نهر أراكس نفسه عدة أنهار منها : نهر أخوريان (أربا تشاي) ونهر كربي تشاي ، ونهر زنكي . هذا ويبلغ طول نهر أراكس نحو ١٠٠٠ كم .

- نهر جوروخ DJOROKH: الذي يشكل بمجراه العميق حفرة عميقة تفصل أرمينيا عن أذربيجان . وينبع هذا النهر بالقرب من مدينة بيبورت ثم يصب في البحر الأسود بعد أن يقطع مسافة ٣٥٠ كيلو متراً .

- نهر الفرات EUPHRATES: وينبع من قرية قزيل قليا على بعد ٤٠ كم شمال مدينة ارضروم ، ويجري على مسافة ٢٨٠٠ كم ، ثم يصب في شط العرب بعد أن ترفده العديد من الأنهار الارمنية .

- نهر الدجلة TIGRIS: وينبع من جبال طوروس عند جنوبي بحيرة فان VAN ، ويبلغ طوله ٢٠٠٠ كم ويصب كسابقه في شط العرب .

وثمة أنهار عديدة أخرى مثل هاليس وايريس وآليس (قيزيل يرماق) ، وهذه الأنهر الثلاثة تصب في البحر الأسود . وفي كيليكيا (أرمينيا الجديدة) ينبع نهرا سيهون وجيهون ، الأول من طوروس ، والثاني من آنتي طوروس ، ثم يصبان في البحر الأبيض المتوسط .

٣ - البحيرات :

تنتشر في أرمينيا بحيرتان كبيرتان هما فان VAN وسيفان SÈVAN ، وأخرى ثالثة هي أورميا URMIA ، التي تقع ضمن إقليم أذربيجان الذي كان يعتبر في أغلب أوقات التاريخ داخلاً ضمن حدود أرمينيا ويعتبر جزءاً من أراضيها . وإلى جانب هذه البحيرات الكبيرة تعرف أراضي أرمينيا العديد من البحيرات الجبلية الصغيرة (نازيك ويرفانيه ، وبنغول ، الخ . . .) .

- بحيرة فان LAKE OF VAN: ترتفع هذه البحيرة ١٥٩٠ متراً عن سطح البحر ويبلغ طولها ٨ أميال وعرضها ٣٥ ميلاً ، وتغطي مساحة إجمالية قدرها ٢٨٠ ميلاً مربعاً . وتعتبر مياه هذه البحيرة غنية بالصودا مما يجعل مذاقها غير مرغوباً فيه . وتحيط بها ، في أقسامها الشمالية والشرقية ، سهول خصبة صالحة للزراعة . وتقع مدينة فان VAN - أو ما تبقى من أطلالها - على شواطئها الشرقية . ويصب فيها نهر هوشاب HOSHAP. كما تكثر فيها أسماك الطارخ TAREKH.

وتوجد في هذه البحيرة شبه جزيرة (وأصبحت اليوم جزيرة بحد ذاتها) ، هي

أغطامار AGHTAMAR ، التي بنى فيها الملك الأرمني كاكيك كنيسة وقصراً ومكتبة . كما تنتشر فيها ثلاث جزر أخرى صغيرة .

- **بحيرة سيفان** LAKE OF SEVAN وترتفع عن سطح البحر ١٩١٦ متراً وطولها ٧١ كم وعرضها ٤٢ كم مما يجعل مساحة هذه البحيرة الاجمالية بحدود ٢٩٨٢ كم٢ . وعمقها في بعض الأماكن ١٢٨ م .ومياه هذه البحيرة عذبة تكثر فيها أسماك السلمون المعروف باسم « السمك الأمير »[1] . ويصب في هذه البحيرة نهر واحد هو هرازتان HERAZTAN . وتحيط بها سلاسل جبلية رائعة .

وفي هذه البحيرة ايضا جزيرة صغيرة بنت فيها الأميرة مريم كنيسة ودير .

- **بحيرة أورميا** : وتسمى أيضاً كبوذان ، وترتفع عن سطح البحر ١٢٢٠ م. ومياهها مالحة جداً .

٤ ـ المناخ والتربة

المناخ : يتصف مناخ أرمينيا عموماً بالقسوة والشدة ، كما هو الأمر بالنسبة للبلاد الجبلية عامة . . ومن الناحية الطبيعية يختلف هذا المناخ من منطقة لأخرى :

ففي أرضروم ERZURUM وقارص KARS واردهان ARDAHAN يكون الشتاء طويلاً وقاسياً تتخلله رياح عاصفة مثلجة . وفي المناطق الشمالية يهطل الثلج لمدة شهرين أو أكثر بشكل مستمر . وفي أقسام أخرى يطول الشتاء بثلجه الكثيف لأكثر من ثمانية أشهر حتى أن درجة الحرارة تصل الى ٤٠ درجة تحت الصفر . ويستثنى من هذا الوضع وادي أراكس ARAX. بسبب انخفاضه النسبي حيث يكون الشتاء عادياً والصيف حاراً .

ومن الناحية المناخية ، فان أكثر مناطق أرمينيا وأحسنها هي التي تقع حوالي بحيرة فان (VAN) وفي هضاب مقاطعة لوري LORI وقره باغ KARA BAGH و زانكيزور ZANKEZUR .

١ـ ISHKHANATZOUK

أما الصيف فهو قصير وحار جداً على الأغلب حيث تفيض البلاد بالحياة وتعود الى النشاط الذي يغطي الركود الناجم عن فصل الشتاء . وهذا التمايز في المناخ بين فصلي الشتاء القارس والصيف الحار يولد فوائد عظيمة لسكان البلاد الذين يجنون من وراء ذلك خصوبة في الأرض تجعلها صالحة تماماً للزراعة والانتاج .

التربة : يمكن أن نلاحظ أن الأراضي الارمنية تحوي أربعة أنواع من التربة موزعة بين مختلف مناطق أرمينيا على الشكل التالي :

آ ـ الأراضي الواقعة على الارتفاعات المتراوحة بين ٢٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر :

وتربة هذه الأراضي من النوع الرسوبي (غريني)، وهي غنية بالطين الجيري وفقيرة بالسماد العضوي . وقد جرت زراعتها منذ مئات السنين وخاصة بالحبوب ومحاصيل الخضار والفواكه والقطن والكرمة . ومن هذا النوع أراضي سهلي آرارات وأراكس.

ب ـ الأراضي الواقعة على الارتفاعات المتراوحة بين ٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر .

وتربة هذه الأراضي من النوع الرمادي الجاف والغني في نفس الوقت ، وتصلح لزراعة جميع أنواع المحاصيل من القمح والحبوب والخضار والفواكه والأشجار . ومن هذا النوع أراضي أرمينيا الجنوبية والشمالية الشرقية .

جـ ـ الأراضي الواقعة على الارتفاعات المتراوحة بين ٥٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ،

وتربتها من نوع الأراضي السوداء الجبلية ذات الصخور البركانية ، والمغطاة بالثلوج أكثر أشهر السنة . وتقل فيها الزراعة ، وإن كان بالامكان إصلاحها وزراعة الحبوب والخضار فيها خلال فصلي الربيع والصيف القصيرين .

د ـ الأراضي الواقعة على الارتفاعات المتراوحة بين ٧٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠ قدم فوق

سطح البحر.

وهي التي تشكل المنحدرات العالية من الجبال وتصلح لرعاية الماشية[1].

وبشكل عام تعتبر الأراضي الزراعية من الفئات «آ» و «ب» من الأراضي الغنية جداً. إذ أن التربة، بسبب تفسخ وتحلل عناصرها البركانية، وامتزاجها بالرواسب النهرية والأرضية، قد اصبحت أرضا نادرة تزرع فيها مختلف المحاصيل الزراعية. كما أدى ذلك أيضاً الى تغطية سطحها بالأعشاب الكثيفة الصالحة لرعي قطعان الماشية.

أما مناطق الهضاب من الفئات «جـ» و«د» فهي شديدة الجفاف ولا ينبت فيها الزرع إلا بالري الاصطناعي ويلزم إصلاحها.

الحياة النباتية والحيوانية والمعادن[2]: تصلح أرمينيا وتنتج، بحكم تعدد

---

١ ـ يلاحظ من هذه التقسيمات أن أول الأراضي المزروعة في أرمينيا تبدأ على ارتفاعات عالية تتراوح بين ١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ متر عن سطح البحر ثم تتدرج حتى تصل إلى ما يقارب ٣٥٠٠ متر فوق سطح البحر.

وهذه النماذج تعطينا فكرة واضحة عن أرمينيا باعتبارها هضبة مرتفعة حقاً، إذ أن المناطق الزراعية في الدول الأخرى تبدأ على ارتفاعات تتراوح بين ٧٠٠ ـ ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر. (يراجع بخصوص هذا الموضوع كتاب: أرمينيامهد الحضارة لمؤلفه دافيد مارشال لانغ).

٢ ـ يتحدث الرحالة العربي «ابن حوقل» عن مشاهداته وانطباعاته حول وضع أرمينيا وذلك خلال الرحلة التي قام بها عام ٩٤١ م إلى هذه البلاد وضمنها كتابه «صورة الأرض» فيقول بالحرف الواحد:

«.. لهذه البلاد ملوك وأصحاب (رجال) لهم نعم ضخمة وضياع وقلاع نفيسة وخيول كثيرة وأقاليم عامرة، ولهذه الأراضي والنواحي والمدن والقلاع من الرخص والخصب والمراعي والمواشي والسوائم والخيرات والبركات والمتاجر والأنهار والفواكه الرطبة واليابسة والخشب على سائر ضروبه ما لا يحاط بعلمه ولا يبلغ كنهه.

وملوكها لهم من سعة الأحوال وتمتعهم بالنعم والملاذ والترف بالطيب والثياب والخدم والخيول والبغال ذات المراكب من الفضة والذهب وقنية الجواري من المغنيات، وكثر الآلة من الذهب والفضة والآنية الرفيعة الثقيلة المخرشة بالسواد من الصواني والأطباق والأباريق والأسطال (جمع سطل) في غرائب الصنعة من اللجين والعسجد إلى ما يشاكل ذلك من الزجاج المحكم والبلور المخروط الثمين والجوهر من الماس والياقوت».

وهذه اللغة التي يتحدث بها ابن حوقل تدل ـ دون ريب ـ على وجود رفاه اقتصادي متقدم في هذه البلاد، خصوصاً وان الكاتب العربي كان يعيش ـ وقتذاك ـ في حدود دولة كانت تمر ـ بدورها ـ نحو أزهى وأحلى أوقات حضارتها.

أنواع الأراضي (التربة) التي تضمها ، محاصيل زراعية متنوعة . كما ان هذه التربة بالذات تحتضن في جوفها أنواعاعديدة من المعادن التي تتواجد أيضاً في صخورها ذات التكوين البركاني . وفوق هذه الأراضي الغنية تسرح حياة حيوانية نشطة من ماشية وأبقار وغيرها .

١ ـ **الحياة النباتية** : من الثابت علمياً أن أرمينيا كانت الموطن الأصلي لعديد من الأشجار والنباتات والأعشاب المعروفة حالياً في دول متعددة من أوروبا . وقد قام الدكتور م . ريكلي M. RIKLI بوضع قائمة (عام ١٩١٢) ضمت ٤٠ نوعاً من النباتات والورود التي تنبت في أرمينيا وحدها .

وبهذا المعنى فان هذه البلاد تنتج أنواعاً مختلفة من المحاصيل الزراعية التي تتمركز ، وبشكل عام ، ضمن مقاطعاتها ، بحيث تختص كل منها أو تشتهر بأنواع معينة ، كما هو الأمر بالنسبة لفرنسا وهنغاريا وبقية دول العالم .

ودون الخوض في تفصيل أوسع ، فاننا نجد في أرمينيا مزروعات الحنطة وسائر الحبوب في أقاليم سهل أرارات وموش وفان . أما سهل نهر أراكس ARAX والأراضي المحيطة ببحيرة فان ، فهي تساعد على زراعة الكرمة والأشجار المثمرة ، وكذلك الزيتون على الحوافي الشمالية لبحيرة فان . . وتنمو في أرمينيا الفواكه البرية كالتوت والفريز والكرز . وتزدهر الحياة النباتية ، بسبب الظروف المناخية السائدة على سفوح جبال أرارات وسوفان ونمرود داغ ، حيث تكثر المراعي والحشائش . أما التبغ والقنب والقطن والخيار فهي من منتجات المناطق الدافئة والمنخفضة من أرمينيا مثل DEBEDASHEN وسهل أراكس وأرارات .

وأكثر من هذا ، فبينما كانت أرمينيا ، في بداية العصر العباسي لا تدفع أكثر من ٤ ملايين درهم كل عام لبيت مال الخليفة ، إذا بهذا الرقم يرتفع بعد أعوام قليلة فيبلغ في عهد هارون الرشيد وابنه المأمون ١٣ مليون درهم . في حين أن جباية أذربيجان في الفترة المذكورة ما كانت لتزيد عن ٤ ملايين درهم (راجع بهذا الشأن ـ أرمينيا في التاريخ العربي ـ لمؤلفه أديب السيد) . وبديهي أن مقدار الجزية هذا ، كان مفروضاً على ما نسميه اليوم « معدل الدخل القومي » ، وهو ما يدل بدوره على مدى التوسع الاقتصادي الذي نعمت به أرمينيا بسبب أرضها وحياتها الاقتصادية بالذات .

ومن فواكه البلاد الارمنية نجد العنب والتين والزيتون والرمان والجوز والكستنا والمشمش . وفيها غابات تمثل ١/١٠ مساحة البلاد ، وأهم أشجارها البلوط والشوح والحور والصنوبر وغيرها من الأشجار البرية . وتعتبر الأخشاب المستخرجة من هذه الأشجار من أجود أنواع الأخشاب المعروفة .

٢ - **الثروة الحيوانية** : تساعد طبيعة الهضبة الارمنية على تربية الثروة الحيوانية ، إذ تعيش على سفوح ومنحدرات جبالها العديدة المغطاة بالأعشاب والحشائش ، الكثير من الحيوانات الجبلية المعروفة . ومن حيواناتها : الخيل والبقر والجاموس والغنم والماعز . وفيها أيضاً الخنزير البري والداجن ، وأيضاً الفاقم الثمين الفرو والذي عرف جلده وفروه في أوروبا باسم أرمينيا نفسها HERMINÉ. وتعتبر الـ KERMIS وهي حشرة القرمز إلتي تستخدم للصباغة باللون القرمزي PURPLE من أجود أنواع الاصباغ المعروفة من نوعها في العالم ، وأكثر ما تظهر هذه الحشرة في سفوح جبال أرارات وبالقرب من مدينة ارداشاد . ومن بحيرة فان يستخرج « السمك الأمير » أي السلمون أو ما يسميه العرب « الطرنج » وهو سمك صغير لذيذ الطعم يصلح للتعليب « السردين » .

وتكثر في أرمينيا الحيوانات الكاسرة والطيور الجارحة وحتى الداجنة .

٣ - **المعادن والصناعة** : تعتبر أراضي أرمينيا غنية بالمواد الخام ، وكذلك صخورها ذات التكوين البركاني ، وتختزنان في جوفيهما مختلف أنواع المعادن كالذهب والفضة والرصاص والحديد والنحاس والرخام والزرنيخ والصودا والبوتاس (في بحيرة فان VAN) والكبريت وحجر الشب والزئبق والملح الحجري والحجر الكلسي والرملي والسماقي . وقد اشتهرت أرمينيا عبر تاريخها بصناعات معينة ، فمثلاً كانت البسط الأرمنية المحفورة والمزينة تعتبر من أجود أنواع البسط في العالم ، ويقول الثعالبي (المؤرخ العربي) ان الصوف الأرمني المستخدم في حياكة هذه البسط هو من أجود الأنواع في العالم .

ومن منتجات أرمينيا القديمة التكك الابريسمية (في مدينة سلماس) ، والثياب المرعزية والوسائد (في مدينة دوفين DVIN)[1]

وفي القرن العاشر الميلادي ، زار الرحالة العربي (أبو دلف) أرمينيا وتحدث عن عيون « النار المشتعلة » في مدينة باكويه (ويقصد بذلك النفط المتفجر في مدينة باكو BAKU). وبالقرب من منبع نهر الدجلة كانت تقوم مدينة أطلق عليها العرب اسم « مدينة المعدن » ، وكان في هذه المدينة عدد كبير من المناجم (الحديد المستخدم في صنع الدروع) .

المدن ودروب التجارة : كان لابد لبلاد على هذا القدر من النمو والاتساع[2]، ان تكون لها عواصم ومدن نشطة تنطلق منها أفكارها وقوافلها التجارية وحتى جيوشها ، وتتصل مع بعضها بدروب مرور صالحة تستخدم في الوقت نفسه للوصل بين حضارات الشرق والغرب معاً . . وقد بلغ ازدهار بعضها ان احداها وهي مدينة ANI عدت مليوناً من السكان في الوقت الذي كانت فيه أكبر مدن أوروبا لا يزيد عدد سكانها عن حجم مدينة صغيرة في وقتنا الحاضر .

وما يجب ذكره هنا ، هو أن بناء أكثر هذه المدن ، التي جاءت كعواصم للدولة الأرمنية ، قد أشادها الملوك الأكثر نفوذاً في تاريخ هذه الدولة لغايات حضارية وعسكرية في نفس الوقت .

المدن الأرمنية:

نذكر فيما يلي أهم مدن هذه الدولة والتي ستمر معنا كثيراً خلال الفصول القادمة :

---

١ ـ وتعرف لدى العرب باسم دبيل DABIL.

٢ ـ لا يكفي هذا الظرف الطبيعي لتبرير ما أعقب هذا التعبير . . إلا أن الأبواب والفصول القادمة ، عندما نتحدث عن تاريخ أرمينيا السياسي والحضاري والاجتماعي ، سوف توضح هذا المعنى .

أرمافيرARMAVIR: عاصمة أرمينيا القديمة بنيت وفق ما تذكره الأساطير عام ١٩٨٠ قبل الميلاد من قبل آراميه (آراميا) حفيد هاييك على الجانب الشمالي الشرقي لمنحدرات الجبل البركاني آلاغوز ALAGÖZ ، وبقيت عاصمة الملوك الأرمن قروناً طويلة . وقد شهدت هذه المدينة عصر ازدهارها خلال حكم كل من الامبراطورية الأورارتية والحكم السلوقي لأرمينيا ، وهي الآن قرية صغيرة تسمى تابادي بي .

- ارداشاد (ارتاكساتا)ARTAXATA: التي بناها الملك ارداشيس ، وهي تبعد حوالي ٣٥ كم الى الشمال الغربي من مدينة يريفان . واشتهر عن هذه المدينة مسارحها وغاباتها وقصورها .
- دوفين DVIN : وتبعد ٥ كم شمال المدينة السابقة . أضحت عاصمة للدولة الأرمنية خلال حكم كل من الساسانيين والعرب وبناها الملك خسروف الثاني .
- آني ANI : مدينة الألف كنيسة وكنيسة . بنيت على ضفة نهر آربا تشاي ، ثم أضحت عاصمة أرمينيا في عهد المملكة البقرادونية حيث شهدت نمواً واسعاً خلال حكم الأسرة المذكورة كما شيدت فيها القصور الفخمة والكنائس والمكتبات والمسارح وأضحت مركزاً تجارياً مرموقاً .
- فان VAN : وهي في الأصل مدينة أورارتية . وأكثر من هذا فان الأساطير ترجع بتاريخ تأسيسها إلى عام ٨٠٠ قبل الميلاد . وفي سنة ١٠٤٥ م عصف بها زلزال الحق بها دماراً تاماً .
- بدليس BITLIS : وتقع جنوبي غربي بحيرة فان وأغلب سكانها كمدينة موش خليط من الأرمن والترك والعرب والسوريين والأكراد ، وتحتل هذه المدينة موقعاً استراتيجياً بالنسبة لطرق التجارة القادمة من بغداد إلى أرضروم .

ولا ننسى المدن الأرمنية الشهيرة التي لعبت دوراً بارزاً في تاريخ الدولة الأرمنية مثل : أوري واغاراشاباد وايشمايازين وغومري (لينكان حالياً) ويريفان التي بنيت عام ٢٧٥٥ قبل الميلاد حيث عثر العلماء بالقرب منها على لوح حجري دون

لوحة رقم ٧٢

عليه بالأحرف المسمارية ان هذه المدينة قد بنيت عام ٧٨٢ قبل الميلاد على يد الملك ارغيشتي الأول الأورارتي . وفي كيليكيا نجد مدن مسيس وترسوس الخ . . .

دروب التجارة :

عرفت أرمينيا بحكم موقعها الجغرافي العديد من طرق التجارة الدولية التي ربطت بين تجارة الهند وبلاد فارس من جهة ، وبلاد ما بين النهرين واليونان وبيزنطة من جهة ثانية . كما استخدمت هذه الدروب لغايات عسكرية واقتصادية وسياسية معاً .

وهكذا وجدنا أهم طرق تجارة الترانزيت تمر عبر أرمينيا من مدن نخجوان إلى تفليس . وأيضاً كان يخترقها الطريق التجاري القادم من إيران باتجاه بلاد ما وراء القفقاس إلى جانب الطريق الذي يجتازها من حدودها الجنوبية فيربط تجارة الشرق بدول الغرب (البحر الأبيض المتوسط) .

وسنفصل بشيء أكثر تركيزاً بالنسبة لهذا الموضوع في حينه من الفصول القادمة ، ونكتفي الآن بالاشارة إليها بغرض إعطاء القارىء فكرة أولية عن هذه الطرق بما يساعده تدريجياً على الالمام بالمواضيع القادمة بشكل أكثر ما يكون فهماً من الناحيتين الجغرافية والسياسية .

* * *

الفَصْـل الثـالث

سكان ارمينيا القدماء
امبراطورية اورادو URARTU[1]

وصلنا في ختام بحثنا للفصـل الأول ، إلى نهـاية العصر البرونـزي ، الـذي ساد « أرمينيا »[2]، اعتبارا من منتصف الألف الثانية THE MIDDLE OF THE SECOND MILLENNIUM وحتى القرن العـاشر (عـام ٩٠٠) قبل الميلاد .

وفي الحقيقـة كانـت أرمينيا بدءاً من هذا التـاريخ (١٥٠٠ ـ ٩٠٠ قبـل الميلاد) ، وحتى أواخر القرن السابع قبل الميلاد (٦٠٠) ، وبالتحـديد مناطـق أراكس ARAX وفــان VAN وأرارات ARARAT وأرضروم ERZURUM مسرحـاً لاضطرابات عنصرية متداخلة ومتشابكة كان موضوعها القبائل العديدة التي انتشرت في هذه المنطقة قرناً بعد قرن ، وكذلك عندما جاءت هذه المنطقة قبائل أخرى شديدة

---

١ ـ يذهب الكثير من المؤرخين إلى أن الشعبين الأوراردي والأرمني هما من أصل واحد مشترك ، من فريجيا ، إلا أنهم ـ أي الأوراردين ـ اتجهوا قبل الأرمن بسنين عديدة بعد انفصالهم عنهم إلى أراضي أرارات (أرمينيا) ، ثم لحق بهم الأرمن ثانية ، وامتزجوا بهم من جديد (بلينوس : تاريخه الطبيعي) .

٢ ـ في الواقع لم تكن أرمينيا حتى هذا التاريخ تعرف بهذا الاسم ، وما استخدمناه عبر الفصل السابق بكامله ، وكما سنفعل الآن ، بالنسبة لاستعمال هذا الاسم ، وبهذه الصيغة ، إنما كان من قبيل الاستعارة اللفظية . . إذ لم يتشكل اسم أرمينيا كما نعرفه اليوم إلا إعتباراً من أعوام ٥٥٠ ـ ٥٢١ قبـل الميلاد ، كما سنبينـه في الفصـل القادم : الأصول العرقية للأرمن وتشكل الأمة الأرمنية .

البأس انحدرت من ما وراء القفقاس ، وأيضاً عندما هاجمتها وعلى مدى هذا التاريخ بكامله (١٥٠٠ ـ ٦٠٠ قبل الميلاد) الامبراطوريات المجاورة لبلاد أرمينيا ، وخاصة الحثية والآشورية وغيرها ، حيث استقر قسم من أقوام هذه القبائل والأمبراطوريات الغازية أو المنحلة في هذه المنطقة ذاتها ، في حين غادرها القسم الباقي عائدا إلى بلاده ، أو انتشر في دول أخرى .

وقد تمخض هذا الاضطراب أو التداخل العنصري ، عن ولادة شعب أو دولة جديدة في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد « تشكل من الاوراردين» الـذين امتزجوا مع الأقليات العنصرية المترسبة في الأرض الأرمنية ، والتي كانت بدورها مزيجاً من شعوب عديدة سكنت أرمينيا قبل هذا التاريخ بما لا يقل عن اثني عشر قرناً من جهة ، ومع البقايا العنصرية لهذه القبائل والامبراطوريات الغازية من جهة ثانية .

وقد تأيد هذا الوضع التاريخي فيما ذكرناه في حينه من الفصل السابق ، من أن الأبحاث التاريخية والحفريات الحديثة التي تناولت تاريخ أرمينيا بين السنوات (١٥٠٠ ـ ٩٠٠ قبل الميلاد) قد دلت على وجود حضارة متقدمة أبدعها سكان هذه البلاد الذين استخدموا الحديد والنحاس بشكل رئيسي في صناعاتهم وكذلك الذهب وغيره . ثم جاءت هذه الأبحاث التاريخية نفسها وحفريات أخرى ثانية فاثبتت أيضاً وجود حضارة جديدة لشعب آخر (أي الاوراردين) ،امتدت حضارته بدورها من نهاية تلك الفترة (٩٠٠ قبل الميلاد) وحتى عام ٥٩٠ قبل الميلاد وهو تاريخ سقوط دولته وبالتالي موعد دخول الأرمن إلى بلاده وتغلغل نفوذهم فيها ، ثم احتلالهم لها وتأسيس دولتهم الأرمنية فيها بعد اختلاطهم بهذا الشعب الأورارادي .

وهكذا نجد أنفسنا الآن بعد هذا العرض السريع لتاريخ سكان أرمينيا القدماء أمام السؤال التالي :

- ما هو تاريخ الأمم التي أبدعت تلك الحضارة على مدى هذه السنين الطوال (١٥٠٠ - ٦٠٠ قبل الميلاد) ؟ ثم من هي بالتحديد الشعوب التي غزت هذه البلاد في هذه الفترة ؟

هذا ما سنحاول الاجابة عليه في هذا الفصل :

إن أول إشارة[١]، تحدثت عن ، « الشعوب التي قطنت الأراضي التي عرفت فيما بعد باسم أرمينيا » ، كانت تلك التي وردت في مدونات الحثيين HITTITE TABLETS التي عثر عليها في بوغازكوي[٢] BOGHAZ(KÖY) (على بعد ٤٤ كيلومتراً شرق أنقرة حالياً) .

وتذكر هذه المدونات الحثية[٣]، كما وتعدد ، الحروب التي شنها كل من الملك

---

١ - بالمعنى التاريخي والعلمي الشامل لهذه الكلمة .

٢ - كشف التنقيب في بوغازكوي الحالية عن أكبر مجموعة من المدونات والوثائق الحثية التي تمثل محفوظات دولتهم . . وتتألف هذه الوثائق من أكثر من ١٠٠٠٠ لوح فخاري جمعها ملوكهم حوالي عام ١٣٠٠ قبل الميلاد مكتوبة بالمسمارية ، وبعضها الآخر مكتوباً باللغة الهيروغليفية ، وتظهر مواهبهم الفنية في نقوشهم وأختامهم كما يظهر فيها التأثير البابلي .

٣ - الحثيون شعب قديم سكن آسيا الصغرى وشمالي سورية ، ويرجع نسبهم إلى قبيلة من قبائل الأناضول تعرف باسم ختي KHITTI ، وكانوا يسمون بلادهم باسم بلاد خاتي أو خاطي . وقد شملت مملكتهم الأناضول وجزءاً كبيراً من شمالي العراق وسورية ، كما امتزجوا بالشعوب الهندو - أوروبية ومن بينها ، كما سيمر معنا ، الأرمن أنفسهم وذلك عند انهيار مملكتهم - أي الحثيين - ولجوءهم إلى أراضي ارمينيا .
والجدير بالذكر أن لغة الحثيين على صلة وثيقة بمجموعة اللغات الهندو - أوروبية التي تدخل الأرمنية في عدادها (انظر الباب الثالث من هذا الكتاب) ، وبعدد من اللغات الأخرى الأشورية .
ويدل على هذا التداخل اللغوي والحضاري ، ما قرره المؤرخون ، من احتمال دخول الحثيين كابدوكيا (حوالي عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد) ، وطردهم لحكام ما بين النهرين (العراق حالياً) .
وقد عرف تاريخهم - كما هو الأمر بالنسبة لتاريخ الشعوب القديمة - وخاصة الشعب الأرمني ، كما تبين معالجتنا أعلاه ، من خلال المصادر البابلية والآشورية والمصرية القديمة . ومن ذلك ، انهم - أي الحثيين - حكموا حوالي عام ١٨٠٠ قبل الميلاد امبراطورية مركزها كابدوكية ، ونهب ملكهم مرشلش الأول بابل . ثم سقطت دولتهم عندما غزاها الفريجيون (الشعب الشقيق للأرمن وهو ما سنفصله في البحث القادم) ، والتراقيون في أواخر القرن ١٢ قبل الميلاد الذين قدموا بدورهم من بلغاريا (تساليا قديماً) ، وسموا بسكان البحار SEA PEOPLES ، وعقب هذا الغزو انتشر الحثيون في الدول المجاورة ، ومنها « أرمينيا » .

شوبيلوليوما SUPPLULIUMA (١٣٨٨ - ١٣٤٧ قبل الميلاد) ، ومن بعده ابنه الملك مرشلش (الثاني) (MIRSELLES (II (١٣٤٧ - ١٣٢٠ قبل الميلاد) ، ضد « شعوب الممالك الصغيرة المجاورة » في « أرمينيا » والمسماة «سوهما» SUHMA ، « وآلشي » ALSHI ، « وايشاوا » ISHAWA .

وقد كانت هذه أول صورة تاريخية دقيقة ألقت ضوءاً على حقيقة الأوضاع السائدة في هذه المنطقة خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد . إذ دلت على وجود عدد كبير من « الممالك الصغيرة » وبالأصح « القبائل التي تضم شعوباً متعددة متفرقة لكل منها نظامها الخاص وملكها المسؤول وسكانها المحدودين » .

إلا أن سقوط دولة الحثيين بعد قرن من هذا التاريخ ، وبالتحديد في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، قد بتر هذا السر التاريخي عن حياة « شعوب الممالك الصغيرة المجاورة » ، وعاد الغموض يكتنف تاريخ شعوب أرمينيا القديمة ، إلى أن انجلى هذا الغموض مرة ثانية ، وعاد الحديث عن هذه « الممالك » ، عبر المدونات ، التي تركها هذه المرة الآشوريون[1] ASSYRIANS الذين تحدثت حولياتهم عن النصر الذي أحرزه ملكهم توكولتي نينيورتا TUKULTI NINURTA (١٢٥٥ - ١٢١٨ قبل الميلاد) على شعب نائيري NAIRI الذي يحكم «شعوب الممالك الصغيرة» المنتشرة في المنطقة الممتدة إلى الشمالي من بحيرة فان VAN . وقد كان لهذه الاشارة

---

١ - الآشوريون شعب قديم سكن غربي آسيا حول مدينة آشور (على أعالي نهر دجلة TIGRIS) ، ثم أسسوا امبراطورية مرهوبة الجانب في القرن ١٤ قبل الميلاد واتخذوا عاصمة لها كالا KALA ثم نينوى NINEVEH. وقويت شوكة هذه الدولة في القرن ١٢ قبل الميلاد تحت حكم تغلات بلسر الأول (الذي غزا أرمينيا اكثر من مرة كما سيمر معنا أعلاه) ، ثم انهارت وسقطت لتعود من جديد أقوى مما كانت وذلك في القرن التاسع قبل الميلاد ، حيث شهدت عصرها الذهبي في عهدي آشور ناصر بال (ناصر بعل) الثالث والثاني . وما لبث خلفلؤهما شلمناصر الثالث (الذي هاجم أرمينيا أيضاً) وتغلات بلسر الثالث وسرجون الثاني الكبير ان بسطوا نفوذ دولتهم على منطقة الشرق الأدنى ، ومن ضمنها أراضي أرمينيا نفسها .

وفي عهد آشور بانيبال ، بلغت الأمبراطورية الآشورية ذروتها في الفتوحات والآداب والفنون ، إلى أن غزاها الميديون MEDES (بالاشتراك مع الفرس والبابليين) عام ٦١٢ قبل الميلاد ، فسقطت نهائياً بيد الميديين عام ٦١٠ قبل الميلاد (تاريخ دخولهم نينوى) ، وآلت أملاكها إلى التوزع بين هذه الدول الثلاث .

التاريخية الجديدة أثر كبير في توضيح تاريخ تطور الشعوب التي تقطن أراضي « أرمينيا » خلال قرنين من الزمن (بين تاريخ ١٣٨٨ الحثي وتاريخ ١٢١٨ الآشوري) .

ويتضح هذا التطور عملياً إذا قارنا بين ما ذكرته مدونات الملوك الحثيين - كما بينا - خلال القرن الرابع عشر (١٣٨٨ - ١٣٢٠ قبل الميلاد) ، عن « الشعوب والممالك الصغيرة » آلشي وايشاوا الخ .. التي تقطن « أرمينيا » ، وبين حوليات الآشوريين هذه التي تتحدث عن « شعب نائيري »[1] الذي يحكم « الممالك الصغيرة » القاطنة في المنطقة نفسها التي تحدث عنها الحثيون أيضاً ، ودعتها باسم نائيري ، مما دل على توحد هذه الشعوب والممالك الصغيرة المتفرقة وانضمامها تحت لواء وقيادة شعب واحد هو الـ NAÏRI ، الأمر الذي عنى في الوقت نفسه ، قيام سلطة مركزية ، أو « دولة موحدة » تحت زعامة هذا الشعب ، بدلاً من تفرق هذه الشعوب ، إلى ممالك متناثرة كما كانت عليه قبل قرنين من الآن .

---

١ - يرجع الدكتور ك . ل . استارجيان بتاريخ الشعوب التي قطنت « أرمينيا » قبل وصول الأرمن اليها إلى عهود أقدم مما ذكرناه ، كما يعطي صورة موجزة عنها إذ يذكر كل من :

١ - السوباريون : الذين كانوا يقطنون تركيا الحالية ثم وصلوا إلى أرمينيا خلال القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد ، وهم من الشعوب الهندو - أوروبية التي استخدمت الحديد والنحاس وكتبت بالحروف المسمارية .

٢ - الخاريميدانيون : وقد هاجموا أرمينيا بعد أن كانوا يسكنون شمالي البحر الأسود وهزموا دولة السوباريين ، ثم امتزحت دماء الشعبين وتقدمت الحضارة في زمنهم وتاجروا مع مصر .

٣ - البروك - موزك : قطنوا الدردنيل قبل الميلاد عام ١٢٠٠ وانقسموا إلى فئتين :

١ - البروك : هاجموا الحثيين وأسسوا دولة لهم في كابدوكية (راجع حاشية سابقة لنا بهذا المعنى) .

٢ - الموزك : هاجموا الخاريميدانيين وهزموهم . ثم ان عدداً كبيراً من الحثيين المهزومين أمام البروك لجأوا إلى دولة الموزك .

٤ - الأورارتيون : وقد نشأ هذا القوم عن امتزاج الأقوام الثلاثة المذكورة في الدولة السابقة (البروك والموزك والحيثين) ويلقبون بالخلديين نسبة إلى معبودهم خالدي . وكانت أرمينيا في عهدهم تقسم إلى قسمين :

١ - أوراردو : وتضم أراضي أرارات وأرضروم .

٢ - ونائيري : وتقع جنوبي بحيرة فان .

ودامت دولتهم من القرن ٩ إلى ٦ قبل الميلاد حين اجتاح الأرمن بلادهم وشكلوا دولتهم الأرمنية بعد ان امتزجوا

ثم ما لبثت المصادر الآشورية أيضاً أن أشارت في نهاية القرن الثالث عشر (١٢٠٥ قبل الميلاد) إلى شعب آخر يسكن إلى جوار دولة نائيري وأسمته (أوروواتري URUATRI) في حين كان أفراد هذا الشعب يسمون أنفسهم باسم بياني BIANI.

وفي خلال قرن واحد ، ما عتم الآشوريون أن عادوا فتحدثوا مجدداً عن « دولة نائيري » نفسها في المدونات التي تركوها في يوناكالو YON-CALU حيث أشارت هذه المدونات ،إلى أن الملك (الآشوري) تجلات بلسر الأول TIGLATH PILESER I (١١١٧ - ١٠٨٠ قبل الميلاد) قد شن حملات حربية متعددة بين أعوام ١١١٥ - ١١١٤ قبل الميلاد على بلاد « نائيري » ، وانه تمكن من عبور نهر الفرات بواسطة جسر متحرك ، ومنه انقض على العدو ، ومزق شمل الملوك الستين « لدولة نائيري » ، وأسر منهم ٣٠ ملكاً ، اقتادهم أسرى إلى عاصمته . . . ولأنه فعل ذلك فقد أعلن نفسه الغازي على بلاد «نائيري».

وهذا الإعلان الأخير الذي ورد في المدونات المذكورة يؤيد ما ذهبنا إليه قبل قليل من وجود « دولة موحدة » في أراضي أرمينيا خلال هذا العهد أيضاً (١٠٩٠ قبل الميلاد) . . بدليل إشهار هذا الملك الآشوري فخره بهذا النصر الذي أحرزه على المملكة التي كانت ولا شك تؤلف دولة قوية حقاً . .

ومع اضمحلال الأمبراطورية الآشورية وتضاءل نفوذها خلال القرنين الحادي عشر والعاشر ، توقفت المصادر الآشورية عن الاشارة إلى شعوب « أرمينيا » وأحوالها . وبقي الأمر كذلك إلى ان استعادت هذه الأمبراطورية سطوتها من جديد في القرن التاسع للميلاد عبر الفتوحات التي قام بها ملكها آشور ناصر بال الثاني ASHUR NAZIR PAL II (٨٨٤ - ٨٥٩ قبل الميلاد)[١] الذي أعلن

---

١ - آشور ناصر بال الثاني ملك آشور مدّ حدود امبراطوريته غرباً إلى البحر الأبيض . وكان خلال فتوحاته يعين حكاماً آشوريين على البلاد التي يدخلها ، ثم ما لبث أن أسس الدولة الآشورية الجديدة القوية .

« وبكبرياء » ، في التسجيلات الأثرية لفتوحاته التي عثر عليها بين حفائر قصره ومعبده في كالا KALA [1] ، إنه : « قد دمر ٢٥٠ مدينة نائيرية تشغل الأراضي الممتدة حتى حدود أورارتو URARTU».

ولقد كان لهذا النص التاريخي أهمية قصوى ، فيما يخص موضوعنا ، إذ أكد حقيقتين جديدتين :

- الأولى هي استمرار دولة نائيري في البقاء على قيد الحياة على مدى قرون أربعة هي الممتدة منذ الإشارة الأولى إليها عبر المدونات الآشورية العائدة للملك الآشوري توكولتي نينورتا - ١٢٥٥ قبل الميلاد ، وحتى الاعلان عنها مجدداً بواسطة المدونات الآشورية الأخيرة العائدة للملك آشور ناصربال الثاني - ٨٥٩ قبل الميلاد .

- والحقيقة الثانية والأهم في اعتقادنا ، وهي أن الشعب الذي دعته المصادر الآشورية الأولى عام١٢٠٥ق.م باسم URUATRI ، قد عادت الآن-أي المدونات الآشور الجديدة - وأسمته في عام ٨٥٩ قبل الميلادباسم URARTU ، وأكثر من هذا فقد قالت - كما رأينا - ان مدن نائيري تشغل الأراضي الممتدة حتى « حدود أورارتو » ، مما عنى عملياً ، عبر الاشارة الى كلمة « حدود أوراتو» ، قيام دولة جديدة على أراضي « أرمينيا » - الى جانب الدولة القديمة نائيري - وهي الدولة الأورارتية[2] .

وبالفعل فقد أثبتت السنوات القليلة التي أعقبت تدوين هذا النص حقيقة قيام هذه الدولة التي كانت في الأصل ، كما رأينا ، وكما نعتقد ، احدى « الممالك

---

١ - كالا : هي كلخ الحالية جنوبي عاصمة آشور القديمة نينوىNINEVEH ، وكانت العاصمة الأولى للآشوريين ، إلا أن آشور ناصر بال قد أعاد بناءها . وذكرت في العهد القديم باسم « كلح » ، وبها قصره وقصر آشور ناصربال (ناصر بعل) الثالث .

٢ - ويمكن اعتبار الدولة الاورارتية احدى القبائل النيريرية ، وهي من أصل حوري : أي من أولئك الحوريين الذين تدفقوا على الأراضي «الارمنية» خلال الألف الثانية قبل الميلاد وتمركزوا في البدء حول ارضروم وأرارات ، ثم انتشروا ، مع السنين في هذه المنطقة .

الصغيرة » التي ذكرتها كل من المصادر الحثية القديمة (للملك شوبيلوليوما وابنه الملك مرشلش) ، والمدونات الآشورية (في معرض تحدثها عن الممالك الستين التي دمرها الملك تجلات بلسر الأول) .

وكأنما أدرك الآشوريون الخطورة التي تكمن وراء قيام هذه الدولة الجديدة على حدودهم الشمالية والشمالية الغربية ، فقد سارع ملكهم شلما ناصر الثالث SHALMA NESER III (٨٥٩-٨٢٥ قبل الميلاد)[1] إلى مهاجمتها[2] واحتلالها . ثم سجل انتصاراته على مسلة سوداء عثر عليها في مدينة بالوات BALAWAT (وهي محفوظة اليوم في المتحف البريطاني في لندن) ، وصف فيها تدميره المدن الأورادية وأسره لملكها الأول آرامو ARAMU أو آراميه ARAME (٨٨٠ - ٨٤٤ قبل الميلاد) ، ثم محاصرته لعاصمة الأوراردبين وهي المسماة « ارزاشكو » ، ARZASHKU . وفيما يلي نص ما أورده شلما ناصر الثالث على مسلته السوداء عن هذا النصر وفق ما اقتبسناه عن كتاب الدكتور استارجيان « تاريخ الأمة الأرمنية » :

« لقد أرعبت أراميه الأوراردي قوة سلاحي ، فترك عاصمته آرزاسكون ، وفر لائذاً بقمة جبال آدرودي ، فاقتفيت أثره وحاربته حتى غلبته ، فأسرته مع ٣٤٠٠ جندي كانوا معه ، وأشغلت مركز قيادته . غنمت أموالاً طائلة ، وبقوتي الجبارة دست وسحقت كالثور الوحشي بلاده ، فخربتها ودمرتها وأحرقتها ، وعلى أبوابها نصبت المشانق فعلقت الكثيرين وهم أحياء على أعوادها ، وأجلست غيرهم على الأوتاد . . » .

انها الحرب إذن ؟ وحرب قاسية ضد الدولة الفتية مصّ صدمتها الأولى مليكها

---

١ - خضعت له ضيدا وصور حوالي عام ٨٥٠ قبل الميلاد بعد معركة قرقر على نهر «أورونتس» ، وكذلك بعض قبائل الميديين .

وقد بنى شلما ناصر الثالث حصناً كبيراً وز يجورات ZIGORAT (معبد مبني على قمة هرم غير منظم) ، وقضى معظم حياته في الحروب والفتوحات .

٢ - كما هاجم في الوقت نفسه كل من سورية وفلسطين واحتلها ثم انحسر عنهما بعد وقت .

الأول،ثم مالبثت أورادو وبعد سنوات قليلة ، وفي عام ٨٣٤ قبل الميلاد بالتحديد ، ان تلقت الضربة الثانية من الملك الآشوري نفسه (شلما ناصر الثالث) . . وكان يحكمها الآن مليكها الثاني المسمى سردوري الأول SARDURI I، فأعمل شلما ناصر سيفه من جديد في البلاد الأوراردية وزاد حتى انه احتل العاصمة الجديدة توشبا TUSHPA !

ورغم هذه الضربات المتلاحقة ، فان أوراردو استطاعت أن تنهض من الهزيمة ، وأكثر من ذلك ، ان تؤسس ، ولما لم ينته القرن التاسع بعد (الذي شهد ولادتها في منتصفه) ، أو يمضي على هاتين الهزيمتين سنوات قليلة ، امبراطورية امتدت حدودها من بحيرة فان VAN غرباً ، إلى بحيرة أورميا URMIA شرقاً ، وإلى ما وراء القفقاس TRANSCAUCASIA شمالاً (جيورجيا وأذربيجان حالياً) ، وحتى شمالي سوريا جنوباً .

لوحة رقم ٥٤

جرى ذلك كله على يد أحفاد آراميه وسردوري الذين تعاقبوا على حكم أوراردو حسب التسلسل التالي :

١ - آراميه ARAME ٨٨٠ق.م - ٨٤٤ق.م .

٢ - سردوري الأول SARDURI I ٨٤٤ق.م-٨٢٨ق.م .

٣ - اشبويني ISHPUINI ٨٢٨ق.م . - ؟ق.م .

٤ - مينواس (مينويا) MENUA ؟ ق.م -٧٨٥- ق.م

٥ - أرغيشتي الأول ARGISHTI I ٧٨٥ق . م-٧٥٣ق.م

٦ - سردوري الثاني SARDURI II ٧٥٣ ق . م- ٧٣٥ قبل الميلاد .

٧ - روزاس (روسا) الأول RUSA I ٧٣٥ق . م-٧١٣ قبل الميلاد.

٨ - أرغيشتي الثاني ARGISHTI II ٧١٣ق . م - ٦٨٠قبل الميلاد.

٩ - روزاس (روسا) الثاني RUSA II ٦٨٠ق . م -٦٤٦ قبل الميلاد.

١٠ - سردوري الثالث SARDURI III ٦٤٦ ق.م - ٦١٠ قبل الميلاد .

١١ - روزاس الثالث RUSA III ٦١٠ ق.م - ٥٩٠(٥٨٥) قبل الميلاد .

وهو الملك الأخير لأوراردو .

وحسب هذا الترتيب فقد عاشت الدولة الاورارتية (وتلفظ أيضاً الأورارادية أو الأورارطية . .) ٢٩٠ عاماً من آراميه ٨٨٠ وحتى روسا الثالث ٥٩٠ قبل الميلاد .

إلا أن أوراردو قد شهدت خلال حكم كل من ارغيشتي الأول ٧٨٥ قبل الميلاد ، وروزاس (روسا) الأول RUSA I ٧٣٥ - ٧١٣ قبل الميلاد ، حدثين متناقضين تماماً : ففي عهد الملك الأول (ارغيشتي) ، حشدت أوراردو جيشاً قوياً غزت به آشور نفسها (التي كان يحكمها شلما ناصر الرابع توفي عام ٧٢٥ قبل الميلاد) وأسرت عدداً كبيراً من الآشوريين (ويقال ٢٠٠٠٠) بالإضافة إلى غنائم كبيرة حملتها إلى بلادها.

أما الحدث الثاني فقد جاء على العكس تماماً من الأول ، وجرى في عهد روسا الأول ٧٣٥- ٧١٣ قبل الميلادوذلك عندماوهنت قوى هذه الدولة [1] بعض الشيء فعقدت حلفاً عسكرياً مع بابل وسامرة أرادت به مهاجمة آشور، إلا أن تغلات بلسر الثالث الآشوري باشرها بالهجوم ، ثم لحق به سرجون الثاني SARGON II ، الذي هزم هذا التحالف في معركة رفح عام ٧٢٠ قبل الميلاد والحق بالجيش الأوراردي خسائر كبيرة ، كما دخل بلاد أورارتو ونهب العديد من مدنها ، ثم سجل « ذكرى انتصاره » على احدى المدونات الحثية وفق الشكل التالي[2] :

« نشبت الحرب على جبل أراس الباذخ في الارتفاع حتى لتناطح قمته السحاب وتطاول هامته الغيوم ، وفوق هذا الجبل الذي لم يطأه انس ولا جن ولم تبلغه حتى طيور السماء ،انقضضت على رأسه (روسا) كالبازي فغلبته وهزمته

---

١ - اي الاورارادية

٢ - من كتاب د ك ل. أستارجيان تاريخ الامة الارمنية.

أمامي . كسرت قواه وبجثث جنوده سددت المضائق ومعابر الجبال ، أما روساس (روزاس أو روسا) فقد نجا بنفسه إذ ركب حصانه وهام على وجهه بين الجبال » . .

إلا أن خليفة روسا الأول ، وهو الملك أرغيتشي الثاني ، ومن بعده الملك سردوري الثالث، استطاعا أن ينهضا باوراردو حيث أعيد تشييد المدن وبناء القلاع والحصون كما ازدهرت التجارة حتى وصلت منتجات بلادهم إلى اليونان نفسها . .

وفي هذا التاريخ بالذات ، وبدءاً من عام ٧٣٠ قبل الميلاد ، بدأت غزوات السيمريين CIMMERIANS (القيمريين) ، والسكثيين SCYTHIANS (الذين أسمتهم الكتب المقدسة، قوم يأجوج ومأجوج، GOG and MAGOG) تدخل آسيا الصغرى من، الممر القفقاسي، عبر الدربند ، أو باب الأبواب ، قادمين من حدود روسيا الجنوبية (البحر الأسود بالنسبة للسيمريين ، ومناطق باكو الحالية وما جاورها بالنسبة للسكثيين) . وما لبثت هذه القبائل القاسية أن اجتاحت أوراردو ومقاطعة سينوب SINOPE الأرمنية (التي كانت تخضع لحكم الاغريق) ، ثم انطلقت من قواعدها في « أرمينيا » أي من أوراردو ، متجهة نحو الجنوب ، فاحتلت سورية وفلسطين ووصلت إلى حدود مصر .

وأتمت احتلال هذه الدول بما فيها « أوراردو » عام ٦٥٢ قبل الميلاد ، ومكثت فيها حتى عام ٦١٢ قبل الميلاد ، عندما هزمها اتحاد الميديين MEDES والبابليين BABYLONS والأوراتيين أنفسهم .

وعملياً أدى التحالف السابق ، مع غزوات هذه القبائل ، إلى القضاء على آشور أولاً عام ٦١٢ ، بدخوله (أي التحالف) عاصمتها نينوى عام ٦١٠ ، وعلى أوراردو نفسها بعد سنوات حين اكتسحها الميديون أولاً ، ثم الفارسيون ، وخضعت لحكم الأسرة الأخمنية الفارسية THE ACHAEMENIDS بدءاً من عام ٥٥٠ ق.م ، وهو تاريخ بدء تشكل الدولة الأرمنية .

وخلال حياتها قدمت أوراردو الكثير من الحضارة ، كما ، وأثرت في حضارة شعوب الشرق الأدنى وآسيا الصغرى بوجه خاص . فقد بنوا (وفي عهد ميناوس) قناة طولها ٦٥ كيلومتراً ما زالت الشعوب تستخدمها عبر القرون التي مرت عليها وحتى اليوم في ري الأراضي الزراعية، كما بنى الملك الأوراردي روسا الأول خزاناً أحدث له قنوات يصرف من خلالها الماء إلى الأراضي العطشى . ولم يكتفوا بذلك ، بل استخدموا الحديد والنحاس والذهب بمهارة أخذها عنهم أسلافهم الأرمن الذين برعوا في هذا الفن « الصياغة » أيضاً (حتى خلال وجودهم في الأمبراطورية العثمانية قبل أقل من قرن) حيث أتقن هؤلاء الاوراردیون صنع الأواني الفخارية التي وجد بعضها في اليونان وروما بالذات بعد قرون طويلة من صنعها .

والجدير بالذكر هنا هو ان حلول الأرمن مكان الاوراردیين في بلاد أرمينيا، كان في الواقع استمراراً لهذه الدولة بالذات . إذ يكاد يكون هناك إجماع بين المؤرخين على وجود نوع من القربى العائلية بين الطرفين . وقد سبق لنا في حاشية آنفة أن ذكرنا رأي المؤرخ بلينوس في هذا الخصوص ونضيف إلى ما تقدم ما يلي :

١ ـ قام المؤرخ موسيس الخوريني MOSES OF KHOREN بتصنيف « الأورارتين » على أنهم المملكة ، أو الأسرة ، الأرمنية السادسة التي انحدرت من أبي الأرمن هايك HAYK

٢ ـ ثم ان شكل وقامة وجمجمة الأرمن والأورارتين هي واحدة : فالشعبان يمتازان بالقامة المتوسطة (وحتى القصيرة ، وبالنسبة للأرمن فان معدل الطول ١٦٦ سم) . وقد دلل على ذلك البروفسور بيوتروفسكي في دراسته حول هذا الموضوع ، عندما استفاد من مقارنة الصور المحفورة على الصخور (الآثار) للوفود الأورارتية إلى قصر الملك آشور ناصر بال، وكذلك صور الأرمن التي بدت من خلال وجودهم عبر التاريخ. وأكثر من هذا فانه، عقد مقارنة بين ملابسهما الشعبية وعاداتهما فتبين له وجود شبه كبير في ذلك .

٣ ـ يضاف إلى ما تقدم أن لغة الشعبين تنتمي إلى الأصول الهندو ـ أوروبية ، كما ان الحروف التي استخدماها هي المسمارية . وان كان الأرمن قد كتبو لغتهم أيضاً بالحروف الاغريقية والسريانية SYRIAC.

وعموماً فانه يمكن القول ، انه بدءاً من وصول الأرمن إلى أورارتو في القرن السابع قبل الميلاد ، وحتى منتصف القرن الخامس منه ، قد جرى تمازج بين الشعبين انتهى إلى أصول مشتركة بينهما برزت في النواحي الثقافية والحضارية والاجتماعية [١].

* * *

(١) يرجى الرجوع الى ص: ١٦ من كتاب الأرمن لمؤلفته سيرارپيه دير نرسيسيان،

الفصل الرابع

الأصول العرقية للأرمن
وتشكل الأمة الأرمنية

THE ETHNICAL ORIGIN, AND THE FORMATION
OF THE ARMENIAN NATION .

منذ قرون بعيدة موغلة في القدم ، سبقت التاريخ المقروء[1]، انطلقت من قلب آسيا الوسطى[2]، مجموعات متلاحقة من القبائل ذات الأصل الآري[3]، عرفت عرقيا باسم القبائل أو الشعوب الهندو - أوروبية[4]. انساحت في هجرتها ، تخترق الأراضي التي تعبرها من الشرق ، متجهة نحو الغرب ، وحتى شواطىء الأطلنطي ATLANTIC OCEAN.

وقد انتهت هجرة هذه الشعوب والقبائل الى انقسامها نهائيا الى مجموعتين[5] :

---

١ - يقسم العلماء التاريخ الى ثلاثة أقسام : ١ - التاريخ القديم غير المقروء ، وهو الذي سبق اختراع الانسان للحروف الأبجدية والذي حدث حوالي عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد (وفي رأي البعض عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد تقريباً) على يد الفراعنة والسومريين ٢ - التاريخ القديم المقروء الذي أعقب هذا « التاريخ » وامتد حتى الألف الثانية قبل الميلاد . ٣ - والتاريخ الحديث المقروء الذي تلا هذا الزمن وحتى وقتنا الحاضر .

٢ - من هضبة بامير وهندوكوش والى الشرق وشمال شرقي بحر قزوين ، ومن بحيرة باكال أيضاً . .

٣ - آري . . ARIAN ، لفظ مشتق من اللغة السنسكريتية ومعناه « نبيل » . استخدمه الهندوس لتمييز أنفسهم وغيرهم من الشعوب التي تتكلم اللغات الهندية - الايرانية . . INDO-IRANIAN (راجع جدول اللغات ص. ٦٩٩ من هذا الكتاب) ، ثم أطلق على الشعوب واللغات الهندو - أوروبية عامة .

٤ - والتعبير : هندو - أوروبي - INDO-EUROPEAN يطلق أيضاً على كل شخص من الأعراق الناطقة باللغات الهندو - أوروبية

٥ - وفي نفس التاريخ ، التاريخ غير المقروء هذا ، بقيت آسيا مركزاً ومقراً لشعوب أخرى تختلف عرقياً ولغوياً عن =

١ ـ **المجموعة الأولى** : وهي القبائل الهندو ـ أوروبية « الآسيوية » : التي توطنت قارة آسيا نفسها واستقرت فيهـا ، على تخـوم الهنـد ، وفي بلاد فارس ، ايران حالياً ، و« أرمينيا » ، وبعض مناطق آسيا الصغرى ، تركيا اليوم . ثم انتشرت شمالاً ، حتى وصلت الى القفقاس ومـا وراءهـا ، جورجيا وغيرهـا ، حيث شكلت ، مع مرور الزمن ، ورغم أصلها الواحد المشترك هذا ، شعوباً مختلفة عرفت بأسماء متعـددة : كالهنـود والفـرس والميديين والبـارثيين والساسـانيين الخ . . .

٢ ـ **المجموعة الثانية** : وهي القبائل الهندو ـ أوروبية « الأوروبية »[١] : التـي وصلت قارة أوروبا وتوازعت فيما بينها مناطقها ، ثم استقرت فيهـا نهـائياً ، لتشكل بدورها ، ومع مرور التاريخ أيضاً ، ورغم أصلها الواحد المشترك ، شعوباً مختلفة عرفت بأسماء متعددة : كالجرمان والانكلوساكسون (الانكليز ، السويديين) والسلاف الخ . . . وإن كان عدداً محدوداً من هذه القبائـل ، قد عاد وعبر البوسفور مجدداً متوجهاً الى آسيا نفسها .

وقد قام علماء السلالات البشرية ، عقب دراسات مفصلة ودقيقـة تناولـت بالتحليل تاريخ الشعـب الأرمني وأصولـه العـرقية وأوصافـه الفيزيولـوجية (الجسدية) ، بتصنيف الأرمن (كشعب) ، ضمن هذه المجموعات نفسها : أي اعتبارهم من الشعوب الهندو ـ أ وروبية .

ولكن السؤال يبقى وارداً رغم هذا الإثبات ـ الذي سندرسه مفصلاً في نبذة

هذه الشعوب الهندو ـ أوروبية . ونعني بها الشعوب السامية التي ضمت العرب والكنعـانيين والكلـدانيين والأشوريين والبابليين والآراميين الذين هاجروا بدورهم ، ولكن ضمن حدود قوس لم يتعدوه ، ارتفع في طرفه الأيمن ، من جنوبي شرقي شبه جزيرة العرب الى العراق فبلاد ما بين النهرين ثم سورية نزولاً الى لبنان وفلسطين وحتى الطرف الأيسر لشبه جزيرة العرب أي الى اليمن . . . ثم حتى مصر .

١ ـ هذا التقسيم من وضعنا ، وان كان قد ورد في المصادر العربية والأجنبية مطلقاً ، اي دون تحديده وفق ما قسمناه أعلاه ، الى هندو اوروبي « آسيوي » ، وآخر « اوروبي » .

لاحقة من هذا الفصل ـ حول أي من هاتين المجموعتين ينتمي اليها الشعب الأرمني حقاً ؟

وبقول آخر :

١ ـ هل يعتبر الأرمن THE ARMENIANS في أصلهم ، مع انتمائهم الى العرق الآري ، من الشعوب الهندو ـ أوروبية « الآسيوية »[١] ، التي بقيت في القارة الآسيوية دون أن تعبرها الى القارة الأوروبية ، كما فعلت شعوب المجموعة الثانية ، بحيث ، شكلوا بهذا الاعتبار فصيلة من فصائل شعوب المجموعة الأولى (الفرس والهنود الخ . .)[٢] ؟ . . وهو الرأي الذي أيّدته التقاليد الشعبية الأرمنية نفسها أسطورة بيل وهاييك BEL and HAYK ، حسب رواية المؤرخ الأرمني المعروف موسيس[٣] الخوريني .

٢ ـ أم انهم ، أي الأرمن ، ينتمون في أصولهم العرقية الآرية الى مجموعة الشعوب الهندو أوروبية «الأوروبية»[٤] ، التي خلفت القارة الآسيوية وراءها ، مجتازة سهول روسيا ، أو مضيق البوسفور والدردنيل ، الى أوروبا حيث استقرت ـ لزمن غير معروف ـ في منطقة ما منها[٥] ؟ . ثم ما لبثت ، خلافاً لقبائل هذه المجموعة ، إن عادت فعبرت من جديد مضيق البوسفور والدردنيل ، في طريق عودتها الى آسيا ، وأرمينيا بالذات ؟ . . وهو ما تؤيده أقوال المؤرخين الاغريق القدماء مثل هيرودوتس HERODOTUS واسطرابون STRABO وايودوكسوس EUDOXUS .

٣ ـ وثالثاً ـ وأخيراً ، ما هو الرأي الثابت والنهائي للنظريات الحديثة حول حقيقة

---

١ ـ وبهذه الصيغة يمكن ان نسميهم « آسيوي ـ أوروبا » .

٢ ـ راجع مطلع هذا الفصل .

٣ ـ راجع بخصوص حياة هذا المؤرخ المعروف الباب الثالث من هذا الكتاب .

٤ ـ وبهذه الصيغة يمكن أن نسميهم « أوروبيو ـ آسيا » .

٥ ـ هي البلقان كما سيمر معنا في هذا الفصل .

تشكل الأمة الأرمنية ، وبالتالي اعتبارها من الشعوب الهندو أوروبية؟ . . وهو السؤال الذي سيقودنا بدوره الى دراسة الانسان الأرمني نفسه .

١ ـ الأرمن من الشعوب الهندو ـ أوروبية ـ «الآسيوية »: رواية المؤرخ موسيس الخوريني ، وأسطورة بيل وهاييك :

في الواقع تعتبر رواية موسيس الخوريني من قبيل الاسطورة LEGEND من الوجهة العلمية . كما وتدخل في الوقت نفسه في صميم التقاليد الشعبية الأرمنية ، تماماً كما هو الأمر بالنسبة لباقي الشعوب ، التي يعتز كل منها باحدى الروايات ويحفظها كأرث حضاري دائم .

والمهم ، فيما يخص موضوعنا ، ان المؤرخ المذكور يجعل الأرمن من أبناء يافث بن نوح JAPHETH ، حيث تناسل من يافث جومر GOMER أو توغرومة ، ومن هذا انحدر تيراس TIRRACE ، ومن نسل هذا الأخير جاء هاييك HAYK « أبو الأرمن»، الذي تمرد على بيل BEL ملك البابليين عقيب دمار برج بابل TOWER OF BABEL، فخرج بعشيرته « الأرمنية » التي عدت ٣٠٠ رجل وامرأة من بابل (في العراق)، واتجه شمالاً نحو اقليم آرارات ARARAT، حيث توقف أثناء مسيرته هذه لفترة من الزمن بالقرب من أرض احدى الشعوب القديمة وأخضعها الى حفيده أرميناك ARMENAK ، ابن ابنه قدموس CADMUS ، ثم غذى سيره متجهاً الآن نحو الشمال الغربي ، حتى بلغ سهلاً مرتفعاً أسماه هارك HARK ، بنى فيه قرية[1] صغيرة .

لوحة رقم ٤

وحينما نما الى علم BEL ، (ملك بابل)[2] ، نبأ تمرد هاييك ومحاولاته هذه

---

١ ـ راجع كتاب الأرمن لمؤلفته البروفسورة سيرارپيه دير نرسيسيان، ص: ٢١
SIRARPIE DER NERSESSIAN: THE ARMENIANS: p.p.: 21

٢ ـ بابل مدينة قديمة في العراق في أرض الرافدين كانت قاعدة امبراطورية البابليين وتقع على الفرات الى الشمال من المدن التي ازدهرت في جنوب بلاد الرافدين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد. . وبلغت أوجها في عهد حمورابي (٢١٠٠ قبل الميلاد) الذي جعلها عاصمة له. دمرها الملك الأشوري سنخاريب ثم أعيد بناؤها حيث بلغت أوج ازدهارها في دولة بابل الثانية NEO BABYLON ، وفيها بني برج بابل المشهور . أما البابليون أنفسهم

التي ترمى الى تأسيس دولة من نوع ما ، أرسـل اليه ابنـه عارضـاً عليه جملـة من الشروط[1] ، منها عودته عن هذا العصيان . . . فرفض هاييك ، وعندئذ جهز بيل جيشاً كبيراً ، واتجه الى مواقع هاييك ، حيث جرت معركة طويلة بـين الطرفـين بالقرب من بحيرة الماء المالح LAKE OF VAN انتهت بانتصـار هاييك على الجيش لوحة رقم ٨ البابلي ، سيما عندما رمى هاييك خصمه بيل بسهم قاتل اخترق صدر هذا الأخـير وأرداه قتيلاً ، فتفتت جيشه ، وانسحب من أرض المعركة ، وبمناسبة هذا الانتصار الذي حققه هاييك ، بنى قرية أسماها هاييك (على اسمه أيضاً) ، وما لبث الاقليم بكامله (الذي انتشر فيه أبناء هاييك وأحفاده وعشيرته) ، إن اسمي هايوتس دزور HAYOTS' DZOR [2] أي « وادي الأرمـن » . . كما وأسـميت هذه الأمـة بـ هايي HAI ، نسبة الى مؤسسها هايك HAYK نفسه ، وأخيراً أسمى الأرمن بلادهـم

فهم سكان امبراطورية قديمة ببلاد ما بين النهرين قامت بعد سقوط الامبراطورية السومرية في الألف الثالثة قبل الميلاد . وازدهرت في هذه الدولة حضارة عظيمة أثرت على أوروبا نفسها فيا بعد . وضعوا نظم دقيقة للري والتجارة . استولى الحثيون عليهـا في القـرن ١٨ قبـل الميلاد ، ثم عادت مجـدداً ، (كما سنذكر) ، على يد نوبولاسار حوالي عام ٦٢٥ قبل الميلاد الذي تحالف، كماسنرى (عام ٦١٢ ق.م.) مع الميدين والفارسيين على إسقاط الدولة الآشورية .

١ـ لنا رأي طريف بخصوص أسباب نشوب هذه الحرب ، بل وفي خروج هاييك نفسه من بابل ، وهو أن سببها كان عاطفياً بالدرجة الأولى ، وهو ما تبينه شروط بيل BEL الى هاييك HAYK التالية وحسب تطورها : تقول الاسطورة (وكان الجيشان الأرمني والبابلي يستعدان للقتال) انه :

١ ـ خلال الاحتفالات بعيد ناواصارت (عيد وثني أرمني قديم (رأس السنة) انقلب الآن الى عيد قومي) ، وصلت الى هاييك شروط بيل الثلاثة التالية لإحلال السلام:

آ ـ إطاعة بيل. ب ـ قبول دين فراس المجوسي . جـ ـ زواج بيل بهايكانوش ابنة هايك فيرفض هاييك.

٢ ـ ثم يرسل بيل بعد قليل وفداً ثانياً يعرض الشروط نفسها . . ويرفض هاييك أيضاً.

٣ ـ ويمر وقت على هذا الوفد. ثم لا يلبث بيل ، قبل بدء المعركة ، أن يعرض على هايك شرطين فقط :

آ ـ إطاعة بيل. ب ـ تزويجه بهايكانوش. ويرفض هاييك ثالثة.

٤ ـ يأسر بيل ابنة هاييك « هايكانوش » ، ويعرض عليها الزواج ، فترفض ، فيرسل وفداً الى أبيها يعرض عليه الآن شرطاً واحداً : آ ـ السماح له بالزواج من هايكانوش. ويرفض هايك الشرط. . ثم تقع المعركة. هي اذن أولاً ثلاثة شروط ، ثم تقلصت الى شرطين ، وانتهت الى شرط واحد فقط : هو الزواج بهايكانوش! وعلى كل فهو مجرد رأي. . وبهذا المعنى ربما ترك هاييك بابل لرفضه أصلاً هذا الحب؟ . .

٢ـ نفس المرجع السابق (دير نرسيسيان).

(أي أرمينيا) هايستان HAYASTAN [1] ، أي بلاد هاييك .

جرى هذا كله عام ٢١٠٧ قبل الميلاد ، كما تحدد الأسطورة . واعتباراً من هذا التاريخ ، أي تاريخ تسمية هذه المناطق والبلاد (في آرارات) التي احتلها هاييك باسم بلاد الأرمن ، بدأت الدولة الأرمنية الأولى (الهايكانية أو الهايكاظانية) مسيرتها . . حيث وضع هاييك الأسس الأولية اللازمة للمجتمع الجديد ، من سن القوانين (على الطريقة البابلية ـ حمورابي ٢١٠٠ قبل الميلاد) ، وتوزيع الأراضي ، وتحديد المسؤوليات الخ . .

« وعندما توفي هاييك[2] سنة ٢٠٢٦ وعمره ٤٠٠ سنة[3] ، عهد بالحكم الى ابنه أرميناك ، فمضى هذا بأخوته من مركز الحكومة(؟)، الى شمالي أرمينيا ، وسمي ذلك المكان أركاس .

ثم كثر أولاد أخوته وانقسموا الى ثلاث طوائف وهم : المثانافاسيون ، والخوريون، والباظيون . . وتوفي أرميناك بعد ٤٦ سنة من ملكه ، وخلفه ابنه أرمايوس سنة ١٩٨٠ قبل الميلاد وملك أربعين سنة . فقام بعده ابنه ماسيوس سنة ١٩٤٠ قبل الميلاد ومات بعد ٣٢ سنة من الملك . فخلفه ابنه الأكبر كيغام سنة ١٩٠٨ قبل الميلاد فملك ٥٠ سنة ثم مات . وخلّفه ابنه حارموس سنة ١٨٥٨ قبل الميلاد فملك ٣١ سنة ومات ، بعد أن عهد لابنه أرام سنة ١٨٢٧ قبل الميلاد .

ففي كل هذه المدة أي من سنة ٢٠٢٦ الى سنة ١٨٢٧ قبل الميلاد ، لم يذكر الرواة شيئاً مهماً عن دولة الأرمن ، لأن ملوكها المذكورين كانوا قليلي الهمة . . ، فلبثت مملكتهم لا أهمية لها ، ولا سلطة قوية . . ولذلك طمحت اليها عيون

---

١ ـ سوف نرى في نبذة لاحقة من هذا الفصل « ان اشتقاق اسم هايستان » قد تم، برأي المؤرخين الأرمن المعاصرين ، استناداً الى قبائل هاياسا HAYASA .

٢ ـ راجع بخصوص هذا النص المقتبس حرفياً الصفحات ٢٩٧ ـ ٢٩٨ من دائرة معارف: فؤاد افرام البستاني الجزء ١٠.

٣ ـ ثمة ما يؤيد مثل هذه الأعمار الطويلة في الكتب المقدسة .

الأعداء . . حتى استولوا على أكثرها.

فقام أرام ، وهو ثاني ملوكهم الكبار[1] ، فرد ما سلبته يد العدو من البلاد. وافتتح أراضيهم وأخذ قسماً من قبادوقية ، وبنى مدينة مازاكا القديمة التي سميت بعد ذلك قيسارية قبادوقية. فرجعت البلاد والدولة الى أحسن حالة . ثم مات آرام بعد نحو ٥٨ سنة من الحكم[2] . وخلفه ابنه آرا المشهور بجماله (وقد عشقته سميراميس ملكة آشور وأرادت الزواج به فرفض فحاربته حيث قتل الخ ـ المؤلف) ، ونصبت مكانه ابنه كارطوش عام ١٧٤٣ قبل الميلاد . ثم خضعت الدولة للسريان[3] وأصبحت دولة سريانية[4] . وتولى الحكم فينوس (الذي قتل كارطوش) ، الى أن شب ابن هذا الأخير المسمى أنوشافان فحكّمه فينوس على قسم من أرمينيا عام ١٧٢٥ قبل الميلاد ثم حكمها كلها وملك ٦٣ سنة ومات ولم يعقب .

فقام مكانه بارد من نسل هايك سنة ١٦٦٢ قبل الميلاد فتولى ٥٠ سنة ، ثم تعاقب بعده الملوك الى سنة ٥٦٥ حين جلوس ديكران . وخلال هذه المدة (والكلام ما زال لدائرة المعارف) لم يذكر الرواة الأرمن شيئاً مهماً عن دولتهم إلا أنها كانت تدفع الجزية أحياناً. « انتهى ».

إن هذه الصورة التي رسمتها التقاليد الشعبية الأرمنية ، وموسيس الخوريني بالذات ، لتاريخ الأمة الأرمنية ، تؤيد ما ذهبنا اليه في مطلع هذا البحث ، من أن الشعب الأرمني قد بقي ، رغم أصوله الآرية-الهندو- أوروبية ، في حدود القارة الآسيوية لا يغادرها الى أوروبا ، بدليل ما أوردته هذه الرواية ـ الاسطورة من هذا التسلسل الزمني المحكم والمترابط لتاريخ تسلم كل ملك أرمني لسدة الحكم ثم تسمية خليفته المباشر على مدى السنوات ٢١٠٧ قبل الميلاد وحتى عام ٥٦٥ قبل الميلاد.

---

١ - وتقصد دائرة المعارف (على ما نعتقد)، الثاني بعد هايك نفسه.

٢ - مما لا شك فيه أن هذه الأسطورة ، رغم هذا الاعتبار ، تبقى في أصولها العامة ذات جذور تاريخية حقيقية.

٣ - ٤- لم يُعرف ابداً حكم السريان لارمينيا. ولاشك ان المقصود بهم هم «الاشوريون» ترجمة للكلمة الانكليزية ASSYRIANS (المؤلف)

أما كيف ينتسب الأرمن ، رغم هذا « الاستقرار الآسيوي » ـ إن صح التعبير ـ الى فئة الشعوب الهندو أوروبية ، فهو موضوع النبذة ـ ما بعد القادمة ـ ، حيث سنبرز ما قرره العلماء ـ علماء السلالات البشرية : الالمان والافرنسيين والايطاليين ـ حول هذا الخصوص .

٢ ـ الأرمن من الشعوب الهندو أوروبية ـ « الأوروبية » ـ نظريتا المؤرخين الاغريقيين ،هيرودوتس واسطرابون :

خريطة رقم ٢

يتفق هذان المؤرخان في القول ، بأن الأرمن هم احدى القبائل الهندو ـ أوروبية التي نزحت عن آسيا ثم استقرت في أوربا . إلا أنهما يختلفان في تحديد الموقع أو الأرض التي سكنتها هذه القبائل الأرمنية في هذه القارة، ثم يعودان فيتفقان من جديد على أن الأرمن ومعهم الفريجيون PHRYGIANS ، والتراقيون ، ما لبثوا أن غادروا القارة الأوروبية عائدين الى آسيا عبر البوسفور والدردنيل ، حيث استقروا جميعاً في فريجيا PHRYGIA (بآسيا الصغرى غربي تركيا اليوم) ، ثم انفصل الأرمن عن هذين الشعبين ، وتوغلوا في الأناضول ، شرقاً ، وحتى « أرمينيا » .

١ ـ نظرية المؤرخ اليوناني هيرودوتس HERODOTUS [1]

يميل هذا المؤرخ الى القول بأن الأرمن قد سكنوا أولا في البلقان ، وفي تراقيا بالذات ، وانهم احدى تلك القبائل الفريجية التي سكنت المنطقة نفسها . ويدلل على قوله الأخير هذا بأن شلاح الأرمن كان من نفس النوع الذي استخدمه أنسباؤهم الفريجيون[2] . وما لبث الطرفان ، أي الأرمن والفريجيون، ومعهم التراقيون ، ان

---

١ ـ مؤرخ اغريقي ٤٨٤ ـ ٤٢٥ قبل الميلاد (وهذا التاريخ لم يتأكد منه العلماء بعد) . ولد في هاليكارناسوس بآسيا الصغرى ، وعاش حتى بداية الحروب البلوبونيزية ٤٣١ قبل الميلاد . زار بلاداً كثيرة ، وكتب عن الصراع الفارسي ـ اليوناني . وقد وصفه شيشرون على انه « أبو التاريخ » ، حيث عالج التاريخ ، لا باعتباره مجموعة حكايات شائقة عن الآلهة والبشر ، بل باعتباره موضوع بحث علمي . وقد ذكر أرمينيا وأحوالها القديمة في تاريخه .

٢ ـ ويؤيده في هذه النظرة أيضاً المؤرخ اليوناني ايودوكسوس EUDOXUS . ويضيف الى ذلك أن اللغة المحكية من الشعبين متشابهة مما يوحي بالأصول المشتركة .

غادروا البلقان في القرن الثاني عشرقبل الميلاد الى آسيا، عبر البوسفور والدردنيل ، حيث استقروا في فريجيا في القرن الثامن قبل الميلاد ، ثم ما عتم الأرمن أن تركوا فريجيا وتوغلوا شرقاً ، وعلى مراحل ، حتى وصلوا آرارات في أواخر القرن السابع ، حيث نفذوا الى أرمينيا نفسها عقيب اضمحلال الدولة الأوراردية .

٢ ـ أقوال المؤرخ اليوناني اسطرابون[1] STRABO

أما اسطرابون فيربطسكنى الأرمن لأوروبا ، وهم احدى القبائل التراكو-فريجية[2] برأيه أيضاً، بمنطقة تساليا THESSALY في شمالي اليونان . كما ويورد في جغرافيته المعروفة باسمه ، أقوال ضابطي الاسكندر ، كيرسيلوس الفرسالي ، وميديوس اللاريسي ، اللذين ادعيا أن اسم أرمينيا مشتق من اسم أرمينوس ARMENUS الذي سافر مع جاسون JASON [3] الى خلقدونية ، ثم غادراها معاً الى بحر قزوين CASPIAN SEA ، مروراً بايبيريا IBERIA (جيورجيا اليوم) ، والبانيا ALBANIA (اذربيجان حالياً وهي غير البانيا الثانية في اليونان) ، من أجل الحصول على الصوف الذهبي ، حتى وصلا أرمينيا . وما لبثا أن قفلا عائدين الى موطنهم (تساليا) ، التي رفض ملكها ـ لسبب غيرمعروف ـ دخولهما البلاد ، فيقوم أرمينوس ويجمع مؤيديه وقواته ، ثم يعود الى « أرمينيا » ويؤسس مملكة تعرف باسمه « أرمينيا » .

إلا أن اسطرابون STRABO نفسه لا يأخذ كثيراً بهذه الرواية ، وإن كان ،

---

١ ـ ولد عام ٦٣ قبل الميلاد وتوفي بعد عام ٢١ . هو جغرافي ومؤرخ يوناني درس في آسيا الصغرى واليونان وروما والاسكندرية . وزار أوروبا وغرب آسيا وشمال افريقيا . وترك كتاباً في الجغرافية (معروف باسمه) من ١٧ جزءاً غنياً بالمعلومات عن العالم القديم استند فيه إلى مشاهداته الخاصة وكتابات من تقدمه من الجغرافيين . خصص بعض كتاباته عن أحوال أرمينيا ـ كما مر معنا.

٢ ـ وهي القبائل الهندو أوروبية (التي ضمت الأرمن أيضاً) . وقد استوطنوا ـ أي التراقيون الأوائل ـ منطقة تراقيا الى الغرب من بحر الأدرياتي (سنفصل بهذا بعد قليل) .

٣ ـ طاغية نيراي (باليونان) . وحد إقليم « تساليا » لمدة قصيرة مع مدينتي لاريسا وكرانون عام ٣٧٤ قبل الميلاد ثم استولى عليها فيليب المقدوني (والد الاسكندر الكبير)،عام ٣٤٤ قبل الميلاد.

كسابقه المؤرخ هيرودوتس ، يؤكد هجرة القبائل الفريجية (ومنها الأرمن) ، الى الأرض التي عرفت باسمهم ـ فيما بعد ـ « فريجيا » في آسيا الصغرى . ويفصل أكثر ، بشأن هذه المرحلة وسابقتها فيقول : أن أصل الفريجيين هو من اقليم تراسيا THRACE باليونان ، ثم دخلوا مع الأرمن آسيا الصغرى مما يعرف اليوم ببلغاريا BULGARIA عقيب الحروب الطورجانية TRAJAN وما لبث[1] الأرمن أن اتجهوا نحو أراضي أرارات حيث استقروا أولاً في المنطقة المعروفة (اليوم) باسم أرزنجان ، ERZINJAN ، وحوالي حوض الفرات والزاب الكبير ، ثم من هذه المنطقة اتجهوا ـ بعد زمن ـ شرقاً ، حتى منطقتي قاليكلا CALACHENE وآديابين ADIABENE ، وفي وقت لاحق نفذوا الى داخل أرمينيا واحتلوا الهضبة الأرمنية بكاملها .

وفي الحقيقة ، فان تعقب نظرية اسطرابون STRABO في شطرها الأول ، أي في اعتبارها الفريجيين ، ومنهم الأرمن ، من أصل تسالي (نسبة الى تساليا) ، يوضح ، كما ، ويربط بين أصل سكان البحار SEA PEOPLE [2] (الذين أشرنا اليهم في حاشية سابقة [3] ، وعرفتهم آسيا الصغرى في القرن ١٢ قبل الميلاد ، حيث بقي موطنهم الأصلي مجهولاً حتى الآن برأي بعض المؤرخين) ، وأصل هذه القبائل التراقو ـ فريجية من جهة ، ومراحل تنقل الأرمن في آسيا الصغرى ، وحتى وصولهم أرمينيا ـ خلال الفترة التاريخية نفسها ـ أي القرن ١٢ قبل الميلاد ، من جهة ثانية .

فمن الثابت تاريخياً ، ان هجرة سكان البحار هؤلاء ، أي القبائل القادمة من ما وراء البحار ، (بالنسبة لأساطير سكان آسيا الصغرى في ذلك الوقت من حثيين وآشوريين وحتى أوراديين) ، قد حدثت ـ كما نوهنا ـ خلال القرن الثاني عشر

---

(١) راجع كتاب الأرمن THE ARMENIANS لمؤلفته : سيراربيه دير نرسيسان ـ ص: ٢٢ .

(٢) راجع بخصوص هؤلاء كتاب:
DAVID MARSHALL LANG, ARMENIA CRADLE OF CIVILIZATION

(٣) الصفحة ٨٤ من هذا الكتاب

قبل الميلاد . كما وانه من الثابت تاريخياً أيضاً ، ان هجرة الفريجيين (ومنهم الأرمن والتراقيين) الى نفس المنطقة التي وصلها « سكان البحار » - أي آسيا الصغرى - ، قد حدثت بدورها في نفس التاريخ .

وأيضاً ، فقد تأكد لدينا أن شبه جزيرة البلقان ، كأرمينيا نفسها ، كانت منذ القديم ، وخاصة خلال العصر البرونزي[1] ، مركزاً لاضطرابات عنصرية متشابكة ومتداخلة . . إذ أصبحت بدورها نقطة التجمع بالنسبة للقبائل الهندو أوروبية القادمة من آسيا ، والمنطلقة الى أعماق أوروبا ، في الوقت الذي بقيت فيه بعض هذه القبائل ضمن هذه المنطقة ، واستقرت فيها كموطن دائم لها (الفريجيون) .

وهكذا شهدت هذه الأراضي التي تشكل وحدة جغرافية مترابطة ، والتي تضم المناطق التالية :

المنطقة الأولى : شبه جزيرة البلقان ، التي تقع جنوب شرقي أوروبا بين البحر الأسود في الشرق ، والبوسفور ، وبحر مرمرة وبحر إيجه في الجنوب ، وبحر يونيا والبحر الأدرياتي في الغرب . وتدخل فيها البانيا وبلاد اليونان وجنوب شرقي رومانيا وبلغاريا ومعظم يوغوسلافيا.

المنطقة الثانية : تساليا ، وهو إقليم يقع شمالي بلاد الاغريق (اليونان) .

المنطقة الثالثة:[2] تراقيا ، وهو إقليم يقع جنوب شرقي أوروبا ويشمل اليونان وجنوبي بلغاريا .

---

١ - نقصد بالعصر البرونزي بالنسبة للبلقان نفس التاريخ الذي استغرقه في ارمينيا (١٥٠٠ - ٩٠٠ قبل الميلاد) ، اي أننا نعالج الفترة التاريخية في المنطقتين عبر هذا التاريخ الواحد.

٢ - إن هذه المعلومات الجغرافية - والسكانية والبشرية (الاثنوغرافية) ، ضرورية لتفسير :

١ - سبب هجرة القبائل التراقو فريجية (ومنهم الأرمن) من أوروبا الى آسيا ، وبالتالي فهم الأصول العرقية للأرمن التي سنعالجها في النبذة القادمة مع تشكل الأمة الأرمنية نفسها.

٢ - «الربط بين سكان البحار، وبين هذه القبائل، واستنتاج انهم شعوب واحدة» - كما أشرنا. وقد نكون على خطأ في هذا، ولكن، المهم انه رأي أيضاً.

نقول ، شهدت هذه المناطق ما يلي :

١ ـ الى المنطقة الأولى (البلقان) ، وإقليم « الليريا » منها بالذات (الذي تعذر تعيين حدوده بدقة ، وإن كان قد ثبت إشراف قسم منه على الشواطيء الشمالية والشرقية للبحر الأدرياتي) ، وصلت منذ العصر الحجري الحديث ، قبائل هندو ـ أوروبية استقرت فيه ، وعرفت باسم « شعوب الليريا » ، ومنها قبائل الدلماشيين والبانويين .

٢ ـ والى المنطقة الثانية (تساليا) وصلت، وفي عهود غير محددة زمنياً، قبائل هندو ـ أوروبية أيضاً ، هي القبائل التراقو ـ فريجية (أي الأرمن والفريجيين والتراقيين حسب نظرية المؤرخ اسطرابون) .

٣ ـ والى المنطقة الثالثة (تراقيا) وفدت أيضاً قبائل هندو أوروبية ، وفي تاريخ غير محدد ، عرفت باسم القبائل التراقية ، سكنت هذه المنطقة ، وتألفت من الأرمن والفريجيين والتراقيين ، حسب نظرية هيرودوتس .

والآن ، وبغض النظر عما إذا سكن الأرمن وأنسباؤهم تساليا أو تراقيا ، تبعاً لنظرية سترابون أو هيرودوتس ، فان هذه المناطق الثلاث ، وهي البلقان عموماً ، قد شهدت في القرن الثاني عشر ق.م. بالذات قيام سكان المنطقة الأولى « اقليم الليريا » ، وخاصة منهم قبائل الدلماشيين والبانونيين المذكورة ، بدفع هذه القبائل الثلاث ؛ الفريجية ، والأرمنية ، والتراقية ، من المنطقة الثانية (تساليا) ، أو الثالثة (تراقيا) ، واضطروها ـ عبر الحرب ـ للنزوح وعبور البوسفور الى آسيا ، وآسيا الصغرى بالذات ، حيث بقيت ثلاثتها في هذا « الوطن الجديد » مدة من الزمن اضطرت خلالها للاشتباك ـ ثانية ـ مع السكان المحليين ، الأشوريين والحثيين ، في حروب مستمرة أدت الى تشتتها وتفرقها ، فاتجهت احداها ، وهي الأرمنية ، في القرن الثامن ، شرقاً نحو الفرات ، والمجرى الأعلى منه ، والى الدجلة على وجه التحديد ، حيث يقطن شعب هاياسا HAYASA الحثي .

٣ ـ النظريات الحديثة في أصل الأرمن وتشكل الأمة الأرمنية : اشتقاق اسمي هايستان وأرمينيا .

تجمع النظريات التاريخية الحديثة ، كما وتؤكد ، على أن أصل الأرمن من البلقان[١] بالذات . وأن تشكل الأمة الأرمنية ، برأي غالبية المؤرخين الأرمن المعاصرين ، وغير الأرمن ، قد بدأ في القرن الثامن للميلاد ، عقيب مغادرتهم فريجيا ، متوجهين شرقاً نحو الفرات EUPHRATES ، الذي وصلوه بعد توقفات زمنية قصيرة على مدى المسافة الفاصلة بينه وبين فريجيا .

وكيما نكون أكثر دقة ، فان تشكل الأمة الأرمنية ، قد بدأ بالتحديد ، منذ اللحظة التي وصلوا فيها الأراضي المحصورة بين نهر هاليس HALYS من جهة ، ونهري الدجلة TIGRIS والفرات من جهة ثانية . وهي المنطقة التي كانت تؤلف في ذلك الوقت المقاطعة الشرقية من الامبراطورية الحثية HITTITE EMPIRE ، المعروفة باسم هاياسا HAYASA ، أي الأراضي المنساحة على امتداد المجرى الأعلى للفرات ، والتي شكلت فيما بعد الأراضي الجبلية الشمالية المرتفعة من « أرمينيا » .

وفي هذه المنطقة بالذات ، كما أشرنا ، بدأ الأرمن الآن بالتمازج تدريجياً مع السكان الحثيين هؤلاء حتى تمكنوا ، وفي غضون حقب قليلة ، من السيطرة عليهم وعلى بقية القبائل العديدة الأخرى المنتشرة في هذا الاقليم ، ثم فرضوا عليها نفوذهم . وقد ساعدهم على ذلك هذا التقارب الملحوظ بين لغتهم ـ أي الأرمن ـ الهندو أوروبية ، وبين اللغة المحكية من قبل سكان هذه المناطق ، والتي تنتمي بدورها الى عائلة اللغات الهندو أوروبية القديمة السائدة ـ وقتذاك ـ في آسيا الصغرى : كالفريجية والحثية واللادية الخ . . .

وفي نفس الوقت ، وبعد أن تمكن الأرمن من بسط نفوذهم على هذه القبائل ، بدأت بعض عشائرهم بالانحدار ، تدريجياً ، من هذه المرتفعات الواقعة

---

١ ـ أي انها تؤيد نظرية هيرودوتس في شطرها الاول .

شمالي أورارد و (وأرمينيا فيما بعد) ، الى السهول في الجنوب ، وغربي بحيرة وسهل فان VAN ، حيث كانت تسكن قبائل من أصل حوري HURRIANS عرفت باسم SHUPRIA أو SHUBRIA . وما لبثت العشائر الأرمنية هذه ، وفي غضون قرن أوأكثر ، إن ازداد عددها في هذه السهول ، بحيث شكلت أغلبية سكانية ملحوظة ، دفعت الملك الأورادي ساردوري الثاني SARDURI II ، في مدوناته العائدة لمنتصف القرن الثامن للميلاد ، الى تسمية سكان هذه المنطقة باسم آخر هو آرميه ARME أو أرميني ARMINI (ربما نسبة الى اسم هذه العشائر الوافدة) .

ومع مرور وقت غير طويل ، على تلك البداية الزمنية لهذا التمازج في سهول أورارد و ، تمكن الأرمن من بسط نفوذهم ثانية في هذه الأقاليم ، على غرار ما فعلوه في الشمال (في منطقة هاياسا) حيث أخضعوا القبائل المتواجدة هنا الى اتحاد أسمي : أرميني - شوبريا ARMINI-SHUBRIA .

وبعد سقوط الامبراطورية الحثية ، آلت مقاطعتها الشرقية هاياسا ، آلياً ، الى سكانها الجدد (الأرمن) ، كما اختفى اسمها هذا (هاياسا) من الوجود ، وفق ما تأكد من ذلك المؤرخون المعاصرون عبر مراجعتهم المدونات الآشورية والأورادية العائدة لهذه الفترة ، التي أخذت الآن تسمى المنطقة التي كانت تمثلها هاياسا باسم : SOKHMI أو SUKHMI .

وبعد سنوات عديدة ، وقبيل سقوط الامبراطورية الأورادية ، بل وخلاله ، أضحى الاسم الجديد لشعوب الشمال (في هاياسا) ، مزيجاً من هذا الاسم الأخير ، والاسم الذي يحمله سكانها الجدد (الأرمن) : هايي HAI ، أي هايستان HAYASTAN. وبالسقوط النهائي للامبراطورية الأورادية ، استفاد الأرمن من هذا الوضع ، حيث انضم الآن الأرمن في الجنوب (وان VAN) ، أي اتحاد أرميني - شوبريا ARMINI - SHUBRIA إلى الأرمن في الشمال (أي هايستان) ، وعادوا فألفوا بلداً موحداً عرف باسمه الجديد ، هايستان ! .

وفي الحقيقة فان هذا التمازج الأرمني ـ الأوراردي (قبائل الجنوب) ، والحثي (قبائل الشمال) ، والحوري والميتاني (قبائل وان) ، قد استغرق قرنين (هما السابع والخامس) ، وانتهى أخيراً الى ظهور الشعب الأرمني ، كما رأينا .

أما بالنسبة لاسم أرمينيا ، فان الجيورجيين ، الذين تجاور بلادهم أراضي هذا الشعب الجديد ، قد استخدموا الاسم SOMEKHI (الذي حل محل اسم SOKHMI الذي ذكرناه قبل قليل) للدلالة على جيرانهم الجدد ، أي الأرمن ARMENIANS ، كما استعملوا تسمية SOMKHEI كاسم لارمينيا نفسها ARMENIA .

وقد رأينا ، أن الأرمن كانوا يسمون أنفسهم بـ هايي HAI ، وبلادهم أصبحت تسمى الآن هايستان ، في حين أن اللفظ SOMEKHI الجيورجي ، كان يعني عند الايرانيين (الفرس) اسم أرمينا ARMINA [1] ، وهو الاسم الذي يتحول بدوره باللغات الاغريقية واللاتينية الى: أرمينيا ARMENIA ، كما نعرفه اليوم .

وبعد ٣٠ عاماً من هذا التاريخ (٥٨٥ أو ٥٨٠ قبل الميلاد) ، أي سنة ٥٥٠ قبل الميلاد ، أسمى المؤرخ الاغريقي هيكاتايوس الملتي HECATAEUS OF MILETUS ، الشعب الأرمني بـ : أرمينوي ARMINOI أو ARMENOI [2] ، وكانت هذه هي التسمية التاريخية الأولى للأرمن بما يشبه اسمهم الحالي .

ثم وجد اسم أرمينيا ـ كما نعرفه اليوم تقريباً ـ في المدونات (أي النقوش) المحفورة على صخرة بيهستون BEHISTUN [3] ، التي تركها الامبراطور الايراني داريوس الأول DARIUS I عام ٥٢١ قبل الميلاد ، والتي تشير الى بلاد الأرمن على انها : أرمينا ARMINA

---

١ ـ راجع بخصوص هذا البحث كتاب : ARMENIA: CRADLE OF CIVILIZATION ص: ١١٤ .

٢ ـ راجع : الأرمن ، سيراربيه دير نرسيسيان ص: ٢٠

٣ ـ تنتسب هذه الصخرة الى الموقع الذي وجدت فيه ، وهي قرية بيهستون بغربي ايران وشرقي كرمنشاه. إذ يوجد بالقرب منها صخرة جبلية عليها نقوش مكتوبة باللغات : الفارسية PERSIAN ، والبابلية الجديدة

ومنذ هذا التاريخ ، وقد تشكل الشعب الأرمني ، وانتهى تألفه ، بدأت مسيرة الدولة الأرمنية التي استغرقت ٢٥ قرناً هي الزمن الممتد بين أعوام ٥٨٥ قبل الميلاد - ١٩٢١ ب.م. (كما سنرى).

٤ - إثباتات علماء الأنسال البشرية حول اعتبار الأرمن من الشعوب الهندو أوروبية - الشكل الأرمني:

أشرنا في مطلع هذا الفصل الى أن علماء السلالات البشرية ، الالمان والافرنسيين والايطاليين ، قد أثبتوا ، عقيب دراسات مفصلة ودقيقة تناولت بالتحليل تاريخ الشعب الأرمني وأصوله العرقية وأوصافه الفيزيولوجية ، انه من الشعوب الهندو - أوروبية.

وبالفعل فقد أدت أبحاث العلماء المختصين المعاصرين أمثال غروسيه GROUSSET ، وأدونتس ADONTZ ، الى تأكيد هذا الانتماء الأرمني الى فصيلة الشعوب الهندو - أوروبية ، سواء من الناحية اللغوية أو العرقية ، مع اعترافهم بتأثر هذا الشعب من هذه النواحي ، وبحدود ، وكما هوالأمر بالنسبة لشعوب العالم قاطبة ، بالشعوب القديمة التي خالطوها من حثيين وحوريين وميتانيين (الى آخر ما ذكرناه سابقاً) ، وإن كانوا قد بقوا - أي الأرمن - محتفظين بنقاوتهم الأصلية.

وقد أيدهم في ذلك أيضاً علماء آخرون أمثال روزباخ RHOZBACH وماكس MAX وكلند KLYNDE وكارل روث CARL ROTH .

وأكثر من هذا ، فقد قرر هؤلاء العلماء ، ومعهم نانسن NANSEN ، وبيتار BITTARD ، من علماء السلالات البشرية ، ان للانسان الأرمني شكلاً متميزاً ،[1]

NEO-BABYLON ، والانزانية ، وثلاثتها تستخدم الحروف المسمارية.

وقد نقل هذه النقوش السير هنري رولنسون عام ١٨٣٥ ميلادية ، واستطاع فك رموزها ، حيث تمكن المؤرخون من دراسة تاريخ ارمينيا وبلاد ما بين النهرين على حد سواء.

١ - راجع بخصوص هذه الأبحاث : تاريخ الأمة الأرمنية (استارجيان) ، ودائرة معارف فؤاد افرام البستاني. وكتاب طبقات الأمم والسلائل البشرية ، ومراجع الفصل السابق أيضاً.

تماماً كاللغة الأرمنية ، أسموه « **الشكل الأرمني** » ، واعتمدوه نموذجاً خاصاً للدراسات المتعلقة بهذا الخصوص.

وحسبما خلص اليه هؤلاء العلماء ، فان السمات البارزة في الشخص الأرمني ، من الناحية الفيزيولوجية ، هي كالتالي :

١ ـ القامة المتوسطة الأقرب الى القصر (معدل الطول ١٦٦ سم) ، والبنية القوية.

٢ ـ الجمجمة العريضة (القرنية الرأسية ٨٦ ، والرأس مبطط من الخلف) .
وعموماً يتصف الفرد الأرمني بشكل غير عادي للرأس يبدو مستقيماً ومسطحاً من الخلف ، ثم يلتف مع الجمجمة الى الأعلى.

٣ ـ استطالة الوجه على نحافة وضيق.

٤ ـ الشعر الأسود الفاحم الغزير المجعد FRIZZY .

٥ ـ الصدر العريض والشفاه الممتلئة.

٦ ـ سعة الفك وقوته.

٧ ـ قنو الأنف.

٨ ـ انبساط الخدين.

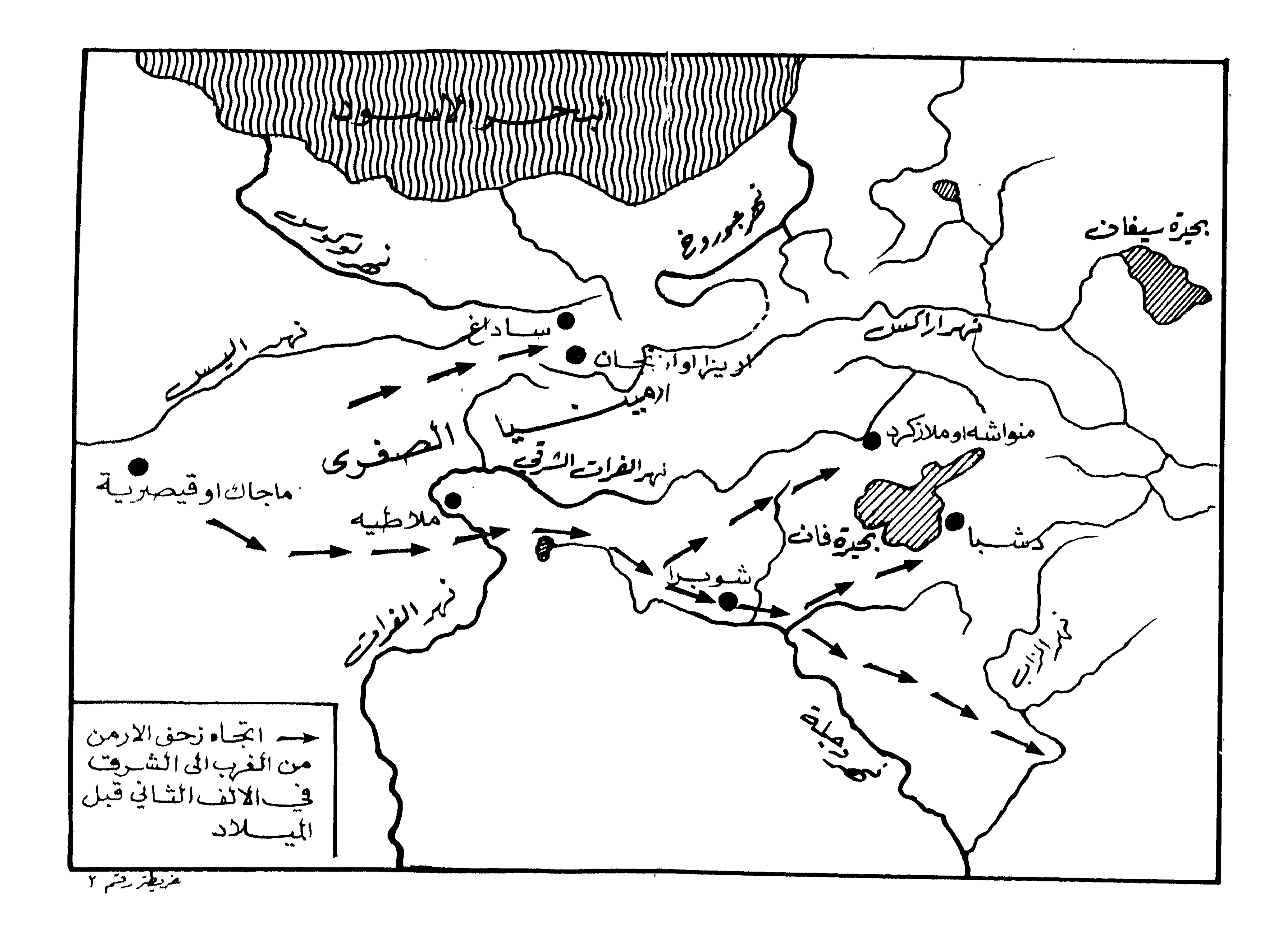
٩ ـ لون البشرة الأسمر المائل الى الأبيض.

ومن الناحية النفسية ، فان الأرمني هادىء - إلا إذا أثير - كثير التحمل للمشاق. وفي أحوال كثيرة يصعب توجيههم كمجموعة ، أو ترؤسهم نظراً لانفراد كل منهم برأي.

* * *




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



البحر الاسود
نهر جوروخ
بحيرة سيفان
نهر اليس
ساداغ
اريزا او ارزنجان
نهر اراكس
ارمينيا
الصغرى
نهر الفرات الشرقي
منواشه او ملازكرد
ماجاك او قيصرية
ملاطيه
بحيرة فان
دشبا
شوبرا
نهر الفرات
نهر الزاب
نهر دجلة
اتجاه زحف الارمن
من الغرب الى الشرق
في الالف الثاني قبل
الميلاد
خريطة رقم ٢



الباب الثاني

تاريخ الدولة الارمنية
أو تاريخ أرمينيا السياسي

THE POLITICAL HISTORY OF ARMENIA, or, THE HISTORY OF THE ARMENIAN STATE.

« أنظر الى الأمس حتى ترى الغد » . . .
هاكوب بارونيان .



في هذا الباب محاولة لاستعراض تاريخ الدولة الأرمنية منذ نشوئها في القرن السادس قبل الميلاد، وحتى ضياع استقلالها في القرن الحادي عشر في آني ANI [1]، أولا، ثم في القرن الرابع عشر في سيس SIS [2]، ثانياً، مروراً بعهود الاستقلال، أو الممالك الأرمنية الخمس..

وأيضاً بتلك الفترات التي خضعت فيها الدولة الأرمنية لنفوذ الامبراطوريات القديمة والحديثة.. ثم بيان أحوال هذه الدولة وشعبها منذ قرون الضياع (الحادي عشر والرابع عشر)، وحتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

وهكذا فان هذا الباب سوف يضم الفصول التالية:

الفصل الأول: أرمينيا وحكم الأجانب: الميديين والفرس (٦١٠ - ٣٣١ قبل الميلاد)، الأسرة الأخيمينية الفارسية THE ACHAEMENIDS، وتأثيراتها السياسية والاجتماعية والحضارية على الأرمن.

الفصل الثاني: المملكة الأرمنية الأولى (عهد الاستقلال الأول)، الأسرة اليروانتية ORONTIDS DYNASTY **٣٣١ - ١٨٩** قبل الميلاد.

أرمينيا وحكم السلوقيين SELEUCID: تأثيرات الحضارة الهيلينستية -

---

١ - عاصمة المملكة الأرمنية «الام» أرمينيا.

٢ - عاصمة المملكة الأرمنية «البديلة»: كيليكيا.

الفصل الثالث : المملكة الأرمنية الثانية (عهد الاستقلال الثاني) ، الأسرة الأرداشيسية ARTASHESES'DYNASTY ۱۸۹(۱۹۰) قبل الميلاد - ۱ بعد الميلاد :
الامبراطورية الأرمنية THE ARMENIAN EMPIRE ، وديكران الثاني الكبير.

الفصل الرابع : أرمينيا وحكم الملوك الأجانب: ۱ - ٦٦ بعد الميلاد .

الفصل الخامس : المملكة الأرمنية الثالثة (عهد الاستقلال الثالث)، الأسرة الارشاغونية ARSACIDS DYNASTY ٦٦ - ٤٢٩ بعد الميلاد .

الفصل السادس : أرمينيا بعد سقوط الأسرة الارشاغونية وحتى الفتح العربي ٤٢٩ - ٦٤٠ ميلادية :
الحروب الدينية (أفارايرAVARAYR) مع الفرس المزدكيين ، وأحوال أرمينيا السياسية خلال قرنين ونيف.

الفصل السابع : أرمينيا وحكم العرب : ٦٤٠ - ٨٨٥ ميلادية . الفتح العربي لأرمينيا ومراحله ، أرمينيا والعرب .

الفصل الثامن : المملكة الأرمنية الرابعة (عهد الاستقلال الرابع) ، الأسرة الباقرادونية BAGRATIDS DYNASTY. ۸۸٥ - ۱۰۷۱ (۱۰٤٥) ميلادية.
السلاجقة الاتراك SELJUK THE TURKS والبيزنطيين .

الفصل التاسع : المملكة الأرمنية الخامسة (عهد الاستقلال الخامس)، الأسرة الروبينية RUBENIDS DYNASTY ۱۰۸۰ - ۱۳۷٥ ميلادية:
مملكة كيليكيا KINGDOM OF CILICIA.

الفصل العاشر : أرمينيا بعد سقوط آني ANI (١٠٦٤ ميلادية) ، وسيس SIS (۱۳۷٥ م) ، وحتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ۱۰۷۱ - ۱۸۷۸ ميلادية .

* * *

الفَصْل الأول

أرمينيا وحكم الأجانب ٦١٠ - ٣٣١ قبل الميلاد
الميديين - الفرس
أرمينيا وحكم الأسرة الأخيمينية الفارسية THE ACHAEMENIDS.

لم يكن تشكل الأمة الأرمينية ، على النحو الذي مر رنا به في الفصل السابق ، كافياً في حد ذاته ، لقيام الدولة الأرمنية المستقلة ، على أعتاب هذا الحدث ، أو على المدى الزمني القريب المتدرج، رغم أن اثنين من الشروط الثلاثة[1]، اللازمة لنشوء الدول، قد توفرت لدى الأرمن، ونعني بهما الأرض والشعب.

وبهذا المعنى ، فان سقوط دولة أوراردو ، وظهور الأمة الأرمنية على مسرح التاريخ كشعب جديد ، وبديل للدولة القديمة ، وسكنه الأراضي نفسها التي كانت تشغلها هذه الدولة ، كانا (أي تشكل الأمة الأرمنية ، ووجودها على أرض محددة) غير كافيين من الناحية الواقعية لظهور الدولة الأرمنية المنشودة ، بسبب افتقاد هذه الأخيرة ، للشرط الثالث والأخير اللازم لنشوء الدول عامة ، وهو تحقيق سيادتها المطلقة على هذه العناصر الثلاثة مجتمعة .

١ - وهي الأرض والشعب والسيادة . ومع أن هذا التعريف لمقومات الدولة ، هو صيغة جديدة ، وضعها فقهاء الحقوق الدولية العامة في القرن الثامن عشر الميلادي (أنظر الصفحة ٤٥٥ من هذا الكتاب) ، إلا أنها عملياً تبقى مطلوبة في كل حين ، وخاصة عند تشكل الدول .

وكان يحول دون بروز هذه السيادة الأرمنية و« تحققها » ، وجود الامبراطورية الميدية THE MEDES EMPIRE أولاً ، ثم الامبراطـورية الفـارسية THE PERSIAN EMPIRE ثانياً ،على الأراضي الأرمنية نفسها ، كحكام مباشرين لها ، وذلك على مدى الفترة الزمنية الممتدة بين أعوام ٦١٠ - ٣٣١ قبل الميلاد .

ولا أدل على ما تقدم ، انه في عام ٣٣١ قبل الميلاد ، وبمجرد أن استكمل الأرمن سيادتهم على أراضيهم ، فقد ظهرت الى الوجـود مملكتهـم الأرمنية الأولى المستقلة ، أو ما سمي عهد الاستقلال الأول ، على يد الأسرة البروانتية ORONTIDS DYNASTY ، أو الأسرة الهرانتية (وهو موضوع الفصل القادم) .

ارمينيا وحكم الميديين الأجانب : ٦١٠ - ٥٥٠ قبل الميلاد .

في أواخر القرن السابع للميلادكانت الامبراطورية الآشورية THE ASSYRIAN EMPIRE لا تزال تشكل تهديداً جدياً على وجود الدول الأخرى في المنطقة ، وخصوصاً الدولتين الميدية والبابلية معاً . كما وكانت - أي الامبراطورية الآشورية - في الوقت نفسه بقوتهـا العسـكرية الرهيبـة ، تقف حائلاً ، ودون توسـع هاتـين الدولتين ، في المناطق المجاورة، التي كانت كل منهما تنظر اليهـا على انهـا المدى الحيوي لنفوذها.

وهكذا ألف الميديون والبابليون تحالفاً ثنائياً ، أخذ على عاتقه ، مهمة تحطيم السيطرة الآشورية ، وبالتالي ، وراثة النفـوذ الـذي تمثلـه هذه الامبراطـورية في المناطـق والــدول التــي تحتلهــا في آسيا الصغــرى وبــلاد ما بــين النهــرين MESOPOTAMIA .

وبالفعل فقد قام الميديون برئاسة ملكهم كياكسار CYAXARES ، والبابليون بقيادة ملكهم نوبولاسار NEBUCHADRESSAR عام ٦١٢ قبـل الميلاد ، بمهاجمـة

الامبراطورية الآشورية ، وتمكنوا من إسقاطها عقيب احتلالهم عاصمتها نينوى NINEVEH[1] عام ٦١٠ قبل الميلاد ، وانتحار ملكها الأخير (سن - شاد - اسكن .)

وقد أدى هذا السقوط الدرامي للدولة الآشورية ، الى توازع الدولتين المنتصرتين لاملاكها ، حيث نالت بابل (التي أصبحت الآن تحمل اسم الامبراطورية البابلية الجديدة THE NEO - BABYLON EMPIRE) كلاً من الأراضي التالية : سورية وفلسطين وجنوب بلاد ما بين النهرين . في حين استولت الامبراطورية الميدية[2] على الأجزاء المتبقية وهي : القسم الأكبر من إيران ، وبلاد آشور نفسها مع شمالي بلاد ما بين النهرين ، وقبادوقية CAPPADOCIA وأرمينيا .

واعتباراً من هذا التاريخ ، أي من عام ٦١٠ قبل الميلاد[3] ، وحتى عام ٥٥٠ قبل الميلاد ، خضعت أرمينيا لنفوذ الميديين المباشر ، وأخذت ميديا تعين عليها حكاماً أرمن (في أغلب الأوقات) تعهدوا بدفع الجزية اليها ، مع احتفاظهم بحدود معينة من الاستقلال الاداري.

وكان أول حاكم أرمني في عهد الميديين ، هو بارويز المذكور ، ثم خلفه يروانت ، الذي تمرد على الملك الميدي كياكسار ، فأرسل إليه هذا قائده العظيم قورش الأول CYRUS I الذي دخل البلاد الأرمنية وأسر الحاكم يروانت نفسه الذي قدم للمحاكمة أمام البلاط الميدي ، ثم جرى إطلاق سراحه بسبب توسط قورش بالذات ، الذي كان صديقاً شخصياً لابن يروانت ، ديكران الأول . . وما عتم الطرفان ، الميدي (قورش) ، والأرمني ، إن وقعّا معاهدة تعاون سياسي واقتصادي بينهما .

---

١ - تذكر المصادر التاريخية أن الأمير بارويز BARUYR الأرمي قد شارك بجيوشه في سقوط نينوى، وأن الميديين أقطعوه أرمينيا كحاكم لها.

٢ - كان الرومان يقسمونها الى ميديا تروباتن TRUBATTEN ، وميديا ماجنا MAGNA . وقد امتدت حدودها من بحر قزوين ، الى جبال زاغروس ، وكانت عاصمتها اكباتان (همذان الحالية). ويقول المؤرخ الاغريقي تيزباس ، ان ارباكس ، هو مؤسس الأسرة التي تولت حكم ميديا حتى سقوطها .

٣ - يجعل بعض المؤرخين هذا التاريخ عام ٦٠٠ أو ٥٩٠ قبل الميلاد ، وقد اعتمدنا التاريخ أعلاه بدءاً لحكم الميديين لأرمينيا على أساس التطبيق الفوري لنتائج التحالف البابلي - الميدي المذكور.

وخلال سنوات قليلة من هذا الحادث ، وكان قورش قد أصبح له الآن النفوذ الأكبر في البلاط الميدي ، فقد عاد يروانت حاكم أرمينيا ، وتمرد للمرة الثانية على الميديين THE MEDES ، فسار اليه قورش[1] نفسه ، واحتل أرمينيا ، ثم عقد معاهدة صداقة وتحالف ثانية مع الأرمن ضمن فيها مساعدة القوات الأرمنية للجيوش الميدية في حروبها المقبلة .

ولما قضى كياكسار ، أسقط قورش جده المدعو استياجس عن العرش (حسب رواية هيرودوتس) ، واستولى على الحكم في الامبراطورية الميدية ، ومنها بالطبع أرمينيا نفسها ، وضمها الى بلاده التي عرفت ، ومنذ الآن (عام ٥٥٠ قبل الميلاد) ، وتحت حكم أسرته الأخيمينية THE ACHAEMENIDS ، التي يعتبر قورش بحق ، باني عظمتها ، باسم الامبراطورية الفارسية .

أرمينيا وحكم الفرس : الأسرة الأخيمينية ٥٥٠ - ٣٣١ قبل الميلاد ، حكم المرازبة . SATRAPIES

ينتمي قورش[2] العظيم ، الى الأسرة الأخيمنية ، التي حكمت فارس وأرمينيا أكثر من قرنين (٥٥٠ - ٣٣١ قبل الميلاد) . وترجع هذه الأسرة في أصلها

١ - وبهذه المناسبة فقد أثبت أحد الباحثين المعاصرين أن قورش العظيم هو ذو القرنين نفسه الذي وردت سيرته في القرآن الكريم . وتدل أعماله الانسانية ، وفق ما تتبعه المؤرخون على مدى حياة هذا القائد الكبير ، على نزعة روحانية متأصلة لديه . ولا أدل على ذلك من معاملته العادلة للأرمن رغم ثورتهم عليه مرتين ، وفق ما ذكرناه أعلاه . ويؤكد الدكتور استارجيان ذلك في كتابه «تاريخ الأمة الأرمنية» حينما يقول : «ان قورش عامل الأرمن معاملة عادلة وودية للغاية» (الصفحة ٥٤).

ولم تختلف معاملة قورش لبقية الشعوب والأمم التي فتح بلادها عن معاملته للأرمن . كما أن هذا الباحث المعاصر أثبت أن السد الذي بناه قورش لوقف زحف يأجوج ومأجوج (أي السكثين والسيمريين) (راجع ص: ٩٢ من هذا الكتاب) ، كان في أرمينيا نفسها ، وعلى حدودها الشمالية المجاورة للممر القفقاسي (الدربند أو باب الابواب) . ويؤكد ذلك أن الكتابات الأرمنية القديمة تسمي هذا السد باسم : بهاك غوراني ، وكابان غوراني ، ومعنى الكلمتين واحد ، هو ، مضيق قورش (غورش بالارمنية) .

٢ - اجتاح بجيوشه ممالك الشرق الادنى ، ودحر كلاً من كريزوس (قارون) ملك ليديا (وسنرى دور الأرمن في هذا المجال في الفقرات القادمة) ، ونابونيدوس ملك بابل ، وأمازيس الثاني فرعون مصر ، وأشاد امبراطورية مترامية الأطراف . وقضى نحبه حوالي عام ٥٢٩ قبل الميلاد.

الى مؤسسها الأول اخمينس ACHAEMINS الذي كان ، خلال حكم الميديين ، حاكماً على قسم محدود بجنوب غربي ايران ، وعندما تولى قورش الحكم في هذه الامبراطورية الجديدة ، كما أسلفنا ، زحفت القبائل الفارسية الى الجنوب الشرقي من بلادهم لتشكل ، وبالتالي ، السكان الجدد لهذه الامبراطورية . وليس معروفاً حتى الآن ، كيف قدم هذا الشعب أولا لسكنى هذه البقعة من آسيا، ولكن من المرجح أن الفرس القدماء كانوا قبيلة رحالة تسربوا في زمن مجهول عبر جبال القفقاس الى ايران ، وفي القرن السابع استفردوا بأقليم فارس الحالي .

وقد لعبت الأسرة الأخيمنية دوراً هاماً في حياة فارس وأرمينيا معاً ، وكذلك في حياة شعوب الشرقين الأدنى والأوسط ، حيث شهدت هذه الامبراطورية ، وأيضاً أرمينيا ، في عهدها ، ازدهاراً وتقدماً على المستويات الحضارية والعمرانية واللغوية .

وتاريخياً تعاقب على حكم فارس ، وأرمينيا ، من ملوك هذه الأسرة كل من :

١ ـ قورش الأول CYRUS I .

٢ ـ قمبيز COMPUS .

٣ ـ سميرديس SEMERIDES.

٤ ـ داريوس الأول DARIUS I .

٥ ـ اكسركسيس الأول XERXES I .

٦ ـ أرتاكسركسيس الثاني ARTAXERXES II (ويسمى بالأرمنية ارداشيس ARTASHES)

٧ أرتاكسركسيس الثالث ARTAXERXES III .

٨ ـ أرسيس ARSIS .

٩ ـ داريوس الثالث DARIUS III .

وقد قسم هؤلاء الامبراطورية الفارسية الى ٢١ مقاطعة أو مرزبانية SATRAPY ، كانت أرمينيا ، تشكل منها المقاطعة (أو المرزبانية) الثالثة عشرة

SATRAPY XIII ، وعاصمتها فان VAN .

وكان لارمينيا ، شأنها في هذا شأن باقي هذه الولايات ، جيش خاص ، ونظام إداري مستقل ، في حين كان الحاكم (وبالنسبة لارمينيا كان أغلب هؤلاء من الأرمن أنفسهم) يتولى الاشراف العام على منطقته ، ومهمة جباية الأموال (الجزية) ، وإرسالها الى العاصمة المركزية.

وقد عاصر كل واحد من هؤلاء الملوك ، بالنسبة لحكم أرمينيا ، والٍ أرمني ، اختص بادارة شؤون أرمينيا ، وتصريف أمورها ، على مدى حكم ملوك هذه الأسرة الأخمينية ، أي عبر قرنين أو أكثر من الزمن.

وهكذا فاننا من خلال استعراض العلاقات التي سادت بين الطرفين (الملوك الفرس، والحكام الأرمن) ، نستطيع أن نلم بأحوال أرمينيا السياسية والاجتماعية في الفترة نفسها ، التي ما زالت تعتبر ، وبالتحديد تلك التي سبقت تأسيس الأسرة الارداشيسية عام ١٨٩ قبل الميلاد ، من أكثر الفترات غموضاً في تاريخ أرمينيا ، بسبب قلة المعلومات والمدونات المكتشفة بخصوصها حتى الآن .

١ ـ الأرمن وقورش THE ARMENIANS AND KING CYRUS ٥٥٠ ـ ٥٢٩ قبل الميلاد :

نعمت أرمينيا في عهد هذا الملك الأخميني ، بنوع من العلاقات المنسجمة مع طبيعة هذا الملك العادل ، والمميزات التي تمتع بها حكام أرمينيا الذين عاصروه.

وهكذا وجدنا يروانت YERUANT الأرمني ، وقورش الفارسي ، يعملان معاً من أجل تنظيم المرزبانية الأرمنية ، وتأمين ازدهارها ، وتأكيد وحدتها الوطنية . ومن ذلك أن قورش ، عند وصوله الى أرمينيا ، رأى الأرمن يحتلون السهول الخصبة فيها ، والأراضي الزراعية ، في حين كان الأورارديون (الذين أصبحوا الآن يسمون بالخلديين KHALDIS) ، يسكنون الجبال ، والمرتفعات الأرمنية ، فعمد الى إقناع يروانت بالسماح لهؤلاء بالنزول الى السهول من مواقعهم هذه ، ودعوتهم

للعيش جنباً الى جنب مع الأرمن ، على أن يسمح الخلديون بدورهم للأرمن برعي مواشيهم على المنحدرات الجبلية التي يقطنونها ، وهو ما جرى فعلاً ، الأمر الذي ساعد على انصهار الشعبين وتمازجهما بسرعة أكبر ، كانت في مصلحة أرمينيا نفسها على مدى الأحقاب القادمة[1].

وقد عمد قورش بعدئذ ، بالاشتراك مع يروانت حاكم أرمينيا ، الى بناء القلاع والحصون في المناطق الاستراتيجية من أرمينيا ، وخلق جيش قوي ، وتنظيم الادارة ، وتخطيط الحدود ، ووضع الأسس الكفيلة بنمو المجتمع الأرمني.

ثم ما عتم الاثنان ان عملاً سوية على إسقاط الدولة الليدية[2] THE LYDIAN KINGDOM عام ٥٤٠ قبل الميلاد ، حيث أشرك يروانت ، تحت قيادة ولي عهده ، ديكران الأول TIGRAN I ، قوات نظامية من جيشه ، بلغ تعدادها ٣٠٠٠ فارس و١٥٠٠٠ جندي من المشاة ، ساهمت مع الجيوش الفارسية ، في المعركة الرئيسية التي خاضها الطرفان ضد القوات الليدية ، والمعروفة باسم معركة ساردجيه SARDIGE ، التي قادها ، من الجانب المعادي ، ملك ليديا نفسه غره سوس (قارون) . لوحة رقم ١

وفي هذه المعركة ، استطاع ديكران الأول من أسر قارون نفسه ، الأمر الذي دعا قورش الى تقدير هذا الصنيع للجيش الأرمني الوليد ، فهب على الفور الى منح أرمينيا استقلالاً ذاتياً أوسع ، كما أغدق على حاكمها يروانت ، الهدايا والعطايا ، بحيث سارت العلاقات بين الأرمن والفرس في طريق التعاون الحضاري والثقافي ، الذي مهد ـ في المستقبل ـ لظهور نتائجه العملية ، كما سنراها عبر هذا الفصل ، وغيره من هذا الكتاب .

---

١ ـ راجع بهذا الخصوص كتاب : ARMENIA: CRADLE OF CIVILIZATION

٢ ـ ليديا LYDIA اقليم يقع غربي آسيا الصغرى ، وعاصمته سرديس SARDIS . ازدهر ، عندما أصبح مملكة ، ثم امبراطورية بين أعوام ٦٨٧ ـ ٥٤٠ قبل الميلاد . وكانت ثروتها (وخاصة ثروة ملكها قارون) مضرب الأمثال . وعقيب هزيمتها (على يد الفرس والأرمن عام ٥٤٠ قبل الميلاد كما أسلفنا) ، أدمجها الفرس بامبراطوريتهم .

وبعد وفاة يروانت ، حكم أرمينيا ديكران (الأول) ، الذي ظل على ولائه لقورش ، وبالتالي استمر التعاون بين الجانبين، مما سمح لأرمينيا بعهد من الاستقرار وَالتقدم.

وبعد أن قضى ديكران نحبه ، تسلمت ولاية أرمينيا ، الأميرة نابونا هيد[1] ، التي أنجدت الفرس في حروبهم مع بابل ، بجيوش أرمنية كبيرة، منيت بخسائر جسيمة أثرت على استقلال بلادها .

٢ - الأرمن وقمبيز THE ARMENIANS AND KING COMPUS ٥٢٩ - ٥٢١ قبل الميلاد :

تخلف قورش الأول ، على عرش فارس ، الملك قمبيز ٥٢٩ - ٥٢١ قبل الميلاد ، وقد شهد عهده ثورات مزدوجة ، في فارس ، وأرمينيا معاً . حيث رغب الأرمن - بشكل خاص - في تحقيق استقلالهم عن الدولة الفارسية . وتولى هذه المهمة ، الحاكم الأرمني - المعاصر لقمبيز - فاهاكن VAHAKN ابن ديكران ، الذي خاض بجيوشه معارك متعددة ضد الفرس ، استطاع من خلالها ، تحقيق بعض الانتصارات المحدودة. . ثم استمر الوضع بين الدولتين على هذه الصورة حتى مجيء داريوس الأول عام ٥٢١ قبل الميلاد.

٣ - الأرمن وداريوس الأول THE ARMENIANS AND KING DARIUS I ٥٢١ - ٤٨٥ قبل الميلاد:

كان مجيء داريوس الأول ، عقيب وفاة قمبيز ، وتوليه عرش فارس ، بمثابة الضربة النهائية لمحاولات الأرمن الاستقلالية.

فقد أرسل هذا أولا قائده تاتاريس TATARIS لقمع ثورة الأرمن ، ففشل ، مما دفع الامبراطور الفارسي نفسه ، الى تكليف قائده الشهير فاوميسا بهذه

---

١ - ثمة شك حول تولي هذه الأميرة الحكم ، كما تروي بعض المصادر التاريخية الموثوقة .

المهمة ، الذي تمكن ، عبر حملات متلاحقة ، استغرقت عاماً كاملاً ، من إخماد الثورة الأرمنية ، واحتلال هذه البلاد .

وبهذه المناسبة ، فقد احتفل داريوس الأول بهذا النصر بنقشه على الرقيم المعروف باسم BEHISTUN ، وجاء فيه :[1]

« أرسلت عبدي تاتاريس لتأديب الأرمن ، وأمرته أن يضرب ذلك الشعب المتمرد الذي عصاني ، فذهب اليهم ، فالتموا وهجموا عليه . وقعت الحرب في مدينة زوزا[2] في أرمينا[3]، وقد أسعدني الاله أهورا مزدا بلطفه ، فقتل عدداً كبيراً من جيش الأعداء . وقعت هذه الحرب في شهر طورا واهارا (نيسان).

ثم يقول داريوس الأول :

تحشد العصاة مرة ثانية ، وهجموا على تاتاريس ، وهناك في قلعة « بأرمينا » ، تدعى ديكرا ، وقعت الحرب ، وأعانني أهورا مزدا فضرب جيش العدو ضربة قاسية . وقع هذا في الثامن عشر من طورا واهارا (نيسان).

ثم يقول أيضاً :

اجتمع الأرمن ثالثة في قلعة بأرمينا تدعى أوهيياما ، وفي هذه القلعة وقعت الحرب . عضدني أهورا مزدا بلطفه فافنى جمعاً غفيراً من جيش العدو . وقعت هذه الحرب في التاسع من شهر طانيرا ارتاليس (أيار) .

ثم يقول :

---

١ ـ عن كتاب تاريخ الأمة الأرمنية لمؤلفه الدكتور ك.ل. استارجيان.

٢ ـ رغم قول داريوس: « وقعت الحرب في مدينة زوزا بأرمينا ».. إلا أن الأستاذ جورج صباغ افادنا أن موقع هذه المدينة هو بالقرب من بحيرة أورميا (في الأراضي الفارسية) ، مما يدل على انتصارات الجيوش الأرمنية ـ التي أخفاها ـ داريوس . والدليل هو وقوع هذه المعركة في هذه المنطقة من بلاد هذا الأخير، لا في أرمينيا.

٣ ـ كانت هذه أول إشارة لهذه البلاد تحت هذا الاسم أرمينا ARMINA كما ذكرنا في الفصل الخاص بتشكل الأمة الأرمنية. . وان كان الدكتور استارجيان ، قد أورده في نصا المقتبس عنه ـ أعلاه ، باستخدام كلمة « أرمينيا » ـ بدلاً من « أرمينا ».. كما فعلنا.

ثم أرسلت عبدي المدعو فاوميسا وأمرته ان يذهب ويضرب ذلك الجيش المتمرد الذي لم يذعن لي . فسار فاوميسا إلى « أرمينا » لاخضاع العصاة ، لكنهم احتشدوا وهاجموا فاوميسا قرب مدينة إيزيدو في آشور . وقعت الحرب في تلك المدينة ، أعانني أهورا فأنزل بجيش العدو ضربة مميتة . جرت هذه الحرب في شهر أناماكحا (كانون الأول) .

ويقول أخيراً :

اجتمع العصاة مرة أخرى وهجموا على فاوميسا في ولاية « بارمينا » ، وفي تلك الولاية استمرت الحرب . أمدني أهورا مزدا بلطفه وعونه فأتلف عدداً كبيراً من جيش الأعداء . وقعت هذه الحرب في شهر طورا وأهارا (نيسان) .

وبنهاية هذه الحروب ، التي قادها فاهاكن حاكم أرمينيا ، عادت هذه البلاد والتحقت بفارس كمرزبانية .

٤ ـ الأرمن واكسركسيس الأول THE ARMENIANS AND KING XERXES I ٤٨٥ ـ ٤٣١ قبل الميلاد :

خلف اكسركسيس ، داريوس الأول على حكم الامبراطورية الفارسية . وفي عهد هذا الملك ، عادت العلاقات بين الفرس والأرمن إلى تعاونها السابق ، حيث ساهم (الأرمن) ، مع الفريجيين ، في حروب هذا الملك ، تحت قيادة صهر داريوس الأول ، المسمى ارتاخميس ، ضد الدول المجاورة . كما وعادوا إلى التمازج مع الفرس على المستويات الثقافية والحضارية واللغوية .

٥ ـ الأرمن وارتاكسركسيس الثاني THE ARMENIANS AND KING ARTAXERXES II ٤٣١ ـ ٤٠٠ (٤٠١) ق.م:

كانت أرمينيا في عهد هذا الملك الفارسي منقسمة إلى أرمينيا الشرقية ، ويحكمها المرزبان SATRAP يروانت الأول ORONTES I[1]، وأرمينيا الغربية ويحكمها نائبه تيريبازوس TIRIBAZUS.

١ ـ وتكتب ايضاً YERUANT .

وما أسماه اكزينوفون XENOPHON [1] بارمينيا ، أثناء مروره بها ، فانه كان في الحقيقة يعني ذلك الاقليم الكائن إلى الغرب من سنتريتس CENTRITES (أي أرمينيا الشرقية حيث كان يروانت حاكماً) . أما القسم الأخير منها (أرمينيا الغربية التي يحكمها تيريبازوس) ، فهو الكائن شمال جبال طوروس[2] .

وفي هذا الوقت ، أي بين سنوات ٤٠١ ـ ٤٠٠ قبل الميلاد ، شهدت فارس ثورة قورش الصغير ضد أخيه الملك ارتاكسركسيس الثاني،حيث رغب الأول في وراثة عرش فارس ، فعمد من أجل تنفيذ غايته هذه ، إلى الاستعانة بالاغريق ، الذين أمدوه بـ ١٤٠٠٠ جندي يوناني من المرتزقة ، انطلقوا من بلادهم تحت قيادة اكزينوفون نفسه باتجاه جيوش الملك ارتاكسركسيس في فارس ، مروراً بأرمينيا نفسها ، لنصرة جيوش قورش الصغير . إلا أن مقتل هذا الأخير وتفتت جيشه دفع المرتزقة الاغريق إلى الانسحاب عائدين إلى وطنهم ، عبر أرمينيا أيضاً ، التي بقوا فيها بضعة أشهر هي فصل الشتاء ، وقد غدا عددهم الآن ١٠٠٠٠ جندي فقط ، فدعيت هذه الحادثة باسم : «انسحاب العشرة آلاف»[3] ، وهي حادثة معروفة في التاريخ ، فضلاً عن أنها أمدتنا ، عبر مذكرات قائدها اكزينوفون ، بمعلومات واسعة عن أحوال أرمينياالاجتماعية والسياسية والعمرانية خلال تلك العهود (كما سنستعرضه بعد قليل) .

وخلال حكم ارتاكسركسيس الثاني ، تمت المصاهرة بين البلاط الفارسي والأرمني ، باقتران يروانت الأول ، من ابنة الامبراطور المسماة روهودوني ROHODOGENE. وتذكر المصادر التاريخية ، ان أرمينيا ، في عهد الاثنين ، شهدت فترة ازدهار اقتصادية ، حتى ان ثروة يروانت الأول بلغت ٣٠٠٠ تالنت[4]

---

١ ـ سيرد معنا اسم هذا المؤرخ ـ القائد في النبذة القادمة أكثر من مرة . انظر حاشية قادمة .

٢ و٣ ـ راجع بخصوصها كتاب تاريخ الأمة الأرمنية ، والانسكلوبيديا البريطانية تحت اسم XENOPHON ، وكتاب الأرمن لمؤلفته سيراربيه دير نرسيسيان ، وأرمينيا مهد الحضارة .

٤ ـ وكان وزنها في المناطق الشرقية من أرمينيا ٣٠,٠٢٤ كيلوغراماً ، بينما هي في المناطق الغربية من هذه البلاد (تحت نفوذ السلوقيين) تزن ٢٦,١٩٤ كيلوغراماً . (الأستاذ جورج صباغ) .

(وهي الوحدة النقدية المستخدمة في ذلك العهد ، حيث تتبعها الدراخما اليونانية ، والترادراخما - كما سنرى) .

ويعتبر يروانت الأول (٤٠١ - ٣٤٤ قبل الميلاد) مؤسس الأسرة اليروانتية التي حكمت أرمينيا ، حتى عام ٣٣١ قبل الميلاد (أي حتى نهاية عمر الأسرة الاخمينية) كمرازبة ، وبعد هذا التاريخ ، وحتى عام ١٨٩ كملوك (كما سنّبين ذلك بعد قليل) .

٦ - الأرمن وآرتاكسركسيس الثالث والملك آرسيس THE ARMENIANS, AND KINGS ARSIS and ARTAXERXES III ٤٠٠ - ٣٣١ قبل الميلاد :

نعمت أرمينيا بعهود من الاستقرار والسلام خلال حكم هذين الملكين الفارسيين اللذين عاصرهما في حكم أرمينيا ، يروانت الأول (٤٠١ - ٣٤٤ قبل الميلاد) ، ويروانت الثاني (٣٤٤ - ٣٣١ قبل الميلاد) الأرمنيين .

وأكثر ما نعرفه عن هذه الحقبة من تاريخ أرمينيا ، هو بدء تشكل المجتمع الأرمني وفق الشكل الذي بدا عليه بعد سنوات قليلة (٣٣١) ، أي مجاراته لفارس في الميادين الدينية والثقافية والاجتماعية ، وأخذه العديد من التقاليد الفارسية القديمة ، سواء بالنسبة لطراز المعيشة ، أو الحياة في القصور .

٧ - الأرمن وداريوس الثالث THE ARMENIANS AND KING DARIUS III :

ومع ظهور الاسكندر الكبير ALEXANDER THE GREAT ، بدت أرمينيا ، وكأنها على أعتاب تغيير جذري ، في حياتها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وحتى الثقافية .

وهو ما حدث بالفعل عقيب معركة أرابيلا عام ٣٣١ قبل الميلاد بين الاسكندر الكبير وداريوس الثالث (آخر ملوك الأسرة الاخمينية) ، حيث لحقت بهذا الأخير ، هزيمة منكرة ، أضاعت استقلال فارس ، وأخضعتها لحكم الاغريق المقدونيين ،

وجعلت أرمينيا مملكة مستقلة تحت حكم السلوقيين ، وقبلهم تحت حكم الاسكندر نفسه ، الذي عين مهران MITHRANES مرزباناً على أرمينيا (هذا موضوع الفصل القادم) .

وفي حروب داريوس ، وخاصة المعركة الأخيرة أرابيلا ، أنجد الأرمن حليفهم الأمبراطور الفارسي بـ ٥٠٠٠ من الفرسان و٣٢٠٠٠ جندي من المشاة ، ولكن دون فائدة . .

معلومات إضافية عن أحوال أرمينيا خلال عهد الأسرة الاخيمينية ، ويروانت الأول والثاني الأرمنيين :

ساعدت المعلومات التي قدمها المؤرخان ، اكزينوفون وهيرودوتس عن أرمينيا خلال الفترة التي درسناها في هذا الفصل ، (وبشكل أدق خلال القرن الخامس قبل الميلاد) ، في شرح بعض الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة فيها .

١ ـ معلومات المؤرخ اكزينوفون :

كان اكزينوفون أيضاً ، إلى جانب كونه قائداً عسكرياً ، يعتبر ثالث أعظم المؤرخين القدماء بعد هيرودوتس وايودوكسوس EUDOXUS ولد حوالي عام ٤٣٠ قبل الميلاد وعاش حتى عام ٣٥٥ قبل الميلاد . وكان وهو الاغريقي ، في شبابه تلميذاً لسقراط في أثينا قبل أن يتركها لينضم إلى فرقة المرتزقة الاغريق (العشرة آلاف) التي حاربت ـ تحت قيادته ـ بشجاعة ضد أمبراطور فارس آرتاكسركسيس الثاني في معركة كوناكسا عام ٤٠١ قبل الميلاد ثم انسحبَتْ بعدها ، كما نوهنا ، عبر أرمينيا عائدة إلى بلادها .

وقد وضع اكزينوفون كتابان يهمانا هنا بشكل خاص ، وهما : الاناباسيس ANABASIS ، أي « الرحلة إلى البحر » ، والسيروبايديا CYROPAEDIA ، أي « المذكرات » ، والتي أتى فيها على ذكر الحوادث والمشاهدات التي مرت به خلال

وجوده في أرمينيا ، وأغنت المؤ رخين ، الذين تعاقبوا بعده ، وحتى اليوم ، بمعلومات عن هذه الدولة خلال تلك العهود .

ومن هذا القبيل ، ما يرويه عن النظام الاجتماعي في أرمينيا ، فيقول ، ان المرازبة SATRAPS كانوا يقيمون في دور معينة ، أشبه بالحصون أو القلاع ، وقد زار بنفسه احداها . وكان هؤلاء المرازبة يديرون من هذه المقرات ، أمور البلاد ، في حين شكلت العشائر الأرمنية مجموع الشعب الأرمني ، وكان رؤساء هذه العشائر CLANS مسؤ ولين عن الادارة المحلية لمناطقهم أمام المرزبان ويقدمون له الجزية ، التي كان بعضها يدفع بشكل عيني ، أي بتقديم جياد أرمنية ، كانت وفق معلومات اكزينوفون ، أصغر من الجياد الفارسية ، إلا أنها كانت أشد شراسة وعنفاً .

أما الزراعة فقد كانت متقدمة عموماً ، حتى ان اكزينوفون (كما يقص في كتابيه المذكورين) « وجنوده العشرة آلاف » ، وجدوا في كل القرى الأرمنية التي مروا بها ، مؤ ناً غذائية فائضة من الدقيق والقمح والخضار والفواكه والخمور (وخاصة البيرة[1] التي عرفها الأرمن قبل ٢٥ قرناً وكانت شرابهم المفضل ولهم بالنسبة لشربها تقاليد معينة خاصة وقت تبادل الأنخاب) .

ثم يذكر اكزينوفون في معرض حديثه عن التقدم الزراعي الذي شهده في أرمينيا فيقول ان الأرمن قد أقاموا لجنوده العشرة آلاف مأدبة واحدة في أحد السهول بالقرب من إحدى القرى الأرمنية ضمت لحوم الحملان والخنازير المنوع شكله ونوعه .

ولا يلبث اكزينوفون ان يصف مساكن الارمن فيقول : انهم - اي الارمن - كانوا يعيشون في مساكن تحت الارض لها فتحات ضيقة من الاعلى كانوا يدخلون اليها بواسطة سلالم متنقلة . . وكان هؤلاء يعيشون مع مواشيهم في نفس هذه الدور ، التي كانت مقسومة من داخلها الى شقين ، احدهما خاص بهذه الحيوانات

---

١ - المراجع السابقة نفسها .

التي كان لها مدخل معين ومستقل .

ويعلل اكزينوفون هذه الطريقة في البناءفيعزوها الى البرد القاتل الذي يغزو ارمينيا في الشتاء ، والذي قاسى منه هو نفسه وجنوده الذين مات منهم عدد كبير بسبب شدة هذا البرد .

٢ ـ معلومات المؤرخ هيرودوتس :

كما ان هذا المؤرخ تعرض الى الحديث عن ارمينيا خلال الفترة التي تناولها ايضا اكزينوفون ، اي خلال حكم الاسرة الأخيمينية والأسرة اليروانتية الأرمنية فقال :

انه على امتداد الطرق الرئيسية في ارمينيا وعلى مسافات معينة ، كانت توجد مراكز للاستراحة والنوم والطعام ، او ما يسمى بالخانات ، سيما في سهول وادي الرس ، وفي الطريق الواقعة في جنوبي البلاد (فان VAN) .

وقد عد هيرودوتس بنفسه عشرين مركزا كهذه على مسافة ١٨٠ ميلا (اي بوحدة قياسية كانت تستخدم في ذلك الوقت ، وتعادل هذه المسافة في وقتنا الحاضر) .

وكانت هذه الاستراحات على جانب جيد من النظافة والخدمة والطعام اللذيذ . وان دل هذا على شيء ، فعلى ان ارمينيا كانت في طريقها الى صيرورتها دولة ، وهو ما حدث بالفعل عندما دخل الاسكندر الامبراطورية الفارسية والحقها ببلاده ، ومن ضمنها ارمينيا ، حيث خضعت ، تحت اشرافه المباشر ، للحكم الاغريقي لمدة ١٢ سنة تقريبا ، تحولت بعدها ، وعقيب انقسام امبراطوريته بين قواده : بطليموس (الذي حصل على مصر ، وسلينوكس (سلوقس) الذي حصل على سوريا وارمينيا وبلاد ما بين النهرين ، وانتيباتور الذي حصل على مقدونيا) الى مملكة مستقلة تحت حكم الاسرة اليروانتية وتحت النفوذ السلوقي نفسه .

* * *

الفصل الثاني

المملكة الأرمنية الأولى : الأسرة اليروانتية ORONTIDS DYNASTY
٣٣١ - ١٨٩ قبل الميلاد
أرمينيا والحكم السلوقي : تأثيرات الحضارة الهيلينستية .

يذهب بعض المؤرخين المعاصرين[١] في مجال التدليل على أهمية الدور الذي لعبته الأسرة اليروانتية (الهرانتية) ORONTIDS DYNASTY ، بالنسبة لتاريخ ارمينيا ، من اعتبارها بمثابة حلقة الربط بين المملكة الأرمنية الأولى، مملكة أوراردو[٢] بعرفهم، والمملكة الأرمنية الثالثة : الأسرة الارداشيسية[٣] ARTASH-ESES DYNASTY برأيهم أيضاً.

وفي اعتقادنا ان هذا الاعتبار غير وارد من الناحية العلمية ، اذ كان من الواجب استنادا الى هذا الرأي ، اعتبار الاسرة اليروانتية هي المملكة الارمنية الثالثة ، لا الثانية ، على اساس ان المملكة الارمنية الاولى هي الدولة - المملكة الهايكازانية (الهاييكية) ، وذلك في حلقة السلالات الملكية الارمنية ، وهو ما لم يثبت تاريخياً ، او وثائقيا ، سواء بالنسبة لاعتبار المملكة الاورارديه[٤] ، من

---

١ - ومن هؤلاء : دافيد مارشال لانغ مؤلف كتاب أرمينيا مهد الحضارة .

٢ - يستند هذا المؤرخ ، وغيره ، في هذا الرأي ، إلى ما أورده المؤرخ الأرمني موسيس الخوريني حول اعتبار المملكة الأوراردية هي المملكة الأرمنية الأولى . . وهو ما لم يثبت تاريخياً ، كما تؤكد عليه ملاحظاتنا أعلاه .

٣ - موضوع الفصل القادم ، نسبة إلى اسم مؤسسها ارداشيس الأول .

٤ - رغم الأصول العرقية الواحدة لكل من الأوراردين والأرمن ، وتشابه عاداتهم ولباسهم . . فاننا لا نميل إلى اعتبارهم ، أي الطرفين ، واحداً ، وان كانا يمتان إلى بعض - وبرأينا أيضاً - ، بصلة القربى والدم .

الممالك الارمنية ذاتها ، او فيما يتعلق بالدولة الهايكازانية نفسها ، التي تبقى سيرتها في عداد الاساطير والميثولوجيا غير المؤيدة بالأدلة التاريخية الدقيقة .

ومهما يكن من امر فان الاسرة اليروانتية وكما اكدت الأبحاث والمكتشفات التاريخية الحديثة ، كانت لها مكانة خاصة في تاريخ الشعب الارمني ، من حيث اعتمادها الأسرة الأولى التي أرسى أفرادها النظام الملكي المستقل للمرة الأولى في تاريخ الدولة الأرمنية التي شهدت على مدى حياتها أربعة ممالك أخرى سنتعرض لكل منها بالتفصيل ، في حينه من هذا الباب .

وعمليا تنتسب الأسرة اليروانتية هذه، في أصلها، الى اسم مؤسسها يروانت الأول ORONTES I، الذي حكم أرمينيا بين أعوام ٤٠١-٣٣٤ قبل الميلاد، كمرزبان (والي) ثم خلفه في حكم هذه الدولة، أي أرمينا، وبالصفة ذاتها، أي مرزبان أيضاً، يروانت الثاني SATRAP ORONTES II، اعتباراً من عام ٣٤٤ وحتى عام ٣٣١ قبل الميلاد، وهو العام الذي شهد بدء تحول حكم هذه الأسرة، وخاصة حكم يروانت الثاني، من الصفة السابقة، أي من مرزبان، الى ملك وذلك لمدة تقارب العام تقريبا، انتهت بمقتل هذا الاخير خلال الحرب الفارسية ـ اليونانية[1] التي احتلت مكانا بارزا في تاريخ ارمينيا ، بما ادت اليه ، على المدى الطويل ، من نتائج خطيرة على المستويات السياسية والاجتماعية والفكرية . اذ عقيب اجتياح الاسكندر المقدوني ALEXANDER THE GREAT الأمبراطورية الفارسية ، ومعها الدولة الأرمنية اليروانتية، اثر معاركه الثلاث مع امبراطور فارس داريوس الثالث DARIUS III وانتصاره عليه في معركة نهر الجرانيق (غرانيكوس GRENICUS عام ٣٣٤ قبل الميلاد أولا ، ثم معركة أبسوس عام ٣٣٣ قبل الميلاد ثانياً ، ثم في معركة جاوجاميلا (أرابيلا) GAUGAMELA في ١ تشرين الأول عام ٣٣١ قبل الميلاد ثالثا)، والتي انجد فيها الأرمن حليفهم الفارسي داريوس الثالث بجيش قوامه

---

١ ـ قاتل الارمن خلال الحرب الفارسية ـ اليونانية كحلفاء للطرفين . . إذ ساند يروانت الثاني حليفه داريوس الثالث ضد الاسكندر المقدوني ، بخلاف ما فعله مهران ، الذي قاتل بجيوشه إلى جانب الاغريق . ويعزى ذلك (أي مناصرة مهران للاسكندر) ، إلى أن مهران كان حاكماً لمقاطعة سارديس في آسيا الوسطى الغربية بحيث وجد نفسه منساقاً تحت ضغط التواجد الاغريقي في منطقته إلى محالفتهم ضد أبيه يروانت .

٦٠٠٠ فارس و٣٠٠٠٠ جندي من المشاة)، نقول أنه عقيب هذا الاجتياح الذي حققه الاسكندر الكبير، أصبحت الامبراطورية الفارسية (سابقاً) والدولة الأرمنية (لاحقاً) خاضعتين للنفوذ المقدوني المباشر وتحت حكم الاسكندر نفسه، الذي عهد، بعد قليل، إلى حليفه الأرمني مهران[1] MITHRANES بحكم أرمينيا بكاملها.

الا ان وفاة الاسكندر الكبير، بعد سنوات قليلة من هذه الفتوحات، وفي عام ٣٢٣ بالتحديد، خلقت ظروفا خطيرة بالنسبة لاوضاع الامبراطورية الاغريقية نفسها، وهو الامر الذي انعكس بدوره على الدول والممتلكات التابعة لها، ومن ضمنها أرمينيا، حيث تنافس قواده الثلاث الكبار (بطليموس الأول PTOLEMY I، وسلوقس الأول SELEUCUS I، وانتيباتور ANTIPATER) على وراثة الحكم في هذه الامبراطورية.

وانتهى الموقف فيما بينهم اخيرا الى استيلاء بطليموس على مصر، وسلوقس على سورية وبلاد ما بين النهرين MESOPOTAMIA (وعاصمتها الاولى سلوقيا ثم انطاكية ANTIOCH)، وانتيباتور على مقدونية MACEDONA، حيث اسس كل منهم دولة خاصة به، عرفت باسمه شخصيا.

وبالنسبة لارمينيا، وسلوقس الاول، وقد ادرك مدى اهمية موقعها الجغرافي، فانه سارع الى اخضاعها الى نفوذه عندما عهد عام ٣٢٣ قبل الميلاد الى قائده فراآتافيرنيس PHRA ATAPHERNES بمهمة احتلالها، وهو ما جرى فعلا، حيث دخلت ارمينيا بدءاً من هذا التاريخ تحت الحكم السلوقي SELEUCID SUZERAINTY، ثم اضحت موزعة ما بين فراآتافيرنيس (الذي حكم ارمينيا الغربية بين اعوام ٣٢٣ - ٣٢١ قبل الميلاد)، ومهران الذي كان يحكم بدوره ارمينيا الشرقية منذ عام ٣٣١ قبل الميلاد، ثم استمر في هذا الحكم حتى عام ٣١٧ قبل

---

١ - انظر الحاشية السابقة.

الميلاد على الدولة الارمنية بكاملها عقيب وفاة فراآتا عام ٣٢١ قبل الميلاد ، وبموافقة سلوقس الاول .

وهكذا وجدنا ارمينيا المملكة المستقلة ، تحت النفوذ السلوقي ، تحكمها الاسرة اليروانتية ، التي تألفت، وفق الاكتشافات والدراسات التاريخية المعاصرة، التي قام بها كل من الدكتور الأرمني ماناندیان MANANDIAN ، والعالم السوفيتي سيريل تومانوف CYRIL TOUMANOFF ، وخاصة تلك النقوش والمدونات INSCRIPTIONS ، التي عثر عليها في النصب التذكاري في اواسط تركيا ، والمعروف باسم نمرود - داغ NIMRUD DAGH ، من الملوك التالين[1] :

١ - يروانت الأول ORONTES I ٤٠١ - ٣٤٤ قبل الميلاد مرزبان .

٢ - يروانت الثاني ORONTES II ٣٤٤ - ٣٣١ قبل الميلاد مرزبان

٣ - يروانت الثاني نفسه ORONTES II ٣٣١ - ٣٣١ قبل الميلاد ملك .

٤ - مهران MITHRANES ٣٣١ - ٣١٧ قبل الميلاد ملك .

٥ - فراآتا فيرنيس PHRAATA PHERNES ٣٢٣ - ٣٢١ قبل الميلاد مرزبان . (اغريقي) - الغربية ،

٦ - يروانت الثالث ORONTES III ٣١٧ - ٢٦٠ قبل الميلاد ملك

٧ - ساموس SAMUS ٢٦٠ - ٢٦٠ قبل الميلاد ملك

٨ - ارساميس ARSAMES ٢٦٠ - ٢٢٨ قبل الميلاد ملك

٩ - اكسركسيس XERXES ٢٢٨ - ٢١٢ قبل الميلاد ملك

١٠ - ابديساريس ABDISSARES ٢١٢ - ٢١٢ قبل الميلاد ملك

١١ - يروانت الرابع ORONTES IV ٢١٢ - ٢٠٠ قبل الميلاد ملك

(ملوك أرمينيا الصغرى ، (كبادوقية CAPPADOCIA))

وحقيقة الاسم الذي تنتسب إليه هذه الأسرة ، اليروانتية ORONTIDS ، هو في الواقع كلمة أرمنية الأصل مصدرها « اير » ، « آر » بمعنى رجل ، وحسب

---

١ - راجع كتاب الأرمن : سيرباربيه دير نرسيسان ، وأيضاً كتاب : أرمينيا مهد الحضارة .

النظريات الحديثة تشتق هذه الكلمة من اسم الاله آر (آرا الجميل)، وبهذا المعنى يلاحظ أن عدداً كبيراً من أسماء المدن والاعلام والأنهار تبدأ بـ « آر » مثل : أرمن ، ارام ، ارميناك ، اراكس ، ارارات ، الخ . . .

وخلال حكم الاسرة اليروانتية كانت ارمينيا ، وهي الدولة الخاضعة اسميا للنفوذ السلوقي ، مقسمة في الواقع الى دولتين رئيسيتين هما : ارمينيا الكبرى GREATER ARMENIA ، التي امتدت الى الشرق من المجرى الاعلى للفرات ، وشملت أقساماً كبيرة من سهول ووادي اراكس ، ARAX وفان VAN [1] ، (أي أرمينيا القديمة التي شهدت تشكل الأمة الأرمنية في مقاطعة هاياسا الحثية HAYASA ، ثم في سهلي فان واراكس حيث تشكل أيضاً اتحاد أرميناي - شوبريا ، وفق ما ذكرناه في فصل سابق « تشكل الأمة الأرمنية ») ، وأرمينيا الصغرى ، LESSER ARMENIA (التي عرفت فيما بعد باسم كيليكيا) ، وضمت[2] ، الأراضي الممتدة إلى الغرب من المجرى الأعلى للفرات أي كابدوكيا CAPPADOCIA ، وارزنجان (اليوم) .

والى جانب هاتين المملكتين الارمنيتين « من الاسرة اليروانتية » ، كانت هناك مملكة صوفين SOPHENE الصغيرة ، أو زوباس ، ومملكة كوماجيني COMMA-GENE ، التي حكمها ، مع مملكة صوفين ملوك ينتمون عائليا الى الاسرة اليروانتية نفسها[3] .

وكان السلوقيون في البدء ، يعينون على امارات ارمينيا (في ظل حكم الاسرة اليروانتية) ، حكاما او ولاة ، اسموهم ستراتيجوز STRATEGOS ، على غرار التسمية الفارسية ساتراب SATRAP (مزربان)، وكانوا مكلفين بادارة مقاطعتهم ، وجباية

---

١ - المرجع السابق .

٢ - أرمينيا مهد الحضارة .

٣ - سنرى أهمية هذه التقسيمات عندما نتعرض إلى الحديث عن الامبراطورية الأرمنية التي أسسها ديكران الثاني - الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الجزية، ثم تسديدها لانطاكية (العاصمة السلوقية). إلا أن هذا الوضع لم يدم طويلاً.

وفي الحقيقة فان ما تم اكتشافه حتى اليوم ، اي حتى اللحظة الراهنة (١٩٨٠) ، عن الاحوال والظروف السياسية والاجتماعية التي سادت ارمينيا خلال حكم المملكة الارمنية الاولى ، (الاسرة اليروانتية) وفي ظل النفوذ السلوقي ، بين سنوات ٣٣١ ـ ١٨٩ قبل الميلاد ، ما زالت شحيحة ونادرة يصعب معها اعطاء معلومات واسعة او مفصلة عنها، وان كانت البعثات العلمية الاثرية السوفياتية-الأرمنية (في جمهورية ارمينيا السوفيتية) تواصل جهودها بدورها لكشف النقاب عن مزيد من المعلومات عن هذه الفترة من تاريخ ارمينيا، التي تعتبر من افقر الفقرات في حياتها بالنسبة لمعلوماتنا عنها.

إلا أننا نستطيع أن نصل ، وعن طريق استعراض التاريخ المعروف لملوك الأسرة السلوقية ، خلال الفترة التي نعالجها الآن (٣٣١ ـ ١٨٩ قبل الميلاد) ، وبالتحديد ، مقارنة هذا التاريخ ، بتاريخ ملوك الأسرة اليروانتية الأرمنية ، إلى تكوين فكرة عن أحوال أرمينيا السياسية والحضارية (وهذه الأخيرة بشكل خاص) ، عبر معلوماتنا عن الحضارة الهيلنيستية ، التي سادت المملكة الأرمنية الأولى ، عقيب فتوحات الاسكندر للامبراطورية الفارسية وأرمينيا . .

وفي هدى هذا النهج ، فان الوثائق التاريخية ، تشير الى انه تعاقب على حكم الدولة السلوقية منذ عام ٣٢٣ حتى عام ١٨٩ قبل الميلاد ، اي منذ قيامها وحتى سقوطها ، كل من الملوك التالين :

١ ـ سلوقس الأول SELEUCUS I ٣٢٣ ـ ٢٨٠ قبل الميلاد .

٢ ـ انطوخيوس الأول ANTIOCHUS I ٢٨٠ ـ ٢٦٢(٢٦١)قبل الميلاد المعروف أيضاً باسم سوتراي المنقذ.

٣ ـ انطوخيوس الثاني ANTIOCHUS II ٢٦٢ (٢٦١) ـ ٢٤٧قبل الميلاد المعروف أيضاً باسم ثيوس : الإله.

٤ ـ سلوقس الثاني SELEUCUS II ٢٤٧ ـ ٢٢٦ قبل الميلاد .
٥ ـ سلوقس الثالث SELEUCUS III ٢٢٦ ـ ٢٢٣ قبل الميلاد .
٦ ـ انطوخيوس الثالث ANTIOCHUS III (الكبير) ٢٢٣ ـ ١٨٩ قبل الميلاد .

وباعتبار اننا قد حددنا في نبذة سابقة ، اسماء وتاريخ تسلم ملوك ارمينيا من الاسرة اليروانتية ، لمهام الحكم في دولتهم ، فانه يسهل علينا الان تطبيق النهج الذي اشرنا اليه قبل قليل .

١ ـ سلوقس الأول ، والملوك الأرمن اليروانتيون في عهده ٣٢٣ ـ ٢٨٠ قبل الميلاد ، مهران ويروانت الثالث بدء تأثيرات الحضارة الهيلنيستية على أرمينيا ، ومفهوم هذه الحضارة :

مر معنا ان سلوقس الاول المذكور ، هو مؤسس الاسرة التي عرفت باسمه ، اي الاسرة السلوقية ، وانه اخضع ارمينيا ، تحت حكم الاسرة اليروانتية ، لنفوذ بلاده ، بدءا من عام ٣٢٣ قبل الميلاد .

وقد كان لهذا العمل العسكري البحت ، نتائج حضارية خطيرة على حياة ارمينيا من النواحي الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وحتى على مدى الفترة الزمنية التي نحن بصددها الان ، اي تلك الاعوام الممتدة بين سنوات ٣٣١ ـ ١٩٠ قبل الميلاد ، وايضا على مدى القرون التي اعقبت هذا التاريخ .

ونرى قبل ان نشرح التفصيلات التي يحملها عنوان هذه النبذة ، ان نلقي نظرة سريعة على مفهوم الحضارة الهيلنيستية نفسها ، كيما نكون اكثر وضوحا ، حينما نتعرض اليها بالشرح ، من خلال هذه النبذة ، وتلك الاخريات القادمات عبر هذا الفصل .

يتفق المؤرخون على أن الحضارة الهيلينستية تبدأ مع موت الاسكندر عام ٣٢٣ قبل الميلاد وتنتهي باستيلاء روما على مصر (في القرن الأول قبل الميلاد) . ورغم هذا الاتفاق ، فان المؤرخين أنفسهم ، يختلفون في تعريف هذه الحضارة ، وان كانوا

يؤكدون على أنها ولدت في اليونان أولا ، ثم تعددت مراكزها ، عندما أصبحت لها حواضر جديدة في المدن التي أحدثت خلال هذا العهد في الشرق ، أو التي نمت بسبب هذه الحضارة الجديدة (مثل الاسكندرية وانطاكية وارتاكساتا ، التي بنيت عقيب سقوط الأسرة اليروانتية عام ١٨٩ على يد ارداشيس الأول ـ كما سنرى) ، بحيث داخلتها ، أي الحضارة الهيلينستية لهذا السبب ، بعض المناهج والنظريات ذات الأرضية الشرقية الغريبة عنها .

ومن هنا فقد أثمرت هذه الحضارة وعلى مرحلتين، نوعين من الثقافة: ففي المرحلة الاولى ، نمت العلوم والفلسفة والاداب وغيرها في عالم مقدوني اغريقي مستقل ، اما في المرحلة الثانية ، فقد نضب معين الانتاج العقلي ، وخلفته المعارف العمرانية والمفاهيم الاجتماعية الجديدة ، من وحدة الوجود ، وارتفاع مركز المرأة ، وتقدم الاقتصاد ، وظهور الفوارق بين الطبقات .

ومن هذه المرتكزات التي استندت اليها الحضارة الهيلينستية وجدت ارمينيا نفسها الان ، وجها لوجه امام آفاق جديدة لم يكن لها بها عهد ، وبالتالي على عتبة تحول ثقافي واجتماعي واقتصادي بآن واحد (كما اشرنا) اخذ يتفاعل مع الحضارة الفارسية ـ الارمنية السائدة فيها قبلا ، مما ادى الى دفع ارمينيا ـ حضاريا ـ اشواطاً بعيدة الى الامام .

وهكذا من سلوقيا ثم انطاكية بالذات ، عواصم السلوقيين ، ومن الاسكندرية ، عاصمة البطالمة (نسبة الى بطليموس) بدأت ارمينيا تتلقى هبات الحضارة الهيلينستية[1] وتمتزج معها. ثم ما لبث أن رافق هذا التأثير الأرمني ـ الاغريقي نشاط مواز في مضمار الاقتصاد ، اذ بدأت المدن الارمنية تنطلق من حدودها الضيقة لتتسع اكثر فاكثر مع اضطراد التجارة ونموها وتتصل مع بعضها

---

١ ـ يجب التمييز هنا بين الحضارتين الهيلينية ، وهي الخاصة باليونان . . والهيلينستية وهي الحضارة التي ولدت نتيجة تفاعل الأولى مع الانجازات الحضارية لشعوب الشرق . وبهذا المعنى تكون هذه الأخيرة قد جاءت تبعاً لاندماج هذه الحضارات ، واحتكاكها مع بعضها البعض .

بدروب جديدة ساعد على انشائها وجود ارمينيا وموقعها الجغرافي نفسه كبلد يتوسط العالم الجديد الذي خلقته فتوحات الاسكندر ، اي بين بلاد الاغريق غربا ، وفارس والهند شرقا ، وسورية ومصر والعراق جنوبا ، مما دفع اليها بالثروات الطائلة ، وبالتالي ساهم في بدء ونمو نهضة أدبية تأثرت بالآداب الاغريقية بل وأخذت عنها حروفها وحتى لغتها .

جرى هذا كله خلال نصف قرن تقريبا ، هو الزمن الذي استغرقه حكم سلوقس الاول الذي عاصره من ملوك ارمينيا ، تحت حكم الاسرة اليروانتية كل من مهران ٣٣٣ ـ ٣١٧ قبل الميلاد ، ويروانت الثالث ٣١٧ ـ ٢٦٠ قبل الميلاد (حتى الثلث الاخير من حكم هذا الاخير) ، ثم ما لبث ان توسع على مدى حكم الملوك اليروانتيين التالين .

٢ ـ انطوخيوس الأول ، والملوك الأرمن اليروانتيون في عهده ٢٨٠ ـ ٢٦١ قبل الميلاد ، يروانت الثالث استمرار تأثيرات الحضارة الهيلينستية على أرمينيا :

هو ابن سلوقس الاول . ويعتبر من اعظم مؤسسي المدن بعد الاسكندر . وعاصره من الملوك الارمن كل من يروانت الثالث بالتأكيد وساموس SAMUS (على الاغلب) . وقد ساهم يروانت المذكور في حروب انطوخيوس الاول ، ضد الغاليين GALES عام ٢٧٦ قبل الميلاد ، الذين غزوا آسيا الصغرى قادمين من حوض الدانوب ، مما اكسبه (اي سلوقس) لقب المنقذ .

وقد كانت ارادة انطوخيوس الاول ورغبته العارمة في اشادة المدن وتزيينها ، ورعايته للاقتصاد وكذلك للثقافة الاغريقية الهيلنستية التي ينتمي إليها ، يقابلها لدى معاصره ملك أرمينيا يروانت الثالث ، رغبة مماثلة جعلت أرمينيا تملك شبكة متصلة من طرق المواصلات المتقدمة ، ومدنها (التي ما زالت بعد في معظمها مدناً صغيرة الحجم ـ عدا العاصمة ارمافير ARMAVIR) تأخذ بالتوسع ، وتزدان

بالمنتديات الثقافية التي أخذت تشهدها صالاتها سواء على المسارح الصغيرة التي شيدت فيها أو في أماكن أخرى .

وفي عهد الملكين السلوقي والأرمني ، بدأت الطبقات العليا في المجتمع والبلاط الأرمني باستخدام اللغة اليونانية « كلغة أرستقراطية »[1] ومزدوجة إلى جانب اللغة الأرمنية . كما دخلت هذا البلاط الأرمني بعض العادات الاغريقية ، سواء بالنسبة لمراسم الاستقبال لدى ملوك الأرمن ، أو في الاحتفالات أو إقامة الحفلات على الطراز الاغريقي .

ورغم هذا ، فان تأثيرات الحضارة الارمنية ـ الفارسية ما زالت بدورها قائمة تعطي الحضارة الجديدة القادمة من معطياتها وتفسح المجال لتمازج ثلاثي : اغريقي ـ فارسي ـ ارمني ، انتهى بعد قرون قليلة الى نهضة ادبية ارمنية يافعة ومتقدمة ابدعت حروفا ابجدية خاصة بالامة الارمنية ـ كما سنرى في فصل قادم .

٣ ـ انطوخيوس الثاني ، والملوك الأرمن اليروانيتون في عهده ٢٦٢ (٢٦١) ـ ٢٤٧ قبل الميلاد ارساميس : استمرار التأثير الهيلينستي على أرمينيا :

انطوخيوس الثاني هو ثيوس الاله ، ابن انطوخيوس الاول ، انتصر بمساعدة حلفاء ابيه انتيجونوس ورودس (الرومانيين) ، وارساميس الارمني اليروانتي على بطليموس الثاني (ملك مصر) في الحرب السورية الثانية ، واسترد اكثر ما فقده والده في الحرب السورية الاولى السابقة .

ومنذ ان تولى ارساميس (ملك ارمينيا) الحكم في بلاده ، بدأت تأثيرات الحضارة الهيلنستية تعطي ثمارها على الصعيد العلمي ، فقد لجأ هذا الملك ، وقد شهد التفاعلات التي ولدتها المدن الاغريقية ـ الشرقية ، التي شيدت بجوار بلاده ،

---

١ ـ على غرار ما جرى في انكلترا عندما أخذت الأسر النبيلة الانكليزية تستخدم اللغة الفرنسية في مخاطباتها تاركة اللغة الانكليزية للعامة ، خلال القرون الوسطى .

على الاصعدة الدينية والاقتصادية والفكرية . . نقول ان ارساميس لجأ الى بناء مدينة كبيرة في أرمينيا على غرار المدن الهيلنستية الأخرى، وجعلها عاصمة لمملكته، ومركز اشعاع مماثل لمجاوراتها ، وذلك على ضفة نهر اراتسباني ARATSANI(احد الروافد الرئيسية لنهر الفرات) اطلق عليها اسمه ، بحيث عرفت باسم: ارساموسادا ARSAMOSATA أو ارشاماشاد ARSHAMASHAT ، ثم ما لبثت هذه المدينة أن تحولت إلى مركز تجاري هام ، كما وأقيمت العمارات والأبنية المتأثرة بالفن المعماري الأرمني - الاغريقي .

وعلى الاثر عرفت ارمينيا ، خلال حكم ارساميس ، « ارمينيا بممالكها الاربعة - الواحدة » ، تقدما ملموسا على الاصعدة الزراعية ، والاجتماعية ، حيث اسست الى جانب هذه العاصمة ، العديد من المدن الارمنية الجديدة التي سيصبح بعضها في وقت لاحق عواصم لارمينيا الدولة المستقلة احيانا ، او الخاضعة لنفوذ الاجانب احيانا اخرى . . وارتبط هذا التقدم الزراعي - الاجتماعي - العمراني بموقع ارمينيا نفسه ، باعتبار ان بناء هذه المدن الجديدة ، قد جاء على الدروب الصالحة لمرور التجارة بين آسيا الوسطى والبحر الابيض المتوسط .

وفي عهد الملك ارساميس هذا ، تم صك نقود ارمينية ، هي الاولى في تاريخ الدولة الارمنية ، على ما نعرف،وحملت اسمه على الشكل التالي : باسيلوس ارساميس BASILEOS ARSAMES (أي الملك أرساميس) ، ودليلنا هنا نسوقه من تلك القطع التي عثر عليها في أرمينيا من هذا النوع ، والتي كانت هذه الأخيرة خلال حكم الفرس ، ثم الاغريق ، ومن بعدهم السلوقيين ، تستخدم النقود العائدة لهذه الدول ، والتي كانت تصكها بنفسها وتحمل اسم ملوكها وصورهم (أي الفرس واليونان) .

٤ - سلوقس الثاني ٢٤٧ - ٢٢٦ قبل الميلاد ، وسلوقس الثالث ٢٢٦ - ٢٢٣ قبل الميلاد ، والملكان الأرمنيان ارساميس واكسركسيس : استمرار التأثيرات الهيلينستية :

تميز عهد هذين الملكين السلوقيين ، ومن قبلهما اسلافهما ، بالحروب

المتواصلة (الحرب السورية الاولى ، والثانية ، والثالثة) . . وهكذا رأينا سلوقس الثاني (سلوقس كالبنكيوس) ، يخوض غمار حرب ضد بطليموس الثالث ملك مصر ، كما ينهض لمقاومة الصراع على العرش الذي نشب بينه وبين زوجة ابيه (اخت بطليموس الثالث) . . ولا يلبث ان يشترك مرة ثالثة في حرب ضد الدولة البرثوية (وهي الدولة الجديدة التي قامت على انقاض الامبراطورية الفارسية عام ٢٥٠ قبل الميلاد على يد مؤسسها ارشاق) . . وعندما قضى سلوقس الثاني نحبه ، خلفه على العرش سلوقس الثالث ، لمدة ٣ سنوات .

وفي عهد الملوك الاربعة هؤلاء ، تطورت العلاقات بين الدولتين الارمنية والسلوقية لصالح الدولة الاولى ، عندما استغلت هذه ضعف الدولة السلوقية ، فجاهرت باستقلالها التام ، وأعلنت انفصالها عن السلوقيين .. كما قام الملك الأرمني اكسركسيس XERXES ، باعادة تنظيم دولته ، واقتباس الأنظمة الادارية المتبعة في الدولة السلوقية، ثم استفاد من النهضة التجارية الاقتصادية التي شهدتها بلاده، فزاد من بناء الجسور والطرق، وتحسين المدن وتجميلها، بحيث أضحت أرمينيا، (وقد اقتربنا الان من نهاية القرن الثالث للميلاد الذي سيشهد مع بداية القرن الثاني للميلاد تحولا جديدا ، هو الولادة بعد المخاض ، الذي استمر على مدى السنين السابقة كلها عبر حكم الاسرة اليروانتية ، ليأتي مع عام ١٨٩ قبل الميلاد بالاستقلال الارمني الناجز ، والبعيد عن اي سيطرة ، اونفوذ اجنبي مهما كان شكله بل وأكثر من هذا ليأتي بالامبراطورية الأرمنية بالذات) ، واحدة من الممالك القوية في الشرق الأوسط التي تملك القدرة ليس على البقاء وحسب بل والتوسع أيضاً .

٥ ـ انطوخيوس الثالث ، والملكان الأرمنيان اكسركسيس ، ويروانت الرابع ٢٢٣ ـ ١٨٩ قبل الميلاد : بدء تشكل الدولة الارداشيسية وظهور ارداشيس الأول ، وزاره .

انطوخيوس الثالث ابن سلوقس الثاني والملقب بالكبير ، كان ذا اطماع واسعة ، ويحلم باعادة تشييد امبراطورية جديدة على غرار امبراطورية الاسكندر

يكون هو حاكمها . . ولعل هذه الاحلام بالذات هي التي ادت الى تأسيس المملكة الارمنية الثانية .

وهكذا حاول انطوخيوس تحت هذه الدوافع فتح « جوف سوريا » ، ولكن بطليموس الرابع ملك مصر ، افسد خطته [1] ، فيمم وجهه شطر الشرق والشمال ، وقام بحملة عسكرية واسعة احتوت السنوات ٢١٢ ـ ٢٠٦ قبل الميلاد اعاد خلالها فتح ارمينيا والحقها من جديد بالدولة السلوقية بعد ان اجرى مصاهرة مع ملكها اكسركسيس XERXES الذي تزوج بأخت انطوخيوس الثالث نفسه .

ولم يلبث انطوخيوس ان تابع فتوحاته ، فاستعاد ايضا بارثيا وباكتريا ، وتوغل حتى كابول (في افغانستان) مما اكسبه لقب الكبير . . ثم اقتسم مملكة بطليموس الرابع في مصر ، بعد خلو عرشها من وريث ، مع ملك مقدونيا (المملكة الثالثة من امبراطورية الاسكندر المقدوني) .

كانت هذه الانتصارات والفتوحات التي حققها انطوخيوس بمثابة الانذار الذي قرع امام اذني روما ، التي ادركت مدى الخطر الكامن وراء عودة الامبراطورية الاغريقية على حدودها الشرقية . وازداد الرنين صخبا عندما عبر انطوخيوس الدردنيل ليسترد تراقيا ، فأرسلت اليه روما بعثة خاصة لمفاوضته (١٩٦ ـ ١٩٣) قبل الميلاد فشلت في مهمتها ، وعاد الطرفان الى الحرب .

وفي هذه الأثناء، وكان حكم الأسرة اليروانتية قد وصل إلى نهايته اثر مقتل ملكها الأخير يروانت الرابع ، فان انطوخيوس نصب ارداشيس الأول ARTA–SHES I حاكما على ارمينيا الكبرى كخليفة للملك القتيل ـ شرقي الفرات في مناطق ارضروم وموش وفان واريوان ـ . . كما عين زاره ZARIADRIS ، حاكما على مملكة صوفين ، ارمينيا الصغرى ، ـ غربي الفرات في مناطق سيواس وارزنجان وملاطية ـ .

---

١ ـ هزمه في معركة رفح عام ٢١٧ قبل الميلاد .

وعندما هُزم انطوخيوس الثالث في معركة ترموبيل ، ثم ماجنيسيا MAGNESIA عام ١٩٠ (او ١٨٩ قبل الميلاد) ، اعلن ارداشيس الاول استقلال بلاده ونصب نفسه ملكا عليها ، وهو ما فعله زاره أيضاً ، حيث اعترفت روما بهذين الاعلانين . وهكذا بدأت خطوات المملكة الأرمنية الثانية بالسير على يد مؤسسها ارداشيس الأول .

لوحة رقم ٣

وخلال حكم يروانت الرابع ، وتحت النفوذ السلوقي (انطوخيوس الثالث)، شهدت ارمينيا بناء عاصمة جديدة لها شيدت على الرأس الصخري القريب من نهر اراكس ARAX وسميت : يريفانداشات ERVANDASHAT ، نسبة الى مؤسسها يروانت الرابع ORONTES IV . وقد جرى تحصين هذه المدينة بالاسوار والجدران العالية التي من خلال احجارها ، تركت فجوات في اماكن متعددة منها ، وحتى مستوى النهر ، وذلك لتسمح للماء بالنفوذ الى داخل الاسوار (اي الى المدينة نفسها) ، من أجل استخدام السكان الخاص. كما جلبت كافة الكنوز من العاصمة القديمة ARMAVIR ، الى العاصمة الجديدة ، اما الاصنام فقد اقفل عليها بعد تجميعها في مدينة صغيرة بنيت في الشمال على الضفة اليسرى لنهر اخوريان AKHURYAN وسميت باغاران BAGARAN اي مدينة الالهة (او التماثيل) .

ثم قام الملك يروانت الرابع بزراعة غابة كبيرة الى جانب هذه المدينة، وبالتخصيص في جنوبي النهر ، وربى فيها مختلف الحيوانات ، وخاصة منها التي تصلح للصيد[1].

أما الملك اكسركسيس XERXEX فقد صك نقوداً أرمنية حملت على أحد وجهيها صورته وقد بدا فيها ملتحياً يضع على رأسه تاجاً غريب الشكل .

❋ ❋ ❋

١ ـ انظر بخصوص هذه المعلومات ، عن العاصمة الجديدة يريفانداشات ، كتاب الأرمن لمؤلفته دير نرسسيان الصفحة ٢٤ .

الفَصل الثالث

المملكة الأرمنية الثانية : الأسرة الارداشيسية ARTASHESES DYNASTY
١٨٩ ق.م - ١ ب.م.
الامبراطورية الأرمنية THE ARMENIAN EMPIRE
وديكران الثاني الكبير .

لوحة رقم ٥

كان لقيام ارداشيس الاول [1] ، باعــلان استقــلال بلاده « ارمينيا الكبرى » ، وتسمية نفسه ملكا عليها ، ثم مباركة رومـا لهـذه « التصرفـات » ، اثـر واضـح في رسـم الخطوات المقـبـلة لهذا الملك .

ومن هذا القبيل محاولته ضم مملكة ارمينيا الصغرى الى دولته عقيب وفـاة ملكها زاره ZARIADRIS ، بعد ان كان قد احتل عاصمة اليروانتيين يرفانداشات ERVANDASHAT . الا ان فشله في الحاق هذا المملكة باراضيه ، لم يزده الا اصرارا على تأسيس دولة ارمنية مستقلة خاصة به ، وهوما نجح فيه تماما ، اذ احدث أسرة حكمت أرمينيا قرابة قرنين من الزمن ، تسلسل منهم الملوك الأرمن التاليين :

١ - ارداشيس الأول ARTASHESES ١٨٩ - ١٦٠ ق.م.

٢ - اردافست الأول بن ارداشيس ARDAVAZD I ؟ - ؟ ق.م.

٣ - ديكران الأول بن ارداشيس TIGRANES I ؟ - ؟ ق.م (الابن الثاني) .

٤ - ديكران الثاني الكبير TIGRANES II THE GREAT ٩٤/٩٥ - ٥٥/٥٦ ق.م . ابن ديكران الأول

٥ - اردافست الثاني بن ديكران الأول. ARDAVAZD II ٥٥/ ٥٤ - ٣٥ ق.م.

---

١ - ويسمى باليونانية ارتاكسياس ARTAXIAS وبالفارسية ارتاكسركسيس ARTAXERSES

٦ ـ ارداشيس الثاني بن اردافست الثاني ARTASHES II ٣٠ ـ ٢٠ ق.م.
٧ ـ ديكران الثالث بن اردافست الثاني TIGRANES III ٢٠ ـ ٨ ق.م.
٨ ـ ديكران الرابع والملكة يرادو TIGRANES IV, ٨ ـ ٥ ق.م.
٩ ـ اردافست الثالث بن اردافست الثاني ARDAVAZD III ٥ ق.م ـ ٢ ق.م.
١٠ ـ ديكران الرابع والملكة يرادو TIGRANES IV, ERATO ٢ ق.م. ـ ١ ب م.

وبديهي ان تتفاوت اهمية هؤلاء الملوك سواء بالنسبة للدور الذي لعبه كل منهم في حياة بلاده وتقدمها ، ام بالنسبة لنفوذه ، وتأثيره الشخصي على مجريات الاحداث ، وهو ما سيدفعنا بالتالي، الى التوسع في الشرح التاريخي لسيرة هذا الملك او ذاك ، او اختزالها ، في هذه الفصل ، وذلك تبعا للاهمية التي حازها كل منهم.[١]

ارداشيس الأول
١٨٩ ـ ١٦٠ قبل الميلاد

رغم ان محاولة هذا الملك ، محاصرة مملكة ارمينيا الصغرى ، وضمها الى املاكه ، قد بدت غير موفقة ، الا انه نجح من جهة اخرى ، في جعل دولته تغطي كافة المرتفعات الأرمنية ، بحيث امتدت من الفرات غربا ، الى بحر قزوين شرقا ، ومن القفقاس شمالا ، وحتى جبال طوروس جنوبا ،[٢] ، وبحيث شملت بهذه الصورة ، قسماً من البلاد الجيورجية (كرجستان) ، وهي مقاطعات[٣] دايك وكلارجيك وتورخاك .

وقد اثبت المؤرخون ، وخاصة بلوتارك PLUTARCH ، واسطرابون STRABO ، لجوء القائد الفينيقي العظيم هانيبال القرطاجني HANNIBAL THE CARTHAGINIAN الى بلاط الملك الارمني ارداشيس الاول اثر هزيمته على يد

---

١ ـ حسب لائحة المؤرخ أغوب مانانتيان HAGOP MANANTIAN ، في كتابه (تارخ الأرمن) طبع يريفان سنة ١٩٤٤ الجزء الاول صفحة ٣٠٢ ، (الأستاذ جورج صباغ) .
٢ ـ راجع كتاب الأرمن : لمؤلفته دير نرسيسيان .
٣ ـ تاريخ الأمة الأرمنية : الدكتور ك.ل. استارجيان .

الرومان ، ويذكر هؤلاء المؤرخون ايضا ان هانيبال قد وضع مخططاً لاشادة عاصمة جديدة للمملكة الارمنية الوليدة ، حاز اعجاب ارداشيس الذي امر بالفعل ببناء مدينة ارتاكساتا ARTAXATA ، او ارداشاد ، على الضفة اليسرى لنهر اراكس ARAX ، التي أضحت وخلال سنين عديدة ، مركزاً حضارياً مرموقاً . كما نقلت اليها تماثيل الآلهة اناهيد ARTEMIS ، وغيرها من مدينة باغران BAGARAN، التي كانت محفوظة فيها خلال حكم الملك اليروانتي يروانت الرابع - كما اشرنا اليه في الفصل السابق - .

ومن أهم أعمال أرداشيس فرضه استخدام اللغة الأرمنية في المعاملات الرسمية وغيرها . كما أجرى تقسيمات إدارية ، داخل دولته ، ساعدت على تنظيمها وإعمارها. ثم ما عتم أن اهتم بالثقافة الهيلينستية فعمد إلى نشرها وتعميمها بين مختلف الاوساط ، بالاضافة إلى نشاطه في المجال الاقتصادي حيث بنى الجسور والطرقات ، واعتنى بالزراعة وتنشيطها . كما صد غزوات قبائل الآلان[1] ALANS، التي هاجمت بلاده ، وانتهى الامر بينه وبينهم الى زواجه من ابنة ملكهم .

والخلاصة انه قام بكل تلك الاعمال التي يلتزم بها مؤسسو الدول الاوائل في كل مكان .

الملوك الأرمن من الأسرة الأرداشيسية
بين اعوام
١٦٠ - ٩٤ قبل الميلاد.

توالى على حكم ارمينيا خلال هذه الفترة من ملوك هذه الاسرة ، كل من اردافست الاول (؟ — ؟) قبل الميلاد، ثم ديكران الاول (؟ — ؟) قبل الميلاد ، وكانت ارمينيا خلال حكمهم تواصل بناء الدولة والحفاظ على استقلالها

---

١ - الآلان - قبائل أتت من آسيا الوسطى أيام الغزوة الشهيرة . واستوطنت أعالي جبال القوقاز الشمالية ، ثم انحدرت نحو أرمينيا . . وتشكل اليوم جمهورية اسبتيا السوفيتية . وهم المعروفون عندنا « بالشركس » .

تجاه محاولات الملك مهرطاد MITHRIDATES ملك البونت الذي شن هجمات متلاحقة ، الغرض منها التوسع على حساب الدولة الارمنية نفسها ، حتى نجح اخيرا في الاستيلاء على ارمينيا الصغرى LESSER ARMENIA ، كما تمكن البرثويون (الذين اسروا ، أحد أمراء الارمن ، الذي سيكون له دور كبير في تاريخ ارمينيا عند توليه عرشها ، وهو ديكران الثاني الكبير ، الذي عرف حكمه بالعصر الذهبي للدولة الارمنية ، خاصة عقيب تأسيسه أول وآخر أمبراطورية في تاريخ الامة الارمنية) بدورهم من اقتطاع بعض اراضي الدولة الناشئة .

الامبراطورية الأرمنية وديكران الثاني الكبير
٩٤ ـ ٥٥ قبل الميلاد .

يعتبر ديكران الثاني TIGRANES II ، الذي أسماه القنصل الروماني لوحة رقم ١٤ شيشرون[١] CICERO بـ : ملك آسيا العظيم ، اعظم ملوك الارمن قاطبة بما حققه من استقلال ناجز للدولة الارمنية التي ما لبثت ان تحولت عبر فتوحاته الى امبراطورية مترامية الاطراف بلغت مساحتها ٧٠٠ ٠٠٠ كم٢ .

هذا ويمكننا ان ندرس عهد ديكران الثاني من خلال فترتين :

١ ـ الأولى : عهد الازدهار وتوحيد المملكة الأرمنية وإشادة الأمبراطورية.

٢ ـ الثانية : عهد الانحطاط وسقوط الامبراطورية والعودة الى حدود المملكة العادية .

عهد الازدهار واشادة الامبراطورية الارمنية ٩٤ ـ ٦٩ قبل الميلاد.

عندما تولى ديكران الكبير عرش ارمينيا عام ٩٤ قبل الميلاد ، وكان له من العمر ٤٥ عاما ، كانت بلاده موزعة بين ، مملكة صوفين SOPHENE الصغيرة التي

١ ـ هو ماركوس تدليوس ، خطيب ومحام روماني لعب دوراً خطيراً في حياة روما وأرخ لبعض معاصريه .

تحكمها اسرة ارمنية مستقلة ، ومملكة ارمينيا الصغرى LESSER ARMENIA التي استولى عليها مهرطاد[1] ملك البونت MITHRIDATES EUPATOR OF PONTUS، وأرمينيا الكبرى التي يحكمها هو نفسه ، وأخيراً ذلك القسم الكبير من مقاطعة اتروباتين ATROPATENE (اذربيجان اليوم) الذي اضحى بيد الملوك البرثويين[2] PARTHIAN KINGS عقيب تنازله لهم عنها ليفدي نفسه من الأسر[3]، في البلاط البرثوي .

وهكذا كان عليه ، وهو الذي رسخ في نفسه أنه مرسل من السماء لتوحيد آسيا برمتها ، وبقول آخر وهو الملك الذي كان يحلم بإشادة أمبراطورية أرمنية على غرار الامبراطوريات الاخرى ، كان عليه اولا ، أن يصلح أمور بلاده الداخلية ، ثم يوحدها ، لينطلق بعد ذلك الى الآفاق التي رسمها لنفسه . . وبالفعل فقد عمد فورا الى محاصرة مملكة صوفين SOPHENE ، ثم ضمها الى بلاده ارمينيا الكبرى . . خريطة رقم ٣

وما عتم ان جاءته فرصة ثانية مناسبة لاستعادة ارمينيا الصغرى من مهرطاد ملك البونت ، عندما ارسل هذا سفيره كورديوس الى ارمينيا ، لعقد معاهدة تحالف

---

١ ـ مهرطاد أو مثيريداتس أيوباتور ١٣١ ـ ٦٣ قبل الميلاد ملك البونت ومعروف أيضاً بميثريداتس الأكبر ، اشتبك مع الرومان في ثلاثة حروب عرفت باسمه : ففي الحرب الأولى (٨٨ ـ ٨٤ قبل الميلاد) استولى على أكثر آسيا (بالاشتراك مع ديكران) وجزر ايجه (عدا رودس) ، وجانب كبير من بلاد الاغريق ، هزمه صلا الروماني وأرغمه على النزول عن كل فتوحاته عام ٨٤ قبل الميلاد . وفي الحرب الثانية (٨٣ ـ ٨١ قبل الميلاد) هزم الرومان . وفي الحرب الثالثة (٧٤ ـ ٦٣ قبل الميلاد) هزمه لوغوللوص (القائد الروماني الذي هزم ديكران أيضاً) .كان مهرطاد سياسياً محنكاً ورجلاً داهية أضحى مصدر خطر للأمبراطورية الرومانية ثم قتله احد أتباعه .

٢ ـ البرثويون : هم ملوك الأسرة التي قامت على أنقاض الامبراطورية الفارسية . وذلك حوالي عام ٢٥٠ قبل الميلاد على يد مؤسسها إرشاق الأول . ويسمون أيضاً باسم الفرثيون أو الاشكانيون أو الارشاقيون .

٣ ـ جاء أسر ديكران عقيب قيام الملك البرثوي مهرطاد MITHRIDATES (وهو غير مهرطاد ملك البونت) باحتلال أرمينيا وفرض نوع من الوصاية عليها في عهد ديكران الأول . ويقال ان فك أسر ديكران جاء بعد تنازله عن ٧٠ وادياً من اتروباتين ، كما ذكرنا أعلاه .

وصداقة بينهما ، كان على ديكران بموجبها ان يشكل مع مهرطاد جبهة واحدة تقاتل الرومان والشعوب المجاورة ، من اجل الحفاظ على استقلال بلديهما . وتم التصديق على هذه المعاهدة وتوثيقها بزواج ديكران من كليوباترا ابنة مهرطاد . وهكذا دخل ديكران ارمينيا الصغرى وقتل ملكها ارداشيس وضمها الى مملكته ، التي اضحت الآن موحدة تنقصها فقط تلك الاراضي التي استولى عليها البرثويون . . وهو ما عمل من اجله في حروبه ضد هؤلاء خلال اعوام ٨٨ ـ ٧٧ عندما نفذ ديكران الكبير الى بلاد بارثيا (ايران) بجيش جرار وأعمل فيها سيفه ، ثم تقدم الى نينوى NINEVEH ، واربيل ، وسلخ اذربيجان وحكارى عن حكم البرثويين ، واعادهما الى ارمينيا التي حكمتها في السابق ، فتم له بذلك توحيد ارمينيا بالكامل .

وجاء الآن دور إشادة الامبراطورية وقد تطلب منه هذا الأمر أولاً : توسيع فتوحاته فاستولى على جنوب بلاد ما بين النهرين MESOPOTAMIA ، ثم بسط نفوذه كما أشرنا ، على الحكام الصغار الذين كانوا تحت سيادة الملوك البرثويين ، فوقع معهم معاهدة سلم ، اكتسب بعدها لقب « ملك الملوك » ، الذي كان حكراً على ملوك فارس فقط . .

وما لبث ديكران ان اتجه الى البلاد الجنوبية فاحتل شمالي سورية . ويذكر المؤرخون في هذا الصدد ان السوريين كانوا قلقين من الخلافات التي كانت تنشب ضمن الدولة السلوقية بين ملوكها وأمرائها في نزاعهم على العرش ، فشكلوا حزباً وطنياً ، قرر طلب تدخل دولة اجنبية ما تنقذهم من هذا الوضع المتردي ، وهو ما حققه ملك الملوك نفسه « ديكران » الذي دخل سورية عام ٨٣ قبل الميلاد وسلم حكمها الى باكاراد ، من قواده ، بعد ان قتل ملكها السلوقي انطوخيوس يوفيسيروس .

ثم سار ديكران بجيوشه نحو فينيقية (فونيسيا) PHOENICIA (لبنان اليوم) ، فاحتل صيدا وصور وبقية الأراضي اللبنانية ، التي أضحت مع سورية

ولبنان (في أقسامها الكبرى) ، خاضعة لنفوذ الأمبراطورية الأرمنية .

وبعد أن أتم فتح هذين البلدين ، عاد فاستولى على مدن أخرى جديدة من كابدوكية CAPPADOCIA في آسيا الصغرى . وما جاء عام ٧٠ قبل الميلاد ، حتى أضحى ديكران الثاني واحداً من أهم حكام الشرق الأدنى ، حيث امتدت امبراطوريته من بحر قزوين CASPIAN SEA شرقاً ، إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً ، ومن القفقاس شمالاً ، إلى فلسطين وكيليكيا جنوباً في جنوب غربي .

وأمام هذه الانتصارات التي حققها ديكران ، واتساع رقعة مملكته ، فقد اضطر إلى اتخاذ عاصمة جديدة تقع في الوسط من هذه الامبراطورية يستطيع من خلالها إدارة أمور البلاد وحفظ الأمن وضمان السرعة في الرد على الهجمات الرومانية وغيرها . وهكذا ابتنى لنفسه مدينة ديكراناكيرتا TIGRANOCERTA على الضفة اليسرى لنهر الدجلة TIGRIS (قرب ديار بكر الحالية) ، على سفوح جبال طوروس ، وأشاد فيها العمارات الضخمة ، وأحاطها بالقلاع الحصينة التي بلغ ارتفاع بعضها ٤٠ متراً ، كما نقل إليها من كابدوكية ٣٠٠٠٠٠ نسمة من الأروام (الاغريق) أسكنهم فيها ، ثم جلب إليها عدداً كبيراً من أمهر الصناع والفنيين - من سكان فلسطين التي احتل أيضاً أكثر أقسامها وخاصة عكا - للانتفاع بمواهبهم جميعاً . وعلى عادة اليونانيين[1] بنى ديكران الثاني في عاصمته الجديدة عدة مسارح كان أحدها خاصاً ببلاطه ، وكانت هذه المسارح تقدم للشعب ، مسرحيات سوفوكليس ، ومسرحيات الأمير اردافست نجل الملك ، الذي كان من أشهر أدباء وفناني عصره[2] .

ولم ينس ديكران أن يبتني لنفسه قصراً كبيراً أحاطه بالحدائق ، ومناطق الصيد ، وزوده بكل مستلزمات التسلية والمتعة . وهكذا أصبحت ديكرانا كيرتا

---

١ - ننصح بمراجعة الانسكلوبيديا البريطانية ، وكتاب الأرمن لدير نرسيسيان ، وأرمينيا مهد الحضارة ، وتاريخ الأمة الأرمنية لمؤلفه الدكتور استارجيان ، من أجل التوسع أكثر بشأن امبراطورية ديكران .

٢ - أكد هذه الصفة المؤرخ PLINUS الروماني .

المركز الرئيسي الذي انتشرت منه الثقافة الهيلينستية في أرمينيا . كما لعبت كليوباترا - اليونانية الأصل - زوجة ديكران ، دوراً هاماً في هذه النهضة العمرانية والأدبية التي شهدتها أرمينيا ، تحت تأثير الثقافة الهيلنستية، إذ بمشورتها ، جلب الامبراطور واستدعى ، أرباب الأدب والفن الإغريقي إلى قصره، مثل أمينكو واديس ليقدم علومه إلى الأمراء الأرمن ، وكيا يلقنهم اللغة اليونانية والخطابة أيضاً .

إلا أن هذا النصر ، وهذا التقدم الحضاري والفني والاجتماعي ، الذي حققه ديكران الثاني ، ما لبث أن أثار حفيظة الرومان الذين بقوا أكثر من ٢٥ عاماً ينظرون إلى فتوحات ملك أرمينيا بعين الترقب والتوجس . . وهكذا وجدت روما أن الأمر قد بدأ يأخذ الآن أبعاداً خطيرة ، سيما وان امبراطورية ديكران قد توغلت في آسيا الصغرى نفسها ، وهي مداهم الحيوي . . وعلى هذا أخذوا يترقبون به الفرص إلى أن جاءتهم الذريعة المناسبة عندما انهزم مهرطاد « حمو ديكران » أمام الجيوش الرومانية والتجأ إلى قصر صهره ديكران ، ثم طلب حمايته ، فاجاره هذا وخصص له احدى القلاع داخل أرمينيا بمنطقة مرزنجي . . وهنا وجه القائد الروماني لوغوللوص كتاباً شديد اللهجة يطلب فيه إلى ديكران تسليمه مهرطاد . . وكان من الطبيعي أن يرفض الملك الأرمني الاستجابة إلى هذا السؤال سيا وانه جاء يحمل تهديداً مبطناً وخالياً من أي احترام . . ويقول المؤرخ المعروف بلوتارك في هذا الصدد : « انه خلال خمسة وعشرين عاماً يسمع ديكران لأول مرة من يهدده ويتوعده »[1] .

وهكذا ، بدأ النزاع بين الامبراطوريتين الأرمنية والرومانية ، الذي زعزع أسس الدولة الأولى وأدى إلى عصر الانحطاط .

عهد الانحطاط وسقوط الامبراطورية ٦٩ - ٥٥ قبل الميلاد

كانت الامبراطورية الرومانية ، من الامبراطوريات العظيمة في التاريخ ،

---

١ - تاريخ الأمة الأرمنية ص : ٧٥.

التي خضعت في إدارتها ـ خلال الفترة التي نحن الآن بصددهـا ـ إلى إدارة مجلس الشيوخ : « السينا » ، الذي يملك حق إعـلان الحـرب ووقفهـا ، وعقـد السلـم الخ . . .

وعلى هذا الأساس فقد كان على لوغوللوص القائد الروماني ، أن ينتظر قرار مجلس الشيوخ في بلاده بصدد الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه رفض ديكران تسليمهم خصمهم اللـدود « مهرطـاد » . . ولـكن لوغوللـوص لم ينتظـر صدور مثـل هذا القرار ، بل زحف بجيوشه المؤلفة من ٦٠,٠٠٠ [1] جندي من المشاة ، و٣٠٠٠ من الفرسان ، بسرية تامة ودخل الأراضي الأرمنية . . فاحتل أولاً قلعة دوميسا الواقعة على ضفة الفرات ، ثم استولى على أرمينيا الصغرى دون قتال . . وما عتم أن غـذ السير تجاه العاصمة ديكراناكيرتا نفسها ، بعد أن نفذ إليها من جبال طوروس . وفي هذه الأثنـاء كان ديكران قد جهـز ـبدوره جيشـاً أرمنياً عهـد بقيادتـه إلى قائـده مهروزان ، وبعث به لوقف تقدم الجيوش الرومانية . ولكن مهروزان هذا قتل في معركته مع لوغوللوص وتشتت جيشـه . وعندمـا نمـا إلى ديكران نبأ هذه الهزيمـة انسحب بقواته المتبقية إلى داخل أرمينيا بعد أن أمر قائده ـ حاكم سوريا باكاراد ـ بالعودة إلى بلاده لتولي القيادة العامـة ، ثم قلـد القائـد مانكينـوس قيادة الجيوش الأرمنية على الخط الأول ، كما أوكل إلى أخيه « كوراس » مهمة الدفاع عن نصيبين NISIBIS.

ولم يلبث لوغوللوص أن اخترق خطوط الدفاع الأرمنية ، ووصل إلى ديكرانا إكيرتا نفسها وحاصرها ، في الوقت الذي كان فيه ديكران ، من داخل أرمينيا ، وفي ولاية فان VAN بالـذات ، قد جمع قواتاً حليفـة من أنصـاره أمـراء الـكرج (جيورجيا) ، وأذربيجـان (البـانيا) ، وبعض القبائـل العـربية ، ثم اتفـق مع مهرطاد على أن يرسل هذا الأخير قواته لتقطع طرق الامداد والتموين الرومانية ،

---

١ - تذكر المصادر الحديثة أن الرومان شكلوا في الواقع ثلث هذا الرقم . . أما الباقي فهم حلفاؤ هم من كابادوكيا وبيثينيا BYTHINIA وكالاتيا (خلاط) GALATIA (الأستاذ جورج صباغ) .

بحيث ينتظر هو - أي ديكران - نتائج هذه العملية ، إلا أنه وقد خاف على العاصمة ومعابدها الوثنية وخزائنها ، فقد خالف اتفاقه مع مهرطاد ، فعاد وأرسل جيشاً من ٦٠٠٠ جندي إلى ديكرانا كيرتا لفك الحصار عنها ، والعودة بالأوثان والكنوز ، وهو ما نجح فيه هذا الجيش ، بعد أن تكبد خسائر كبيرة . لوحة رقم ١٥

وأعجب هذا النصر ديكران ، فعاد وسار بجيش قوامه الآن ٨٠٠٠٠ جندي وفارس (ضم حلفاءه المذكورين)، واتجه نحو ديكرانا كرتا نفسها . فما كان من لوغوللوص الذي ترامى إليه نبأ هذه الحملة ، إلا أن ترك العاصمة المحاصرة ، بعد أن كلف أحد قواده بمواصلة حصارها ، ثم توجه بجيشه المذكور ، وعبر نهر الدجلة ، واستولى على مرتفعين في موقع استراتيجي ، ركز خلفهما قواته من الفرسان والمشاة ، ثم رتب باقي قواته على أرض مسطحة مستوية . .

كان لوغوللوص في الواقع قائداً عسكرياً موهوباً ، وكانت خطته ترمي إلى استدراج الجيش الأرمني إلى الأرض التي اختارها هو نفسه للقتال ، وهو ما نجح فيه بالفعل ، إذ قامت القوات الرومانية بالانسحاب تدريجياً ، خلال الاشتباكات التي بدأت الآن بين الطرفين ، في حين أخذت القوات الأرمنية تلاحقها ، وفي تقديرها أن الهزيمة بدأت تلحق بأعدائهم . .

ورغم هذه الخطة الذكية ، فان أحد قادة ديكران أدرك مراميها ولفت نظر قائده إليها ، إلا أن ديكران ، وقد أذكاه الغرور ، أعرض عن هذه النصيحة . . وهكذا ، ما ان وصلت القوات الأرمنية ، إلى القرب من المرتفعين الذين كمن وراءهما فرسان لوغوللوص ومشاته ، حتى ظهر هؤلاء على الأرمن فجأة من الخلف ، فتضعضعت صفوف الجيش الأرمني نتيجة هذه المفاجأة ، ثم انهار تماماً ، وتمت الغلبة للوغوللوص . .

وزاد الطين بلة أن قائد لوغوللوص المسمى مورينوس MAURENUS عهد إليه الأول بمحاصرة ديكرانا كيرتا ، قد استطاع فتحها ، نتيجة خيانة بعض سكانها اليونانيين ، فدخلتها القوات الرومانية تحت قيادة لوغوللوص نفسه ، الذي

أمر بنهبها، فاستولى جنوده على ٨٠٠٠ طالأنت من الفضّة[١] . . كما عثر الرومان على كميات هائلة من القمح والمؤونات الغذائية الفائضة استولوا عليها جميعاً.

وبسقوط ديكرانا كيرتـا بتـاريخ ٦ تشرين الأول سنـة ٦٩ قبـل الميلاد ، تم للرومان الاستيلاء على ممتلكات الامبراطورية الأرمنية بكاملهـا في سورية ولبنـان وكابدوكية وحتى في أرمينيا نفسها .

ورغم هذه الهزيمة الساحقة ، فقد عاد ديكران وحموه مهرطاد ، وأعدا خطة مشتركة لالحاق الهزيمة بالرومان ، وعمدا لهـذه الغـاية إلى تجهيز جيش جديد كان خليطاً من الأرمن والعرب[٢] والكرج والأذربيجانيين . وحاول ديكران ضم البرثويين إلى جيشه ، ولكنه لم يفلح ، عندما أعلن ملكهم فرآدشاه حياد بلاده بين الأرمن والرومان ، الأمر الذي أثار عليه حفيظة لوغوللوص (نظراً لوجود معاهدة تحـالف بينهما - أي بين الرومان والبرثويين) ، فسار هذا بجيشه ، وعبر جبـل طوروس ثانية ، ثم توغـل في أرمينيا ، حتـى بلـغ ولاية موش MUSH في طريقـه لملاقـاة ديكران ، الذي اتخذ العاصمة القديمة ارداشاد مقراً له .

والتقى أخيراً الجيشان في المعركة الثانية . وكان الجيش الأرمني ، يقوده الآن ديكران نفسـه (على رأس فرق الفرسـان) ، في حـين تولى مهرطـاد (قيادة فرق المشاة) . واحتدم قتال ضار بين الطرفين استخدم خلاله الأرمن خططاً جديدة تمكنوا بواسطتها من الحاق الهزيمة بالجيوش الرومانية التي انسحبت عائدة إلى قواعدها في نصيبين .

وعلى الأثر قامت الجيوش الأرمنية بإبادة الحـاميات الرومـانية المتواجـدة على أراضي أرمينيا نفسها في مختلف مقاطعاتها .

وعندما بلغ مجلس الشيوخ في روما ، نبأ هزيمة لوغوللـوص في معـركة نهـر

---

١ - راجع بهذا الخصوص كتاب تاريخ الأمة الأرمنية : الدكتور استارجيان ص : ٧٨ .
٢ - المرجع السابق ص : ٧٩ .

الأرزاني (مراد صو) ، عهد إلى بومبي POMPEY عام ٦٧ قبل الميلاد بقيادة الجيوش الرومانية المتوجهة إلى أرمينيا ، فدخلها هذا ، في الوقت الذي التجأ فيه ديكران الكبير إلى الجبال ، خاصة عندما خانه ، كل من ابنه ديكران الصغير الذي أضحى دليلاً لبومبي ، ومهرطاد ، الذي انسحب إلى قلعة سينوريا ، عدا عن انضمام البرثويين إلى الرومان . . ولم يلبث كل من ديكران وبومبي ، وقد أنهكتهما الحرب ، أن تداعيا إلى السلام . . وبالفعل فقد توجه بومبي إلى ارداشاد (مقر ديكران) لعقد معاهدة تحالف وصداقة بينهما ، فخرج هذا الأخير إلى ضواحي المدينة لاستقبال بومبي تكريماً له ، فتلقى بومبي هذا العمل بالتقدير ، وعامل ديكران معاملة الملوك ، ورد إليه شعاراته الملكية ، وان كان قد جرده رسمياً من نفوذه ، في سورية ولبنان وكيليكية وكبدوكية وكردستان . . مما عنى عودة الامبراطورية الأرمنية إلى حدودها القديمة ، كما ربط أرمينيا بمعاهدة صداقة وتحالف مع روما ، وفرض على ديكران غرامة حربية باهظة . وما لبث ديكران أن عاش بعد ضياع أمبراطوريته ١٥ عاماً ، ثم توفي عام ٥٥/٥٤ قبل الميلاد .

لوحة رقم ٢٠

اردافست الثاني ابن ديكران الأول ARTAVAZD II

٥٥/٥٤ - ٣٤ ق . م .

تولى الحكم وبلاده في موقف حرج حقاً . فهو غير قادر على الوفاء بالمعاهدة التي ارتبط بها سلفه ديكران الثاني مع الرومان ، ولا هو قادر في الوقت نفسه على الانحياز إلى البرثويين (أعداء الرومان) ، الذين كانت جيوشهم بدورها تقرع أبواب أرمينيا . وهكذا وجد نفسه أمام حل واحد لا خيار له فيه ، وهو السير وفق سياسة معينة تقضي بمهادنة الطرفين ، وحفظ التوازن بينهما ، الأمر الذي أثار حفيظة الرومان والبرثويين على حد سواء .

وازداد موقف اردافست حرجاً ، عندما اندلع الخلاف بين الدولتين الرومانية والبرثوية ، وتطور بسرعة مخيفة ، فعمد اردافست « عندئذ » إلى إرضاء الرومان ،

الذين زحفوا الآن بجيوشهم صوب بارثيا ووصلوا أرمينيا نفسها ، بان وعد قائدهم «كراسوس» ، الذي اجتمع به سراً ، بتزويده بقوات أرمنية في حربه القادمة . . كما نصحه بعبور أرمينيا ذاتها ، واختصار طريقه إلى بلاد البرثويين . .

وعندما بلغ يوروفت ملك البرثويين ، نبأ تلك المقابلة السرية ، قرر بدوره مهاجمة أرمينيا . . إلا أن اردافست استطاع بدهائه ، اقناع هذا الملك ، بان مقابلته لكراسوس ، لم تكن إلا تمويهاً لتغطية نواياه الحقيقية ، (أي نوايا اردافست) ، التي هي إلى جانب البرثويين بالذات .

وهكذا تخلص هذا الملك بدهائه ومرونته من هذا الموقف الذي كاد يجر بلاده إلى حروب مزدوجة مع القوتين الرهيبتين .

وما عتم كراسوس ان تابع سيره نحو بارثيا ، سالكاً طريقاً طويلاً ، أضنى جيشه ، حيث التقى الجيشان أخيراً في حران ، وكانت الهزيمة من نصيب كراسوس الذي قتل على يد القائد البرثوي سورين ، كما وفقد جيشه .

وعقيب هذه المعركة ، جرت مصاهرة بين البلاط الأرمني والبرثوي ، وأصبحا حليفين . . إلا أن دخول ماركوس انطونيوس (زوج كليوباترا وحاكم مصر) أرمينيا ، وضمها إليه بغرض الثأر لمقتل كراسوس ، وإعادة التوازن بين الدولتين الرومانية والبرثوية في منطقة الشرق الأدنى والأوسط ، قد قلب الموقف رأساً على عقب ، عندما أجبر اردافست على الانضمام إلى الرومان في حربهم ضد البرثويين . . . وشاء القدر أن يهزم انطونيوس ، فانسحب اردافست بجيوشه إلى أرمينيا ، مما أثار حفيظة القائد الروماني انطونيوس عليه واعتبره السبب في هزيمته أمام البرثويين وأخذ يتحين به الفرص حتى تمكن من القبض عليه وكبله بالسلاسل وقادة إلى مصر حيث أعدمه الحياة .

ارداشيس الثاني بن اردافست الثاني ARTASHES II
٣٠ ـ ٢٠ قبل الميلاد

كان من الطبيعي أن يحمل هذا الملك كراهية عمياء للرومان الذين قتلوا

والده . ووجد أن أفضل سبيل للثأر منهم هو التقرب من أعدائهم ، أي « البرثويين » . وهكذا توجه إلى المدائن (أكيتسيفون) عاصمة بارثيا ، حيث استقبله ملكها فرآد الرابع PHRAAD IV بالترحيب ، ثم ما لبث العاهلان أن اشتركا في حرب واحدة ضد الميديين (سكان الأراضي الايرانية بين تبريز وهمدان) ، أعداء البارثيين وحلفاء انطونيوس الروماني[1] ، وقد تمكن ارداشيس ، في هذه الحرب ، من قتل اردافست (الملك الميدي) ، مما جعل له مكانة خاصة لدى البلاط البرثوي . . وهكذا عاد ارداشيس الثاني إلى أرمينيا ، وقد سبقته أنباء انتصاراته ، فاستقبله الأرمن استقبالاً حافلاً ، وتم تنصيبه على عرش أبيه .

وفي غضون سنين قليلة تمكن ارداشيس من اجلاء أكثر الحاميات الرومانية عن بلاده . . مما دفع الامبراطور الروماني اغسطوس ، وقد أدرك مدى الهوة التي وصلت إليها مكانة روما في الشرق ، إلى تغيير السياسة الرومانية في هذه المنطقة . وعمل لتحقيق هذه الغاية إلى استخدام سياسة اللين بدل القوة مع الأرمن ، كما ترك أرمينيا مستقلة ، وأذكى ، بواسطة الأرمن المؤيدين لروما ، وبتصرفاته المدروسة ، العزة القومية لدى الأرمن ، حتى توصل أخيراً إلى تقوية الحزب المؤيد لروما في أرمينيا إلى حدود كبيرة ، والذي تألف من النبلاء والأمراء ، الذين ناوؤا الحزب الموالي للبارثيين ، الذي دعمه ارداشيس الثاني نفسه.

وهكذا توصل اغسطوس (امبراطور روما) إلى تنفيذ أهدافه . . فعمت أرمينيا سياسة فرق تَسُدْ ، كما وجدنا ، سكانها موزعين ما بين مؤيد ومعارض لروما أو لبارثيا ، إلى أن انتهى الموقف أخيراً بالحزب الموالي للرومان إلى الطلب من « امبراطورهم » إقالة ارداشيس الثاني ، وهو الطلب الذي تلقاه هذا الامبراطور بالترحاب (نظراً لميل ارداشيس للبارثيين) ، فأرسل جيشاً رومانياً إلى أرمينيا نصب على عرشها ديكران الثالث بن اردافست الثاني مكان ارداشيس الثاني .

---

١ - الذي كان يرغب - بمساعدة اردافست الميدي - في تنصيب ابنه ملكاً على ارمينيا ، ومن هنا جاءت أهمية الانتصار ، وحتى التحالف ، الذي حققه ارداشيس الثاني مع البارثيين .

واستمر ديكران الثالث (الابن الثاني لاردافست الثاني ، وشقيق ارداشيس الثاني) في حكم أرمينيا حتى عام ٨ قبل الميلاد ، عندما توفي وهو في شرخ الشباب ، دون أن يترك عملاً يمكن أن يخلده أو يذكر به .

الملك ديكران الرابع والملكة يرادو وسقوط الأسرة الارداشيسية
٨ قبل الميلاد ـ ١ بعد الميلاد.

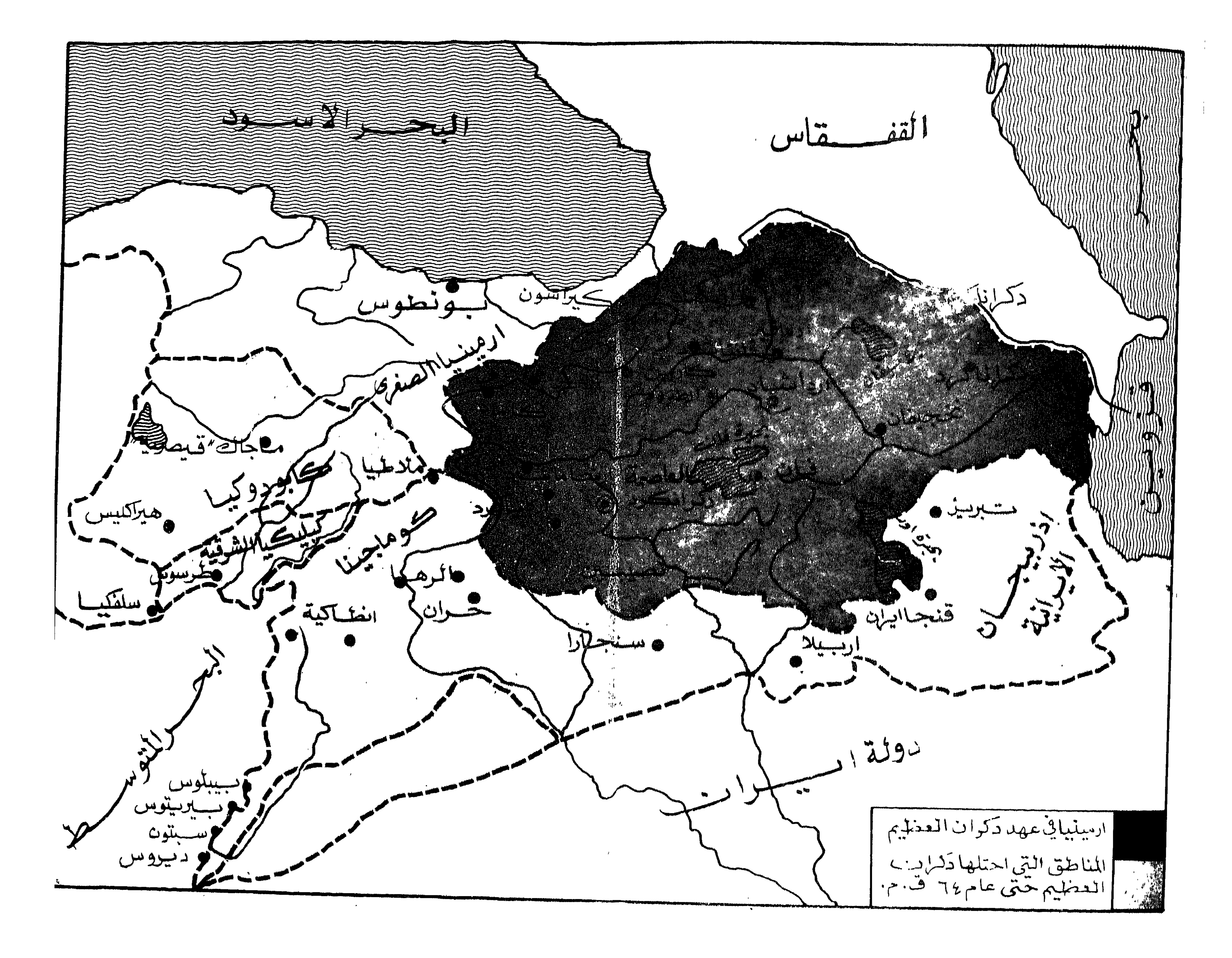
عقيب وفاة ديكران الثالث ، وكانت شوكة الحزب الموالي للبرثويين قد قويت ، فقد عاد هؤلاء ونصبوا ديكران الرابع ملكاً على أرمينيا ، كخليفة لديكران الثالث ، كما حكمت معه أخته (التي كانت زوجته في نفس الوقت حسب التقاليد السائدة وقتذاك) .

وكان هذا العمل كفيلاً باثارة حفيظة امبراطور روما على الأرمن ، فعمد ، لهذا الغرض، إلى إثارة أنصاره في أرمينيا ضد حكم ديكران الرابع والملكة يرادو، اللذين خشيا بالفعل على حياتيهما من الاضطرابات التي نشبت في بلادهما فلاذا بالفرار ، حيث نصب الحزب الموالي للرومان مكانهما اردافست الثالث (الابن الثالث لاردافست الثاني) ! ولكن الأرمن الآخرين ، لم يرق لهم هذا التبديل ، وطبعا أولئك المؤيدين للبارثيين ، فأشعلوا تمرداً ، تمكنوا من خلاله من إبعاد اردافست الثالث عن العرش وإعادة ديكران الرابع (ويرادو) إلى حكم أرمينيا ، الذي ما لبث أن قتل ، فأرسل أمبراطور روما ـ بمساعدة الحزب الموالي له ـ اريوبارزان ليجلس على سدة العرش الأرمني وهو من أصل ميدي .

وهكذا انتهت بموت اردافست الثالث الأسرة الارداشيسية ، وبدأ حكم الملوك الأجانب لأرمينيا الذين أخذت تعينهم روما تارة ، وبارثيا تارة أخرى ، على مدى نصف قرن ونيف وبالتحديد من عام ١ بعد الميلاد وحتى عام ٦٦ بعد الميلاد .

* * *





البحر الاسود
القفقاس
بونطوس
كيراسون
ارمينيا الصغرى
مازاجاك "قيصرية"
ملاطيا
كبادوكيا
هيراكليس
كيليكيا الشرقية
طرسوس
سلفكيا
كوماجينا
الرها
حران
انطاكية
سنجارا
اربيلا
قنجايا
تبريز
اذربيجان الايرانية
دولة ايران
البحر المتوسط
بيبلوس
بيريتوس
ديروس
ارمينيا في عهد دكران العظيم
المناطق التي احتلها دكران العظيم حتى عام ٦٤ ق.م.



الفَصْـل الرابـِع

أرمينيا وحكم الملوك الأجانب
١ ـ ٦٦ بعد الميلاد .

كانت أرمينيا بين سنوات ١ ـ ٦٦ بعد الميلاد ، عرضــة لاضطرابـات سياسية متشابكة ، سببتهـا سياسـة الامبراطـور الروماني اغسطوس «الناعمة» التي سار عليها أيضاً ، خلفاؤه من بعده من الأباطرة الرومان . . وانتهت إلى خلق حزب موال لهم ، بين الأرمن أنفسهم ، في الوقت الذي كانت فيه أرمينيا «تنعم» أيضاً ، بحزب آخر معارض ، وموال للبارثـويين .

وفي الحقيقـة لم يكن هذان الحزبـان إلا أدوات بأيدي هاتـين الدولتـين ، تحركانهما كما تشاءان ، وتبعا لذبذبات معينـة تمليهـا مصـالحهما . وهـكذا رأينـا الامبراطور اغسطوس يثير « حزبـه الرومانـي » في أرمينيا ، عقيب مقتـل ديكران الرابع ـ الذي اعتلى العرش بتأييد من الحزب البارثوي ـ ثم يعمد ، وبمعية الحزب الموالي له ، إلى تنصيب اريوبارزان الميدي المؤيد لها ، ملكاً على أرمينيا ، مما أثار ثائرة الأرمن « البرثويين » لهـذا التـرتيب المفاجـيء ، والمعـارض لمخططاتهـم في نفس الوقـت . وبـدت ثورة هؤلاء واضحــة ، عقيب وفــاة أريوبـارزان هذا ، وقيام الامبراطور الروماني نفسه ، بتسمية ولي عهد الملك المتوفى ، المسمى اردافست ، ملكاً على أرمينيا ، فاغتالوا هذا الأخير للتخلص منه .

وكأنما مل الطرفان ، الروماني والبرثوي ، ومن خلفهم « الأرمن الرومان » ،

« الأرمن البرثويون » ، هذه النزاعات فاتفقوا ، وإلى حين ، على تنصيب ديكران الخامس ملكاً على أرمينيا ، ثم خلعه الأمبراطور الروماني فجأة[1] .

ولعلنا نكون أكثر وضوحاً ، في تفسير هذا الصراع ، الذي كانت أرض أرمينيا وشعبها ، محلاً له ، عندما نسرد القائمة التالية للملوك الأجانب الذين اعتلوا عرش أرمينيا ، وخاصة عندما نقرأ جنسياتهم ، بتأييد من روماتارة ، وأكيتسيفون تارة أخرى :

١ ـ اريوبارزان ـ ميدي ـ ARIOBARZANES. ١ ـ ٢ بعد الميلاد .

٢ ـ اردافست الخامس ـ ميدي ـ ARTAVAZD V. ٢ ـ ١١ بعد الميلاد .

٣ ـ ديكران الخامس ـ عبري ـ TIGRANES V. ١١ ـ ١٤ بعد الميلاد .

٤ ـ الملكة يرادو (مرةاخرى[2]) ERATO ١٤ ـ ١٥ بعد الميلاد .

٥ ـ ونون ـ برثوي VONONES ١٥ ـ ١٧ بعد الميلاد .

٦ ـ ارداشيس الثالث ـ من بلاد البونت ـ ARTASHES III ١٨ ـ ٣٤ بعد الميلاد .

٧ ـ ارشاق الأول ـ برثوي ـ ARCHAK I ٣٤ ـ ٣٥ بعد الميلاد .

٨ ـ ميثريداتس ـ جيورجي ـ MITHRIDATES ٣٥ ـ ٣٧ بعد الميلاد ، وأيضاً : ٤٧ ـ ٥١ بعد الميلاد .

٩ ـ رهادامست ـ جيورجي ـ RHADAMISTUS ٥١ ـ ٥٣ بعد الميلاد .

١٠ ـ استعراض تاريخ أرمينيا وملوكها خلال أعوام ٥٣ ـ ٦٦ بعد الميلاد .

وسوف نختار الآن من هذه القائمة ، موضوعاً لبحثنا هنا ، أكثر هؤلاء الملوك أهمية بالنسبة للدور الذي لعبوه في تاريخ أرمينيا خلال هذه الفترة :

ونون البرثوي VONONES

١٥ ـ ١٧ بعد الميلاد .

عقيب ثورة الأرمن ، على تعيين ديكران الخامس العبري ، ملكاً على أرمينيا

١ ـ اثر ثورة الارمن على هذا الملك اليهودي .

٢ ـ عدا هذه الملكة فهي ارمنية الاصل وحفيدة للملك اردافست

(١١ - ١٤ ميلادية) ، اعتلت العرش الملكة الأرمنية يرادو ERATO مرة ثانية ولعامين (١٤ - ١٥ ميلادية) . وبتنحيها عن المُلك ، وجدت أرمينيا نفسها بدون عاهل ، مما دفعها (أي أرمينيا) إلى قبول تنصيب ونون البرثوي ملكاً عليها ، خاصة وانه يملك الشروط التي يتفق عليها الحزبان الرئيسيان في أرمينيا ، وهو كون هذا الملك بارثوي الأصل (الأمر الذي يرضي الأرمن البارثويين) ، وروماني الجنسية ، (ان صح التعبير لنشأته في روما وموالاته لهم الأمر الذي يرضي بدوره الأرمن الرومان) .

إلا أن هذا التعيين لم يرق لملوك بارثيا PARTHIA ، الذين رأوا فيه رجلاً مارقاً ، فهددوا باشعال الحرب . وهكذا وجد الرومان أنفسهم مضطرين إلى تنحيته عن العرش وإرساله بعيداً . . إلى انطاكية ، حيث تم تعيين ارداشيس الثالث ملكاً على أرمينيا بديلاً عنه .

ارداشيس الثالث (زينون) من بلاد البونت ARTASHES III (ZENO)
١٨ - ٣٤ بعد الميلاد .

جاء تعيين زينون على عرش أرمينيا ، اثر حملة عسكرية قامت بها روما على أرمينيا بقيادة جرمانيكوس ، تحت تهديدات ملك بارثيا (ارداوان الثالث) ، باشعال الحرب ، كما أشرنا ، وللقضاء على شوكة الحزب البارثوي الذي رجحت كفته الآن على الحزب الروماني .

وقد استخدم جرمانيكوس سياسة الدهاء واللين أمام الأرمن ، مما استمالهم إليه ، وبالتالي مهد لقبولهم بزينون ملكاً عليهم ، الذي حمل الآن وهو البونتي الأصل ، الاسم الأرمني ارداشيس ، وأكثر من هذا فقد أصبح الثالث بين الملوك الأرمن الذين سبقوه تحت هذا الاسم ، أي ارداشيس الأول ثم ارداشيس الثاني .

والجدير بالذكر أن هذا الملك استطاع استمالة عاهل بارثيا إليه ، وحاز

رضاه ، الأمر الذي انسحب على أرمينيا نفسها ، التي هدأت أحوالها قليلاً خلال حكمه .

إرشاق الأول ـ البرثوي ـ ARCHAK I

٣٤ ـ ٣٥ بعد الميلاد .

ومع وفاة ارداشيس الثالث كان الدور الآن لبارثيا في تولية الحاكم على أرمينيا . وبالفعل فقد جلس على عرشها الآن ، ارشاق الأول ، وبتأييد من الحزب البرثوي نفسه ، خاصة وانه ابن ملك بارثيا بالذات .

وكان على روما أن تسكت ، على مضض (ومؤقتاً) ، على هذا التدبير . . إلا أن امبراطورها (تيبيريوس) ، ما لبث أن تفتق ذهنه عن فكره « ممتعة » من شأنها أن تعكر على بارثيا استمرارية تعيين حكام بارثويين على أرمينيا (منطقة نفوذها) . . وهكذا عمد تيبيريوس إلى تحريض ملك جيورجيا (الكرجي) ، على غزو هذه البلاد (أرمينيا) ، وتولي عرشها ، بحيث يؤيد هو هذا العمل ويباركه . .

وبالفعل فقد لاقى هذا العرض قبولاً لدى الملك الجيورجي ، خاصة وقد كانت له نوايا مسبقة تسير بنفس الاتجاه ، وهكذا أرسل أخاه مهرطاد (ميثريداتس) MITHRIDATES مع جيش مأجور ، ضم فرقاً كرجية ، ودخل أرمينيا بعد قتال ضار ، وأعلن نفسه ملكاً على أرمينيا ، عقيب قتله لملكها أرشاق الأول .

مهرطاد MITHRIDATES الكرجي

٣٥ ـ ٥١ بعد الميلاد .

ومع هذا الاعلان ، فان ملك بارثيا ، ارداوان الثالث ، وقد فجع الآن بكارثتين ، هما اغتيال ابنه ، ارشاق الأول ، وضياع أرمينيا معاً ، فقد ثارت ثائرته ، مما حفزه على الانتقام ، فأرسل ابناً آخر له هو فرآدود مع جيش كامل العتاد كان عليه تنفيذ مهمتين بآن واحد :

١ ـ استرجاع أرمينيا ، وضمها إلى بارثيا ، وهي الأهم .

٢ ـ وقتل الملك الكرجي الجديد المغتصب ، واستعادة العرش ثانية .

إلا أن الكرجيين ، ومعهم القبائل القوقازية شديدة البأس ، تمكنت من قتل هذا الابن الثاني لملك بارثيا ، وتفتيت جيشه ، مما دفع بارداوان ، الملك نفسه ، إلى تجهيز جيش جديد ، غزا به أرمينيا ، ولكنه فشل أيضاً ـ تحت تأثير عديد من العوامل والدسائس ـ فعاد إلى بلاده .

وبقي مهرطاد على العرش حتى عام ٥١ حيث خلفه ابن أخيه رهادامست .

رهادامست الكرجي RHADAMISTUS
٥١ ـ ٥٣ بعد الميلاد .

وكان هذا ، قد التجأ من جيورجيا إلى كنف عمه مهرطاد ، وعاش في بلاطه . ولكنه كان على خسة ولؤم ويروم الاستيلاء على عرش أرمينيا نفسه . ولهذه الغاية أخذ يتودد إلى الأرمن حتى تمكن من تشكيل حزب مؤيد له من نبلائهم وأمرائهم . . وعندما شعر عمه مهرطاد بهذه النوايا ، هرب إلى فان VAN ، حيث كانت ما تزال تخضع لنفوذ القوات الرومانية .

ووجدها الرومان فرصة سانحة لاستمالة رهادامست ، ملك أرمينيا الجديد ، وارضائه ، فدبروا مؤامرة معه ، تمكنوا بها من تسليم مهرطاد إلى ابن أخيه ، على أساس أن الأمر لا يعدو مصالحة بين الطرفين . . وانتهى الأمر أخيراً إلى مقتل مهرطاد نفسه على يد رهادامست ، ابن أخيه .

فترة اضطرابات رومانية ـ بارثية
٥٣ ـ ٥٩ بعد الميلاد
ووصول درطاد الأول إلى الحكم .

وما جاء عام ٥٣ حتى عاد ملك بارثيا (واغارش الأول ٥١ ـ ٧٧ م) ، وغزا أرمينيا من جديد ، وذكرى الثأر ما تزال ماثلة في الذاكرة ، مما دفع برهادامست إلى الهرب ، وترك العرش الذي تولاه الآن شقيق الملك البارثي المسمى درطاد الأول DRATAT.

وجاء تعيين درطاد المذكور ملكاً على أرمينيا إثر عودة الحياة إلى الحزب البارثوي في أرمينيا وتماسكه . . إلا أن روما لم ترض أن تقف مكتوفة الأيدي إزاء هذا التطور الجديد ، فبعث قيصرها نيرون NERO بجيوشه لطرد هذا الملك البارثي ، وإعادة أرمينيا بكاملها إلى الحظيرة الرومانية . . وجرت بين الطرفين معارك طاحنة استغرقت أعوام ٥٣ ـ ٦٥ ميلادية بكاملها ، تولى فيها حكم أرمينيا بعد تواري درطاد ، ديكران السادس (٥٩ ـ ٦٢) ، ثم عادت الحرب بين الطرفين سجالاً .

فترة السلم البارثي ـ الروماني
٥٩ ـ ٦٦ بعد الميلاد .
ومعاهدة رهانديا (هرانديا) RHANDEIA
عودة درطاد وتأسيس الأسرة الارشاغونية .

أدرك نيرون أخيراً أن هذه الحروب ، وكان قد خسر معظمها ، لن تؤدي إلى أي نتيجة في صالح روما ، ولذلك فانه اضطر إلى اجراء مفاوضات مع البارثيين ، انتهت عام ٦٦ إلى عقد معاهدة هرانديا ، التي تنص على انهاء الحرب بين الطرفين ، وبحيث يتولى عرش أرمينيا ملك من أصل بارثي ، تبارك روما تعيينه .

* * *

الفَصْل الخَامِسْ

المملكة الأرمنية الثالثة : الأسرة الارشاغونية

ARSACIDS DYNASTY

٦٦ - ٤٢٩ ميلادية

اعتناق أرمينيا المسيحية واختراع الابجدية الأرمنية.

انتهى أخيراً ، وكما رأينا ، الصراع الذي نشب بين بارثيا PARTHIA وروما ROME ، بشأن أرمينيا ، إلى توقيع الطرفين معاهدة رهانديا RHANDEIA[1] عام ٦٦ ميلادية والتي اعترفت بموجبها هاتان الامبراطوريتان بالسيادة القومية للأرمن، على أن تقوم بارثيا نفسها بتعيين ملك على عرش أرمينيا ، مقابل « مباركة » روما لهذا التعيين . . وهو الحل الذي كان أمراً لا مفر منه بالنسبة لروما[2] . . .

وهكذا سافر درطاد الأول البارثي TRDAT I « ملك أرمينيا » ، تصحبه « الملكة » ، والأمراء الأرمن - البارثيين ، وزهاء ٣٠٠٠ فارس أرمني ، مع رهط كبير من الكهنة المجوس ، والموظفين الرومان ، إلى روما حيث استقبلهم الأمبراطور نيرون نفسه NERO بحفاوة بالغة ، وقام بوضع تاج أرمينيا على رأس درطاد في لوحة رقم ١٩

---

١ - وتسمى ايضاً هراندیا « بالارمنية » ، نسبة إلى قلعة بأرمينيا ، تحمل الاسم نفسه .

٢ - أي بمثابة الامر الواقع ، اذ سرعان ما نقضت روما هذه المعاهدة بعد سنوات كما سنرى في هذا الفصل.

الفوروم FORUM [1] عام ٦٦ ميلادية ، وأذن له باعادة بناء العاصمة القديمة ارداشاد (ارتاكساتا) ARTASHAT [2]، بعد أن زوده بعدد من المهندسين الرومان اللازمين لاعادة البناء هذه [3].

ومنذ هذا التاريخ (٦٦ ميلادية) ، أي تاريخ تولي درطاد الأول عرش أرمينيا ، تأسست المملكية (المملكة) الأرمنية الثالثة ، تحت اسم الأسرة الارشاغونية [4]، التي تعاقب من ملوكها على حكم أرمينيا كل من :

١ ـ درطاد الأول	IRDAT I	٦٦ ـ ١٠٠ ميلادية .
٢ ـ آكسيدارس	EXEDARES	١٠٠ ـ ١١٣ ميلادية .
٣ ـ بارثاماسيريس	PARTHAMASIRIS	١١٣ ـ ١١٤ ميلادية .
٤ ـ بارثاماسباتيس	PARTHAMASPATES	١١٦ ـ ١١٧ ميلادية (وقعت أرمينيا بين عامي ١١٤ ـ ١١٦ تحت نفوذ الرومان) .
٥ ـ واغارش الأول	VAGHARCH I	١١٧ ـ ١٤٠ ميلادية .
٦ ـ شوهيموش	SOHEMUS	١٤٠ ـ ١٦٢ ميلادية ، حيث دخلت أرمينيا مرة ثانية تحت حكم الرومان لعام واحد ، عاد بعده هذا الملك إلى حكم أرمينيا (باكوروس ١٦٢ ـ ١٦٣ ميلادية) .

---

١ ـ كلمة لاتينية تعني : مكان السوق . وهي ساحة تعقد فيها الاجتماعات العامة في المدن الرومانية في إيطاليا (ثم انتشرت مثيلاتها في الولايات الرومانية) وهي تقابل الأجورا AGORA عند الاغريق ، ويعتبر الفوروم شكلاً هندسياً بديعاً تحيط به الأبنية الضخمة والأرصفة الرخامية والأعمدة المصقولة .

٢ ـ وأسماها درطاد ، نيرونيا أيضاً .

٣ ـ تذكر بعض المصادر التاريخية أن نيرون أهدى درطاد ثروة نقدية ضخمة .

٤ ـ نسبة إلى اسم ارشاق الأول (شقيق درطاد) . . إلا أن التقليد الشعبي الأرمني يجعل تأسيس الدولة (أو الاسرة) الارشاغونية (وتلفظ أيضاً الارشاقونية) سابقاً لهذا التاريخ (٦٦ ميلادية) ، إذ ترجع به إلى زمن ارشاك (ارشاق) الأول ٢٦١ ـ ٢٤٦ قبل الميلاد ، الذي اقتطع قسماً من دولة انطوخيوس الثاني ، وأسس عليه دولة صغيرة .

٦ - (مكرر) شوهيموش SOHEMUS ١٦٣ - ١٧٨ ميلادية .

٧ - ساناتروسيس SANATRUCES ١٧٨ - ٢١٦ - ميلادية .

٨ - واغارش الثاني VAGHARCH II ١٧٨ - ٢١٧ ميلادية ، ويبدو[1] أن أرمينيا خلال أعوام ١٧٨ - ٢١٧ كانت خاضعة لحكم هذين الملكين معاً .

٩ - درطاد الثاني أو خسروف الأول الكبير TRDAT II OR CHOSROES THE GREAT ٢١٧ - ٢٣٨ ميلادية (وخلال حكم هذا الملك ، وفي عام ٢٢٦ على وجه التحديد ، زالت الدولة البارثوية على يد الساسانيين SASSANIDS KINGDOM ، الذين حكموا أرمينيا في سنوات : ٢٣٨ - ٢٥٠ ميلادية ، ٢٥٢ - ٢٦٤ ميلادية ، ٢٣٢ - ٢٨٢ ميلادية ، ٢٩٤ - ٢٩٨ م) .

١٠ - درطاد الثالث وفترات حكمه الثلاث TRDAT III

١ - ٢٥٠ - ٢٥٢ ميلادية (طرده الساسانيون وتولوا حكم أرمينيا) .

٢ - ٢٨٣ - ٢٩٤ ميلادية (اشتركت تدمر PALMYRA أيضاً في حكم أرمينيا ، بين أعوام ٢٦١ - ٢٧٢ ميلادية) .

٣ - ٢٩٨ - ٣٣٠ ميلادية . (وبين أعوام ٢٩٤ - ٢٩٨ ميلادية وقعت

---

١ - في الواقع ان تاريخ أرمينيا بين أعوام ١٠٠ ميلادية (انتهاء حكم درطاد الأول) ، وعام ٢١٧ ميلادية (تاريخ اعتلاء خسروف الأول الكبير عرش ارمينيا) ، كان مبهماً وغامضاً في أكثر الأحيان .. نتيجة الحروب البارثية - الرومانية ، حيث عادت كل منهما إلى محاولة بسط نفوذها على هذه الدولة المنكودة .. وأكثر من هذا فاننا نعتقد أن بعض الأسماء أعلاه (رقم ٦ و٧) تعود إلى ملوك رومان أكثر من أن يكونوا برثويين ؟

		حرب بين ولي عهد فارس (غرسيح) ودرطاد ، وبين الأول وروما أيضاً) .
١١ ـ خسروف الثاني الصغير (القصير)	CHOSROES II	٣٣١ ـ ٣٣٩ ميلادية (بين عام ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، هاجم الفرس أرمينيا ، وبقيت بدون ملك لمدة عام) :
١٢ ـ ديران	TIRAN	٣٤٠ ـ ٣٥٠ ميلادية .
١٣ ـ ارشاق الثاني	ARCHAK II	٣٥١ ـ ٣٦٧ ميلادية } بين عامي ٣٦٧-٣٦٩ بقيت أرمينيا دون ملك نظراً لاغتيال الفرس لملك أرمينيا ارشاق الثاني (انتحاره) .
١٤ ـ باب	BAB	٣٦٩ ـ ٣٧٤ ميلادية
١٥ ـ وارزطاد	VARAZDAT	٣٧٤ ـ ٣٧٨ ميلادية .
١٦ ـ ارشاق الثالث	ARCHAK III	٣٧٨ ـ ٣٨٦ ميلادية } حكم فيها هذان الشقيقان أرمينيا في وقت واحد
١٧ ـ واغارشاق	VAGHARCHAK	٣٧٨ ـ ٣٨٦ ميلادية
١٨ ـ خسروف الثالث	CHOSROES III	٣٨٦ ـ ٣٩٢ ميلادية. عام ٣٨٧ قسمت أرمينيا بين بيزنطة والساسانيين حيث خضعت أرمينيا لنظام حكم معين .
١٩ ـ فرام شابوه	VRAMCHAPOUH	٣٩٢ ـ ٤١٤ ميلادية (أي الفترة التي توقف فيها خسروف الثالث عن الحكم .
٢٠ ـ عودة خسروف الثالث	CHOSROES III	٤١٤ ـ ٤١٥ ميلادية)
٢١ ـ شابوه (شابور)	CHAPOUH	٤١٦ ـ ٤٢٠ ميلادية (بين أعوام ٤٢٠ ـ ٤٢٣ ذرت الفوضى قرنها في أرمينيا ، وبقيت دون ملك مركزي) .

٢٢ ـ ارداشيس الرابع ARTASHES IV ٤٢٣ ـ ٤٢٩ م ، وسقوط الأسرة الارشاغونية .

وسنحاول الآن ، دراسة تاريخ أرمينيا ، تحت حكم ملوك الأسرة الأرشاغونية ARSACIDS DYNASTY هذه، عبر تفصيلنا للحوادث التي شهدتها أرمينيا نفسها ، في ظل حكم كل واحد من هؤلاء الملوك ، باستثناء أولئك الذين تعاقبوا بعد درطاد الأول ، وحتى مجيء درطاد الثاني ، أي بين أعوام ١٠٠ ـ ٢١٧ ميلادية[١] وذلك لسببين :

خريطة رقم ٤

- الأول : غموض هذه الفترة ، التي استغرقت قرناً ونيفا ، وعدم توفر معلومات دقيقة عنها يمكن الرجوع إليها من جهة .
- والثاني : انعدام الأهمية التاريخية لملوك هذه الفترة (١٠٠ ـ ٢٥٠ ميلادية) من جهة ثانية .

درطاد الاول TRDAT I
٦٦ ـ ١٠٠ ميلادية

كانت فترة حكمه الأولى ، ٥٣ ـ ٥٩ ميلادية ، مشوبة بالمصاعب والعقبات التي دفعها الرومان بوجهه ، رغم ترحيب الأرمن به ، وهو سليل الأسرة البارثوية التي تمت إلى الأرمن بصلة القربى وعلاقات حسن الجوار . ويقول المؤرخ داكيدوس[٢] بهذا الصدد : « ان الأرمن مقاربون للبرثويين بالوضع الجغرافي لبلادهم ، وبالقربى ، وبالدين الواحد ، واللغة الواحدة ، وهم مشابهون لهم

١ ـ اي كل من : اكسيدارس EXEDRES (١٠٠ ـ ١١٣ م) ، وبارثاماسيريس PARTHAMASIRIS (١١٣ ـ ١١٤م)، وبارثاماسباتيس PARTHAMASPATES (١١٦ ـ ١١٧ م)، وواغارش الأول VAGHARCH I (١١٧ ـ ١٤٠م) وشوهيموش ŞOHEMUS (١٤٠ ـ ١٧٨)، وساناتروسوس SANATRUCES (١٧٨ ـ ٢١٦)، وواغارش الثاني VAGHARCH II (١٧٨ ـ ٢١٧م). ويبقى هذا التعداد وارداً بهذا الشكل، لتغطية هذه الفترة من تاريخ أرمينيا، ولو بفكرة مبسطة عن ملوكها.

٢ ـ عن تاريخ الأمة الارمنية ، للدكتور استارجيان ص / ٩٦ .

بصفاتهم النبيلة ، وبكساهم ، وأسلحتهم ، مرتبطون بهم بالمصاهرة » .

وكما ذكرنا ، فان روما قابلت تعيين درطاد بغضب ، وأرسل قيصرها نيرون قائده جوربلون لازاحة هذا الملك عن الحكم ، وتقليص نفوذ الحزب البرثوي أيضاً . وهو ما عنى في الواقع رغبة روما في إعادة أرمينيا إلى الحظيرة الرومانية .

ولكن ملك الملوك واغارش الأول (٥١ - ٧٧ ميلادية) البرثوي ، وشقيق درطاد ، تمكن من قهر الجيوش الرومانية في معركة هرانديا ، ثم أجبرهم على توقيع المعاهدة المعروفة بهذا الاسم (وقد أشرنا إليها في مطلع هذا الفصل)،وهي التي أعادت تنصيب شقيقه درطاد ثانية ، ملكاً على أرمينيا .

وهكذا نعمت هذه الدولة ، في عهد هذا الملك ، أي خلال فترة حكمه الثانية ٦٦ - ١٠٠ ميلادية ، بالسلام ، كما شهدت عصراً من التقدم في المجالات الاقتصادية والفكرية والأدبية . . وان كان الرومان ، بعد درطاد ، قد عادوا عام ١١٥ ميلادية ، وأخضعوا أرمينيا لنفوذهم عدة سنوات ، كما دمروا العاصمة ارداشاد عام ١٦٣ ميلادية .

درطاد الثاني TRDAT II
٢١٧ - ٢٣٨ ميلادية
(خسروف الأول الكبير) .

تولى درطاد الثاني (المسمى أيضاً خسروف الأول الكبير) عرش أرمينيا في الوقت نفسه الذي كان فيه شقيقه ارداوان ARTAVAN امبراطوراً على بارثيا PARTHIA. وفي العام الثاني من حكم درطاد المذكور ، أي في عام ٢١٨ ميلادية على وجه التحديد ، تمرد أحد قادة جيوش أخيه ، امبراطور بارثيا ، والمسمى ارداشير ARTASHERES ، وأعلن عصيانه على العرش ، وتمكن في غضون سنوات قليلة ، أن يجمع حوله الأنصار والقبائل الايرانية (البارثية) ، وان يقتل الأمبراطور ، ثم يستولي على العرش (عام ٢٢٦ ميلادية) ، ويفرض الديانة

المزدكيه (عبادة النار) .

ولما كان ارداشير نفسه ، سليل الأسرة الساسانية SASSANIDS DYNASTY ، وحفيد مؤسسها ساسان ، فقد عرفت سلالته بدورها الآن بالاسم نفسه ، كما عرف حكمهم بحكم« الساسانيين » ،الذين استولوا ، وتحت رعايته ، على جميع ولايات الأمبراطورية البارثية السابقة ، ثم فرضوا نفوذهم عليها ، عدا أرمينيا ، التي رفض ملكها درطاد الثاني إعلان خضوعه الكامل لقاتل شقيقه . وأكثر من هذا ، فان درطادالثاني زحف بجيوشه نحو بارثيا (الدولة الساسانية من الآن فصاعداً) ومعه إحدى الفرق الرومانية ، للإطاحة بعرش ملك الملوك الجديد (ارداشير) حتى وصل العاصمة اكتيسيفون . . وتمكن الأرمن ومعهم الرومان من الحاق الهزيمة بالجيوش الساسانية ، مما دفع ارداشير للهرب إلى جزيرة العرب ، فرجع درطاد إلى أرمينيا ، التي شهدت عاصمتها ارداشاد ، احتفالات رائعة بمناسبة هذا الانتصار ، الذي احتفلت به روما بدورها في الوقت نفسه .

وما عتم ارداشير ، أن عاد وحكم الدولة الساسانية عقيب انسحاب خسروف . وهكذا استمر النزاع بينهما اثني عشرعاماً ، بقيت خلالها أرمينيا بعيدة عن السيطرة الساسانية ، إلى أن تمكن ارداشير من اغتيال غريمه خسروف بخدعة ، جرت عن طريق إرسال الأول ، للمدعو أناك (تحت إغراءات منح إقطاعية لهذا القاتل) الذي التجأ إلى خسروف ،بحجة هروبه من جورارداشير وظلمه. ، فأجاره خسروف ورحب به ثم جعله من أفراد حاشيته . . وفي إحدى حفلات الصيد التي كان يقيمها خسروف(درطاد) ، انفرد به أناك ، بعيداً عن الأنظار ، وطعنه بخنجر فأرداه قتيلاً وهرب . . إلا أن أتباع خسروف تمكنوا من القاء القبض عليه بالقرب من العاصمة فقتلوه وجميع أفراد أسرته عدا طفل صغير اسمه كريكور (سوف يكون له شأن كبير في تاريخ أرمينيا الديني كما سنرى ، وهو الذي دعانا إلى الاستفاضة بهذا الشكل بالنسبة لشرح مقتل خسروف) .

لوحة رقم ٨

وبعد مقتل درطاد الثاني ، زحفت جيوش الدولة الساسانية على أرمينيا ،

وأخضعتها لنفوذها ، وتركت اردواست حاكماً عليها . وبذلك تكون غاية ارداشير قد تحققت بمقتل خسروف الذي كان ارداشير يجد فيه حاجزاً يحول دونه والاستيلاء على أرمينيا وبقي الساسانيون في هذه الدولة حتى عام ٢٥٠ ميلادية حينما تولى العرش درطاد الثالث .

درطاد الثالث TRDAT III

وفترات حكمه الثلاث

لوحة رقم ٥٦

٢٥٠ - ٢٥٢ م ، ٢٨٣ - ٢٩٤ م ، ٢٩٨ - ٣٣٠م .

كما نلاحظ ، وكما أشرنا في مطلع هذا الفصل ، فان حكم درطاد قد تم على ثلاث فترات :

آ - حكم درطاد « الأول »[1]، أو أرمينيا بين الساسانيين والتدمريين[2] والرومان ٢٥٠ - ٢٥٢ م :

ودرطاد الثالث ، هو ابن خسروف(درطاد الثاني) ، الذي فر به أتباع والده إلى روما ، حيث شب على العادات الرومانية ، واشتهر بشجاعته ، وثقافته الواسعة التي حازها في البلاط الروماني نفسه .

وهكذا ما ان جاء عام ٢٥٠ ، وكان درطاد الثالث قد أصبح شاباً ، حتى عاد إلى أرمينيا وتولى العرش ، وفي ذهنه ما تزال صورة فراره ومقتل أبيه ، وفي قلبه الانتقام من القتلة . . إلا أن الساسانيين تمكنوا بعد عامين من حكمه (أي في عام ٢٥٢) ، من إجباره على مغادرة أرمينيا ، فالتجأ ثانية إلى روما . . وحل مكانه في حكم هذه الدولة اردواست السادس حتى عام ٢٦١ ميلادية ، عندما زحف اذينة ملك تدمر PALMYRA بايعاز من روما ، لوقف تقدم جيوش الملك الساساني شابور الأول CHAPOUH I ، فالتقاه عند الرها (وتسمى أيضاً أديسا EDESSA ، وأورفة URFA) ، وألحق به هزيمة منكرة ، اضطر شابور على أثرها ، إلى العودة إلى بلاده ،

١ - « الاول » هذه نعني بها فترة حكمه الاولى ، وكذا الأمر للمرحلة الثانية والثالثة . أما هو فيبقى درطاد الثالث نفسه بالطبع .

٢ -وملكهم أذينة ، وزوجته زنوبيا .

مما سمح لأذينة بالتقدم واحتلال قسم من أرمينيا بعد طرده لاردواست السادس . وفي عام ٢٦٧ اغتيل أذينة ، فتولت زوجته زنوبيا ZENUBIA حكم الدولة التدمرية ، ومنها ذلك القسم الخاضع لها من أرمينيا حتى عام ٢٧٢ ميلادية ، عندما اقتحم القائد الروماني أورليان حدود المملكة التدمرية وأسر ملكتها زنوبيا ، واسترجع أرمينيا ، وأعادها إلى السيطرة الرومانية (في أقسام منها غير محددة تماماً) ، منتهزاً تلك الفرصة التي هيأها له أذينة بعد أن هزم ملك ساسانيا (نسبة إلى الدولة الساسانية) شابور الأول ، كما أشرنا إليه .

ب ـ حكم درطاد « الثاني » ، أو أرمينيا والساسانيون ٢٨٣ ـ ٢٩٤ ميلادية :

سمحت انتصارات أورليان السابقة ، وزوال الدولة التدمرية ، بعودة درطاد الثالث إلى حكم أرمينيا ، التي أضحت الآن تحت النفوذ الروماني ، ولكن كدولة مستقلة .

وبقي درطاد الثالث هذه المرة على حكم أرمينيا ، أكثر من أحد عشر عاماً ، كان خلالها يقاوم هجمات الساسانيين المتكررة على حدود بلاده ، في الوقت نفسه الذي بدأت فيه علاقته بذلك الطفل (كريكور) الذي نجا من بين مجموع عائلة أناك (قاتل خسروف) ، والذي أصبح الآن بدوره رجلاً كهلاً اعتنق المسيحية سراً عن الملك درطاد الثالث صديقه المقرب ، ودون أن يكشف له أنه ابن أناك قاتل أبيه (أبي درطاد) .

وما جاء عام ٢٩٤ ميلادية حتى تمكن الساسانيون من احتلال أرمينيا ، ففر درطاد إلى روما ، وبقي فيها حتى عام ٢٩٨ ميلادية ، حين قفل عائداً إلى أرمينيا عقيب توقيع معاهدة الهدنة TRUCE في نصيبين NISIBIS (عام ٢٩٨ ميلادية) ، بين روما والدولة الساسانية .

ج - حكم درطاد « الثالث » او ارمينيا واعتناق المسيحية : درطاد وكريكور ، ٢٩٨ - ٣٣٠ ميلادية :

ادت هدنة نصبين المذكورة الى خلق فترة من الراحة كانت لازمة لارمينيا حقا لتلعق الجراح التي لحقت بها من جراء الحروب السابقة : الارمنية - الساسانية ، الرومانية - الساسانية ، الارمنية - التدمرية ، على ارض ارمينيا . وهكذا مرت البلاد الارمنية في عهد درطاد الثالث (الفترة الثالثة من حكمة التي نحن بصددها الان) ، بعهد تنظيم دقيق تم خلاله تعيين الوزراء واعادة تأليف الجيش الارمني ، وتقويته خصوصا وان قائده الان اصبح اردافست مانتاكوني ARTAVAZD MANTAGOUNI الذي كفل درطاد الثالث وهو صغير، وارسله الى روما خوفاً من بطش ارداشير الساساني .

وفي هذا الوقت بالذات اكتشف درطاد (وربما في نهاية « حكمه الثاني ») ، ان كريكور ، هو ابن اناك قاتل ابيه ، فسجنه ١٥ عاما ، وشدد من تعذيبه ، ثم اطلق سراحه بعد مرض الم به (بدرطاد) بناء على مشورة شقيقته ، التي رأت في الحلم ان كريكور المسيحي وحده هو القادر على شفائه وهو ما فعله كريكور حقا ، ثم تطور الامر ، فاعتنق درطاد نفسه المسيحية ، واعلنها ديانة رسمية للدولة الارمنية ، التي كانت اول دولة مسيحية في العالم ، قبل المانيا وفرنسا وبقرون [1] .

خسروف الثاني الصغير (القصير) CHOSROES II

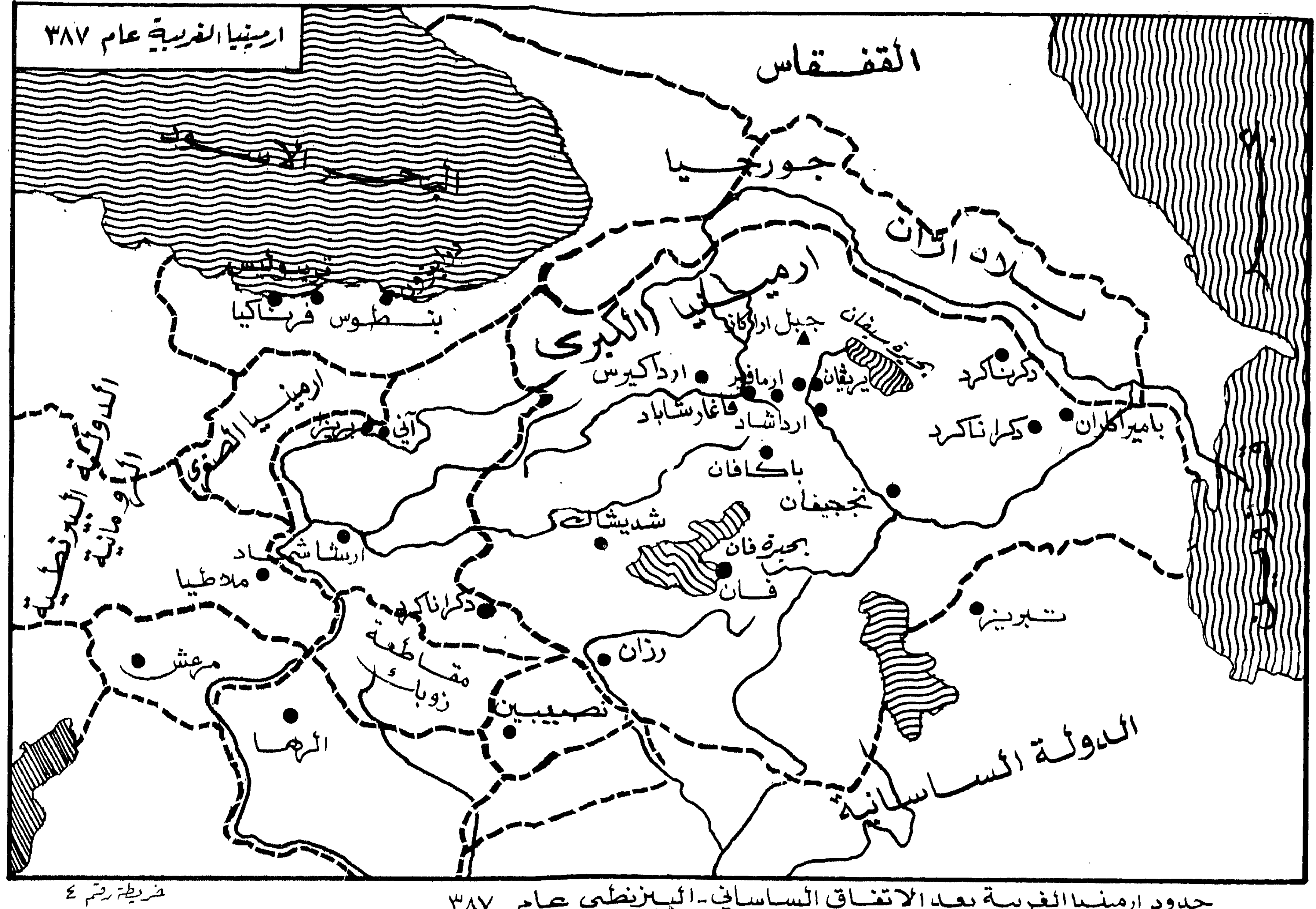
٣٣١ - ٣٣٩ ميلادية

خلف هذا الملك درطاد الثالث على عرش ارمينيا ، التي كانت ما تزال تنعم « بحالة السلام » التي وفرتها هدنة نصيبين (المذكورة) . وهكذا عمد خسروف الثاني ، وكان ذا نزعة عمرانية بناءة ، الى تشييد عاصمة جديدة لارمينيا ، هي دوفين DVIN ، بالقرب من نهر ازات AZAT ، احد روافد نهر اراكس

---

١ - سوف نتوسع بخصوص اعتناق أرمينيا للمسيحية ، وعلاقة درطاد بكريكور (القديس) ، في الفصل الخاص بتاريخ أرمينيا الديني .





خريطة رقم ٤

حدود ارمينيا الغربية بعد الاتفاق الساساني - البيزنطي عام ٣٨٧



(الركس) ARAX ، نقل اليها القسم الاكبر من سكان مدينة اردشاد ARTASHAT (العاصمة القديمة) . . كما وزرع غابة كبيرة على ضفة نهر ازات المذكور ربى فيها عددا كبيرا من الحيوانات .

وانتهت هدنة نصبين اخيرا ، خلال العامين الأخيرين من حكم خسروف الثاني ، عندما قام الملك الساساني[1] ، شابور الثاني CHAPOUH II، بغزو بلاد ما بين النهرين MESOPOTAMIA عام ٣٣٨ ميلادية ، كما اجتاح ارمينيا فى طريقه ، مما ادى الى اعادة نشوب الحرب بين روما وارمينيا من طرف ، والدولة الساسانية من طرف ثانٍ ، واستمرت لمدة خمسين عاما تخللتها سنوات متقطعة من الهدوء .

وخلال زحف شابور الثاني على ارمينيا ، تصدت له الجيوش الارمنية بقيادة موشينغ ماميكونيان ، الذي قتل بينما تابعت قواته القتال .

الملك ديران TIRAN
٣٤٠ ـ ٣٥٠ ميلادية .

وفي عام ٣٤٢ ،وكان ولي العهد ديران قد اصبح الان ملكا على ارمينيا (٣٤٠ ـ ٣٥٠م) ، فانه تمكن من طرد الساسانيين[2] من الأراضي الأرمنية المحتلة والمعروف عن هذا الملك انه كان شرس الطباع مذموم السيرة اهتم بشؤونه الشخصية واهمل الشعب واهان رجال الدين مما اضطر البطريرك هوسيك (وكانت ارمينيا الان دولة مسيحية ومنذ اكثر من ربع قرن) ، الى حرمانه من الكنيسة ،

---

١ ـ انسجاماً مع البحث التاريخي الذي نحن بصدده في هذا الفصل ، وخاصة بالنسبة لعلاقة الساسانيين بملوك هذه الأسرة (الارشاقونية) من جهة ، وحروبهم المتواصلة مع الأرمن من جهة ثانية ، نرى أن نسلسل الملوك الساسانيين كما تعاقبوا على حكم بلادهم : ١ ـ ارداشير ٢٢٦ ـ ٢٤١ م ، ٢ ـ شابور الأول ٢٤١ ـ ٢٧٢ م ، ٣ ـ شابور الثاني ٣٠٩ ـ ٣٧٩ م (وفي عهده انتهت هدنة نصيبين) ، ٤ ـ بهرام الخامس ٤٢٠ ـ ٤٣٨ م (وفي عهده انتهى حكم الأسرة الارشاقونية الخ . . .

والمهم ان نعرف ان حكم الساسانيين انتهى مع بدء الفتح العربى لارمينيا عام ٦٤٠ ميلادية .

٢ ـ كان قائد جيشه هو ارشاوير كامساراكان GAMSARAGAN الذي يعود اليه الفضل في هذا النصر.

فثارت ثائرته وامر بقتل البطريرك المذكور . وما لبث ديران ان قبض عليه من قبل اميراذربيجان بخدعه مبيتة ، فسملت عيناه ، وعاش في المنفى مدة من الزمن ، الى ان اطلق سراحه ، اثر الحرب الارمنية (الرومانية) - الفارسية ، فعاد الى ارمينيا حتى مات .

ارشاق الثاني ARCHAK II

٣٥١ - ٣٦٧ ميلادية .

لوحة رقم ١٢

خلا العرش عقيب اسرديران مما خلق وضعا حرجا داخل ارمينيا خشية التهديدات الخارجية (الجيورجية والساسانية) : . فاجتمع الامراء الارمن والنبلاء ورجال الدولة وقرروا الدفاع عن الوطن ضد اي اعتداء اجنبي ، ثم ارسلوا وفدا الى القسطنطينية [1] ، لطلب مساعدتها ، استنادا الى المعاهدة المعقودة بين الطرفين .

وبالفعل وصل الامبراطور البيزنطي على رأس جيوشه (وكان في طريقه لمقاتلة شابور الثاني) ، وعسكر في ارمينيا (سهل باسين) ، حيث نزل شابور الثاني مع جنده ايضا . ووقعت معركة حاسمة بين الطرفين (الارمن والرومان من جهة ، والفرس من جهة ثانية) ، انتصر فيها الرومان والارمن مما اضطر بالملك الساساني الذي فر الى بلاده ، الى طلب الصلح ، فوافق الارمن شرط اطلاق سراح ملكهم الكفيف البصر ، وهو ما حصل فعلا ، حيث طلب ديران تولية ابنه ارشاق الثاني على عرش ارمينيا .

انصرف ارشاق الى تقوية الجيش ، فعين وارطان ماميكونيان مرافقا ملكيا ، كما رسم البطريرك نرسيس الكبير ، بطريركا عاما على ارمينيا ، الذي يعود اليه الفضل بادخال اصلاحات عديدة على الكنيسة الارمنية والقضاء على اكثر العادات التي كانت آثارها لا تزال مستأصلة في نفوس البعض .

وفي عام ٣٦٧ تلقى ارشاق دعوة من شابور الثاني الملك الساساني فقبلها

١ - انظر التعليق القادم في الصفحة التالية حول نشاة الدولة البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية .

وسافر معه القائد العام للجيش واساك واساك ماميكونيان . وكانت هذه الدعوة عبارة عن شرك نصبه له شاه الساسانيين . اذ قبض على ارشاق اثناء مأدبة غداء ، ثم كبله بالاغلال ، بعد ان قتل واساك قائد الجيش .

ومرت على ارمينيا خلال وجود ارشاق في الاسر اضطرابات وحروب تضعضعت على اثرها الدولة الارمنية . وصدف في هذا الوقت انتحار الملك في سجنه ، فتولى العرش الملك باب ، الذي كان لاجئا الى امبراطور بيزنطة .

باب BAB
٣٦٩ - ٣٧٤ ميلادية

وصل باب الى ارمينيا عام ٣٦٨ عائدا من المنفى لاستلام زمام الامور في بلاده ، ومعه القائد موشيغ ماميكونيان الذي سافر الى القسطنطينية (عاصمة الدولة البيزنطية التي تأسست قبل ٣٠ عاما ، ونسبت الى مدينة « بيزنطة » ، التي اعاد بناءها الامبراطور قسطنطين الاول ، وسماها القسطنطينية ثم جعلها عاصمة للامبراطورية بكاملها) ، وذلك لطلب مساعدة هذا الامبراطور .

عاد القائد موشيغ ومعه قوة بيزنطية عسكرية سرعان ما اشتبكت مع قوات الملك شابور الثاني الساساني . ودارت معركة شرسة بالقرب من تبريز تغلب فيها موشيغ ماميكونيان الذي يقود قواته الارمنية ، على خصمه شابور الثاني واسر زوجة الأخير مع العائلة المالكة، وكبار أعيان البلاط من وزراء وأقرباء الامبراطور الساساني . إلا أن موشيغ ما لبث ان أطلق سراح هؤلاء جميعا ، وأعادهم إلى بلادهم ، مما جعل شابور الثاني يقع تحت تأثير هذا الصنيع ، حتى إنه كان في بعض الاحيان يشرب نخب [1] هذا القائد الارمني تقديرا لاخلاقه وسجاياه .

---

١ - تجلى تقدير الامبراطور شابور الثاني لصنيع موشيغ مامكونيان برسم صورة هذا الاخير على كأس شرابه المذهبة راكبا جواده الابيض . وكان كلما شرب الخمر قال : لنشرب نخب صاحب الجواد الابيض . تاريخ الامة الارمنية (استارجيان) ص : ١٤٢ .

وما لبث شابور الثاني ، محتجا بمساعدة البيز نطيين للارمن خلافا للاتفاقية المعقودة بينهما ، ان جهز جيشا جديدا ترأسه ، وحشد فيه قوات كرجية واغوانية ولازية واتجه صوب ارمينيا ، التي عاد موشيغ ماميكونيان فقاد جيوشها للمرة الثانية في المعركة التي جرت بين الطرفين في سهل « تسيراف» ، فانتصر الارمن ايضا ، مما اتاح للملك باب ، ان ينصرف الى اعادة تنظيم المملكة الارمنية ومعاملة جميع الامراء باحترام ومودة ، كما قام بسلسلة من الأعمال البناءة . . إلا أن مزاجه العصبي وكثرة وساوسه (حتى انه وهو الذي رسم البطريرك نرسيس ، عاد فدس له السم بسبب انتقاد هذا القديس لتصرفات الملك المتقلبة) ، قد ادت الى عودة القلاقل الى أرمينيا[1] .

لوحة رقم ١١

وهكذا سبب اغتيال البطريرك ، اختلالا واضطرابا داخل الدولة الارمنية . ورأى المسؤولون ان البلاد في طريقها الى الضياع لا محالة ، خاصة وان الشعب قد فقد كل تلك المستشفيات والملاجىء التي انشأها البطريرك نرسيس وهدمها الملك باب نفسه . .

ووصلت هذه الانباء الى امبراطور القسطنطينية ، فاستدعى اليه هذا الملك وحاول قتله الا انه فر عائداً الى بلاده ، حيث بقي على رأس الحكم فترة من الزمن ، حتى اغتاله انصار الامبراطور البيزنطي خلال احدى الحفلات في البلاط الارمني .

وقد أثار هذا التصرف غضب موشيغ ماميكونيان، وحاول اعلان الحرب على بيزنطة ، الا انه وبمشورة الامراء والنبلاء الارمن ، رأى السكوت على مضض ، سيما وانه من الصعب على ارمينيا مواجهة امبراطوريتين بآن واحد .

* * *

١ ـ وتروي مصادر تاريخية اخرى ان سبب الخلاف بين الملك باب ورجال الدين ، يرجع الى سبب جوهري وهو رغبة الملك في تحديد امتيازات وسيطرة رجال الكنيسة (الاكليروس) واجبارهم على القيام بواجباتهم العامة ، ومنها خدمة العلم والانخراط في الجيش.

وارز طاد VARAZDAT
٣٧٤ - ٣٧٨ ميلادية .

شعر امبراطور بيزنطة عقيب مقتل باب ، ان الارمن اخذوا يكنون الحقد لدولته ، فحاول اصلاح ما افسده ، كيما لا تميل ارمينيا الى عدوه التقليدي (شابور الثاني)،فعهد الى وارزطاد بحكم ارمينيا ، كما عين القائد موشيغ ماميكونيان مستشارا له (ارضاء للارمن) . الا ان هذا الاخير اغتيل من قبل ساهاروني ، المقرب من الملك وارزطاد وبموافقته بحجة ان موشيغ كان قد قتل اباه .

ومع مقتل موشيغ، عادت الاضطرابات والفتن الداخلية إلى أرمينيا، فقرر افراد عائلة القائد القتيل ـ وهي واحدة من اكبر الاسر الارمنية نفوذا على مدى تاريخ ارمينيا القديم ـ الاخذ بالثأر لفقيدهم ، وتم هذا عن طريق اقتراح عميد هذه العائلة « مانوئيل ماميكونيان » الانحياز الى الفرس ضد الرومان ، الذين قتلوا حتى الان ملكهم « باب » وقائدهم موشيغ .

وهكذا تمكن مانوئيل الذي كان قائدا لدى شابور الثاني ، من الزحف على ارمينيا على رأس الجيوش الفارسية المحالفة . . والتقى بجيش الملك وارزطاد الذي كان يقوده الآن ساهاروني (الذي حرض على مقتل موشيغ) ، في معركة ارضروم ،ورجحت الكفة لمانوئيل ، فقبض على ساهاروني ، وقتله بينما فر الملك نفسه لائذا ببيزنطة .

وأصبح الحكم الآن بيد مانوئيل ، فعدل الأمور ، ورمم ما خربه الملك باب قبل سنوات ، وفتح أبواب المؤسسات الخيرية ، وطمأن الأمراء والنبلاء الذين نصبوا زوجة باب ملكة على أرمينيا ، وعينوا مانوئيل وصياً على ولديها الأميرين ارشاق وواغارشاق .

وفي هذه الاثناء كانت بيزنطة تنظر بعين الغضب الى هذا التحول في سياسة ارمينيا واتجاهها الى التحالف مع اعدائها الساسانيين . وخشيت الملكة الارمنية

« زارما نتوخت » مغبة السياسة البيزنطية على بلادها ، فقررت طلب الحماية الساسانية . وعلى هذا الاساس سافر وفد الى اكتيسيفون ، وطلب الى عاهلها امداد ارمينيا بقوات فارسية ، وبالفعل عاد هذا الوفد ، ومعه قوة فارسية تقدر بـ ١٠٠٠٠ جندي رابطت في ارمينيا .

ارشاق الثالث وواغارشاق ARCHAK III, VAGHARCHAK

٣٧٨ - ٣٨٦ ميلادية .

اخذ مانوئيل ماميكونيان يدير البلاد نيابة عن ولي العهد بكفاءة ودراية تامتين، إلى أن عاد المدعو مهروجان الخائن ثانية، ووسوس لمانوئيل أن العشرة آلاف جندي فارسي ، ليس لهم من غاية من وجودهم في ارمينيا ، الا قتله وسلب استقلال ارمينيا . . واقتنع مانوئيل بهذا القول ، فطرد قائد الحامية الفارسية (سورين) مما ازعج الامبراطور الساساني الذي غزا ارمينيا ثلاث مرات دون فائدة . ولما رأى مهروجان (الذي كان يطمح بالوصول الى العرش) ، نجاح دسائسه ، فقد مال الان الى شابور الساساني ووعده برأس مانوئيل مقابل منحه تاج ارمينيا ، فقبل الامبراطور هذا العرض وارسله لمحاربة مانوئيل . . واصطدم الجيشان (الارمني بقيادة مانوئيل ، والساساني بقيادة مهروجان) في معركة باكاوان حيث قتل مهروجان اخيرا .

وما عتم مانوئيل ان نصب الاخ الاكبر وولي العهد ارشاق الثالث ملكا على ارمينيا وجعل اخاه واغارش نائبا له .

حكم ارشاق الثالث ارمينيا والدسائس من حوله ، خاصة وقد تشكل في بلاده الان حزبان احدهما موال للساسانيين ، وآخر للبيزنطيين ، فعانى الكثير من الحزب الاول ، الذي طلب الى الامبراطور الساساني ، تنصيب ملك آخر بديلا عنه . . فاستجاب لهم وعهد بالحكم إلى خسروف الثالث ٣٨٦ م ، مما دفع بارشاق الثالث إلى الدخول تحت الحماية البيزنطية .

خسروف الثالث CHOSROES III

٣٨٦ ـ ٣٩٢ ميلادية .

ما أن اعتلى الملك عرش أرمينيا إلا وكانت الدولتان الساسانية والبيزنطية قد توصلتا عام ٣٨٧ ميلادية إلى توقيع معاهدة سلام بينهما تم بموجبها تقسيم أرمينا إلى دولتين، احداهما تتبع الامبراطورية البيزنطية ، في حين ألحقت الثانية بالامبراطورية الساسانية . وكانت السطوة وقتذاك لهذه الدولة الأخيرة التي حصلت على القسم الأكبر من أرمينيا ، وهي كل تلك المقاطعات التي تقع شرقي الخط الذي يمر من آرضروم ERZURUM في الشمال إلى مارتيروبولس .MARTYROPOLIS في الجنوب وحكمها خسروف الثالث .

اما في ارمينيا البيزنطية (حيث كان ارشاق الثالث) ، فان هذا الملك الاخير كان يحكم بلاده ـ اي ارمينيا البيزنطية ـ اسميا ، وبعد وفاته وهو في شرخ الشباب ، خلا العرش من وريث من صلبه ، فاصبحت تحت حكم واشراف ما سمي:مجلس ارمينيا COMES ARMENIA ، ثم تحت حكم واشراف مجلس آخر .

فرام شابوه VRAM CHAPOUH

٣٩٢ ـ ٤١٤ ميلادية .

زال استقلال أرمينيا نهائيا عقيب اتفاقية ٣٨٧ . فقد حكم « أرمينيا الفارسية » بعد إزاحة خسروف الثالث عن العرش ، من قبل شابور الثالث (الامبراطور الساساني) الذي اتهم الأول بتحيزه للبيزنطيين ، فضلاً عن غضبه عليه لتعيينه ساهاك البرثوي بطريركاً على أرمينيا دون موافقته ، نقول حكم أرمينيا ، الملك فرام شابوه بين أعوام ٣٩٢ ـ ٤١٤ ميلادية ، وقد أضحت الأرمينيتان : (أرمينيا الفارسية ، وأرمينيا البيزنطية) ، وكما أشرنا ،تحت ملك فارس ، وحكم المجالس المعينة .

كان فرام شابوه هذا ملكاذكيا (وهو شقيق الملك خسروف الثالث)، وعادلا، عمل على نهضة ارمينيا ، وتأمين تقدمها ، كما ساعد على اختراع الحروف الابجدية

الارمنية [1] ، وهو العمل الذي اضطلع به كل من ساهاك بارثيف (البطريرك) ، وميسروب ماشدوتس .

عودة خسروف الثالث إلى الحكم
٤١٤ ـ ٤١٥ ميلادية .

عاد خسروف الثالث الى حكم ارمينيا بعد تنحي فرام شابوه . وخلال هذه الفترة التي حكم فيها كانت هذه البلاد تشهد نهضة ادبية وفكرية رائعة (رغم توزعها ما بين الساسانيين والبيزنطيين كما اشرنا) ، حيث بدأ الان العمل بالحروف الابجدية الارمنية الجديدة ، التي انتهى مسروب وساهاك (بمساعدة فرام شابوه) من وضعها عام ٤٠٦ ميلادية . كما ساهم خسروف بدوره في التشجيع على ترجمة الكتب الى اللغة الارمنية .

شابوه (شابور) CHAPOUH
٤١٦ ـ ٤٢٠ ميلادية .

كان امبراطور اكتيسيفون [2]، يزدجرد الاول (٣٩٩ ـ ٤٢٠ ميلادية) ، يلاحظ انتشار الثقافة اليونانية بين اوساط الشعب الارمني في حين كانت الثقافة الفارسية (الساسانية) ، في طريقها الى التدهور والضياع في ارمينيا ، ورأى بثاقب نظره ان يتخذ خطوة ما بهذا الصدد ، فقرر نصب ابنه شابوه ملكا على ارمينيا خاصة وان عرشها قد خلى بوفاة خسروف الثالث . . وبالفعل تولى شابوه المذكور عرش ارمينيا ، الا انه لم يستطع استمالة قلوب الارمن ، نظرا للفوارق الدينية القائمة بين الطرفين . . فعاد الى بلاده بعد وفاة ابيه ليتولى عرش فارس نفسها .

---

١ ـ سوف نبحث هذا الموضوع في الباب الخاص « بتاريخ ارمينيا الفكري » بتوسع نظرا لاهميته البالغة بالنسبة لتاريخ الامة الارمنية

٢ ـ عاصمة بلاد فارس .

ارمينيا بين اعوام
٤٢٠ ـ ٤٢٣ ميلادية

بخلو العرش من ملك،ذرت الفوضى قرنها في الدولة الارمنية لمدة ثلاث سنوات ، فكان ان طلب البطريرك ساهاك الى الامبراطور الساساني ، تعيين ملك على ارمينيا ، فاجابه هذا الى طلبه وعين ارداشيس الرابع .

ارداشيس الرابع ARTASHES IV
٤٢٣ ـ ٤٢٩ ميلادية
وسقوط الاسرة الارشاغونية .

قام امبراطور الدولة الساسانية ، بناء على طلب البطريرك ساهاك ، بتعيين ارداشيس الرابع ملكا على ارمينيا عام ٤٢٣ ميلادية . وكان هذا في الثانية عشرة من عمره ، ولما اصبح شابا يافعا بدا عليه الفجور والتهتك ، مما دفع برجال الدين الارمن والنبلاء الى طلب استبداله . وبقي هذا في الحكم حتى عام ٤٢٩ ميلادية حيث قضى نحبه ، فخضعت ارمينيا لحكم المرازبة من جديد منذ هذا التاريخ ٤٢٩ وحتى ٦٣٤ ميلادية ، اي لاكثر من قرنين ، وحتى مجيء العرب مع مطلع عام ٦٤٠ ميلادية .

* * *

الفَصْـل السّـادس

أرمينيا بعد سقوط الأرشاغونية وحتى الفتح العربي ٤٢٩ - ٦٤٠ ميلادية. الحروب الدينية مع الفرس المزدكيين وأحوال ارمينيا السياسية خلال قرنين ونيف.

منذ توقيع بيزنطة والساسانيين على معاهدة السلام عام ٣٨٧ ميلادية، ضاع استقلال الدولة الأرمنية عملياً[1]، رغم استمرار ملوك الأسرة الارشاغونية في الحكم حتى عام ٤٢٩ ميلادية.

ولقد استمر هذا الضياع، بعد سقوط الارشاغونيين (٤٢٩ ميلادية)، أربعة قرون ونصف أخرى، أي حتى عام ٨٨٥ ميلادية، وهو تاريخ تأسيس المملكة الارمنية الرابعة المستقلة، الاسرة الباقرادونية.

وهكذا نجد لزاما علينا تغطية هذه الفترة الزمنية من تاريخ ارمينيا (٤٢٩ - ٨٨٥ ميلادية) عبر دراستنا لها من خلال فصلين، يغطي الاول - الذي نحن الان بصدده - الاعوام الممتدة من عام ٤٢٩ وحتى عام ٦٤٠ ميلادية، في حين

١ - كرست هذه المعاهدة انفصال ارمينيا نهائيا وحتى القرن العشرين الى دولتين، الحقت الاولى (الساسانية) بهؤلاء أولا، ثم بالعرب، ومن بعدهم بالسلاجقة الاتراك، ثم المغول، فالعثمانيين، فالفرس، ثم الروس القيصريين، والاتراك. أما الدولة الارمنية الثانية، فخضعت أولا لبيزنطة، ثم للمغول، وبعدهم الفرس (الايرانيين)، ثم العثمانيين، وأخيرا الروس القيصريين! وهكذا.

ينسحب القسم الثاني على الاعوام المتواجدة بين سنوات ٦٤٠ ـ ٨٨٥ ميلادية (وهو ما سنتركه للفصل القادم)، وهكذا سنوزع بحثنا في هذا الفصل الى نبذتين ، الاولى (الحروب الدينية) بين اعوام ٤٤٩ ـ ٤٩١ ، والثانية (الاحوال السياسية) من عام ٤٩١ الى عام ٦٤٠ ميلادية .

١ ـ الحروب الدينية ـ حرب آفارايز AVARAYR أو حروب وارطانانك VARTANANK ٤٤٩ ـ ٤٩١ ميلادية .

بـدأت هذه الحـروب في ارمينيا الساسـانية ، عقيب محاولـة تأرين الفـرس للارمن (جعل الأرمن ايرانيين) IRANIZATION، وخاصة عبر المعتقدات الدينية .

اذ لا يخفى أن الفرس الساسانيين كانوا على الديانة المازادية MAZDAISM في حـين كان الأرمـن من اتبـاع الديانـة المسيحية ، وهـكذا طلـب الملك الفـارسي (الساساني) يزدجرد الثالث YAZDGARD III الى الارمـن التخلي عن ديانتهـم النصرانية والتحول عنها الى الديانة الفارسية . وهو ما دفع بجميع طبقات الشعب ، من النبـلاء وحـكام المقاطعـات ، والاشراف ، والفلاحـين ، ورجـال الـدين ، والعمال ، الى الالتفـاف حول القائـد الارمنـي وارطـان ماميكونيان VARDAN MAMIKONIAN، وبالتالي العمل على تنظيم الثورة المسلحة ووضعها موضع التنفيذ فورا (٤٥١ ميلادية) رغم ان الظروف السائدة في ذلك الوقت في ارمينيا لم تكن مناسبة تماما ، حيث كان قسم كبير من الارمن يحاربون ضمن الجيوش الساسـانية قبائل الهـون HUNS ، فضـلا عن رفض الدولـة البيزنـطية (المسيحية) ارسـال المساعدات العسكرية الى ارمينيا لمناهضة هذه الدعوة الى الهرطقة .

وهكذا تداعى وارطان ماميكونيان (حفيد الكاثوليكوس « الجثليق » اسحاق ومن أقوى الشخصيات البارزة في ارمينيا ، ومن انبلهم عنصرا ، وأطيبهم محتدا) الى عقد اجتماع ، لدراسة الانذار الذي وجهه يزدجرد بشأن تحويل هذه « الثورة » الى حرب دفاعية عن دين الدولة . وبالفعل تقرر رفض الانذار بالاجماع ، والاشتباك في حرب مع الفرس الساسانيين ، وهو ما جرى فعلا . . اذ اشتبك الطرفان بمناوشات

صغيرة كانت الغلبة فيها للارمن الذين ساعدهم كل من الجيورجيين GEORGIANS والاذربيجانيين، ثم وقعت المعركة الحاسمة في سهل افارايرAVARAYR في يوم ٢٦ ايار (مايس) عام ٤٥١ ميلادية .

وقد وصف المؤرخ يغشيه EGHISHE [١] هذه المعركة، فقال: «كانت الجيوش الساسانية وجحافلها ، منتقاة من أقوى الكتائب الايرانية وقد تقدمتها فرقة «الخالدين» IMMORTALS التي تمتطي الافيال، في حين كان الارمن يشكلون جيشا صغيرا، ولكنه جيش يقاتل من أجل الدفاع عن عقيدته. وفي ليلة المعركة سهر المقاتلون الارمن، ثم تلقوا القربان المقدس، وتم تعميد من كان منهم لا يزال في طور «الموعوظين»

لوحة رقم ٢٢

واستمرت المعركة يوما واحدا بذل فيها الارمن ، وقائدهم وارطان ،كل ما هيأه لهم حماسهم الديني وثورتهم ضد الوثنية . الا ان انسحاب احدى الفرق الارمنية، بقيادة الارمني المرتد الى الوثنية ، واساك سوني ، من صفوف الجيش الارمني ، والقوة العددية الرهيبة للعدو ، ادت الى انتهاء المعركة بفوز الفرس (الساسانيين) واستشهاد القائد وارطان مع حفنة من رجاله .

وقد خلد الارمن جميع شهدائهم في هذه المعركة بحفر اسمائهم في جميع الكنائس الارمنية ، وما زال هذا الشعب يحتفل حتى اليوم بذكرى هذه المعركة بما يشبه الاجلال والتقديس .

وهكذا أنهت هذه المعركة ثورة الارمن في ساحة القتال ، وان كانت لم تمنعهم من القتال فيما نسميه اليوم « حرب العصابات » من الجبال والمعاقل المنيعة .

وجاءت ثورة الملك الجيورجي [٢] فاختانك جورجاسلان VAKHTANG

---

١ ـ راجع بهذا الخصوص كتاب الارمن لمؤلفته ديرنرسيسيان ص : ٣١ . وأيضا تاريخ الامة الارمنية للدكتور اسنارجيان ص : ١٥٩ . وكذلك : صفحات من تاريخ الامة الارمنية لمؤلفه عثمان الترك ص : ٨٥ .

٢ ـ المراجع الاولى السابقة .

GOR GASLAN ، الذي طلب مساعدة الجيوش الارمنية، بمثابة الشرارة التـي ادت الى حدوث انتفاضة قوية في ارمينيا على أثر هذه الهزيمة . ومن ذلك انه في الاجتماع الذي عقده واهان ماميكونيان (ابن اخ وارطان) وجميع أمراء الاقطاع ، ورجال الدين ، أقسم هؤلاء كافة ، على توحيد قواهم ، وحشدها من أجل هدف واحد ، هو محاربة العدو المشترك (للارمن والجيورجيين) أي الساسانيين .

لوحة رقم ٢٥

وهكذا بدأت الحرب مجددا ، واستمـرت من عام ٤٨١ ميلادية وحتـى عام ٤٨٤ . وكان من نتيجتها ان الساسانيين ، بسبب انهاكهم في حروبهم مع الهون HUNS ، وتكاثر مشاكلهم ، وازدياد الاضطرابات في بلادهم ، ان لمسوا ، وخاصة ملكهم واغارش ، عقم السياسة التي ينتهجونها تجاه هؤلاء . وعلى هذا عقـدوا معهم معاهدة نصت على حرية العبادة بالنسبة للارمن ، والاعتراف بامتيازات طبقة امـراء الاقطـاع ، كما سمـي واهـان ماميكونيان مرزبانـا MARZPAN (أي حاكم SATRAP) .

ومن الناحية التفصيلية جاءت المعاهـدة على الشـكل التـالي [1] (معاهـدة نافاسارك) :

١ ـ الدين المسيحي هو الدين الرسمي لارمينيا ، وليس للملك أي حق في التدخل أو الامر بالارتداد عنه ، ولا تشجيع الفرس على ذلك .

٢ ـ وجوب المساواة في انتخاب موظفي الدولة على أن يفضل العضو النافـع للمصلحة العامة .

٣ ـ على الملك (الساساني) ان لا يصغي للمنافقين والدساسين ، وأن يأخذ الامور بالمشورة والمحاكمة .

وكما يقول الدكتور استارجيان ، « فقد كانت هذه المعاهدة ظفرا معنويا مجيدا للارمن ضمن حريتهم وحقوقهم في زمن كانت القوة والحكم فيه للظافر » .

وكأنما لم تكف الارمن هذه الحروب ضد الوثنية ، فقد وقعت الان في مشاكل دينية مع البيزنطيين المسيحيين أيضا عقيب المجمع الخلقدوني . (سوف نتعرض لهذا

١ ـ المرجع الثاني من الحاشية رقم ١ السابقة : استارجيان ص : ١٦٠ .

الموضوع في الباب الخاص بتاريخ ارمينيا الديني).

٢ ـ أحوال ارمينيا السياسية والاجتماعية ٤٩١ ـ ١٠٧١ ميلادية [1] :

اختلفت أحوال الدولة الارمنية عقيب الحروب الدينية في قسمها البيزنطي ، عنها في قسمها الفارسي ، تبعا للنظام السائد لدى هاتين الدولتين :

آ ـ أحوال « ارمينيا الفارسية » من النواحي السياسية والاجتماعية ٤٩١ ـ ٦٤٠ ميلادية :

رغم الاختلاف الجذري من النواحي العقائدية بين الارمن والفرس الساسانيين ، الا ان هؤلاء ـ أي الفرس ـ قد احترموا النظام الاجتماعي والسياسي السائد في ارمينيا . وبقي هذا الوضع قائما حتى بعد أن جرى (بين أعوام ٤٢٩ ـ٤٦١ ميلادية) استبدال « الملوك الارمن » بحكام للمقاطعات MARZPANS، حيث لم يحاول الملوك الساسانيون تبديل نظام الاقطاع الارمني ، بسبب شبهه بذلك الذي يسود بلادهم أيضا . كما أنهم لم يعملوا على ادخال أي تعديلات على القوانين الارمنية الموروثة ، بل وان طبقة الاشراف الارمن المسماة ناخارار NAKHARAR قد استعادت العديد من سلطاتها السابقة في هذه الفترة (بعد عام ٤٩١)،حيث سمح لها بتنظيم وتنمية قواتها العسكرية الخاصة ، وان كانوا (طبقة الاشراف هذه) قد بقوا ملزمين بوضع هذه القوات تحت تصرف الامبراطور الساساني في أوقات الحروب ؟ .

واذا أردنا تشكيل صورة أكثر قربا من الواقع عن ارمينيا الساسانية في هذا العهد ، فاننا نستطيع تخيلها من خلال تصور ارمينيا كدولة مركزية ، مشكلة من عدد من المقاطعات والامارات التي يحكم كلا منها مرزبان يدير شؤون مقاطعته وفق

---

١ ـ يلحظ القارىء ان هذا التاريخ كما المعنا في مطلع هذا الفصل ، كان يجب ان يكون عام ٦٤٠ م . وهذا صحيح لو اننا اردنا بحث الموضوع اكاديمياً. الا أن التعمق ، بالنسبة لدراسة احوال الدولة الارمنية ، من النواحي الاجتماعية والسياسية موضوع هذا الفصل لا يمكن ، عملياً ، الالمام به ، حقاً الا من خلال اللحاق بعام ١٠٧١ باعتباره الموعد الذي سقطت فيه الدولة الارمنية نهائيا بيد السلاحقة الاتراك ، وهو ما استدعى هذا الاستدراك .

تقديراته الشخصية ، وبحيث يجوز له تشكيل قوات عسكرية ، والاهتمام بالعمران والاداب والثقافة وانشاء المدارس الخ . . . على أن يكون خاضعا في « سياسته الخارجية »-ان صح التعبير- لسلطة الامبراطور المركزية ، كما يقدم له الجزية المقررة سنويا[1] . [راجع الجدول المرفق بهذا الفصل حول أسماء حكام (مرازبة) « ارمينيا الفارسية » من عام ٤٣٠ (سقوط الاسرة الارشاغونية)،وحتى عام ٦٣٤ تاريخ سقوط الدولة الساسانية وبدء الحكم العربي لأرمينيا عام ٦٤٠ ميلادية] .

ب - أحوال « ارمينيا البيزنطية » من النواحي السياسية والاجتماعية ٣٨٧ - ١٠٧١ ميلادية :

خلافا لارمينيا الفارسية ، التي خرجت من تحت نفوذ هؤلاء الحكام الى الحكم العربي بدءا من عام ٦٤٠ ميلادية ، فان « ارمينيا البيزنطية » قد بقيت تخضع لنفوذ حكامها البيزنطيين منذ معاهدة السلم (٣٨٧) وحتى عام ١٠٧١ بصورة متواصلة ، حين سلخها السلاجقة الاتراك (كما سنرى في فصول قادمة)،عن حكم هؤلاء والحقوها بنفوذهم .

وخلال هذه القرون الطوال ، كان من الطبيعي أن تتبدل حدود « ارمينيا البيزنطية » توسعا أو تقلصا تبعا لقوة الدولة البيزنطية نفسها أو وهنها .

وهكذا توسعت مساحة « ارمينيا البيزنطية » ، عقيب التقسيم الجديد لأرمينيا الطبيعية (أي الفارسية والبيزنطية معا) ، والذي حدث عام ٥٩١ ميلادية بين هؤلاء ، والساسانيين ، اثر الحرب التي نشبت بينهما ثم انتهت « بمعاهدة سلام » جديدة ، حصلت بموجبها بيزنطة ، بسبب كونها الان (خلافا لمعاهدة السلام الاولى الموقعة عام ٣٨٧ ميلادية) الدولة الاقوى ، على الحصة الاكبر من ارمينيا الطبيعية ، وأصبح الان خط الفصل بين القسمين (الارمنيين) ، يمتد من تفليس TIFLIS في الشمال ، الى دارا DARA في الجنوب ، مارا بمدن دوفين DVIN وماكو MAKU

خريطة رقم ٥

---

١ - وهذه الصورة نفسها يمكن سحبها على ارمينيا البيزنطية من النواحي الادارية وحسب .

وبحيرة أورميا URMIA.

أما بالنسبة للاحوال السياسية والاجتماعية ، التي سادت « ارمينيا البيزنطية » خلال هذه الفترة ، فكانت تختلف جذريا عن مثيلتها في ارمينيا الفارسية . فسياسة الدولة البيزنطية كانت متجهة نحو تدمير والغاء نظام الاقطاع الارمني ، وباتجاه سحق المقاومة الوطنية التي أسستها طبقة الاشراف الارمن الناخارار NAKHARAR (أو رجال الاقطاع) ؛ وبحيث تكون الغاية من هذا التدبير، توسيع سيطرة الدولة البيزنطية واشرافها بصورة تامة على ادارة الدولة الارمنية التي تقع تحت حمايتها .

ومن هذا القبيل ، ان الامبراطور زنون ZENO ، ابطل العرف القاضي ، بوراثة الابن الاصغر للنبلاء الارمن « الناخارار » لامتيازات والدهم . أي أنه عمليا ألغى وراثة الابن لابيه في كينونيته ناخارارا(أميرا اقطاعيا) بعد وفاة والده . وأصدر في هذا الصدد أوامره بأن يتولى أولئك الذين يختارهم الامبراطور نفسه لهذه المراكز مهام (الناخارار المتوفى)، كما هو الامر بالنسبة لباقي الولايات « الدول » الخاضعة للامبراطورية . وما لبث الامبراطور جوستنيان الاول JUSTINIAN I ، ان أحدث تغييرات أخرى . حيث أصبحت ارمينيا البيزنطية ، تخضع الان ، واعتبارا من عهده (عام ٥٢٧ ميلادية) ، لحكم القناصل CONSULAR

وفي عامي ٥٣٥ و ٥٣٦ أصدر جوستنيان نفسه مرسومين ضمنا للبنات نفس حقوق الابناء ، وأكثر من هذا فقد خول المرسومان البنات حق الحصول على المهور DOWRY [1] .

وقد تمكن الارمن في هذه الامبراطورية البيزنطية من الوصول الى مراتب

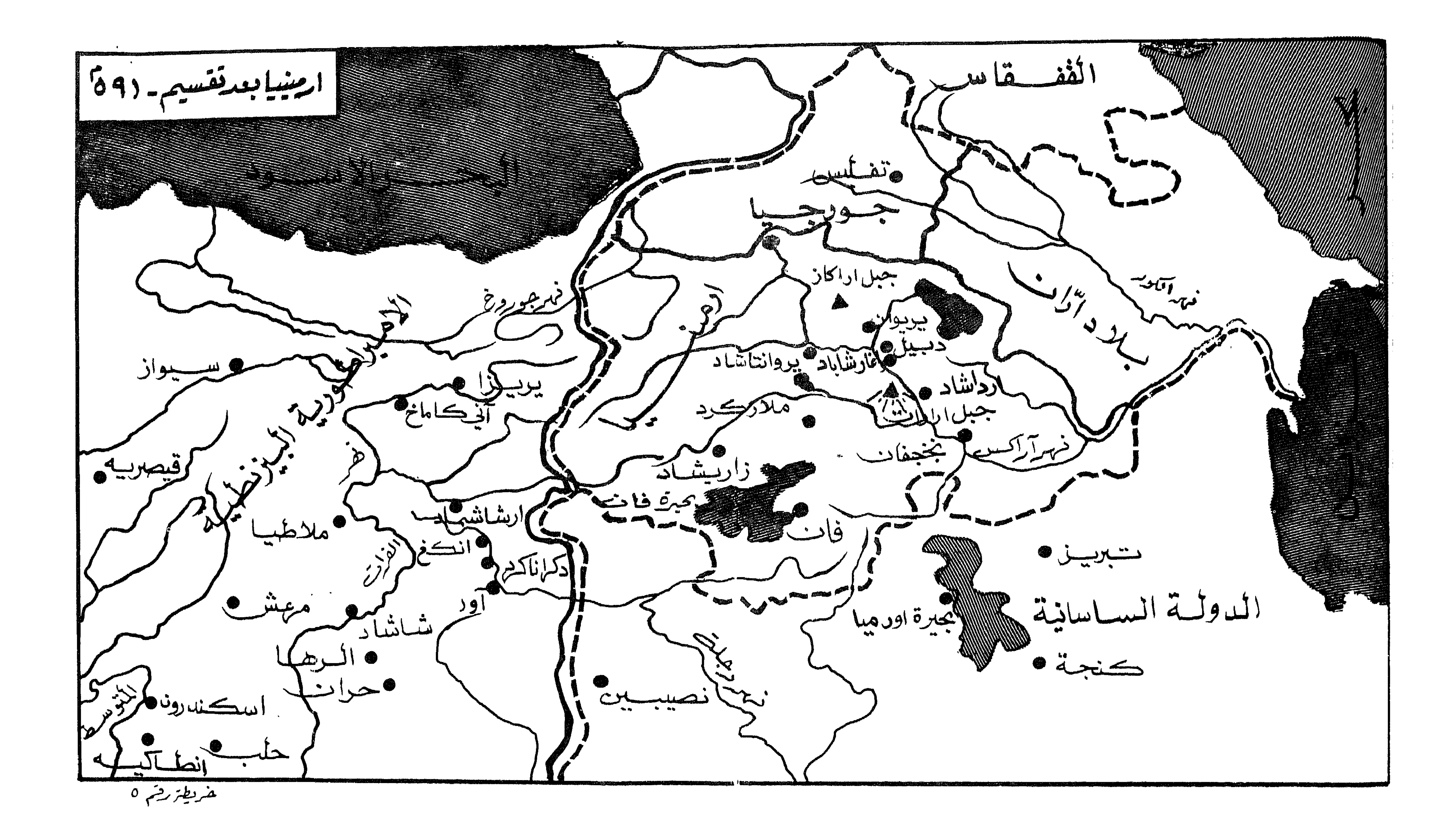
---

١ - راجع بهذا الخصوص كتاب المؤرخة : DER NERSSESSIAN, S. THE ARMENIANS. P.P::35.

وأيضا كتاب : ADONTS, N. ARMENIA AT THE TIME OF JUSTINIAN.-

وأيضا كتاب : DER NERSESSIAN, S. ARMENIA AND THE BYZANTINE EMPIRE .





ارمينيا بعد تقسيم ٥٩١ م
البحر الاسود
القفقاس
تفليس
جورجيا
جبل اراكاز
يريوان
دبيل
بلاد اران
نهر الكور
غارشاباد
يروانتاشاد
ارداشاد
جبل ارارات
نهر جوروخ
الامبراطورية البيزنطية
سيواز
يريزا
آني كاماخ
ملازكرد
زاريشاد
نخجوان
نهر آراكس
قيصريه
بحيرة فان
فان
ارشاشاد
ملاطيا
انكغ
دكراناكرد
تبريز
الفرات
مرعش
شاشاد
آور
الدولة الساسانية
بحيرة اورميا
الرها
كنجة
حران
نصيبين
نهر دجلة
اسكندرون
المتوسط
حلب
انطاكيه

خريطة رقم ٥



ادارية عالية ، كما توغلوا في الجيش والبحرية ، وأكثر من هذا وصل العديد منهم الى منصب الامبراطورية نفسها . (راجع الجدول المرفق باسماء القناصل على أرمينيا البيزنطية بين أعوام ٥٩١ ـ ٧٠٥ ميلادية) .

تعقيب :

وكما سنرى في فصول وابواب قادمة ، فان هذا التقسيم « السياسي » لم يلغ دور الارمن الحضاري والسياسي والثقافي ، بل استمر هؤلاء تحت حكم الدول الاخرى المختلفة ، يعملون دائما من أجل البقاء والاستمرار في الحياة ، ليس ماديا وحسب بل ونفسيا وحضاريا أيضا .

حكام (مرازبة) « ارمينيا الفارسية » ـ ارمينيا الشرقية ـ ٤٣٠ ـ ٦٣٤ ميلادية[1]

١ ـ فاهمير شابوه : فارسي VEHMIR CHAPOUH ٤٣٠ ـ ٤٣٨ ميلادية .

٢ ـ واساك سوني : ارمني VASSAK SUNI ٤٣٨ ـ ٤٥١ ميلادية .

٣ ـ وارطان ماميكونيان : ارمني VARDAN MAMIKONIAN ٤٥١ ـ ٤٥١ ميلادية . (وقتل بمعركة افarayir) .

٤ ـ ادرورميزد : ارمني ـ فارسي ...... ATRORMIZD ٤٥١ ـ ٤٦٥ ميلادية .

٥ ـ ادرفيشناسب : فارسي .... ATRVECHNASP ٤٦٥ ـ ٤٨١ ميلادية .

٦ ـ سحاق باقرادوني : ارمني .. SAHAK BAGRATUNI ٤٨١ ـ ٤٨٣ ميلادية .

٧ ـ شابوه مهرانيان : فارسي .. CHAPOUH MIHRANIAN. ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ميلادية .

٨ ـ انديكان : فارسي .... ANDEKAN ٤٨٤ ـ ٤٨٥ ميلادية .

٩ ـ واهان ماميكونيان : ارمني . VAHAN MAMIKONIAN ٤٨٥ ـ ٥٠٥ ميلادية .

١٠ ـ وارطان ماميكونيان: ارمني VARDAN MAMIKONIAN ٥٠٥ ـ ٥٠٩ ميلادية .

---

١ ـ أي بدءاً من سقوط الاسرة الارشاغونية عام ٤٢٩ ، وحتى عام ٦٣٤ ، وهو التاريخ الذي سبق الفتح العربي لارمينيا بسنوات (٦٣٩ م) .

١١ ـ ينقطع السرد التاريخي عن ذكر المرازبة بين أعوام٥٠٩ ـ ٥٤٨ .
١٢ ـ نيخوراكان : فارسي .... X. NIKHORAKAN ٥٤٨ ـ ٥٥٢ ميلادية.
١٣ ـ فيشناسب باحرام : VECHNASP BAHRAM ٥٥٢ ـ ٥٥٤ ميلادية.
١٤ ـ دينشابوه : فارسي ...... DENCHAPOUH ٥٥٤ ـ ٥٦٠ ميلادية.
١٥ ـ وارزطاد : فارسي .... VARAZDAT ٥٦٠ ـ ٥٦٤ ميلادية.
١٦ ـ سورين : فارسي .... SUREN ٥٦٤ ـ ٥٧٢ ميلادية.
١٧ ـ وارطان (الخامس) ماميكونيان : ارمني.... ٥٧٢ ـ ٥٧٨ ميلادية.
V. MAMIKONIAN
١٨ ـ وارطان فيشناسب : فارسي . V. VECHNASP ٥٧٢ ـ ٥٧٣ ميلادية.
١٩ ـ جولون محراح : فارسي .. GOLON MIHRAH ٥٧٣ ـ ٥٧٣ ميلادية.
٢٠ ـ فيليب اميرسونيك : ارمني .... PHILIPPUS ٥٧٣ ـ ٥٧٨ ميلادية.
٢١ ـ طام خسروف : فارسي ... TAM KHOSROV ٥٧٨ ـ ٥٨٠ ميلادية.
٢٢ ـ واراز وازور : فارسي .... VARAZ VEZUR ٥٨٠ ـ ٥٨١ ميلادية.
٢٣ ـ الاشراف الفارسي المباشر............. ٥٨١ ـ ٥٨٨ ميلادية.
٢٤ ـ فرآد : فارسي .... FRAHAT ٥٨١ ـ ٥٨٨ ميلادية.
٢٥ ـ فراتين داتان : فارسي ... FRATIN DATAN ٥٨٨ ـ ٥٩٠ ميلادية.
٢٦ ـ فيندطاكان نيخوراكان : فارسي NIKHO RAKAN ٥٩٠ ـ ؟ ميلادية
٢٧ ـ ميراكبوت : فارسي ...... MERAKBOUT ٥٩٤ ـ ٥٩٨ ميلادية
٢٨ ـ يازدن : فارسي .... YAZDEN ٥٩٨ ـ ٦٠٠ ميلادية
٢٩ ـ بودماه : فارسي .... BOUDMAH ٦٠٠ ـ ٦٠٤ ميلادية
٣٠ ـ فويمان : فارسي .... FOYIMAN ٦٠٤ ـ ٦٠٨ ميلادية
٣١ ـ اشوط : فارسي .... ASHOT ٦٠٨ ـ ٦١٠ ميلادية.
٣٢ ـ شاهين : فارسي .... CHAHEN ٦١١ ـ ٦١٢ ميلادية
٣٣ ـ شاه رايانباط : فارسي .. CHAH RAIANPET ٦١٢ ـ ٦١٣ ميلادية
٣٤ ـ بارسيانباط : فارسي ..... PARSEANPET ٦١٣ ـ ؟ ميلادية.

٣٥ - نام جارون : فارسي .... NAMGARUN. ٦١٦ - ٦١٩ ميلادية.

٣٦ - شاه ابلاكان : فارسي ..... CHAH RAPLAKAN. ٦٢٠ - ٦٢٤ ميلادية.

٣٧ - روتخ فاهان : فارسي .... ROTCH VEHAN. ٦٢٤ - ٦٢٧ ميلادية.

٣٨ - فاراز تيروتز بقرادوني : ارمني ... V. BAGRATUNI. ٦٢٨ - ٦٣٤ ميلادية.

حكام (قناصل) ارمينيا البيزنطية (ارمينيا الغربية).

٥٩١ - ٧٠٥ ميلادية.

١ - جون : ارمني .... JOHN, THE PATRICIAN. ٥٩١ ميلادية.

٢ - هرقل : والد الامبراطور هرقل الاول ...... ٥٩٤ ميلادية.

HERACULUS FATHER OF THE EMPEROR HERACULUS I

٣ - سورين : فارسي SUREN ٦٠٤ ميلادية.

٤ - موشيغ كنوني : ارمني M. KNUNI ٦٣٠ - ٦٣٥ ميلادية.

٥ - داوود ساهاروني : ارمني D. SAHARUNI ٦٣٥ - ٦٣٨ ميلادية.

٦ - ثيودور رشدوني : ارمني THEODORUS RECHTUNI ٦٤١ - ٦٤٦ ميلادية.

٧ - ثوماس : بيزنطي THOMAS ٦٤٠ - ٦٤٦ ميلادية.

٨ - ف . باقرادوني : ارمني .... V. BAGRATUNI. ٦٤٦ - ٦٤٦ ميلادية.

٩ - سمباط : ارمني ..... SMBAT VARAZTIROTZIAN ٦٤٦ - ٦٥٦ ميلادية.

١٠ - ثيودو رشدو ني : ارمني THEODORUS RECHTUNI ٦٤٦ - ٦٥٣ ميلادية.

١١ - موريانوس : بيزنطي .... MAURIANUS مرة ثانية ٦٥٣ ميلادية .

١٢ - هـ . ماميكونيان H. MAMIKONIAN ٦٥٨ - ٦٦١ ميلادية

١٣ - سمباط باقرادوني .... SMBAT BAGRATUNI ٧٠٣ - ٧٠٥ ميلادية.

* * *

الفَصْـل السَّـابع

ارمينيا وحكم العرب
٦٤٠ ـ ٨٨٥ ميلادية
الفتح العربي لارمينيا ـ ارمينيا والعرب

ظهـر العـرب على مسرح التـاريخ كامبراطـورية جديدة في اواخـر القـرن السابع بعـد الميلاد. وتمكنـوا في غضـون سنوات قليلـة بعـد قيام دولتهـم، من دك الامبراطـورية الفـارسية، وتهـديد الامبراطورية البيزنـطية في عقـر دارهـا، حتى انهم حاصروا عاصمتها القسطنطينية عدة مرات، ولكن دون ان يتمكنوا من فتحها.

واستطاعت الدولة البيزنطية بدورها، من اختراق حدود الدولة العربية، والوصـول الى اهـم مدنهـا وعواصمها اكثـر من مرة. وبقيت الحـال بـين الامبراطوريتين، البيزنطية والعربية، على هذا الحال من القتال المستمر، وخاصة على حدودهما الشمالية (بالنسبة للعرب)، والجنوبية الشرقية (بالنسبة لبيزنطة)، التي تشكل بمجموعها سهول الجزيرة (السورية)، عدة اجيال بل وقرون.

وهكذا ألفت الجزيرة منطقة استراتيجية هامـة للخطـوط الدفـاعية بالنسبـة للدولتين المتنازعتين، العربية والبيزنـطية على حد سواء.. مما دفـع العـرب الى احتلالها، ثم ساروا وفق سياسـة تهـدف الى ابعـاد خطـر الجيوش البيزنـطية عن الاراضي العربية، عن طريق انتهاج خطة، ترغم الجيوش البيزنـطية على البقـاء داخل حدودها، وهي اشعال النار بشكل دائم في هذه الحدود، حتى يصبح عبورها صعبا على العدو.

ومن هذه الفكرة بالذات ، بدأ فتح العرب لارمينيا التي تقع على حدود هذه « الجزيرة » تماما. يضاف الى ما تقدم ان ارمينيا الغربية كانت تؤلف بدورها الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية المعادية، واحتلالها كان يعني كشف الجناح الشرقي لهذه الامبراطورية وتهديدها بشكل مستمر.

وهكذا يمكننا انّ ندرس الفتح العربي لارمينيا، وبالتالي حكم العرب لها، عبر ثلاثة عهود :

١ ـ عهد الخلفاء الراشدين .

٢ ـ عهد الدولة الاموية .

٣ ـ عهد الدولة العباسية .

١ ـ عهد الخلفاء الراشدين وفتح ارمينيا : ٦٤٠ ـ ٦٦٠ ميلادية

جرى فتح ارمينيا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ثاني الخلفاء الراشدين بعد أبي بكر الصديق) ، حينما توجهت الحملة الاولى ، بقيادة عياض بن غنم على رأس جيش عربي عام ٦٤٠ ميلادية ، وتوغلت في سهول الجزيرة والاراضي الارمنية حتى وصلت مدينة بدليس (بتليس BITLIS) ، ثم انتقلت منها الى خلاط (او أخلاط GALATIA)، دون ان تفتح هذه المدينة ، ثم توغلت اكثر في عمق البلاد نحو سهل باسين ووانانت حيث جبت الجزية وعادت الى سورية .

وبعد عامين ، اي في سنة ٦٤٢، جرت الحملة الثانية ، في عهد الخليفة نفسه عمر بن الخطاب ، عندما زحف الجيش العربي ، في اربع فرق، قاصدا الدربند DERBENT (باب الابواب) ،على بحر قزوين CASPIAN بقيادة سراقة بن عمرو، حيث تمكنت خلالها هذه الحملة من مصالحة اميرها على جزية يؤديها .

وانتهى الموقف اخيرا بين الطرفين الى عقد معاهدة صلح بينهما ، وذلك عام ٦٥٣ م ، وفق الضمانات التالية :

١ ـ تعفي الدولة العربية ارمينيا من الجزية خلال ثلاث سنوات .

٢ ـ على الارمن بعد مرور ثلاث سنوات ان يدفعوا الجزية للدولة العربية بدمشق قدر ما يريدون .

٣ ـ يحق لارمينيا ان يكون لها جيش مؤلف من خمسة عشر الف فارس ينفق عليه الارمن من حساب الجزية .

٤ ـ لا يدعى هذا الجيش للعمل في بلاد الشام .

٥ ـ على الجيش الارمني كحليف للدولة العربية ان يحارب الى جانبها ضد الاعتداء عليها من الخارج .

٦ ـ ان الجيش الارمني يكون صاحبا لقلاعه دون اي تدخل اجنبي .

٧ ـ ان الدولة العربية تتعهد حماية ارمينيا وحدودها ضد هجمات العدو وبنوع خاص ضد هجمات الروم [١] .

ومن الطبيعي ، ان تثير هذه المعاهدة ، ثائرة الامبراطور البيزنطي كونستانس الثاني ، فارسل الى الارمن وفدا يعرض حماية بيزنطة لارمينيا مقابل تخليها عن هذه المعاهدة ، فرفض هؤلاء ، مما دفع بالامبراطور المذكور الى تسيير جيش جرار غزا به ارمينيا ثم حل في العاصمة دوفين ، حيث استقبله البطريرك نرسيس الثالث وبعض امراء الارمن لتهدئة ثورته . وما عتم ان قفل هذا الامبراطور عائدا الى بلاده بعد ان ترك حاميات بيزنطية في ارمينيا ، تمكنت قوات ثيودور رشدوني والقوات العربية من اجلائها حيث استلم هذا الامير ادارة ارمينيا وبلاد الكرج ايضا بين اعوام ٦٥٤ ـ ٦٥٨ ميلادية .

---

١ ـ تجمع المصادر التاريخية على هذه المعلومات : تاريخ الامة الارمنية للدكتور استارجيان ص ـ ١٦٤ . وصفحات من تاريخ الامة الارمنية ص ـ ١٠٣ ، وارمينيا في التاريخ العربي لاديب السيد الصفحة ٦٧ و ٦٨ التي اعتمدناها كمصادر لهذا الفصل .

٢ ـ عهد الدولة الاموية وحكم ارمينيا[1] : ٦٦٠ ـ ٧٥٠ ميلادية :

مرت العلاقات العربية الأرمنية خلال حكم خلفاء هذه الدولة بمراحل متقلبة تراوحت بين التحالف والسلام واستتباب الامن بين الطرفين، في بعض الاوقات، وبالتهور وتدهور العلاقات واضطرابها، في اوقات اخرى.

آ ـ معاوية والارمن : ٦٦٠ ـ ٦٨٠ ميلادية :

مع تولي هذا الحاكم العربي خلافة الدولة العربية ، كان على ارمينيا كحاكم عام القائد موشيغ ماميكونيان (٦٥٨ ـ ٦٦٠) ، ثم اعقبه كريكور ماميكونيان ٦٦١ ـ ٦٨٥ . وفي عهد هذا الخليفة العربي (معاوية) والحاكم الارمني (كريكور) ، وكما تجمع كافة المصادر التاريخية ، فقد نعم الطرفان ، كما وتبادلا العلاقات الطيبة . واكثر ما يؤيد هذا القول ذلك الاجتماع الذي عقده امراء الارمن ونبلاؤهم خلال حكم معاوية ، وبعد وفاة ثيودور رشدوني ، وبحضور البطريرك نفسه ، عندما اتفقوا وبالاجماع على التمسك بالمعاهدة العربية ـ الارمنية (السالفة الذكر) . ثم قام حاكم ارمينيا كريكور ماميكونيان ومعه الامير سمباط بزيارة دمشق، فاستقبلهما الخليفة معاوية بالترحيب ، واكثر من هذا فقد اسمى الاول ـ بناء على طلب وجهاء الارمن ـ كحاكم فعلي ورسمي لارمينيا .

ب ـ يزيد والارمن : ٦٨٠ ـ ٦٨٥ ميلادية :

كان حكمه ـ بالنسبة لارمينيا ـ كسلفه معاوية هادئا . وكان كريكور ماميكونيان ما يزال حاكما عاما على هذه البلاد،وهو الامر الذي جرى بالصورة ذاتها

---

١ ـ في ظل الحكم الاموي ، كان على ارمينيا وفي نفس الوقت ، حاكم عام ارمني يشرف على امور الدولة الارمنية الداخلية (الدينية والثقافية والعمرانية الخ . .) ، وعامل (وال) عربي آخر ، يشرف على تحصيل الضرائب ، وعلى قيادة الحامية العربية العسكرية المتواجدة في ارمينيا ، ويمكن الاطلاع على هذه الصورة بشكل اكثر تفصيلا ، من خلال الجدول الملحق بنهاية هذا الفصل . (جدول باسماء الحكام الارمن والعمال (الولاة) العرب خلال حكم الدولة الاموية والعباسية) فيرجى الرجوع اليه .

من خلال خلافة معاوية الثاني القصيرة (٦٨٣ ـ ٦٨٤) ، وخلفه مروان بن الحكم (٦٨٤ - ٦٨٥).

ج ـ عبد الملك بن مروان والارمن : ٦٨٥ ـ ٧٠٥ ميلادية :

حكم ارمينيا في عهد هذا الخليفة العربي ، كل من الحاكمين الارمني اشوط باقرادوني (٦٨٥ ـ ٦٨٩) ، وسمباط باقرادوني (٦٩٣ ـ ٧٢٦) ، وفي عهد هذا الخليفة العربي (عبد الملك)،والحاكم الارمني الاول (اشوط) ، شهدت ارمينيا اضطراب حبل الامن عندما قامت قبائل الخزرKHAZARS باجتياح ارمينيا وأعملت فيها الخراب ، كما قتلت اشوط عام ٦٨٨ ميلادية . والى جانب هذه الفتنة فقد سير الامبراطور البيزنطي جوستنيان (خلال هذه الفترة ٦٨٥ ـ ٦٨٨ ذاتها) جيوشه الى ارمينيا للانتقام من العرب والارمن معا ، فعاث في البلاد (ايضا)فسادا، ثم انسحب لتتعقبه الجيوش العربية والارمنية معا .

د ـ الوليد بن عبد الملك والارمن ٧٠٥ ـ ٧١٥ ميلادية :

خلف الوليد اباه عبد الملك على خلافة الدولة الاسلامية ، اما في ارمينيا فقد تسلم الولاية العربي قاسم ٧٠٥ ـ ٧٠٦ اولا ثم عبد العزيز ٧٠٦ ـ ٧٣٠ .

هـ ـ سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز والارمن ٧١٥ ـ ٧٢٠ ميلادية :

في عهد هذين الخليفتين ، كان الوالي على ارمينيا ، ما يزال عبد العزيز . وقد شهدت هذه البلاد خلال سنوات الحكم هذه (٧١٥ ـ ٧٢٠) ، انصراف الجيوش العربية الى الاشتباك مع الروم . كما قام الخليفة عبد العزيز (٧١٧ ـ ٧٢٠) ، الذي عاصره في ارمينيا بطريركها هوفهانيس اوتسنيتسي ، بتوجيه دعوة الى هذا الاخير لزيارة دمشق ، حيث جرت محاورة بين الاثنين ادت الى صداقة متبادلة بينهما اكرم خلالها الخليفة بطريرك ارمينيا وودعه بالحفاوة . (راجع تفاصيل هذه المحاورة في الصفحة ٤٨١ من هذا الكتاب) .

و - يزيد بن عبد الملك والارمن ٧٢٠ - ٧٢٤ ميلادية :

وفي عهده قام الخزر بغزواتهم على ارمينيا ، وتصدى لها العرب والارمن معا حتى استطاعوا ردها .

ز - هشام بن عبد الملك والارمن ٧٢٤ - ٧٤٣ ميلادية :

يقول الاب اوهانيس آدميان انه كان لهشام هذا علاقات طيبة مع الارمن ، وكان حاكمهم هو الارمني اشوط باقرادوني ، الذي اكرمه هشام ودفع له رواتب الجيش السنوية ، ثم تحالف الجيشان العربي والارمني ضد العدو المشترك « الخزر » . وخلال هذه السنوات كلها ٧٢٤ - ٧٤٣ ، اي على مدى ٢٠ عاما ، كانت ارمينيا مسرحا للمعارك الطاحنة التي كانت تدور رحاها بين العرب والخزر (القبائل التركية) .

ونعود فنؤكد ، استنادا الى اقوال المؤرخ الارمني غيفونت ، ان القائد العربي في عهد هشام ، وهو مروان بن محمد ، ومعه الامير الارمني سمباط باقرادوني ، قد قاما ايضا عام ٧٣٨ بهجوم مشترك آخر ضد الخزر واحتلوا بلنجر وسحقوا الجيش الخزري الذي فر ، ثم عاد الجيشان العربي والارمني الى اران ، حيث خلع مروان بن محمد على اشوط ووزرائه وفرسانه الهدايا الثمينة . . وعاشت ارمينيا في عهد الثلاثة (الخليفة هشام والحاكمين العربي والارمني : مروان واشوط) عيشة هانئة ازدهرت خلالها الصناعة والتجارة في ارمينيا .

ح - مروان بن محمد والارمن ٧٤٥ - ٧٥٠ ميلادية :

وقد حكم مروان بعد خلافة كل من الوليد بن يزيد القصيرة (٧٤٣ - ٧٤٤) ، وابراهيم بن يزيد القصيرة ايضا (٧٤٤ - ٧٤٥) . ومروان هذا هو نفسه القائد العربي الذي رافق اشوط باقرادوني واقام صداقة معه . وعلى هذا فانه عندما اصبح خليفة فقد دعاه الى دمشق لزيارته ، وعين كريكور ماميكونيان قائدا عاما على ارمينيا ، ثم عين بعده موشيغ ماميكونيان في المنصب ذاته ، ونعمت ارمينيا في عهده

بفترة ازدهار .

ويموت مروان بن محمد انقرضت الدولة الاموية وجاءت مكانها الدولة العباسية .

٣ ـ عهد الدولة العباسية وحكم ارمينيا : ٧٥٠ ميلادية :

تأسست هذه الدولة العربية على يد العباس أبي عبد الله السفاح (٧٥٠ ـ ٧٥٤ م) ، الذي عين اخاه ابا جعفر المنصور عاملا على ارمينيا فجعل هذا مقره مدينة اسروهين (حران) ، وسار على سنة مروان بن محمد في حكم ارمينيا بمرونة وليونة، وان كانت البلاد نفسها تغلي كالمرجل وصيحات التمرد تنطلق من كل مكان . وقد استغل الامبراطور البيزنطي هذه الحالة فدخل ارمينيا واحتل مدن كمخ وملاطية وارضروم ، وشارك بعض الارمن في حروب هذا الامبراطور ضد العرب ، واستمر الوضع على هذا الحال حتى تولى الخلافة على الدولة العربية حاكم ارمينيا العربي نفسه ابو جعفر المنصور .

ـ أبو جعفر المنصور والارمن ٧٥٤ ـ ٧٧٥ ميلادية :

عهد المنصور الى يزيد بن اسيد بولاية ارمينيا ، فتوجه هذا الى مقاطعة اران (التي دخلها قبل سنوات الامبراطور البيزنطي) ففتحها عنوة ونظم امورها واقام فيها ، وفي هذه الفترة من حكم الاثنين، نزحت قبائل عربية كثيرة العدد الى ارمينيا (القبائل اليمنية ، وقبائل بني قيس والقبائل النزارية الخ . . .) واستقرت فيها .

وما عتم أبو جعفر ان اتصل بالامبراطور البيزنطي واستفدى الاسرى العرب الذين نقلهم هذا الاخير من ارضروم وغيرهم ، ثم امر عامله يزيد باعادة ما تهدم من هذه المدينة ففعل وكذلك اعاد إعمار ملاطية وكمخ .

ثم قام الخليفة بتعيين ساهاك باقرادوني حاكما عاما على ارمينيا الذي شارك يزيد بن اسيد في صد غزوات الخزر . وما جاء عام ٧٦٤ الا واجتاح ملك خوارزم

ارمينيا ، واعمل بالعرب والارمن معا سيفه ، حيث لاقى الطرفان الامرين من اعمال هؤلاء الغزاة الذين وصلوا الى تفليس TIFLIS نفسها .

- المهدي والارمن : ٧٧٥ - ٧٨٥ ميلادية :

كان الحاكم العام على ارمينيا في عهده ، سمباط باقرادوني ، وبقراد باقرادوني ، وكانت ارمينيا في هذا الوقت عبارة عن امارات او مقاطعات متعددة تتمتع باستقلال ذاتي تحت سيادة البطارقة الارمن ، ولم تكن علاقتهم بالعرب تتعدى دفع الجزية المقررة .

- هارون الرشيد والارمن : ٧٨٦ - ٨٠٩ ميلادية :

بلغت الدولة العربية في عهد هذا الخليفة اوج علاها ، وكان هذا الخليفة ذكيا ورشيدا اتبع سياسة متوازنة مع جميع شعوب الدولة العربية ، بما فيهم الارمن ، مما دفع ارمينيا الى ان تشهد فترة رفاه وازدهار خلال عهده . . كما اكرم قادتهم واعيانهم .

- الامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، والارمن : ٨٠٩ - ٨٦١ ميلادية :

عاصر هؤلاء الخلفاء في حكم ارمينيا من الامراء الارمن كل من، سمباط باقرادوني، وباغارات باقرادوني واشوط اردزروني ARZROUNI (أميرفاسبوراكان)، واشوط باقرادوني (٨٥٦ الذي أصبح أميرا للامراء). وقد تموجت العلاقات بين الخلفاء العرب الاربعة والحكام الارمن الاربعة أيضا بين ضيق واتساع .

- ففي عهد الامين :

تولى على ارمينيا أسد بن يزيد الذي توجه لقمع حركة العصيان التي أعلنها بعض الامراء المتنفذين في أرمينيا ، ثم ما لبث الخليفة أن استدعاه وعين اسحق بن سليمان واليا عليها .

ـ أما في عهد المأمون :

فقد واجهت مختلف الولايات العربية ، ومن ضمنها البلاد الارمنية، اضطراب حبل الامن عدا الفوضى التي ذرت قرونها.

واستمرت الامور على هذا النحو الى أن استطاع قائد المأمون خالد من اعادة الامور الى نصابها .

ـ أما المعتصم :

فقد أسمى الأفشين عاملا له على أرمينيا واذربيجان ، فتحول هذا الى مقاتلة بابك . وما كان من هذا الاخير الا أن استنجد بالامبراطور البيزنطي الذي سارع الى قبول هذه الدعوة وتوجه الى ارمينيا حيث طلب الجزية من أمرائها وبطارقتها ففعلوا . ثم توغل في البلاد الارمنية يبطش بالحاميات العربية في طريقه الى نجدة بابك ، الذي تمكن الافشين من أسره ، مما دفع بالامبراطور البيزنطي الى العودة الى بلاده .

وما عتم المعتصم أن واجه (٨٤٩ ميلادية) ثورة الارمن عليه ، فعقد الولاية لقائده خالد بن يزيد (السالف الذكر)،فتوجه هذا الى ارمينيا حيث هرع البطارقة والامراء الى الوالي العربي منصور بن عيسى وطلبوا اليه أن يكتب الى الخليفة برد هذا القائد (وكان قاسيا ومحنكا)،ففعل ، خصوصا وان ثورة الارمن نفسها قد تباطأت بدورها بفعل الخلافات بين قادتها .

ـ الواثق والمتوكل :

ولما مات المعتصم ، أعلنت ارمينيا العصيان ، وتحرك من فيها ، من أرمن وعرب وبطارقة وخزر في وقت واحد . وواجه هذه المشاكل الخليفة (الواثق ٨٤٢ ـ ٨٤٧ ميلادية) فعقد لخالد نفسه الولاية على أرمينيا الذي قضى نحبه ، ثم استطاع القائد الجديد محمد بن خالد أن يعيد الهدوء الى البلاد . وما عتم الواثق أن مات بدوره ، حيث تولى عرش الخلافة المتوكل ٨٤٧ ـ ٨٦١ ميلادية ، الذي عين

كل من يوسف ، ثم البغا ، ولاة على أرمينيا ، فافسدا وطغيا ولاقت البلاد الكثير من عنتهما وجورهما . فقاومهما اشوط الاردزروني الذي أسره البغا وأرسله الى سامراء (العاصمة الجديدة للدولة العربية) مع غيره من الامراء الارمن .

ثم قام البغا BOGHA بتعيين أشوط بن سمباط واليا على أرمينا وسكانها العرب والارمن معا . كما أن علي بن يحيى من قادة المتوكل (وهو ارمني وعندما توفي طلب دفنه في كنيسة بارمينيا) لاحظ ما كان يقوم به الامير يوسف والبغا من أعمال مغايرة لاهداف الخليفة، فطلب الى الخليفة (وكانت له مكانة خاصة لدى هذا الاخير نظرا لفتوحاته وخدماته الكبرى للدولة العربية، أن يطلق سراح الاسرى) من الامراء الارمن في سامراء الذين أرسلهم يوسف والبغا فاستجاب الخليفة لطلبه . ثم عاد علي الارمني وطلب الى الخليفة ثانية تسمية سمباط بن أشوط بطريقا على ارمينيا ، بناء على الحاح الامراء الارمن ، فاستجاب له المعتصم ثانية . وما مرت شهور حتى أسمى الخليفة العربي الامير اشوط بن سمباط (عام ٨٦٢ ميلادية) أميرا للامراء وولاه على أرمينيا كحاكم عام عليها ومسؤول عنها أمامه فقط .

وكان في قدرة اشوط بن سمباط ، والدولة العربية على وشك السقوط وفي حالة شديدة من الوهن والضعف ، أن يعلن استقلاله بنفسه ، خاصة وانه كان يملك جيشا يصل عدده الى ٥٠٠٠٠ مقاتل ، ولكنه آثر أخذ الامور بالروية والحكمة وهو ما تم له فيما بعد .

وفي الواقع اذا أردنا تلخيص هذا الفصل ، فاننا نستطيع القول أنه مرت أحيانا على حكم العرب لارمينيا عهود قاتمة ، كان السبب فيها بعض أولئك الولاة الذين جهلوا طبيعة الشعب الارمني ، فضلا عن كون أقلهم مغرضاً . أما ما عدا ذلك فقد أظهر كافة الخلفاء تفهما لحاجات الشعب الارمني وبذلوا قصارى طاقتهم لمعاملته بالعدل ، وهو ما لا يمكن نكرانه .

ويكفي ، ومهما كانت حقيقة الاحوال التي سادت ارمينيا خلال الحكم

العربي ، ان نذكر ان العرب لم يحاولوا معاملة الارمن بالطريقة التي أتبعتها الدولة البيزنطية تجاههم من النواحي العقائدية وحتى الثقافية .

ونرفق طياً جدولين أحدهما باسماء الولاة العرب الذين تولوا حكم ارمينيا في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم في عصر الدولة الاموية ، وأخيرا العباسية ، والثاني خاص باسماء الحكام الارمن خلال هذه العهود نفسها .

الحكام الأرمن في عهد الدولة العربية
٦٤٠ ـ ٨٨٥ م .

١ ـ ثيودور رشدوني	THEODORUS RECHTUNI	٦٣٩ ـ ٦٥٤ ميلادية .
٢ ـ هامازاسب ماميكونيان	HAMAZASB MAMIKONIAN	٦٥٤ ـ ٦٦١ ميلادية .
٣ ـ كريكور ماميكونيان	GRIGOR MAMIKONIAN	٦٦١ ـ ٦٨٥ ميلادية .
٤ ـ أشوط باقرادوني	ASHOT BAGRATUNI	٦٨٥ ـ ٦٨٩ ميلادية .
٥ ـ نرسيه كمساراكان	NERSEH GAMSARAGAN	٦٨٩ ـ ٦٩٣ ميلادية .
٦ ـ سمباط باقرادوني	SMBAT BAGRATUNI	٦٩٣ ـ ٧٢٦ ميلادية .
٧ ـ أشوط باقرادوني	ASHOT BAGRATUNI	٧٣٢ ـ ٧٤٨ ميلادية .
٨ ـ موشيغ ماميكونيان	M. MAMIKONIAN	٧٤٨ ـ ٧٥٣ ميلادية .
٩ ـ ساهاك باقرادوني	S. BAGRATUNI	٧٥٣ ـ ٧٧٥ ميلادية قائد عام .
١٠ ـ أشوط باقرادوني	ASHOT BAGRATUNI	٧٧٥ ـ ٧٨١ ميلادية .
١١ ـ داجاد انتسيفاتسي	DAJAD ANTSEVATSI	٧٨١ ـ ٧٨٥ ميلادية .
١٢ ـ أشوط باقرادوني	ASHOT BAGRATUNI	٧٩٠ ـ ٨٢٦ ميلادية غير رقم ٧ .
١٣ ـ باكاراد باقرادوني	B .BAGRATUNI	٨٢٦ ـ ٨٥١ أميراً للأمراء .

١٤ - سمبـــاط أبـــوالعباس SMBAT ٨٢٦ - ٨٥٥ حاكم.

١٥ - أشوط باقرادوني ASHOT BAGRATUNI ٨٥٥ قائد عام ·
٨٦٢-٨٨٥ أميراً للامراء.
٨٨٥ ملك أرمينيا.

الحكام العرب على أرمينيا.
٦٥٢ - ٨٧٠ ميلادية ·

- عهد الخلفاء الراشدين :

١ - حذيفة بن اليمان ٦٥٢ ميلادية.
٢ - المغيرة بن شعبة.
٣ - القاسم بن ربيعة الثقفي.

- عهد الخلفاء الأمويين :

١ - عبد الله بن حاتم الباهلي ٦٦١م.
٢ - عبد العزيز بن حاتم ٦٦٢م.
٣ - عكرمة بن ربيعي.
٤ - الجراح بن عبد الله ٧٢٩م.
٥ - سعيد بن عمرو ٧٣٠ م ·
٦ - مسلمة بن عبدالملكي ٧٣٠ م.
٧ - عاصم بن يزيد ٧٤٣ م.

- عهد الخلفاء العباسيين :

١ - محمد بن صول ٧٤٩ م
٢ - أبو جعفر المنصور ،
(ثم خليفه) ٧٥٠ م
٣ - صالح بن صبيح الكندي ٧٥٠ م
٤ - يزيد بن أسيد السلمي ٧٥١ م
٥ - الحسن بن قحطبة ٧٥٣ م
٦ - يزيد بن أسيد السلمي ؟
٧ - بكار بن مسلم العقيلي ٧٦٩ م ·
٨ - الحسن بن قحطبة ؟ م ·
٩ - واضح العباسي ؟ م ·
١٠ - يزيد بن أسيد ؟ م ·
١١ - عثمان بن خريم ؟ م ·

١٢ - روح بن حاتم المهلبي ٧٨٥ م
١٣ - خزيمة بن خازم التميمي ٧٨٥ م
١٤ - يوسف بن راشد السلمي ٧٨٦ م
١٥ - يزيد بن مزيد الشيباني ٧٨٧ م
١٦ - عبيد الله بن المهدي ٧٨٨ م
١٧ - الفضل بن يحيى البرمكي ٧٩١ م
١٨ - عمر بن أيوب ٧٩٣ م
١٩ - العباس بن جرير ٧٩٤ م
٢٠ - موسى بن عيسى ٧٩٤ م
٢١ - يحيى بن سعيد ٧٩٥ م
٢٢ - أحمد بن يزيد بن أسيد ٧٩٥ م
٢٣ - سعيد بن مسلم بن قتيبة ٧٩٧ م
٢٤ - علي بن عيسى بن ماهان ٧٩٩ م
٢٥ - يزيد بن مزيد (مرة ثانية) ٧٩٩ م.
٢٦ - أسد بن مزيد ٨٠١ م.
٢٧ - محمد بن مزيد ٨٠٢ م.
٢٨ - خزيمة بن خازم (ثانية) ٨٠٣ م.
٢٩ - سليمان بن يزيد العامري ٨٠٧ م.
٣٠ - العباس بن زفر الهلالي ٨٠٨ م.
٣١ - محمد بن زهير الضبي ٨٠٩ م.
٣٢ - عيسى بن محمد ٨٢٠ م.
٣٣ - خالد بن يزيد ٨٢٤ م.
٣٤ - حيدر بن كاوس (الأفشين) ٨٣٥ م.
٣٥ - خالد بن يزيد (ثانية) ٨٤١ م.
٣٦ (الأعلى بن أحمد) ٨٦٥ م
٣٧ - عيسى الشيباني (١) ٨٧٠ م

---

(١) راجع بخصوص هذه القائمة دائرة معارف البستاني الجزء: ١٠ الصفحات ٣٠٣ - ٣٠٤ :

* * *

الفصل الثامن

المملكة الأرمنية الرابعة : الأسرة الباقرادونية BAGRATIDS DYNASTY

٨٨٥ ـ ١٠٧١ ميلادية.

ـ السلاجقة الأتراك والبيزنطيون ـ

توقفنا في نهاية الفصل السابق عند عام ٨٦٢ ميلادية ، وهو التاريخ الذي أعلن فيه الخليفة المتوكل تسمية القائد آشوط بن سمباط ASHOT BAGRATUNI (آشوط الأول) ، اميراً لأمراء ارمينيا.

وفي الحقيقة ، فقد استمر آشوط الأول في حكم ارمينيا « بهذه الصفة » حتى عام ٨٨٥ ميلادية ، عندما صد الأمير الفارسي شهاب وانتصر عليه ، مما دفع بالأمراء الأرمن الى الطلب من الخليفة تنصيب آشوط ملكاً على ارمينيا ، فاستجاب اليهم وأرسل التاج الملكي إلى آشوط ، الذي اصبح ، وبدأ من هذا التاريخ ، ملكاً [1] وعميداً للأسرة الباقرادونية [2] ، التي تعاقب من ملوكها على حكم أرمينيا بين أعوام ٨٨٥ ـ ١٠٧١ ميلادية كل من :

١ ـ آشوط الأول (بن سمباط) ASHOT I ٨٨٥ ـ ٨٩٠ ميلادية .

٢ ـ سمباط الأول SMBAT I ٨٩٠ ـ ٩١٤ ميلادية .

---

١ ـ ايد الامبراطور البيزنطي هذه الخطوة ، وأرسل الهدايا إلى آشوط مهنئاً .

٢ ـ نسبة إلى اسم الأسرة التي ينتمي اليها آشوط نفسه : الأسرة الباقرادونية .

٣ ـ آشوط الثاني ASHOT II ٩١٤ ـ ٩٢٩ ميلادية (ويسمى آشوط الحديدي) .

٤ ـ العباس ABBAS ٩٢٩ ـ ٩٥٣ ميلادية.

٥ ـ آشوط الثالث ASHOT III ٩٥٣ ـ ٩٧٧ ميلادية.

٦ ـ سمباط الثاني SMBAT II ٩٧٧ ـ ٩٨٩ ميلادية.

٧ ـ كاكيك الأول GAGIK ٩٨٩ ـ ١٠٢٠ ميلادية (وحاز لقب شاهنشاه) .

٨ ـ سمباط الثالث SMBAT II ١٠٢٠ ـ ١٠٤٢ ميلادية. اشترك الأثنان في

٩ ـ آشوط الرابع ASHOT IV ١٠٢٠ ـ ١٠٤٢ ميلادية. حكم ارمينيا ، كما سنرى .

١٠ ـ كاكيك الثاني GAGIK II ١٠٤٢ ـ ١٠٤٥ ميلادية

١١ ـ أرمينيا تتحول إلى ثلاث ممالك (منذ سنة ٩١٤ ميلادية) ، مما يسهل على بيزنطية احتلالها بين هذه الأعوام ١٠٤٥ ـ ١٠٧١ رغم مقاومة الملك كاكيك الثاني . .

وكما سرنا عليه في الفصول السابقة ، فاننا الآن سوف نلم بتاريخ أرمينيا بين هذه السنوات ، من خلال استعراض الحوادث التاريخية التي جرت في عهد كل واحد من هؤلاء الملوك .

آشوط الأول ASHOT I
٨٨٥ ـ ٨٩٠ [1] ميلادية

بدأ عهده « كملك » بمقاومة الأمراء الأرمن الآخرين ، في قارص KARS ، وفاسبوراكان VASPURAKAN الذين ثاروا عليه لوصوله إلى هذا المنصب ، الذي سد أمامهم فرص الوصول الى عرش ارمينيا ذاته . وهكذا وجد عميد الأسرة الباقرادونية نفسه مضطراً لمحاربتهم على عدة جبهات بآن واحد . . .

---

١ ـ نشرح هنا سيرة هذا الملك وبهذه الصفة . أما حكمه كأمير (منذ عام ٨٦٢ ـ ٨٨٥) ، فقد مررنا به عبر مقدمة هذا الفصل ، وفي نهاية الفصل السابق ، فلا حاجة للعودة اليها ثانية .

وزاد من مصاعبه ما قام به صهره « كريكور أردزروني» من مهاجمة العرب في منطقة سلماست SELMEST ، مما اضطره ، وقد خشي ردة الفعل العربية ، للسفر إلى القسطنطينية ، حيث قابل امبراطورها ليون الفيلسوف، الذي احتفل به ثم عقد الأثنان معاهدتي تحالف سياسية واقتصادية ، كما جهزه الامبراطور بفرقة عسكرية . . ولكن اشوط مات وهو في طريق العودة الى ارمينيا.

وخلال سنوات حكمه القصيرة قام بعديد من الأعمال ، فقد نقل العاصمة إلى باكاران ، كما أجرى كثيراً من الاصلاحات الادارية ، التي بات يتطلبها جهاز الدولة ، فضلاً عن اهتمامه بتقوية الجيش .

اما سياسته الخارجية فكانت تهدف إلى حفظ التوازن والوقوف على الحياد بين الدولتين البيزنطية والعربية .

سمباط الأول SMBAT I
٨٩٠ - ٩١٤ ميلادية .

وهو ابن آشوط وولي العهد ، وعندما توفي والده كان غائباً عن العاصمة ، فانتهزها عمه العباس فرصة وأعلن « حقه » في العرش ، نظراً لخدماته في حروب قارص وفاسبوراكان (السالفة الذكر) . . ولكن سمباط تمكن من تجهيز جيش ، احاط بالعباس وأسره ، ثم اطلق سراحه .

وكانت هفوة سمباط التي عكرت صفو السلام في أرمينيا ولسنوات ، مخالفته سياسة بلده الخارجية التي تقضي بالوقوف على الحياد بين العرب والبيزنطيين . وهكذا فان سمباط عندما تبادل العلاقات الودية والهدايا مع الامبراطور البيزنطي ، فان الأفشين AFSHIN (الوالي العربي على منطقة وان VAN التي كانت لا تزال والقسم الجنوبي من أرمينيا تحت النفوذ العربي) قد استغل هذا الظرف للتحرش بالملك سمباط ، فكتب إلى الخليفة ، عن « العلاقات المريبة » بين ملك أرمينيا

وامبراطور بيزنطة ، ولكن الخليفة هدأ باله ولم يعر الأمر اهتماماً .

وجاءت الأفشين الفرصة المناسبة ، وكان هذا يتربص بسمباط الدوائر ، عندما اعتقل الأخير أميري حامية دوفين العربيين، وأرسلهما إلى القسطنطينية أسرى. ثم عندما توسع ومد حدود دولته من البحر الأسود حتى حدود أذربيجان وما وراء القوقاز . وعندئذ تحرك الأفشين بجيوشه ، دون أن يفصح عن نواياه ، وظهر في نخجوان أولاً ، ثم غذى سيره حتى وصل دوفين DVIN ، وعندها أدرك سمباط نوايا الأفشين ، فأسرع بدوره ووزع قواته واستعد لمعركة فاصلة . . . رغم انه في اعماقه كان يفضل عدم الاشتباك مع خصمه . ولهذه الغاية أرسل جثليق أرمينيا لمقابلة الأفشين ، وايجاد تسوية للموضوع ، إلا أن الأفشين أصر على اجراء المقابلة مع سمباط نفسه (الذي كان يضمر اعتقاله) . . الا أن هذا الأخير ، وقد أدرك هذه الغاية ، فانه رفض حضور اللقاء الموعود .

وفي هذا الوقت ، احتجز الأفشين الجثليق الأرمني ، وزحف بجيشه نحو مواقع سمباط ، حيث اشتبك الطرفان في قتال ضار تمكن خلاله سمباط من احراز النصر ، فطلب الأفشين الصلح ، ووافق سمباط مقابل اطلاق سراح الجثليق ، وهو ما فعله الأفشين بعد شهرين .

وما لبث الموقف الداخلي أن تدهور نتيجة مطامع امير فاسبوراكان [1] «كاكيك اردزروني» . ثم ازداد الأمر ضغثا على إبالة عندما تحالف أشوط الأردزروني (الفاسبوراكاني أيضاً) - ابن اخت سمباط - مع الأفشين ضد خاله ؟ . . . ولكنه لم يفد من هذا التحالف كثيراً ، نظراً لقيام قريبه كاكيك بسجنه ، واغتصاب الامارة الفاسبوراكانية بكاملها . ثم ظهر في الوقت نفسه على مسرح أرمينيا الأمير أحمد ، قادماً من الحدود الشمالية للعراق (ما بين النهرين) . . . فسار اليه سمباط يريد ملاقاته ، الا أن خيانة كاكيك الأدزروني ، لملك أرمينيا سمباط ، دفعت بهذا الأخير ، بعد اشتباكات محدودة ، إلى الانسحاب والعودة الى مواقعه في الداخل .

١ - الذي ، كما أشرنا ، كان يهدف إلى الوصول للسدة الملكية .

وعندما علم الأفشين بهذا الانسحاب لقوات سمباط أمام الأمير أحمد ، وخيانة كاكيك لخصمه المذكور (سمباط) ، فقد وجدها فرصة سانحة للانقضاض وادراك مطامحه . وبالفعل انتهت المعركة بين الرجلين إلى زواج الأفشين من ابنة اخت سمباط وعقد الصلح بينهما .

وعندما توفي الأفشين ، خلفه يوسف بن ابي الساج في قيادة الحامية العربية في القسم الجنوبي من أرمينيا (كما ذكرنا) . وكانت العادة تقضي بأن يدفع ملك أرمينيا الجزية للدولة العربية عن طريق الوالي العربي ، في أرمينيا ، وهو الآن يوسف ، الذي كان يقتطع لحسابه مبلغاً منها ، الأمر الذي كان يرفع نسبة هذه الجزية على الدولة الأرمنية . ورأى الملك سمباط أن يرسل هذه الجزية مباشرة الى الخليفة دون مرورها على عامله في أرمينيا ، وكتب بذلك الى الخليفة ، فوافق هذا على الاقتراح ، مما أثار حفيظة الأمير يوسف على الملك سمباط . . . وفكر في الانتقام منه ، حتى توصل إلى أخذ موافقة المكتفي بالله (الخليفة) على مضاعفة الجزية المقررة على أرمينيا ، مما دفع بالملك سمباط إلى زيادة الضرائب لتحصيل الجزية الجديدة ، الأمر الذي اثار بدوره الأمراء الأرمن على الملك سمباط والعرب معاً . . . فقرروا خلع سمباط .

وفي هذه الأثناء ، وكان يوسف وسمباط قد اشتبكا في معركة انتهت بانتصار الأخير ، قد عادا وتصالحا ، حيث قدم الأمير يوسف إلى صديقه الجديد الملك سمباط هدايا عديدة ، منها جواد عربي ، ومهماز مرصع نال تقدير ملك ارمينيا ، فأرسل بدوره الهدايا إلى الأمير يوسف .

وعندما حل السلام بينهما ، قامت ثورة الأمراء الأرمن على الملك سمباط ، الذي استفاد من تحالفه الجديد مع الأمير يوسف ، فوجه قواته ضد المتمردين الأرمن . وصدف في هذه الأثناء أن تمرد الأمير يوسف نفسه على الخليفة العربي ، الذي طلب إلى الملك سمباط قمع هذا التمرد ، مما أوقع بالملك الأرمني في حلقة مفرغة . اذ عاد كاكيك (امير فاسبوراكان) ، وتحالف مع يوسف ضد سمباط (الذي

وقف الى جانب الخليفة العربي) ، وأعلن نفسه أي (كاكيك) ملكاً ، فالتف حوله بعض الأمراء . . . إلا أن قسماً كبيراً منهم بقي على ولائه للملك سمباط ، كما أيدته جموع الشعب . وانتهى الموقف أخيراً الى وقوع معركة جديدة بين الأمير يوسف (ومعه بعض الأمراء الأرمن) ، والملك سمباط ، اضطر على أثرها هذا الأخير الى دفع الجزية إلى يوسف ، مما أوهن موقف الدولة الأرمنية ككل . وتطور الموقف نحو خطورة اكبر عندما خلا عرش بيزنطة من امبراطور يستطيع تقديم المساعدة للملك سمباط ، كما أن حليفه الخليفة العربي واجه ثورة في مصر اعاقته عن مساعدة هذا الملك ، اضف الى ذلك تخلي اكثر الأمراء الأرمن عنه ، ومهاجمة يوسف العسكرية المتلاحقة لقوات ملك ارمينيا (سمباط) . . . إن هذه العوامل كلها دفعت بالملك سمباط الى الالتجاء إلى قلعة « الأزرق » ، حيث حاصره يوسف ، ثم تصالح الطرفان ، إلى حين .

وعندما وصلت الأمور الى هذا الحد شعر كاكيك الأردززوني، حليف يوسف ، بالندم ، وحاول الاعتذار من الملك سمباط ، ولكن هذا الأخير رفض. وازاء هذا الموقف ، عاد كاكيك وانسحب من تحالفه مع يوسف ، مما أشعر الأمير العربي بأن سمباط وراء هذا الموقف ، فسجن الملك سمباط ثم قتله .

الملك آشوط الثاني (الحديدي) ASHOT II THE IRON
٩١٤ - ٩٢٩ ميلادية .

خلف آشوط اباه القتيل سمباط والبلاد في حالة ضياع كاملة . فالأمير يوسف يحتل المقاطعات والمدن الحساسة في الدولة الأرمنية ، والنبلاء الأرمن يرفضون الاعتراف بشرعية حكمه ، والفوضى والتذمر تعمان أرجاء البلاد ، وفئة كبيرة من السكان اتخذت السرقة والنهب مصدراً للعيش .

في هذه الظروف القاسية ، تسلم آشوط الثاني مهام الحكم ، إلا أنها كلها لم تحل دونه وتثبيت أركان المملكة . وهكذا انصرف أولاً الى تشكيل جيش قوي

تمكن بواسطته (وبمساعدات امبراطور بيزنطة العسكرية) من احتلال كافة القلاع والمدن المهمة ثم كر على الأمير يوسف واضطره للانسحاب من مواقعه مما دفع هذا الأخير (للكيد من آشوط) إلى تتويج آشوط بن شابوه ملكاً على أرمينيا . . إلا أن آشوط الحديدي تمكن، (وخلال عامين)، من عزل آشوط بن شابوه ثم هاجم الأمير يوسف نفسه الذي عاد وتمرد على الخليفة العربي مما دفع بهذا الأخير إلى الاستنجاد بآشوط وزوده بالقوات العربية الموالية له فتمكن آشوط الحديدي أخيراً من قتل الأمير يوسف .

كان هذا العمل كافياً لأن يلم الأمراء الأرمن المتمردين حول الملك آشوط الثاني ، ويخمد مطالبهم ، وبالتالي أن يجعله يفوز بثقة الخليفة العربي الذي منحه الآن لقب « شاهنشاه » ، أي ملك الملوك وأعفاه من دفع الجزية .

وخلف الأمير يوسف على ولاية القسم العربي من أرمينيا الوالي بشير الذي كان على النقيض من سلفه تماماً . . . اذ سار على سياسة وئام مع الملك آشوط الثاني مما اتاح لهذا الملك أن ينصرف إلى ادارة شؤون الدولة التي كانت قاب قوسين أو ادنى من الانهيار فأصلح جهاز الادارة وقوى الجيش ثم مات دون أن يخلف ولداً فتولى الحكم أخوه العباس .

عباس ABBAS
٩٢٩ ـ ٩٥٣ ميلادية .

عاصر هذا الملك الظروف السابقة كلها ، وكان ذكياً بحيث أدرك اسبابها وطريقة مداواتها . ومن هنا تأتي الأهمية التي اكتسبها هذا الملك سيما وقد عرف ، بتقديره ، مدى تغلغل حب الحكم لدى الأمراء الآخرين في الدولة ، فانصرف بدهائه إلى معاملة هؤلاء جميعاً على قدم المساواة ، كما زودهم بصلاحيات كاملة فيما يتعلق بادارتهم لمقاطعاتهم مما اكسبه ودهم وتقديرهم .

ثم عمد إلى مبادلة الأسرى الأرمن بالأسرى العرب ، الأمر الذي اتاح له أيضاً

كسب ود الشعب وبالتالي الانصراف إلى تقوية الدولة والاهتمام بعمرانها وتأمين نهضتها التجارية والاقتصادية وهو ما حققه بنجاح .

وتوفي بعد حكم استمر ٢٤ عاماً ليخلفه ابنة آشوط الثالث .

آشوط الثالث الرحيم : ASHOT III
٩٥٣ ـ ٩٧٧ ميلادية .

لقب هذا الملك الأرمني ، باسم « آشوط الرحيم » ، لرأفته ، ومودته للشعب ، ومساعدته الفقراء ، وبناء الملاجىء لهم .. وكان في الوقت نفسه اديباً اطلع على الثقافة اليونانية ، واعجب بها ، مما اتاح له القدرة على التفكير بشكل أكثر ما يكون منطقياً ومركزاً ومكثفاً .

وفي رأينا أن هذه الجوانب الثقافية من شخصيته ، هي التي اكسبته هذه الشهرة في التاريخ الأرمني ، خاصة وانها تكللت ايضاً باعماله المادية الملموسة ، كتقوية الجيش ، وطرد الغزاة ، وإقرار السلم في البلاد .

ومما هو جدير بالذكر انه مر بين استلامه العرش عام ٩٥٣ ، وتتويجه رسمياً عام ٩٦١ ، اكثر من ثماني سنوات . الأمر الذي دفع بشقيقه ، وخلال حفل التتويج هذا، أن يعلن نفسه ملكاً على قارص KARS باسم موشيغ (٩٦٢ ـ ٩٨٤)، وبحيث شكل ، بالفعل ، مملكة تعاقب عليها من بعده كل من العباس ، ثم كاكيك (١٠٢٩ ـ ١٠٦٤ ميلادية) .

واستطاع آشوط الثالث رغم ذلك القيام بنهضة عمرانية واسعة شملت آني ANI (التي جعلها العاصمة) ، وكذلك المدن الأخرى [١] ، كما أسس جامعتين هما « دير هاغباد » و« ساناهين » SANAHIN اللتان لعبتا دوراً كبيراً في خلق نهضة أدبية واسعة في البلاد .

---

١ ـ مثل دوفين DVIN ، وأرضروم وقارص الخ .

ولعل هذا العمل ، أي انشاء الجامعتين المذكورتين ، يؤيد ما ذهبنا اليه في مطلع هذه النبذة ، حول التأثيرات الثقافية على الجوانب الداخلية من نفسيته ، وهو المطلع على الآداب اليونانية .

وبفضل آشوط ، ونشاطاته العمرانية ، اضحت آني مركزاً ثقافياً مرموقاً في هذه المنطقة من العالم ، حيث برز فيها الفن المعماري البيزنطي - الأرمني . (راجع الباب الثالث من هذا الكتاب) . كما اضحت آني تحتوي (على ما تذكر المصادر التاريخية) الف كنيسة وكنيسة .

سمباط الثاني SMBAT II
٩٧٧ - ٩٨٩ ميلادية .

هو ابن آشوط الثالث ، سار على سياسة والده تماماً ، اذ انصرف إلى تعمير أرمينيا وتأمين نهضتها ، عن طريق اطلاق حرية التفكير والعلم . كما وزع اهتمامه على الجوانب الاقتصادية ، فأنشأ الطرق والجسور ، واعتنى بالتجارة ، حتى شهدت ارمينيا ، بفضله وبأعمال أبيه ، رقياً شمل المجالات الفنية (الريازة والنحت) ، والأدبية ، والثقافية . لوحة رقم ٧١

ومن الحوادث الهامة خلال حكمه ، محاولة عمه موشيغ (ملك قارص) ، ضم مملكة آني (أي دولة سمباط الثاني) اليه ، ولكنه فشل .

كاكيك الأول GAGIK I
لوحة رقم ٦٢
٩٨٩ - ١٠٢٠ ميلادية .

خلف شقيقه سمباط الثاني على العرش ، نظراً لعدم وجود وريث لسمباط . ويعتبر عهد هذا الملك مكملاً لحكم أبيه (آشوط الثالث) وشقيقه ، اذ توجه كاكيك الأول بكليته ، إلى تنشيط الفنون ، والآداب ، والاهتمام بالعمران ، وإشادة الكنائس ، والمدارس ، والعمل على ازدهار التجارة ، مما دفع بالثروات الطائلة إلى

أرمينيا ، التي أضحت في عهده مركزاً للقوافل القادمة من الشرق ، في طريقها إلى ما وراء القوقاز ، أو الدولة البيزنطية ، وبالعكس ، وكذلك تلك القادمة من جنوبي البلاد (سورية والعراق) .

ونتيجة هذا الازدهار الاقتصادي ، عمد الى تخفيف الضرائب عن الشعب ، وبناء المؤسسات الخيرية ، والاهتمام باشادة دروب المواصلات وتحسينها .

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية ، انه عندما تناهى إلى سمع الخليفة العربي القادر بالله ، ما يقوم به هذا الملك من اصلاحات ورعاية للأمن في بلاده ، اطلق عليه لقب شاهنشاه الأرمن . لوحة رقم ٦٣

سمباط الثالث SMBAT III وآشوط الرابع ASHOT IV
١٠٢٠ - ١٠٤٢ ميلادية .

بدء ظهور السلاجقة الأتراك على حدود أرمينيا ، والحكم الازدواجي.

تخلف كاكيك الأول عن ولدين ، هما سمباط الثالث ، وآشوط الرابع ، وكان الأول هو ولي العهد ، إلا أنه كان ضعيف الإرادة ، قليل الدراية بالشؤون العسكرية والإدارية ، على خلاف شقيقه الذي كان نشطاً ذكياً . وقد أدت هذه الفروقات البينة بين الرجلين ، (فضلاً عن تصرفات الأول الرعناء تجاه رجال الدين) ، الى نشوب نزاع بينهما على العرش ، انتهى إلى تولية سمباط على العاصمة آني ANI وضواحيها ، أما آشوط فقد أعلنت سلطته على بقية أجزاء المملكة الباقرادونية .

وهكذا خضعت أرمينيا بين أعوام ١٠٢٠ - ١٠٤٠ ميلادية لحكم ازدواجي أو ثنائي الوجه. وما عتمت أرمينيا أن شهدت غزوة السلاجقة الأتراك SELJUK THE TURKS ، التي اندفعت من قلب آسيا مدمرة كالعاصفة كل ما تجده أمامها ، حتى وصلت إلى أرمينيا ، فقاومها أولاً ملك فاسبوراكان ، إلا أنه ما لبث

أن انسحب من أمامها (كما فعلت الشعوب الأخرى التي قابلتها) . ثم تصدى لها ثانية واساك باهلاووني قائد الملك سمباط الثالث ، واستطاع وقف زحفها ، إلا أنها ما لبثت أن عادت مرة ثانية ، وبقوة أكبر ، مما دفع ببعض ملوك أرمينيا إلى التنازل عن أملاكهم إلى امبراطور بيزنطة طلباً للحماية .

كاكيك الثاني GAGIK II

١٠٤٢ - ١٠٤٥

ارمينيا وسقوط الأسرة الباقرادونية .

في الحقيقة أنه عقيب وفاة الملك كاكيك الأول ، بدأ التفسخ يسود الدولة الأرمنية . ذلك أن النزاع المرير بين ولديه انتهى إلى تقسيم الدولة وأملاكها ، وهي التي كانت ومنذ عام ٩١٤ ميلادية موزعة بدورها إلى مملكة الفاسبوراكان ، ثم في عام ٩٦٢ الى مملكة قارص . وهكذا كان لغياب اليد الحازمة التي يمكنها أن تدير شؤون الدولة بحزم (كأشوط الحديدي ، وقبله سمباط الأول) ، وكذلك لانعدام الوحدة ، وحتى التآلف ، بين مختلف هذه الممالك والإمارات (ضمن الدولة الواحدة) ، ما قوى رغبة الدولة البيزنطية في الحاق أرمينيا بها ، وبالتالي ساعدها على تحقيق هذه الرغبة .

وهكذا قامت الدولة البيزنطية في أعوام ٩٦٦ - ٩٦٧ ميلادية بالحاق إمارة تارون (TARON) بها . كما أقامت القوات البيزنطية ، التي كانت تحت القيادة العسكرية المباشرة للامبراطور ، مركزاً قوياً لنفسها في جنوبي غربي أرمينيا . . . الأمر الذي ساعدها على ضم دولة الملك دافيد (مقاطعة دايك DAYK) إلى نفوذها ، بحيث شملت هذه الأملاك ، كلاً من مقاطعة اباهونيك APAHUNIK ، ومدينة ملاذكيرت MANAZIKERT جنوباً .

وفي أعوام ١٠٢١ - ١٠٢٢ ميلادية ، (وكما أشرنا) ، تنازل ملك الفاسبوراكان ، تحت ضغط الهجوم السلجوقي ، عن مملكته إلى الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني BASIL II . وهكذا فإن جميع المقاطعات الشمالية والغربية لأرمينيا

أصبحت الآن تشكل جزءاً من الامبراطورية البيزنطية . أما باقي الممالك والإمارات ، فقد اضحت في وضع خطير ما عادت معه تستطيع أن تقاوم الضغط البيزنطي ، سواء أكان هذا مباشراً ، أم ملتوياً .

وعلى هذا الأساس ، قام الملك سمباط الثالث ، بتسمية الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني (المذكور) وريثاً له . . . وبموت هذا الملك اضحت مطالب امبراطور بيزنطة مدعومة من قبل الحزب البيزنطي في العاصمة آني ، الذي كان يعمل لمصالح شخصية أكثر وضوحاً وشراسة ؟ ولكن الحزب الوطني ، المؤيد لوحدة أرمينيا وديمومتها كدولة مستقلة ، وبعد نضال دام عامين ، استطاع الوصول إلى النصر ، بعد أن دحر الجيوش البيزنطية ، وسمى الأمير كاكيك الثاني (عام ١٠٤٢ ميلادية) ، ملكاً على أرمينيا .

وخلال ثلاث سنوات ، (أي حتى عام ١٠٤٥ ميلادية) ، حارب الملك كاكيك الثاني القوات البيزنطية ، وكذلك قوات أمير دوفين DVIN ، الذي أثارته بيزنطة هذه ، كما دحر ملك لوري LORI ، الذي ثار للسبب نفسه . ولكنه وبخديعة قاتلة غزلها أعداء له من معارفه ، فانه توجه إلى القسطنطينية ، حيث أجبر على التنازل عن الملك. ولم تؤد مقاومة سكان آني وحكامها إلى أي نتيجة ذات بال ، اذ ما عتمت أن احتلتها القوات البيزنطية ، كما سيطرت على الدولة الأرمنية بكاملها . وتبع هذه المأساة تنازل الحاكم كريكور ماجستروس GREGORY MAGISTROS عن امارته للبيزنطيين ، ثم لحق به عام ١٠٦٤ ملك قارص KARS كاكيك (حفيد موشيغ ـ راجع الملك آشوط الثالث) في التنازل عن مملكته . ولم يبق من الدولة الأرمنية كرموز لاستقلالها ، الا امارة سونيك SIUNIK الصغيرة .

لوحة رقم ٣٤

جرى هذا كله ، والغزو السلجوقي على أبواب أرمينيا منذ عام ١٠٢٢ ميلادية . ويبدو أن بيزنطة رأت في هذا الغزو ـ الذي فاتها ادراك مدى خطورته عليها بالذات ـ فرصة مناسبة لابتلاع ارمينيا . ولكن عام ١٠٤٨ جاء بأفكار مغايرة تماماً لنوايا الامبراطورية البيزنطية . اذ دخل الغزو السلجوقي الآن أرمينيا نفسها .

فسقطت العاصمة آني بيدهم عام ١٠٦٤ ميلادية (وهي التي احتلتها بيزنطة نفسها قبل سنوات) . وكذلك قارص . ولم يأت عام ١٠٧١ ميلادية إلا وأصبحت أرمينيا (البيزنطية) بكاملها تحت حكم السلاجقة عقيب الكارثة التي حلت بالبيزنطيين أنفسهم في معركة ملاذكيرت .

* * *

الفصل التاسع

المملكة الأرمنية الخامسة : الأسرة الروبينية

RUBENIDS DYNASTY 1080 - 1375

١٠٨٠ ـ ١٣٧٥ ميلادية

ـ مملكة كيليكيا ـ

لم يكن الأرمن حديثي العهد بكيليكيا (CILICIA)، عندما وصلتها أفواجهم المتعاقبة ، عقيب دمار آني ANI ، وضياع استقلال أرمينيا الأم عام ١٠٧١ ميلادية على يد السلاجقة الأتراك .

وفي الواقع ، يعود عهدهم بها إلى وقت ديكران الثاني TIGRANES II ، الذي ضمها إلى بلاده في سنين ما قبل الميلاد ، فجاءها مواطنوه من موظفين ، وتجار ، ورجال جيش ، واستوطنوها ، في الوقت الذي عاد فيه بعضهم الآخر إلى أرمينيا

ثم جرت اليها هجرة أرمينية أخرى في عهد الأسرة الأرشاغونية سكنت جبالها (طوروس) ومعاقلها الطبيعية .

وفي نهاية القرن العاشر (وقبل الهجرة الكبرى المذكورة أعلاه) ، كان عدد الجالية الأرمنية في كيليكيا وفيراً إلى الحد الذي مكنهم من المساهمة في تعيين اسقف

لمدينة طرسوس TARSUS ، وآخر لمدنية انطاكية ANTIOCH [1] .

اما في أواخر القرن الحادي عشر، وعقيب ضياع استقلال أرمينيا ، فقد وصلتها هجرات أرمنية طازجة وباعداد كبيرة ، مكنت الأرمن المقيمين والوافدين من انشاء « امارة أرمينية » مستقلة ضمن كيليكيا ، التي كانت تحكمها وقتئذ الأمبراطورية البيزنطية منذ عام ٩٦٤ عندما اجتاحها ملكها نيقوفور ونقلها من الحكم العربي ووضعها تحت نفوذ دولته .

خريطة رقم ٦

وما عتمت الإمارة الأرمنية المذكورة ، التي أسسها الأمير روبين الأول RUBEN I عام ١٠٨٠ ميلادية ، أن تحولت بعد قرن ونيف ، إلى مملكة كانت الوطن البديل للأرمن .

وعلى هذا فاننا في هذا الفصل سوف ندرس تاريخ دولة كيليكيا خلال هاتين المرحلتين ، أي دور الإمارة ودور المملكة .

١ ـ دور الإمارة : وأسرة روبين RUBENIDS DYNASTY ١٠٨٠ ـ ١١٩٩ ميلادية :

تمهيد :

يحد كيليكيا من الشرق جبال آمانوس ، ومن الشمال والغرب جبال طوروس ، ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسط الذي تمتد سواحله من مدينة طرسوس إلى جنوب اسكندرونة . وتبلغ مساحتها ٤٠٠٠٠ كم² بطول ٤٠٠ كم من الشرق الى الغرب ، وبعرض ١٠٠كم من الشمال إلى الجنوب .

ومن أهم مدنها طرسوس ومرسين وآياس AYAS ومرعش وعينتاب AYNTAB وزيتون الـخ . وتتألف كيليكيا طبيعياً من جزءين ، هما كيليكيا السهلية ، وكيليكيا الجبلية . ومن أنهارها سيهون وجيهون . وتحتوي تربتها على

---

١ ـ راجع كتاب الأرمن : لمؤلفته دير نرسيسيان ص : ٤٤.

بعض المعادن، كما وتصلح أيضاً للزراعة، فتنمو فيها الغلال والقطن والكرمة وقصب السكر وغير ذلك . . وقد أدى استقرار الأرمن في هذه البلاد الى فتح صفحة جديدة في تاريخهم الحافل، فهذه هي المرة الأولى التي اصبحوا فيها ضمن بلاد لها منفذ مباشر على البحار المفتوحة، مما مكنهم بالتالي، من الاحتكاك والتعامل مع شعوب وأمم جديدة على مختلف الأصعدة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية[1].

روبين الأول RUBEN I
١٠٨٠ ـ ١٠٩٥ ميلادية .

هو مؤسس الأسرة الأرمنية التي حكمت كيليكيا[2] تحت اسمه على مدى القرون الثلاث التي عاشتها بين أعوام ١٠٨٠ ـ ١٣٧٥ ميلادية .

وقد هاجر روبين الأول إلى هذه البلاد ، عقيب سقوط الدولة الباقرادونية، ونصب عينيه تأسيس دولة بديلة للوطن الأم الذي ضاع استقلاله . وبالفعل ، فقد عمل لهذا الغرض بدعوة الأرمن الى انشاء دولة خاصة بهم . وسرعان ما التف هؤلاء حوله ، ثم أعلنوا استقلال المنطقة التي يسكنونها ، بحيث الفوا ، تحت زعامته ، الدولة الأرمنية الجديدة .

وقد كان لهذا الاعلان ، أهمية قصوى بالنسبة للأرمن الذين نكبوا بوطنهم القديم ، كما كان بمثابة الشرارة التي اوقدت في قلوبهم حب الانتقام من البيزنطيين بالذات الذين تسببوا بضياع هذا الوطن . . . وهكذا ردوا الصاع لهؤلاء فوق أراض تخضع لنفوذهم على وجه التخصيص .

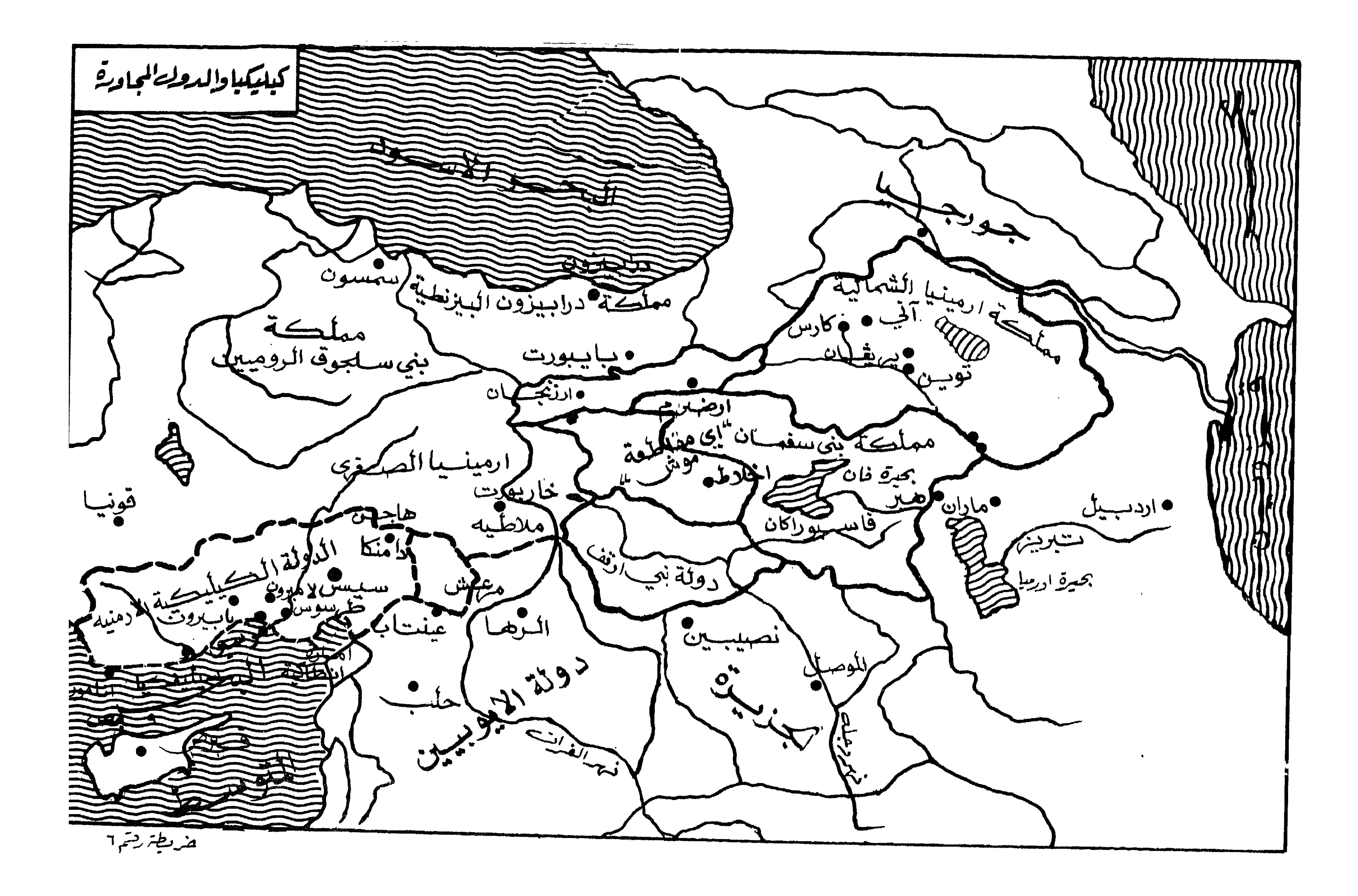
قضى روبين الأول حياته في الورع والتقى ، وغادر الدنيا ، وقد وضع اللبنة الأولى في بناء الدولة الفتية .

---

١ ـ راجع بشأن هذا التمهيد ،كلاً من المرجع السابق ، وتاريخ الأمة الأرمنية (استارجيان) ص ٢٠٤.

٢ ـ وإن كانت الأسرة الهيتومية قد ساهمت في هذا الحكم أيضاً . . . وهي التي سكنت حصون بابيرون ولامبرون LAMBRON الى الغرب من كيليكيا .




كيليكيا والدول المجاورة
البحر الأسود
جورجيا
سمسون
مملكة درابيزون البيزنطية
مملكة بني سلجوق الروميين
مملكة ارمينيا الشمالية
آني
كارس
توين
بايبورت
ارزنجان
ارضروم
مملكة بني سفمان
بحيرة فان
خلاط
موش
ارمينيا الصغرى
قونيا
خاربورت
ملاطيه
هاجن
ماران
اردبيل
تبريز
بحيرة ارمية
فاسبوراكان
الدولة الكيليكية الارمنية
سيس
طرسوس
مرعش
عينتاب
دولة بني ارتق
الرها
نصيبين
الموصل
حلب
انطاكية
دولة الايوبيين
الجزيرة
نهر الفرات
نهر دجلة
خريطة رقم ٦



قسطنطين الأول CONSTANTINE I

١٠٩٥ ـ ١١٠٠ ميلادية .

خلف قسطنطين والده روبين في حكم هذه الدولة الناشئة . وكان لا بد له الآن من توسيع رقعتها الصغيرة أولاً ، ثم تعميرها ثانياً ، اذا أراد لها الحياة . وهكذا رأيناه يحتل مدناً عديدة وقلاعاً محصنة أهمها قلعة فاهكه VAHKA التي استولى عليها من البيزنطيين .

وقد كان لهذه الحركة المفاجئة ، التي قام بها قسطنطين ، فائدة مزدوجة : فهذه القلعة ، بموقعها المشرف على أحد دروب التجارة الرئيسية في المنطقة ، قد أمنت له مورداً مالياً منتظماً أخذ يستوفيه من الرسوم الجمركية المفروضة على البضائع المارة منه . . . كما أن هذه القلعة والمدن التي ضمها قسطنطين اليه قد وسعت دولته ومنحته مرونة أكبر في التحرك .

ولكن ، عمليته هذه ، وفي نفس الوقت ، قد نبهت البيزنطيين إلى الخطر الذي بدأ ينبعث من هذه المنطقة . وهكذا قرر الامبراطور البيزنطي استرجاعها ، وتأديب ، هؤلاء العصاة الذين لم يحسب لهم هذه السرعة في انشاء دولتهم الجديدة ، وبلدهم الأم بعد ما زال يلفظ أنفاسه .

وفي هذا التاريخ بالذات ، أي عام ١٠٩٨ ، وصلت الحملة الصليبية الأولى ، في طريقها إلى بيت المقدس ، إلى كيليكيا ، حيث ساعدها الأرمن بتأمين المأوى والطعام لجنودها ، كما جرت مصاهرة بين قسطنطين وأمير الرها URFA المسمى الكونت جوسلان دي كورتيناي الذي تزوج من « اردا » ARDA ابنة قسطنطين الأول الذي مُنح الآن لقب بارون BARON .

وبذلك بدأ عهد البارونية (الإمارة) ، والتحالف الأرمني ـ الصليبي .

الأمير طوروس الأول TOROS I
١١٠٠ - ١١٢٣ ميلادية .

على مدى ربع القرن الذي حكم فيه هذا الأمير الأرمني بلاده في كيليكيا ، كان هدفه ، توسيع الإمارة الجديدة ، واكسابها طابع الدولة . وهكذا سلخ مدينة آنازاربا ANAZARBA مع قلعتها من النفوذ البيزنطي وضمها إلى دولته .

وما عتم أن تحالف مع أمير انطاكية ، ووسع حدوده أكثر فأكثر ، حتى شملت معظم كيليكيا بحدودها المعروفة ، وحتى وصلت البحر الأبيض المتوسط . وقد كانت في البدء مقتصرة على المدن والقلاع الكائنة في القسم الجبلي من كيليكيا .

وانصرف بعد هذا الى العناية بعمران منطقته (امارته) وتأمين سبل الحياة لها بتنظيمها ، وتأمين التقسيمات الإدارية التي تكفل تقدمها ، في الوقت الذي كان فيه الأمير كوغ فاسيل KOGH VASSIL حاكماً على القسم الجنوبي[1] من البلاد . ولكن هذا الأخير ما لبث ان واجه هجوماً فارسياً عاتياً دمر مدينة آنازاربا ، وعديدا من القرى الواقعة تحت سلطته (منطقة طوروس) ، إلا أنه قدر في النهاية أن يلم (بمساعدة طوروس) قواته ويسترد ما فقده .

واستغل البيزنطيون هذه الفرصة فشنوا بدورهم هجوماً منظماً رافق ذلك الذي قام به مجدداً القائد الفارسي شاه سلطان في آسيا الصغرى ومنطقة كيليكيا . وتمكن طوروس بمساعدة شقيقيه (اللذين قُتِلا : الأمير ليون ، والأمير ديكران) ، من استرجاع ما فقده خلال هذه الحروب . وأكثر من هذا فقد وسع حدود امارته شمالاً إلى كابدوكية CAPPADOCIA كما واحتل قلعة كزيسترا[2] .

---

١ - في منطقة مرعش وكيسون KESSOUN.

٢ - يكثر ترداد « احتلال القلاع » في هذا الفصل . ورغم ما يبدو ، اليوم ، من بساطة في القيام بمثل هذه الأعمال ، إلا أن احتلالها عسكرياً ، في ذلك الوقت ، باعتبارها تسد طرق المواصلات الصعبة والمحدودة ، كما تسيطر وتشرف على الطرق الموصلة إلى آسيا الغربية وقارص ، كان عملاً ضرورياً من الناحية الاستراتيجية ، وهاماً في نفس الوقت .

وقد كانت اعمال طوروس الأولى كافية لذياع صيته حتى في أوروبا ، خاصة وانه كان يقف بوجه الأمبراطورية البيزنطية المعروفة ، فاسميت بلاده « بلاد طوروس » .

الأمير ليون الأول LEO I
١١٢٣ - ١١٣٧ ميلادية.

شهد عهد هذا الأمير العديد من الأحداث المهمة :

أ - نزاعه مع أمير انطاكية :

كان لاحتلال الأمير ليون الأول ، عقيب توليه مهام الإمارة ، لقلعة سارفانتيكار SARVANTIKAR ، أثر كبير في تحريك نقمة أمير انطاكية « ريمون دي بواتييه » ، سيما وأن العلاقات الأرمنية - البيزنطية كانت في وضع مترد بسبب احتلال هؤلاء البيزنطيين لبعض المناطق المحصنة في جبال الأمانوس التي اعتبرها الأرمن من مناطق نفوذهم .

ورغم ذلك لم يقم حاكم انطاكية ريمون بأي عمل عسكري مباشر ضد الأرمن . . بل اتبع عادة سلكها الكثيرون من اعداء هؤلاء ، منذ القديم ضد ملوكهم ، ومن ذلك استدراجه الأمير ليون ، بالحيلة ، ثم القبض عليه حيث احتفظ به اسيراً لديه على مدى عامين ، اطلق سراحه بعدها ، عقيب تنازل ليون للأول عن قلعة سارفانتيكار المذكورة ، مع مدينتي ماميسديا وأدنة ، ودفعه غرامة باهظة ، واستبقاء ابنه رهينة لديه .

كانت هذه الخديعة وما تلاها من تنازلات اضطرارية ، كافية لتوليد القناعة لدى الأمير ليون ، بجبن ريمون حاكم انطاكية ووصوليته . وعلى هذا فانه ما عتم بعد عودته من الأسر ، أن جهز جيشاً ، غزا به انطاكية نفسها ، التي وجد أميرها نفسه مضطراً للتحالف مع الصليبيين . إلا أن ذلك لم يفده بشيء إذ استطاع الأمير ليون الأول استعادة ما خسره . وما عتم أن توسط ابن اخت ليون - امير أورفه - بين

الطرفين وأقنع خاله برد المدن التي احتلها من أمير انطاكية خلال الهجوم الذي شنه مؤخراً ، على أن يعيد الأول اليه ابنه ، وبعض المواقع الاستراتيجية ، مقابل وضع امارة انطاكية تحت حماية الدولة الأرمنية . . . وهو ما حدث بالفعل .

ب ـ خلافه مع القيصر كومينوس :

كان ثمة العديد من الخلافات القائمة بين الامبراطورية البيزنطية ، والصليبيين الذين حالفهم الأرمن ، وبعض الإمارات المجاورة . وهكذا سار القيصر البيزنطي اوهانيس كومينوس على رأس جيش تمكن به من احتلال مدن ومناطق طرسوس وأدنه واستخلاصها من الأرمن ، ثم هاجم جيوش الأمير ليون وهزمها . . . وما عتم أن تابع سيره فحاصر قلعة فاهكه VAHKA ، وانصرف عنها ، بعد أن ترك كتيبة لمحاصرتها ، واتجه إلى انطاكية .

كانت هذه التحركات السريعة والمدروسة للبيزنطيين مثار حيرة لدى الصليبيين الذين هرعوا لنجدة حلفائهم الأرمن. إلا أن هؤلاء وجدوا أنفسهم مضطرين أيضاً للدفاع عن انطاكية وترك الأرمن دون مساندة عسكرية. ولكن كان السيف قد سبق العذل، إذ تمكن الامبراطور أوهانيس من احتلالها ، وبالتالي وجد الأمير ليون نفسه معزولاً عن أي معونة أو امداد صليبي، مما دفعه للاستسلام للبيزنطيين، خلال شتاء ١١٣٧ ـ ١١٣٨ ، فأرسله هؤلاء أسيراً مع ولديه إلى عاصمتهم القسطنطينية.

الأمير طوروس الثاني TOROS II
١١٤٥ ـ ١١٦٨ ميلادية

كان لهرب الأمير طوروس الثاني ، أحد الشقيقين الأسيرين ، من الأسر في القسطنطينية ، تأثير كبير في منع سقوط الدولة الأرمنية في كيليكيا التي بدا انها كانت على وشك الانقراض عقيب الانتصارات البيزنطية السابقة .

وكان أول عمل لطوروس الثاني ، بعد أن وطأت قدماه أرض بلاده ، أن

دعا جميع الأمراء الأرمن المقيمين في القسم الشرقي من كيليكيا للالتفاف حوله . . كما ساعده أخوه ستيفان STEPHEN ، وخاله جوسلين JOSCELIN أمير الرها (أديسا EDESSA)، حتى نجح أخيراً في استعادة جزء كبير من ممتلكاته المفقودة .

جرى هذا كله عام ١١٤٥ . وهكذا عادت السيطرة الأرمنية وامتدت ثانية نحو السهل الكيليكي (بعد أن انحصرت أولاً في القسم الجبلي عقيب الهزائم المشار اليها) ، مما دفع بيزنطة إلى معاودة مقاومة هذه الحركة الجديدة .

وعندما فشلت أساليبها غير المباشرة الملتوية الموجهة لهذه الأغراض ضد الأرمن ، فانها أرسلت اليهم الآن حملة عسكرية واسعة على جناح كبير من السرية عام ١١٥٨ ، فاجأت طوروس الثاني ، وأخذته على حين غرة ، ثم تقدمت بانتصار مذهل نحو السهل الكيليكي ذاته . . . إلا أن هزيمة الأرمن الحالية (والثانية) ، وعبر هذه الحملة البيزنطية ، كانت أقل خطورة مما أوحت به للوهلة الأولى ، ومن ذلك أن طوروس بسبب اذعانه للشروط البيزنطية ، فقد سمح له هؤلاء باستعادة مواقعه وحصونه في جبال كيليكيا ، بمعنى أن البيزنطيين قد استعادوا الآن السهل الخصب . . . كما أن امارة الأرمن ، (بارونيتهم) ، في كيليكيا ، قد تم اعادة تنظيمها تحت اشراف ونفوذ البيزنطيين أنفسهم .

ورغم أن هذه الكارثة المؤلمة التي حلت بطوروس قد اخضعته وحددت من نفوذه ونشاطه ، إلا أنه تمكن ، وبارادته القاسية ، من أن يخلق القاعدة ، أو النواة اللازمة ، لاستمرار هذه الدولة الأرمنية لمن يأتي بعده من الأمراء الأرمن ، واستعادة نفوذهم على السهل والجبل (قسمي كيليكيا الأساسيين) ، وهو ما قام به خلفاؤه من بعده حقاً .

وما يجب أن نذكره هنا هو انه بسبب العداء المزمن بين الأرمن والصليبيين من طرف ، والبيزنطيين من طرف آخر . . . فقد وجه الأولون انظارهم نحو جزيرة قبرص ذات الموقع الاستراتيجي وأرادوا احتلالها . وما أن اتى عام ١١٥٥ ـ ١١٥٦

حتى أبحر الأسطول الصليبي ـ الأرمني الى هذه الجزيرة حيث فاجأت قواتهم البحرية ، هذه الحامية البيزنطية ، واستطاعوا احتلال الجزيرة بكاملها .

الأمير مليح MELEH
١١٦٩ ـ ١١٧٤ ميلادية .

وهو شقيق طوروس الثاني ، وكان يتوقع عقيب وفاة هذا الأخير أن يعهد اليه بالوصاية على ولي عهده الأمير روبين . . . إلا أن طوروس أوكل هذه المهمة إلى توماس بايل السفير الأرمني لدى امارة انطاكية . . . مما أثار حفيظة مليح على شقيقه وابنه ، فذهب الى حلب ـ وكان يحكمها نور الدين الزنكي ـ فأحسن هذا وفادته ، ثم أرسله مع جيش اجتاح به مليح كيليكيا ، وأخضعها لنفوذه ، بعد سلسلة من الأعمال القاسية .

وبقي في الحكم ٥ سنوات ، ثم قتل غيلة من قبل أحد جنوده ، حيث عاد روبين الثالث إلى حكم البلاد . . . وهو نجل استيفان ، شقيق طوروس الثاني (انظر طوروس الثاني) .

الأمير روبين الثاني RUBEN II
١١٧٥ ـ ١١٨٧ ـ ميلادية .

تولى الحكم بناء على اجماع امراء الأرمن ورؤسائهم وموافقة رجال الدين . وكان هذا على طبع قويم وخلق حسن ، فانصرف الى مداواة الجراح التي سببها الأمير مليح بالنسبة للأرمن .

ورغم جنوحه إلى السلم والمهادنة ، إلا أنه سرعان ما وجد نفسه في نزاع مع أمير انطاكية بيهموند من أسرة لامبرون (هيتوم) الأرمنية المناوئة لأسرته الروبينية . وبدأ هذا النزاع جلياً عندما عمد الأمير روبين الثاني إلى محاصرة آل لامبرون في معاقلهم الجبلية في القلعة المعروفة باسمهم ، فاستنجد هؤلاء بأمير

انطاكية ، الذي لجأ إلى الخديعة ، فأرسل إلى روبين الثاني يدعوه إلى اجتماع للاتفاق على طرق ازالة سوء التفاهم بينه وبين آل لامبرون .

وفات الأمير روبين الثاني نوايا حاكم انطاكية . وكان هذا ما حدث فقد ذهب ضحية الشرك المنصوب له وأخذ أسيراً .

وعندما نما إلى أخيه ليون نبأ هذه الخديعة ، فقد سار على رأس جيش أرمني إلى امارة لامبرون ، وأجبر اميرها على التوسط لدى أمير انطاكية لاطلاق سراح شقيقه فاجيب الى طلبه . . . وعندما استعاد هذا حريته ، تنازل عن امارته لأخيه ليون .

وبوصول ليون إلى العرش ، وتوليه الحكم باثني عشرة عاماً ، تحولت الإمارة البارونية ـ الأرمنية في كيليكيا إلى ملكية بفضل نشاط هذا الرجل ، الذي يعتبر واحداً من أهم رجالات الأرمن السياسيين على مدى التاريخ الأرمني .

٢ ـ دور الملكية : وأسرة روبينيان :

الملك ليون الثاني LEO II ١١٨٦ ـ ١٢١٩ ميلادية : لوحة رقم ٢٧

خلال حكم هذا الرجل ، ارتقت البارونية التي يحكمها من هذا المصاف إلى مرتبة المملكة . وجرى تتويجه عام ١١٩٩ ملكاً في حفلة عظيمة انتدب فيها البابا سليستان الثالث أحد كرادلته ليقدم إلى « البارون » ليون التاج الملكي المهدى له من قبل امبراطور المانيا هنري السادس . واعتباراً من هذا التاريخ ، اصبح ليون أحد حلفاء أوروبا الغربية الممثلة بشخص رئيسها امبراطور المانيا نفسه . لوحة رقم ٢٨

وقد حضر حفلة التتويج هذه ١٥ اسقفاً BISHOP ، و٢٩ اميراً أرمنياً ، بالاضافة إلى طائفة من الفرسان الصليبيين ، كما حضر هذا الحفل متروبوليتان ترسوس اليوناني ، وبطريرك سورية والعديد من امراء الاقطاع . وما عتم امبراطور بيزنطة أن أرسل بدوره تاجاً بهذه المناسبة إلى « الملك » ليون الذي لقب بالجميل لوسامته . . . ثم قام بتتويج ليون الجثليق كريكور .

والجدير بالذكر أن تحول « البارونية الأرمنية » ، إلى « المملكة الأرمنية » ، وكذلك تأسيس دولة قوية ومنظمة ، دفع بالعديد من الكتاب والمثقفين الأرمن ، الى تسمية هذا « التحول » ببعث الأمة الأرمنية القديمة . ان هذه الأحداث - أي ظهور الدولة الأرمنية في هذه المنطقة من الشرق الأدنى - كان مهماً من وجهة النظر الأوروبية ، بسبب الضعف الذي لحق بمركز اللاتين في ليفانت LEAVANT ، من قبل الحملات الإسلامية المتلاحقة (صلاح الدين - نور الدين - الخ . . .) الذين احتلوا الرها عام ١١٨٧ ميلادية ، كما حاصروا المدن الثلاثة ، انطاكية ANTIOCH ، وصور TYRE ، وطرابلس TRIPOLI ، (خاصة من قبل صلاح الدين) . . . واحتلوها بالفعل فيما بعد .

وفي هذا الوقت بالذات ، تمكن ليون ، كما ذكرنا ، من تحقيق الوحدة ضمن المملكتين ، أو الإمارتين القائمتين في كيليكيا ، ، اسرة لامبرون ، وأسرة روبين ، كما تمكن عن طريق المصاهرة والزواج ، من تقوية علاقاته مع حكام قبرص ، وتحقيق تحالف ودي معهم ، ومع حاكم القدس ، وأيضاً الفرسان التوتونيك (الألمان) ، بغرض الدفاع عن بلاده ، وتأمين حمايتها من هجمات جيرانها الأقوياء .

وهكذا ، يبدو جلياً أن الملك ليون الثاني قد أظهر سياسة حاذقة منذ أن كان اميراً إلى أن أصبح ملكاً . إذ تمكن على مدى هذه الفترة بكاملها من بلوغ أهدافه وتثبيت أقدامه في مملكته في أرمينيا الجديدة ، وجعلها على قدم المساواة مع دول اللاتين والبيزنطيين والعرب . فقد بلغت دولته في هذا العهد اوج عزها ومجدها ، خاصة عندما أدخل إلى بلاده الإصلاحات الحديثة (وقتذاك) المقتبسة من الغرب ، رغم احتفاظه بطابع بلاده الأرمني الخاص . ويقال في هذا الصدد أنه أوعز ببناء ٧٢ قلعة اتخذ منها حصوناً لقمع كل حركة تمرد يلجأ اليها الأمراء المنافسون له بغرض افساد هذه الإصلاحات ، وبالتالي الحيلولة دونهم وتدميراً وفسخ وشائج هذه الدولة الجديدة .

ولم يكتف الملك ليون الثاني بهذه الخطوات ، بل اهتم بالنواحي الاقتصادية أيضاً . سيما وأن بلاده قد أصبحت ، وبهذا الشكل ، همزة الوصل بين الشرق والغرب من النواحي التجارية . وهكذا ، فان خبرة الأرمن بالطرق المؤدية إلى بلاد فارس والهند ، ساعد على ازدهار أرمينيا الجديدة اقتصادياً واجتماعياً ، حيث أخذت البضائع تمر عبر هذه الدولة ، كما أقام الملك ليون علاقات اقتصادية متينة مع المدن الايطالية ، في البندقية وجنوى اللتين كانتا تتمتعان بمركز تجاري مرموق في أوروبا . وتنفيذاً لاتفاقات خاصة عقدها مع تلك البلدان ، فقد أخذ يستوفي رسوماً جمركية عن البضائع التي كانت تمر عبر بلاده (كترانزيت)، وذلك بنسبة ٢ أو ٤ بالمئة من مجموع قيمة البضاعة . وكانت أسواق أرمينيا الجديدة في عهده (وفي عهد أسلافه أيضاً) ، تغص بمختلف السلع التجارية الواردة من مختلف الأنحاء ، وتستوفى عنها كذلك النسب والرسوم المقررة . . . مما كان يعود على بلاده بالربح الوفير .

إن هذه الأعمال كلها جعلت الأرمن يسمون ليون الثاني ، « بالكبير » . وقد أكد أحقيته في الحصول على هذا اللقب ، بما قام به أيضاً ، من تشييد للمؤسسات الخيرية ، ومصحات المجذومين .

والشيء الذي يلفت الانتباه هنا ، هو أن التاج الصليبي الذي منح إلى ليون الثاني ، لم يعدل في الواقع من موقف هذا الملك بالنسبة لإمارة الصليبيين في انطاكية ، لأنه رغم كل التضحيات التي بذلها الأرمن نحو حلفائهم الصليبيين فان امارتهم في انطاكية لم ترع لهم صلات الود والصداقة . ففي عام ١١٩٤ ، علم ليون أن في نية أمير انطاكية (الهيتومي - اللامبروني من الأسرة المناوئة للروبينيين المسمى بوهيميون الثالث) ، اعتقاله خدعة ، فاستبقه إلى تلك المكيدة ، وقبض عليه ثم زجه في السجن (بقلعة سيس عاصمته) . إلا أنه وبناء على وساطة الكونت هنري دي شامبان ملك القدس ، أخلى ليون سبيل حاكم انطاكية (بوهيميون الثالث) ، لقاء اعادة المناطق التي سبق لهذا الأخير أن سلخها عن سلفه روبين الثاني (راجع روبين الثاني) . . . وقد مُهر التحالف الجديد بينهما بزفاف ريموند

الإبن البكر وولي عهد بوهيميون الثالث ، من اليس ALICE ابنة روبين شقيق الملك ليون الثاني .

جاءت هذه الحوادث المتعاقبة في الواقع نتيجة للرغبة الكامنة في صدر الملك ليون ، ونتيجة لطموحه في تأسيس مملكة فرنكو- أرمينية (إن صح التعبير) . وذلك عبر السيطرة على انطاكية . وحدث هذا بالفعل نتيجة الزواج المذكور الذي نُص في صلب الاتفاق المبرم بشأنه ، انه اذا وضعت اليس ولداً ذكراً ، فان امارة انطاكية تؤول اليه بالوراثة عن أبيه . وعندما توفي ريموند (الأب) قبل والده بوهيميون الثالث ، فان ابنه (الذكر) ، ريموند روبين ، أصبح وريثاً على امارة البوهيميين في انطاكية ، وتوج هذا الأمير (ثمرة الزواج المشار اليه) أميراً على انطاكية عام ١٢١٦ بعد وفاة جده بوهيميون الثالث .

إلا أن أمير طرابلس (من افرنج الصليبين) ، نازع الوريث ريموند روبين عاهل انطاكية الجديد على حقوقه ، خاصة وانه الإبن الأصغر لأمير انطاكية . وبعد حروب استمرت ٣ سنوات ، ازيح ريموند روبين عن العرش ، وفر الى الملك ليون ، الذي اجاره ، ثم كر معه بجيشه على انطاكية ، وأرجعه إلى عرشه .

وفي هذه الأثناء ، كان الملك ليون أيضاً يقاوم الحركات العسكرية المناهضة التي كان يقوم بها حكام الدول المجاورة بتحريض من الأمراء المنافسين له ، ولكنه استطاع تجاوزها رغم المصاعب التي لاقاها في هذا الصدد .

وهكذا امتدت دولته ، من جبال طوروس الى سالا مونت شمالاً ، والبحر الأبيض وعينتاب AYNTAB وقلعة الروم (كما يسميها العرب) وقلعة اياس جنوباً ، ونهر الفرات شرقاً ، وغاليكانتوس غرباً . وقبل أن يتوفى عهد بالعرش لأبنته الصغيرة زابيللا (وكان عمرها ٥ سنوات) ، وجعل أحد انسبائها آدام دي غستيم وصياً عليها .

الملكة زابيللا والملك هيتوم الأول.

QUEEN ISABEL AND KING HETUM I

١٢٢٦ - ١٢٧٠ ميلادية.

وعقيب مقتل دي غستيم المذكور ، حل محله في الوصاية على الملكة الصغيرة ، الأمير قسطنطين ، مما أثار مكامن الطمع في صدر الأمير روبين حاكم انطاكية فاستعان بالصليبيين . وبمعونة الصليبيين دخل بجيوشه كيليكيا ، حيث تصدى له الوصي قسطنطين وأسر الأمير روبين ثم قتله بعد أن صد الغزاة .

وأدرك قسطنطين خطورة الوضع ما دامت زابيللا نهباً للمطامع . ومن هنا فقد ارتأى أن يزوجها من فيليب ، نجل كونت جوان (طرابلس) ، الذي بقي رغم تأرمنه ، غريباً عن العادات الأرمنية ، مما اثار حفيظة هؤلاء ، وخاصة عندما حاول فرض العادات اللاتينية عليهم .

وعندئذ عمد قسطنطين الى القبض عليه ،ثم فتش لزابيللا عن زوج آخر كان ابنه هيتوم . وتم زواجها رغماً عن ارادتها . وبهذا الزواج انتقل عرش كيليكيا من اسرة روبين إلى اسرة هيتوم (حكام لامبرون) . لوحة رقم ٦٧

دام حكم هيتوم ، الذي أصبح بهذا الزواج ، ملك كيلكيا ، ٤٤ عاماً كان فيها نسخة طبق الأصل عن الملك ليون الثاني . إذ عمد أولاً إلى تحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف الفئات الأرمنية ، مما هيأ لبلاده عهداً من السلام والتقدم استمر على مدى حكمه الطويل .

أما بالنسبة لعلاقاته الخارجية فسار على سياسة المهادنة وحسن الجوار ، وخاصة مع أمير قونية السلجوقي (جلال الدين) . . . ومن هذا القبيل انه صك عملة ضرب على أحد وجهيها رسمه هو ، أما الوجه الثاني فظهر عليه اسم غياث الدين بحروف عربية .

وفي هذه الأثناء ظهرت الغزوة المغولية الهائلة تحت قيادة جنكيز خان ، التي

سرعان ما استولت على الدول المجاورة ، واندفعت كالطوفان نحو كيليكيا نفسها . إلا أن الملك هيتوم بسياسته الحكيمة ، ذهب طائعاً الى البلاط المغولي [1] ، حيث تمكن من عقد معاهدة معهم أبعد بها شبح الخطر الكامن وراء هجوم هذه القبائل على بلاده ، مقابل تعهده بدفع الجزية ، ومشاركتهم في حروبهم بقواته الأرمنية .

وفي الحقيقة ، سارت العلاقات بين المغول والأرمن في عهد هيتوم بشكل سليم ابدى خلاله الطرفان تعاوناً على الأصعدة التجارية والسياسية والعسكرية .

وكان هذا التحالف الأرمني - المغولي سبباً لاثارة نقمة سلطان مصر « بيبرس » ، عدو المغول ، فشن حملة عسكرية واسعة اجتاح بها كيليكيا ، وسحق جيوش الأميرين ليون وطوروس ، ولدي الملك هيتوم ، فوقع الأول أسيراً عام ١٢٢٦ ، في حين قتل الآخر ابان المعركة . ثم ما عتم بيبرس أن احتل مدن سيس وأدنه وطرسوس ومسيس .

واستمر المماليك في تقدمهم ، فافنوا الجيوش الصليبية ، وسقطت مدينة انطاكية بيدهم . ورأى الملك هيتوم أن يعقد مع هؤلاء حلفاً كلفه الكثير ، اذ أعاد اليه المماليك ابنه الأسير ، لقاء اطلاق سراح الأمير المملوكي سنقر . ولم يلبث هيتوم وقد مل كل هذه المنازعات ، أن تنازل عن العرش لابنه ليون .

ليون الثالث LEO III
١٢٧٠ - ١٢٨٩ ميلادية
وغزوة المماليك الثانية .

واجه صعوبات شاقة خلال سني حكمه تذكرنا بتلك التي عاصرها ملك أرمينيا سمباط الأول . فالأعداء من كل جانب ، والمؤامرات تحاك هنا وهناك ، والقحط والتفسخ ينخران في الدولة .

---

١ - وكان الملك هو مانجوخان ١٢٥١ - ١٢٥٩ ميلادية .

إلا أن هذا كله لم يحل دونه والقيام بواجباته كملك شديد المراس . وهكذا رأيناه يعمل على بناء المدن المخربة ، ومساعدة الفقراء ، وتنظيم الجيش ، وتأليف جبهه وطنية ضمت الأمراء المتنافسين ، حتى أضحت مرافىء كيليكيا ، كسيس وإياس ، من أهم المرافىء في منطقة البحر الأبيض المتوسط .

وفي هذا الوقت ، عاد المماليك ثانية فقرعوا بعنف حدود كيليكيا ثم احتلوا سيس ومسيس وطرسوس ، كما استولوا على القصر الملكي في سيس ، وأسروا ١٠٠٠٠ جندي أرمني من جيوش ليون الثالث .

وعاد الأرمن الآن ، وعقدوا تحالفاً جديداً مع المغول ، لصد هجمات المماليك قدروا به معاً من تشكيل جيش من ٤٠٠٠٠ مقاتل زحفوا به إلى الجنوب ، في الوقت الذي كانت فيه جيوش المماليك تزحف بدورها شمالاً . . . والتقى الطرفان أخيراً في سهول حمص بتاريخ ٢٩ تشرين الأول ١٢٨١ وتمت الغلبة للمماليك ، فعقدوا مع الأرمن معاهدة صلح لعشر سنوات كانت شروطها مجحفة بحق هؤلاء الذين توجب عليهم الآن دفع جزية سنوية قدرها مليون درهم ، وكذلك فك أسر جميع التجار المعتقلين من التبعية المملوكية وغيرها ، مع تعويضهم عن خسائرهم .

ورغم هذه الحروب ونتائجها القاسية ، استطاع الملك ليون اعادة تعمير بعض المدن من جديد ، وفتح المدارس وتشجيع التعليم ، ثم قضى نحبه بعد كفاح متواصل .

هيتوم الثاني HETUM II
١٢٨٩ - ١٣٠٥ ميلادية .

ارتقى العرش ، وهو الابن البكر لليون الثالث ، والمماليك يحتلون اورفه ، وانطاكية ، والقدس . وزاد من مصاعبه مطالب عاهل مصر أن يتنازل له هيتوم عن مرعش وبوهسني ، خلافاً لمعاهدة الصلح السابقة (التي أشرنا اليها في النبذة الماضية) . فأرسل هيتوم وفداً إلى البابا يطلب مساعدته في حل هذه الصعوبة

الجديدة ، وكذلك فعل مع ملك فرنسا ، ولكن دون فائدة .

وما عتم المماليك بقيادة خلف بن قلاوون أن زحفوا بجيوشهم حتى وصلوا قلعة الروم QAL'AT ALRUM ، فحاصروها ، وكان يحكمهـا خال الملك هيتـوم الثاني ، ثلاث أشهر ونيف ، ثم دخلوها ، فأسروا عدداً كبـيراً من سكانهـا وعلى رأسهم الجثليق الأرمني (وهي مقر هؤلاء الجثالقة) ، ممـا دفـع بالملك هيتـوم الى الإستجابة لمطالب حاكم مصر (قلاوون) ، وتنـازل عن مرعش وبوهسنـي وتـل حمدون ، فانقذ قلعة الروم ، وسكانها من دمار محتم .

ثم عقد الطرفـان صلحـاً أعـاد الهـدوء إلى كيليكيا رغـم ظهـور الطاعـون والقحط . وما مضت سنين قليلة حتـى تنـازل هيتـوم[1] عن العـرش إلى شقيقـه طوروس ، واعتزل في أحد الأديرة ، ولكنه ما لبث أن عاد إلى الحكم بناء على الحاح طوروس نفسه ، وبقية الأمراء الأرمن ، فوضع عندئذ نصب عينيه تقوية الدولة ، بالتحالف مع أصدقاء أقوياء ، وهو ما فعله حقاً ، اذ توجه إلى قازان خان ملك التتر وتوصل إلى توقيع معاهدة معه تمكن بموجبها من اقناع ملك التتر ، الذين اعتنقـوا الإسلام قبل سنوات ، باعادة الجوامع إلى كنائس كما كانت ، وبتعاون البلدين في مختلف المجالات .

وانفرج الأمر أكثر قليلاً ، والمماليك على الأبواب ، أمام هيتوم ، عندما تقدم وفد بيزنطي بطلب يد شقيقته ريتا RITA للامبراطـور البيزنطـي ، وكانـت هذه الدولة الأخيرة يحكمها ملكان بآن واحد ، احدهما الزوج الجديد للأميرة الأرمنية ، ووجدها هيتوم فرصة مناسبة لتقوية الدولة الأرمنية ، خاصة عقيب معاهدة التحالف مع التتر ، مما يوفر له أصدقاء جدد هم البيزنطيون . وسافر هيتوم إلى القسطنطينية بهذه المناسبة ، فأعلن شقيقه سمباط نفسه ملكاً على أرمينيا الجديدة ، بتأييد شقيقته امبراطورة بيزنطة (اخت هيتوم الثاني بنفس الوقت) ١٢٩٧ ـ ١٢٩٩ ، كما قتل شقيقه الآخر طوروس .

---

١ ـ عام ١٢٩٢ .

وعند عودة هيتوم رأى هذا الوضع المتردي . وحاول معالجة الأمور بالروية ، الا أن شقيقه سمباط الملك المغتصب قبض عليه وسمل عينيه ، مما آثار حفيظة الأخ الرابع لهذه الأسرة والمسمى قسطنطين (ضد أخيه سمباط الذي قتل أحد اخويه وافقد الآخر البصر وكان قد ساعد سمباط على اغتصاب العرش)،فانه عاد الآن وانقلب على ملك أرمينيا الجديد (سمباط) ، ثم جلس على العرش وأعلن نفسه ملكاً ؟ .

كان هذا التطاحن بين ملوك أرمينيا وأمرائها ، بمثابة الضوء الأخضر للسلطان لاشين - حاكم المماليك - فأوعز إلى واليه في دمشق (بدر الدين بكتاش) ، والأمير « المظفر » ، بغزو كيليكيا . . . فسار كل منهما على رأس جيش مدرب ومجهز تماماً ، فدخل الأول الأسكندرونة عن طريق بغراص[1] ، في حين سار الثاني بجيوشه من ضفاف نهر جيحون شمالاً ، فالتقى الجيشان أخيراً ودخلا مضيق سيس في ١٧ نيسان ١٢٩٩ ، ثم تابعا تقدمهما إلى أدنة ، ومنها إلى تل حمدون ، ثم كيليكيا ، في ١٨ حزيران ١٢٩٩ ، فتحصن الأرمن في قلعة « النجم » ، إلا أن قسطنطين (الملك المغتصب) ، رأى عبث المقاومة ، فطلب الصلح ، وتم له ذلك ، مقابل تنازله عن ١٠ قلاع .

كانت هذه الحوادث كفيلة بدعم مطالب الملك الشرعي (هيتوم الثاني) الذي شفي من عملية السمل التي تعرض لها . فطلب إلى أعيان الأرمن ورجال الدين احقاق العدل ، فاستجابوا اليه ، وأعلن عن عودته ملكاً على كيليكيا من جديد .

وصادف في هذه الأثناء أن أحد القواد التتر خرج عن طاعة ملكه ، وتحالف مع الحاكم المملوكي في مصر ، مما دفع بهيتوم الثاني ، انسجاماً مع اتفاقه مع ملك التتر ، إلى مهاجمة القائد المتمرد فانتصر عليه ثم أرسله أسيراً الى ملكه .

ثم شب نزاع أرمني مغولي ، ضد المماليك ، لهذا السبب ، انتهى الى انتصار الأخيرين ، مما دفع بالملك هيتوم إلى التنازل عن العرش إلى ليون الرابع .

---

١ - ممر جبلي بين سوريا وكيليكيا

ليون الرابع ، LEO IV

١٣٠٥ - ١٣٠٨ ميلادية.[1]

هو ابن اخي الملك هيتوم الثاني وابن الأمير طوروس الثاني . . . قتله المغوليون مع عمه الملك السابق هيتوم الثاني قبل اعتلائه العرش لحجج سقيمة . . . رغم أنه حكم لمدة ٣ سنوات دون تتويج .

اوشين الأول OSHIN I

١٣٠٨ - ١٣٢٠ ميلادية .

وهو الأخ الرابع لهيتوم الثاني . وعندما نما اليه مقتل الملك السابق (هيتوم الثاني) ، والملك الجديد ليون الرابع ، على يد المغول ، شن عليهم حملة عسكرية ، استغل فيها حالة الضعف التي وصل اليها هؤلاء المغول حتى اضطرهم للخروج إلى ما وراء كيليكيا نفسها ، ثم توج نفسه في ترسوس عام ١٣٠٨ ملكاً على أرمينيا الجديدة .

وواجهته الآن نفس الصعوبات (الدينية) التي لاقاها شقيقه هيتوم ، فانصرف بكليته ، وقد أدرك ، مدى خطورتها ، إلى القضاء عليها عن طريق تفتيت مراكز المقاومة التي تنطلق منها بالذات (اي الكهنة) ، فقبض عليهم ، ووضعهم في قلعة المدينة ، كما أمر باعدام عدد منهم ، ومن مناوئيه الذين أبعد بعضهم ، في نفس الوقت ، نفياً إلى قبرص .

وكان المماليك ، وقتئذ ، لا ينفكون عن مهاجمة بلاده ، وحاول الاستعانة بأوروبا ، ولكن - كالعادة - لم يأته الرد الشافي . وسارت الأمور بأرمينيا على هذه المشاكل الى أن قضى هذا الملك نحبه عام ١٣٢٠ .

---

١ - وكما افادنا الاستاذ جورج صباغ فان ليون الرابع حكم من ١٣٠١ - ١٣٠٧ م . وقد اعتمدنا التاريخ اعلاه رغم اختلاف المراجع في تحديد مدة حكم ليون ، للابقاء على التسلسل التاريخي الوارد هنا .

ليون الخامس LEO V
١٣٢٠ - ١٣٤٢ ميلادية .

جلس على العرش ، خلفاً لوالده اوشين - وهو في العاشرة من عمره . وكان خاله [1] (اوشين بايلي) وصياً عليه . ولما بلغ مبلغ الرجال زوجه اوشين من ابنته اليس ALICE .

وخلال وصاية بايلي هذا ، وكان يحمل شخصية مزدوجة الجوانب ، عانى الأرمن الأمرين من وصايته ، في نفس الوقت الذي نعموا فيه ببعض الاصلاحات التي اجراها في الدولة ، سواء من النواحي ، العسكرية أوالادارية الخ . .

وعندما اعتلى ليون العرش ، عادت هجمات المماليك تطرق حدود الدولة الأرمنية مجدداً . ثم دخلت عبر الحدود ، واحتلت العديد من المدن والقرى ، حيث شكل الأرمن قيادات للمقاومة . وساءت الأحوال تماماً ، الى أن تداخل البابا وملوك أوروبا وملك التتر ، فعقدوا بين الأرمن والمماليك ، معاهدة ، تقضي بوقف الحرب لمدة ١٥ عاماً ، مما سمح للخلافات الداخلية بالبروز .

كانت سياسة الملك ليون الخامس المتأرجحة - رغم هذه المعاهدة - بين الدول الأوروبية ، والدولة المملوكية ، سبباً لاشتعال غضب الأخيرين ، ومعاودتهم الحرب ضد الدولة الكيليكية . فقد دخلوها هذه المرة بشكل لم يعهده الأرمن من قبل ، فأعملوا القتل والنهب في البلاد ، مما اضطر الملك ليون الخامس نفسه الى الالتجاء الى قلعة في اعالي الجبال ، ثم اضطر ثانية لعقد معاهدة صلح جديدة مع اعدائه ، كلفته التنازل عن ٧ قلاع ، والشطر الأيسر لنهر جيحون مع مبلغ نقدي كبير .

ورغم كل هذه المصاعب التي واجهتها بلاده بسبب سياسته اللاتينية ، فانه ما عتم أن خلق حزبين متصارعين في كيليكيا (بسبب هذه السياسة ذاتها) هما :

١ - وتذكر بعض المصادر أن الوصي على ليون الخامس هو شقيق خالته ايزابو (زوجة أبيه) .

ـ الحزب الكاثوليكي (اللاتين) الذي رأسه ليون الخامس نفسه .

ـ الحزب الارثذوكسي (الشرقي) الذي رأسه البطريرك اوهانس كوني .

مما عنى انشقاق البلاد عملياً إلى أرمن مؤيدين لأوروبا ، وآخرين مؤيدين للتحالف مع الدول المجاورة (الإسلامية) . وما لبث الحزب الثاني أن اغتال هذا الملك عقيب عزله للبطريرك ، وأيدهم الشعب في هذه الخطوة .

الملك غي دي لوسينيان وانتقال عرش كيليكيا
لحكم اسرة اجنبية
١٣٤٢ ـ ١٣٤٤ ميلادية .

قبل اغتياله بعامين قام ليون الخامس بتسمية غي (كوئيدون) دي لوسينيان ، الأفرنسي الأب ، والأرمني الأم ، ولياً للعهد ، خاصة وانه لم ينجب ولداً .

وغي هذا هو ابن عمة ليون . عاش بعض عمره في القسطنطينية ثم عاد لتولي العرش . وكان دي لوسينيان ذكياً وطموحاً ، الا أن ذلك لم يفده ، إذ حرك الأرمن الذين رأوا في وجوده انتقاصاً من عزتهم القومية ، كما رأى فيه حكام الدول المجاورة ، من المماليك ، رمزاً لعودة اوروبا اللاتينية الى الشرق ثانية .

وفي ظل هذه الظروف وجد نفسه مطالباً ـ من قبل المماليك ـ بدفع جزية مرتفعة فرفض . . وعلى الأثر هاجمه هؤلاء ، إلا أنهم لم يتمكنوا أن يحرزوا عليه نصراً مهماً .

أما بالنسبة للأرمن ، فقد ثارت ثائرتهم ، من جديد ، عندما بدأ غي يعين مصاحبيه من اللاتين ، في الوظائف المهمة التي بقيت مقصورة عليهم فضلاً عن تصرفاته الرعناء تجاه رعاياه الأرمن الذين اغتالوه في ١٧ تشرين الأول ١٣٤٤ .

قسطنطين الثاني CONSTANTINE II

من اسرة ناغير الأرمنية NAGHIR

١٣٤٤ - ١٣٦٣ ميلادية .

اعتلى العرش اثر مقتل سلفه غي ، وكان هذا الرجل من الذكاء بحيث اقتلع مكامن الثورة لدى الأرمن ، وهي : رؤيتهم للحاشيه الأفرنسية في البلاط والمراكز الحساسة من الدولة ، فأبعد الأجانب وولى مكانهم رجال ارمن . . مما جعله قبلة الرأي العام الأرمني وتطلعاته .

إلا أن الأسطول المملوكي ما لبث أن حاصر مرفأ اياس AYAS الأرمني عام ١٣٤٧ ثم احتله ، كما سقطت مدينة ترسوس نفسها بيدهم . وما جاء عام ١٣٥٩ إلا وأرسل سلطان المماليك جيشه للإستيلاء على كيليكيا بكاملها ، فاحتل مسيس ، وأعاد فتح ترسوس ، ثم حاصر العاصمة سيس SIS ، إلا أن وصول ملك قبرص ، أنقذ الموقف ، واضطر المماليك للعودة من حيث جاؤوا . وفي عام ١٣٦٣ توفي قسطنطين الثاني فخلفه سميه (قسطنطين الثالث) .

قسطنطين الثالث CONSTANTINE III

١٣٦٣ - ١٣٧٣ ميلادية .

عادت المناوشات بين الحزبين القائمين في كيليكيا (انظر الملك ليون الخامس)، واشتد الصراع بينهما ، إلى أن استطاع الحزب الوطني الشرقي - (الأرثذوكسي)من تنصيب هذا الملك على ارمينيا .

إلا أنه كان خليعاً فاغتيل عام ١٣٦٩ ، وإن كان قبل مقتله قد سافر إلى أوروبا وعاد ومعه ١٠٠٠٠ جندي من المرتزقة هاجم بهم الأسكندرية سنة ١٣٦٥ واحتلها وأحرقها ونهبها . . . ثم اضطر إلى الانسحاب منها عندما نظم المماليك حملة جديدة احتلوا بها العاصمة سيس ، في الوقت الذي كان فيه قسطنطين الثالث في

اوروبا ، للمرة الثانية ، يجمع جنوداً جدداً[1] .

ليون السادس LEO VI

من اسرة لوسينيان

آخر ملوك كيليكيا: ١٣٧٣ - ١٣٧٥ ميلادية .

تولى الحكم بناء على الحاح الكنيسة والبارونات الأرمن . وكانت الدولة الأرمنية في كيليكيا في آخر رمق من حياتها ، فالخزينة خاوية ، والجيش مفتت ، والعدو في كل مكان . ورغم هذا كله فقد كان هذا الملك ماضي العزيمة ، قوي الإرادة ، ورغم نشأته اللاتينية في قبرص ، إلا انه كان يفضل اللغة الأرمنية ، وفرضها لغة رسمية في البلاد .

وتم تتويجه عام ١٣٧٤ في العاصمة سيس وفي كاتدرائيتها «سانت صوفيا» ، وهي كل ما تبقى من الدولة الأرمنية مع بضع قلاع ومدينة انازاربا ANAZARBA وبعض المناطق الصغيرة . وفي دولة كهذه كان من المستحيل البقاء وسط جيران أقوياء . وبالفعل ، ما عتم المماليك أن حاصروا سيس لمدة ٣ أشهر ، ثم فكوا عنها الحصار ، وما لبثوا أن عادوا ، فحاصروها من جديد ، لتسقط بيدهم عام ١٣٧٥ ولتزول بذلك الدولة الأرمنية الجديدة في كيليكيا .

وأخذ الملك ليون أسيراً الى القاهرة ، ولم يطلق سراحه إلا بصعوبة وبعد وساطات دولية متعددة استغرقت ٧ سنوات .

وفي الحقيقة فان سقوط الدولة الكيليكية يرجع برأينا إلى العوامل التالية :

١ - سياسة بعض ملوكها ، وضعفهم ، وخاصة محاولاتهم المتعددة للاتصال بأوروبا ، بدلاً من التحالف مع الدول المجاورة لهم ، رغم الاختلافات المذهبية القائمة بين الطرفين .

---

١ - تروي مصادر تاريخية أخرى أن سفر قسطنطين الثالث هذا الى اوروبا غير وارد ، وذلك بسبب الظروف الصعبة التي كانت تعايشها الدولة في الداخل ، فضلاً عن كون هذا الملك من اضعف ملوك الأرمن في كيليكيا مما يستبعد معه ان يكون قد هاجم الاسكندرية في مصر أو حتى الاسكندرونة (الاستاذ جورج صباغ) .

٢ ـ الصراعات المحلية بين الطوائف الأرمنية المتعددة ولأسباب واهية .

٣ ـ تخلف اوروبا عن مساعدة الدولة الأرمنية وخيانتها لها عملياً .

٤ ـ كثرة الحروب واستمرارها على أراضي هذه الدولة .

٥ ـ مطامع الدول المجاورة لها في أراضيها وثرواتها .

٦ ـ سياسة الدولة البيزنطية التي سارت بعكس اتجاهات ورغبات الأرمن القـومية والدينية .

الفصـل العـاشر

أرمينيا بعد سقوط آني ANI وسيس SIS
وحتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر
١٠٧١ (١٣٧٥) - ١٨٧٨ ميلادية - .

عقيب الكارثة التي حلت بالبيزنـطيين في معـــركة ملاذكيرت عام ١٠٧١ ميلادية، خضعت ارمينيا بكاملها لحكم السلاجقة الأتراك .

وفي نفس التاريخ تقريباً ، بدأت قوة الجيورجيين بالبروز تحت قيادة ملكهم دافيد الرابع DAVID IV ١٠٨٩ - ١١٢٥، الذي عرف باسم « الباني » . ثم ما لبثت قوة هؤلاء أن ازدادت تحت حكم ملكتهم تامارا TAMARA ١١٨٤ - ١٢١٣ . إذ بعد أن حرر الجيورجيون بلادهم من السلاجقة الأتراك ، بدأوا بالتقدم نحو اراضي ارمينيا نفسها ، فسقطت بيدهم ممالك آني ANI ، وقارص KARS ، ولوري LORY ، وامارة بجيني BIJINI ، وسيونيك SIUNIK ، ومدينة دوفين DVIN ، (أي كل المقاطعات الوسطى والشمالية من أرمينيا) التي اصبحت الآن تحت حكم الكرجيين (الجيورجيين) [1] .

واستمر الوضع على هذا الحال حتى ظهور المغول MONGOLS بقيادة جنكيزخان الذي بدأ فتوحاته عام ١٢٠٦ منطلقاً من قلب القارة الأسيوية ، فاحتل (كما أشرنا) ممتلكات الدولة العربية في خوارزم KHARESM عام ١٢١٧ ، ثم

١ - انظر كتاب الأرمن : لمؤلفته سيراربيه ديربرسيسيان .

اجتاح خراسان KHARASAN ، وفارس ، والعراق ،وشمالي الهند،وسورية . .
ثم دخـل قواده سوبـادا بهـادور SUBADA BEHADOR ، وشـابيه نوفيان NUVIAN ، أرمينيا وجيورجيا عبر مضيق الدربنـد خلال عام ١٢٢٣ ميلادية ، الأمر الذي أدى إلى زعزعـة سلطـة الجيورجيين وإبعادهـم عن أرمينيا ، وبالتـالي خضعت هذه الدولة لحكم هؤلاء المغول .

وبعد أعوام ١٢٢٣ ـ ١٢٢٤ تراجعت جيوش المغول بقيادة جنكيزخـان من روسيا نزولاً نحو ارمينيا عبر خراسان . وهكذا رأينا دوفين وآنـي وقـارص وكل الأراضي الأرمنية الممتدة حتـى اقليم قره باغ QARA BAGH تقـع في أيدي هذا الفاتـح ، في حـين اجتـاح جلال الـدين سلطـان خوارزم بدوره شمالي ارمينيا وجيورجيا ، مما دفع بالجيورجيين إلى المرتفعات القوقازية ، في الوقت الذي تحصن فيه الأرمن في أقليم جنوه قراغ GANGRAG ، الأمر الذي سمح للمغول بحكم ما تبقى من أرمينيا حتى عام ١٣٨٧ عندما احتل تيمورلنك TIMUR LANE أرمينيا الكبرى ، وأسس بذلك الدولة التترية الثانية .

وبعد وفاة تيمرلنـك ، خضعـت أرمينيا لحـكم اوزون حسـن OUZOUN HASSEN ، الذي أعلن نفسه سلطاناً على فارس عام ١٤٦٨ .

وكانت اطماع هذا الأمير غير محدودة ، خاصة وانه رغب في احتلال الهضبة الايرانية ، وجيورجيا ، وأرمينيا ، ثم فكر بتوسيع حكمه . ولـكن ظهـور محمـد الثاني (فاتح القسطنطينـة ١٤٤٠ ـ ١٤٨١) ، حد من أطماعـه ، عندمـا التقـى جيشاهما في معركة انتهت إلى غلبة السلطان محمد الثانـي عام(١٤٧٣)، مما وضع أرمينيا للمرة الأولى تحت حكم العثمانيين .

وبعد ٤١ عاماً ، وفي سنة ١٥١٤ بالتحـديد ، هاجـم شاه اسماعيل الأول الفارسي ، الأتراك ، ولكنه هزم من قبل جيوش السلطان سليم الأول ، التي احتلت جميع مناطق ارمينيا الغربية والجنوبية حتى بحيرة اورميا URMIA ، ومن ثم دخلت

العاصمة تبريز ونهبت خزائنها . ثم جاء السلطان مراد الثالث وأجبر شاه العجم على التخلي عن أرمينيا ، وجيورجيا ، وقسم من اذربيجان ، بموجب معاهدة وقع عليها الطرفان عام ١٥٨٥ ميلادية [1] .

وفي بداية القرن السابع عشر ، استولى الشاه عباس الأول ، ملك فارس ، على اقليم ارارات الأرمني من الأتراك بعد أن اجتاح اذربيجان . ولكن الأتراك ما لبثوا ان شنوا هجوماً معاكساً ضد الفرس بقيادة الخليفة العثماني أحمد الأول (١٦٠٣ - ١٦١٧) ، وطاردوهم حتى اضطروهم الى الانسحاب من أرمينيا [2] .

ولما تأكد الشاه عبّاس من الهزيمة ، فقد قرر الانسحاب ، بعد أن أمر بحرق اقليم ارارات ، مما اضطر أهله وعددهم ٥٠ الفاً الى النزوح عنه ، كما أنه احرق خلال انسحابه الكنائس والأديرة والمدن التي صادفها . وتعتبر هذه الهجرة الجماعية ، اقسى تجربة مرت على الأرمن ، حتى ذلك التاريخ ، بعد أن مات منهم عدد كبير بسبب التعب والارهاق اثناء محاولتهم عبور نهر اراكس ARAX ، ولم يصل منهم الى ايران سالماً إلا عدد ضئيل ، حيث وضعهم الشاه عباس في منطقة قريبة من عاصمته اصفهان كيما يتمكن من الاستفادة من أشغالهم وصناعاتهم هناك ، كما وضع الترتيبات اللازمة لتوفير معاملة حسنة ومعقولة لهم . . . وهكذا اخذ هؤلاء الأرمن يعملون بجد ونشاط في المدينة التي احدثت لهم تحت اسم جولفا JULFA .

ومما يجدر ذكره هنا هو ذلك التناقض في موقف هذا الحاكم الفارسي الذي تراوح بين الشدة ثم اللين والملاطفة . حتى أن بعض المصادر التاريخية تروي قيامه بزيارة بعض العائلات الأرمنية ومشاطرتها طعامها وسكنها . . . وأكثر من هذا معاقبته لرعاياه الذين يتعرضون لمعتقدات الأرمن الدينية .

---

١ ـ صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية ص: ١٧٣ عثمان الترك .

٢ ـ تاريخ ارمينيا : بول اميل ترجمة شكري علاوي ص : ٣٤ .

ولم يكن انسحاب الشاه يعني انتهاء حربه مع الأتراك، بل استمرت المعارك بين الطرفين حتى عام ١٦٢٠، حينما تم توقيع معاهدة سلام بينهما، اضطر من خلالها الأتراك الى التخلي عن كل ارمينيا الشرقية ، اي منطقة قره باغ ، ومقاطعة يريفان بما فيها ايتشمايازين. وكان الأرمن قد تمكنوا بمساعيهم المضنية ، من اقامة حكم ذاتي في اقليم قره باغ الوعر والجبلي المنيع تحت اذارة نبلائهم ، مما دفع الشاه عباس الى ترك ادارة هذا الاقليم لهؤلاء الحكام الأرمن ولكن تحت اشرافه .

وهكذا عمد الشاه ، تنفيذاً لهذه الغاية ، إلى الموافقة على تعيين خمسة امراء (نبلاء) من الأرمن ، اطلق عليهم اسم ملوك ، عهد اليهم ،إلى كل منهم ، في حدود اقطاعيته ، بادارة شؤون « مملكته » . وكان هؤلاء من أعرق الأسر الأرمنية ، مثل اسرائيليان ، وشاه نظريان ، وسوانيان ، وبيكلاريان ، وجلاليان . ومنحهم استقلالاً مركزياً واسعاً على هذه المقاطعات الخمس التي تشكل منها اقليم قره باغ .

وظلت هذه « الممالك » الأرمنية على هذا الوضع من الاستقلال والحرية ، إلى أن انقلب الوضع رأساً على عقب في عهد من جاؤا بعد الشاه عباس ، عندما فرض هؤلاء الضرائب الثقيلة على الأرمن ، كما اضطهدوهم ، وحدوا من صلاحياتهم ، مما دفع بهؤلاء الى التفكير بضرورة وضع حد لهذه المظالم ، والتحرر من العبودية الجديدة ، والعودة إلى المطالبة باستقلال وطنهم بالكامل .

والواقع أن هذه « الممالك » أو « الامارات » الخمس [1] ، كانت بشكل أو آخر ، الملاذ الأخير لحرية الأرمن واستقلالهم ، حيث تمكنوا ، سيما من كان منهم يقطن اقليم قره باغ نفسه ، من أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ، وان يصونوا تقاليدهم القديمة ، وأن يحفظوها من الإندثار ، سيما التقاليد التي تتعلق بالعقيدة

---

١ ـ كانت هذه المقاطعات وهي : كولستان ، وكاربرت (خربوط) ، وخاتشن ،وفرندا،وتيزاك ، قد خضعت مؤقتاً لحكم الأتراك ، ثم عادت إلى حكم فارس من جديد بموجب معاهدة ١٦٣٩ الموقعة بينهما ، حيث عاود الفرس فرض الشدة ، وغرس النفور في نفوس الأرمن عبر تصرفاتهم المتقلبة .

والحرب .

وهكذا كان للأرمن خياران ، هما مقاومة هذه المظالم بالتمرد والثورة ، وهو ما فعلوه حقاً . . . والاتصال بالدول الأوروبية ، وروسيا خصوصاً ، لتأخذ هذه الأطراف دورها مجتمعة في حماية الشعب الأرمني . . . وهو ما تطلب بدوره اتصالات دبلوماسية سخنة وحارة . . . وهو الأمر الذي ساروا نحوه باندفاع أيضاً .

لوحة رقم ٣٠

وهكذا تداعى الجثليق ، (الكاثوليكوس) ، هاكوب الرابع HAGOB IV عام ١٦٧٨ إلى عقد اجتماع سري ضمه ، وبعض رجالات الأرمن ، وأعيانهم ، وعدد من رجال الدين ، بلغ مجموعهم ١٢ فرداً ، في مدينة إيتشميازين الأرمنية ، تدارسوا خلاله الوضع المتردي للشعب الأرمني في ظل الحكم الفارسي ، وانتهوا إلى قرار موحد ، مؤداه ضرورة تحرير أرمينيا الشرقية من الفرس بمساعدة الدول الأوروبية وعونها ، على أن يتم ذلك عن طريق ارسال « وفد دبلوماسي ارمني » على مستوى رفيع يعمل من أجل القضية الواحدة .

وبالفعل ، سافر هذا الوفد ، وقد رأسه الجثليق هاغوب الرابع نفسه ، وضم في عضويته الأمير أوري ORI (من اسرة اسرائيليان امراء احدى « ممالك » اقليم قره باغ وحكامها) إلى روما للطلب إلى بابا الفاتيكان التوسط بشأن تحرير ارمينيا واعادة استقلالها باستخدامه النفوذ الواسع الذي يتحلى به بين الدول الأوروبية .

وكان أكثر ما يحمله هذا الوفد من تنازلات بشأن الحصول على هذا الاستقلال ، هو وضع الكنيسة الأرمنية المستقلة تحت سلطة الكنيسة الرومانية . ولكن صدفت وفاة الجثليق هاغوب في القسطنطينية ، مما دفع ببقية الوفد للعودة إلى أرمينيا ، عدا الأمير أوري ، الذي تابع سفره وحيداً ، ولتبدأ مع هذه الرحلة واحدة من أحلى الرحل في تاريخ الشعوب التي لا تعدم افراداً يكرسون حياتهم من أجل القضية التي يعيشون بها ومن أجلها .

كان الأمير اوري في ذلك الوقت في التاسعة عشرة من عمره ، ورأى بثاقب

نظره أن عودة الوفد بالشكل الذي تم به ، يعني بقاء الأوضاع في أرمينيا على حالها ، بل وازديادها سوءاً ، وهو الأمر الذي لم يلق لديه تجاوباً بالتأكيد .

وهكذا انطلق وحيداً وسافر إلى البندقية أولاً ، ثم تركها إلى فرنسا ، حيث انخرط في جيش لويس الرابع عشر في حروبه (فرنسا) ضد انكلترا ، ولكنه اخذ اسيراً من قبل هؤلاء ، ثم اطلق سراحه ، ليتوجه مباشرة إلى المانيا ، فاجتمع إلى الأمير جوهانـن فيللهـم ، والتمس اليه مساعـدة الألمان لبـلاده وتحريرهـا ، فوجـد لديه ترحيباً ، فيما يخص هذا الطلب ، ووعده بعرش ارمينيا عندما يتمـكن أهلهـا من تحريرها بالكامل ، وأشار عليه باثارة الثورة في أرمينيا ، واعلام رجالاتها البارزين عن التأييد الالماني للمسألة الأرمنية .

وما عتم اوري ، عقيب هذا الاجتماع ، أن انقلـب عائـداً عام ١٦٨٩ إلى بلاده ، حيث دعا إلى عقد اجتماع جديد مماثل للذي جرى قبـل سنـوات ، ولكنـه اصيب بخيبة أمل عندما علم أن الكاثوليكوس الجديد (الـذي حل مكان سلفـه الجثليق هاكوب) ، وهو نهابيت الأول (١٦٦٩ ـ ١٧٠٥) ، يرفض اخضاع الكنيسة الأرمنية لسلطة الكنيسة الغربية . وكان هذا الموقف في ذاته سبباً لخلق العديد من الصعوبات بوجه الخطة التي كان ينوي تنفيذها . أما الأمراء الأرمن ونبلاؤهم في اقليم قارا باغ ، فقد بقوا متمسكين بوجهة نظرهم الأولى ، ولم يعبأوا بمعارضـة الجثليق المذكور ، ووقع اختيارهـم على الأرشمنـدريت مينـاس MINAS ليكون مرافقاً شخصياً للأمير اوري وأمين سره في اتصالاته مع رؤساء الدول الأوروبية .

وعلى هذا الأساس عاد أوري ومعه ميناس إلى المانيا ، وتوجها لمقابلة الأمير فيللهم نفسه وابلاغه خلاصة ما انتهى اليه الموقف الأرمني بشأن ثورتهم على الدولة الفارسية وطريقة مساعدة الشعب الأرمني في بلوغه الاستقلال الناجز ، فأوعز الأمير فيللهم إلى أوري بمقابلة والده الامبراطور ليبولد الأول LEOPOLD I (١٦٥٨ - ١٧٠٥) ، الذي طلب اليه بدوره التوجه إلى امبراطور روسيا وعرض مطالبه عليه . وهكذا توجه أوري إلى سان بطرسبرغ حيث حظي بمقابلة الامبراطور بطرس الأكبر

PETER THE GREAT في ربيع عام ١٧٠١ الذي استقبل الوفد أيضاً بحرارة وأبدى استعداد بلاده لشن حملة ضد الأتراك والفرس معاً ، على أن يقوم الأرمن بثورتهم في نفس الوقت الذي تجتاز فيه القوات الروسية حدودها مع الدولتين . وتنفيذاً لهذه الفكرة عين أوري ORI سفيراً للدولة الروسية لدى ايران .

وعندئذ توجه اوري وفي ١١ حزيران ١٧٠٧ إلى فارس ووصل مدينة شماخي ثم توجه منها إلى اصفهان (العاصمة) ، بحجة مناقشة السلطات الفارسية حول بعض المسائل ، ولكن هذه الأخيرة ارتابت من تصرفاته واتصالاته فأبعدته إلى استراخان حيث مرض وتوفي عام ١٧١١ .

الحرب الروسية - الفارسية :

بر القيصر بوعده أخيراً ، ولكن بعد مرور عشرين عاماً بالكامل ، عندما استغل الوضع الداخلي المتردي في بلاد العجم ، فزحف بجيشه نحو القفقاس واحتل الدربند ، في الوقت الذي تحرك فيه الأرشمندريت ميناس (مرافق اوري القديم) على رأس عشرة آلاف مقاتل أرمني (تنفيذاً للاتفاق الأرمني - الروسي) لملاقاة القوات الحليفة . وما عتم الجيش الروسي أن بلغ منطقة بحر قزوين ، ثم حاصر مدينة شماخي ، التي أضحى سقوطها بين يديه قاب قوسين أو أدنى ، ولكن حدث ما ليس بالحسبان ، فقد تراجع الجيش الروسي فجأة عن مواقعه ، في حين تابع الأرمن والجيورجيون مقاتلة الفرس وحتى الأتراك معاً .

ولم يلبث الروس ، في العام التالي ، أن ارتكبوا مفاجأة أكثر مدعاة للدهشة عندما وقعوا مع الفرس معاهدة تحالف. ثم تطورت الأمور ، فيما يخص الأرمن ، إلى اسوأ عندما وقع الروس مع الأتراك أيضاً معاهدة مماثلة تنازل القيصر بموجبها لحلفائه الجدد (الأتراك) عن جيورجيا ، واقليم قره باغ ، بالذات . ثم عاد القيصر ونصح الأرمن ، الذين وقفوا مذهولين أمام هذه الخطوات ، بالهجرة الى الأراضي التي كانت من نصيب روسيا القيصرية ، نتيجة المعاهدتين السابقتين .

وبديهي أن يرفض الأرمن هذا الواقع ، وبدا هذا الرفض عملياً بتنظيمهم

ثورة مسلحة حملوا لواءها ضد الفرس في اقليم قره باغ ، كما عمدوا من طرف آخر ، إلى تشكيل لجان متفرقة للمقاومة السرية ، اناطوا قيادتها إلى دافيد بك DAVID ، لوحة رقم ٢٩ الذي شن حملات متعددة ضد الأتراك ، خاصة ، تمكن خلالها من الحاق خسائر كبيرة بهم ، مما دفع بشاه ايران « طاماز » ، إلى شد أزرهم ضد هؤلاء ، ثم اعترف بدافيد بك نفسه ملكاً على اقليم قره باغ .

إلا أن وفاة هذا « الملك » عام ١٧٢٨ ، ونكول القيصر عن وعوده ، فضلاً عن تردي الأوضاع في اقليم قره باغ ذاته . . . دفعت الأتراك إلى معاودة احتلال هذه المقاطعة الأرمنية .

الحرب الفارسية ـ التركية :

انتهى احتلال الأتراك لاقليم قره باغ الى خلق الإرادة لدى الدولة العثمانية باحتلال ارمينيا الفارسية بكاملها . وهكذا جرد السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠) ثلاثة جيوش كلفها باحتلال يريفان ونخجوان . وبالفعل وصلت هذه القوات الى تبريز عام ١٧٢٩ وتوقفت عندها .

وفي هذه الأثناء ، تمكن الأمير اشرف ١٧٢٥ ـ ١٧٢٩ ، من طرد طاماز عن عرش فارس ، واغتصاب السلطة لنفسه ، ثم أعلن الحرب على الأتراك . ولكنه عندما لمس اعترافهم به وبسلطته على دولته ، عاد وتخلى لهم أيضاً عن اذربيجان وأرمينيا الفارسية ، التي كان قد استرد بعضها منهم .

إلا أن مقتل اشرف على يد طاماز ، الذي تمكن من استرجاع عرشه ، كان ايذاناً بعودة الحرب بين الفرس والأتراك . وعليه شهدت الأراضي الأرمنية قتالاً ضارياً بين الطرفين استمر شهوراً عديدة انتهى اخيراً إلى استسلام الجيوش الفارسية للقائد التركي علي باشا حيث وقع معهم السلطان العثماني محمود الأول (١٧٣٠ - ١٧٥٤) معاهدة حصل بموجبها على تفليس وشماخي وغنجا ويريفان وغيرها من الأقاليم . . . أما كرمنشاه وهمدان وولاية لوريستان (الفارسية) ، فقد اعيدت

للدولة الفارسية ، بمعنى أن موضوع المعاهدة ومحلها كان الأراضي الأرمنية وحدها .

وكان نادر NADIR (أحد قادة جيوش الشاه طاماز) ، قد أدرك مدى قسوة هذه المعاهدة ، فسار بقواته ، متمرداً على مليكه ، نحو العاصمة اصفهان ، واحتلها ، ثم طرد الشاه ، ونصب مكانه على عرش فارس ، ابن الأول ، عباس الثالث (عام ١٧٣٢) ، واحتفظ لنفسه بالنفوذ الفعلي ، بسبب صغر سن الملك الجديد .

وعندما استتبت الأمور لقائد الحركة الانقلابية الجديد (نادر) ، طلب إلى الأتراك التنازل عن الأراضي الأرمنية التي استولوا عليها نتيجة المعاهدة السابقة ، الا أن هؤلاء رفضوا ذلك ، فعادت الحرب ونشبت بين الدولتين ، واحتل الفرس على أثرها جزءاً كبيراً من أرمينيا وجيورجيا ومقاطعة شيروان (عام ١٧٣٥) . . ولم يلبث نادر أن اخذ يتودد الى الأتراك (تماماً كما فعل سلفه اشرف بغرض الاستيلاء على العرش) . . حتى عقد معهم معاهدة تحالف أعاد لهم بموجبها جزءاً كبيراً من الأراضي التي غنمها منهم مقابل اعترافهم بشرعية حكمه على بلاد فارس .

حكم نادر دولته اكثر من أحد عشر عاماً ١٧٣٦ - ١٧٤٧ ، منح خلالها الأرمن ، تقديراً منه لمشاركتهم الجيوش الفارسية في معاركها ضد الأتراك ، امتيازات واسعة ، وأعاد لأمرائهم ، في قره باغ ، نفوذهم على هذه الأراضي ، لقاء جزية بسيطة .

وكان نادر المذكور من الدهاء ، بحيث انه عندما ادرك استتباب الأمن في بلاده ، وقيادته لها دون وجود معارضة داخلية ، نتيجة الاصلاحات التي اجراها ، أن انقضّ على الأتراك ، وجردهم من كثير من الأراضي التي سبق له أن تنازل لهم عنها . وظلت الحرب سجالاً بين الطرفين ، إلى أن عقدت معاهدة بينهما ، تنازل نادر بموجبها أخيراً عن جميع الأراضي الواقعة بين نهري أراكس ARAX وكورا KURA

الحرب الفارسية ـ الروسية ، والامبراطورة كاترين الثانية :

في أواخر القرن الثامن عشر ظهر الروس على قمم القفقاس . وكانت البوادر تشير إلى رغبة هؤلاء في القيام بعمل ما داخل الأراضي الأرمنية التي اقتطعتها كل من تركيا وايران لنفسيهما . وبالفعل ، ما أن تولت القيصرة كاترين عام ١٧٦٢ مهام العرش في الامبراطورية الروسية . . . ثم مرت ٦ سنوات على هذا التاريخ ، حتى نشبت الحرب بين الروس والفرس عام ١٧٦٨ .

وفي الحقيقة فقد استغلت هذه الملكة المشاعر الدينية لدى الشعوب المسيحية ، (الأرمن على وجه التحديد [1]) القاطنة ضمن حدود الدولة الفارسية ، عن طريق توجيه نداء الى هذه الأمم ، لاعلان الثورة على حكامها والمطالبة باستقلالها . ثم طلبت إلى جنرال سوفاروف تحضير مشروع خاص باستقلال الأرمن . وكان أحد رجالاتها ، جيورجي بوتمكين ، يحلم بالجلوس على عرش الدولة الأرمنية الجديدة . وعندما عكف الجنرال سوفاروف على وضع خطة المشروع هذه ، خطر له الاستعانة بالشاب الأرمني هوسيب امين ، ولكن هذا الأخير توفي قبل ورود الدعوة اليه . وهكذا بدأ الأرمن من جهتهم بالاعداد والتحضير للثورة ، التي وقتت بحيث تنفجر ، مع دخول الجيوش الروسية واعلان الحرب على فارس . ومن هذا القبيل ما قام به هوسيب ارغوتيان ، من توزيع المناشير [2] ، التي تثير الحماس القومي ، وتوحد الأمة الأرمنية ، ثم طالب زعماءها بتأييد اقتراحه حول احداث جمهورية ارمنية مستقلة .

والتقط الجيورجي بوتميكين ، الحالم بحكم أرمينيا ، هذه الفكرة وأرسلها مع قريب له إلى الأرمن والجيورجيين ، وبدأ الأخير بالدعوة اليها ، في الوقت نفسه الذي توجه فيه الجنرال سوفاروف الى استراخان وشيروان للحصول على معلومات على الطبيعة تخص خطته الحربية .

١ ـ ثم الجيورجيين .
٢ ـ انشأ مطبعة لهذا الغرض .

وأخيراً ، تحدد موعد الهجوم الروسي استناد إلى خطة الجنرال سوفاروف في صيف ١٧٨٤ . ولكن مر هذا الصيف وأعقبه الشتاء والأرمن ينتظرون والروس قابعون .

وهكذا ، تنادى زعماء الأرمن في خريف العام التالي ١٧٨٥ إلى اجتماع عقدوه في دير غانزاجار ، قرروا فيه تذكير روسيا بوعودها حول تحرير بلادهم من الفرس واعطائها الاستقلال . وعندما نما الى الفرس نبأ هذا الاجتماع ، والمقررات التي اتخذت فيه ، قاموا بحملة اعتقالات تناولت الشخصيات الأرمنية الدينية والمدنية المتنفذة وغيرهم من مواطنيهم الذين وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الفرار عبر الحدود الى جيورجيا وروسيا .

وما جاء عام ١٧٩٧ حتى بدأ الروس عملياً باحتلال الأراضي الأرمنية نتيجة الحروب المحدودة التي شنوها ضد الفرس . واستمر القتال (متقطعاً) بين الدولتين حتى عام ١٨١٣ ، عندما وقعتا على معاهدة كلستان التي حصل الروس بموجبها على اقليم قره باغ ونجزاق والدربند وباكو وطاليس وداغستان وبعض الولايات الجيورجية (الواقعة تحت الحكم الفارسي) .

وفي الواقع لم تكن هذه المعاهدة الا فخاً نصبه الأمير عباس ميرزا لكسب الوقت واستجماع قوته . وظهرت هذه النية عندما اغار هذا الأخير بقواته عام ١٨٢٦ على الأراضي التي كان الروس قد استولوا عليها بموجب المعاهدة المذكورة ، في الوقت الذي لم يكن فيه هؤلاء متأهبين لمثل هذه الضربة . وهكذا عاد شبح الحرب يخيم على الأرمن ، ويحيل بلادهم الى ساحة للمعارك الطاحنة بين الدولتين .

إلا أن الروس تمكنوا في النهاية ، وقد انخرطت بين صفوفهم قوات ارمنية قادها الجثليق نرسيس نفسه ، من الحاق الهزيمة بالفرس ، ومن ثم التوقيع معهم على معاهدة تركمان شاي عام ١٨٢٨ ، التي ضمت روسيا اليها بموجبها كل من جيورجيا واقليم قره باغ وولايتي يريفان ونخجوان . كما خولت هذه المعاهدة جميع الأرمن

الذين كانوا يعيشون في ايران ، حق الانتقال منها ، والذهاب الى المناطق الأرمنية التي خضعت للسيطرة الروسية . . . وبالفعل انتقل حوالي ٢٥٠٠٠ ارمني من سكان مقاطعة أورميا إلى هناك .

الحرب التركية ـ الروسية :

ولما لم تمض سنوات قليلة على هذه الحوادث ، حتى عادت الجيوش الروسية ، واشتبكت مع الأتراك هذه المرة . . . حيث تمكنوا ، أي الروس ، من احتلال بضع مواقع حربية مهمة في أرمينيا (التركية) ، ومن جملتها قلاع : قارص وبيازيد وارضروم . ثم توغلت قواتهم اكثر فأكثر حتى وصلت أدرنه ، مما دفع الدول الأوروبية الى التدخل لمصلحة الامبراطورية العثمانية (خشية تفككها وما ينجم عن ذلك من اضطرابات دولية) ، ووقعت الدولتان على معاهدة ادرنه عام ١٨٢٩ التي تنازل الروس بموجبها عن القسم الأكبر من الأراضي التي احتلوها في هذه الحرب للأتراك انفسهم . وبالنسبة لهذه المعاهدة ، فقد جاءت على غرار سابقتها ، الروسية ـ الفارسية ، من حيث النص على جواز مرور الأرمن ، وهجرتهم ، إلى الولايات الأرمنية التي بقيت تحت النفوذ الروسي .

وقد توقع الأرمن ، وقد آلت مقاطعات عديدة من بلادهم ، نتيجة الحروب الروسية الفارسية ، والروسية التركية ، الى الامبراطورية الروسية ، أن يحصلوا على رعاية أفضل وحقوق أضمن . وهو ما حدث في البدء . ولكن سرعان ما تغيرت سياسة القياصرة تجاههم ، ووجدوا أنفسهم (اي الأرمن) في حرج جديد ، وان كان أفضل حالاً مما يعيشه اخوانهم في أرمينيا التركية .

وهكذا كرست هذه الحروب المتتالية انفصال ارمينيا إلى قسمين ذهب احدهما إلى روسيا القيصرية ، والآخر إلى تركيا .

ومن هنا بدأت المسألة الأرمنية ، تأخذ ابعادها الدولية ، خصوصاً بالنسبة لأرمن تركيا ، وذلك اعتباراً من عام ١٨٧٧ ، وهو تاريخ الحرب الروسية ـ التركية

الجديدة ، التي انتهت إلى التوقيع على معاهدة سان استيفانو (١٨٧٨) ، ثم معاهدة برلين .

وهو ما سوف نقوم بدراسته بشيء من الشمول عبر البابين القادمين الرابع والخامس اللذين سيسبقهما - الباب الخاص بتاريخ ارمينيا الحضاري - .

* * *

الباب الثالث

تاريخ أرمينيا الحضاري

THE HISTORY OF ARMENIAN CIVILIZATION

الله : هو الحق والخير والجمال .
(قول دارج) .



شهـدت الأمـة الأرمنية في القرنـين الرابع والخامس الميلادي حدثين خطيرين أثـرا في مجـرى حياتهـا على المستـويات العقائدية والفكرية والسياسية والقـومية بصورة عميقة. وكان أول هذين الحدثين هو اعتناق الدولة الأرمنية الديانة المسيحية واعلانها هذا الدين عقيدة وحيدة للشعب الأرمني.

اما الحدث الثاني، فكان حصيلة طبيعية للاعلان المذكور، وتمتيناً له، وهو اختـراع الأبجـدية الأرمنية التـي حفظـت الـدين المسيحـي، والقـومية الأرمنية، والشخصية الذاتية لكل أرمني.

ومن البديهي أن يتفاعل هذان الحدثان مع حياة هذه الأمة الاجتماعية، وأن يغيِّرا من تركيبها الطبقي، بالدرجة نفسها التي أثرا فيها على فنونها الجميلة، وخاصة فن الريازة ـ الهندسة المعمارية الأرمنية.

ومهمـة هذا البـاب اذن هي ايضـاح هذه التحـولات الجـذرية في التـاريخ الحضاري للشعب الأرمني على الأصعدة المذكورة. ومن هنا وجدنا هذا الباب يشمل الفصول التالية:

الفصـل الأول: ارمينيا من الـوثنية الى المسيحية، القـديس كريكوار المنـور ILLUMINATOR، والملك درطـاد الثالـث. تقسيمات الكنيسـة الأرمنية. المجامـع الـدينية. العـادات الـدينية الأرمنية.

الفصل الثاني: تطور اللغة والأدب الأرمني: اختراع الأبجدية الأرمنية.

الفصل الثالث: التركيب الطبقي ومظاهر الحياة الاجتماعية في أرمينيا، وكليكيا، على

مستـــوى العـــرش، والاشراف، والشعـــب. البنية
.الاقتصادية .

الفصـل الرابـع: الـريازة الأرمنية (الهندسـة المعمارية)، اصولهـا، وتأثيراتهـا على
الريازتين البيزنطية والسلافية. معلومات متفرقة .

الفصل الأول

ارمينيا من الوثنية الى المسيحية
القديس كريكوار والملك درطاد الثالث
الكنيسة الأرمنية .

ارمينيا الوثنية :

لقد ذكرنا فيما سبق من فصول هذا الكتاب ، أن الدولة الأرمنية قد ابتليت بُعيد نشوئها بقليل، بحكم الميديين، أولاً ثم الفرس ثانياً، ومن بعدهم الأغريق. وخلال هذه القرون الأربعة (٦١٠ - ١٩٠ قبل الميلاد)، التي خضعت فيها أرمينيا إلى نفوذ هذه الدول، جرى تبادل حضاري بين الشعب الأرمني من جهة، وشعوب هذه الدول الثلاثة من جهة ثانية، وذلك على المستويات اللغوية والاجتماعية والسياسية[1].

ومن البديهي ، في الوجه المقابل لهذه الصورة ، أن تترك الدول المذكورة أيضاً بصماتها الدينية على المعتقدات الروحية للأمة الأرمنية ، بالشكل نفسه الذي أثرت فيه ديانات بلاد ما بين النهرين [٢] على هذه المعتقدات ، إن لم يكن بحكم السيطرة

---

١ ـ أشرنا آنفاً إلى هذه التأثيرات فيرجى الرجوع اليها في ص:١١٧ من هذا الكتاب.

٢ ـ وهي ديانات السومريين (٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ قبل الميلاد) ، والاكاديين (٣٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ قبل الميلاد) ، والأشوريين (٣٠٠٠ ـ ٦٠٠ قبل الميلاد) ، كما سنرى بعد قليل .

المباشرة [1] ، فعلى الأقل نتيجة التجاور الجغرافي بين هذه البلاد والدولة الأرمنية .

وبهذا المعنى تكون الديانة القديمة للشعب الأرمني ، هي مزيج من ديانات هذه الأمم مجتمعة ، الأمر الذي يعني في الوقت نفسه ، وبغية اعطاء فكرة أولية وواضحة عن الديانة الأرمنية القديمة ، ضرورة الرجوع إلى الديانات التي سادت هذه الشعوب كافة ، بل وحتى معرفة أصل الدين نفسه .

« لقد كانت بلاد ما بين النهرين [2] ، أي العراق وشمالي سهول الجزيرة السورية حالياً ، هي الموطن الأول للإنسان القديم .. وفي هذه الأراضي الشاسعة وجد هذا الإنسان نفسه وحيداً أمام قوى الطبيعة ومظاهرها المذهلة . . . فالشمس تحلق كل يوم فوق رأسه ثم تغيب وتختفي لتظهر في اليوم التالي ، والزلازل تعصف بأرضه فتهدها ، والريح والمطر والنجوم والسماء كلها تثير فضوله . . .

ومن هنا بدأ تساءله : ماذا يعني هذا كله ؟ ثم ما هو تفسير هذا الذي يحيط به ؟ ووقف حائراً أمام الجواب . ثم تحولت حيرته الى لهفة تركزت على معرفة كيفية خلق العالم والطريقة التي صنع بها .

وكان هذا أول طريق للإنسان في محاولة البحث عن الله . . . ولأن أعاجيب الكون ومظاهر الطبيعة كانت تحوطها الأسرار ، وكان فكره أقل قدرة من أن يجد لها تفسيراً ، فقد تخيل لها أصولاً يرتاح اليها وتزيل حيرته الأزلية .

وكان أول هذه الأصول ، ايمانه بوجود قوى خارقة وخالقة غير منظورة ذات قدرات اسمى من كل ما يعرفه . . . ومن هذا الطريق بدأ الإنسان القديم سيره ، فأخذ أولاً يتأمل قوى الطبيعة ومظاهرها : الريح والمطر ، العواصف ، الشمس والنجوم . . . ثم بدأ بعد ذلك يجسم كل شيء خارق منها ، يحس به ولا يقدر الوصول اليه ، فيجعله « الهاً » ، يعمل على مراضاته ، والتقرب منه ، بتقديم

---

١ ـ غزوات الأشوريين المتكررة لبلاد اورارتو وسكانها الأورارتيين : اسلاف الأرمن .

٢ ـ وقبلها وادي النيل . وقد خصصنا هذا الفصل بعقائد ما بين النهرين فقط لعلاقتها بموضوع هذا الفصل .

الضحايا والقرابين اليه . . . وهكذا اصبحت الريح والمطر والعواصف والشمس والنجوم والنار كلها آلهة طفق ينسج حولها القصص ويتناقلها خلفاً عن سلف وجيلاً بعد جيل .

ولكن الإنسان ، وقد تقدم الآن قليلاً في معارج المعرفة والإدراك ، فانه عاد وتساءل مجدداً عن هذه القوى نفسها . . . كيف جاءت هي الأخرى ؟ لا بد وأن يكون هناك شيء خارق ، شيء أقوى منها ، شيء قدر أن يصنعها ؟ وعندما وصل إلى هذه الدرجة من التفكير ، بدأت عادة العبادة لديه .

وبدأت هذه العادة أولاً بعبادة الشمس ، هذه الكرة التي تمده بالدفء والنور . . . وهي تظهر له كل يوم ، كل يوم . . . الا أنها تغيب احياناً . . . وهذا ما كان يزعجه ، كانت تغيب وقت الكسوف . وهنا وقف متسائلاً : ماذا سأفعل اذا غابت أو ضاعت . . . كيف سأقوم بالصيد ؟ ومن أين أجد الدفء والحرارة والنور ؟ . . . وربما أجابه احدهم : يمكن أن نغري هذه الشمس كيما لا تغيب كثيراً ؟ . . . ووقف الأول مدهوشاً ثم سأل : ولكن كيف؟ . . . ورد هذا بهدوء : الأمر بسيط . . . فعندما تصعد الشمس الى كبد السماء نستطيع أن نصعد قمة الجبل لنكون قريبين جداً منها ثم نغني لروح الشمس ونثني عليها فترضى ولا تعود تغيب ابداً ؟

ويبدو الجواب مقنعاً . فيروح الاثنان إلى الجبل ليمتدحا روح الشمس . . . ولا يلبث هذا المديح أن يصبح عبادة . . . وتغدو الشمس معبوداً ، ثم يصبح الحيوان الهاً ، والماء والهواء والنار والظلام والخير والشر كلها آلهة تجب مراضاتها . . . وهكذا اصبحت عبادة قوى الطبيعة ومظاهرها هي اولى عقائد الإنسان البدائي التي رافقتها التراتيل والأغاني . . . .

ومع مضي الزمن ، وتعدد البشر ، تخيل الإنسان تصوراً جديداً . فقد كانت مظاهر الطبيعة شرسة وقاسية عليه ، أكثر الأحيان . . . وكان يصدف أن ينجو احدهم من غضبها ، فيعود ويتساءل عن السبب الذي كمن وراء نجاته ؟ . . .

ويجيبه أحدهم : انها الروح ؟ ولكن روح من ؟ يعود فيسأل الأول . ويقف الثاني حائراً برهة ثم يسعفه فكره فيرد : أنها روح العائلة . . . عائلتك بالطبع ؟ ولكن ما شكل هذه الروح ، يسأل الأول ؟ ويفغر الثاني فاه ساكتاً ، ثم يقول بعد تفكير ، ما هو شكل هذه الروح ؟ حسناً . . . لقد رأيتها ، انها طير كبير مجنح ؟ ولكن لا يوجد مثل هذا الطائر يقول الأول ؟ فيهز الثاني رأسه مؤكداً : بلى هلم ارسمها لك .

ويذهب الرجلان إلى صديق ثالث فيرسم لهما على صخرة الطائر الكبير المجنح كما وصفه الراوي . . . ويعلم الآخرون بأمر هذه الروح فيتساءلون : اذا كانت لذلك الرجل روح لعائلته فلم لا تكون لعائلاتنا مثلها ؟ . . .

وهكذا ينصرف الجميع ليصوروا أرواح عائلاتهم ، كل بالشكل الذي يهتدي اليه . ولا يمضي بعض الوقت حتى تكون هناك آلاف الصور صنعت من الطين والخشب . صور ذئاب غريبة ، وفيلة ضخمة ، وتماسيح وضفادع واسماك ، بعضها يبدو نصفه سمكة ونصفه الآخر نسراً أو انساناً . . . بعضها نصفه ثعبان وباقيه غزال . . .

وهكذا ترك الإنسان الأول عبادة الطبيعة إلى عبادة التماثيل ، ومن عبادة هذه التماثيل تحول ـ بعد ازمان ـ إلى عبادة الطواطم . والطواطم هذه هي التماثيل نفسها التي اعتقد فيها قدرة الخلق ، ولكنها اضحت ـ مع العبادة الطوطمية ـ تماثيل صغيرة يعلقها حول عنقه ليدفع بها شر طواطم (أرواح) العائلات الأخرى . . . ثم بدأ السحر .

ورغم هذا كله فقد كان الإنسان يواصل بحثه عن الخالق الأول ويتصوره مصدراً رئيسياً للخلق والقوة يهيمن على كل شيء ويسيطر على أركان الكون الشاسع . ولكنه مع مرور الزمن بدأ يتصور هذا الخالق ومن حوله الآلهة الآخرون ، يساعدونه وينظمون الحياة على الأرض ويبصرون بأعمال الناس . وهذا ما اعتقده بالذات السومريون والأكاديون والبابليون والأشوريون ، سكان بلاد ما بين النهرين ، انفسهم .

فقد اعتقد السومريون ، وهم أقدم شعوب هذه المنطقة ، بآله لكل مدينة . وكان اعتقادهم هذا نابعاً في الأصل من تقسيمات مجتمعهم نفسه الذي كان منقسماً بدوره الى دويلات ومقاطعات ومدن .

وكانت المدينة الواحدة ، كالدولة بالمعنى المتعارف عليه : فمن حولها الأراضي المزروعة ، وفي وسطها معبدها الذي تتركز فيه الحياة الدينية الخاصة بآله المدينة المسيطر على كل ما فيها . وكان الإآله يعتبر سيد المدينة الحقيقي وعليه أن يختار وكيلاً يسمونه « ايشاكو » يتولى الحكم ، وتعهد اليه (باسم هذا الاآله) رعاية شؤون الأهالي . وهكذا جمع الحاكم مهمة تصريف الأمور إلى جانب مهمته الدينية في الوقت نفسه بتوليه الأعمال الكهنوتية بصفته الكاهن الأكبر للاله .

ومن هذا القبيل أن مدينة « العبيد » السومرية كانت آلهتها هي : نين ـ هرساج والقابها : « ام الآلهة والبشر » ، وكانت تمثل على شكل بقرة اختارت لنفسها بعلاً هو « نانا » ، اله اور ، الذي مثل على هيئة الثور القوي .

أما آله مدينة « لحش » ، فهو « نين جيرسو » ، ويصور على هيئة نسر كبير له رأس أسد ويقبض على حيوانين . وهكذا كانت أيضاً عقائد الأكاديين (سكان شمالي بلاد سومر) الذين وجدت لديهم مجموعة كبيرة من الآلهة تمثل قوى الطبيعة والعناصر المهمة في بيئتهم . [1] أما الناس فقد خلقوا من طين الأرض وشكلوا حتى يشبهوا الآلهة . . وما خلقوا الا ليكونوا خداماً لها ، ومن هنا جاءت فكرتهم عن خشيتها وتقديم القرابين لها » .

أما البابليون ، (وقد رأينا هاييك أبا الأرمن يهجر بلادهم نحو اقليم ارارات ـ وفق اسطورة موسيس الخوريني) ، بعد أن بسطوا نفوذهم على سومر وآكاديا وبلاد آشور ، فقد استمروا بدورهم في عبادات آلهة هذه الدول ، بل وأضافوا اليها آلهة أخرى جديدة حتى أصبح عندهم خمسة وستون الف آله . . .

---

١ ـ راجع بهذا الخصوص كتاب قصة الديانات لمؤلفه السيد سليمان مظهر (المقدمة) .

ويفسر هذا العدد الرهيب ـ كما ذكرنا ـ انه كان لكل مدينة وقرية بل وأسرة وفرد ، حامٍ خاص به (وهو اله في نفس الوقت) .

وعندما جاء حمورابي ، ٢١٠٠ قبل الميلاد ، جعل الإله مردوك « الإله الأعظم للإمبراطورية البابلية وسيد الآلهة اجمعين » . واستجاب الكهنة ، بالطبع ، لرغبة حمورابي ونسجوا حول هذا الاله الكثير من الأساطير .

أما الأشوريون ، معاصرو الأورارتيين ، فان « آشور » ، وآشور وحده ، هو الإله الوحيد القوي . . . ملك الآلهة جميعاً ، وهو اله « حربي » لا يشفق بأعدائه ، وكانوا يمثلونه على شكل قرص الشمس المجنح . . . وكانت زوجته عشتار « المحاربة » أيضاً تحتل المكانة الثانية في مجمع الآلهة الأشورية الذي يشمل الآلهة : سن ، شمس ، اداد ، نابو ، نرجال ، نسكو .

وكانت الطقوس الدينية للأشوريين تتكون من أدعية وصلوات مصحوبة بتقدمات مختلفة هي نفسها مع آلهتها التي تسربت الى جيرانهم الأورارتيين اسلاف الأرمن .

وإلى الشمال الشرقي ، وعلى مقربة من بحر قزوين ، كان يسكن الايرانيون القدماء الذين عبدوا عدداً كبيراً من آلهة الطبيعة . . . عبدوا اله الشمس الذي ينضج محاصيلهم وأسموه ميثرا MITHRA ، وعبدوا آلهة الخصب والأرض وسموها نينا (اناهيد) ، وعبدوا الثور الذي مات ثم بعث حياً ووهب الجنس البشري دمه شراباً ليسبغ عليه نعمة الخلود وسموه « هوما » . . . وكذلك عبدوا اله المطر الذي يروي حقولهم ، وعبدوا اله السحاب واله الريح ، وكل الهة الطبيعة التي ساعدتهم في عملهم المضني للحصول على الرزق ، وسموها كلها « داينا » اي الأرواح النيرة .

والأرواح النيرة « الفارسية » هذه هي نفسها التي عبدها الأرمن ، سكان بلاد ارارات الجدد ، وتبنوها الهة وطنية مع بعض التعديل بالنسبة لاسمائها عندما استبدلوها بأسماء ارمنية قومية فضلاً عن الحاقهم صفات وقدرات خاصة بها اخترعها

الأرمن انفسهم .

ومن الآلهة الفارسية المعروفة التي اخذها الأرمن عن الفرس ، الاله اهورا مزدا [1] AHURA MAZDA ، الذي كان يُعبد عند الفرس على أنه « رب الآلهة جميعاً » و « خالق السماوات والأرض » ، فعبده الأرمن تحت اسم آرامازد ARAMAZ D على أنه « الآله العظيم والقدير » « مانح الخير للأرض » « خالق الهبات جميعاً » . . . وكان مقام هذا الاله ومزاره يقع في آنيكاماخ ANIKAMAKH .

وثاني الآلهة الفارسية ، هو ميثرا MITHRA (اله الشمس) ، و « رب النور والنار » و « حامي الحق والعدالة » ، وأضحى الآن عند الأرمن معروفاً باسم ميهر MIHR ، وكانوا يحتفلون به في الرابع عشر من شهر شباط .

أما ثالث الآلهة الفارسية ، فهي نينا ، أو أناهيدا ANAHITA ، آلهة الخصب والأرض التي عرفت عند الأرمن باسم أناهيد ANAHIT ، وعبدوها على أنها « أيضاً » : « ام الحكمة » و « حامية الأرمن جميعاً » . . . وكان يحتفل بعيدها في الربيع والخريف حيث يترافق ذلك والأغاني والرقصات . وقد كرست لها عدة معابد . وأهمها كان معبد أريز EREZ . وبسبب تمثالها الذهبي الذي بني في هذا المعبد فقد عرفت بانها « الأم الذهبية » .

وقد ذكر المؤرخ اسطرابون STRABO ، انه في هيكل اكيليزين الأرمني الشهير الذي اقيم لهذه الربة (أناهيد) في ارزنجان ، كانت الكاهنات الوثنيات

---

١ ـ اهورا مزدا ، هو اله النبي زرادشت . وتعتبر ديانته ، وفق ما قررته الأبحاث العلمية الحديثة ، اولى « عقائد الاله الواحد » التي اعقبتها كل من اليهودية ثم المسيحية وأخيراً الإسلام .

وخلافاً لما هو شائع عن الديانة الزرادشتية ، من انها ديانة وثنية ، فقد تأكد ، حسبما نصت عليه شرائعها ، على انها ديانة سماوية خالطتها بعض العادات الوثنية ، ودخلتها بعض الطقوس الغريبة عنها ، حتى كادت ان تتحول عن أصلها .

وكان « قورش الأول » من أكبر معتنقيها ، وكان ايمانه بها هو سبب معاملته الإنسانية العادلة للأرمن والعبريين وغيرهم من الشعوب ، كما أشرنا في حاشية سابقة ، ولذا اقتضى هذا التنويه والتنوير عن هذه الديانة .

ينصرفن إلى اعمال منافية للحشمة ، وكانت تلك الأعمال تعتبر لوناً من ألوان العبادة[1] ، كما كانت العائلات الأرمنية النبيلة تبعث الى هذا الهيكل ببناتهن العذارى اللواتي كن فيما بعد يتزوجن بسهولة ولا يتردد أحد من الرجال عن الاقتران بهن . . . وأناهيد نفسها ، عرفت عند اليونانيين باسم « رهيا » ، وعند الكرنتيين بالالهة ـ الثعبان ـ ، وفي بلاد البونت باسم « ما » MA .

وقد ذهب الأرمن إلى تكريم اناهيد باعتبارها زوجة للاله الأكبر اهورامزدا ، كما اعتبروها ـ الى جانب ما تقدم ـ الهة الحرب ، وتجر عربتها ٤ خيول هي : الريح والمطر والغيوم والبرد[2] .

أما رابع الآلهة الفارسية ، فهو فيراثراكانا VERETHRAGNA ، الذي عبده الأرمن تحت اسم فاهاكن VAHAKN (اله الحرب) . . . وكان مقامه الرئيسي في اشديشاد ASHTISHAT ، مع عشيقته استاكيك ASTGHIK (ربة الحب) .

أما الاله تير TIR أو طور ، فهو اله العلم ، الذي كان يسجل أفعال الإنسان الشريرة والطيبة ، وقد خصص لمعبده مدرسة للاهوتين كانت تدرس فيها فنون عديدة كما يتم تفسير العديد من الأحلام . (وسوف نشير إلى هذا المعبد اللاهوتي في فصل لاحق ـ تطور اللغة الأرمنية) .

وكان لدى الأرمن أيضاً ، الاله برشام BARSHAMIN ، والالهة ناني NANI . والاثنان من مصدر آشوري تسربا إلى أرمينيا من بلاد سومر وآكاديا ثم آشور الى اسلاف الأرمن الأورارتيين ، ثم اليهم (اي الأرمن) بالذات . وهكذا نلاحظ أن أكثر العبادات الوثنية القديمة لدى الأرمن ، كانت مستوردة من الخارج ، باستثناء عبادة الشمس والقمر ، فقد كانتا من مصدر خلدي . . . أي انهما مستمدان بدورهما من عقائد بلاد ما بين النهرين التي اشرنا اليها في مطلع هذا الفصل .

---

١ ـ راجع بخصوص هذه الآلهة كتاب : الأرمن ، دير نرسيسيان .

٢ ـ وأيضاً كتاب : صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية ص : ٣٩ .

وخـلال الـردة [1] الـدينية التـي حدثـت في ارمينيا كما يذكر المؤرخ اكاثنكيولوس AGATHANGELUS حيث دمـرت المعابـد الـوثنية . . . فان هذه « الآلهة » قد ظهرت وفق أشكال أرمنية محلية مع احتفاظها بأسمائها الفارسية ، الا اننا في تاريخ موسيس الخوريني نجد الأسماء الاغريقية البديلة لأسماء هذه الآلهة التي اصبحت اسماؤها كالتالي :الاله ارامازاد (اهورامزدا) هو زيوس ZEUS (وكان انطوخيوس الثاني السلوقي هو هذا الاله ـ راجع بهذا الخصوص الصفحة من هذا الكتاب) . اما ميهـر MIHR فهـو الآن هيفايستـوس HEPHAESTUS ، والالهـة اناهيد هي الالهة ارتـاميس ARTEMIS ، والالـه فاهـاكن هو الالـه هـيركيوليس HE'RACLIUS ، والالهـة استاكيك هي الربـة افروديت APHRODITE ، اما الرب تير اله العلم فهو ابوللو ذاته APOLLO . ولم يختلف الأمر بالنسبة للالهة ناني (الأشورية) ، فقد اسميت ـ في عهد الأغريق والسلـوقيين بالتحـديد ، تمامـاً كما جرى بالنسبـة لبقية الآلهـة الأرمنية السابقـة ـ بأثينا ATHENA ، ولم يشذ عن هذا التحوير الا الاله برشام BARSHAMIN ، الذي احتفظ باسمه كاملاً دون أي تعديل .

وتسهيلاً للقارىء ، نرسم فيما يلي جدولاً بهذه الآلهة وفق مسمياتها الأرمنية والفارسية والأغريقية مردفة باسمائها العربية :

عند الفرس	عند اليونان	عند الأرمن	الاسم العربي لهذه الآلهة
*	*	*	
AHURA MAZDA	ZEUS	ARAMAZD	اهورا مزدا.
MITHRA	HEPHAESTUS	MIHR	ميثرا (ميهر).
ANAHITA	ARTEMIS	ANAHIT	اناهيد .
VERETHRAGNA	HE RACLIUS	VAHAKN	فاهاكن .

---

١ ـ المرجع الأول ـ (الحاشية رقم «١» اعلاه) .

ASTGHISH	APHRODITE	ASTGHIK	استاكيك (افروديت).
	APOLLO	TIR	ابوللو (طير).
	ATHENA	NANI	نانا .

وهذه الازدواجية في الأسماء والنعوت ، هي الصفة المميزة للحركات الخاصة بالتوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة ـ التي اخذت مكانها في بقاع اخرى من منطقة الشرق الأدنى ، وبشكل ظاهري خلال الفترة الهلينستية ـ رغم ان الأسماء الأولى ، قد عاشت واستمرت ، ثم ظهرت بشكل اكثر واقعية في كتابات الأرمن ، منها في تلك التي دونها زملاؤهم الأغريق .

وقد وجدت شواهد على هذه الحركات في أماكن متفرقة . ففي بقايا معبد زوروستريان ZOROASTRIAN الذي بني ببيرسيبوليس PERSEPOLIS ، وبعد وقت قصير من هدمه من قبل الاسكندر المقدوني ، كانت مدونات فوتيف VOTIVE (وتعني النذر لغرض خاص لأحد الالهة) الأغريقية ، تسمي الاله اهورا مزدا بميثرا ، والالهة اناهيدا باسماء زيوس وأبوللو وأثينا [1] .

كما ان تطفل واقتحام المعتقدات الاغريقية الى الديانات ذات الأصل الايراني ، قد بدا ظاهراً من خلال وصف موسيس الخوريني للأصنام الوثنية التي جلبت من المدن الأغريقية ، وكذلك من خلال رجال الدين (الرهبان) الاغريق الذين رافقوها . ويكتب المؤرخ المذكور بهذا الخصوص ، ناسباً ذلك الى الملك ارداشيس (الذي كان في الحقيقة ديكران الثاني الكبير) ، أن هذا الملك ، قد جلب من آسيا ASIA التماثيل البرونزية ذات الأطراف المذهبة للآلهة ارتاميس وأبوللو وهيركيوليس . . . وهذا التمثال الأخير كان من صنع النحاتين سكيلليس SCYLLIS وديبوينوس DIPOENUS (من سكان جزيرة كريت) . . . كما أن تماثيل زيوس الاله وأثينا وارتاميس وأفروديت التي وجدها (ديكران) في اليونان ، قد أرسلها الى ارمينيا [2] .

١ ـ ٢ ـ المرجع السابق ، ذات الصفحة .

ومن الصعب التحقق او التأكد من مدى صحة وجدية المعلومات التي تتعلق بهذه التماثيل . . . ولكن المحصلة النهائية لهذه الأفكار وهذا التقرير لا يمكن رفضها . . . اذ تعزز وجود الرهبان الأغريق في ارمينيا من خلال الاكتشافات التي تمت في مدينة ارمافير ARMAVIR حول المدونات اليونانية والمثالان (النحاتان) اليونانيان المذكوران سابقاً بالاسم ، معروفان عن طريق مصادر اخرى : فهما قد ولدا في كريت ، وتواجدا في ارجوس ARGOS وسيكيون SICYON خلال اواسط القرن السادس قبل الميلاد ، ويقال انهما اوجدا مدرسة هامة للنحت في عدة مدن مثل بليني PLINY . ومن اعمالهما تمثال للاله هيركوليس .

وهكذا نعترف بوجود وظهور وثنية فارسية ـ يونانية مشتركة ، لم تلبث ان الغيت في اوائل القرن السادس بعد الميلاد . . . كما اننا نعلم انه في ارمينيا ، كما هو الأمر في امكنة اخرى متفرقة ، قد بقي عدد من الأوثان بالاضافة الى العديد من المعتقدات القديمة التي عاشت ورافقت الفلوكلور الوطني للأرمن وسواهم[1] .

ويجب ان نعيد الى الأذهان هنا ، اسم مدينة باغاران BAGARAN الوثنية ، التي بناها الملك يروانت الرابع ، وحفظ فيها التماثيل والآلهة الأرمنية ، ثم عمد الملك ارداشيس الأول عندما اشاد عاصمته الجديدة ارتاكساتا (ارداشاد) الى نقلها الى هذه المدينة بالذات للحفاظ عليها ، مما يشير بوضوح الى تمسك ارمينيا القديمة بدياناتها الوثنية الى حد الولع الذي ما عتم أن انقلب الى كراهية عمياء لها عقيب دخول المسيحية الى أرمينيا .

أرمينيا المسيحية : القديس كريكوار المنور ILLUMINATOR ، والملك درطاد الثالث

منذ عهد الرسل الأوائل ، كان للدين المسيحي اتباع وأنصار عديدون بين الأرمن ، رغم وثنية دولتهم . وفي هذا الصدد تذكر التقاليد الأرمنية أن التبشير

---

١ ـ المرجع السابق .

بالسيد المسيح والانجيل في بلاد ارارات ، قد بدأ أولاً على يد اثنين من تلامذة « المخلص » ، هما برثلماوس BARTHOLOMEUS الذي عمل في الأجزاء الغربية من أرمينيا عندما دخلها من قبادوقية CAPPADOCIA ، وثداوس THADDEUS ، الذي بشر بدوره في الأقسام الجنوبية من هذه البلاد عقيب وصوله اليها قادماً من سورية وبلاد ما بين النهرين MESOPOTAMIA .

وعندما استشهد هذان القديسان ، في أعوام ٤٣ و ٦٠ ميلادية ، كرستهما الكنيسة الأرمنية (فيما بعد) باسم المنوران الأولان THE FIRST ILLUMINATORS وقد كان من نتيجة نشاطاتهما في حقل التبشير أن ارتفع عدد المسيحيين في مختلف المدن والمقاطعات الأرمنية الى أعداد كبيرة دفعت الملك ارداشيس الثاني ARTASHES II إلى اضطهاد هؤلاء المسيحيين بطريقة موتورة . . . ثم تبعه الملك خسروف الثاني (عام ٢٣٠ ميلادية)، بالطريقة ذاتها، وهو ما ارتكبه ايضاً الملك درطاد الثالث TRDAT III عام ٢٨٧ ميلادية . وأسماء العديد من شهداء المسيحية في هذه الفترة المبكرة من دخول النصرانية إلى أرمينيا ، معروف عبر الجداول الخاصة بأسماء شهداء الكنيسة الأرمنية وقديسيها .

وخلال السنوات القليلة التي أعقبت هذا الاضطهاد ، وخصوصاً اضطهاد درطاد الثالث ، ما لبث الدين المسيحي أن أصبح دين الدولة الرسمي . أما كيف تم ذلك فهو ما سنرويه الآن بالتفصيل ، حيث سنعود قليلاً الى الوراء ، الى الوقت الذي حكم فيه ارمينيا خسروف [1] الثاني بين أعوام ٢٢٥ ـ ٢٥٠ ميلادية تحت نفوذ أخيه أرداوان ، ملك البرثويين في فارس . وفي فارس هذه قام ارداشير (يزدجرد) بانقلاب على اردوان وأطاح بحكمه بعد معركة رهيبة ، وأعلن نفسه ملكاً على البلاد . وحين بلغ خسروف (ملك ارمينيا) هذا الأمر اقسم على الانتقام . وساعده على تنفيذ عزمه مؤازرة الرومان له . وهكذا اقتحمت جيوش البلدين الحليفين مملكة البرثويين وأنزلت بارداشير الهزيمة ، الا أن هذا الأخير ما لبث أن عاد الى الحكم

١ ـ راجع بخصوص هذه الحوادث ـ التي ذكرناها سابقاً ـ الصفحات   من هذا الكتاب .

عقيب عودة الملك خسروف إلى عاصمة ملكه ، حيث اغتيل (خسروف) على يد الأمير اناك ANAK (أحد أفراد عائلة سورينيان) ، مدفوعاً من قبل ارداشير نفسه . وما لبث هذا الأخير أن توفي بعد قليل ، فانتقل عرش فارس الى شابوه CHAPOUH ، أما عرش ارمينيا فقد زاد عنه قائد الجيش ارداواست من عائلة ماميكونيان، (وكان من اعظم القواد الأرمن وأنبلهم) .

وفي عام ٢٨٣ ميلادية عاد الملك درطاد الثالث الى الحكم وبقي فيه حتى عام ٢٩٤ م ، وفقده لمدة ٤ سنوات ، ثم عاد اليه من جديد (عام ٢٩٨ م) ، وبقي فيه حتى عام ٣٣٠ ميلادية .

وخلال هذه السنوات كان ANAK (قاتل الملك خسروف ـ والد درطاد الثالث) قد ترك (كما ذكرنا) ولداً اسمه كريكور GREGORY ذهب مع مربيته الى كبدوكية فراراً من الموت الذي أصاب عائلته بكاملها . وفي كبدوكية هذه احتضنه شقيق هذه المربية ، وكان مسيحياً ، وأخذ على عاتقه تربية هذا الطفل على مبادىء الدين الجديد . وعندما بلغ كريكور مبلغ الرجال ، تزوج في مدينته ، قيصرية ، من ابنة امير ارمني كان مسيحياً ايضاً ورزق منها ولدين . وفي واحدة من تلك اللحظات النادرة في تاريخ الرجال العظام قر رأي كريكور ـ وهو الذي شب منذ نعومة اظفاره على تعاليم المسيحية ـ على الافتراق عن زوجته وولديه لينصرف الى التبشير بالدين الجديد الذي انتشر في عروقه .

وبالفعل خلف كريكور ولديه (وارطانيس وارستاكيس) وزوجته ، وتوجه الى قلب ارمينيا ، حيث بدأ بالدعوة الى المسيحية سراً . . . ولكنه ما عتم أن توجه إلى القسطنطينية لمقابلة الملك درطاد الثالث في منفاه ، فتقرب منه وأصبح صديقه ، ولكن دون ان يكشف له انه ابن ANAK قاتل أبيه (أبي درطاد) .

وعندما استتبت الأمور السياسية في أرمينيا عاد الاثنان اليها رغم ان درطاد ـ الذي كان معروفاً بحلمه وسعة اطلاعه ـ كان ينظر الى المسيحية ، التي سمع عنها (خلال وجوده في المنفى)، نظرة عداء وارتياب لشدة تعلقه بديانة اجداده الوثنية .

وما كان هذا الاعتقاد الوثني لدى درطاد ليمنع كريكور من مواصلة مهمته وهي الوصول الى اقناع هذا الملك بأحقية الدين الجديد واعتباره عقيدة سماوية منزلة على يد السيد المسيح . ولكن الأمور لم تجر وفق ما كان يأمله كريكور . . . فقد شعر درطاد بأن الأول يقوم بالدعوة والتبشير بالمسيحية من خلف ظهره . . . وهكذا قرر أن يختبر مدى صدق مشاعره (مشاعر كريكور) ، فاستدعاه اليه وكلفه أن يذهب الى هيكل الالهة اناهيد ANAHIT لتقديم القرابين اليها ، فرفض كريكور القيام بهذه المهمة أو حتى الخضوع لها ، ثم قال كلمته المشهورة : ـ ينبغي أن يكون الإنسان أعمى القلب حتى يعبد صنماً كهذا ؟ (مشيراً بأصبعه الى تمثال اناهيد الذهبي) . وازداد الأمر سوءاً بالنسبة لكريكور عندما جاء من وشى إلى درطاد أن كريكور لوسافوريج LUSSAVORITCH هو ابن اناك ANAK قاتل أبيه . فاستشاط درطاد غضباً وأمر باعتقاله وزجه في احدى زنزانات مدينة واغارشاباد ، حيث تعرض للعذاب ١٥ عاماً .

لوحة رقم ١٧

وتقول التقاليد الشعبية الأرمنية [1] « أن زبانية كريكور قد وضعوا رأسه في كيس مملوء بالرماد ثم مزقوا لحمه بآلات حادة وصبوا في جروحه سائلاً من معدن الرصاص المحمى لدرجة الذوبان وأدخلوا تحت اظافره اسلاكاً معدنية كالدبابيس ثم القوا به في حفرة عميقة مظلمة مليئة بالأقذار والثعابين . وقد ظل في تلك الحفرة مدة ١٥ عاماً كان خلالها يضرع الى الله لانقاذه من محنته وهداية القوم الضالين » . . . « وكان يقتات كل يوم بقطعة خبز كانت توافيه بها امرأة ارملة اسمها حنة HANNA غلب على مشاعرها حب الخير والإيمان بالمسيح » .

وفي هذه الأثناء ، وكما تردف التقاليد الأرمنية قائلة « فان الملك درطاد أصيب خلال احدى رحلات الصيد ، التي أمر باعدادها ، بمرض نفساني جعله يتطبع بأخلاق الحيوانات . . . ثم عاش فترة من عمره في حالة من اللاوعي والشذوذ جعلته ابعد ما يكون عن الإنسانية » . . .

---

١ ـ انظر الصفحة ١٢٥ من كتاب السيد عثمان الترك : صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية .

وجاءت هذه الحالة عقيب ولعه بفتاة رومانية اعتنقت المسيحية اسمها هريبسيمه HRIPSIME. طلب يدها للزواج فرفضت فأمر باعدامها ثم ندم . . . مما جعله في حالة قلق دائم تصاعد تدريجياً حتى أوصله الى الحالة المرضية المذكورة .

وما لبثت صحة الملك درطاد الثالث مع مرور الأيام أن اخذت بالتدهور حتى لوحة رقم ١٦ أشرف على الهلاك ، رغم المداواة والعناية الشديدتين اللتين بذلهما الكهنة الوثنيون من اجله . وتمضي التقاليد الأرمنية المذكورة فتقول : أن شقيقة الملك المسماة (خسروفيدوخت) ـ وكانت قد اعتنقت المسيحية سراً عن أخيها نفسه ـ قد تجلى لها ملاك الرب في الحلم ووعدها بشفاء أخيها اذا خرج كريكور من السجن . فهبت من نومها مذعورة وتوجهت الى أخيها وقصت عليه ما رأته بحضور حاشيته فأجابها بتأفف وأعرض عنها .

ولكن خسروفيدوخت عادت والحت عليه من أجل اخراج كريكور من السجن ليقوم بمداواته . فلم يجد درطاد بداً من اجابتها إلى سؤالها . . . وعندما اقترب كريكور من سرير الملك المريض انحنى خاشعاً وصلى للرب . . . وباسم الله شفي درطاد وكانت الأعجوبة .

وهذه الأعجوبة نفسها اقنعت الملك درطاد ، وقد استعاد الآن طبيعته البشرية ، ان ثمة الهاً ورباً واحداً يعبد ، وانه يجب ان يؤمن . . . وهو ما فعله حقاً عندما أعلن المسيحية دين الدولة الرسمي ، واتخذ كريكور منذ ذلك الحين صفياً له وعينه كبير امناء سره .

وقد اختلفت الروايات التاريخية حول تحديد السنة التي أعلن فيها الملك درطاد الثالث تنصر أرمينيا رسمياً . فمن قائل أن ذلك حصل عام ٣٠١ ميلادية ، ومنهم من قال انه جرى عام ٣١٤ ميلادية ، ولكن الأرجح أنه لم يكن بعد التاريخ المذكور (٣١٤ ميلادية) بالتأكيد .

وبهذه الخطوة ، التي يعود الفضل الحقيقي في إرسائها الى كريكور

لوسافوريج أضحت ارمينيا الدولة الأولى ، في العالم التي اعتنقت المسيحية قبل روما (عام ٣١٢ على يد الامبراطور قسطنطين الكبير ، ابن كونستانس) ،وقبل فرنسا (عام ٤٩٦ م) بمائة واثنين وثمانين سنة ، وانكلترا (عام ٦٠٥ م) بمائتين وواحد وتسعين عاماً ، والمانيا (عام ٨٠٥ م) بخمسمائة سنة - تقريباً - .

وعندما جرت هذه الحوادث - اعلان تنصر ارمينيا - توجه كريكور إلى قيساريه CAESAREA ، فتقبل من رئيس اساقفتها « ليونيتوس » الدرجات الكهنوتية والأسقفية ثم أصبح المنور الثاني THE SECOND ILLUMINATOR لوحة رقم ٢٢ كما أصبح كريكور بعد انتخابه [1] رئيساً أعلى للكنيسة الأرمنية برتبة جثليق « كاثوليكوس » . ومن « المؤكد [2] أن اعتناق ارمينيا للنصرانية لم يتم دون مصاعب لأن الكهنة الوثنيين كانوا يملكون الأموال الطائلة ويتمتعون بنفوذ كبير . وكان لزاماً على القديس كريكور والملك درطاد الثالث الآن أن يبذلا جهوداً جبارة لنشر الدين المسيحي والدعوة اليه في وسط فطر على العبادات الوثنية على مدى أجيال عديدة » . . . فاستخدم الاثنان سياستين متوازيتين تصلح كل منهما لمواقف معينة . . . فهما سلكا سبل اللين في المناطق التي كان لدى سكانها الاستعداد الأولي لتقبل الديانة الجديدة . وفي هذه الحالات كان يكفي انشاء الكنائس واشادة الأديرة وتعيين أبناء الكهنة الوثنيين - الذين تحولوا الى النصرانية - وذلك بعيد تلقينهم أصول الدين المسيحي ككهنة وقساوسة على هذه الكنائس . . . أما في تلك الحالات التي كان يبدي فيها السكان - وعلى رأسهم رجال الدين الوثني - مقاومة عنيدة ، فقد كان على كريكور ودرطاد أن يستخدما الوجه الآخر لتلك السياسة المتوازية وهو استصحابهما حكام المقاطعات المعنية ، تدعمهم كتيبة مسلحة لاستخدامها عند الاقتضاء . . . وكان الرجلان يطوفان البلاد لتقويض هياكل الوثنيين وتحطيم أصنامهم . . . وكثيراً ما اضطرا لمقاتلة الكهنة المجوس مستخدمين معهم مختلف

---

١ - راجع دائرة معارف فؤاد افرام البستاني: الجزء العاشر.

٢ - كتاب الأرمن : دير نرسيسيان.

وسائل العنف لكبح جماح مقاومتهم العنيدة .

ومن هذا القبيل ما ذكره المؤرخ زينوب دي كلارك [١] من أن المقاومة كانت عنيفة وضارية في مقاطعة دارون ، وكانت أشد عنفاً في منطقة ارزنجان التي كان فيها صنم [٢] أحد كبار الآلهة ، حيث وقعت معركة حقيقية بين رجال درطاد وكريكور من جهة ، وبين القوات الوثنية المسلحة من جهة ثانية ، وقد انتصر الأولان ، حيث أمر كريكور ، في أعقاب هذه المعركة ، بتحطيم صنم المعبد الذي كان مصنوعاً من النحاس ويبلغ ارتفاعه ستة امتار .

ثم تابع القديس كريكور المنور المهمة التي نذر لها نفسه ، فشيد الكنائس على أرض الهياكل التي هدمها . وأول كنيسة بناها كانت في ارزنجان ERZINJAN في نفس المكان الذي حطم فيه الصنم المذكور . . . ثم خصص لهذا المقام الكنسي الجديد عدة قرى رصد ريعها للانفاق على تلك الكنيسة وأناط بكتيبة مسلحة من سكان القرية (بلغ عدد افرادها اكثر من ٩٠٠٠ شخص) مهمة خدمة هذا المعبد والدفاع عن حرمته [٣] .

ولم يكتف كريكور المنور بهذه الخطوات ، بل وجد من الضروري ، بناء عاصمة دينية ، تكون مركز الثقل بالنسبة لانتشار المسيحية في أرمينيا واستقرارها . وهكذا عمد مع الملك درطاد على اشادة مدينة ايتشمايازين ETCHMIADZIN التي تعني « المكان الذي نزل به الوحيد ، اي المسيح » والتي اصبحت بالفعل ، وكما أرادها كريكور ، المنطلق الروحي لمختلف طبقات الأمة الأرمنية . . . وهي ما زالت تحتوي - حتى اليوم - على مجموعة كبيرة من الأديرة والصوامع والكنائس والمكتبات .

وكاتدرائية ايشمايازين المشهورة ، كانت وما زالت ، مقر الجثليق : لوحة رقم ٤٠ الكاثوليكوس CATHOLICOS (وهو أعلى مركز ديني وروحي لدى الأرمن) .

---

١ ـ المرجع السابق دير نرسيسيان .

٢ ـ الالهة اناهيد على ما نعتقد .

٣ ـ المرجع السابق : الحاشية رقم ٢ .

وما يجب ذكره هنا بالنسبة لمكان اشادة هذه الكاتدرائية وكذلك بالنسبة لرسمها الهندسي (المعماري) ، هو ايراد ما ترويه التقاليد الدينية بهذا الصدد ، من أن ذلك كله قد جاء إلى القديس كريكور عبر رؤية تجلت له عندما رأى [1] أمامه السيد المسيح يشع نوراً ومحاطاً بصفوف من الملائكة وهو يحمل مطرقة مذهبة بين يديه ، كما ظهرت له في هذه الرؤية اربعة صلبان من النور ، ثلاثة منها تحدد المواقع التذكارية التي يجب ان تبنى للشهداء الثلاثة : هريبسيمة وجايينى GAYANE ومريم ، أما الصليب النوراني الرابع ، وهو اطولها ، فكان يحدد مكان بناء الكاتدرائية نفسها .

لوحة رقم ٥٢

والتاريخ المبكر لتأسيس الكنيسة يظهر انه في أرمينيا ، كما في أماكن اخرى متفرقة ، ما زالت أعداد كبيرة من الأوثان قائمة على أرض الدولة المسيحية الجديدة في أرمينيا . وأكثر من هذا فقد وجد بين المسيحيين أنفسهم انشقاق دفعهم الى الانضمام لهذه الطائفة الدينية أو تلك . . . إلا أن التهديد الأكبر والخطير ، وخاصة في الأقسام الشرقية من أرمينيا التي ترزح تحت حكم الفرس ، كان يظهر جلياً من خلال المحاولات العديدة التي كان يقوم بها الملوك الساسانيون لاعادة الديانة المزدكية إلى أرمينيا . ولكن معركة افاراير AVARAYR عام ٤٥١ م والحروب الدينية بين السنوات ٤٤٩ ـ ٤٩١ ، التي أشرنا اليها في فصل سابق ، وكذلك المقاومة العنيدة التي بذلها الشعب الأرمني تحت قيادة وارطان ماميكونيان ، قد ازالت نهائياً المخاوف المبكرة للكنيسة الأرمنية بصدد وهن المسيحية ، أو حتى تلاشيها .

وبعد أن انتهت مهمة القديس كريكور المنور تنحى عن منصبه لولده « ار ستاكيس » ، الذي حضر المؤتمر الديني لمجمع مدينة نيقية (ازنيك،حالياً) عام ٣٢٥ م (مجمع عموم البطارقة المسيحيين) الذي حدد الطقوس الدينية للأرمن .
ثم اعتكف لوسافوريج (المنور) في غار يقع في جبل سيبوه بأرمينيا إلى أن قضى نحبه بعد وقت قصير حوالي عام ٣٢٦ ميلادية . وغدا القديس كريكور المنور

---

١ ـ دير نرسيسيان .

شفيع الأرمن الذي نسبت اليه كنيستها جمعاء (الكاثوليكية ، والأرثذوكسية ، والبروتستانتية) وعرفت بالكنيسة الكريكورية .

الكنيسة الأرمنية والمجامع الدينية :

واصل خلفاء كريكور المنور رسالته بالوتيرة نفسها التي رسمها هذا القديس خلال حياته . وهكذا رأينا الكنيسة الأرمنية تتأصل جذورها في جميع المناطق ، لوحة رقم ٦١ وتتسع ابرشياتها وأملاكها واقطاعاتها ، بما اسبغه عليها الملوك من الهبات والأوقاف ، وبما ورثته من أملاك الهياكل الوثنية .

ومن هذا القبيل ان « تلاميذ » القديس كريكور اشادوا الكنائس الجديدة في مدينة ايشمايازين مثل كنيسة القديسةهريبسيمة(عام ٦١٨) ، وكنيسة القديسة غايانه (عام ٦٣٠) ، وكنيسة زفارتنوتس (عام ٦٤١) ، مع عشرات الأديرة والصوامع [١] .

وقد ساعد على انشاء هذه الكنائس ، وبالأحرى ساهم في تقوية موقف الكنيسة ، اختراع الحروف الأبجدية الأرمنية ، وما نجم عنه من ترجمة الكتاب المقدس،وسائر الطقوس الدينية الأخرى ، مما هيأ للكنيسة اتباعاً مخلصين وكثيرين . وقد أدى هذا العمل إلى اعلان اصالة الكنيسة الأرمنية واستقلالها الذاتي التي اصبحت تسمى ، مع اتباعها ، « بالكنيسة الرسولية المقدسة والجامعة » .

وفي الواقع فان استقلال الكنيسة الأرمنية قد جاء عملياً ، نتيجة انفرادها ، عن سائر كنائس الطوائف المسيحية الأخرى بتقاليدها والطقوس والمعتقدات الخاصة بها . ومن هذا القبيل أن اتباعها يقولون أنه بعد صعود السيد المسيح الى السماء ، عمد حواريه الإثنا عشر ، إلى نشرتعاليمه ومبادئه في أرجاء المعمورة وذلك تنفيذاً لوصيته : « اذهبوا وعلموا كل الأمم وتلمذوهم باسم الآب والابن والروح القدس » .

---

١ ـ راجع دائرة المعارف البستاني الجزء العاشر .

ثم تأكد استقلال الكنيسة الأرمنية أكثر فأكثر عقيب التقسيات التي احدثتها الكنيسة الرومانية في المجال الإداري بغية تنظيم أعمالها ومد نشاطاتها . . . . حيث تأسست لهذا الغرض خمسة كراسي اقليمية في العواصم المعروفة في ذلك الزمن (على عهد الامبراطور جوستينان ٥٣٧ ـ ٥٦٥ م وزوجته) وهي :

١ ـ كرسي القدس . JERUSALEM

٢ ـ كرسي الأسكندرية ALEXANDRIA

٣ ـ كرسي انطاكية .ANTIOCH

٤ ـ كرسي روما .ROME

٥ ـ كرسي القسطنطينة .CONSTANTINOPLE

وقد قبلت « كنيسة الأرمن » المجامع المسكونية الثلاث التي عقدها رؤساء الكنيسة الغربية في كل من : نيقية (يزنيك EZNIK) عام ٣٢٥ م ، والقسطنطينة عام ٣٨١ م ، وافسس EPHESUS عام ٤٣١ م . كما وتبنت الكتب التبشيرية التي تأخذ بها الكنائس التي ضمتها هذه المجامع ، بالاضافة الى المقالات الدفاعية عن الديانة المسيحية التي أقرتها هذه المجامع متحدة .

وحتى هذا التاريخ ، كانت الكنيسة الأرمنية تعتبر من الناحية العملية ، واحدة من الكنائس المسيحية الأخرى المنتشرة في العالم ، رغم استقلالها « الذاتي » بالنسبة لبعض الطقوس الدينية . إلا أن انعقاد المجمع الخلقدوني عام ٤٥١ ، قد خلق وضعاً جديداً بالنسبة لهذه الكنيسة عندما كرس انفصالها شبه النهائي عن الكنائس المسيحية الأخرى وأدى الى اعلان استقلالها « نصف الكامل » الذي أعقب استقلالها « الذاتي » الذي كانت تتمسك به .

وجاء هذا الانفصال « الأولي » ، عقيب النقاش الذي احتدم في المجتمع المذكور ، حول طبيعة السيد المسيح CHRIST'S_NATURE . حيث تقرر أن للمخلص طبيعتين متميزتين ، طبيعة انسانية ، وطبيعة الهية ، متحدتين كل

الاتحاد ، ولكنهما غير مختلطتين أو ممتزجتين . وقد رأت الكنيسة الأرمنية ، التي غابت عن هذا المجمع بسبب معركة افارايز،في هذا التحديد ما يقرب من قول المذهب النسطوري نفسه حسبما شرحه اتباع نسطوريوس[1] بالذات في المجمع الخلقدوني CHALCEDON .

وكان قد سبق لكيرولس الأسكندري أن حسم هذه القضية - التي أثارت مختلف هذه النقاشات والخلافات - بكلمته المعروفة « طبيعة واحدة للكلمة المتجسدة : ONE NATURE UNITED IN THE INCARNATE » . أي أن يسوع المسيح اله كامل وانسان كامل . والألوهية والبشرية باتحادهما المجرد عن الاختلاط ، كونتا طبيعة واحدة في المسيح . . وهي الكلمة التي لم ترق بدورها لأعضاء المجمع الخلقدوني فتناول بحثهم الطبيعتين .

ومنذ ذلك الوقت انقسمت الكنائس المسيحية إلى قسمين :

- الكنائس المونوفيزية MONOPHYSITES التي تقول أن للسيد المسيح طبيعة واحدة .

- الكنائس الديوفيزية DIOPHYSITES التي تقول أن للسيد المسيح طبيعتين .

وكما أشرنا ، فانه عندما ترامى إلى الأرمن أنباء هذه المقررات والمناقشات ، فقد التأمت كنيستهم في مجمع خاص سنة ٤٩١ في مدينة واغراشاباد وشجبت مجمع خلقدونية .

على أن الانفصال « النهائي » للكنيسة الأرمنية عن الكنيسة البيزنطية (والكنائس المسيحية الأخرى) ، لم يحصل الا عام ٥٠٦ في مجمع دوفين (دبيل)

---

[1] - يقول المذهب النسطوري بما يلي :
١ - أن في المسيح طبيعتين : طبيعة الهية وأخرى انسانية .
٢ - ان العذراء قد ولدت السيد المسيح بطبيعته الانسانية فقط وهو الذي تألم على الصليب .
٣ - لا يجوز تسمية العذراء ام الله بل ام المسيح .

DVIN ، برئاسة الكاثوليكوس بابكين PAPKEN ، الـذي حضره اساقفة BISHOPS جيورجيا، وبلاد الأغوان، حيث قرر هذا المجمع شجب كل من، مجمع خلقدونية ، ومذهب النسطورية NESTORIANS . معاً . . كما أدخل في لائحة الشجب هذه (الحرم) أو طيخا EUTYCHES [1] ومذهبه . ثم عقد الأرمن عام ٦٤٥ م في مدينة دوفين مجمعاً جديداً نقضوا فيه مقررات مجمع قارن (ارضروم - الذي عقد عام ٦٣٢ م وتمت فيه المصالحة بين الكنيسة الأرمنية والبيزنطية) ، كما أيدوا فيه مقررات مجمع دوفين الأول بكاملها (المعقود عام ٥٠٦ م) .

وفي عام ١٠٥٤ ، وكان التنافس بين كرسي روما والقسطنطينية قد بلغ ذروته ، خصوصاً حول تعبير روح القدس THE HOLY SPIRIT ، وهل تعني الرب THE GOD وحده ، أم أنها تشمل أيضاً « ابنه » - أي المسيح - . . . فانه وبسبب الاختلاف في الاجتهاد والتفسير حول هذا التعبير تكرّس الانشقاق نهائياً بين الكنيستين الشرقية والغربية ، حيث سميت الأولى بالكنائس الأرثذوكسية ، كما سميت الثانية بالكنائس الكاثوليكية . وباعتبار أن الكنيسة الأرمنية كانت مخلصة لمقررات مجامعها الخاصة (واغاراشباد ٤٩١م ، ودوفين ٥٠٦ و ٦٤٥) ، التي خصصت تعبير « روح القدس » بالله وحده - كما هو الأمر بالنسبة للكنيسة الارثذوكسية - «لذلك سميت كنيسة الأرمن خطأ الكنيسة الأرثذوكسية الأرمنية بينما هي في الأصل - وما زالت - تحمل اسم « الكنيسة الأرمنية » [2] فقط .

ومما هو جدير بالذكر ، أن جميع هذه المناقشات والمقررات لا تدخل في عداد القضايا اللاهوتية الخالصة . . . وإنما الـذي جرى حقاً هو أن انفصال الكنيسة الأرمنية عن الكنيسة الرومية (البيزنطية) قد جاء نتيجة عوامل سياسية ، وخاصة

---

١ - ويسمى اصحابه بالمونوفيزيين ايضاً . وهم يقولون بالطبيعة الواحدة في السيد المسيح . وقد توسع هؤلاء وشهدوا حماية الدولة البيزنطية في عهد جوستينيان الأول ٥٣٧ - ٥٦٥ ، وخصوصا في عهد زوجته التي تحزبت لهذه العقيدة .

وتسمى الكنيسة الأوطيخية، في سورية باسم الكنيسة الميتوبية .

٢ - عثمان الترك : صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية .

بسبب ميل الدولة البيزنطية - تحت ستار الكنيسة الشرقية - إلى فرض سياستها الخاصة على الأرمن واذابتهم - قومياً - في بوتقة قوميتها ، وهو ما رفضه هؤلاء ، وبالتالي دفعهم إلى فصل كنيستهم عن الكنيسة الشرقية .

التقاليد الخاصة بالكنيسة الأرمنية :

يتفق [1] الأرمن مع البيزنطيين في مسألة انبثاق الروح من الأب فقط ، وفي بعض التعاليم الأخرى . . . أما ما تبقى فهو غير مشترك بين الكنيستين .

والأرمن يعمدون الأطفال بتغطيسهم في جرن المعمودية ، أو بسكب الماء على رؤوسهم في حالة الخطر . . . ومع سر المعمودية ينيلونهم سر التثبيت ، وسر الافخارستيا . إلا أنهم يخالفون الكنيسة الشرقية بقبولهم في شركة كنسيتهم الكاثوليك والبروتستانت الذين تعمدوا بالرش فقط من دون ان يغطسوا .

وهم يعتقدون، كالكاثوليك (الكنيسة الغربية) ، بالاستحالة والأسرار السبعة ، ويسجدون للقربان في القداس ، وينكرون المطهر ، ويتناولون الشكلين بغمس قطعة من الخبز بالخمر ووضعها على لسان المتناول وهو صائم .

ويكرم الأرمن ، الصليب ، وصور القديسين ، شرط أن تكون مكرسة لوحة رقم ٤١ وممسوحة بالميرون [2] ، ويتمسكون ببكارة العذراء مريم ، والتجديد والتعميد ، وفعل التوبة ، والأسرار الروحية .

ويقولون ان الاعتراف للكهنة ، والحلة ، ضروريان للخلاص ولكن ليس عندهم غفرانات . والصوم لدى الأرمن يمتد الى ١٦٥ يوماً لا يأكلون فيها لحماً ولا أياً من نتاج الحيوان . ولهم ١٤ عيد يحفظونها بأكثر تمسكاً مما يحفظون يوم الأحد . ويجرون عبادتهم باللغة الأرمنية القديمة .

وللأرمن ، أي للكنيسة الأرمنية ، تسع رتب لخدمة الدين هي :

---

١ - راجع دائرة معارف البستاني ، الجزء العاشر.

٢ - الميرون هو زيت الزيتون وضع فيه ٤٠ زهرة من انواع مختلفة .

١ ـ الجثليق ـ الكاثوليكوس .
٢ ـ المتروبوليت .
٣ ـ والأسقف .
٤ ـ والقسيس.
٥ ـ والشماس.
٦ ـ وثاني الشماس .
٧ ـ والقارىء .
٨ ـ والمقسم .
٩ ـ والشمعداني .

ويعتبر الكاثوليكوس أكبر سلطة دينية وروحية لدى الأرمن .

اما الكهنة لدى الأرمن فهم على نوعين : الورتابيد VARTABED (العالم أو المعلم) ، وهذا يجب أن يكون عازباً . والدردر (خوري الرعية) ، وهذا يجب أن يكون متأهلاً قبل الارتقاء إلى درجة ثاني الشماس .

إدارة الكنيسة وتنقل كرسي الكاثوليكوس .

الكاثوليكوس « الجثليق » هو جثليق الأرمن عموماً ، لذلك سميت الكاثوليكوسية الأرمنية دائماً باسم « كاثوليكوسية عموم الأرمن » .

وكان مقر هذه الكاثوليكوسية في مدينة ايشمايازين أصلاً ، حسبما تقرر على عهد الجثليق الأول كريكور المنور . بيد أن هذا المقر اضطر للتنقل تبعاً لمجريات الأحداث السياسية التي شهدتها ارمينيا :

ففي عام ٤٨٥ نقل الكاثوليكوس مانتاكوني مقره الى دوفين DVIN وبقي هذا المقر فيها حتى عهد الكاثوليكوس اوهانس الخامس الذي نقل مقره الآن إلى أركنة بالقرب من مدينة آني ثم استقر في هذه المدينة الأخيرة عام ٩٢٢ م .

وفي القرن الحادي عشر ، وعقيب الزلزال الذي أصاب آني ، وقبيل سقوطها بيد السلاجقة الأتراك عام ١٠٦٥ ، استدعي الكاثوليكوس كريكوار إلى القسطنطينية (عاصمة بيزنطة) حيث سمح له بالإقامة في قرية طاوبلور بالقرب من مدينة درندا حتى توفي عام ١٠٦٥ م . وكان هذا الجثليق تبعاً لشروط بيزنطة ، يرسل معاونيه من البطاركة لادارة الأبرشيات والكنائس في أرمينيا نفسها .

وعقب سقوط آني عام ١٠٧١ ، وبعد هذا التاريخ بسنوات ، وفي عام ١٠٩٥ على وجه التحديد ، انتقل مركز الكاثوليكوسية الى ساف لير (في جبال الأمانوس) ، ثم إلى دزوفيك ١١٢٧ - ١١٤٧ ، ثم إلى روم قلعة حيث بقي فيها قرناً ونصف (١١٤٧ - ١٢٩٣م) ، إلى أن استقر أخيراً في سيس SIS عاصمة الدولة الأرمنية الجديدة في كيليكيا وذلك حتى عام ١٤٤١ ، عندما عاد مركز الكاثوليكية من جديد إلى ايشميازين .

ولكن ، عودة المركز الروحي للأرمن الى المدينة المذكورة رافقه إشكال نجم عن رفض الكاثوليكوس كريكور موسابيكيان نقل هذا المقر إلى ايشمايازين ، مما دفع بمجلس الأساقفة الأرمن إلى انتخاب كاثوليكوس جديد هو كيراكوس فيرابيتسي الذي انتقل إلى هذه المدينة .

وهكذا اضحى للكاثوليكسية الأرمنية مركزان : في ايشمايازين وكيليكيا . واستمر هذا الوضع حتى اليوم ، وإن كان مركز الكاثوليكسية الأخيرة (كيليكيا) ، قد انتقل بدوره الى حلب أولاً ، ثم إلى بلدة انطلياس اللبنانية المقر الحالي للكاثوليكوس الأرمني والذي يعرف الآن (أي المقر) ، باسم كاثوليكوسية البيت الكبير لكيليكيا . لوحة رقم ٣٨

والى جانب الكاثوليكوسية العامة للأرمن نجد عدداً من البطريركيات أهمها :

- بطريركية القدس : إذ اعتباراً من عام ٦٣٧ م عهد الى البطريرك ابراهام ،

بطريرك القدس، بالحفاظ على حقوق الكنيسة الأرمنية الخاصة بها ، وأيضاً تلك التي تشترك فيها مع الكنيستين اليونانية واللاتينية .

والمقصود بالحقوق المشتركة للكنائس الثلاث هو ما يخص كلاً منها في هيكل الميلاد ببيت لحم ، وفي هيكل القيامة ، وفي هيكل السيدة العذراء .

ـ بطريركية القسطنطينية : تأسست هذه البطريركية عام ١٤٦١ على عهد السلطان محمد الثاني عندما اسمى رئيس اساقفة بروسه بطريركا على كرسي القسطنطينية ومنحه امتيازات سميه بطريرك اثنيا . وغطى نفوذه الديني أرمن تركيا .

* * *

الفصل الثاني

تطور اللغة والاداب الأرمنية
اختراع الأبجدية الأرمنية
آثاره المباشرة والبعيدة .

يجمع ، كما ويؤكد ، علماء اللغة والنحو المعاصرون[1] ، على أن اللغة الأرمنية هي فرع مستقل من عائلة اللغات الهندو- اوروبية INDO - EUROPEAN

والاستقلال الذي تتمتع به هذه اللغة يماثل ذلك الاستقلال الخاص باللغتين اليونانية GREEK والالبانية ALBENIAN . وهي - أي اللغة الأرمنية - كهاتين اللغتين ، ليست لها فروع أو لغات مشتقة منهـا ، كما هو الحـال بالنسبـة لأغلـب اللغـات الانسانية .

وندرج فيما يلي جدولاً باللغات العالميةيثبت استقلال اللغـة الأرمنية ،كما

١ - كان المستشرق الالماني جوهانس شرويدر في كتابه المسمى :THE SANRUS LINGUA ARMENICA (قواعد اللغة الأرمنية) المؤلف عام ١٧١١ ، أول من درس اللغة الأرمنية بشكل علمي وأثبت انتماءها الى اللغات الهندو اوروبية . ثم أيده في ذلك علماء لغويون معروفون مثل فينديشمان ودايخر وغيرهم .
وما عتم أن تبع هؤلاء ، في تأكيد هذا الانتماء اللغوي للغة الأرمنية ، كل من العلماء هاينريغ هوبشمان وبترسون وكارستر . . . وان كان العالمان ، موللير ولاكاردو ، قد صنفا اللغة الأرمنية (بسبب كثرة المفردات الفارسية فيها) في عداد اللغات الفارسية الفهلوية القديمة (انظر الجدول اعلاه : اللغات الهندية الايرانية) ، وهو ما نفاه بالأدلة العلمية هاينريغ هوبشمان ثانية عندما اكد كون اللغة الأرمنية فصيلة مستقلة عن عائلة اللغات الهندو اوروبية . (انظر بهذا الخصوص كتاب تاريخ الأدب والثقافة الأرمني لمؤلفه الدكتور استارجيان ص : ١٧) .

ويؤكد اعتبارها مع اللغتين المذكورتين (اليونانية والالبانية) ، من اللغات الهندو- اوروبية :

اللغات الهندو ـ أوروبية

القصيلة الفرعية	المجموعة	أشهر اللغات
الجرمانية	الغربية	الالمانية ـ الانجليزية الهولندية ـ الأفريكانو الفلندرية .
	الشمالية	النرويجية ـ السويدية ـ الداغاركية ـ الأيسلندية الفرويسية.
	الشرقية	القوطية
الكلتية	البريتونية	لغات ويلز ـ كرفول البريتانية،
	الغالية	الارلندية ـ الاسكتلندية
الايطالية	اللاتينية والرومانية	الفيزوغوطية . الايطالية ـ الأفرنسية ـ الاسبانية ـ البرتغالية ـ البرازيلية .
		الأبسكية.
الأرمنية	ـ	الأرمنية .
الالبانية	ـ	الالبانية.
اليونانية		اليونانية الكلاسيكية. اليونانية المعاصرة.
السلافية	الشرقية	الروسية.
	الجنوبية	البلغارية ـ الصربية ـ الكرواتية
	الغربية	البولونية ـ التشيكية

اللغات السامية

المجموعة	فروعها	المجموعة	فروعها
الأكادية	الأشورية البابلية	العربية	العربية الكلاسيكية العربية الحديثة
الكنعانية	الفينيقية العبرية البونية	الأثيوبية	الجغرية الأمهرية
الآرامية	السوريانية الآرامية الغربية	الحامية ـ السامية	الفرعونية القبطية
الحامية	الليبية القديمة ـ البربرية	الكوشية	الصومالية المجالا

اللغات التركية

أشهر لغاتها المجموعة التركية ومنها :التترية ، التركية الحديثة ولغة بعض جبال القفقاس وأذربيجان .

الفصيلة الدرافيدية

مثل : الكنارية ـ التامل .

المنغولية

مجموعة لغات شمال شرق آسيا .

اللغات الصينو ـ تيبية أو الهندية الصينية

اشهر لغاتها : لغة هضبة التيبت ، بورما ـ الصينية الشمالية ـ لغة سيام ـ لغة كمبوديا ـ لغة التاي ـ الكنتونية .

الايرانية	الغربية ـ الفارسية	الفصيلة الصينية ـ الأجرية
	الفهلوية الشرقية ـ الافغانية	وأشهر لغاتها : المجرية ـ الفلندية ـ الأستونية ـ المردفية .
الهندية الايرانية الهندية الآرية	السنسكريتية ـ البنجابية	اللغات الملايو ـ بولينيسية
	الهندوستانية ـ الكشوية	وأشهر لغاتها : الفليبينية ـ الملاوية ـ السودانية لغة مدغشقر .
البلطيقية =	اللتوانية ـ اللاتفية	لغة أهل حاوة .

وكما تذكر السيدة نرسيسيان ، في كتابها « الأرمن [1] » ، فانه من المتعذر بسبب الافتقاد للوثائق المكتوبة باللغة الأرمنية القديمة أن يتم تتبع المراحل المتعاقبة لتطور هذه اللغة ، وخاصة خلال القرون الممتدة بين الحقبة الهندور اوروبية [2] ، وحتى مطلع القرن الخامس الميلادي ، وهو التاريخ الذي اخترعت فيه الأبجدية الأرمنية .

وتضيف المؤلفة المذكورة ، بهذا الصدد ، قائلة : « أن المؤرخين المحدثين ، يعتقدون أن الصور والرموز المنقوشة على الصخور التي عثر عليها في وادي اراكس ARAX [3] ، يمكن أن تكون في حد ذاتها شكلاً بدائياً للنصوص الأرمنية القديمة المكتوبة». . . ولكن أقوالاً كهذه (برأيها ، وكما نعتقده بدورنا) «تبقى في عداد التقارير الافتراضية ، ما دامت هذه الصور غير مكتشف معناها بعد» .

اما المؤرخ الأرمني المعروف موسيس الخوريني في كتابه « تاريخ الأمة الأرمنية » ، فهو يفيد انه كان يوجد معبد وثني في أرمينيا الحق به معهد للآداب . ولكنه لا يخصص أو يبين أي نوع من النصوص المكتوبة وأية لغة استعملت في هذا المعهد ، وإن كان في الوقت نفسه ، وفي سياق حديثه عن هذا الموضوع ، يستشهد بالمؤلفات الأرمنية المدنية المكتوبة بالحروف الفارسية أو الإغريقية [4] .

---

١ ـ دير نرسيسيان : THE ARMENIANS الصفحة ٧٩ .

٢ ـ راجع الصفحة ٩٥ من هذا الكتاب .

٣ ـ وأيضاً راجع الصفحة ٦٥ من كتابنا هذا .

٤ ـ المرجع السابق ص ٧٩ أيضاً .

وفي الواقع لا يوجد ، وكما تؤكد السيدة نرسيسيان ، دليل مادي يثبت أو يؤيد هذه الأقوال . . . اذ أن النصوص والمدونات INSCRIPTIONS القديمة التي عثر عليها (حتى هذا الوقت) في أراضي أرمينيا ، قد وجدت مكتوبة باللغة الآرامية ARAMAIC ، أو باللغة اليونانية GREEK ، أو باللغة اللاتينية LATIN ، في وقت لاحق .

وبمرور الزمن [1] أصبحت اللغة الأرمنية لغة مكتوبة ومتطورة تماماً ذات مصطلحات وتعابير دقيقة ومضبوطة ، ولها قواعدها الصحيحة الخاصة بها ، إلا أنه سرعان ما حدثت بعض التبديلات والتكييفات النحوية في نظام الحروف الصوتية الهندو اوروبية ، وفي بعض القواعد اللغوية ، حيث طبعت هذه التكييفات وأخضعت لقانون لغوي معين تحت تأثير اللغة الأورارتية ، ومجموعات اللغات العائدة للشعوب الأخرى المجاورة للأرمن ، عقيب تأسيسهم لدولتهم في وطنهم الجديد [2] .

وعلى سبيل المثال فان اللغة الأرمنية رغم تمسكها وابقائها لجميع حالات تصريف الأسماء تقريباً في اللغة الأم (الهندو اوروبية) ، فانها فقدت التمييزين الذكورة والأنوثة .

وخلال القرون [3] التي خضعت فيها ارمينيا للسيطرة الفارسية (٥٥٠ ـ ٣٣١ قبل الميلاد وبشكل ادق قبل حكم ديكران الثاني الكبير ٩٤ ـ ٥٥ قبل الميلاد) ، فان كلمات ايرانية كثيرة قد دخلت قاموس اللغة الأرمنية ، كما وظهرت في هذه اللغة طريقة استخدام المقاطع المضافة الى آخر الكلمة (بغية تغيير معناها في اللغة الفارسية) ،ولكن من أجل ابتكار كلمات جديدة بالنسبة للغة الأرمنية ، يضاف إلى ما تقدم ، أن بعض العبارات الأرمنية قد صيغت على غرار ما هو معمول به في اللغة

---

١ - نفس المرجع الصفحة ذاتها .

٢ - كاللغات الحثية والميتانية والفارسية واليونانية الخ .

٣ - سبقت لنا الاشارة الى هذا التفاعل في باب سابق فيرجى الرجوع اليه .

الفارسية نفسها.

أما في عهد ديكران الثاني ، ومن تلاه من ملوك الأسرة الأرداشيسية ، وغيرهم ، فقد اصبحت اللغة اليونانية هي اللغة المحكية من قبل الطبقة البورجوازية في المجتمع الأرمني . ومما يؤكد هذه النظرة ذلك التفاعل الحضاري - اللغوي الذي قام بين الأرمن واليونان [1] عقيب اجتياح الأسكندر المقدوني للامبراطورية الفارسية ومعها الدولة الأرمنية ، وكذلك من خلال استقدام ديكران الثاني لعدد كبير من الأروام لسكنى عاصمته العتيدة ديكرانا كيرتا .

وتروي بعض المصادر التاريخية ، التي يؤكدها المؤرخ بلوتارك PLUTARCH ، أن عديداً من الخطباء الأثينيين (نسبة لاثينا) قد أمّوا البلاط الأرمني في عصر ديكران وغيره ، ومن هؤلاء ميترودورس METRODORUS ، وامفيكراتس AMPHICRATES ، كما أن العديد من الأعمال المسرحية الإغريقية قد قدمت على مسارح العواصم الأرمنية كارتاكساتا وارااداشاد .

وفي الوجه المقابل لم يكن تأثير الأرمن وادبائهم وخطبائهم القدماء على الثقافتين الأغريقية والرومانية بأقل من تأثير أدب هاتين الدولتين على الأرمن . ومن هذا القبيل ان الأديب الأرمني تيران TIRAN ، الذي أخذه القائد لوغوللوص أسيراً إلى رومه، قد أصبح الصديق المقرب للمفكر الروماني المعروف شيشرون CICERO ، ثم أضحى خطيباً مفوهاً ، ونحوياً ضليعاً في الأوساط الرومانية نفسها. ولا ننس أيضاً الأديب الأرمني بروهيريسيوس PROHERESIUS الذي رحل إلى روما بناء على دعوة من الامبراطور كونستانس CONSTANS ليقدم للشعب الروماني بلاغته وفصاحته من خلال أعماله الأدبية ، التي دفعت بالرومان، الى أن يشيدوا على شرف هذا المعلم الأرمني تمثالاً من البرونز بالحجم الطبيعي

---

١ ـ وخصوصاً خلال سيادة النفوذ السلوقي على الدولة الأرمنية .

ونقشوا عليه العبارة التالية: «من روما - ملكة المدن - إلى ملك الفصاحة والبلاغة»[1]. كما أن تمثالاً آخر لهذا الأديب قد شيد في أثينا أيضاً.

وما تجدر الإشارة اليه ، ما دمنا بصدد هذا الأدب الأرمني غير المكتوب ، أن نذكر بعضاً من تلك المقاطع والشذرات من الشعر (غير المكتوب) التي وصلتنا عبر تاريخ موسيس الخوريني [2] . ومن هذه المقتطفات الشعرية تلك التي تتعلق بولادة الاله فاهاكن VAHAKN (اله الحرب) التي نقتبسها فيما يلي عن كتاب الأرمن :

السماء والأرض كانتا في مخاض . . .
وفي المخاض كان البحر القرمزي. . .
ومن اعماق البحر كان المزمار الأحمر يتمخض . . .
ومن فم المزمار انتشر الدخان . . .
ومن فم هذا المزمار أيضاً اندلعت الشعلة . . .
ومن خلال الشعلة عزف الطفل الصغير . . .
وشعر هذا الطفل كان من النار . . .
ومن النار كانت شفتاه . . . .
وعيناه كانتا الشموس . . .

كما [3] أن أشعاراً أخرى وهي المعروفة باسم كوغتن KOGHTEN [4] هي أجزاء من ملاحم شعرية تزهو بأعمال بعض الملوك الأرمن مثل أرداشيس وابنه اردافست . ومن هذا القبيل انه بينما كان الملك الأول يبني المدينة التي عرفت باسمه ، غزت قبائل الالان (الشركس) مملكته . . . فما كان من ارداشيس الا أن جهز جيوشه وهاجمهم ثم دحرهم وأخذ ابن ملك الالان أسيراً ، وفي مقابل فك أسر

---

١ - كتاب الأرمن صفحة ٨٣ .
٢ - المرجع السابق .
٣ - ذات المرجع .
٤ - ان هذا الأدب غير المكتوب ، الذي تمثله هذه الأشعار ، امتد منذ القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الخامس بعده . . . ويعرف بالأرمنية باسم مادينا كروتون المشتقة من كلمة ماديان (الكتاب) .

ابنه عرض هذا الأخير على الملك الأرمني ما يرغبه . . . ولكن اردشيس رفض هذا العرض . . . وعندئذ جاءت شقيقه الأمير الأسير (ابنة ملك الآلأن) المسماة ساتينيك SATENIK إلى ضفة النهر وانشدت بواسطة أحد المترجمين القصيدة التالية : لوحة رقم ٦

أنا اخاطبك أيها الملك الشجاع . . .
الملك الذي هزم امة شجاعة كأمة الالان . . .
تعال . . .
تعال وأصغي إلى التماس ابنة ملك الالان . . .
أعد الشاب . . .
اذ ليس من عادة الأبطال . . . أن يثأروا ؟
اذ ليس من عادة الأبطال . . . أن يقتلوا أبناء الأبطال الآخرين .
كما ليس من عادة هؤلاء أن يسترقوا أبناء ابطال مثلهم . . .
أنت . . .
أنت ان فعلت هذا صرت عدواً إلى الأبد . . .
عدواً لشعبين عظيمين .

وعندما سمع الملك ارداشيس هذه الأشعار من الأميرة ، وكان قد أسره جمالها ، فقد بعث برسول الى ملك الآلان يطلب منه فيها يد ابنته الأميرة ساتينيك في قصيدة شعرية هذا نصها :

. . . « وعندما يستطيع الشجاع ارداشيس ان يعطي .
أن يعطي الالاف بعد الالاف ، وعشرات الآلاف فوق عشرات الآلاف . . .
مقابل تلك العذراء . . .
العذراء النبيلة ابنة الالان . . .
فان الملك ارداشيس سوف يصعد فوق جواده الأسود المطهم . . .

ثم يعبر النهر [1] كالنسر المجنح . . .
ويقذف الخاتم الزمردي . . .
وأيضاً الحبل الأحمر . . . حول وسط الفتاة العذراء ابنة الآلان . . .
ولسوف يسبب شيئاً من الألم لخصر تلك العذراء . . .
ولكنه سيعود بها الى معسكره ؟ » . . .

وعندما تم زواج الأثنين انشد لهما الشعب الأرمني وغنى :

« . . . نحن شهدنا خيوط المطر الذهبي عندما أصبح ارداشيس ملكاً . . .
ونحن رأينا حبات اللالىء عندما أضحت ساتينيك عروساً . . . »

وقد انتقلت بعض هذه الأغاني والأشعار شفاهاً حتى القرن الحادي عشر الميلادي عندما قام ماجستروس بانتقاء مقاطع منها وسجلها بغرض حفظها من الإندثار [2] .

أما الأدب المكتوب ، فقد بدأ مع اختراع الحروف الهجائية (الأبجدية) الأرمنية في القرن الخامس الميلادي . أما كيف ، ولماذا جرى هذا الحدث الخطير في حياة الأمة الأرمنية وآثاره المباشرة والبعيدة ، فهو ما سوف نعالجه من خلال النبذة التالية .

اختراع الأبجدية الأرمنية :

قلة من الأمم في حياة الحضارة الإنسانية ، هي التي أبدعت لنفسها عبر تاريخها الحضاري والسياسي أبجدية خاصة بها ، قدرت من خلالها وبواسطتها أن تحفظ شخصيتها القومية . والأمة الأرمنية ، بعددها الصغير ، كانت واحدة من تلك الشعوب التي توصلت الى هذا الهدف الذي يبقى أولاً وأخيراً عنواناً لحيوية الشعب

---

١ ـ وهو نهر الكوره .
٢ ـ المصدر السابق .

الذي أبدع مثل هذا العمل العتيد [1] .

وقد بدأ الأمر ، أي التفكير بايجاد ابجدية مستقلة خاصة بالشعب الأرمني ، عقيب إعلان المسيحية ديناً رسمياً للدولة الأرمنية (عام ٣٠١ ميلادية أو عام ٣١٤ في رأي البعض) . فقد كانت الطقوس الدينية ، والتراتيل الكنسية ، والمؤلفات المسيحية ، خلال هذا القرن (الرابع بكامله وحتى مطلع القرن الخامس) تكتب بالحروف الفارسية أو السريانية SYRIAC ، أو اليونانية GREEK ، حسب المناطق والأقاليم الأرمنية الخاضعة لنفوذ إحدى الدول صاحبة هذه اللغات ، (الفارسية التي احتلت أرمينيا الشرقية عقيب تقسيم عام ٣٨٧ ، كما ذكرنا سابقاً ، والدولة البيزنطية التي احتلت أرمينيا الغربية بموجب التقسيم نفسه) .

كما أن فصول الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) ، كانت تقرأ بهذه اللغات من قبل مجموعة من الرهبان المدربين ، مما عنى عملياً بقاء الأرمن المسيحيين بعيدين عن فهم المضامين الحقيقية لهذه النصوص الدينية ، وبالتالي ترديدهم لها دون ادراك مغزاها الحقيقي ، ومن ثم استمرار تمسكهم بشكل أو آخر ، بالمعتقدات الوثنية السابقة ، دون أن يتسلل الإيمان الجديد إلى قلوبهم ، بما يكفي لتحولهم جذرياً عن هذه الوثنية .

وازداد الأمر خطورة ، عندما قام ملوك الدولة الساسانية ، وبالتحديد أرداشير (يزدجرد) الأول بالتبشير بالديانة المزدكية MAZDAISM ، والدعاية لها في الولايات الأرمنية الخاضعة لنفوذ دولته ، بشكل أكثر ما يكون تكثيفاً وتركيزاً ، مما استدعى اتخاذ تدابير حاسمة ضدها . وهكذا فان الأدب الأرمني متطوراً بفعل النصوص الأدبية ذاتها ، كان بامكانه أن يخدم كأحسن ما يكون ، حاجات الكنيسة ومتطلباتها بوقوفه حاجزاً أمام منشورات الأدب المازداستي من جهة ، والعمل على

---

١ - إن دول اوروبا بكاملها - عدا الدول السلافية - تستخدم حروفاً ابجدية لاتينية غريبة عن شخصيتها القومية . . . وكذلك الأمر بالنسبة لأكثر دول افريقيا وأميركا الشمالية مع كندا . . . وكثير من دول القارة الآسيوية . وطبعاً نستثني من هذا المعنى الأمم القديمة .

تنوير الشعب وتثقيفه كلما كان الأمر يتطلب ذلك من جهة ثانية . . . ولم يكن هذا ممكنا في الحقيقة الا بوجود لغة قومية ، لغة أرمنية مكتوبة .

وكان من الممكن ، في رأينا ، أن يتأخر اختراع الأبجدية الأرمنية ، ولو لقرون قليلة ، لولا ذلك العناد والتعصب الديني الشرس الذي أبداه الملوك الساسانيون عقيب فشل دعوتهم « السلمية » بالدعوة الى المزدكية ، عندما قرروا الآن (عام ٤٥١ بعد الميلاد) شن حروب « دينية » بالمعنى الكامل لهذه الكلمة . ومن هذا القبيل معركة افارایر AVARAYR ، والحروب الدينية (التي تعرضنا لها في فصل سابق واستغرقت الأعوام ٤٤٩ ـ ٤٩١ ميلادية)، مما دفع ببعض الشخصيات الأرمنية الغيورة على دينها وقوميتها الى التفكير الجدي بضرورة ايجاد هذه الحروف مهما كلف الأمر، وهو ما حدث فعلاً على يد كل من: الملك فرام شابوه VRAMSHAPUH (٣٩٢ ـ ٤١٤ ميلادية و ٤٣٢ ـ ٤٣٩ ميلادية)، والكاثوليكوس (الجثليق) سحاق SAHAK بارثيف (٣٨٧ ـ ٤٢٨ ميلادية)، والقديس ميسروب ماشدوتس MESROP MASHDTOS ، وذلك عقيب الاجتماع الذي ضمهم سوية حيث، قرروا بانتهائه تكليف ميسروب بهذه المهمة . لوحة رقم ١٣

كان ميسروب يتمتع بكفاءات أدبية ولغوية هائلة ، فهو إلى جانب اتقانه اللغات الثلاث الرئيسية في عهده،الإغريقية ، والفارسية ، والسريانية ، كان أيضاً مؤلفاً بارعاً معروفاً بسعة اطلاعه وغزارة علمه . وهكذا رأيناه عقيب اسناد هذه المهمة اليه ، وقد نما إلى علمه أن المطران السوري دانيال DANIEL ، حسب الروايات المتواترة ، قد وضع حروفاً هجائية أرمينية معينة ، يسافر إلى مقر هذا المطران في أورفه . . . ولكنه وجد هذه الحروف غير مهيأة أو مكيفة تماماً مع اللغة الأرمنية ، ولذلك لم يستخدمها [1] .

---

١ ـ يذكر السيد عثمان الترك في مؤلفه « صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية » الصفحة ٨٦ ، رأياً مغايراً لما ذكرناه ويتلخص بما يلي :

« . . . ويقول بعض المؤرخين ان الفيلسوف الأشوري دانيال وضع وقتئذ أبجدية من اثنين وعشرين حرفاً اقتبسها من أبجديات اللغات اليونانية والهندية والسريانية واللاتينية وغيرها . وأن ميسروب لم يأخذ منها سوى سبعة عشر حرفاً ثم أضاف اليها اثني عشر حرفاً ساكناً وسبعة أحرف صوتية . بينما يذهب البعض الى القول بأن ـ

وهنا بدأ عمل ميسروب الحقيقي فقد حمله هذا الاخفاق الأولي إلى الانطلاق من نقطة الصفر تماماً ، وهكذا وجد نفسه ، ولهذا الغرض ، مضطراً للقيام برحلة دراسة وبحث أخذته مع تلاميذه يزنيك EZNIK وكوريون GORYUN ، الى عميت (اميدا) AMIDA أولاً ، ثم إلى أورفه (الرها) . وفي هذه المدينة الأخيرة التقى افلاطون الفيلسوف الذي تحمس لعمل ميسروب (ايجاد أبجدية أرمنية) ، وتعهد بانجازه بالاشتراك معه . . . ولكنه سرعان ما أعلن تخليه عن هذا العمل لعجزه عن الاستمرار فيه وأشار على ميسروب أن يقصد استاذه يفيبانوس فتوجه اليه ميسروب مباشرة ولكنه وجده وقد قضى نحبه . وعندئذ عاد ميسروب ادراجه وتوجه الآن إلى مدينة ساموساتا SAMOSATA حيث التقى فيها بالفنان والخطاط روفانوس RUFINUS (تلميذ يفيبانوس) الذي ساعده في اعطاء الشكل النهائي للحروف الأرمنية المبتكرة .

وحسبما تروي المصادر التاريخية ، فقد استفاد ميسروب في عمله هذا (اختراع الحروف الهجائية) ، من المامه الواسع باللغات اليونانية والسريانية والفارسية (كما أشرنا) ، وعاد إلى أرمينيا من هذه الرحلة الطويلة ومعه ٣٦ حرفاً صوتياً تتطابق مع جميع اللهجات الأرمنية المتعددة . وقد صمم ٢٢ حرفاً من أصل هذه الحروف الستة والثلاثين وفق الحروف اليونانية ، في حين أن الحروف السريانية قد ساعدت بدورها على تصميم بعض الحروف الأخرى . . . ولكن في كل حالة كانت بعض التعديلات تحدث من أجل اعطاء النص شكلاً موحداً . ومن هذا القبيل ان ميسروب استفاد من « شكل » حروف هاتين اللغتين فكتب لغة أرمنية بحروف يونانية ، ثم وضع اشارة على صوت كل حرف من تلك الكلمة ، ولما رأى أن بعض الأصوات لا حرف لها في تلك اللغة ، فقد اخترع حروفاً اضافية . كما انه اخذ بعض « اشكال » من حروف اللغة الآرامية ARAMAIC ، ونقح فيها ، ثم استعملها ، بحيث أفاد من اللغات الثلاث أو الاربع (اليونانية الفارسية السريانية الآرامية) ، واخترع

ابجدية دانيال كانت مؤلفة من تسعة وعشرين حرفاً ثم اكملها ميسروب بسبعة حروف .

الحروف الهجائية الأرمنية وفق ما سبقت الإشارة اليه [1] .

جدول يبين الحروف الأبجدية الأرمنية

الابجدية الارمنية

Ա	آيب	Ayp	Ջ	تشي	Tché
Բ	بين	Pen	Ռ	را	Ra
Գ	كيم	Kim	Ս	ث	Cé
Դ	تا	Ta	Վ	فيف	Véve
Ե	يتش	Yetch	Տ	ديون	Dune
Զ	ظا	Za	Ր	ري	Ré
Է	اي	E	Ց	تسو	Tso
Ը	إط	Et	Ւ	هيون	Hioun
Թ	تو	To	Փ	بيور	Piour
Ժ	جي	G	Ք	كي	Ké
Ի	اني	Ini			
Լ	لون	Lune	և	يف	Yève
Խ	خي	Khe	Օ	او	O
Ծ	تزا	Tza	Ֆ	ف	Fé
Կ	غين	Guène			
Հ	هو	Ho			
Ձ	تسا	Tsa			
Ղ	غث	Guath			
Ճ	دجي	Djé			
Մ	مين	Men			
Յ	هي	Hi			
Ն	نو	Nou			
Շ	شا	Cha			
Ո	فو	Vo			
Չ	تشا	Tcha			
Պ	ب	Be			

١ - راجع بخصوص هذا البحث المراجع التالية : تاريخ الأدب والثقافة الأرمنية للدكتور استارجيان . وصفحات من تاريخ الأمة الأرمنية للاستاذ عثمان الترك . وكتاب الأرمن للسيدة دير نرسيسيان . وكتاب ارمينيا مهد الحضارة . . . وذلك في الصفحات التالية مرتبة وفق تسلسل التعداد الخاص بهذه المصادر (٢٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٠) .

وبهذه المناسبة ، نورد ، فيما يخص اختراع هذه الأبجدية ، الرأي الذي يبينه الدكتور استارجيان (المرجع السابق ص ٢٤) والذي نتبناه بدورنا خلافاً للرأي الشائع اعلاه وهو :

« أن ميسروب اتخذ الحرف (U) اليوناني اساسا لاختراعه ، وبقلبه وتقطيعه وتركيبه طرداً وعكساً انشاء حروفه ، فهذا الحرف هو صوت (S) في اللغة الأرمنية ، ومعكوسه هو (V) وتركيبه هو N(A) ومد آخره مركباً هو ومد طرفيه متعاكسين هو H (G) ومد طرفه الأيسر وحذف الأيمن (I) وهكذا » . . .

وما دفعنا إلى تأييد الدكتور استارجيان في هذه الرأي ، هو ان إلقاء نظرة على الحروف الأبجدية الأرمنية كما هي عليه اليوم - تؤكد انطلاقها بمجموعها من شكل واحد اصلي هو (V) اليوناني - انظر الجدول المرفق - .

الآثار المباشرة والبعيدة لاختراع الأبجدية الأرمنية[1]

كان لانجاز هذا العمل الصعب،آثار مباشرة أعقبته بسرعة،وتناولت بامتداداتها،مختلف المجالات الدينية والأدبية (وحتى الاجتماعية) للشعب الأرمني،في حقول الترجمة والتأليف والتاريخ والعلوم والشعر والفلسفة . . . وهو ما سوف نعالجه الآن بالتفصيل .

١ ـ حركة الترجمة والتأليف :

كانت الترجمة هي الخطوة الأولى ، والهدف المبدئي للغة الأرمنية « المكتوبة » . . وهذا أمر طبيعي . اذ يفترض في مثل هذه الحالات [٢] ، بل ومن اللازم،وحتى من الضروري ، انتظار مرور فترة زمنية كافية لخلق جيل أدبي ضليع بهذه اللغة « الجديدة » يقدر عقيب تمكنه منها والمامه بها ، من التعبير عن مرئياته وكوامنه الشخصية التي ستبرز حتماً في مجالات متعددة ، كالتأليف والتاريخ والشعر الخ . .

وكان أول عمل نهضت به الحروف الهجائية الأرمنية المكتوبة ، هي ترجمة الكتاب المقدس نفسه [٣] . ولكننا قبل أن نتعرض إلى هذا العمل الخطير (على المستوى الديني للشعب الأرمني على وجه التخصيص) ، نرى أن نستبق الزمن قليلاً ونتقدم نحو المستقبل الأدبي غير البعيد للشعب الأرمني لنحدد الشكل الذي انتهت اليه حركة التأليف والترجمة ذاتها قبل أن نعود الى التفصيلات الخاصة بترجمة الكتاب المقدس ، وحتى غيره من الأعمال الأدبية الأولى للأرمن .

تحتل حركة الترجمة في آداب الشعوب كافة مكانة خاصة . وتأتي أهمية هذه

---

١ ـ في الحقيقة فان هذه الآثار ، المباشرة منها والبعيدة ، يمكن ايجازها بكلمات قليلة (الى جانب النهضة الأدبية المشار اليها) ، وهي حفظ القومية الأرمنية ، واستمرار المسيحية ديناً للشعب الأرمني ، ومنع اندثارهما ، كما سيتضح معنا عبر فقرات وبنود هذه النبذة .

٢ ـ ونقصد بها تحول اللغات عموماً من لغة غير مكتوبة الى لغة مكتوبة .

٣ ـ الذي كان السبب في اختراع هذه الحروف نفسها كما نوهنا عنه .

الحركة من اعتبار الترجمة اياها بمثابة الأداة الأولية التي تتمكن بواسطتها هذه الشعوب من ان تتمثل حضارات الأمم التي سبقتها ، أو التي عاصرتها في مضمار التقدم والرقي الحضاري والإنساني .

وبهذا المعنى تأتي عملية « الترجمة الأدبية للنصوص الأجنبية إلى اللغة المحكية للشعب المعني » كمرحلة اختبار تمتص من خلالها الأمة « الجديدة » [1] المعارف الإنسانية التي بثتها الشعوب الأخرى عبر تاريخها الطويل ، لتنطلق بعدها هذه الأمة المتدرجة في صعيد المعرفة الإنسانية ، ومن هذه المرحلة بالذات ، « وقد وصلت الآن ومن خلال مضامينها المنيعة الى تكوين شخصيتها الأدبية المستقلة » ، إلى مرحلة تحريك الإبداع الذاتي لدى أدبائها وانفلاتهم نحو التعبير عن مشاعرهم الخاصة ، وعن معطيات حضارة الأمة التي ينتسبون اليها ، وبالتالي خلق الكينونة الأدبية الواعية والمستقلة لهذه الأمة .

وهكذا وجدنا حركة الترجمة لدى الأرمن ، على مدى ثلاثة قرون هي الخامس والسادس وحتى منتصف القرن السابع ، تنشط وتتحرك بعنف الوليد وجرأته ، كما وتقتحم مختلف المجالات والأعمال الأدبية للأمم الأخرى فتأخذ عنها (وخصوصاً اليونان والسريان والرومان) ، أرقى ما وصلت اليه هذه الشعوب ،وتنقله الى آدابها ، لتتوجه بعد ذلك ، بل ومع هذا الدفق الحياتي ، إلى فرز آدابها بالذات ، التي ستصبح بدورها وبعد أجيال ، عنواناً لأعمال أدبية رائعة تقتبسها الأمم الأخرى الجديدة .

وبشكل أكثر تحديداً انتهت حركة الترجمة الأرمنية ، عبر أعمال الرجال الأوائل الذين قامت على أكتافهم ، الى انقسامها نهائياً ، تبعاً لنضارتها واصالتها ، إلى دورين :

الدور الأول : وعرف بعهد المترجمين الأوائل الكبار .

الدور الثاني : وعرف بعهد المترجمين الثانيين الصغار .

---

١ - في مضمار الثقافة والابداع حسبما نقصد .

الدور الأول ، عصر الترجمة الذهبي: الأعمال الأدبية الأولى؛ وأهم المترجمين الأرمن :

عرفت حركة الترجمة ، خلال هذا الدور ، الذي شهد العصر الذهبي للأدب الأرمني ، مترجمين كباراً أخذوا على عاتقهم مهمة نقل النصوص الدينية والأعمال الأدبية الرائعة للشعوب الأخرى إلى اللغة الأرمنية . . . ومن أهم الأعمال الأدبية المترجمة (وتراجمتها) كل من :

أ ـ ترجمة الكتاب المقدس :

والكتاب المقدس نفسه ، بما به من تعاليم دينية سماوية ، خلق موجة عارمة من الايمان في نفوس الأرمن ، وكان (كما أشرنا) السبب الرئيسي الذي دفع بميسروب وسحاق الى اختراع الأبجدية الأرمنية . إن هذا الكتاب كان العمل الأول الذي انصرف اليه هذان الرجلان مع مساعديهما كوريون ويزنيك .

ولهذا الغرض بعث ميسروب تلاميذه إلى اورفه EDESSA للتوسع والاستزادة في دراسة اللغتين السريانية واليونانية (اللتين كتب بهما الكتاب المقدس نفسه) ، كما أرسلهم إلى قيصرية CAESAREA ـ للغاية ذاتها ، مع تكليفهم بمهمة اختيار المخطوطات وجلبها معهم . وعقيب عودة هؤلاء عمد ميسروب إلى ترجمة نصوص الأنجيل والتوراة المكتوبة بالسريانية ، الا انه وجد هذه الترجمة غير مرضية ، مما دفعه إلى اعادة ترجمتها ، ولكن هذه المرة عن نصوص إغريقية وصلته من القسطنطينية مباشرة .

وكانت أول فقرة ترجمت منه هي امثال النبي سليمان ، ويبتدىء بها الإصحاح الأول منه ، وهي « لمعرفة الحكمة والأدب ، ولإدراك أقوال الفطنة وتأديب المعرفة والحكم والاستقامة » . وقد جاءت هذه الترجمة آية في الإبداع وما زالت محفوظة حتى اليوم [١] .

---

١ ـ بدأت هذه الترجمة عام ٤٠٥ ميلادية وانتهت عام ٤٤٠ ، اي انها استغرقت ٣٥ عاماً .

وهكذا كان هذا العمل خاتمة عهد الكرابـارالمكتوب[1] الـذي يعتبـر العصر الذهبي للأدب الأرمني عمومـاً وليس لحـركة الترجمـة وحسـب ، ووفـق ما تذكره المصادر التاريخية فقد امتـد هذا العصرمن عام ٤٠٥ ميلادية وحتـى نهـاية القـرن الخامس الذي اعقبه عهد الانحطاط والتقهقر : بالنسبة للغة والأدب .

ب ـ ترجمة الكتب الدينية :

وتبع ذلك ترجمة الطقوس الدينية ، مثل ترجمة الجزء الأول من كتاب التاريخ الكنسي . THE CHRONICLE لمؤلفه ايوسيبيوس EUSEBIUS . وأيضـاً كتـاب بطريرك الأسكندرية المعروف باسم ـ دحض تعريفات المجمع الخلقدوني ـ لمؤلفه ايليروس ، وكتاب هيبوليتوس المسمى شروحات على منح البركة للنبي موسى .

جـ ـ ترجمة الكتب غير الدينية :

ولم تقتصرحركة الترجمة هذه (القـرون ٥/٦/٧) على الكتـب الـدينية بل تعدتها الى مواضيع متعددة ذات صبغات مختلفة ومن ذلك :

ـ كتاب غراميات الأسكندر لمؤلفه بسيودو كاالليستينيس .

ـ كتاب قواعد ديو نيسيوس ، وكتاب « ابحاث ودراسات » جودايوس .

د ـ ترجمة الكتب الفلسفية :

ثـم تناولـت الترجمـة أعمال العـديد من الفلاسفـة ، سيما منهـم فلاسفـة الأفلاطونية المحدثة NEO PLATONIC (وهومذهـب نشأ في القرن الثالث للميلاد

---

١ ـ عرفت اللغة الأرمنية غير المكتوبة باسم « الكرابار » ، وعقيب اختراع الأبجدية الأرمنية تحولت هذه اللغة الى « الكرابار » المكتوب . وقد مر هذا الأدب « الكراباري بثلاث مراحل :

١ ـ المرحلة الأولى ـ مرحلة الكرابار او الكلاسيكية ،واستمرت حتى القـرن التاسـع عشر ، وكانـت الأديرة والكنائس مراكز انطلاقها .

٢ ـ المرحلة الثانية ـ مرحلة اللغة (الكرابار) الوسط بين اللغتين الفصحى والعامية ، وظهرت بوادرها في القرن الحادي عشر .

٣ ـ المرحلة الثالثة:وهي مرحلةاللغة (الاشخارابار) الأرمنية المتداولة في وقتنا الحاضر ، ولكن بصيغة متطورة .

وعدل في الفلسفة الأفلاطونية بحيث تنسجم مع المفاهيم الأرسطوية والشرقية . . . وقد تصور أصحاب هذه الفلسفة العالم فيضاً منبثقاً عن الذات الالهية التي تستطيع الروح الاتحاد بها في حالة الانجذاب الروحي) . . . وذلك مثل أعمال الفيلسوف بورفيري PORPHYRY وبروبوس PROBUS وديودوخوس DIODOCHUS وغيرهم . أما أرسطو ARISTOTLE فانه كان أوسع الفلاسفة تأثيراً على الفكر الأرمني ، وقد شملت الترجمة مؤلفاته فيما وراء الطبيعة METAPHYSICS ، والتحليلات المنطقية والهندسية ANALYTICS ، والمقولات CATEGORIES (مقولات أرسطو العشر المعروفة) . وكذلك أعمالاً اخرى عادية له .

واذا أردنا أن نعدد أهم تراجمة [1] هذا العهد نجد أمامنا :

- ميسروب ماشدوتس : مخترع الأبجدية الأرمنية ومترجم الكتاب المقدس .
- سحاق بارثيف : المترجم الحقيقي للكتاب المقدس . لوحة رقم ٢١
- يزنيك كوغبانسي : مؤلف كتاب نفي الطرائق .
- يغيشه : مؤلف كتاب تاريخ وارطان ومعارك الأرمن ، (تاريخ حرب افاراير) .
- غوريون : تلميذ ميسروب وأحد تراجمة الكتاب المقدس .

وما يجب ذكره هنا ، ما دمنا بصدد الحديث عن الترجمة ، هو الاشارة إلى تلك الحركة التي رافقت هذا النشاط الأدبي ونعني بها احداث المدارس في أرمينيا الفارسية والبيزنطية ، والتي خلقت جيلاً أدبياً نهض بالعلوم الأرمنية وآدابها .

وتمت هذه الخطوة على يد ميسروب الذي بجهوده ، ورحلاته ، قدر أن يحوز موافقة ملوك بيزنطة والدولة الساسانية على انشاء هذه المدارس التي كان أولها مدرسة فاغار شاباد VAGHARSHAPAT ، ثم أعقبتها مدارس أخرى وصل عددها الى ٢٥٠ واحدة .

---

١ - لم يقتصر هؤلاء على الترجمة بل تعدوها الى التأليف . وأكثر من هذا فان مؤلفات يزنيك قد ترجمت الى اللغات الروسية والأفرنسية ، اما يغيشة فقد ترجمت مؤلفاته الى الأفرنسية والانكليزية والايطالية والروسية .

- الدور الثاني : دور التراجمة الثانيين.

ويطلق هذا الأسم على جميع الأدباء(المترجمين) الذين جاؤوا بعد الرعيل الأول من المترجمين ، أي عقيب حواريي ميسروب (إن صح التعبير) الذين عددناهم . وقد امتد هذا الدور على مدى القرون التالية .

٢ ـ حركة التأريخ:

كانت الخطوة الثانية للأدباء الأرمن ، وقد أمنت لهم حركة الترجمة هذه ، تحت تأثير اختراع الحروف الهجائية الجديدة ، سيما منها ترجمة الكتاب المقدس والكتب الدينية الأخرى ، تثقيف الشعب وتعريفه بحقيقة الديانة المسيحية التي بات يعتنقها الآن عن قناعة ونتيجة بحث وقراءة ، مما عنى عملياً ابعاد شبح عودة الوثنية عن أرمينيا ، وبالتالي منع ذوبان الشخصية القومية للأرمن في بوتقة المحاولات الفارسية لتأرين الأرمن (جعلهم ايرانيين) . . . نقول كانت الخطوة التالية لهؤلاء الأدباء هي تعريف الأمة الأرمنية بتاريخها نفسه ، سواء القديم منه أو المعاصر ، ليزداد ايمان أفرادها بذاتيتهم رسوخاً تجاه المحاولات الفارسية (وحتى البيزنطية) المستمرة لاذابة الأمة الأرمنية بالتحديد . . . وهو ما تولاه جملة من المؤرخين كان من أشهرهم :

أ ـ المؤرخ اكاثنكيولوس AGATHANGELUS : وكان من المؤرخين الأرمن الأوائل الذين اهتموا بالتأريخ للحوادث المعاصرة (القرن الرابع والخامس الميلادي) . وهكذا وجدناه يكتب مؤلفه المعروف : تاريخ تحول أرمينيا بواسطة القديس كريكور المنور (أي تحول ارمينيا عن الوثنية ودخولها المسيحية) .

ب ـ المؤرخ قوريون GORYUN : الذي عاش في منتصف القرن الخامس الميلادي وكتب ترجمة (سيرة) استاذه ميسروب والمعروف باسم « حياة ميسروب » وأورد فيه معلومات تاريخية عن مراحل التبشير بالنصرانية في أرمينيا وعن اختراع الأبجدية الأرمنية .

ج ـ المؤرخ يغيشه EGHISHE : الذي شهد معركة افارايز(٤٥١ ميلادية) وترك كتاباً باسم : تاريخ وارطان ماميكونيان (قائد هذه المعركة) غطى فيه تلك الفترة من التاريخ الممتدة بين أعوام ٤٣٠ ميلادية وحتى عام ٤٦٥ ميلادية وكان الفصل الذي أولاه المؤلف عنايته هو الفصل الخاص بمعركة افارايز، المذكورة :

د ـ المؤرخ غازار باربيتسي GHAZAR PARPETSI : الذي أرخ للفترة الممتدة بين عام ٣٨٤ م وحتى عام ٤٨٥ في كتابه « تاريخ واهان ماميكونيان » .

هـ ـ المؤرخ زينوب ده كلاك ZENOP DE CLAK : ووضع كتابه المسمى « تاريخ دارون » وتناول فيه شرح الصراع الذي قام بين الوثنيين والمبشرين المسيحيين الأوائل في أرمينيا .

و ـ المؤرخ موسيس الخوريني MOSES OF KHOREN : وكانت له اهداف ذات مطامع أوسع من المؤرخين الأرمن الذين سبقوه . فقد وضع كتابه المعروف « تاريخ الأمة الأرمنية » الذي تناول فيه الحوادث التي شهدتها أرمينيا قبل عام ٤٤٠ ميلادية (ويرجع به الى اكثر من ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد) ، حيث نسب الأرمن الى يافث بن نوح ، كما وعدد السلالات الملكية الأرمنية بدءاً من هاييك أبي الأرمن (كما استعرضناه فيما سبق) وحتى عام ٤٤٠ ميلادية .

ويمتاز هذا التأزيخ بكتابته الأنيقة وباستخدام الأسلوب الشعري في سرد الحوادث ، الا أنه في الوقت نفسه يحتوي بعض الأخطاء ، كما يبتعد في أوقات أخرى عن الدقة ، وخصوصاً فيما يتعلق بتقسيم الزمن الى فترات ، أو تعيين التواريخ الدقيقة للأحداث وترتيبها وفقاً لتسلسلها الزمني .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الأفرنسية ضمن مجموعة لانجلوا الخاصة بمؤلفي الأرمن . . . كما أن الجزء الخاص بالجغرافية منه نقله الى الالمانية ماركارت مع تعليقات نفيسة .

ولد هذا المؤرخ في أواخر القرن السادس الميلادي في قرية « خورين

KHOREN » التي ينسب اليها من أعمال ولاية موش MUSH ، وسافر إلى أثينا ، وفيها اتقن اللغة اليونانية ، ودرس الفلسفة والتاريخ ثم عاد إلى أرمينيا ليضع تاريخه المذكور الذي اتفق المؤرخون الأرمن والأجانب على اعتباره واحداً من أهم الأعمال الأدبية للأمة الأرمنية . ويؤكد هذه النظرة ترجمته إلى الإفرنسية (كما أشرنا) ، والى السويدية على يد برنير BRENNER ، ثم الانكليزية ، واللاتينية ، والالمانية (د . لاوير) ، والروسية ، والرومانية .

وخلال القرون التالية (بعد القرن الخامس) ، استمر التأريخ يشغل حيزاً متقدماً واهتماماً واسعاً من الانتاج الأدبي في أرمينيا . . . كما واستمر سيل المؤرخين ينهمر مثل :

ز ـ المؤرخ سيبيوس SEBEOS : ووضع « تاريخ هيروكيوليس » الذي وصف فيه بالتفصيل غزو العرب لكل من الدولتين الفارسية والبيزنطية وذلك على امتداد الفترة التاريخية التي تنتهي في كتابه عند عام ٦٦١ ميلادية .

حـ ـ المؤرخ غوفون GHEVOND : ويصف بالتفصيل أيضاً احتلال العرب لأرمينيا من عام ٦٦١ م وحتى عام ٧٨٨ ميلادية .

ط ـ المؤرخ اريستاكس ARISTAKES : وقد شهد غزوات السلجوقيين لأرمينيا ، وتاريخه هو مصدر هام عن كل من الامبراطورية البيزنطية والدولة الأرمنية ، وهو واحد من عدد من المؤرخين الذين لمعوا في القرن العاشر والحادي عشر .

وما عتم الأمر بالمؤرخين الأرمن أن انطلقوا إلى التأريخ عن العالم نفسه وليس عن أرمينيا وحسب . . . وظهر هؤلاء خلال حكم الأسرة الباقرادونية .

٣ ـ الحركة العلمية :

ظهرت الموضوعات العلمية التي بحثت في الطبيعة والجغرافية والرياضيات على يد العلماء الأرمن بدءاً من القرن السابع الميلادي . وكان من أبرز هؤلاء :

أ ـ حنانيا شيراكاتسي : ولد في قرية انانيا ANANIA في مقاطعة شيراك SHIRAK وكتب أولاً في الفلسفة ، ثم انصرف الى الرياضيات « ام العلوم كلها » كما يقول . ولرغبته العارمة في اكتساب هذا العلم ، فقد سافر إلى ترابيزوند (بأرمينيا) ، حيث مكث ثمانية أعوام درس خلالها على يد استاذه تايثيكوس علم الأعداد « الرياضيات » ، كما قرأ جميع الكتب والمخطوطات التي حوتها مكتبة هذا المعلم والتي لم تتم ترجمتها الى اللغة الأرمنية . لوحة رقم ٤٣

وعندما عاد الى موطنه وضع كتباً من تأليفه شملت مختلف العلوم ، من الحساب ، وعلم الأوزان ، والمقاييس ، والرياضيات ، والجغرافية ودوران النجوم . . . كما الف عن تعاقب الليل والنهار ، ثم خلص الى نتيجة ذكية جداً وهي دوران الأرض حول الشمس (وليس العكس كما كان سائداً وقتذاك ، وكما تأكد منه العلم في القرن السادس عشر - أي بعد عشرة قرون) .

ولأنانيا كتاب مشهور هو « العوالم والأفلاك » ترجم الى الروسية عام ١٩١١ ، ثم نقل منها الى مختلف اللغات العالمية .

ب ـ جون دياكون JOHN THE DEACON : واسمه الأصلي هو اوهانيس ساركافاج . وضع عدداً لا بأس به من الأبحاث والدراسات التي تناولت المواضيع الرياضية ، كما وأدخل اصلاحاً على التقويم الأرمني (الروزنامة) . وقد تلقى هذا العالم دروسه الأولى في دير هاكوباد ثم غادرها الى آني (عاصمة الباقرادونيين) ودخل مدرستها العليا للعلوم . وفي هذه الجامعة اتقن الحساب وعلم الفلك والجغرافية .

جـ ـ كريكور باهلفوني (ماجستروس) G. MAGISTROS : ودرس مؤلفات العالم الكبير حنانيا شيراكاتسي ، كما استعان بالمخطوطات العلمية وترجم بعضها . . . اهتم بالعلوم الرياضية ووضع سلسلة من الأبحاث التي غطت مختلف فروع هذا العلم .

٤ ـ الشعر :

بعد القرن السابع خمدت الحركة الأدبية في أرمينيا نتيجة الظروف السياسية والدينية التي سادتها حتى القرن العاشر، عندما ظهرت طبقة الشعراء اللاهوتيين (نسبة لكون شعرائها من رجال الدين أنفسهم) . وقد أعقب هؤلاء الشعراء القيثاريين (الغنائيين) في القرون الوسطى :

١ ـ الشعراء اللاهوتييون : ومن أبرز هؤلاء كل من :

أ ـ غريغوار دو نارك (غريغوار ناريكاتسي) .

ب ـ نيرسيس شنورهالي (الممتلىء نعمة) .

جـ ـ نيرسيس لامبرو ناتسي .

أ ـ الشاعر اللاهوتي غريغوار دونارك GRIGOR OF NAREK ٩٤٤ ـ ١٠١٠ :

لوحة رقم ٧٣

ويعتبر واحداً من أعظم الشعراء الأرمن . ومؤلفه « كتاب الصلوات » يعد بدوره واحداً من أهم التآليف في القرن الحادي عشر ليس في أرمينيا بل والشرقين الأدنى والأوسط معاً . ويضم كتاب الصلوات هذا خمساً وتسعين قصيدة تبدأ كل منها بهذه العبارة :

« مناجاة من أعماق القلب الى الله القدير » . . .

ونقدم فيما يلي ترجمة احدى هذه القصائد الخمس والتسعين وهي بعنوان « الغرق » [1] الصلاة الخامسة والعشرين :

ـ ١ ـ

ولكن ،

١ ـ كتاب الصلوات لغريغوار ناريكاتسي هو رائعة ادبية نقلها عن الأرمنية إلى الفرنسية الأب سبحاق كيشيشيان اليسوعي بعدما استغرقت منه ١٤ عاماً من الجهد. ثم قام الأب جورج عقل بترجمة القصيدة التي أوردناها اعلاه.

بما أن تعاسات جمة ،
الواحدة أقسى من الأخرى ، قد انقضت علي ،
انا ، اتعس الناس وأشقاهم ،
وقد وصفت ، بكلماتي السابقة ،
بعض مشاهدها وظروفها ،
لذلك ، فلا أبدل الآن الا صورة كلامي ،
أما النحيب على ماصار ، فلا أبدله .

- ٢ -

حقاً أن مجرى حياتي الأرضية
يشبه كثيراً بحراً صاخباً
فيه ، ضربات الأمواج الغفيرة ،
تؤرجح نفسي ، في هذا العالم ،
بسبب جسدي ، كأنها في زورق ،
النبي أشعيا استخدم هذا المثل ،
ليصور نهاية اورشليم غير المنتظرة
ونهاية السامرة ، وخرابها ،
على أيدي أشقياء من آشور .
فأنا لا اغلط ، اذا استعملته أيضاً لأصف دمار نفسي :
بينما كنت سائراً غير مبال بشيء
وبطمأنينة ، لا ترتاب لشيء ،
اذا بشك خفيف في الخطر ،
خطر على بالي ،
بين الراحل والعمل ،
كشتاء في وسط صيف ،

موجة مثلثة ، وباعصار شديد
قد بلبلت راحتي .

- ٣ -

لذلك تحت طرقات الأمواج الجامحة
تحطم المركب .
فتهدمت عوارضه ،
واقتلع الصاري من أساسه،
وتمزق الشراع تمزيقاً ،
فالسفينة الزاهية فقدت جمالها ،
والحبال المشدودة تقطعت .

- ٤ -

هذا الغرق أصبح لي ،
مذكرة للوجيب .

وقد وصل هذا الشاعر بأسلوبه الرائع الى ذروة الكمال ، كما امتاز بعباراته الرقيقة والفاظه الفصيحة .

وهو أيضاً الشاعر الأرمني الأول الذي استخدم في شعره كلمات « الفاتنة » والحب » و« الجمال » .

ب ـ الشاعر اللاهوتي نيرسيس شنورهالي (الممتلىء نعمة والحامد)
NERSES THE GRACIOUS

أسماه الأرمن شنورهالي اي خارق النبوغ اعترافاً بجودة قريحته وعظمة براعته في النظم ، ويعتبر أيضاً من أبرز شعراء القرون الوسطى .

كانت أهم قصائد الكاثوليكوس نيرسيس تلك التي تناولت التراجيديا

ومن أبرز اشعاره في هذا الصدد «مناحة اورفه» THE ELEGY ON THE TRAJEDY FALL OF EDESSA . . . وفي مطلع هذه القصيدة ينادي نرسيس مقرات البطركيات الخمس (الاسكندرية، القسطنطينية، انطاكية، القدس، روما) لندب مصير اورفه (اديسا) التي سقطت بيد العدو؟؟ . .

ونورد فيما يلي - كما درجنا في هذا الفصل، بغية اطلاع القارىء على حقيقة الأدب الأرمني - بعضاً من أبيات هذه القصيدة [1] :

اتلوا بنواح وعويل . .
ابكوا للفظائع . .
بأنين الليالي . .
أورفه أصبحت،
مدينة ايتام . .
تستدعي رحمة الأنام،
بأنينها الشجي،
بجذعها العاري . .
الأمن حجاب ممزق،
كله حرقة وجوى . .
ينادي بأنين عال :
لقد قطعت شعرها،
تفجعاً على فردوسها . . . (إلى اخر القصيدة) .

وكان الجثليق نرسيس من الداعين إلى استخدام اللغة العامية ومجانبة اللغة الكلاسيكية . والجدير بالذكر أن القصيدة المذكورة تتألف من ٤٠٠٠ بيت شعري ارتجلها ارتجالاً، وهو لذلك يعد من أعظم شعراء الكنيسة .

---

١ - نقلاً عن كتاب تاريخ الأدب والثقافة الأرمني للدكتور استارجيان .

ج ـ الشاعر اللاهوتي نيرسيس لامبروناتسي NERSES, LAMBRONATSI ١١٥٣ ـ ١١٩٨ :

من شعراء الدولة الأرمنية في كيليكيا ، أسماه الرومان « بولس الثاني الرسول » اطراء لسمو اخلاقه وشخصيته الناسكة .

ومن آثاره « الوقائع التاريخية » و « مجموعة الخطب » وبعض الكتب الفلسفية .

٢ ـ الشعراء القيثاريون [١]

وهم شعراء القرون الوسطى . ظهروا عقيب الغزوات المغولية القاتلة . ورغم أن هؤلاء قد تمسكوا بأهداب النظم والقافية على طريقة الشعراء اللاهوتيين ، الا أنهم في الوقت نفسه قد أدخلوا الى شعرهم ، وبالتالي إلى الشعر الأرمني ، عناصر جديدة لم تكن معروفة في السابق ، كالغزل والوصف بحيث خرجت عن نطاق الدين .

وتاريخياً تواجد هؤلاء اعتباراً من القرن الثالث عشر وحتى القرن السادس عشر ، حيث مثلت هذه الفترة من تاريخ الأرمن الأدبي أعظم مراتب ازدهار الشعر الأرمني في القرون الوسطى . ومن هؤلاء :

١ ـ الشاعر فريك : FRIK : وهو شاعر غير اكليركي (علماني) ، عاصر غزوات المغول للوطن الأم (ارمينيا) . وتبدو في أشعاره صفات التمرد على نظام الاقطاع ، وعلى بعض التقاليد القديمة.ومن شعره قصيدته المعروفة باسم شكاوى للفلك ، فيما يلي بعضاً من أبياتها :

« ايتها المقادير ، انت تهبين دون دراية ،
فالدني الجاهل تمنحينه كل نفيس غال!!

١ ـ استعرنا هذا اللفظ من الدكتور استارجيان : تاريخ الأدب والثقافة الأرمني ص : ٤٩ . وكذلك اقتبسنا القصائد التي اوردناها تحت هذه النبذة من الكتاب المذكور .

بينما تطردين الصالح الى البوادي القاحلة ، دون أمل :
وتحلين فارس رعاة الخنازير بالهيبة والوقار . .
بينما دار العظيم الظافر تصبح قاعاً صفصفاً ؟
تلك الصور العظماء الفضلاء . .
بل ومؤمنين بيوم الدين . .
لقد اصبحوا رفاتاً وعظاماً تحت الثرى !!
وصاروا طعام الديدان ؟
لقد فني الجميع . . . فأين طريق الجنان ؟

وكتب فريك أكثر من ألف بيت في موضوعات اخلاقية واجتماعية وفلسفية .

٢ ـ الشاعر قسطنطين يرزنكاتسي : يحتل هذا الشاعر مكان الصدارة بين زملائه الشعراء القيثاريين . ويعتبر أول شاعر ارمني طرق الغزل والحب ففتح هذا الباب لمن جاء بعده .

وقصيدته الربيع تغلب عليها الروح العلمانية ، وتذهب بعيداً عن الايمان . وهي تتألف من ٧٠ مقطوعة فيما يلي بعضاً منها :

« كسيت الأرض بربيع أخضر زاه . .
وتهللت الزهور بألوانها الرائعة . .
وشدت الطيور بالحان السماء . .
على القمم المهيبة العالية . .
وزهت الروابي بورودها . .
فكأن العالم دوحة كبرى . .
وأخذت الطيور تسبح للخالق . .
وتغرد للحب الذي بثته القلوب . .
في بواكير الصباح البهيج . .

لتنفي الوسن عن النوام
منشدة غرامها بتراتيل مأثورة .

وأشهر شعراء هذا العهد أيضاً كل من : اراكيل باغيتشي ، وكلرديج ، وأوهانس يرزنكاتسي ، وكريكور اغطامارتيس وغازاروس سيبسداتزي ، ونرسيس وارطابيد وغيرهم .

ويمكن للقارىء الكريم أن يتابع النهضة الأدبية للأرمن خلال القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر في الباب الخامس من هذا الكتاب .

ولكننا قبل أن نختتم هذا الفصل نرى أن نتحدث قليلاً عن كل من الكنيسة الأرمنية ومنظمة المخيتاريست اللتين لعبتا دوراً بارزاً في حياة الأرمن على الصعيدين الأدبي وحتى القومي .

دور الكنيسة الأرمنية في حفظ الأدب الأرمني وتطوره :

لوحة رقم ٤٧

لم تكن الكنيسة (الأديرة) الأرمنية تؤدي وظيفتها باعتبارها المقر الديني للمؤمنين وحسب ، بل كانت في الوقت نفسه وعلى مدى تاريخ الدولة الأرمنية ، بل وحتى بعد سقوطها ، بمثابة المراكز والبؤر الحضارية التي انطلقت عبر أبوابها اشعاعات الأدب والثقافة سواء في العهود التي شهدت ازدهار ارمينيا ، أو التي كانت فيها خاضعة لنفوذ الأجنبي .

فمن هذه الكنائس بالذات ظهر ميسروب وسحاق ونرسيس شنورهالي وغريغوار دونارك وغيرهم . . . ومن المعاهد اللاهوتية التي الحقت بالكنائس الأرمنية تخرج الكثيرون مثل حنانيا شيراكاتسي وجون دياكون وغيرهم . . . وفي المكتبات التي احتوتها هذه الأديرة درس اغلب عظماء الأرمن وأدبائهم وشعرائهم ومثقفيهم وترجموا كتب افلاطون وأرسطو .

فلنتذكر دائماً اذن المعهد اللاهوتي لدير سيونيك ودير تاتيف ودير كلادزور ومكتبة هاغباد ومكتبة آني ولنقل مع نرسيس الممتلىء نعمة :

« لقد كانت الأديرة هي القلاع التي صدت الغزاة وحمت ارمينيا وكانت مراكز الاشعاع للأرمن على مدى تاريخهم » .

دور منظمة المخيتاريست :

ترجع هذه المنظمة في اسمها الى مؤسسهـا مخيتيار سيباسـداتسي (١٦٧٦ - ١٧٤٩) ، وثمة تشابه كبير بين هذا الرجل وميسروب ماشدوتس فيا قدماه للأرمن من خدمات حفظت أدب هذه الأمة وقوميتها . لوحة رقم ٢٦

ولد مخيتيار عام ١٦٧٦ ، وظهرت عليه علامات النبوغ منذ كان في الخامسة . كفله أحد القساوسة وتعهده برعايته . وما أن شب حتى كان مليئاً قلبه بالإيمان ، فانتسب الى سلك الرهبنة ، ثم ارتأى تشكيل منظمة روحية لتثقيف امته عن طريق العلم والايمان . . . ولهذا الغرض سافر الى القسطنطينية وباح لعالمها (خاجادور) بأفكاره هذه ، فلم يلق لديه تجاوباً . . . فانصرف للعمـل بمفـرده ووضـع حجـر الأساس لمنظمة المخيتاريست عندما استطاع اقناع بعض الشباب الأرمن باراثه . . . وعندما اتهم بالكثلكة فر بعض اتباعه الى جزيرة الموره (في اليونان) ، ثم لحق بهم حيث أخذ الموافقة على تأسيس منظمته .

بقي هذا الرجل اثني عشر عاماً في هذه الجزيرة انشأ خلالها كنيسة ومكتبة في القصر الذي وهب له . . ولكنه ترك كل آثاره وأعماله الأدبية والدينية عندما اجتاح الأتراك هذه الجزيرة وفـر معهـم الى فينيسيا حيث عاد وأسس معهـداً جديداً عام ١٧١٥ ، ثم نال الموافقة على انشاء دير في جزيرة سان لازار الحق به معهده العتيد ، ولكنه سرعان ـ بفعل بعض الوشايات ـ ما اضطر إلى الهرب مجدداً ، ولكن إلى روما هذه المرة ، وهناك أعلن البابا صدق ايمانه ، وسمح له بالعودة الى سان لازار .

وفي هذه الجزيرة ، ومن معهدها انطلق مخيتار وتلامذته يعملون : يؤلفـون ويترجمون ويطبعون الكتب . وما لبثت هذه المنظمة ان اتسعت مع مرور الزمن حتى اضحت ، وحتى يومناهذا، احدى المراكز التي تنتشر منها الثقافـة الأرمنية الى لوحة رقم ٤٥

مختلف الدول التي يوجد فيها أرمن .

ثمة الكثير يمكن قوله هنا عن هذا المعهد وأعماله ، ولكن يكفي القول أن اثمة الادباء الأرمن قد تخرجوا منه ، مثل جاميجيان واينجيجيان وافكريان وكاجوني وآرسين باقرادوني ، الى اخر هؤلاء الأدباء الذين سترد سيرتهم في الباب الخامس .

إحصاءات أدبية من تاريخ الدولة الأرمنية :

كانت مكتبة هاغباد وحدها تضم ١٠٠٠٠ مخطوطة ارمنية ، وثمة ٢٤٠٠٠ مخطوطة ارمنية أيضاً محفوظة في مكتبات العالم ، رغم ضياع وطن الأرمن والكوارث السياسية والقومية التي مرت بهم .

ومن هذه المخطوطات رقية(مخطوطة) تزن ٣٦ كغ ، واخرى بحجم علبة ثقاب وزنها ١٩ غراما فيها ١٠٣ رقوق مزينة برسوم يدوية دقيقة يعود عهدها الى عام ١٤٣٤ .

* * *

الفَصْل الثالث

التركيب الطبقي والحياة الاجتماعية في أرمينيا وكيليكيا
- البنية الاقتصادية -

من الممكن القول بصورة عامة ، أن التقدم السياسي والأدبي والفني ، لدى دولة ما، يلعب دوراً بارزاً في تحديد شكل وطبيعة النظام الاجتماعي السائد في هذه الدولة ، بل وحتى في احداث تحوير وتطور ملموس في التركيب الطبقي القائم في هذا البلد .

وما يؤكد هذه النظرة ، ملاحظة ما يلحق الفرد الواحد ضمن المجتمع المعني ، اذ تؤدي هذه المنجزات المتقدمة الى تقوية الشخصية الذاتية لأفراد المجتمع الواحد ، كما وتبرز استقلالهم ، في الوقت الذي تمدهم فيه بأفكار جديدة ومعطيات اقتصادية تؤمن استقلالهم المادي ، الأمر الذي ينفرهم من سيطرة رجال الاقطاع وحتى في ابداء الرغبة الحقيقية بالتملص من نفوذ رجال الأكليروس أنفسهم .

ومن هذا المفهوم المبدئي نستطيع أن نتتبع مراحل نظام الاقطاع FEUDAL SYSTEM والتركيب الطبقي الذي عرفته ارمينيا على مدى تاريخها ، وذلك عبر توغلنا في تمحيص والتقاط التطورات التي لحقت بهذا النظام عبر العهود الزمنية للدولة الأرمنية سيما منها تلك التي عرفتها خلال فترات استقلالها الأولى وحتى الخامسة [١] .

---

١ - ونقصد بها الممالك الأرمنية الخمس المستقلة أي : المملكة الأرمنية الأولى (اليروانتية)، المملكة الأرمنية الثانية=

إلا أنه يجب أن يبقى واضحاً ، أن هذا المفهوم الكلي ـ رغم التحويل الذي يحدثه في المجتمع الواحد بفعل التقدم الحركي المادي منه والمعنوي ، وفق ما المحنا اليه اعلاه ـ لا يعني بالضرورة صيرورته الى نسف التركيبة الطبقية بكاملها واستبدالها بواحدة مغايرة [1] .

وما نستطيع تأكيده بشأن هذا المفهوم والتحولات التي أحدثها في البنية الاجتماعية للدولة الأرمنية ، فانه يمكن القول ، وبكثير من الثقة ، انه قد تم بدوره بهدوء وبعيداً عن مثل هذه الانفجارات والثورات ـ انظر الحاشية ١ أدناه ـ وهو ما سوف تؤكده النبذات القادمة من هذا الفصل .

وبموجب المعنى المتقدم فاننا سنعالج الآن الموضوعات التي يحملها عنوان هذا البحث وفق الترتيب التالي :

١ ـ تطور التركيب الطبقي ونظام الاقطاع في ارمينيا خلال عهود الاستقلال الأربعة ـ الممالك الأرمنية الأربعة .

٢ ـ تطور التركيب الطبقي ونظام الاقطاع في كيليكيا ـ المملكة الخامسة .

٣ ـ مظاهر الحياة الاجتماعية اليومية في الدولة الأرمنية الأم وفي كيليكيا على مستوى البلاد والشعب خلال العهود المذكورة .

٤ ـ البنية الاقتصادية لهذه البلاد في الوطن الأم (ارمينيا)، والوطن الجديد (كيليكيا) .

١ ـ نظام الاقطاع وتطوره في أرمينيا :

يمكننا أن نتتبع مراحل تطور هذا النظام وفق التسلسل الزمني التالي :

(الأرداشيسية) ، المملكة الأرمنية الثالثة (الأرشاغونية) ، المملكة الأرمنية الرابعة (الباقرادونية) ، المملكة الأرمنية الخامسة (الروبينية ـ في كيليكيا) .

١ ـ كما حدث بالنسبة لثورة العبيد على يد سبارتاكوس، أو في عهد الثورة الأفرنسية ، وهي حالات غير محدودة في أسبابها ونتائجها .

أ ـ نظام الاقطاع والتركيب الطبقي: خلال حكم الأسرة اليروانتية الأرمنية وتحت نفوذ الأسرة الأخيمينية الفارسية (المرزبانية الأرمنية ٥٥٠ـ ٣٣١ قبل الميلاد):

المعلومات التي توفرت حتى هذا الوقت لدى الباحثين والمدققين التاريخيين حول طبيعة النظام الاجتماعي والتركيب الطبقي خلال حكم الأسرة الأخيمينية THE ACHAEMENIDS للدولة الأرمنية، ما زالت شحيحة ونادرة، وبالتالي غير كافية لتوضيح صورة وطبيعة هذا النظام بشكل متكامل.

ومع هذا يمكن التأكيد، تبعاً لحداثة الدولتين، الفارسية والأرمنية، خلال تلك السنين التي سبقت الميلاد ـ ٥٥٠/ ٣٣١ ـ ان هذه الدولة الأخيرة (الأرمنية)، باعتبارها احدى المرزبانات(المقاطعات) الفارسية الأحدى والعشرين، كانت تتركب في نظامها الاجتماعي من الطبقات التالية:

ـ على قمة الهرم الاجتماعي يأتي المرزبان نفسه الذي كانت تعود اليه مقاليد الإدارة والولاية في مقاطعته (الدولة الأرمنية) بما يشبه التفرد والمركزية. فقد كان هذا المرزبان يقطن في دار اشبه « بالقلاع » منها بالمساكن، ومن حوله عدد محدود من اخصائه من المستشارين والاتباع الذين يساعدونه في تسيير امور المرزبانية، سيما منها القضايا المالية والعسكرية.

وعملياً لا يمكن تحديد نوعية الادارة أو شكل الحياة اليومية وحتى النمط الذي سارت عليه الأمور ضمن هذا « المقر الحكومي »، إن صح التعبير، وإن كان بالامكان القول أن ثمة عزلة من نوع ما كانت تحيط بهذا المرزبان جعلته بعيداً عن الشعب الذي يحكمه « اسمياً ».

ـ ويلي هذا الوالي في الأهمية الاجتماعية والتركيب الطبقي للمجتمع الأرمني القديم، رؤساء القبائل الأرمنية المنتشرة ضمن حدود الدولة التي ينتمون اليها. وكان هؤلاء يقيمون بدورهم في « بيوت محصنة » تفصلها الخنادق

المغمورة بالمياه عن بقية الرعية التي يديرون شؤونها . وحسب ما يرويه المؤرخان هيرودوتس واكزينوفون فان رؤساء القبائل المذكورين كانوا مسؤولين امام المرزبان SATRAP عن ادارة شؤون قبائلهم التي كانت تتألف بدورها من العديد من العشائر CLANS المكونة أيضاً من اجتماع عدد غير محدد من العائلات الأرمنية . وكانت هذه المسؤولية اكثر ما تبدو وضوحاً بالنسبة للقضايا المالية (جباية الجزية) ، وتسيير شؤون الحياة اليومية ضمن هذا المجتمع القبلي ، استناداً الى القوانين الموروثة (تسوية النزاعات بين العائلات العائدة لهذه القبيلة ، وتحديد حقوق والتزامات رؤساء هذه العائلات وأفرادها) ، وسن القوانين المحلية (التي تستدعيها الحالات المستجدة التي لم يكن لها أصول موروثة أو محددة ، والتي تصلح لمعالجة هذه التكييفات واضفاء الصحة والترتيب عليها) الخ .

واكثر هؤلاء الرؤساء كانوا يتسلمون سدة هذا المنصب عن طريق الوراثة اباً عن جد ، إلا في حالات نادرة كان يقدر فيها بعض أفراد العائلات المنافسة من تنحية هؤلاء الرؤساء ، عبر سطوتهم الذاتية الخارقة واتساع نفوذهم المحلي ، والحلول مكانهم في حكم هذه القبيلة .

- ويأتي في الدرجة الثالثة ضمن هذا الترتيب الطبقي - غير المحدد أصلاً - رؤساء العشائر انفسهم الذين تناولت سلطتهم ، تحت نفوذ رؤساء القبائل ، عدداً معيناً من العائلات الأرمنية المتواجدة في منطقتهم ، بحيث انحصرت مسؤولياتهم في هذا الصدد ، في تلقي توجيهات رؤسائهم المباشرين - رؤساء القبائل - وتنفيذها وخصوصاً في حالات التعبئة العسكرية وتأمين الموارد المالية المطلوبة .

وفي الوجه المقابل، كانت سلطة رؤ ساء العشائر تمتد لتتناول أيضاً، حق ابداء الرأي والتحكيم في المشاكل والنزاعات المحلية ومحاولة ايجاد الحلول لها - مباشرة - دون الرجوع الى رؤساء القبائل أو المرزبان .

وفي هذا المجتمع الثلاثي التركيب ، كان الفلاحون والعمال اليدويون ، يشكلون سواد الشعب ، والطبقة الرابعة والأخيرة في الكيان الاجتماعي الأرمني .

وبشكل اكثر تحديداً كانت الطبقتان الثانية (رؤساء القبائل) ، والثالثة (رؤساء العشائر)،مكلفة بتأمين الالتزامات التالية :

١ ـ جمع الضرائب العينية (جياد ، حيوانات ، مواد غذائية) ، والضرائب المادية (الذهب ، الفضة ، المعادن) ، وارسالها الى المرزبان ، الذي كان يقوم بدوره بإرسالها الى العاصمة الفارسية .

٢ ـ تأمين الجند والأسلحة والذخيرة اللازمة لهؤلاء في حروبهم ضمن جيوش الدولة الحاكمة (الفارسية) ، وحتى في حالات الدفاع عن النفس .

وحسبما ذكره اكزينوفون XENOPHON ، وكما أشرنا اليه في أماكن متفرقة من فصول هذا الكتاب ، فان هذه العشائر والقبائل قد أوجدت لنفسها عادات اجتماعية معينة تمثلت في :

أ ـ اشادة بيوت السكن الخاصة بأفراد المجتمع الأرمني تحت الأرض لاتقاء شر البرودة القاسية مع تصميم هذه البيوت وفق اشكال هندسية تسمح بايواء سكانها في قسم محدود منها ، مع تأمين اقامة قطعان الماشية ـ العائدة للعائلة الواحدة ـ في القسم الآخر من هذه الدور .

ب ـ الاهتمام بالزراعة باعتبارها مورداً معاشياً على جانب عال من الأهمية يؤمن للسكان المحليين تسديد الضريبة العينية المفروضة عليهم ، وكذلك المقايضة بمنتجاتها للحصول على احتياجاتهم من الماشية والمصنوعات الضرورية . وقد بدا هذا الاهتمام عملياً عبر انصرافهم الى انشاء مشاريع الري واقامة السدود النهرية (مستفيدين في ذلك من خبرة اسلافهم الأورارتيين في هذا الصدد) .

وبديهي أن يترتب على هذا الانصراف الكلي للزراعة بروز عادات

اجتماعية محدودة بنوعية هذه الاهتمامات تماماً كما هو الأمر بالنسبة للمجتمعات الزراعية الرعوية .

٣ ـ تواجد عادات اجتماعية معينة ، كتناول الأنخاب بطريقة خاصة عند تناول المشروبات الروحية ، سيما الجعة منها ، التي كانوا يعبونها (يشربونها) بواسطة عصاة طويلة مجوفة تشبه ما نعرفه اليوم باسم « الشلمون » وهو ما أكده المؤرخ اكزينوفون نفسه في كتابه الأناباسيس.

٤ ـ وضع انظمة اجتماعية متطورة تتماشى مع مختلف النشاطات الحياتية لهذه الأمة « الزراعية » في حالات الزواج والطلاق والنصر واعلان الحرب وحالات الحضور الى المرزبان والاحتفالات والأعياد الخ .

أما في عهد الأسرة البروانتية (تحت نفوذ الأسرة الأخمينية) . . وكان قد مضى الآن على تشكل هذا التركيب الطبقي البدائي ، ونشوء هذه العادات الاجتماعية ، قرن ونيف من الزمن . . فقد بدأت الأحوال الاجتماعية بالتغيير . .

اذ ان صيرورة ارمينيا مركزاً متوسطاً لتجارة فارس مع دول ما وراء القفقاس وبلاد ما بين النهرين وحتى اليونان وروما وسورية ، قد دفع بالثروات للدخول الى ارمينيا مما أثر في هذا البنيان الاجتماعي بشكل ملحوظ :

ـ فالمرزبان الآن (عام ٤٠٠ ق . م) اضحى وبشكل دائم من الجنسية الأرمنية التي ينتمي اليها الشعب الذي يحكمه ، وهو بسبب هذا التجانس العضوي والعنصري ، اضحى اكثر اختلاطاً وأبعد انفتاحاً عن تلك العزلة التي عاشها المرازبة القدماء بفعل التراكمات الاجتماعية الابتدائية التي عاصرها المجتمع الأرمني القديم .

وبهذا المعنى وجدنا هذا الحاكم ، يقوم بزيارات تفقدية كان يغادر فيها « قلاعه » ومراكزه الحكومية لحضور الاحتفالات الدينية والاجتماعية التي كانت تجري لهذه المناسبة (زواج) ، أو تلك (مصالحة أو فض نزاع) ، كما كان يقوم

بجولات متتابعة على رؤساء القبائل والعشائر الأرمنية وحتى افراد هذه المجتمعات بحيث أخذ يبدي اهتماماً أكبر بمشاكلهم ، ويساعدهم على تنمية مشاريعهم وقدراتهم . . كما أن طموح هؤلاء الولاة الشخصي ، جعلهم أكثر استقلالاً وانفراداً في الحكم عن الولاة السابقين في علاقاتهم مع الدولة الفارسية .

ومما ساعدهم على اتباع هذه الخطوات ، تقدم المجتمع الأرمني نفسه الذي اضحى الآن أكثر وعياً وتماسكاً على المستويات الاجتماعية والفكرية والحضارية نتيجة استكمال وسائل تشكلهم ، وأيضاً تبعاً لاحتكاكهم بشعوب الدول المجاورة .

- وكان من الطبيعي،أن ينعكس هذا الدور الذي لعبه هؤلاء الولاة،على اتباعهم ورؤساء القبائل والعشائر،وبالتالي على الأفراد الذين يشكلون المجتمع الأرمني بكامله .

- وهكذا رأينا اهتمام هؤلاء الآخرين،(سواد الشعب الأرمني)،بجمع الثروة،وتأمين المؤونات الغذائية،وحتى الانتقاص احياناً من حكم الثالوث الذي يحكمهم (المرزبان ، رؤساء القبائل ، رؤساء العشائر) ، وعلى حكامهم الفرس انفسهم - تحت قيادة بعض قادتهم القوميين - (وذلك في الحالات التي كانت فيها الالتزامات المفروضة عليهم من الأعلى أوسع من قدراتهم على تنفيذها ، أو عندما تثور العزة القومية في صدورهم الى حدود الهيجان الشعبي المتكون عن ذلك التمازج الاجتماعي المندفع ، بتواتر متصاعد ، ومتآزر ، من قبيلة لأخرى ، ومن عشيرة لثانية) قد أخذ ابعاداً جديدة غير معهودة سابقاً .

وجاء هذا كله بالطبع نتيجة التقدم الفكري وحتى الأدبي والسياسي الذي أصاب المجتمع الأرمني القديم تبعاً لتأثيرات الحضارة الفارسية من جهة ، وابداعات الدولة الأرمنية الجديدة عبر تمازجها واحتكاكها مع المجتمعات المجاورة واطلاعها على تنظيماتها وتصوراتها بهذا الخصوص من جهة ثانية .

وبشكل عام فان بدء تشكل نظام الاقطاع في الدولة الفارسية ، في هذه الفترة من عهد الدولتين ، ونموه في الأولى بشكل اكثر تركيزاً وتكاثفاً ، تبعاً لنفوذ هذه الدولة السياسي - الحضاري الأقوى . . قد لحقه من جهة ثانية ، بدء تشكل نظام مماثل لدى الدولة الأرمنية على مستوى أقل تقدماً ، وان كان هذا النظام نفسه قد بدا أكثر نضوجاً ووضوحاً في الفترة التالية : عهد الملكية الأرمنية الأولى .

ب - نظام الاقطاع والتركيب الطبقي في عهد الأسرة اليروانتية : المملكة الأرمنية الأولى ٣٣١ - ١٨٩ قبل الميلاد ، تحت نفوذ السلوقيين الأغريق :

كان لارتقاء الدولة الأرمنية من مصاف المرزبانية أو الاقطاعية ، إلى رتبة المملكة (عام ٣٣١ ق . م) ، تأثير بين في ترتيب الأوضاع الاجتماعية التي سادت هذه « المملكة » ، سواء لجهة تركيبها الطبقي ، أو تبعاً لطبيعة النظام الاجتماعي الذي تحولت اليه عبر هذه الخطوة السياسية ، خاصة وانه قد مضى الآن على تشكل هذا التركيب الطبقي الذي مررنا به ، وتلك العادات الاجتماعية البسيطة والمحدودة بالأرضية التي استندت اليها تبعاً للطابع الذي اكتسبته خلال الفترة السابقة ، قرنين أو اكثر من الزمن ، حيث بدأت الآن الأحوال الاجتماعية بالتغيير والتبديل .

فالملك الآن ، وهو رأس النظام الاجتماعي الجديد ، أضحى أكثر اعتداداً بأهمية مكانته السياسية والاجتماعية ، وبالتالي بات عليه اتخاذ خطوات مدروسة على مستوى التنظيم المتبع في دولته .

وبديهي أن يبدأ الملك هذه الخطوات ، تحت دافع هذه التحولات ، بإحداث التغييرات المطلوبة في بلاطه بالذات . وهكذا رأينا البلاط الأرمني ، متأثراً بالعوامل المترسبة عن هذا التمازج الفارسي - الأرمني السابق ، مضافاً اليها تلك التفاعلات الإغريقية التي هبت على دولته اثر اجتياح الاسكندر المقدوني وقواده لبلاده ، أن يسبغ على هذا البلاط « الصبغة الملكية » الحقيقية التي تفصله جذرياً عن المرحلة السابقة التي كانت فيها دولته مرزبانية عادية . . وكان هذا ممكناً في جملة من الخطوات :

١ ـ توسيع مراسم الاستقبال لدى البلاط وتحديدها وتنظيمها لتصبح أكثر أبهة ورسوخاً ، إذ أوكلت هذه المهام إلى عائلات ارمنية شكلت بدورها حاشية الملك ، كما وتألفت أيضاً من أمراء واشراف العائلات الأرمنية (الذين سيتمتعون على مدى حياة الدولة الأرمنية بهذه الامتيازات الوراثية) .

٢ ـ زيادة النفوذ المركزي للملك ، وبالتالي صيرورته ممسكاً بالنظام السياسي للدولة الأرمنية ، الذي أخذ يتسع تدريجياً مع هذا التحول الاجتماعي ـ السياسي ، بحيث اضحى الملك هو رأس نظام الأقطاع نفسه ، ومن حوله حاشيته من الأشراف والمستشارين والاداريين . وأكثر من هذا بدأ بعض ملوك هذه الأسرة ، بدافع من هذا التحول(كأرتاميس واكسيركسيس)بصك نقود خاصة بهم تمثلهم كملوك لأرمينيا ، المجتمع الجديد بين دول الشرق الأوسط ، وبالتالي تثبت انفرادهم وابتعادهم عن ذلك النفوذ السلوقي الذي خضعوا اليه مكرهين .

٣ ـ كما أن لغة البلاط ، الذي تمسك بعادات البلاطات المماثلة في الممالك الأخرى المجاورة ، اضحت اللغة الأغريقية ، أي لغة الدولة صاحبة النفوذ غير المباشر على « المملكة الحديثة » .

وأكثر من هذا فقد عُثر في ارمافاير ARMAVIR على مدونات يونانية تؤكد ما ذهبنا اليه من استخدام اللغة اليونانية لدى العرش الأرمني على مختلف « طبقاته » ، الملك والأشراف والمستشارين . كما أن الكتابات التي عثر عليها في عام ١٩٢٧ قد ترجمت على انها تحمل رسالتين من ميثراس MITHRAS الكاهن الأكبر لمعبد الشمس ، الى أخيه الملك يروانت الأول (٣٣١ ق . م) . تضمنت الأولى نصائح للملك فيما يختص بالعبادات والطقوس الدينية ، أما الثانية فهي تلمح الى الوفاة الدرامية لهذا الملك .

ـ وضمن هذا التركيب الطبقي للمملكة الجديدة ، كان الأشراف ومعاونو الملك هم الطبقة الثانية في المجتمع الأرمني التي تمتعت بالامتيازات الواسعة في الدولة .

فهي من هذا الموقع السامي ، سيطرت كما وتملكت،اقطاعيات كبيرة وأرض واسعة اوكلت - برضائها - مهمة ادارتها الى « الأشراف الأدنين »، الذين توجب عليهم - استناداً الى هذه الوكالة - مهمة العناية بهذه « الممتلكات » ، وجباية ريعياتها ، وارسالها الى « الأشراف الأعلين » - اشراف البلاط - لقاء حصولهم على امتيازات معينة ومخصوصة تؤمن لهم موارد مالية معقولة وسيطرة مباشرة على طبقة الفلاحين والعمال ، بحيث شكلوا (الوكلاء) ، وتبعاً لهذا التسلسل الهرمي ، الطبقة الثالثة من المجتمع الأرمني الأول الذي بقيت منه ثلاث طبقات اخرى :

- طبقة التجار وكبار المزارعين و « الأشراف الصغار » . . التي نعمت بالأرباح المادية التي امنتها لهم خدماتهم « المحدودة والمعينة » للطبقة الثانية ، طبقة اشراف البلاط ، وعبر النشاطات التجارية والاقتصادية التي كانوا يقومون بها بمبادهتهم الفردية التي جاءت تبعاً للدفع الجديد للدولة - المملكة الجديدة ، الأمر الذي أدى بدوره إلى توسيع نفوذهم الشخصي غير المباشر على الطبقات التي تعلوهم أو تليهم في الترتيب الطبقي نتيجة اقراضهم هاتين « الطبقتين الاجتماعيتين » بعض الأموال العينية وغيرها .

- طبقة الفلاحين والأقنان الذين كانوا مكلفين بزراعة الأراضي وحصاد المنتوجات،مع انفرادهم بحدود معينة من الاستقلال المادي والإداري في حدود القوانين الموضوعة لهذا الغرض،والتي بقيت بعيدة تماماً عن تلك التي وضعت في الامبراطوريتين الرومانية واليونانية بخصوص هذه الطبقة .

- والطبقة الأخيرة ، وهي في الحقيقة ، الطبقة المختارة ، التي تعادل في مكانتها وامتيازاتها بل وتفوق بنفوذها الشخصي امكانات طبقة الأشراف من « الدرجة الأولى - الأعلين - » ، هي طبقة رجال الدين وكهان المعابد الوثنية . . الذين كانت سطوتهم تمتد لتتناول - بتأثيراتها - الملك نفسه وبقية الطبقات الأخرى في المجتمع الأرمني .

وحتى هذا التاريخ (١٨٩ قبل الميلاد) فان ارمينيا لم تكن قد اخذت بعد

بنظـام الاقطـاع المعـروف بشكلـه المادي المحسـوس ، وكما عرفتـه ـ وقتـذاك ـ الامبراطوريتان الرومانية والفارسية ، وإن كانت بذوره قد بدأت بالبروز عبر هذه التقسيمات (الاثنوغرافية التي أشرنا اليها) ، والتي كانت في حد ذاتها النواة الأولى للنظام الاقطاعي المماثل لسميه ومجانسه الرومانـي والفـارسي الـذي سيبـرز الآن واضحاً في عهد الأسرة الأرداشيسية : المملكة الأرمنية الثانية .

جـ ـ نظـام الاقطـاع والتـركيب الطبقـي في عهـد الأسرة الأرداشيسية ARTASHESES : المملكة الأرمنية الثانية ١٨٩ قبل الميلاد ـ ١ ميلادية :

تماماً كالجنين الذي ينمو يوماً بعد يوم في احشاء الأم التي تحمله حتى يأتي اليوم الذي يتكامل فيه هذا الجنين ، ثم يبدأ المخاض الذي تعقبه الولادة والحياة . . . كذلك كان شأن نظام الاقطاع وحتى التركيب الطبقـي في حياة الدولـة ـ المجتمع الأرمني القديم .

فعلى مدى القرون السابقة كلها ، كان ثمة مخاض من نوع ما سرعان ما تولد عنه ، في عهد المملكة الأرمنية الثانية ، نظام وتركيب اجتماعي متكامل ومماثل ـ في خطوطه العريضة ـ لذلك الذي عرفته الدول ـ الامبراطـوريات القديمـة المعـاصرة للدولة الأرمنية (الفرس والرومان) .

فالدولة الأرمنية الآن (١٨٩ قبل الميلاد ـ ١ ميلادية) قد تخلصت من شوائب النفوذ المباشر وحتى غير المباشر للدول الأجنبية ـ من النواحي السياسية ـ على أراضيها. كما وتكاملتَ وحدتها وأنظمتها السياسية والإدارية والحضارية وحتى الاقتصادية ، مما عنى في الوقت ذاته ، لزوماً وانسجامـاً مع هذه الإنجـازات البنيوية الضرورية لنشوء الدول وتكاملها ، بدء ظهور نظام الاقطاع بالمعنى المعروف لهـذا النظـام في التركيب الاجتماعي في أرمينيا .

ولا أدل أو أكثر برهاناً على هذا القول ، والقبول به ، من تعداد الطبقات الاجتماعية ، التي تمـددت الآن ، تبعـاً لتسلسلهـا الاجتماعـي ، في عدد معـين من

الطبقات ، كانت كالتالي :

١ - الطبقة الأولى في هذا النظام الاجتماعي « الموروث » HIERARCHIC ORDER ، هي طبقة ما عرف باسم الباديشاه BDEASHKH الأمراء (دوقات الأرض) . . . وهي طبقة كبار الاقطاعيين الذين كانوا مكلفين - بحكم امتيازاتهم الواسعة - بالدفاع عن الأقاليم والمناطق الممتدة على طول الحدود الأرمنية ويمتلكون مساحات شاسعة من الأراضي والاقطاعيات فيها ، وبالتالي يتمتعون بامتيازات عديدة تضارع تلك التي كان يحملها الملوك الأربعة [1] FOUR KINGS الذين كانوا - مع طبقة البادیشاه - على حضور [2] دائم ومستمر في بلاط ملك ارمينيا ديكران الثاني الكبير (عميد الأسرة الأرداشيسية) . . . حيث كانوا - أي البادیشاه - يتولون نشر أحكام هذا الملك وتعميمها على الشعب .

وعقيب سقوط الأسرة الأرداشيسية سكتت المدونات التاريخية عن ذكر طبقة البادیشاه مما دل على انهيار نفوذهم مع تفسخ المملكة الأرمنية الثانية (الأرداشيسية) .

٢ - والطبقة الثانية في هذا النظام ، وهي التي تأتي من حيث الأهمية في المرتبة التالية ، هي طبقة الأشراف الأرمن التي عرفت باسم « الناخارار NAKHARAR » . وبسبب الدور الكبير الذي لعبته هذه الطبقة - على مدى تاريخ الدولة الأرمنية منذ نشوئها (نشوء هذه الطبقة) في عهد المملكة

---

١ - الملوك الأربعة هؤلاء ، حسبما يذكر المؤرخ المعروف بلوتارك PLUTARCH هم الملوك « السابقون » للدول التي غزاها ديكران الكبير الثاني وضم املاكها الى امبراطوريته ، حيث عمد دائماً وعلى مدى حكمه ، على ضمان وجود « اربعة ملوك » أسرى من هذه النوعية ضمن حاشيته لا يخرج الا برفقتهم بحيث يسير هؤلاء على ميمنته وميسرته بدافع شعور هذا الملك بعظمته وغروره الذي اتسع حتى تأكد عمليا عبر الأمبراطورية التي اسسها حقاً .
وقد كان هؤلاء الملوك ، رغم هذه الوظيفة « الوضيعة » التي الزموا بها ، يتمتعون بامتيازات رفيعة تتناسب مع مناصبهم السابقة ، كملوك .

٢ - راجع بخصوص هذه الطبقات كتاب : الأرمن - دير نرسيسيان الصفحة : ٥٤ .

الأرمنية الثانية ، مروراً بحكم الملوك الأجانب لأرمينيا ، ثم في عهود الحكم الفارسي المباشر للدولة الأرمنية ، وحتى خلال ازمان المملكتين : الثالثة (الأرشاغونية)،والرابعة (الباقرادونية) ،على المستويات الاجتماعية والسياسية والحضارية والقومية،نرى أن نؤجل التفصيل بشأن امتيازاتها وتركيبها الاجتماعي الى النبذة القادمة ، على أساس أن الطبقات الاجتماعية الأخرى التي برزت في عهد الأسرة الأرداشيسية كانت مرتبطة ، في وجودها ، بوجود الأسرة الأرداشيسية بالذات ، بحيث انتهى وجودها من تاريخ ارميبيا كلياً مع زوال هذه الأسرة .

٣ ـ أما الطبقة الثالثة في المجتمع الأرمني فهي تلك التي عرفت باسم : سيبوس SEPUS . وتأتي من حيث الترتيب الهرمي في المرتبة الثالثة بعد طبقة الناخارار . . وكان أفراد هذه الطبقة هم التلاميذ الأمراء في المدارس الحربية .

وتماماً ، كطبقة الباديشاه ، فقد تفسخت هذه الطبقة (الثالثة) عقيب سقوط الأسرة الأرداشيسية في السنين الأولى التي اعقبت الميلاد .

٤ ـ أما الطبقتان الرابعة والخامسة اللتان برزتا في عهد الأسرة الأرداشيسية فهما على التوالي : طبقة الرجال الأحرار AZATS ، وطبقة الأقنان والرجال العاديين المسماة راميكس RAMIKS .

وسوف ندرس هاتين الطبقتين مع طبقة الناخارار في النبذة التالية المستقلة نظراً لاستمرارية هذه الطبقات الثلاث على مدى حياة الممالك الأرمنية الثالثة والرابعة ، وما رافقها ، أو أعقبها من عهود سياسية مرت بأرمينيا .

د ـ نظام الاقطاع والتركيب الطبقي في عهد الأسرتين الأرشاغونية ARSACIDS ، والباقرادونية BAGRATIDS ، وأيضاً خلال ازمان خضوع أرمينيا لحكم الدول الأجنبية ١ ـ ١٠٧١م:

١ ـ الناخارار NAKHARAR :

شهدت المملكة الأرمنية الثانية نشوء هذه الطبقة الاجتماعية التي استمدت امتيازاتها الاقطاعية من كونها الورثة الأولين لأسر الأمراء الأرمن خلال عهد الأسرة الأرداشيسية . وكانت هذه الطبقة تشكل المجموعة الأكثر أهمية في النظام الاجتماعي الأرمني ، فضلاً عن كونها قد لعبت دوراً أساسياً بارزاً على مدى حياة البلاد السياسية (كما أشرنا) . وكانت اقطاعيات هذه الطبقة ، ذات حكم واستقلال ذاتي بحيث يمكن اعتبارها بمثابة الدولة المستقلة .

وكان النظام المعمول به لدى هذه الطبقة ينصرف الى تولية الابن الأكبر في العائلة (أو الأخ الأصغر فيما اذا توفي الابن الأكبر قبل أبيه ، أو كان الأول غير ذي أهلية) ، تقاليد الحكم في الاقطاعيات التي يملكونها .

وقد اعترف الملوك الأرمن (على مدى أسرهم الحاكمة) ، بحقوق طبقة الأشراف هذه « الناخارار » التي لا يمكن التصرف بها ، حتى في تلك الأوقات التي كان فيها هؤلاء الملوك يستولون أو يوقعون الحجز على الأراضي والاقطاعيات العائدة لهذه الطبقة . وما كان يجري في مثل هذه الحالات ـ بفرض وقوعها ـ هو اعادتها الى ورثة هذه العائلات .

وضمن املاكهم ، كان الأشراف الأرمن ، الناخارار ، يتمتعون بحقوقهم كاملة من النواحي المالية والقضائية والادارية ، كما كان لهم الحق في الاهتمام بقواتهم المسلحة وزيادتها ومراقبتها والسيطرة عليها كلياً .

وكان أفراد هذه الطبقة يقسمون ، بالمقابل ، يمين الولاء للملك بحضوره وحاشيته ، حيث كان الملك المعني يعطيهم عهداً بحمايتهم مقابل الخدمات التي كانوا يسدونها اليه .

ومن هذه الخدمات ، التي كان على الناخارار بذلها للملك ، التزامهم بتجهيز فرق الخيالة الملكية في أوقات الحروب،وارتباطهم بحماية بعض القلاع والقصور

العائدة للملك . . . وفي بعض الحالات ، اذا اقتضت الأمور ذلك ، كان عليهم السماح للقوات الملكية بأن تعسكر في قلاعهم وحصونهم بالـذات . وكان للملك الحق في أن يطلب منهم المساعدة المادية بالاضافة الى المساعدات العسكرية . . كما انه (اي الملك) ، في بعض المناسبات الخاصة ، كان يقوم بدعوتهم الى الاجتماع به لأخذ نصيحتهم ومشورتهم في بعض الأمور .

وعلى مدى هذه العهود من تاريخ ارمينيا ، ساهمت طبقة الأشراف الأرمـن (الناخارار) ، كما وشاركت في حياة القصر الملكي ، وفي الاحتفالات والأعياد التي كانت تجري في البلاد ، عدا انها تسلمت مقاليد الادارة في بعض المراكز المهمة التي كانـت تؤول اليهـا بالوراثـة . . ومـن ذلك مثـلاً أن عائلـة باقـرادونيان BAGRATUNI قد تسلمت منصب التتويج والمبايعة مما جعل هذا المنصب حكراً بها من دون بقية العائلات الاقطاعية الأخرى التي تألفت منها طبقة الناخارار .

أما عائلة ماميكونيان MAMIKONIAN الاقطاعية،فقد استلم افرادها ـ في أكثر أزمان وحياة الدولـة الأرمنية ـ وبشـكل شبـه دائـم ، القيادة العليا للجيوش الأرمنية . في حين ان عائلة جنيونيس GNUNIS كانت مسؤولة عن الشؤون المالية والاقتصادية وكان لقبهم هازرابات HAZARAPET ، إلا أن مكانتهم كانت أقل أهمية من اولئك الذين نصبهم الساسانيون (في الفترات التـي حكـم فيهـا هؤلاء ارمينيا) تحت اسـم هازاربداه HAZARBADH الـذين كانـوا في الحقيقـة بمثابـة رؤساء وزارات في المملكة الأرمنية .

أمـا ناظرو بيت المال THE GRAND CHAMBERLAIN ، واسمهـم : ماردبات MARDPET ، فقد عهد اليهم بادارة عقارات الملك نفسهـا ، وكذلك حصونه وكنوزه ، وفي الاشراف على شؤون البلاط الملكي وادارته .

ونظـرياً كان جميع افـراد طبقـة الأشراف الأرمـن « الناخـارار » NAKHARAR متساوين فيما بينهم ، اما من الناحية العملية فقد كان ثمة فروق واضحة تفصلهم عن بعضهم البعض . فالتعبير الناخارار الصغير NAKHARARS

JONIOR ، أو الناخـارار الأكبـر SINIOR NAKHARARS الـذي استخدمـه المؤرخون ، كان مستمداً في الواقع من أهمية الأملاك التي يحوزونها ، ومن حجم الجيوش التي كانوا يسيطرون عليها .

وهكذا فانه استناداً إلى معلومات دقيقة قدمها المؤرخون المعنيون بهذه الطبقة ، يمكن القول أن الناخارار الأكبر كان بامكانهم أن يحشدوا ١٠٠٠٠ حصان ، في حين كان القسم الأكبر ، وهم الناخارار الأصغر ليس بمقدورهم أن يحشدوا سوى ١٠٠ حصان - (أو فارس بالمفهوم الضمني لهذا التعبير) .

وكان نظام حضور الأشراف الى البلاط ، وتقديمهم فيه ، مستنداً الى نظام معين . إلا أن قائمة العرش الأرمني وهي المسماة جاهناماك GAHNAMAK ، التي كانت تحدد هذا النظام وتفصله ، قد جاءت ، لسوء الحظ ، مشوشة بسبب الانحرافات والتشعبات التي لحقت بها خلال نقلها من قبل بعض المؤرخين وذلك كلما سموا الأشراف الـ NAKHARAR ، الذين كانوا يدعون من قبل الملك .

ومن المعتقد أن نظام الحضور (الدعوة الى البلاط الملكي) ، قد تبدل شكله من وقت لآخر ، وذلك تبعاً لأهمية ونوعية العائلات ذات الشأن .

وقد مرت هذه الطبقة بمراحل تاريخية تفاوتت فيها اهميتها ومكانتها تبعاً للأحوال السياسية التي سادت أرمينيا :

فعقيب التقسيم الذي جرى عام ٣٨٧ م بين الساسانيين والبيزنطيين ، وكانت ارمينيا محلاً له ، فان طبقة الناخارار في القسم الفارسي ، بقيت متمتعة بامتيازاتها الطبقية الوراثية ومكانتها السياسية تبعاً لتجاوب النظام المعمول به لديها بمثيله المتبع في الدولة الفارسية . حيث استمروا (الناخارار) في تنمية قوة الفرسان الخاصة بهم . ولكنهم ، وباعتبارهم رعايا الملك الساساني ، فانهم كانوا ملزمين بوضع قواتهم تحت تصرف هذا الملك في أوقات الحروب .

ودامت العلاقات ودية بين هذه الطبقة والدولة الفارسية الى أن حاولت هذه

الأخيرة تغيير الديانة السائدة في أرمينيا (المسيحية) ، وعندئذ هبت العائلات الاقطاعية (الناخارار) ، وعلى رأسها عائلة ماميكونيان (وارطان ، وواهان ، كما مر معنا) ، الى مناهضة الفرس بل والدخول في حروب دامية ضدهم انتهت الى تثبيت المسيحية واستعادتهم لامتيازاتهم السابقة .

أما في أرمينيا البيزنطية (استناداً الى التقسيم السابق) ، فقد كانت سياسة الدولة البيزنطية ـ كما أوضحنا في حينه ـ متجهة نحو تدمير والغاء نظام الاقطاع الأرمني ، عبر تدمير طبقة الناخارار نفسها باعتبارها مراكز المقاومة الوطنية الأرمنية .

واذا سرنا بتاريخ هذه الطبقة نحو قرون أبعد ، أي الى عهد الأسرة الباقرادونية ، لرأينا (وفي عهد الملك سمباط ٨٩٠ ـ ٩١٤) ، نشوب خلافات حادة بين أفراد هذه الطبقة حول بعض الاقطاعيات . . . الا أن هذا الخلاف سرعان ما توقف تجاه العدو المشترك (السلاجقة) واتحدت كلمتهم ضد هؤلاء .

ويقول واحد ، فقد كانت طبقة الناخارار ، سبب قوة ارمينيا وضعفها في آن واحد . اذ كان الناخارار يحاولون التمسك بامتيازاتهم بشتى الأساليب ، وبالتالي نسيان مصالح الشعب الأرمني ككل أو الدفاع عنها ، وان كان تفرقهم هذا قد أدى بشكل أو آخر ، إلى منع الغزاة من احتلال البلاد بكاملها ، بسبب تحالفهم مع هذا الغازي أو ذاك . . . وكان من أمر هؤلاء الاقطاعيين لو تم توحدهم واندماجهم في كتلة واحدة ذات هدف واحد ، ترعى مصالح ارمينيا العليا وشعبها ، ما قد ادى بالتأكيد إلى دحر الغزاة وردهم عن أرمينيا .

٢ ـ الأزاتز (الرجال الأحرار) AZATS :

ظهرت هذه الطبقة ، وبهذا الاسم ، في عهد الأسرة الأرداشيسية . الا أنها استمرت في الوجود على مدى حياة الدولة الأرمنية بنفس التركيبة الطبقية التي بدأت بها ، وإن كانت تسميتها هذه قد تبدلت بين زمن وآخر .

والمهم أن طبقة الرجال الأحرار هذه شكلت الطبقة الرابعة في التركيب

الطبقي للمجتمع الأرمني . وكانت تتألف من النبلاء الصغار الذين كانوا يملكون اقطاعات صغيرة ضمن الدولة . وكان أفراد هذه الطبقة هم اتباع الملك أو أتباع الناخـارار ، وكانـوا يشكلـون قوات الخيالـة التابعـة للملك ، وحتـى الناخــارار أنفسهم . . وكان معظم مسؤولي البلاط ينتقون من بين أفراد هذه الطبقة .

وقد ساهم الـ AZATS ، كما وشاركوا ، في ادارة الممتلكات الأميرية . وفي بعض المناسبات كانوا يدعون للتشاور من قبل أفـراد الناخـارار ، تمامـاً كما كان هؤلاء الأخيرون يدعون من قبل الملك للغاية ذاتهـا . والجـدير بالـذكر أن هذه الطبقة كانت خاضعة للضرائب ، وإن كانت معفية من العقاب الجسدي أو المادي .

ـ الراميكس RAMIKS :

وهي الطبقة الأخيرة في التركيب الاجتماعي في الدولة الأرمنية . وكانت تضم الطبقة الفقيرة من سكان المدن والفلاحين والأقنان « شيناكانـز SHINAKANS » الذين كانوا مشدودين الى الأرض كعبيد ومماليك ، وإن كانوا في حد ذاتهم أحراراً .

وكان النظام الاقطاعي في عهود الدولة الأرمنية يسمح لهؤلاء الفلاحين بامتلاك الحيوانات والأدوات الزراعية اللازمة لهم . اما ظروفهم المادية فقد كانت متباينـة تماما ، ففي حين كان الكثيرون منهم يعيشون في فقر مقبول ، كان بعضهم الآخر ، قد حصل على بعض الثروة بسبب الأملاك التي اشتروها .

وهذا الوضع الاجتماعي المعتدل ، لهذه الطبقة ، التي شكلت غالبية الشعب الأرمني ، هي التي حالت دون حصول انفجارات اجتماعية شديدة التطـرف (كما أشرنا في مطلع هذا الفصل) .

وعلى كل فقد كانت طبقة الـ RAMIKS هذه تشكل ذلك الجزء من المجتمع الأرمني الذي يقع عليه عبء دفع القسم الأكبر من الضرائـب الى الدولـة . وقـد استخدم أفراد هذه الطبقة في مختلف الأشغال العامة كبناء الطرق والجسور والقلاع والحصون الخ . وفي أوقات الحرب كان هؤلاء الراميكس يشكلون فصائل المشاة ،

كما كان يتم تجنيدهم في الجيش دون أن يكون لهم الحظ في نيل الرواتب او المشاركة في الغنائم .

وبالنسبة للعبيد ، وحسبما دلت عليه الدراسات الحديثة ، فقد كانوا قليلي العدد ، وأكثرهم جلؤوا نتيجة اسرهم في حروب الدولة الأرمنية ضد الدول الأخرى .

طبقة رجال الدين :

في اوروبا لعب رجال الأكليروس والكنيسة دوراً دنيوياً مزدوجاً دفع بالكثير من المفكرين وحتى عامة الشعب ، سيما بسبب الامتيازات التي كانت تحوزها هذه الطبقة على الصعيدين الديني والدنيوي ، الى مهاجمة هذين الطرفين (الكنيسة ورجالها) ، وحتى اعلان الحادهم والمناداة بضرورة فصل الكنيسة عن الدولة .

ولا أدل على ذلك من الخطوات التي اتخذها نابليون وموسوليني ورجال ثورة اكتوبر الاشتراكية ومن قبلهم ملوك فرنسا والمانيا وغيرهم ، الذين أعلنوا بلادهم دولاً علمانية . . . أما في أرمينيا فان وضع الكنيسة ورجال الدين كان على العكس تماماً .

فقد رأينا ان الكنيسة الأرمنية كانت مراكز الثقافة وحفظ التراث الأرمني الروحي والقومي ، وأكثر من هذا فقد كانت هذه المقرات الدينية هي المحطات التي انطلقت منها الحركات الوطنية التي حفظت اللغة والآداب الأرمنية وحتى المحافظة على الكيان القومي للشعب الأرمني .

ولم تكن هذه الأدوار التي لعبتها الكنيسة الأرمنية رهناً بفترة زمنية من تاريخها أو تاريخ الدولة الأرمنية ، بل كان مبدأ عاماً احتضنته واحتوته على مدى القرون الممتدة بين دخول المسيحية (٣٠١م) الى أرمينيا ، وحتى القرن العشرين ، أي لأكثر من سبعة عشر قرناً .

وما يهمنا هنا دراسة دور الكنيسة ورجالها باعتبارها احدى الطبقات الاجتماعية

المنضوية في عداد التركيبة الطبقية للدولة الأرمنية .

لقد كانت سياسة الكنيسة ـ من وجهة النظر هذه ـ تهدف الى التقرب من سادة نظام الاقطاع . كما كان رجال الأكليروس يعتبرون أو يدخلون في عداد طبقة الأزاتز AZATS ـ الرجال الأحرار ـ ، أما الأساقفة BISHOPS فانهم ـ بحكم موقعهم الاجتماعي هذا ـ كانوا يقطعون الرهبان MONKS بعض « الاقطاعات » الصغيرة ، أو كان هؤلاء الرهبان يُقطعون نفس الأراضي من قبل رؤساء الأديرة MONASTERIES الكبيرة مقابل خدماتهم للكنيسة .

وكانت هذه الاقطاعات وراثية ، تماماً كتلك الخاصة بالناخارار ، أما اذا اقترف (الراهب ، الكاهن) غلطة أو هفوة من نوع ما ، فان الاقطاعة كانت تعود مباشرة الى الكنيسة .

وفي البدء اصبح الجثالقة « الكاثوليكوس » CATHOLICOS ، هم رؤساء الكنيسة الأرمنية . وكان هذا المنصب حكراً على سلالة كريكوار المنور GREGORY THE ILLUMINATOR . كما أن اعضاء الأسقفيات كانوا ينتخبون من بين النبلاء . وكان أعيان الجثالقة يتواجدون في البدء ضمن الأملاك الملكية ROYAL DOMAIN ، وما لبثت مقرات الأساقفة هؤلاء أن انتقلت إلى مقاطعات الأمراء الأشراف ذوي النفوذ ، حيث حملوا نفس لقب الإمارة التي كانوا يؤدون فيها شعائرهم الدينية .

وقد اعتبر الجثالقة دائماً القضاة الأعلين في المملكة . أما الأساقفة والرهبان فانهم كانوا يقومون بدور القضاة بالنسبة للقضايا العادية . وخلال القسم الأكبر من العصور الوسطى فان القوانين الوحيدة المكتوبة ، هي تلك التعليمات والقواعد التي رسمتها المؤتمرات (المجامع) الكنسية المتعددة . وقد تم تجميع الشرائع والقواعد الكنسية في القرن الثامن من قبل الكاثوليكوس جون اودزون وسجلت فيما عرف باسم كانو ناجيرك KANONAGIRK .

٢ ـ نظام الاقطاع وتطوره في كيليكيا:

مرت قرون عديدة بين نشأة نظام الاقطاع في أرمينيا وظهور مثيله في الدولة الأرمنية الجديدة في كيليكيا . ومن الطبيعي ـ عبر هذه القرون الطويلة ـ أن يتطور هذا النظام وأن يتأثر ، بفعل هذا التقدم الزمني وما رافقه من تبدل وتغيير في الأفكار والمعتقدات الفكرية للشعب المعني من جهة ، وبحكم الاحتكاك مع الشعوب الجديدة التي عاصرها الأرمن في وطنهم الجديد ، كالأفرنسيين والصليبيين والفرنك وحتى البيزنطيين والالمان والعرب، من جهةثانية . . وإن كانت الأسس الأصلية لهذا النظام قد بقيت قائمة بحيث لحق التعديل فقط شكل هذا النظام ومظاهره الخارجية ، دون تأثره من حيث المضمون بكل هذه التفاعلات ـ الا بحدود .

فنظام الاقطاع المعمول به في أرمينيا الأم ، ما لبث أن تعدل ، من وجهة النظر السابقة ، وتحت تأثير الصداقات والاحتكاك المباشر ـ كما المحنا ـ مع الفرانكس FRANKS . وهكذا لم يعد سادة الاقطاع ـ في كليكيا ـ الذين أسموا بالأمراء (السادة) BARONS ، هم الرؤساء الوارثين لاقطاعياتهم بعد أن جردوا من استقلالهم الذاتي .

أما بالنسبة للاقطاعيات الصغيرة فقد نظمت من جديد ، كما وحددت ترتيبات ادارتها وفق القوانين المعمول بها في أوروبا الغربية (بحكم الحملات الصليبية من طرف ، ووجود اللاتين والفرنكيين « الفرنسيين » من طرف ثانٍ) .

وبهذا التحديد ـ الطبقي ـ فقد اصبحت سلطة ملوك كيليكيا على باروناتهم ـ امراء الاقطاع الذين عادلوا طبقة الناخارار في أرمينيا ـ أكثر تمييزاً عما كانت عليه بالنسبة لملوك ارمينيا (في الوطن الأم) . . وأصبح لقب الملك الآن « ملك ارمينيا بعناية الله »، وهي العبارة التي اخذ الملوك الأرمن في كيليكيا ينقشونها على النقود التي يصكونها . . وهو لقب لم يكن معمولاً به في أرمينيا التاريخية .

وما تجدر اليه الاشارة ان هذه العبارة نفسها كانت تنقش على النقود الأرمنية

هكذا : « ملك ارمينيا بفضل الامبراطور الروماني » . ثم استبدلت بالعبارة السابقة نتيجة الخلافات المذهبية بين ملك ارمينيا الكبير ليون الثاني LEO II ، والبابا .

وما لبثت الدولة الأرمنية في كيليكيا أن شهدت - على غرار ما كان معمولاً به في أرمينيا الأم - احداث مناصب اجتماعية جديدة استمدت اصولها من جذور مثيلتها التاريخية (في ارمينيا)، ومن تلك المعمول بها في اوروبا .

وهكذا رأينا منصب المستشار CHANCELLOR يظهر إلى الوجود ، حيث كان يعمل تحت امرته العديد من المترجمين [١] والمستشارين الخاصين (الذين يتواجدون في بلاط الملك) . . . اما ضابط التحصيل (وهو ما كان يعادل في أرمينيا منصب ناظر بيت المال THE GRAND CHAMBERL AIN - ماردابات كما رأينا) فقد اصبح اسمه الآن - في كيليكيا - سينيسشال SENESCHAL ، وكان مسؤولاً عن ادارة القصر الملكي وأملاك الدولة .

وبالنسبة لقيادة الجيش (الذي تسلمته في ارمينيا عائلة ماميكونيان وفق ما أوضحناه آنفاً) ، فان القائد الأعلى اضحى اسمه هنا كونستابل CONSTABLE .

ومن ناحية اخرى فان رئيس البارونات THE CHIEF BARONS (وبالأرمنية : AVAK BARON) الذي عهدت اليه مهام ترؤس الاجتماعات الملكية (وهي المهام التي كانت محصورة بأسرة باقرادونيان في أرمينيا) فقد أصبحت سلطاته تفوق سميه (الأرمني القديم) والى حدود واضحة .

أما منصب التتويج ، الذي استلمته اسرة باقرادونيان أيضاً في أرمينيا ، ثم انهار، عقيب سقوط الأسرتين الأرداشيسية والأرشاغونية ثم الباقرادونية نفسها - ،

---

١ - ووجود هؤلاء المترجمين يظهر مدى التقدم الاجتماعي ، وحتى التحول الطبقي الذي عرفته الدولة الأرمنية في كيليكيا بحكم وصول الايطاليين والأفرنسيين والالمان والبيزنطيين اليها لاغراض تجارية وسياسية ، وما ينجم عن هذا الاحتكاك من تأثير ملموس على العادات الأرمنية ، كما سنرى بعد قليل .

فقـد اعيد الآن وبشـكل أوضـح وأكثر اتساعـاً بحيث اسمـي الان : تاكاتـير TAKATIR .

وفي المجتمع الأرمني الكيليكي ، كانت توجد طبقات اخـرى ، الى جانـب تلك الطبقات الثلاث (الملك ، الأشراف ، رجال الدين) وهي :

ـ الطبقة المتوسطة التي تألفت من التجار والبورجوازيين الصغار الذين تمتعوا بنفوذ مالي واسع نتيجة النشاط التجاري الفذ الذي عرفته كيليكيا ، كما سنرى في نبذة قادمة « البنية الاقتصادية » .

ـ طبقة الفلاحين والعمال والموظفين من ذوي الدخل المحدود الذين الفوا قاعدة الهرم الطبقي الذي شكلناه من الطبقات السابقة مجتمعة . وما يمكن قوله بشأن هذه المجموعة فيقتصر على الاشارة الى أن مستواها المعاشي ـ رغم انخفاضه النسبي عن ذلك الذي عرفته الطبقات الأخرى ـ فقد كان معقولاً ويسمح لأصحابه بالعيش بكرامة تبعاً للمداخيل الجانبية التي كانت تردهم عبر الخدمات التي كانوا يؤ ودنها اضافة الى وظائفهم الأصلية .

٣ ـ مظاهـــر الحياة الاجتماعية اليومية في ارمينيا وكيليكيا على مستـــوى البـــلاط والأشراف والشعب :

١ ـ مظاهر الحياة الاجتماعية اليومية في أرمينيا :

دعونا نستعرض هذه الحياة اليومية على مستوى البلاط وحضور الأشراف في هذا البلاط أولاً ، ثم على مستوى الأفراد والعامة من الطبقات الشعبية ، للمجتمع الأرمني ثانياً .

أ ـ مظاهر هذه الحياة على مستوى العرش والأشراف .

اذا رجعنا الى الوصف الذي أورده المؤرخون ، خاصة اسطرابون وبلوتراك بصدد المدن التي اشادها ملوك ارمينيا كعواصم لدولهم بشكل عام ، والى القصور

التي اقاموها دوراً لسكنهم بشكل خاص ، لرأينا :

١ ـ أن هذه المدن كانت تشاد في أماكن مختارة من البلاد سواء من حيث موقعها الجغرافي ، باعتبارها مركزاً متوسطاً يقدر من خلاله هؤلاء الملوك ادارة شؤون مملكتهم بسرعة ، ام من حيث طبيعة الأرض التي تبنى عليها هذه المدن التي كانت تمتاز دائماً بوجودها في مواقع محصنة طبعاً (على ضفاف الأنهار الضخمة ، أو على المرتفعات ، أو في البقاع المنتقاة بدقة بحيث يصعب الوصول اليها) .

٢ ـ كما وإن هذه المدن كانت تشتمل على :

ـ العديد من المسارح المعدة لتقديم الأعمال الأدبية المحلية والأجنبية باللغات الأرمنية والأغريقية .

ـ وبالقصور الفخمة والكنائس والأديرة والكاتدرائيات المزينة .

٣ ـ كما كان الملوك الأرمن يزرعون الغابات على اطراف هذه المدن ويربون فيها مختلف حيوانات الصيد .

٤ ـ اما قصور الملوك أنفسهم فقد كانت معدة وفق تصميم هندسي مدروس يسمح بالحاق مسرح خاص بهذا القصر وبقاعة كبيرة للاحتفالات ، وبعديد من الغرف الكبيرة (الصالونات) المزخرفة التي تصلح كندوات ادبية وثقافية بالاضافة الى قاعة العرش .

والآن ، فان هذا التقديم المبسط للكيفية التي كانت تتم بها اشادة المدن والقصور والغابات كفيلة باعطائنا فكرة عن الحياة اليومية لملوك الدولة الأرمنية والأشراف الأرمن . . .

فالصيد كان هوايتهم المفضلة (الملوك والنبلاء) للتسلية واللهو . وبجوار المدن التي اشادوها فان ملوك الأسرة الأرداشيسية والأرشاغونية قد زرعوا ـ كما ألمعنا ـ غابات كبيرة نشروا وأطلقوا فيها العديد من الحيوانات من مختلف الأجناس .

واستخدموا الصقور في رياضة الصيد . وقد رأينا الملك خسروف نفسه ٢٢٥ ـ ٢٥٠ ميلادية يقتل على يد اناك ANAK في احدى حفلات الصيد هذه .

اما المسرح فقد كان من وسائل تسليتهم المستحسنة ، وقد رأينا سابقاً أن مسرحيات سوفوكليس الرائعة في عهد ديكران الثاني الكبير كانت تعرض باستمرار ، وكذلك مسرحيات يوروبيدوس والأمير اردواست . كما كانت المسارح الأرمنية تقدم باستمرار المسرحيات الكوميدية والراقصة فضلاً عن المسرحيات والاستعراضات الغنائية والعروض الزاهية . وكانت هذه المسرحيات والعروض تجتذب حشوداً كبيرة من المتفرجين . وكان النبلاء بدورهم يقيمون الولائم والحفلات الفاخرة التي يحييها المهرجون والموسيقيون والراقصون. كما أن الشعراء اخذوا يقومون في قصور النبلاء بالقاء اشعارهم وقصائدهم على الحضور . وفي احدى هذه الولائم أو الحفلات قام أحد الأمراء بنفسه ـ كما يؤكد بلوتراك ـ بغرض تسلية ضيوفه ، بأخذ احدى القيثارات من أحد الموسيقيين ثم بدأ بالعزف عليها .

والجدير بالذكر أن هؤلاء النبلاء كانوا عندما يتوجهون الى الأديرة يصطحبون معهم الشعراء والموسيقيين بسبب شغفهم بالموسيقى والتسلية .

ولا أدل على ولع ملوك ارمينيا بمثل هذه العروض والفنون المسرحية ما رواه المؤرخون بمناسبة تلك المعركة التي وقعت بين القائد الروماني كراسوس عندما غزا بارثيا PARTHIA ، في عهد اردواست الثاني ٥٥ـ٣٤ قبل الميلاد ، والقائد البارثي سورين الذي انتصر على الأول وحز رأسه ثم أرسله الى الملكين الأرمني « اردواست » والبرثوي « يوروفنت » اللذين « كانا جالسين في قاعة مسرح ارداشاد (ارتاكساتا) يشاهدان تمثيلية « باكوسيانين » لمؤلفها المسرحي اليوناني يخريبدس » . . فلما وصل رأس كراسوس المقطوع امسك به الممثل الأرمني المشهور باسون دارلائي بطل هذه التمثيلية ورفعه عالياً ثم ردد الكلمات التالية من هذه الرواية ـ التي انطبقت على هذه الواقعة :

ـ « لقد جلبنا من الجبل صيداً عجيباً . . . لقد اتينا بقرون غزال مقتول . . . » .

وقد وصف المؤرخون قصر الملك كاكيك GAGIK الأرتسروني الذي بني فوق جزيرة اغطامار AGHT AMAR (في بحيرة وان VAN) بما ، يعطينا فكرة ملخصة عن هذه التجهيزات الزاهية والفاخرة التي زود بها ، وبالتالي يوضح لنا سير الحياة اليومية ، قياساً على هذا النموذج ، لملوك ارمينيا . فالجدران الرئيسية في هذا القصر قد احيطت بعدد من القباب الرائعة ، وكانت غرفه بكاملها مربعة الشكل زينت كل منها بغناء وسخاء ، حيث ان الغرفة الواحدة كانت تعلوها ـ أيضاً ـ قبة عالية مطلية بالذهب الذي كان يعكس اضواء لامعة وبراقة .

وفي هذا القصر قام المهندسون (الفنانون) بتصميم عرش الملك نفسه الذي جاء آية في الأبهة والفخامة اذ كان الملك (كاكيك) يجلس بكل وقار وقد احاط به عدد من الشبان الوسيمين . وفي مناسبات الأفراح كان يحضر الموسيقيون والراقصات الجميلات اللواتي كن يؤدين ادوارهن بنعومة وخفة ملحوظتين . كما كان يتواجد في هذه الحفلات التي كان يقيمها الملك رجال يحملون السيوف ومصارعون GLADIATORS يقوم كل منهم باداء دوره برشاقة ومهارة .

وبالإضافة الى ذلك ، وفي عهود ملوك آخرين ، كانت مجموعات الأسود والحيوانات المفترسة تدخل الحلبة ARENA الملحقة بالقصر كما يشاهدها الملك واتباعه حيث تجري حفلات قتال على غرار ما كان يتم في روما القديمة . . .

وكان للنساء أيضاً دورهن في المشاركة في حياة القصور الملكية وقصور النبلاء بالاضافة الى مساهمتهن في الحياة الاجتماعية بمختلف نشاطاتها . . . فقد كن يحضرن المسرحيات والعروض التي كانت تقام في مسارح مختلف المدن الأرمنية الرئيسية . . .

وكان هذا المجتمع الأرمني يقوم بعديد من رحلات اللهو والتسلية الى الريف مصطحبين معهم ندماءهم وحيواناتهم المستأنسة ، كما كانوا يقيمون الولائم والحفلات الرائعة التي يتم من خلالها تعارف السادة النبلاء على السيدات من

العائلات النبيلة أيضاً ، والتي كانت تنتهي ـ هذه الرحلات ـ في كثير من الحالات ، الى عقد مصاهرات بين أفراد هذه الطبقة .

وكانت التقاليد السائدة في ذلك الوقت تسمح للرجال والنساء على حد سواء بالتزيين وارتداء الألبسة الفخمة التي تتسم بزهاوتها ونماذجها الخاصة التي ما زالت بعض العائلات الأرمنية ـ حتى اليوم ـ تحتفظ بآثار معينة من تصمياتها .

ب ـ مظاهر هذه الحياة (الاجتاعية) على مستوى العامة من الشعب :

اختلفت الحياة اليومية للشعب الأرمني ، في شكلها وطريقتها عن تلك التي عرفها النبلاء في القصور الملكية وغيرها ، رغم أن هؤلاء (سواد الشعب) كانوا يحضرون بدورهم تلك المسرحيات التي ذكرناها فضلاً عن مشاهداتهم للحفلات الدامية للمصارعين والمهرجين التي كانت تجري ايضاً على المسارح العامة ـ الى جانب المسارح الملكية .

فقد كانت الحياة اليومية للطبقة الشعبية تسير على وتيرة معينة ، اذ كان هؤلاء ، عقيب انتهائهم من اشغالهم اليومية ، يأوون الى دورهم للراحة والقيلولة ، ثم ينصرفون بعدها الى حضور الحفلات التي كانت تقام لمناسبات متعددة ، كالزواج والأفراح والمصالحة . . . بالاضافة الى الاجتاعات والندوات اليومية التي كانت تضم العديد منهم ، وفيها كان يجري الحديث بينهم حول مشاكل الدولة والعلاقات الشخصية العادية .

وما يهمنا هنا بالنسبة لحياة العامة في ارمينيا التاريخية هو وصف « نشاطاتهم » خلال « مناسبات معينة» ونقصد بها الأعياد القومية والدينية .

ففي عيد ناواصارت، كان الفتيان والفتيات ، يراقبهم ذووهم عن قرب ، يرقصون بشكل جماعي وهم يرافقون موكب نوح وطوركوم ومانيدون وعجلاته المحملة بالثمار اللذيذة لتقديمها الى المذبح الالهي .

وكان عيد ناواصارت هذا ، واحداً من أعظم الأعياد القومية لدى الأرمن القدماء ، اذ كانوا يمضون ـ حين حلوله ـ بالمئات بل والآلاف الى باكاوان في ولاية

لوحة رقم ٢

موش للاحتفال بعيد رأس السنة وتقديم الشكر للاله الأرمني « فانادور » عبر توزيع أفخر فواكه ارمينيا له وأجمل ورودها وأزهارها . وكان يحضر الاحتفال بهذا العيد جميع افراد الشعب الأرمني الذين تطلق اياديهم الاف الحمائم اكراماً للاله (اصدغيك)وأيضاً تنثر - هذه الأيادي نفسها - الورود على بعضها البعض حتى دعي هذا العيد باسم عيد الورود .

وعلى هذا النحو كانت طبقات الشعب (العامة) بمجموعها تقضي سبعة ايام بلياليها ونهارها ، يغنون ويرقصون . . . حيث كان يشترك المغنون (الشعبيون الآن) ، والمغنيات بأحلى الحانهم ، وينشدون الأشعار في تمجيد الجدود الأسطوريين الأعلين للأرمن (هاييك وآرام وديكران الأول وفاهاكن الخ . . .) ، ويشيدون ببطولة ارداشيس الأول وبسالة ديكران الثاني .

وكانت تنظم في هذا العيد سباقات الخيل والعاب الفروسية والمسابقات الرياضية التي ينضم اليها جميع أفراد الشعب الأرمني ، ومن ضمنها الألعاب الأولمبية نفسها OLYMPIC (التي نشهدها في عالمنا اليوم) . وكان الصيد (والآن على مستوى الشعب) يحتل مكاناً بارزاً حيث كان يقوم أمهر الرماة باستعراض مهاراتهم أمام الجميع . وكانت تمنح للفائز جوائز عديدة أهمها قبلة من تلك الحسناء التي ينتخبونها كأحلى فتاة في هذا العيد .

وكانت الظباء والغزلان وماعز الجبل تطلق من اقفاصها لتطاردها مجموعات الشبان الأرمن المهرة ، الذين كانوا يرمون صيد « قبلة اخرى » أو ابتسامة أحلى من هذه الحسناء أو تلك ، أكثر من رغبتهم في صيد وامساك هذه الحيوانات الوديعة . . .

وكانت الفتيات الحسناوات بدورهن يرقصن ، من أجل هذا الحبيب ، أو ذاك ، بأثوابهن المزركشة وحلاهن الماسية والذهبية تتراقص حول اجسادهن الفاتنة التي كانت تجتذب عيون الفتيان « المساكين »الذين لا يلبثون بدورهم ان ينخرطوا في هذه الرقصات وقد اختار ، واخترن،بعضهم البعض .

وإذا انتهى العيد عاد ، الجميع ، وثمة الكثير الذي يمكن أن يقوله كل من هؤلاء « العامة » في الأيام والليالي التاليات ، وحتى يحين موعد هذا العيد في العام القادم .

٢ - مظاهر الحياة الاجتماعية في كيليكيا على مستوى العرش وعامة الشعب:

اتخذت الدولة الأرمنية في كيليكيا اكثر مظاهر الحياة الاجتماعية التي سادت الوطن الأم والتي استعرضناها آنفاً .

إلا أن الأرمن في هذه الدولة الجديدة قد أدخلوا تقاليد وعادات جديدة لم تكن معروفة سابقاً لدى انسبائهم ارمن « ارمينيا » .

فقد ادخلوا الآن نظام الفروسية وذلك على عادات الفرنكين FRANKS، ومن هذا القبيل أن الملك ليون الثاني LEO II (عندما كان أميراً) سمي فارساً CHEVALIER من قبل بيهموند الثالث BOHEMOND III أمير انطاكية . وبترقي كيليكيا الى مصاف المملكة ، قام الحكام الأرمن (النبلاء) بمنح هذا الشرف إلى رعاياهم ، وحتى في مناسبات معينة الى بعض الأمراء .

وهكذا فانه في عام ١٢٧٤ كان امير انطاكية المذكور قد سُمي فارساً من قبل ليون الثاني (الفارس) . وكان يرافق مراسيم « رسم الفرسان » احتفالات وأعياد جميلة . ومن هذا القبيل أن الملك هيتوم HETUM عندما أراد عام ١٢٥٦ أن يرسم ابنه الأكبر ليون LEO فارساً ، فانه دعي لهذه المناسبة ، كلاً من شقيقته اميرة « يافا » ، وصهره بيهموند السادس (امير انطاكية) ، وكونت طرابلس ، وجوليان امير صيدا مع زوجاتهم ، بالاضافة الى العديد من رجال الدين وغيرهم .

وكان من الطبيعي أن يرافق احداث هذا التقليد ، اقامة حفلات خاصة لهؤلاء الفرسان لابراز مواهبهم . ومن ذلك ما كان يجري في عيد ايبناني حيث كان

الملك يمتطي جواداً مطهماً أبيض اللون ويحيط به العـديد من الفرسـان التوتـونيك (الالمان) ، ومن بعدهم كان يتقدم ركب الأمير روبين (ولي عهد الملك) محاطاً بالنبـلاء والجنـود ، وهـم يحملـون الأعـلام والـرايات ، ثم يليهـم رجـال الأكليروس . . . حتى يصل الجميع إلى شاطىء النهر حيث يغطس الصليب في الماء ثم تقام عقيب هذا الاحتفال ولائم عظيمـة تقـدم خلالهـا عروض تمثيلية وغنـائية متنوعة .

وبسبب تأثر أرمن كيليكيا بعادات الفرانكس FRANKS (الأفرنسيين) ، فان ملوك كيليكيا ما لبثوا ان هجروا الأزياء التي اقتبسوها عن الفرس والعرب معاً . وتم ذلك في بداية ونهاية القرن الثاني عشر . ويمكننا أن نستنتج حصـول هذا التحول من خلال الرسالة [١] التي بعث بها رئيس الأساقفة نرسيس (الجثليق) الى الملك ليون الثاني LEO II .فنـرسيس الذي تعرض للنقد بسبب ادخاله الطقوس اللاتينية الى احتفالات الكنيسة قد كتب في هذه الرسالة ما يلي :

« تماماً كما امرتنا أن نرضخ الى تقاليد آبائنا ، وأن نتبع كذلك تلك العادات التي كان يأخذ بها أجدادنا . . . فاننا نقول : لا تذهب عاري الـرأس ، كأمـراء وملوك اللاتين ، الذين ، كما يقول الأرمن ، لهم مظهر غير محبب . ولكن ارتـد الشرباش SHARPASH (زي وطني أرمني) كأجدادك . . ودع شعـرك وذقنـك تنموان مثلهم . البس الطارا TURA (قبعة للرأس) العريضة الصوفية واتـرك الوشاح والعباءة » .

وقد أبدى الملك ليون اهتماماً خاصاً فيما يتعلق بتنظيم وتصـميم بلاطـه على الطراز الفرانكي . كما أدخل العديد من الألقاب والرتب التي اطلقها على وظائف ومؤسسات معينة في بلاده ، وأيضاً على المسؤولين عن هذه الادارات .

---

١ - راجع بخصوص هذه الرسالة وبعض المعلومات الواردة في هذه النبذة كتاب DER NERSESSIAN, THE ARMENIANS P47.52 .

واكثر ما يبرز ارمينيا الكيليكية ، تلك النقود التي صكها ملوك هذه الدولة لوحة رقم ٦٨ والتي صنعت من الفضة والنحاس وأشهرها نقود الملك ليون الثاني ، حيث[1] رسم على أحد وجهي هذه القطع النقدية صورة الملك لابسا حلاه الذهبية وجالساً على اريكة تنتهي كل من قائمتيهـا الأماميتين برأس اسد ، وعلى رأس الملك تاج مرصع يعلوه صليب ، وعلى كفه الأيمن كرة فوقها صليب ، وفي يده اليسرى صولجان وقد كتب حول الصورة « ليون ملك الأرمن » . اما الوجه الثاني لهذه القطع النقدية (وهي واحدة من الاف من نوعها) ، فيمثل أسداً على رأسه تاج وفي يده اليمنى عصا تنتهي من اعلاها بصليب وقد كتب حول الصورة « ليون ملك الأرمن برعاية الله » .

وقد اصبح رسم الأسد المتوج شعار ملوك الأرمن في كيليكيا .

وإلى جانب النقود التي صكها ليون الثاني ، وجدنا نقوداً أخرى باسم الملك هيتوم حملت على أحد وجهيها صورة هذا الملك نفسه في حين جاء وجهها الآخر يحمل اسم حليفه السلجوقي جلال الدين .

وأيضاً صك الملك غي دي لوسينيان نقوداً باسمه تداولها الشعب الذي تألف الى جانب الطبقتين الأوليين في المجتمع الكيليكي (الملك والأشراف) من :

ـ طبقة التجار الذين تمتعوا بامتيازات عالية نتيجة مداخيلهم المالية المرتفعة الناجمة عن النشاط التجاري الواسع الذي عرفته كيليكيا حيث تملكوا أراضي واسعة وعقارات كبيرة .

ـ طبقة الموظفين والمزارعين والجنود التي عرفت بطبقة العوام أو سواد الشعب .

لوحة رقم ٧٤

وإلى جانب هذه الطبقات الاجتماعية كان يأتي رجال الدين كطبقة متميزة عن لوحة رقم ٧٥ الجميع بحكم موقعها الديني والاجتماعي والثقافي .

لوحة رقم ٧٦

---

١ ـ راجع كتاب تاريخ الأمة الأرمنية : الدكتور استارجيان ص ٢٢٣ .

وقد برعت هذه الطبقة ومعها بعض افراد الطبقة السابقة في عديد من الأعمال : كالشعر (نرسيس شنورهالي) ، وفن العمارة والرسم والتاريخ والقانون الخ .

٤ - البنية الاقتصادية للمجتمع الأرمني في الوطن الأم (ارمينيا) وكيليكيا :

شكلت التجارة في أرمينيا القواعد الرئيسية للنشاط الاقتصادي . وقد رأينا بذور هذا النشاط من خلال وصف المؤرخ اكزينوفون XENOPHON لتلك المؤونات الغذائية الضخمة التي كان الأرمن يحتفظون بها في دورهم وصوامعهم والتي ستصبح بعد قليل (بعد عام ٤٠٠ قبل الميلاد) الأساس في مقايضتها بحاجات الدولة الأرمنية من المصنوعات والأدوات الحربية التي تصنعها الدول الأخرى .

وبهذا المعنى فان المقايضة ، وهي الشكل البدائي للتجارة الإنسانية ، سرعان ما تحولت الى « تجارة » بالمعنى الكامل لهذه الكلمة خصوصاً عقيب تحول الدولة الأرمنية الى مملكة وبدء صك النقود الأرمنية التي بدأت تصلح كأساس نقدي للمبادلات التجارية .

ثم جاءت فتوحات الاسكندر،ومركز أرمينيا المتوسط بين دول العالمالقديم، لتجعل من هذه الدولة الأرمنية بلداً صالحاً تماماً « لتجارة الترانزيت » ، الأمر الذي اغدق عليها الثروات،ودفع بالتجار الأجانب الى السفر اليها لعقد صفقاتهم « التجارية » فيها ، سيما وانها تنتج ، بحكم تربتها الغنية ، مختلف المحاصيل الزراعية والمواد الخام اللازمة للصناعة كالذهب والحديد والنحاس .

وخلال حكم ديكران الثاني ، حسبما يذكر المؤرخ بلوتارك PLUTARCH ، وسيما خلال تلك الفترات التي سبقت الغزو الروماني للامبراطورية الأرمنية ، فقد عرفت هذه الدولة أزهى فترة في تاريخ تجارتها المحلية .

ويفصل هذا المؤرخ بهذا الصدد فيقول : « انه عندما استولى القائد الروماني

(وقد سبقت لنا الاشارة إلى ذلك) لوغوللوص على العاصمة ديكرانا كيرتا فقد عثر في الخزينة العامة للدولة على ثمانية الاف وزنة من النقود المسكوكة (طالانت) ، وانه قد وزع ثمانمائة دراخما (وهذه بخلاف الأولى ، وحده نقدية يونانية) على كل جندي من قواته،ناهيك عن الأسلاب والغنائم الثمينة التي نهبها هؤلاء الجنود في المدينة .

وعندما انتهت الحرب الأرمنية ـ الرومانية كان ديكران الكبير قد اضطر الى دفع غرامة حربية مقدارها ٨٠٠٠ وزنة (طالانت) .

ولا شك أن هذه الأرقام تدل على تجارة راقية في أرمينيا توسعت تماماً خلال عهود السلام التي عرفتها هذه البلاد عبر تاريخها .

فمدينة دوفين DVIN كانت مركزاً لتجارة الترانزيت القادمة من الهند الى فارس ثم بيزنطة وبالعكس . . . وكذلك آني وقارص وغيرها .

وقد أدى هذا النشاط التجاري ، الذي توسع خلال حكم الأسرة الباقرادونية بشكل خاص ـ وبالتحديد خلال وجود المغول في كيليكيا وحتى في أرمينيا ـ إلى خلق طبقة بورجوازية واسعة استفادت من هذا الوضع .

ويذكر المؤرخون في هذا الصدد أن هؤلاء التجار «البورجوازيون» كانوا يجودون بكثير من الهبات والنقود الى الكنيسة والأديرة . . . وكذلك فيما كانوا يقومون به من اشادة الأبنية والقصور الفخمة في المدن الأرمنية وفي تزيينها وحفر الطرق واشادة الجسور والقناطر (لتسهيل مرور قوافلهم التجارية) .

ومن هذا القبيل ، ما ترويه المصادر التاريخية ، حول أحد التجار الأرمن، الذي انفق ٤٠,٠٠٠ قطعة ذهبية في بناء قصره الصيفي في مدينة ميرو MIRU . كما أن تاجراً غنياً آخر اشترى ابرشية جاتيك GETIK بمبلغ مماثل تقريباً وهو ما قدر انه يعادل (بالنسبة للدوكا الذهبية الواحدة ـ العملة المتداولة وقتها ـ ١٢ فرنك ذهبي) .

ولن نتفيض بالنسبة لهذا الموضوع أكثر مما تقدم لتعرضنا له في أكثر من

مناسبة من فصول هذا الكتاب .

الا انه يمكن القول ، بصورة عامة ، أن التجـارة التـي شهدتهـا كيليكيا ، كانت بدورها متقدمة تماماً نظراً لموقعها الجغرافي المدهش .

ولا أدل على ذلك ما ذكرناه حول تلك النقود الأرمنية الـكيليكية التـي جاء صكها ، نتيجة طبيعية لنشاط التجارة ذاتها .

* * *

الفَصْل الرابع

الريازة (الهندسة المعمارية) الأرمنية وتطورها .

يصلح هذا الفصل ، في الواقع أن يكون كتاباً بحد ذاته . وأكثر من هذا فلا بد لتأليف كتاب من هذا النوع من تضافر جهود عدد معين يتجاوز الثلاثة أو الأربعة من المهندسين اللامعين فى فنون العمارة في العالم وليس في أرمينيا وحدها

ونحن اذ نقدم هذا الجهد المتواضع هنا ، فاننا نقر ونعترف بعجزنا عن اعطاء هذا الموضوع الأبعاد التي يتمتع بها لجملة من الأسباب اولها فقدان الاختصاص لدينا حول الريازة بشكل عام من جهة ، ولقلة المصادر المتوفرة بهذا الصدد من جهة ثانية .

ومع ذلك فان من الضروري برأينا ، وقد أبدع الأرمن في هذا المجال الشيء الكثير ، أن نخصص للعمارة الأرمنية فصلاً مستقلاً نقدر بواسطته أن نحقق غايتين .

ـ الأولى ـ اعطاء القارىء فكرة عامة عن الريازة الأرمنية ولو موجزة ومبسطة ، الا أنها كافية لتحقيق ما رمينا اليه في هذا الفصل .

ـ والثانية ـ استكمال دوائر البحث التي تناولها هذا الكتاب عبر أبوابه وفصوله المتعددة .

ولعل تقصيرنا هنا ، خلافاً لاجتهاداتنا وتدقيقنا وتمحيصنا في المواضيع الأخرى من هذا الكتاب ، يزول ويخف من خلال هذه المواقف الأخيرة .

وأكثر ما نطلبه في هذا المجال أن يتضافر عدد من المثقفين العرب والأرمن من المهندسين اللامعين لوضع مؤلف مستقل عن العمارة الأرمنية يعطي القارىء فكرة واضحة وعميقة عن أصالة هذا الفن الأرمني . . .

ولنبدأ الآن ؟ . . .

لقد بدأ الاهتمام بالأنصبة والآثار الأرمنية عملياً في القرن التاسع عشر من خلال الرحلات التي قام بها العديد من علماء الآثار والفنون الجميلة الانكليز والافرنسيين الى البلاد الأرمنية . وكان العالم الأثري اوغيستي تشويسي ، استناداً الى الدراسات والأوصاف والمخطوطات التي وضعها هؤلاء الرحالة الأجانب ، هو أول من وضع دراسة نقدية جادة عن فن العمارة الأرمنية وذلك من خلال كتابه المعروف « تاريخ الهندسة المعمارية » (الريازة) المطبوع في عام ١٨٩١ .

ومع أن هذا العالم قد اعتبر الريازة الأرمنية كفرع نشط من الهندسة المعمارية البيزنطية إلا أنه رغم ذلك دلل كما وبرهن - وبحدود - على تأثيرات الفن الأول (الأرمني) على الريازة البلقانية وبشكل خاص على الهندسة المعمارية الغربية .

وفي عام ١٩١٦ تمت دراسة العلاقة بين فن العمارتين الأرمنية والبيزنطية من قبل العالم ج . ميليت،في كتابه المسمى : المدرسة الإغريقية والعمارة البيزنطية .

وقبل أن نسترسل في هذا السرد التاريخي التمهيدي نرى أن نذكر جذور الريازة الأرمنية من وجهة النظر التي ابداها البروفسور «رنو» - من مقال لهمنشور في مجلة المدينة تحت عنوان «صلابة واصولية الفن الارمني» والتي تتلخص في أن « الفن الأرمني عرف بصلابته منذ البدء. كما وتأثر كثيراً بفن بلاد ما بين النهرين. لوحة رقم ٦٤

ومن الأعمال التي تلفت الانتباه ذلك اللوح الفاخر الذي عثر عليه في قصر خورشياد والذي يمثل (اي تمثال حوريث) هدم هيكل الاله هارديس ساعة استيلائه على عدد من الدروع المصنوعة بالذهب الخالص والفضة واجاجين برونزية كانت تستعمل لحفظ الخمور من التلف وسرير من العاج لاستراحة الالهة نقش عليه رموز وكتابات لم يستطع قراءتها حتى الآن لاضمحلالها وذوبانها نظراً لبقائها مدة كبيرة تحت

الأرض [١] .

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبعد جهد دام عشرين عاماً اكتشف العالم الالماني «ليهمان هوايت» في مدينة تربوا كال قرب بحيرة فان VAN هيكل الاله هارديس وقطعاً عديدة من البرونز والعاج كانت مطمورة تحت انقاض هذه المدينة وهي محفوظة اليوم في المتحف البريطاني بلندن . كما وجد تحت انقاض بلدة كارمير بلور (الأرمنية) على قاعة للصلاة ذات أعمدة مرتفعة يفوق علوها السبعة أمتار ، كما اكتشف في حي من هذه المدينة أيضاً على اجاجين وقواعد بناء يعود تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد . ثم عثر العلماء كذلك على قبعة برونزية لمحارب أرمني مزركشة بورود محفور عليها كتابات ساردورية (نسبة للملك سردوري الثاني الأورارتي) . وهكذا فان التشابه ـ والكلام ما زال للمؤلف المذكور ـ والتقارب الموجودين بين الفن الأرمني والبيزنطي يعطينا فكرة واضحة على تطبيق المدرسة ذاتها (يقصد الأورارتية) وامتزاجها ببعضها وغير خاضعة لتأثير الفن الأشوري والسومري .

وأصولية الفن الأرمني بنيت على أسس دينية مما جعلها تنخرط في بوتقة العبادة ، خاصة في مجال الهندسة المعمارية لمداخل قصور الرب والمعابد البطريركية . لوحة رقم ٦٥

وفي أوائل القرن الرابع ، بعد الميلاد ، أخذ هذا الفن طابعه الأصيل وسار نحو التبلور . ففي المعابد التي بنيت من الحجر الفولكاني (البركاني) ، اكد المعماريون في بنائهم للمعابد الدينية انه على مستوى لائق وفي طابع خاص ، فصمم العقد القنطري المرتفع على ثلاثة عواميد .

ودام هذا الفن طيلة ثلاثة قرون حتى تغير في القرن السابع حين ارتكز الشكل النصفي وارتسمت الحنايا القبية ذات النوافذ المستطيلة على أساس القاعدة

---

١ ـ الكاتب هنا يتعرض الى الفن الارمني عموماً من خلال استعراضه التأثيرات « الأورارتية » على الريازة والنحت والرسم الارمني التي ستتطور كلها عبر العهود القادمة .

الرباعية .«ومنذ القرن العاشرحتى نهاية القرن الثاني عشر بدأ فن العمارة الأرمني يفقد جوهره وأصوليته فاختلط الفن الأصيل بالفنون المجاورة مما أخسره رونقه الذي اكتسبه في القرون الذهبية الماضية »

وهذه النظرة إلى فن العمارة الأرمنية ، كما أبداها البروفسور « رنو » تؤكدها السيدة نرسيسيان ولكن بشمول أوسع .

ذلك أنه في الربع الأول من القرن العشرين عندما تمت اكتشافات العديد من الأنصبة والآثار الأرمنية نتيجة عمليات التنقيب والحفريات التي جرت في آني ومواقع أخرى من أرمينيا ، أصبح في متناول يد العلماء مجموعة الأبحاث والدراسات المستندة الى هذه المكتشفات والتي تبرز أصولية الفن المعماري الأرمني وخصوصاً تلك الأبحاث التي وضعتها البعثات الأثرية السوفيتية والعلماء الأرمن وخصوصاً البروفسور ثورانيان .

لوحة رقم ٦٦

ثم جاء العالم استراجونسكي واستند الى مجموعة هذه الدراسات والأعمال (كما فعلنا نحن بالذات في هذا الفصل) في وضع كتابه « الفن المعماري في أرمينيا وأوروبا » والذي ظهر عام ١٩١٨ . واعتباراً من هذا التاريخ فان الهندسة المعمارية (الريازة) الأرمنية اضحت موضوعاً مهماً للبحث لدى الكثيرين من العلماء الذين الفوا حول هذا الفن الأرمني وخصوصاً الأعمال الهندسية المنجزة في القرون الوسطى ، الكثير من الكتب والدراسات .

وقد نسب العالم المذكور للهندسة المعمارية الأرمنية دوراً كبيراً في نهضة الريازة في أوروبا المسيحية . . . ومن هذا القبيل قوله[1] إن الأرمن والعجم قد قدما إلى الهندسة المعمارية العالمية مقدار ما قدمته الحضارة الإغريقية في هذا المضمار . . .

فقد كان الفن اليوناني المعماري ذو العواميد المقددة والسقوف المبسوطة ،

١ - راجع كتاب تاريخ ارمينيا لمؤلفه بول اميل ص : ٨٥ .

سائداً في القرون الأولى للمسيحية . فجاءت أرمينيا تقدم للعالم الفن الجديد الذي بنيت بموجبه كنيسة القديسة صوفيا في القسطنطينية . ومنذ ذلك الحين امتد هذا الفن الى ايطاليا وسائر دول اوروبا .

ويفصل العالم استراجونسكي في هذا الصدد بتوسع اكبر فيقول : أن للأرمن دوراً رئيسياً في خلق أصول الهندسة المعمارية الأوروبية وتطور العمارة المسيحية بشكل عام ، « اذ اعتبرهم أول من نقل الى الحجارة القباب التي بنيت من القرميد في شمالي ايران وأول من صمم الكنائس على هيئة دائرة ولها كوى « محاريب » محدبة تعلوها قبة » . كما أن استراجونسكي يعتقد أيضاً أن الأرمن أوجدوا أنواعاً أخرى من الأبنية المقببة . وقد تتبع تأثرهم في هذا الفن ليس فقط لدى البيزنطيين والبلاد المسيحية الثانية في الشرق الأوسط، بل في أوروباالغربية أيضاً (ومن ذلك تأثيراتهم فيما أشرنا اليه حول كنيسة أيا صوفيا)،وأيضاً فيما أنجزه المهندسون المعماريون الايطاليون عند بنائهم لكنيسة القديس بطرس (سان بيتر) خلال القرون الوسطى وعصر النهضة والذي كان في حقيقته متناسقاً مع ما انجزه الأرمن قبلهم في هذا الصدد،وإن كان الذي جاء به الايطاليون قد اتى بشكل اكمل وأعم .

والمعروف عن السيدة نرسيسيان (التي ساقت قول العالم المذكور وفق ما أشرنا اليه آنفاً نقلاً عن كتابه الذي أسميناه قبل قليل) انها من العالمات القليلات في العالم اللواتي حصلن على درجات علمية عالية في الفنون الجميلة (الريازة النحتية الخ) . . . وهي من هذا الموقع ترد في كتابها : الأرمن THE ARMENIANS على معتقدات العالم استراجونسكي فتقول : انه رغم الاعتراف بأهمية ودقة ما كتبه المؤلف المعروف باعتباره أول بحث جاء وتناول بالتفصيل دراسة العمارة الأرمنية ، إلا أن عديداً من العلماء الآخرين (الأثريين) قد رفضوا البينات التي قدمها هذا العالم . اذ أن أعمال التنقيب التي أجريت في بلاد عديدة زادت من عدد النصب المسيحية القديمة التي أتاحت للباحثين العلماء المزيد من الشواهد والأدلة التي

أصبحوا من خلال استقرائها قادرين على اعطاء فكرة أوسع وأدق عما تشكل لديهم سابقاً حول الموضوع نفسه أي حول وجود أنواع مشابهة ومعاصرة من الأبنية التي أخذت من مناطق متباعدة .

فدراسات آ . جرابر على المارتيرياً (اي الكنيسة التذكارية للشهداء الأرمن) وعلاقتها بالأضرحة ذات الأقدمية المتأخرة قد وضعت مجمل مشكلة أصل تطور العمارة المسيحية على أسس أكثر شمولاً ، اذ ليس هناك بلد واحد يمكن أن يعتبر المنبع الذي تلقى منه الآخرون الهامهم.

وفي نفس الوقت قدم العالم ج . تخوبينا شفيكي وجهات نظر معاكسة عندما سعى الى البرهنة على أفضلية العمارة الجيورجية . . . حيث قال بأن الكنائس الأرمنية ما هي الا تقليد متواضع للأصل الجيورجي .

إن مثل هذا التصريح الذي يتجاهل كل الاكتشافات والحفريات السابقة قد رفض من قبل الكثير من علماء الهندسة المعمارية . وفي الحقيقة ، وما دمنا بصدد هذا الطرح ، انه من المناسب الاعتراف بانه كان هناك ثمة تطور متواز في كل من ارمينيا وجيورجيا على صعيد الهندسة المعمارية خاصة خلال القرون المبكرة عندما كانت الكنيستان (الأرمنية والجيورجية) متوحدتين،والاتصال بينهما كان قريباً ومستمراً ، وعلى هذا الأساس لا مفر من الاقرار بوجود تأثير وتبادل مشترك بين الطرفين على هذا الصعيد بالذات . . ويمكن تعليل ذلك من خلال ادراكنا لتعاون المهندسين الأرمن والجيورجيين - ولأكثر من مرة - في اشادة وبناء الكنائس والأديرة والقصور،وذلك كما يمكن أن يرى من خلال فن النحت الأرمني الخالص في الكنائس الجيورجية (دجغاري) ، (اتيني سيون)،حيث ذكر كما وحفر على أحد جدران الكنيسة الأخيرة اسم المهندس الأرمني (تودو ساكيان) ومعاونيه . وبذلك ومن خلال اعتبار النصب المعمارية للبلدين معاً ، وليس من خلال وضعهم مقابل بعض (من قبيل المقارنة البصرية المباشرة) ، يمكن القاء نور كبير على عدد من القضايا المعلقة التي اثارها العالم تخوبينا شفيكي . . . وهو ما فاته بالذات .

ومن المعروف تاريخياً أن القـديس كريكوار والملك درطـاد ، عندمـا أعلنـا المسيحية ديناً رسمياً للمملـكة الأرمنية ، فانهما هدمـا كما وطوحـا بكافـة النصـب المعمارية الوثنية التي كانت قائمة في أرمينيا . وفي تلك الحالات التي تركا بعضاً منها قائماً فانه جرى تحويلها الى كنائس مسيحية [1] .

ومن هذا القبيل فان نُصب كارني هي الآثار الوحيدة المعروفة لدينا عن العمارة الأرمنية الوثنية . اذ أن التنقيبات التي أجريت خلال السنـوات الأخـيرة (اي في الستينات من هذا القرن) قد أوضحت لعلماء الآثار معالم جدران القلاع القوية والأبراج الأربعين المستطيلة والقاعة السفلية والغـرف الصغـيرة العـديدة في القصر الملكي (في كارني) وكذلك الجزء من الحمام الذي بني شمال القصر والذي تألف من أربع غرف .

ومن أهم الخرائب الوثنية المتبقية أيضاً ذلك الهيكل الذي بني خلال عهـد درطاد الأول بعـد عام ٦٦ ميلادية ، حيث بقـي قائماً إلى أن اجهـزت عليه الهـزة الأرضية التي عصفت بأرمينيا عام ١٦٧٩ ، اذ لـم يبق من ذلك الهيكل الا البـوديوم الذي يصل الى تسع درجات والأجزاء السفلية من الممرات والجدران التي كانـت تعلوها القبب وأيضاً تلك الأجزاء من الأعمدة الأيونية الأربعة والعشرين والمصطبة الوحيدة . وهذا النموذج من الهياكل الرومانية معروف من خلال نصب آسيا مثل هياكل ساجالاس وتيرفر في بيسيديه .

وتاريخياً، يفصل هيكل « كارنـي »، عن صروح المسيحية الأولى عدة قرون ، حيث ان اقدم نصب من هذا النوع ما زال موجوداً حتى اليوم ، انما يعود الى القرن الخامس الميلادي ولا يتجاوزه مطلقاً . وحتى تكتشف نصب أخرى فاننا لا نستطيع أن نتتبع المراحل الأولى لتطور العمارة المسيحية في أرمينيا ، ولكن الفترة التي امتدت من القرن الخامس وحتى منتصف القرن السابع قد شهدت بالفعل ازدهاراً ملحوظاً برهنت عليه نصب وآثار عديدة أخرى .

١ ـ راجع الفصل الأول من هذا الباب .

لوحة رقم ٧٩ ومن الناحية الفنية فان اكثر ما يتجلى جمال الهندسة المعمارية الأرمنية هو في الكنائس . وهي ـ أي الكنائس ـ كما نلاحظها اليوم تمتاز بشكل هندسي موحد جذورها، ويحافظ الأرمن عليها بامانة واخلاص تامين .

وأقدم الأبنية المعروفة الى اليوم (كما أشرنا اعلاه) في أرمينيا ، هي من النوع المستطيل (في سوق واحدة أو ثلاثة أسواق) .

وبما أن المسيحية دخلت أرمينيا (انظر حاشية سابقة في هذا الباب حول هذا المعنى) ، من ناحيتي الجنوب (سوريا ـ بلاد ما بين النهرين)، ومن الغرب (كبادوكيا)، فان مؤرخي الفن يفتشون عن المؤثرات السورية والأناضولية في أولى البازيليكات الأرمنية . وقد يظهر تأثير سوريا على أرمينيا في الأضرحة السورية والأرمنية في القرنين الأول والثاني ، وفي التصميم العام للبازيليكات بما فيه رواقها الخارجي وفي بعض الأجزاء الزخرفية منها .

أما الركائز (بشكل ت) ، أو بشكل صليب في سوريا ، فتتكون من جوهر مستطيل متجه اتجاه المحور الطولي ، ومن أجنحة ثلاثة (باتجاه السوق الوسطى والسوقين الجانبيين) وهذه الأجنحة عناصر منفردة تكاد تتداخل في واجهات الركائز المستطيلة ولا تسند الا هيكل السقف الخشبي بينما في ارمينيا نجد أن هذه الأجنحة أقسام رئيسية من الركائز وتحمل الأقواس السائدة لعقود السقوف الثقيلة .

لوحة رقم ٨٠ والقبة عادة ، في الغرب ، ترتكز على قاعة مستديرة ، وقد نتج عن هذا الشكل من الغطاء دفع افقي عدلته سماكة الجدران ، ولذلك فضل الشرق تركيز القبة على القاعات المربعة ، وبقي دفع القبة تعادله سماكة الجدران .

وأرمينيا أفادت من هذا الشكل في القرن الخامس وبعد بحوث استمرت اجيالاً ظهرت مجموعة متنوعة من التصاميم والطرق النائية لمقاومة هذا الدفع الضاغط كما كان في اضافة (كرات) داعمة على كل من اضلاع المربع ، بحيث يتحول الى مصدف مربع أي شبيه بالأصداف المجوفة أو مورق الأضلاع المستديرة .

واذا جاءت الكواة معادلة لقياس اضلاع المربع ، والحدود الخارجية موازية للتصميم الداخلي ، يكون المربع المستدير الأضلاع عادياً .

اما النماذج الأرمنية في أغراك (القرن السابع) فتمثل الفوارق في المربعات المستديرة الأضلاع حيث الكواة أقل عرضاً من اضلاع المربع (كنيسة القديس يوحنا بمستيرة وكنيسة سركيس في ارتيك) القرن السابع .

وفي الزوايا الخارجية للتصميم المربع المستدير الأضلاع تتوافر الكابلات من جهة والكواة النصف الدائريةمن جهة اخرى مما يخلق تصمياً مشعاً وهو أرمني محض [1] .

واذا كانت النظرة الأولى تثير الدهشة حول النشاط العمراني المكثف خلال السنوات التي فقدت فيها أرمينيا استقلالها وكانت موزعة (كما رأينا سابقاً) بين البيزنطيين والفرس ، فيكفينا أن نلفت النظر الى ما قلناه سابقاً عن وضع الناخارار NAKHARES ، والفن الذي يتمتعون به هم والكنيسة . فمعمرو هذه الكنائس والأبنية الذين سجلت أسماؤهم في سجلات الوقف ، او لدىالمؤرخين ،هم الكاثوليكوس (الجثالقة) ورؤساء العائلات الاقطاعية ـ طبقة اشراف الأرمن « الناخارار» ـ مثل عائلات باميكونيان ، اما توتيس ، كامساراكن . وهكذا فان النظام الاقطاعي قد ساهم وبحدود بينة في ازدهار الكنائس وتطور فن الهندسة المعمارية الأرمنية في اجزاء مختلفة من هذا البلد . وأيضاً فان التنوع الكبير والتباين المتميز في تصميات الكنائس والأديرة الذي جرى تشجيعه خلال هذه الفترة،يفسره غياب السلطة المركزية،التي كان يمكن لها ان تقصر فن العمارة الكنائسية على نماذج معينة وربما نمطية موحدة [2] .

---

١ ـ راجع بهذا الخصوص الفصل الأول من هذا الباب : ارمينيا من المسيحية الى الوثنية .

٢ ـ مر معنا أن ارمينيا عقب سقوط الأسرة الأرشاغونية عام ٤٢٩ م قد توزعت بين امبراطوريتي بيزنطةوالساسانيين. وبهذا التقسيم فان الأرمنيتين (ارمينيا البيزنطية ،وأرمينيا الساسانية) قد خضعتا لحكم كل من الناخارار (ارمينياالبيزنطية)والمرازبة (أرمينيا الساسانية) . مما عنى عملياً بقاء ارمينيا دون سلطة مركزية اي ملك ، وهذا يفسر المعنى الوارد أعلاه .

لقد بنيت الكنائس الأرمنية من الأحجار البركانية المحلية ذات اللون الأصفر المغبر أو حتى من لون أغمق . وبالنسبة للجدران فقد وجدت فيها صفوف من أحجار ذات تراب حديدي وهي مصقولة وملمعة . أما كتل الزوايا فهي وحدها كانت من حجر معين متناسق وهذا الأسلوب في البناء استعمل في إشادة الدعائم الكبيرة وفي بناء السراديب .

وبشكل عام كانت هذه الكنائس صغيرة الحجم الا انها رغم هذه الصفة كانت تعطي للناظر اليها انطباعاً بالقوة والصلابة الكامنين في تصميمها وشموخها . اما التوصيلات الداخلية للبناء فقد كانت لا تنعكس دائماً على السطح الموحد الخارجي للكنيسة فهي اطراف مستطيلة يمكن ان تغطي المضلعات الدائرية أو اشكال اكثر تعقيداً . وفي بعض الأحيان كانت توجد تزيينات منحنية وأروقة حول الجدران وهذه كلها تخفف بالفعل من مشاهد القسوة في الواجهات .

لوحة رقم ٧٧

وبالنسبة للجدران فهي تحوي بين أحجارها عدداً محدوداً نسبياً من النوافذ. وقد اتبع هذا الأسلوب في البناء بدءا من القرن السابع ميلادي وما يليه، عندما غلب الشكل القبيي على الكنائس ،وأصبحت الأسقف الهرمية أو المخروطية التي تغطي هذه القبب هي الملامح المميزة للكنائس الأرمنية سواء في بناء القبة فوق مربع أو على شكل منحن . وفي هذه الحالات لجأ المهندسون الأرمن الى اشادة او بناء قنطرة صغيرة او كوة نصف مخروطية عند الزوايا التي تسمح بالنقل من المربع الى المثمن ومن المثمن الى كثير الزوايا . وعندما يتم دعم القمة بدعامات فان المهندسين الأرمن كانوا يستخدمون الشكل المثلث الكروي المقلوب والمعلق والموضوع بين القناطر لتشكل كلها قاعدة مستمرة ودائمة للبناء .

وما تجدر الاشارة اليه هنا هي ان الكنائس الأرمنية الأولى التي ما زالت بقاياها قائمة حتى اليوم هي كلها من نموذج روماني اخذ ، كما في الأماكن الأخرى ، من العالم المسيحي من قاعات الأبنية العامة للوثنيين .

فالنماذج الرومانية للكنائس الأرمنية سواء منها التي كان لها ثلاث ممرات أو لم

يكن لها مثل ذلك البتة ، كانت دائمة معقودة ولا شيء يقاطع وحدة الفراغ الداخلي فيها .

وكما أشرنا قبل قليل فان الركائز (قناطر نقل) كانت غالباً على شكل حدوة الحصان تستقر على دعامات مكيفة وفق حرف(T) وكان من شأن هذا الاستخدام الرائع تقوية اعمدة الممرات الجانبية وتوسيع بهو وصحن الكنيسة .

وأكثر من هذا فان سقفاً واحداً في بعض الأحيان كان يغطي كل الممرات الثلاثة (التي ذكرناها قبل حين)، وذلك كما في (كنيسة كاساخ) وهي واحدة من نماذج الهندسة الرومانية المعمارية المبكرة . وفي كنائس أخرى، كان السقف يرتفع فوق صحن الكنيسة إلى حدود أعلى من الممرات، كما كان (اي السقف) يشاد بصورة حصينة .

وأيضاً فان النموذج الروماني في(اليريروك)، وتلك الكنائس التي صممت أصلاً (للتكور)، هي أوسع، حيث أضيف اليها سقيفة جانبية تنتهي بقباب صغيرة . وللكنيسة المذكورة (اليريروك) واجهة برجية مزدوجة، وقد استخدم هذا النموذج الأرمني الوحيد في بناء عدة كنائس أرمينية سورية ، ولكن هذه المشاريع البرجية جاءت متأخرة كما هو الأمر في صرح أناتوليان .

وفي نهاية القرن السادس لم يعد التصميم الروماني مفضلاً ومستخدماً لفترة زمنية أطول، اذ تم التحول الى استخدام تشكيلة واسعة من نماذج القباب المركزية . والأصل المتطور لهذه المشاريع المركزية يمكن أن نجده في هيروا ومامورزو وفي المارتيريا (كنائس شهداء الأرمن) المسيحية المبكرة ، ولكن ظهورها المفاجىء في أرمينيا والتنوع في استخدام الأشكال في الصروح والمشاريع المشيدة أدى ذلك كله الى خلق نماذج متعددة ظهرت محلياً في الفترة ما قبل القرن السادس ميلادي وبدا هذا عملياً من خلال الحفريات التي أجريت مؤخراً تحت كاتدرائية (اشمايازين) ، فأسس كنائس القرن الخامس ميلادي التي ظهرت هنا بينت هيكلاً

يشابه الهيكل الباقي حالياً ومنذالقرن السابع،وهو على شكل مربع وله أربع قنطرات وأربع دعامات حرة تدعم السقف .

وفي القرن السادس والسابع ميلادي أدى استعمال القباب على نطاق واسع إلى تطوير نموذج البناء الروماني . ففي الكنائس عديمة الممرات تتبع القناطر التي تدعم السقف على دعامات مركبة (زوفوني) أو على جدران قصيرة تمزج من الجدران الشمالية والجنوبية (بجني ، تاليس) وفي النمط الروماني ذي الممرات الثلاثة، فان الدعائم التي تستقر عليها القناطر تبقى حرة (اودسن ، بكافان ، سانت مايان في فاكارشاباد) ، مشكلة بذلك ممراً مصلباً ضمن مربع . والأجزاء المتفرعة عن التجويف المركزي هي تجاويف اعلى من الممرات ، ونتيجة لذلك فالشكل المصلب ينعكس على الخارج . وفي كاتدرائية تالين التي أعيد ترميمها مؤخراً فان الأضلاع الشمالية والجنوبية في الشكل الصليبي (أو المصلب) تمتد لتشكل قباب ملحقة أو تجاويف صغيرة . وهي بهذا الشكل تذكرنا بالنموذج المعماري القوطي (تريغويل) .

إن نموذج البناء المركزي الصرف يظهر في عدد من الأشكال . وفي الشكل المبسط فان المربع مسنود (مدعم) بأربع قناطر والقباب تغطي كل الفراغ المركزي (اغواك) ، وعندما تكون الفجوات مستطيلة في حدودها الخارجية ، وليس هناك غرف ملحقة بها على الجانب الشرقي ، عندئذ يظهر الصليب من الخارج بشكل أوضح في بعض الأحيان (كنيسة كرمافير) .

واذا نظرنا إلى النموذج (التريغويل) من حيث فجوات السند المربعة فان الذراع الغربي يكون أطول وله محيط مستطيل (المان ، سانت حنانيا) .

وفي أشكال أخرى من نفس النموذج الأصلي تظهر الفجوة الدائرية أصغر من جوانب الدائرة وهكذا تتشكل نهايات مدببة يبلغ عددها الثمانية .

وفي جميع الكنائس تغطي القبة كل الفراغ المركزي . ولكن في كنيسة حنا

المعمدان في بكاران التي دمرت تماماً في الوقت الحاضر فقد استخدمت بأسلوب مختلف حيث الفجوات لها قطر أصغر من جوانب المربع ولكن القبة التي تستقر على أربع دعائم حرة لا تغطي كل الفراغ المركزي . وهذا النموذج استعمل في ايشمايازين حيث بسبب ضخامة واتساع البناء كانت فراغات الزوايا المربعة تساوي المربع المركزي .

تعليق :

وفي الحقيقة ، وكما ذكرنا في مطلع هذا الفصل ، فان الكلام « الفني » عن الهندسة المعمارية الأرمنية يطول ، ويطول حقاً ، ولا يمكن فهمه أو استيعابه بسهولة بسبب الاصطلاحات والتعابير ذات الدلالات غير المفهومة لدى القارىء العادي . . . ولذلك لا نرى مجالاً لاستطراد أوسع .

وما يهمنا هنا حقاً ، هو أن الأرمن ، بشكل أو آخر ، قد ساهموا ، وإلى حدود واسعة ، وإن كان الخلاف ما زال قائماً حول مدى اتساع هذه المساهمة ، في الهندسة المعمارية العالمية . وبهذا المعنى ، وسواء تأثرت الريازة الأرمنية بالهندسة المعمارية البيزنطية ، أو أثرت فيها ، فانها قد تفاعلت ، وبشكل أكيد ، مع الهندسة المعمارية المسيحية في دول الغرب ، والبلقان بالذات ، حيث كانت لها أياد بيضاء على التصاميم الكنائسية وغيرها من الأشكال الهندسية المعمارية الغربية .

ولعل أكثر ما يوضح هذا الفصل كله ، بغض النظر عن الشروحات والتفصيلات التي أودرناها « اقتباساً » من المصادر التي حددناها في مطلع هذا الفصل ، هو ان القاء نظرة على أشكال الكنائس أو الأبنية والصروح والنقوش والتزيينات المنشورة عبر الصور المرفقة بهذا الكتاب ، يعطينا ، وبشكل لا يدع مجالاً للشك ، أو الغموض أو اللبس (الذي قد يسببه هذا الفصل المجرد لدى القارىء) ، فكرة تامة وكاملة عن حقيقة الحضارة المعمارية الأرمنية .

* * *



الباب الرابع

المسألة الأرمنية

١٨٦٣ - ١٩٢٣ م

THE ARMENIAN QUESTION

إن التخلص من المسألة الأرمنية ، يكون بالتخلص من الأرمن أولاً ؟

- السلطان عبد الحميد خان الثاني



لم تكن المسألـة الأرمنية كما انتهـت إليه اليوم ، وكما يعرفهـا المجتمـع الـدولي في وقتنـا الحـاضر ، وليدة أحـداث القـرن الماضي ومطلـع القـرن الحـالي الـدامية وحسـب ، بل انهـا ترجـع في أصولهـا وجذورهـا التـاريخية، إلى تلك القـرون « الخمسة » التي سبقت الميلاد عندمـا

تأسسـت الدولـة الأرمنية في ذلك الموقـع الجغرافي الاستراتيجي الفريد من نوعه في الشرق الأوسط ، باعتبارها الأرض التي تتوسط امبراطوريات قوية ومتنافسة ، كما وتمتد في الوقت نفسه ، على خطوط انتشار القبائل البربرية القادمة من أواسط آسيا في طريقها إلى آسيا الصغرى وأوروبا من جهة ، وعلى حدود دول أخرى صغيرة ، كانت لها بدورها أطماع غـير محـدودة في البلاد الأرمنية نفسها ، كالكرج والأكراد والشركس من جهة ثانية ، الأمـر الـذي جعل الدولة الأرمنية ، محط أنظار شعـوب وجيوش هذه الـدول والأمبراطـوريات مجتمعة ، التي اجتاحتها وغزتهـا فعـلاً عامـاً بعـد عام ، وقرنـاً بعـد قرن ، حتـى تضعضعت أسس هذه الدولة ، ثم انهارت أخيراً بعد عشرين قرناً تحت ثقل هذه الضربات المتتابعة النابعة من الأطماع الأجنبية فيها ، حيث وجدناها أخـيراً ، وفي القرن التاسع عشر بالـذات ، موزعـة بـين أحضـان كل من روسيا القيصرية من طرف ، وتركيا العثمانية من طرف ثان .

ولم يكن ضياع « الوطن الأرمني » هو الكارثة الوحيدة التي ألمت بهذا الشعب ، بل جاءته آلام جديدة أمر وأدهى بدأتها روسيا القيصرية باضطهادات « معقولـة » نسبياً للأرمن ، ثم وسعتها تركيا العثمانية إلى حدود « غير معقولة » ، عندما بدأت بتنفيذ مخططاتها في الإبادة الجماعية GENOCIDE.

وكان يكفي أن تلحق أمة ما ، إحدى هاتين الكارثتين فقط لتضيع من خارطة شعوب الأرض ، ولكن الأرمن ـ وباصرار غريب حقاً ـ استطاعوا ، رغم هذه الكوارث ، خلال الحرب العالمية الأولى ، أن يؤسسوا لأنفسهم ، وبعد قرون طويلة ، وطويلة جداً من التشرد والنفي والضياع ، جمهورية مستقلة أسموها « الجمهورية الأرمنية » .

وكان ممكناً لهذه الجمهورية أن تعيش حتى اليوم ، إلى جانب شقيقتها « جمهورية أرمينية السوفيتية الاشتراكية » ، وأن تؤلفا فيا بينهما اتحاداً أو رباطاً من نوع ما ، يكون في حد ذاته رمزاً لآمال الأرمن في وطن قومي مستقل ، لولا تلك المعاهدة الثلاثية السرية (الروسية القيصرية ، والانكليزية ، والافرنسية لعام ١٩١٦) التي تقرر فيها مسبقاً اقتسام ممتلكات الامبراطورية العثمانية ، وما قد يتفكك عنها من دول جديدة كالجمهورية الأرمنية والجمهورية السورية وفلسطين والعراق .

أما كيف حدث هذا كله فهو ما ستتولى الفصول التالية بيانه :

الفصل الأول : الجذور التاريخية للمسألة الأرمنية .

الفصل الثاني : المسألة الأرمنية والصدامات العثمانية ـ الأرمنية .

الفصل الثالث : المسألة الأرمنية خلال الحرب العالمية الأولى ـ الجمهورية الأرمنية .

تحليل تاريخي : الاتفاقية السرية الثلاثية لعام ١٩١٦ ـ معاهدة استانبول

الفصل الأول

الجذور التاريخية للمسألة الأرمنية .

لعب الموقع الجغرافي[1]، الذي استقرت ضمنه الحدود التاريخية للدولة الأرمنية ، منذ نشوئها[2] في القرن السادس قبل الميلاد ، وإلى أن فقدت استقلالها في الوطن الأم - أرمينيا - في القرن الحادي عشر[3]، ثم في الوطن الجديد - كيليكيا - في أواخر القرن الرابع عشر[4] بعد الميلاد. أي خلال تسعة عشر قرناً هو عمر هذه الدولة السياسي ، ثم على مدى الخمسمائة سنة ونيف التي أعقبت ضياع هذا الاستقلال ، والتي انتهت خلال الربع الأول من القرن العشرين . . مما مد في عمر هذه الدولة الفعلي إلى أكثر من ألفين وخمسمائة سنة . . نقول أن هذا الموقع نفسه قد لعب وعلى المدى البعيد دوراً أساسياً وأكيداً في تحقيق نتيجتين بالغتي الخطورة :

النتيجة الأولى : هي زوال هذه الدولة ، بمفهومها القومي والمستقل ، من خريطة العالم السياسية في نهاية الأمر .

---

١ - لقد دلل عدد كبير من المؤرخين والفلاسفة ورجال السياسة والاجتماع على خطورة الدور الذي يلعبه الموقع الجغرافي في خلق المشاكل الدولية ، المحلية منها والعالمية . ومن هؤلاء هيرودوتس وسترابو ومونتسيكيو وكنت.

٢ - اعتمدنا هذا التاريخ أساساً لنشوء الدولة الأرمنية - بشكل أو آخر - استناداً إلى الكتابات والنقوش التاريخية المدونات INSCRIPTIONS ، التي تركها الامبراطور الفارسي داريوس الأول، والتي تشير الى أن أرمينيا عام ٥٢١ ق . م . كانت دولة مستقلة بحيث أن هذا الامبراطور نفسه،كان مضطراً لارسال قواده ليحد من هجمات الأرمن المتكررة على حدود امبراطوريته - تراجع الصفحة ١٠٩ من هذا الكتاب .

(٣) آني ANI ١٠٧١ م على يد السلاجقة الأتراك .

(٤) سيس SIS ١٣٧٥ م على يد المماليك المصريين .

النتيجة الثانية : وتتمثل في ظهور المسألة الأرمنية الى حيز الواقع والعلن وعلى الصعيد الدولي، وذلك كمحصلة طبيعية للنتيجة السابقة .

ونحن اذ ننسب إلى هذا الموقع كل هذه الأهمية ، ونرتب عليه مثل هذه النتائج ، فاننا نستند في ذلك بالحقيقة ، الى ثلاثة عوامل خلقها هذا الموقع الجغرافي بنفسه منفرداً وبشروطه الذاتية ، دون أن يكون لأي من الدولة الأرمنية ، أو الشعب الأرمني ، يد أو ارادة في تشكلها على هذا النحو :

العامل الأول : إن التكوين الجغرافي للدولة الأرمنية ، وكذلك وجودها كجسر بين امبراطوريات متصارعة ومتنافسة ، قد أبرز لهذه الامبراطوريات ، ما للموقع الجغرافي للدولة (الأرمنية) ، من أهمية سياسية ـ عسكرية ، واقتصادية، وبشرية .

العامل الثاني : أن وقوع ارمينيا ـ طبيعياً ـ على محاور حتمية لتقدم شعوب آسيوية غازية ـ القبائل الطورانية ـ قد سدد ضربة قاضية ومدمرة لكل من استقلال هذه الدولة ، وكذلك لشعبها (بالهجرة ، والفناء) ، ولاقتصادها في نفس الوقت .

العامل الثالث : أن التمزق الداخلي ، ودائرة الصراعات المحلية التي عرفتها ارمينيا ، لهذا السبب أو ذاك ، قد ساعد في الوصول الى النتيجتين السابقتين .

ولسوف نستعرض الآن ، وبشيء من الايجاز ، كلاً من هذه العوامل الثلاثة على حدة . ثم نحلله بشكله مجرداً ، تاركين للقارىء المطلع ، أن يتوصل ، من خلال السطور التي سيتألف منها هذا التحليل التاريخي ، الى الاستنتاج ذاته الذي أمسكناه ، حينما ركزنا عليها جميعاً بهذا الشكل المكثف .

كما أننا نلفت الانتباه هنا، إلى أن هذا العرض وهذا التحليل ، سوف يتضمنان ، ومن اللازم أن يفعلا ، تكرارا ، ولكن مختصراً ، للحقائق التاريخية التي مررنا بها عبر فصول هذا الكتاب ، وذلك بدءاً من الفصل الخاص بأرض أرمينيا وسكانها الأقدمين، ثم مروراً بتاريخها السياسي، وانتهاء بسقوط مملكة كيليكيا . .

ثم بالعرض السريع لوضعها الاجتماعي والسياسي ، وذلك خلال حقب حياتها من الأزمان التي رافقت ، ثم تلت القرون الوسطى ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر ، والتي شهدت الكثير من الحوادث المتعاقبة ، والتي كان من أهمها ، الحروب : التركية ـ الفارسية ، الفارسية ـ الروسية ، والروسية ـ التركية ، وحتى مجازر ما قبل الحرب العالمية الأولى .

فالجذور التاريخية ـ وفق هذا التحليل الذي استنبطناه للمسألة الأرمنية ، كما عرفها المجتمع الدولي في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ـ هي ، برأينا ، اذن نتيجة تفاعل هذه العوامل الثلاثة ، واحتكاكها ، على امتداد حياة الدولة الأرمنية بالكامل . . أي على مدى خمسة وعشرين قرناً .

العامل الأول : الموقع الاستراتيجي لأرمينيا .

بدت أهمية هذا الموقع عملياً ، من خلال الاهتمامات السياسية ـ العسكرية ، والاقتصادية ، والبشرية ، التي وجهها الى كل من شعب وأرض وسيادة الدولة التي سكنته :

أ ـ الاهتمامات السياسية ـ العسكرية :

كانت أرمينيا منذ نشوئها، وحتى آخر يوم من عمرها ، موضع اهتمام الدول التي جاورتها .. فمنذ سنوات ما قبل الميلاد ، اهتم بها أولاً الأشوريون[1] ، ثم الميديون ، والبارثيون ، والفرس ، والاغريق ، والرومان . وخلال السنوات التي تلت الميلاد ، امتد هذا الاهتمام الى الامبراطوريات الفارسية ، والبيزنطية ، والعثمانية ، ثم الى روسيا القيصرية ، وايران العجمية ، مما شكل اذن اهتماماً سياسياً ـ عسكرياً واسعاً ، « بالدولة » ، « الامبراطورية » ، « المملكة » . «الممالك»، « الامارات » الأرمنية ككل .

وكما هو الأمر في يومنا هذا ، فقد سعت كل واحدة من هذه الدول ، وبطرقها الخاصة ، الى بسط نفوذها السياسي القومي على أرمينيا ، وجذبها الى صفها ، سواء

١ ـ وفي الحق أن هذا الاهتمام من قبل هؤلاء (الأشوريون) قد لحق اسلاف الأرمن الأورارتريين(نائيري)، يراجع الفصل الثالث من الباب الاول من هذا الكتاب.

اتم هذا الجذب ودياً ، أم عسكرياً ، سلمياً أم حرباً ، فان المهم هنا ، هو كسب هذه الدولة (الأرمنية) ، وجعلها مواكبة لها ضد الدول الأخرى ، باعتبار أن هذا الجذب ، يكفل للدولة المعنية جملة من الفوائد :

أولها ـ حماية حدودها من الاغارات المباشرة للعدو القابع عبر الجهة المقابلة (الفرس من الرومان وبالعكس ، الاغريق من الفرس وبالعكس ، العرب من البيزنطيين وبالعكس الخ . . .) .

ثانيها ـ زيادة قوتها الاستراتيجية وقدراتها العسكرية بسبب استخدامها : الأرض الأرمنية ، الاقتصاد الأرمني ، والقوات الأرمنية لمصلحتها .

وثالثها ـ تسهيل مرور جيوشها الى الضفة الثانية المعادية (الفرس ضد الرومان وبالعكس ، البيزنطيين ضد الفرس وبالعكس ، العرب ضد البيزنطيين وبالعكس ، الخ . . .) .

وإذا تمعنا في دراسة تاريخ ارمينيا من الوجهة السياسية ـ العسكرية ، لرأينا الدول الأخرى المجاورة لها، تعمد من أجل تحقيق هذه الأغراض الثلاثة الى تنفيذ جملة من الخطوات:

١ ـ تقسيم ارمينيا إلى أكثر من دولة .

٢ ـ أو حكمها بأساليب متعددة .

٣ ـ أو تفتيتها الى امارات وممالك صغيرة .

٤ ـ أو مهاجمتها عسكرياً واحتلالها،لتحقيق الفوائد الثلاث المذكورة أعلاه مجتمعة ، « حماية حدودها » ، « تسهيل مرور قواتها » « زيادة قوتها » .

١ ـ تقسيم أرمينيا إلى أكثر من دولة:

آ ـ بدأ هذا التقسيم عملياً مع وصول السلوقيين إلى أرمينيا ، حيث أصبحت

قسمين : القسم الغربي وعليه الملك يروانت ، والقسم الشرقي وعليه الملك مهران .

ب - وفي عهد السلوقيين SELEUCIDS بالذات ، قرر هؤلاء أيضاً شطرها إلى دولتين : أرمينيا الكبرى ، ويحكمها ارداشيس ARTASHES ، وأرمينيا الصغرى ، (مملكة صوفين SOPHENE) ، ويحكمها زاره ZARIADRIS .

جـ- وعقيب معاهدة السلام التي وقعت بين الامبراطورية الفارسية[1] ،والامبراطورية البيزنطية عام ٣٨٧ بعد الميلاد ، أصبحت أرمينيا أيضاً دولتين ، كل واحدة منهما تتبع إحدى هاتين الامبراطوريتين، أي أن أرمينيا أصبحت تعرف الآن باسم أرمينيا الفارسية (وهو القسم الأكبر) ، وأرمينيا البيزنطية (وهو القسم الأصغر) .

د - وفي عام ٥٩١ حصل تقسيم جديد لأرمينيا ، وذلك عقيب الحرب الفارسية - البيزنطية . حيث استولت هذه الأخيرة على القسم الأكبر من أرمينيا (ارمينيا الغربية وغيرها) ، وتركت للثانية القسم الأصغر (ارمينيا الشرقية) . . أي أنه عملياً قد تم تبادل المواقع بين هاتين الدولتين على أرض أرمينيا نفسها . وكان خط الفصل بينهما يمتد من تفليس TIFLIS في الشمال، إلى داره DARA في الجنوب ، ومارا بمدن DVIN و MAKU وبحيرة اورميا URMIA[2]

هـ- وبعد فتوح العرب لأرمينيا أصبحت هذه الدولة (بدءاً من عام ٦٥٠ م تقريباً) أيضاً قسمين : أحدهما يخضع للدولة العربية ، والثاني (وهو الغربي) ويخضع للدولة البيزنطية . وانتهى الأمر بأرمينيا أخيراً الى احتلالها من قبل السلاجقة الأتراك عقيب الكارثة الحربية التي نزلت بالدولة البيزنطية مع هؤلاء في معركة ملاذكيرت MANAZIKERT .

---

١ - والمقصود بها الدولة الساسانية SASSANIDS.

٢ - انظر كتاب THE ARMENIANS لمؤلفته سيراربيه دير نرسيسيان .

و ـ وفي كيليكيا لم يكن الأمر ليختلف كثيراً . . فهي قد خضعت أولاً لسيطرة الدولة الأرمنية،ثم تقاسمها هؤلاء مع البيزنطيين ، وما لبثت بعدها أن توزعت بين الأرمن ، والمغول ، والبيزنطيين معاً . . ثم من بعدهم ، ومعهم ، حكمها الأرمن ، والصليبيون ، وذلك بالاشتراك مع العرب ، ثم مع المماليك الذين احتلوها وسقطت بيدهم لتزول بذلك دولة كيليكيا من التاريخ الأرمني ، كدولة جديدة بديل الوطن الأم .

ز ـ وبين أعوام ١٥١٤ ـ ١٥٨٤ كانت أرمينيا نفسها موزعة ما بين الفرس الأعاجم ، والأتراك العثمانيين ، حيث احتفظ هؤلاء لأنفسهم بأرمينيا الغربية والجنوبية وحتى بحيرة أورميا . . أما الفرس فقد احتلوا ما تبقى منها . وفي عام ١٦٨٥ تنازل هؤلاء عن الأقسام التي يحتلونها للأتراك .

حـ ـ ثم انضم إلى الطرفين الروس القيصريون،وأصبحت أرمينيا الآن موزعة بينهم ثلاثتهم ، وقليل منها (اقليم كاراباغ) ، بقي يتمتع تحت نفوذ الأرمن بالاستقلال الذاتي .

ط ـ ودون التوسع أكثر في الشرح والتفصيل ، فقد انتهى الموقف أخيراً بعد هذه القرون ، وكنتيجة لهذه الحوادث ، إلى انفصال أرمينيا وضياعها نهائياً بتقسيمها إلى دولتين (أو بالأحرى إلى ولايات ضمن الدولة الواحدة) ، احداهما ذهبت الى تركيا (أرمينيا التركية التي شكلت الولايات الشرقية الشمالية من تركيا الحالية) ، والثانية وهي الأصغر،فقد ألفت ما نعرفه اليوم بجمهورية أرمينيا السوفيتية . وما زال هذا التقسيم معمولاً به حتى هذه اللحظة ، وهو الأساس ـ حقاً ـ في المسألة الأرمنية كما نعرفها الآن .

٢ ـ حكم أرمينيا بواسطة أساليب متعددة .

عمدت الدول المجاورة لأرمينيا ، على امتداد تاريخ هذه الدولة ، إلى تفتيت وحدتها الوطنية وحتى القومية من خلال أساليب الحكم التي لجأت إليها في توجيه

سياسة هذه البلاد وفق مصلحتها ، دون النظر إلى واقع الشعب الأرمني ومتطلباته ، بحيث تراوحت هذه الأساليب بين الحكم المباشر والحكم غير المباشر . . وهذا كله كان خاضعاً ـ من حيث الشكل ـ إلى الظروف التي تعيشها الدولة المعنية ، من قوة أو ضعف ، وتبعاً لنظامها السياسي والاجتماعي .

أ ـ حكم أرمينيا مباشرة :

وكان هذا إما بضم أرمينيا كلية إلى الامبراطورية ـ الدولة الغازية ، أو بتعيين ملوك أجانب على عرشها :

ـ ضم أرمينيا إلى الدول الأخرى : عرفنا مما سبق أن ارمينيا خلال تاريخها الطويل عرفت في أوقات بأرمينيا الفارسية ، وفي أوقات أخرى بأرمينيا البيزنطية ثم بأرمينيا التركية،وأيضاً بأرمينيا الروسية الخ .

وهكذا كانت الدول المجاورة جغرافياً لأرمينيا تبتلعها وتجعلها احدى مقاطعاتها ، وإن كانت تنتدب لشؤون الحكم الداخلي فيها،بعض « الملوك » ، و« ملوك الملوك » ، و« الأمراء » ، الخ .

ـ تعيين ملوك أجانب عليها : وبدأ هذا عملياً في السنة الأولى للميلاد حينما تولى عرش أرمينيا رجل من أصل ميدي هو اريوبا رزان ، ثم تلاه عدد من الملوك الفرس والرومان . وفي عام ٦٦ م جاءها ملك من أصل فارسي هو درطاد الأول ، الذي أعقبته أسرته ـ الأسرة الأرشاقونية ـ في حكم أرمينيا ، كملوك ، لقرون طويلة إلى أن جاء العرب ، الذين تعاونوا في الطريقة والأسلوب ـ دون الهدف ـ مع البيزنطيين في نصب وتعيين ملوك وأمراء [١] موالين لهم (أرمن أو أجانب) ، وكان أغلب هؤلاء مرتبطين أدبياً أو عسكرياً أو سياسياً باتفاقات عسكرية وسياسية مع العرب أو البيزنطيين حسبما تمليه الظروف السائدة .

---

١ ـ بالنسبة للعرب فانهم ، وحتى مجيء الأسرة الباقرادونية ، قد حكموها بواسطة الأمراء العرب Amirs ، أما الفرس والميديون فقد سيطروا عليها عن طريق تعيين المرازبة ، وبالنسبة للبيزنطيين فكانوا يخضعونها مباشرة لحكمهم ، أو يعينون أمراء الإقطاع Nakharars الموالين لهم . الخ . . . وهو ما سنفصله بعد قليل .

ب ـ حكم أرمينيا بشكل غير مباشر :

وكان هذا الحكم بدوره على أشكال ، فقد كان يتجه أحياناً إلى اعطاء أرمينيا حق الاستقلال الذاتي ، مع بقاء الإشراف العام للدولة صاحبة العلاقة ، أو كان يخضع أرمينيا لحكم المرازبة SATRAPS ، حكام المقاطعات الفرس الذين يتواجدون على رؤوس أعمالهم ضمن أرمينيا ، مع تلقي الأوامر من الإدارة المركزية (العاصمة : أكتيسفون ـ المدائن) . أو بتركها لحكم الناخارار NAKHARARS ، أي طبقة الأشراف الأرمن ، أمراء الاقطاع ، مع احتفاظ الدولة المستعمرة (بيزنطة) ، بالولاية العامة على الأقسام الخاضعة لها تحت حكم هؤلاء الناخارار .

كما أن الدولة صاحبة السلطة (الفرس) ، كانت تعمد إلى تقوية نظام الاقطاع في أرمينيا ـ لغايات سياسية واجتماعية ودينية ـ بسبب وجود نظام مماثل في بلادها ، في حين كانت الدولة الأخرى (البيزنطية) تعمل على اضعاف نظام الإقطاع ذاته لنفس الغايات .

٣ ـ تفتيت أرمينيا إلى ممالك وإمارات صغيرة .

نتيجة الأطماع البيزنطية ، والوجود السلجوقي في أرمينيا ، وبسبب تنافس أمراء الإقطاع الأرمن أنفسهم . . رأينا أرمينيا ـ الدولة الواحدة ـ في القرن الحادي عشر والثاني عشر تضم :

ـ المملكة المركزية ، مملكة ANI ويحكمها الملك كاكيك.

ـ مملكة لوري LORI .

ـ مملكة قارص KARS

ـ امارة سيونيك SIUNIK

ـ امارة بجني BJNI

ـ مدينة دبيل DVIN

ـ كما أن باقي المقاطعات الشرقية الغربية يحكمها أمراء اقطاع من أسر مختلفة : ماميكونيان MAMIKONIAN ورشدوني الخ . . .

٤ ـ مهاجمة أرمينيا عسكرياً :

تشكل أرمينيا دولة من أقدم الدول التي عرفها الشرق الأدنى . وامتدت حدودها من البحر الأسود BLACK SEA ، إلى بحر قزوين CASPIAN SEA ، وحتى البحر الأبيض المتوسط . وهي بهذا الامتداد ، أو حتى عندما تعود إلى حجمها العادي ، فانها تشكل ممراً اجبارياً لجيوش الدول التي تجاورها شرقاً وغرباً أو شمالاً وجنوباً :

أ ـ فقد كان على الجيوش الفارسية (وحتى البارثية)،حال رغبتها في غزو الامبراطورية البيزنطية ، ومن قبلها الامبراطورية الإغريقية ، ثم الرومانية ، أن تمر عبر أراضي الدولة الأرمنية . وكان يسهل الأمور على هذه الجيوش ، كون أراضي هذه الدولة الأخيرة (أرمينيا) ، خاضعة لها مباشرة أو غير مباشرة [١] ، وهذا يعني العمل دائماً ، وبشكل مسبق ومستمر ، على تأمين واستمالة هذه الدولة إلى جانبهم ، وفي حال عدم تحقق هذا الغرض ، كان لا بد من مهاجمة أرمينيا واحتلالها عسكرياً [٢] .

ب ـ كما كان على الرومان أو البيزنطيين ، حينما يبغون مهاجمة الدولة البارثية والفارسية ، أن يفعلوا نفس الشيء ، أو احتلال ارمينيا ، خاصة في تلك الفترات التي تكون فيها الدولة الأرمنية موالية للأعداء .

جـ ـ وعندما جاءت الدولة العربية وأرادت حماية حدودها الشمالية ، والشمالية

ـ وللدلالة على اهمية الموقع الجغرافي لأرمينيا من الوجهة الاستراتيجية ـ العسكرية نروي الحادثة التالية : حينما انفجر الخلاف بين البرثويين والرومان وتطور إلى قتال عنيف، كان على عرش أرمينيا اردافست الثاني، ابن ديكران، الذي نصح القائد الروماني كراسوس أن يسلك طريق أرمينيا خلال زحفه على فارس ، ولكن هذا الأخير رفض هذه النصيحة ، وسلك طريقاً طويلة اخترق خلالها مجاهل الصحراء ـ عن طريق العراق وبلاد ما بين النهرين ـ حيث تجشم بسبب هذا الطريق الطويل أخطاراً كبيرة أدت الى اتعاب جنوده وإنهاكهم ، وبالتالي الى الحاق الهزيمة به من قبل البارثيين . وأكثر من هذا فقدْ فَقَدَ هذا القائد رأسه في هذه المعركة، ولا شك أن اختراقه أرمينيا لملاقاة البارثيين كان سيوفر جهداً كبيراً على جنوده ، وبالتالي ربما أدى الأمر إلى انتصاره لاختصاره طريقا طويلا .

٢ ـ هنا يظهر المقصود مما رمينا اليه من الفقرة السابقة .

الشرقية ، والشمالية الغربية ، اجتاحت في طريقها الدولة الأرمنية ثم تركتها لحكم الأسرة الباقرادونية .

د ـ وفي كل هذه الأحيان ـ وهو الأمرّ ـ فقد كان الصراع بين هذه الدول كلها ، يتم فوق أراضي أرمينيا بالذات ، التي كانت تجد نفسها ـ لهذا السبب أو ذاك ـ مضطرة للدفاع عن نفسها ضد الغزاة ، أو بسبب مساندتها لدولة معينة .

هـ ـ ولم تشذ الامبراطورية العثمانية في حروبها مع الروس والفرس عن هذه القاعدة .

والخلاصة أن الدولة الأرمنية كانت تجد نفسها ـ بحكم موقعها الجغرافي والاستراتيجي ـ مع الدولة الفارسية ضد الدولة البيزنطية أو بالعكس ، ومع الدولة العربية ضد هذه الأخيرة أو بالعكس . ومن البديهي أن هذه الحروب المستمرة التي جرت على أرض أرمينيا وتربتها ، وكانت مدنها وسكانها محلاً لها ، من شأنها أن تؤدي ، وعلى المدى الزمني المتدرج إلى :

- تدمير القوة الاقتصادية لأرمينيا .
- انهاك القوة العسكرية لهذه الدولة .
- هدم البلاد واعادة تعميرها .
- عدم وجود وقت أو فرصة كافية للنهوض بمسؤولية الدولة وتقدمها على الأصعدة السياسية والعسكرية والاجتماعية .
- افناء العنصر البشري الأرمني .
- وفي خاتمة المطاف جاءت الحروب الروسية القيصرية ـ التركية العثمانية التي أدت ـ كما أسلفنا ـ إلى عقد معاهدة سان استيفانو وبالتالي الى ظهور المسألة الأرمنية .

ب ـ الاهتمامات الاقتصادية .

إن أرمينيا ، من هذا الموقع الجغرافي الفريد ، وبسبب تكوينها الطبيعي ،

قد شكلت دروباً ممتازة لطرق التجارة العالمية . وهي بهذا المعنى ، مركز دولي للترانزيت ، ومدن هذه البلاد مزدهرة اقتصادياً ، وزراعاتها ، وصناعاتها ، وموادها الأولية غنية ومعروفة ، وهذه العناصر كلها جذبت الكثيرين :

١ ـ في عهد البارثيين ، كان الطريق الرئيسي للتجارة الى البحر الأبيض المتوسط ، يمر إلى الجنوب من بحر قزوين ، ثم يدخل سورية عن طريق عدة مدن أرمينية . كما كان يوجد طريق بري آخر يؤدي الى البحر الأسود ، ويمر شمالي بلاد ما بين النهرين MESOPOTAMIA، ثم يخترق أرمينيا .

٢ ـ وفي عهد أسرة ARSACIDS (الأرداشيسيين)، كان بناء واشادة المدن الجديدة في أرمينيا ، مرهوناً بتطور التجارة العالمية في العهود البيزنطية والرومانية ، مما جعلها مركزاً ، متوسطاً هاماً وضرورياً لتجارة الترانزيت .

٣ ـ ومدن أرمينيا: دوفين ، و ارضروم و THEODOSIOPOLIS (في الشمال) ، ومدينة نخجوان NAKHITCHEVAN (في الجنوب) ، كانت بدورها مراكز تجارية عالية الأهمية في عهد ديكرأن وما بعده .

٤ ـ وهذه المدن الأرمنية مزدهرة اقتصادياً واجتماعياً وعمرانياً ، تشاد فيها القصور والكنائس والغابات والجسور والمسارح ، ويؤمها التجار من كل صوب : من بلاد العرب والروم والعجم والروسيا والكرج ، ويعقدون فيها الصفقات التجارية الرابحة .

٥ ـ وأرمينيا يخترقها أيضاً الطريق التجاري القادم من بلاد العرب الى طرابزون ـ ترويبزوند TREBIZOND.

٦ ـ وبظهور المغول ، أصبحت طرق التجارة والمبادلات التجارية بين الشرق الأقصى وآسيا الوسطى والأراضي القوقازية وما وراء القوقاز TRANSCAUCASIA (جيورجيا ـ اذربيجان) ، تمر عبر أرمينيا من دروبها الشمالية أكثر من الجنوبية ، وكان أحد هذ الطرق يمر من القسم التركستاني من

بحر قزوين ، إلى الأقسام الشمالية من البحر الأسود (من أرمينيا) . . كما أن طريقاً آخر كان يخترق أرمينيا متجهاً الى الدول المجاورة [1] .

٧ ـ ثم أن السجاد الأرمني ، المنتوجات الصناعية الأرمنية ، التكك الأرمنية ، الفواكه الأرمنية ، الثياب المرعزية الأرمنية ، والسمك من بحيرة VAN ، والمعادن الأرمنية ، كلها تصدر إلى خارج أرمينيا . . إلى سورية وبيزنطة وفارس وروما .

٨ ـ ونهر الفرات يعج بالسفن المنحدرة جنوباً محملة بالخشب المستخرج من غابات أرمينيا ، كما أن هذه السفن تنقل إلى أرمينيا ومنها إلى بيزنطة وروسية المنتجات الايرانية والمغولية والأرمنية .

٩ ـ وفي كيليكيا ـ التي سقطت لنفس أسباب انهيار أرمينيا ـ كانت هذه الدولة هي نقطة البدء لواحد من أهم الطرق المؤدية الى تبريز TABRIZ ، وأعماق آسيا ، حيث يبدأ من AYAS ، ثم يخترق جبال طوروس باتجاه SIVAS على امتداد نهر الرس ARAX (في أرمينيا الأم) وشواطىء بحر قزوين، حتى يصل الى تبريز ، ويتفرع عن هذا الطريق الرئيسي درب فرعي عند اذربيجان ويتبع مجرى الدجلة TIGRIS والفرات EUPHRATES .

١٠ ـ وميناء AYAS ، بعد سقوط مرافىء سورية وفلسطين بيد المماليك ، أصبح ملتقى التجار القادمين من كل مكان : من البندقية VENICE ، وجنوى ، وطشقند ، وروسيا ، وبيزنطة ، الخ .

١١ ـ وفي القرون ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤، أخذت المعاهدات تعقد مع التجار الأجانب في كيليكيا أيضاً، ويمنحون بموجبها امتيازات تجارية مرموقة .

وهكذا وجدنا : الفرس ، البيزنطيين ، المغول ، الصليبيين ، الايطاليين ،

---

١ ـ ينظر كتاب THE ARMENIANS لمؤلفته : SIRARPIE DER NERSESSIAN. وهذه الطرق تصلح أيضاً للأغراض العسكرية التي عالجناها في الفقرة السابقة .

الجيورجيين ، الأزربيجانيين ، الروس يتعاملون مع أرمينيا وفي أرمينيا ، من خلال موقعها الجغرافي الممتاز ، كبلد ترانزيت من جهة ، وبلد ذي انتاج زراعي وصناعي مرموق .

وبديهي أن تؤثر هذه الاعتبارات في الشعوب المجاورة ، وأن تدفعها ، ولو بشكل غير مباشر ، الى وضع يدها على هذه الامتيازات من خلال أهدافها المباشرة التي تعرضنا الى ذكرها فيما سبق . وبالفعل فقد أخذت الحملات تنهال على أرمينيا وكيليكيا : المغول ، الصليبيين ، المماليك ، الفرس ، الترك ، الروس .

جـ ـ الاهتمامات البشرية :

على مدى التاريخ عرف عن الشعب الأرمني ثلاث خصائص :

آ ـ انه فرد مقاتل وعنيد: يلعب الموقع الجغرافي (وهكذا نرى هذا العنصر يبرز أمامنا دائماً) لأرمينيا ، وكذلك طبيعتها ومناخها ، دوراً بارزاً في تحديد طبائع الشعب الذي يعيش فيها . فهم أشداء ، ككل شعب يقطن الجبال ، أما مناخها فهو شديد البرودة في الشتاء وشديد الحرارة في الصيف ، مما يوفر للأرمن المزايا والصفات التي تجعل منهم محاربين أقوياء أشداء البأس .

وقد أدركت الشعوب الأخرى هذه الصفات فرأينا :

١ ـ الفرد الأرمني على مدى تاريخه الطويل ، يخوض دائماً حروباً ثقيلة ضد أعدائه دفاعاً عن استقلال بلاده (البارثيين ، الفرس ، الرومان ، الإغريق ، الكرج ، الأتراك الخ . . .) .

٢ ـ وإذا ما تيسرت له القيادة الحكيمة فانه كان جندياً صلباً ، وأكبر دليل الامبراطورية التي انشأها ديكران الكبير بجنوده الأرمن ، حتى شملت أرمينيا بحدودها الطبيعية وكيليكيا ، وامتدت ، من بحر قزوين إلى المتوسط ، باسطة جناحها أيضاً على القفقاس وكبدوكية وكردستان الجنوبية والموصل وأذربيجان

ونصيبين والرها وولاية صوفين (الأرمنية) وانطاكية .

٣ ـ وعندما انهارت هذه الامبراطورية أخذت الامبراطوريات الأخرى تستعين بالجيوش الأرمنية وتستخدمها لمقاتلة الدول المجاورة لها :

- الفرس والرومان يستعينون بفرق الخيالة الأرمنية المشهورة في حروبهم .
- ثم جاء المغول ـ وأجبروا الملوك الأرمن في معاهداتهم معهم ـ على اشتراك القوات الأرمنية مع الجيوش المغولية في حروبها .
- وكذلك فعل الصليبيون في كيليكيا .

٤ ـ ثم كانت هناك أمور أدهى :

أ ـ فقد كان الأرمن ينخرطون ويجندون في هذا الجيش ، أو ذاك ، ويحاربون مع هذه الدولة ضد تلك ، ويفقدون أرواحهم دون قضية يدافعون عنها ، أو هدف ، بل تبعاً لرعويتهم للدولة المعنية [١] .

ب ـ كما أن فرقهم وجيوشهم كانت تدخل المعارك المستمرة وتنزل بها الخسائر البشرية الفادحة تحت أطماع الدول الأخرى .

٥ ـ ولأن أرمينيا وسكانها كانا مسرحاً لمعارك طاحنة بين جيوش دول أجنبية ، فقد كان القتل والتشريد ينصبان على المواطن الأرمني فيحطان من عدده ووفرته . وفي الواقع فقد أثرت هذه الحروب [٢] على عدد سكان أرمينيا إلى حدود بعيدة وجعلت عدد هذا الشعب (رغم أن العنصر الأرمني معروف بقوته وبخصبه أي بكثرة التناسل) ، لا يتجاوز الملايين الثمانية أو العشرة على مدى تاريخه .

---

١ ـ كما فعل الانكليز في الحربين الاولى والثانية بتجنيد الهنود والاستراليين والنيوزلانديين والمغاربة في جيوشهم ودفعهم الى المعارك القاسية .

٢ ـ لم تكن هذه الحروب هي وحدها السبب في انقاص عدد الشعب الأرمني ، بل انها بنتائجها وبحالة عدم الاستقرار الدائمة التي خلقتها بالنسبة لهذا الشعب على مدى تاريخه ، قد أدت أيضاً إلى ذلك ، سواء بهجرته ، أو قتله ،أو شعوره بعدم وجود « حالة الاطمئنان » ، فضلاً عن السببين الواردين في الفقرتين التاليتين ب وج .

وقد كان من شأن هذا الشعب ، لولا هذه الحروب ، أن يبلغ عدده عشرين أو خمسة وعشرين مليوناً من البشر ، وهو ما كان سيؤدي إلى وقائع مناقضة ، وآفاق مختلفة تماماً عما آل اليه مصيره في القرن الحالي .

ودليلنا هنا نسوقه من أن الوفرة الديموغرافية والضمور الديموغرافي عاملان مؤثران في تخلف الأمم أو تقدمها . فقد ربط علماء الاجتماع ربطاً قوياً بين تقدم أميركا وروسيا وتزايد سكانها ، وكذلك ربطوا تدهور فرنسا وهنغاريا بضمور سكانها . ولا شك أن هذا يؤيد ما ذهبنا اليه قبل قليل من حيث تأثيره على الأرمن، وبنفس الطريقة .

ب ـ جـ ـ : الاهتمام بالفرد الأرمني كصانع ماهر وتاجر موهوب :

أدرك هذه الصفة كل من الفرس والعرب والأتراك وحتى الروس :

١ ـ فالفرس وخاصة مليكهم الشاه عباس الأول ، يحدث قرية خاصة للأرمن الذين أجبرهم على الهجرة إلى ايران بحروبه معهم ومع تركيا ، و ذلك للاستفادة من أشغالهم وصناعاتهم (قرية جولفا JULFA) ... عام ١٦٠٥ .

٣ ـ والعرب يدركون هذه الناحية ، فيشترون ، وخاصة خلفاؤهم وأغنياؤهم ، المنتوجات الصناعية الأرمنية ، ويتاجرون مع الأرمن ، ويبيعونهم ، ويستأجرون الصناع الأرمن المهرة في بناء بعض قصورهم وتزيينها .

٣ ـ والأتراك أيضاً أخذت عاصمتهم ، استانبول ، تعج بالصناع الأرمن الحرفيين ، كما أن عشر رجال أرمن يساهمون في إحداث البنك المركزي العثماني ، ويديرون قسماً كبيراً من الفعاليات الاقتصادية في تركيا . وبهذه المناسبة يقول الشاعر الأفرنسي المعروف « لامارتين » في كتابه : « سياحة في بلاد الشرق » وهو يصف القدرة التجارية للأرمن بما يلي :

وهم (اي الأرمن) مجتهدون في أشغالهم ، منتظمون في معاملاتهم ، ماهرون في محاسباتهم ، ولهم في التجارة مهارة فائقة لا تتغير بتغيير حكامهم ،

وهم أكثر ملاءمة واتفاقاً (من الناحية التجارية) مع الأتراك ، وأقدر منهم ومن جميع المسيحيين على اكتساب خواطرهم . . » .

وصحيح أن هذه العوامل تساعد على نشاط وزيادة الرفاه المادي للأرمن ، إلا أنها في نفس الوقت كانت عاملاً مؤثراً في تقهقرهم ، نظراً لتوزعهم بين هذه الدولة وتلك ، وحرمان الوطن الأم من مهارتهم وكفاءتهم (وبحدود) . . .

ـ العامل الثاني: وقوع أرمينيا على محاور تقدم شعوب وقبائل آسيوية غازية.

دفع المركز الجغرافي لأرمينيا ، باعتبارها الأرض التي تتوسط ما بين الهضبة الأسيوية ـ الايرانية ، والهضبة الأناضولية التي هي بدورها تشكل حلقة في الدروب الموصلة إلى أوروبا ، وروما بالذات ، الهدف الأخير لهذه القبائل . . وكذلك امتداد ومجاورة حدودها لكل من البحر الأسود وبحر قزوين وجبال القفقاس ، التي تسكنها شعوب مختلفة . . الى تسليط الأضواء عليها ، بالشكل السابق نفسه ، والعمل على اجتياحها واحتلالها من قبل كل من :

١ ـ القبائل الطورانية المندفعة من قلب آسيا (السلاجقة ، المغول ، التركمان) ، وهي قبائل تترية ذات أصل مشترك .

٢ ـ الشعوب المجاورة لأرمينيا طبيعياً (وخاصة الكرج [١] ـ الجيورجيين ـ وقبائل الالان ـ الشركس ـ ثم الأكراد) ، وذلك كله بغية تحقيق الأهداف التالية التي

---

١ ـ بالنسبة للكرج (الجيورجيون اليوم) ، فقد قامت دولتهم على سفوح جبال القفقاس وشمالي ايران ، وبدأ اهتمامهم بأرمينيا في عهد ملكهم بير Bier منذ منتصف القرن العاشر (مع بدء الغزو السلجوقي أيضاً) ، إلا أن محاولاتهم الأولى باءت بالفشل ، حينما تصدى لهم القائد الأرمني كيورك بارزبدوني ، وأرغم جيوشهم على الإنسحاب ، بعد أن أسر هذا الملك نفسه . ولكنهم عادوا في القرن (١٢)/ ١١٢٠/ واستأنفوا غاراتهم على أرمينيا ، فاحتلوا Tellis ثم حاصروا Ani واحتلوها ، وما لبثوا أن احتلوا Dvin و Galatia (خلاط) وأخيراً انتهى احتلالهم لأرمينيا عندما دك سلطان خوارزم مملكتهم عام / ١٢٢٦/ م .

أما الاكراد الأيوبيون فقد زحفوا بدورهم على أرمينيا واحتلوا ارجيش وميافارقين وماردين وخلاط ، إلا أن حكمهم زال على يد المغول .

يوفرها المركز الاستراتيجي ـ الجغرافي للدولة الأرمنية :

١ ـ الإشراف من الهضبة الأرمنية ، واستغلال هذا الموقع ، للسيطرة على الدول المجاورة بغرض تأمين حدودها هي نفسها (الكرج ـ الالانز الخ . . .) .

٢ ـ ومع التمسك بنفس المميزات التي يوفرها الهدف السابق ، ولكن أيضاً لتأمين دروب المرور الحيوية لقوات وجيوش القبائل التترية القادمة من أواسط آسيا وهي في طريقها إلى آسيا الصغرى وأوروبا (السلاجقة ، المغول ، التركمان) . وهكذا رأينا أرمينيا تتعرض ، وبالتتابع ، بدأ من منتصف القرن الحادي عشر/ ١٠٤٨/ ، وإلى ما قبل نهاية الربع الأخير من القرن الرابع عشر/ ١٣٧٨/ ، إلى الغزوات القاتلة التالية :

١ ـ غزوات القبائل السلجوقية التركية لأرمينيا SELJUK THE TURKS :

تنتسب هذه القبائل الى سلجوق بن دقاق ، رئيس عشيرة الغز التركية ، التي خرج بها من موطنها في سهول بلاد التركمان ثم اجتاح بها ، في القرن العاشر ، ايران وخرسان ، كما سيطروا عليها مع خوارزم ، بعد القضاء على الدولة البويهية بفارس ، واتخذوا اصفهان عاصمة لهم . . . وما لبثوا أن انتشروا في بلدان الشرق الأوسط ومن بينها أرمينيا .

ورغم قلة عدد الأرمن وضعف امكاناتهم في ذلك الوقت حيث كانوا يعانون :

١ ـ من التمزق الداخلي ، بسبب تأييد أو معارضة الفئات والأحزاب الأرمنية لبيزنطة .

٢ ـ والانقسام ، حول العرش ، وبالتالي فقدان القيادة الموحدة .

فانهم تصدوا لهذه القوات ، وحاول القائد الأرمني ، واساك بهلووني ، قائد الملك SMBA T ، الوقوف في وجهها ولكنه قتل غيلة . وقد أدى الضغط

السلجوقي المتزايد إلى قيام ملوكها وأمرائها بالتنازل [1] لبيزنطة التي كانت جيوشها في الوقت نفسه تجتاح أرمينيا ، عن ممالكهم وإماراتهم ومقاطعاتهم . وفي هذا الوقت كانت القوات السلجوقية قد بدأت - تحت تأثير العوامل السابقة - تطرق وبنجاح حدود أرمينيا وتبدأ غزوها لها مع حلول عام /١٠٤٨/ . ومنذ هذا التاريخ وحتى عام /١٠٥٤/ قذف القائد السلجوقي طوغرل بيك بقواته التي خاضت معارك حاسمة في المقاطعات الشمالية من أرمينيا . . فتصدى لهم الأرمن وتمكنوا - في البدء - من الحاق الهزيمة بابن عم طغرل بيك ، كوتولميش ، الا أن أخاه ابراهيم استطاع احتلال ولاية فاسبوراكان، ثم توجه شمالاً واحتل بلدة(اردزين ، بالقرب من أرضروم)، ثم أحرقها ودمرها وأسر ١٥٠,٠٠٠ من سكانها،ثم قذف طغرل بيك بقوات جديدة قادها بنفسه عام /١٠٥٤/ فاحتل مدينة DVIN . وفي صيف عام /١٠٥٩/ دمر القائد نفسه مدينة سيواس وقتل عدداً من سكانها كما غنم الكثير من ثرواتها التي نقلها إلى عاصمته أصفهان . ثم خلف آلب رسلان ، طغرل بيك ، وكان هذا أشد بطشاً من عمه ، فوجه أنظاره نحو أرمينيا ، وبدأت المدن الأرمنية تسقط بيده واحدة تلو الأخرى ، الى أن سقطت آني ANI عام/ ١٠٦٤/، حيث تمكنت القوات السلجوقية في غضون سنوات قليلة من اكمال احتلال أرمينيا بكاملها عام/١٠٧١/، حتى خضعت لسيطرتهم.خصوصاً عقب معركة ملاذ كرد مع الامبراطور رومانوس البيزنطي .

٢ - غزو القبائل الأسيوية المغولية لأرمينيا: THE MONGOLS.

ومع مطلع عام / ١٢٢٠/ بدأت أول جحافل المغول تظهر على حدود

---

١ - ومن هؤلاء Gregory Magestors عام ١٠٦٤ ، وملك Kars . ورغم هذه الظروف القاسية ، فان ملك أرمينيا Gagik II ، قاوم البيزنطيين وحاربهم على مدى ثلاث سنوات ، إلا أنه ما لبث أن خدع وتنازل عن عرشه ، مما سمح لقوات الامبراطورية البيزنطية - رغم مقاومة سكان Ani - من احتلالها ، وكذلك احتلال كامل المقاطعات التابعة لمملكته .

اذربيجان وأرمينيا . وكان يقودها جنكيز خان [1] بنفسه /١١٦٧ ـ ١٢٢٧/ قادماً من تخوم الصين في طريقه الى المغرب . وبين سنوات ١٢١٨ ـ ١٢٢٤ فتح تركستان وأفغانستان وبلاد ما وراء النهر ، وأغار على فارس والدول الواقعة حوالي أرمينيا (الكرج ، أذربيجان) ، وعلى أرمينيا نفسها ، فاتحدت شعوب هذه الدول للوقوف بوجهه مما أدى الى انسحابه إلى بلاد الشان .

ولكن ، هذه الموجة المغولية الرهيبة ما لبثت أن أخذت تتدفق من جديد كالسيل العارم تحت قيادة ابنه قتاي خان /١٢٢٧ ـ ١٢٤١/ ، فاجتاحت أرمينيا ودمرت مدن ومقاطعات LORI و KARS و ANI وغيرها ، وما لبثت أرمينيا عام /١٢٣٦/ أن خضعت بكاملها لحكمهم . كما امتدت فتوحات المغول إلى حدود كيليكيا ، حيث تمكن الملك هيتوم من عقد معاهدة تحالف معهم أنقذت بلاده من دمار محتوم .

وفي عهد المغول كانت أرمينيا :

١ ـ تحت حكم الخان الكبير THE GREAT KHAN ، الذين تعاقب منهم بعد قتاي خان ، كل من مانجوخان وهولاكو المعروف .

ب ـ وتدفع له الجزية .

جـ ـ وتقدم له قواتها المسلحة للمشاركة في حروبه (كرهاً) ، مما أدى الى ضعف العنصر البشري الأرمني قتلاً في هذه الحروب ، وضعفاً من الاحتلال المغولي .

٣ ـ غزو القبائل الأسيوية لأرمينيا : التركمان THE TURKOMANS

وفي أواخر القرن الرابع عشر وبالتحديد في عام ١٣٧٨ ، كانت أرمينيا قد

---

١ ـ فاتح مغولي اسمه الأصلي « تيموجين » ، خلف أباه يقوصاي ، رئيساً للتحالف المغولي ، اتخذ تيموجين لقبه عام ١٢٠٦ بعد اتمامه فتح منغوليا وتأسيس عاصمة له في قره قوم ، وفي عام ١٢١٣ هاجم امبراطورية الشان شمالي الصين ، وفي عام ١٢١٥ كان قد استولى على غالبية اراضيها بما فيها العاصمة بي ـ بنغ الحالية . وقد عرفت حروب جنكيز خان بالمذابح الرهيبة التي كانت ترافقها . وتوفي أثناء حربه ضد الشان ، وقسمت مملكته بيد اولاده الثلاثة . ومن جنكيزخان تحدر تيمورلنك .

خضعت نهائياً لحكم قبائل جديدة قادمة من أواسط آسيا ، وهي التركمان بقيادة تيمورلنك . وقد أدى احتلال هذه القبائل ، في أواخر القرن الرابع عشر المذكور ، إلى توجيه الضربة النهائية القاضية لاستقلال أرمينيا. وما لبث هؤلاء التركمان أن اضطروا الى التنازل عن هذه البلاد للسلطان العثماني محمد الثاني عام ١٤٧٣ ، فدخلت أرمينيا بذلك تحت حكم الأتراك الذين دخلوا بدورهم في صراع، من أجل أرمينيا، وغيرها، على أرض أرمينيا، مع كل من الدولة الفارسية(خاصة الشاه عباس الأول) ، والامبراطورية الروسية القيصرية (كاترين وغيرها).، وذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر ، حيث بدأت المسألة الأرمنية تأخذ أبعادها الدولية .

جـ العامل الثالث: التمزق والصراعات:

ويمكننا أن نحصر هذا التمزق وهذا الصراع ضمن ثلاث دوائر :

١ ـ **دائرة التمزق الداخلي** : وسببه تدخل الدول الأجنبية في تعيين الملوك الأرمن أو نزعهم أو قتلهم . . . أو التنافس بين أفراد الأسرة المالكة الواحدة على العرش .

ولا يخفى ما في هذا من انهاك للدولة ذاتها ، حيث يؤدي انصراف هؤلاء الملوك إلى مشاكلهم الخاصة ، إلى اغفال المصالح العسكرية والسياسية والاقتصادية للبلاد برمتها .

٢ ـ **دائرة الصراعات المحلية** : التي سببها نظام الاقطاع الذي فتت الدولة وأنهكها ، وبالتالي أدى تحالف بعض أمراء الاقطاع مع هذه الدولة ، وبعضهم الآخر مع تلك الدولة ، إلى نسيان وحدة الهدف .

٣ ـ **دائرة التنافس الحزبي والديني** : حيث كانت بعض الأحزاب (الفئات) تؤيد فارس أو بيزنطة أو الروس ضد هذه الدولة أو تلك . . في الوقت الذي كانت فيه الدول الأخرى ـ فارس ـ تسعى إلى اعادة الوطنية الى أرمينيا . . وبيزنطة تهدف الى جعل ارمينيا من نفس مذهبها الديني . . الأمر الذي أضاع فرصاً كبيرة للتماسك والتوحد بوجه الجميع .

ملاحظات على هامش هذا الفصل:

الملاحظة الأولى : في الواقع فان كل هذه الكوارث لم تهد في عضد الأرمن . فقد ظهر منهم رجال دين ، وأحزاب وطنية ، ورجال ، حافظوا على حقوق الشعب الأرمني ، وطالبوا بها ، بحيث توصلوا في النهاية الى احداث الجمهورية الأرمنية ، التي وإن زالت من الوجود ، كما أريد لها أن تكون، إلا أنها بقيت رمزاً على انفصال هذه الكوارث الحاسمة عن حقيقة طباع الأرمن كشعب .

الملاحظة الثانية : إن هذه الكوارث والحوادث المتعاقبة،يجب أن لا تمنع من الاعتراف بأن أرمينيا قد عرفت خلال تاريخها الطويل،عصور استقلال ذهبية،أتيح خلالها للشعب الأرمني،أن يقدم للإنسانية الكثير من أفكاره على المستويات المعمارية والثقافية والاجتماعية . كما أن دوائر التمزق والصراعات المحلية،لم تحل بدورها دون ظهور ابطال قوميين وعائلات اقطاعية عملت من أجل القضية الواحدة (ماميكونيان ، البطريرك ابراهيم اسحاق، الخ . . .) .

الملاحظة الثالثة : وهي تتعلق بصلب هذا التحليل التاريخي (الجذور التاريخية للمسألة الأرمنية) . وهنا نحب أن نشير إلى ملاحظة هامة وهي أن الحادثة الواحدة . . . الحادثة التاريخية الواحدة ، (عزل ملك ، أو غزوة أجنبية، أو معركة ، أو فناء فرد واحد الخ . . .)،مما استعرضناه وأخضعناه لهذا التحليل ، تفقد أهميتها ، فيما لو أخذت لوحدها منفردة عن باقي الحوادث التي سبقتها، أو لحقتها على مدى تاريخ أرمينيا .

كما أن عزل هذه الحادثة في نطاق الزمن الذي حدثت فيه ،

يحدث خللاً في صورة هذا التحليل بكاملها . ومـا يجـب أن يجري هنا هو أن ينظر الى هذه الحادثة بشكل موضوعي وذاتي في نفس الوقت ، بحيث تجمع الى غيرها،وعلى امتداد القرون التي عاشت خلالها الدولـة الأرمنية ، ثم الحـكم على نتائجهـا ككل . . وهو ضياع أرمينيا نفسها .

* * *

الفصل الثاني

المسألة الأرمنية، والصدامات العثمانية - الأرمنية .

في الواقع اتخذت عمليات الاضطهاد والتشريد ، من حيث المضمـون ، شكلاً واحداً ، هو إبعاد الشعب الأرمني ، بالقتل والتهجير والنفي عن أرضه في أرمينيا التركية .

إلا أن هذه العمليات ، من حيث المكان والزمان قد تمت على ثلاث مراحل وعلى امتداد الأراضي التركية :

١ - مرحلة السلطان عبد الحميد (الامبراطورية العثمانية) وذلك بين أعوام ١٨٩٤ - ١٩٠٩ .

٢ - مرحلة الأتراك الشباب (جمعية الاتحاد والترقي) وارتكابهم الابادة الكبرى في ٢٤ نيسان ١٩١٥ .

٣ - مرحلة تركيا الكمالية اعتباراً من عام ١٩١٩ - ١٩٢٣ .

ولكننا قبل أن ندخل في هذه التفصيلات ، نرى أن نلم بالمسألة الأرمنية نفسها .

نشوء المسألة الأرمنية

ساهمت مجموعة العوامل التي ذكرناها في الفصل السابق في ضياع استقلال

الوطن الأم ، وما عتم الأمر أن امتد إلى الوطن الجديد ـ كيليكيا ـ الذي سقط بدوره وضاع . وكانت كارثة ثانية .

وفي القرون الأخيرة بدأت الحروب التركية ـ الفارسية ، الروسية ـ الفارسية ، والروسية ـ التركية . وكانت هذه الحرب الأخيرة قد أدت إلى تقسيم أرمينيا إلى ما عرف بأرمينيا التركية (أرمينيا الغربية) ، وهو القسم الأكبر ، وذهب إلى الامبراطورية العثمانية ، أما القسم الثاني ، وهو الأصغر ، فقد عرف باسم أرمينيا الروسية ، وذهب بدوره أيضاً إلى الامبراطورية القيصرية .

وهكذا ، عدنا إلى دوامة التقسيم من جديد ، ولكن الوضع هذه المرة كان أدهى وأمر . فقد كانت الظروف التي يعيش فيها الأرمن في تركيا لا تطاق ، وبسبب مطالبة الشعب الأرمني بادخال الاصلاحات إلى التشريع المعمول به في الامبراطورية العثمانية،بما يكفل وضعهم على قدم المساواة مع الشعوب الأخرى فيها،وبالتالي منحهم الاستقلال الداخلي ، فقد طفى إلى السطح ما اصطلح على تسميته بالمسألة الأرمنية .

المسألة الأرمنية قبل مجيء السلطان عبد الحميد[1] :

كان الأرمن في أرمينيا الروسية ، وحتى ضمن الأراضي الروسية بالذات ، يعيشون حياة مقبولة نسبياً .

---

١ ـ اعتمدنا عهد هذا السلطان ـ كما يبدو جلياً ـ اساساً في دراسة المسألة الأرمنية . وهذا العمل يشبه ـ وإلى حد ـ تقسيم التاريخ الى ما قبل الميلاد وبعده ؟

وفي الحقيقة لنا المبررات الكافية في ذلك . . . اذ أن المجازر التي ارتكبت في عهد هذا السلطان بحق الشعب الأرمني لم تكن معروفة قبل وصوله الى سدة الحكم ، كما أن هذه الطريقة ـ في القتل والتشريد ـ أصبحت اسلوباً « جذاباً » يحتذيه خلفاؤه من بعده أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، ولكن هذه المرة على نطاق أوسع وأذكى .

أما في أرمينيا الغربية،التي كانت واقعة تحت ظل الاحتلال العثماني ، فقد كان الوجود الأرمني معرضاً للمضايقة .

وخلال هذه الفترة اخذت البطريركية الأرمنية في القسطنطينية ترسل الاحتجاجات. فقد كان الأرمن في هذه الدولة يلاقون المضايقات في المقاطعات النائية ، في المنطقة الواقعة شرقي الأناضول على وجه التحديد . وصحيح أن هذه الاحتجاجات كانت تصل الباب العالي ، وبالدرجة نفسها التي كانت تصل بها إلى الدول الأوروبية ، إلا أنه يبقى صحيحاً أيضاً أنها كانت كصيحة في وادٍ لم تعط نتائجها أبداً .

وفي عهد السلطان عبد العزيز ١٨٦١ - ١٨٧٦،جرت حوادث زيتون،حيث لوحة رقم ٣١ كان سكانها الأرمن في معاقلهم الطبيعية المنيعة ، لا يخضعون لنفوذ أحد ، وهو ما رأت فيه الحكومة العثمانية خروجاً عن طاعتها ، وسيرت لهم حملة عسكرية ضخمة زاد عدد أفرادها عن ٥٠,٠٠٠ لتأديب سكانها البالغ عددهم ١٨٠٠٠ مواطناً فقط ، ولكن السلطان أمر بعودة قواته في آخر لحظة بناء على نصيحة تلقاها من نابليون الثالث بعد أن جرت اشتباكات محدودة بين الطرفين .

المسألة الأرمنية وعمليات الـ GENOCIDE في عهد السلطان عبد الحميد الثاني .

حكم هذا السلطان ، الذي سمي أيضاً وبحق ، السلطان الأحمر ، الامبراطورية العثمانية بيد من حديد لمدة ٣٣ عاماً . وكان حكمه استبدادياً تناول ببطشه جميع شعوب الامبراطورية ، وخاصة منها الشعوب العربية وشعوب البلقان والشعب الأرمني . وقد استطاع هذا الحاكم بمرونته وذكائه ودهائه السياسي من تعويم وتغطية المطالب الأرمنية والاضطهادات التي قام بها ضدهم تحت سمع الدول

الأوروبية وبصرها ، بمهارة دقيقة .

وفي عهده ، بالذات ، ظهرت المسألة الأرمنية الى الصعيد الدولي :

١ - معاهدتا سان استيفانو وبرلين وبروز المسألة الأرمنية ١٨٧٨ :

بعد عام من توليه الحكم ، وعلى اثر الاضطهادات التي قام بها الأتراك في بلغاريا ، سارع الروس الى اعلان الحرب على تركيا عام ١٨٧٧ وانتصروا عليها في غضون ثمانية شهور «١٨٧٨» ، حيث تم التوقيع على معاهدة الصلح في بلدة سان استيفانو[١] . والتي كرست استقلال بلغاريا ومنحت روسيا بعض الأراضي التركية . . . كما نصت المادة ١٦ منها على ما يلي :

« باعتبار أن انسحاب القوات الروسية من المقاطعات التي تحتلها في أرمينيا (الغربية التركية) ، والتي سوف يصار إلى اعادتها الى تركيا ، قد يؤدي الى نشوب خلافات وتعقيدات قد تضر بالعلاقات الحميدة بين الدولتين المتعاقدتين ، لذلك يتعهد الباب العالي دون ابطاء بادخال التحسينات والإصلاحات التي تقتضيها الظروف المحلية في المقاطعات التي يقطن فيها الأرمن وبضمان سلامتهم » .

وقد كان بالامكان منح الولايات الأرمنية ، على غرار ما أعطي الى بلغاريا ، حق الاستقلال الذاتي على الأقل ، وهو ما لم يخطر ببال الدول المعنية . كما أن هذا النص جاء مرناً ومطوطاً حينما نص على وجوب « ادخال الإصلاحات والتحسينات التي تقتضيها الظروف المحلية » ، وهو أمر كان التفكير به عائداً إلى السلطان نفسه ، الذي لم يحقق شيئاً بالفعل من هذه الشروط .

وفي هذا الوقت بالذات كانت بريطانيا تنظر بقلق إلى توسع الروس

١ - ومن المفارقات التاريخية أن هذه المعاهدة وقعت في القصر الصيفي لثري أرمني هو « دادايان » .

القيصريين ، وتقدم سيطرتهم على المضائق ، ووصولهم إلى البحار الدافئة ، فخشيت أن تؤدي معاهدة سان استيفانو إلى زوال الامبراطورية العثمانية وظهور العملاق القيصري الروسي كقوة جديدة . . . فكان أن سارعت إلى عقد معاهدة سرية مع تركيا نالت بموجبها جزيرة قبرص ، مقابل تعديل شروط المعاهدة المذكورة . وبالفعل ، فقد دعت بريطانيا الى التخفيف من قيود معاهدة سان استيفانو ، واستطاعت اقناع القيصر الروسي بذلك ، فكان أن عقد مؤتمر برلين في نفس العام ١٨٧٨ ، حيث جرى التوقيع عليها بتاريخ ١٣/ ٧ واستعيض عن المادة ١٦ السابقة بالمادة ٦١ التي تنص :

١ ـ « يتعهد الباب العالي دون أي تأخير ، بتحقيق الإصلاحات وادخال التحسينات التي تقتضيها ظروف المقاطعات التي يقطنها الأرمن ، وبضمان سلامتهم ، ، وسيقدم الباب العالي ـ دورياً ـ بياناً بالخطوات التي يتخذها بهذا الصدد إلى الدول المعنية بمراقبة عملية تنفيذ هذه الطلبات » .

وإذا أجرينا مقارنة سريعة بين نصي المادتين لوجدنا تراجعاً واضحاً ؛ إذ لم يعد الآن تحقيق الإصلاحات رهناً بانسحاب القوات الروسية (كما اشترطت المادة ١٦)، أضف إلى ذلك أن مهمة الإشراف على تنفيذ الإصلاحات قد أنيطت بمجموعة الدول .

وعملياً فقد جاءت هذه المادة (٦١) خالية من أي معنى ، وإن كانت الفائدة الوحيدة لها ، هي كما أسلفنا ، أنها ساهمت وزميلتها المادة (١٦) في إخراج المسألة الأرمنية من نطاق اقليمي محلي الى حيز العلنية والصعيد الدولي .

٢ ـ فرسان الحميدية (حميدية آيلري) :

على أثر معاهدة برلين « أخذ عبد الحميد ينظر إلى الأرمن كبلغاريا ثانية تجب ازالتهم من الوجود » [١] ، وعلى هذا الأساس بدأ يعمل ذهنه بحثاً عن فكرة تساعده

---

١ ـ تاريخ أرمينيا ـ بول اميل ترجمة شكري علاوي .

مستقبلاً في تنفيذ مشاريعه المنسجمة مع هذه النظرة وبالفعل ، فقد توصل مع مطلع صيف ١٨٩١ إلى تشكيل فرق « حميدية الايلري » التي جاءت بكاملها مؤلفة من القوميات غير التركية كالالبان والشركس وغيرهم .

وكانت الحجة التي دفعها السلطان، من أجل تبرير تكوين هذه الفرقة، هي « تأديب العصاة » ، وقمع « حركات التمرد »، وهو ما عنى في الواقع ، « مقاومة حركات التمرد » ، التي كان يقوم بها الأرمن وشعوب البلقان خاصة .

وقد عمل السلطان، على توسيع هذه « الآيلري »، وتجهيزها حيث تألف القسم الكردي منها فقط من ١٠,٠٠٠ فارس، ثم تم تشكيل ٦٠ اورطة (كتيبة) كل منها مؤلف من ٥٠٠ ـ ٥٥٠ فارساً ، وما لبث هذا الرقم أن ارتفع مع مرور الوقت إلى ٢٠٠ اورطة .

وقد قامت هذه الفرقة بسلسلة من الأعمال التي دفعت شهرتها بعيداً خارج أسوار الامبراطورية، وأصبح أبناء مختلف القوميات ـ وحتى الأتراك أنفسهم ، والأرمن على رأسهم ـ يخشون إرهابها وبطشها .

٣ ـ حوادث صاصون ومشروع الإصلاحات الدولي وحوادث وادي تالوري ـ ١٨٩٤ ـ

أخذ السلطان عبد الحميد يماطل في تنفيذ الإصلاحات التي وعد بها الأرمن في متن المادة ٦١ ، والأدهى من هذا أنه تبنى سياسة جديدة تجاههم . . . وتجلى ذلك في عمليات توطين القبائل الكردية في أرمينيا . وهكذا وجد الأرمن أنفسهم وظهرهم إلى الحائط، وبالفعل فقدعمل الثوار بقيادة همبرسوم بوياصيان [1] الذي أسمى نفسه بعد العودة الى الأناضول « مراديان »، في ولايات تفليس TIFLIS وفان وأدنة للذود

---

٢ ـ ولد همبرسوم في بلدة أدنه وتفرغ لدراسة الطب في المدرسة الطبية بالقسطنطينية لمدة ٨ سنوات، وعقيب عمليات الاضطهاد، فر الى جنيف ثم تنكر وانتحل اسماً جديداً وعاد إلى تركيا عن طريق اسكندرونه وديار بكر وذلك بمساعدة بعض الرعايا الأرمن .

عن حرية الأرمن وتحقيق مطالبهم . فاستجـاب اليه هـؤلاء ولا سيما في سبنـر وسباي . وفي أواخر عام ١٨٩٤ التقى هؤلاء بالثائرين القادمين من موش وكال وسلفان (في جبال أتدوك داغ) وبدأوا بالمقاومة .

وبنتيجة هذه الحوادث عمدت انكلترا والـدول الأوروبية الى الطلب من الامبراطـورية العثمانية تعيين لجنـة دولية للتحقيق في المسألـة الأرمنية ككل . وبالفعل، تشكلت لجنة تضم مندوباً روسياً وآخر افرنسياً وثالثاً انكليزياً انتهت الى وضع مشروع الإصلاحات المقرر ادخالها الى الأقاليم الأرمنية وفق التالي :

« إن أهمية المشروع طي هذا التقرير (١١ أيار ١٨٩٥) يتضمن التعديلات الواجب تنفيذها في الولايات الأرمنية في تركيا وذلك فيما يختص بالنظام المالي والاداري والقضائي . وقد جرى تضمين مذكرة مرفقة بمجموعة الوسائل التـي يتوجب على الباب العالي أن يتعهد بتنفيذها في أقصى سرعة ممكنة . وهذه الوسائل هي :

١ ـ انقاص عدد الولايات بما يتفق مع الطوارىء والظروف .

٢ ـ ضمان انتخاب الولاة من بين ذوي الجدارة والأهلية .

٣ ـ العفو عن الأرمن الصادرة بحقهم أحكام مختلفة ولأسباب سياسية .

٤ ـ عودة الأرمن المهاجرين أو المنفيين إلى بلادهم .

٥ ـ تفقد حالة السجون والمساجين .

٦ ـ تعيين لجنة عليا لمراقبة تنفيذ وتطبيق الإصلاحات .

٧ ـ انشاء لجنة دائمة لمراقبة الإصلاحات ويكون مقرها القسطنطينية .

٨ ـ تعويض خسائر الأرمن نتيجة حوادث صاصون وتالوري .

٩ ـ المحافظة على تطبيق الإصلاحات والحقوق الممنوحة للأرمن في السابق .

١٠ ـ العناية بشؤون الأرمن في الولايات الأرمنية الأخرى في تركيا .

وقـد قام مشروع الإصلاحـات هذا ـ حسـبما ذكرتـه جريدة انجلنـد ENGLAND في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ ايلـول ١٨٩٥ ـ التـي استقينا هذا المشروع منها ـ بتعيين الموظفين واللجان التالية لتنفيذ هذه المهام :

١ ـ مندوب تركي .

٢ ـ لجنة مراقبة دائمة .

٣ ـ لجنة قضائية خاصة .

٤ ـ لجنة خاصة لتفتيش السجون .

٥ ـ موظف مرتبط بالوالي (المحافظ) .

٦ ـ موظفون معاونون للولاة .

٧ ـ موظفون معاونون للمتصرفين .

٨ ـ موظفون معاونون للقائمقامين .

٩ ـ مجالس للنواحي .

١٠ ـ شرطة خاصة للنواحي .

١١ ـ لجان بدائية للتحقيق في كل ناحية .

١٢ ـ مأمورون (للضرائب) في كل ولاية .

١٣ ـ لجنة خاصة للأملاك .

١٤ ـ مجلس خاص لكل ناحية .

وفي الحقيقة لم يتحقق شيء من هذه الإصلاحات ،وسوف نرى في فصل قادم أن هذا المشروع للاصلاحات،كان بدوره وفي خطوطه العريضة،أساساً لمشروع الإصلاحات الذي وقع عام ١٩١٤ في مؤتمر لندن،حيث جرى تعيين مراقبين دوليين لتنفيذ الإصلاحات هما هوف وسندرينك .

٤ ـ اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨:

اضطر السلطان عبد الحميد تحت ضغط القوى التقدمية (وخصوصاً الشباب الأتراك) ، وتململ شعوب الامبراطورية ، إلى اصدار الدستور العثماني واعلانه عام ١٩٠٨ ، وكان هذا الدستور قد وضع من قبل الصدر الأعظم مدحت باشا عام ١٨٧٦ ، ولكن عبد الحميد اجهضه بخططه ومناوراته .

وقد جرى اعلان الدستور وسط مظاهر الفخفخة والاحتفالات واعتلى السلطان شرفة قصره وأعلن أمام الجماهير الحاشدة « أنه كان يعمل من أجل هذه اللحظة منذ ٣٣ عاماً » ؟ وألقى مسؤولية جميع مساوىء الحكم ومثالبه على أعوانه

ومستشاريه وامتدح الثوار ووصفهم بأنهم « منقذوا الوطن وحماته » !

وما أن شاعت أنباء اعلان الدستور في الخارج وتراجع السلطان عبد الحميد أمام الشبان الأتراك والعودة إلى الحكم الدستوري حتى بدأت أفواج المنفيين السياسيين من عرب وأتراك وأرمن بالتدفق على العاصمة من باريس ولندن وجنيف .

وقد منح الدستور جميع شعوب الامبراطورية نفس الحقوق والواجبات دون تميز في الجنس أو الدين أو القومية . وقد هللت شعوب هذه الدولة لهذا الاعلان الدستوري وعلى رأسهم الأرمن ـ وتعانق الناس في الشوارع على مختلف مذاهبهم ـ وأصبح مكتوباً على العلم العثماني « حرية . عدالة . مساواة » .

كما أن الدول الأوروبية ساهمت في الإعراب عن سرورها فأرسلت برقيات التهنئة ، إذ وجدت في هذا الدستور فرصة نادرة للتملص والتخلص في نفس الوقت من المشاكل الأرمنية على الأقل ، ناهيك عن مشاكل البلقان والعرب .

ولم تلبث الفوضى أن دبت في جهاز الحكم نتيجة الفساد والرشوات ، فاستغل السلطان هذه الناحية، وبث أعوانه في مختلف الولايات التركية يرسلون الاشاعات حول محاولات الأتراك الشباب لتقويض الخلافة وأخذ يغدق الأموال على الجنود في العاصمة وغيرها كما بث الوعاظ لنفس هذه الغايات . . . وكانت النتيجة أن قامت في نيسان « ثورة مضادة » لصالح السلطان الذي عاد الآن إلى الحكم الاستبدادي .

٥ ـ صدامات جديدة في أضنة وكيليكيا ١٩٠٩ :

وكان من جملة ما قام به عقيب هذه العودة المفاجئة أن خطط لحوادث جديدة للأرمن في أضنة وكليكيا ذهب ضحيتها ٣٠,٠٠٠ أرمني ولم تتوقف إلا مع زحف جيش الأتراك الشبان والاستيلاء على الحكم وعزل السلطان عبد الحميد ثم نفيه .

المسألة الأرمنية في عهد جمعية الاتحاد والترقي[1]

لقد سبق ووصفنا فرح شعوب الامبراطورية بالدستور الجديد ومبادىء : (الحرية والعدالة والمساواة). إلا أن هذا الفرح لم يدم طويلاً ، بل على العكس ، فقد انقلب الموقف ، بالنسبة للأرمن ، وفي غضون سنوات قليلة من استلام الاتحاديين للحكم ، رأساً على عقب .

وقد كان الأرمن ، من دون القوميات الأخرى في الامبراطورية ، من الذين انفردوا بالتعاون مع الشبان الأتراك باخلاص ، تنظر الحاشية أدناه ، إذ رأوا فيهم ما يحقق احلامهم ، خصوصاً وإن هذه الرؤية كانت منسجمة مع ما كان يبديه هؤلاء

---

١ ـ أول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاصل باشا ابن ابراهيم باشا المصري . وعندما أعفي فاصل من مناصبه قدم الى السلطان عبد العزيز قائمة بالاصلاحات اللازم ادخالها الى الامبراطورية ، ثم هرب إلى باريس عام ١٨٦٥ حيث اجتمع اليه المنفيون الاتراك ، مثل «نامق» شاعر الحزب ، والامير محمد علي ، والأميرة نازلي الخ . . . وأخذوا ينشرون المقالات في فرنسا من أجل اصلاح تركيا . وقد سمي الحزب بالأفرنسية «جون تركي» على غرار «جون ايطالي» أي حزب ايطاليا الفتاة ، وتولى من أعضاء هذا الحزب مدحت باشا منصب الصدر الأعظم الذي أصدر دستور عام ١٨٧٦ ، ثم عزله السلطان ، فقامت المظاهرات التي اضطرت الاخير الى تشكيل وزارة، أغلب أعضائها من الحزب نفسه، الذين خلعوه (عبد العزيز)، ونصبوا مكانه أخاه مراد خان الذي خلع بدوره بعد ٣ أشهر ونصبوا مكانه عبد الحميد الثاني .

وفي هذه الأثناء تشكلت بسبب تأخر الدولة العثمانية وانتشار الفساد في الإدارة في استانبول، جمعية الاتحاد والترقي من أجل طلب الحرية والعدل لجميع العثمانيين، وتأييد روابط الحب بين أفراد الشعب على مختلف فئاته والدولة وما لبثت الجمعية أن توسعت في فرنسا حيث انشأت فرعاً لها وأصدرت جريدة «مشورت» بالتركية والأفرنسية كما توسعت في سالونيك وفي صفوف الجيش خاصة . وقد تعاطف معها الأرمن خاصة نظراً لأهدافها الأساسية السابقة . . وهكذا فان اللجنة الأرمنية في المنفى مالت الى الاتفاق مع هذه الجمعية (الاتحاد والترقي) فعقدت مؤتمراً حضره جماعة من أعضاء الشبان الأتراك والأرناؤوط «والعرب»، وذلك بدعوة من معلوميان الأرمني، حيث اتفقوا على قلب حكومة السلطان عبد الحميد وتأسيس حكومة دستورية .

وهكذا نرى ان ثمة صلة ـ من نوع ما ـ بين الأرمن وأعضاء الاتحاد والترقي عندما كانوا هؤلاء يعتنقون اهدافاً تحررية .

ويعلنونه قبل تسلمهم سدة الحكم من منح شعوب الامبراطورية الحريات الأساسية ، والعمل معاً من أجل بناء دولة عصرية تسهم فيها كل قومية بحضارتها وفنونها في رقي وتقدم الدولة ككل .

وما لبث الشبان الأتراك أن بدأوا بنشر السياسة الطورانية والدعوى اليها . وتقضي هذه الدعوة الى فك روابط الامبراطورية العثمانية التي أدركوا مدى انهيارها وتفسخها ، واعادة نسج امبراطورية جديدة تغزل خيوطها من القوميات التركية التي تمتد ما وراء جبال القفقاس وحتى حدود تركستان . وبديهي أن هذه الامبراطورية الجديدة ، وهي التي ستقوم على أواصر عرقية ، لن يكون فيها مجال لقوميات أخرى ، سواءا كانوا عرباً أم أرمن . وبالفعل ، فقد ثار الطرفان : العرب في اليمن وفلسطين والعراق وجبل الدروز ، والأرمن بلجوئهم عام ١٩١٢ إلى الدول الأوروبية لدعوتها الى تطبيق « مشاريع الاصلاحات » التي اقترحتها ووافقت عليها في مناسبات عديدة . وقد أيدت روسيا وفرنسا المطالب الأرمنية ، أما ألمانيا فقد كان لها موقف مغاير :

وفي الحقيقة، بدأ الامبراطور غليوم الثاني الالماني في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، في اتباع سياسة جديدة تجاه الدولة العثمانية (سوف نرى خطوطها العريضة في البنود اللاحقة)، عرفت باسم «الزحف شرقاً» DRANG NACH OSTEN أحدثت تحولاً تاماً بالنسبة لسياسة المستشار بسمارك التي رسمها حول الدولة التركية، وبموجب هذه السياسة الجديدة للامبراطور، فقد أخذ على عاتقه تنمية العلاقات الودية مع العثمانيين ، بحيث أخذ يكثر من زياراته لاستانبول ودمشق ومراكش ، ويطلق التصريحات المؤيدة للسلطان عبد الحميد وأكثر من هذا فانه عمد إلى تقوية الجيش العثماني ،حيث رأينا ـ وقد استقدمهم فيما بعد أنور باشا ـ عدداً كبيراً من الضباط ،وعلى رأسهم الجنرال ليمان فون ساندرز ، عهد إليهم تنظيم الجيش التركي وتدريبه ، كما عين الجنرال فون دير غولتز قائداً للقوات التركية في البحر الأسود ، والكولونيل (العقيد) كريستشتاين رئيساً لأركان الجيش الرابع .

والواقع أن هذه السياسة التي أثمرت ـ خلال سنوات ما قبل الحرب العامة ـ عن وجود هذا العدد الهائل من الضباط الالمان في صفوف الجيش التركي ، قد سبقها ـ وبتوجيه من غليوم أيضاً ـ افساح المجال لانشاء رأس جسر وموضع قدم لالمانيا في تركيا حيث ، نالت امتياز مد خط حديد سكة بغداد [1] ، ثم بدأ الامبراطور غليوم

---

[1] ـ على الرغم من أن حصول المانيا على امتياز مد خط حديدي عادي (خط حديد سكة بغداد) ، قد لا يشير لدى القارىء أي التفاتة أو اهتمام ، على أساس أن امتيازات مد الخطوط الحديدية في تركيا كانت مجرد قضية مشاريع تجارية حصلت عليها شركات أجنبية . . . الا أنه ليس بوسعنا الا التعمق في شرح مضاعفات حصول المانيا على هذا الامتياز بالذات ، نظراً لانعكاساته الخطرة ـ كما سيمر معنا في الفصول القادمة ـ على المسألة الأرمنية نفسها ، بسبب توحيدها لصفوف « الورثة » ، ولمّ شملهم ، وبالتالي توصلهم الى معاهدة سرية ثلاثية (روسية قيصرية ، فرنسية ، انكليزية) أدت ـ برأينا ـ الى القضاء على الجمهورية الأرمنية والمسألة الأرمنية على حد سواء .

وفي الحقيقة ، فان هذه المضاعفات التي أشرنا اليها هي نتيجة الصراعات السياسية والاستعمارية للدول العظمى حول مخططاتها في اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية ، ومن بينها بالطبع أرمينيا والدول العربية على حد سواء . وهكذا فانه عندما انشئت في المانيا شركة الخطوط الحديدية المسماة ، شركة خط الأناضول الحديدي عام ١٨٩٨ ، التي تقدمت عام ١٨٩٩ بطلب امتياز مد خط حديدي يربط قونية ببغداد مارا بحلب والموصل ، وبالتالي يصل برلين بالخليج العربي . . . فان ردة الفعل البريطانية كانت ـ والى ما قبل نشوب الحرب الأولى كما سنرى ـ شديدة ومعارضة بشكل أو آخر اتمام انشاء هذا الخط . وكان الهدف من هذه المعارضة واضحاً وهو الحيلولة دون وصول المانيا « الى مناطق النفوذ البريطانية » في الخليج العربي عبر طريق بري ، واستمرت معارضتها هذه حتى بعد صدور الإرادة السلطانية في ١٦ كانون الثاني عام ١٩٠٢ التي وافق فيها السلطان عبد الحميد على منح الامتياز الذي وقع عليه في استانبول في ٥ آذار ١٩٠٣ .

راجع : الصراع الدولي في الشرق الأوسط . وأيضاً : HOWARD , Harry N. the partition of turkey p 48 . وفي الثلاثين من أيار ١٩١٠ كتب البارون فون مارشال VON MARSCHALL (السفير الألماني في استانبول) إلى مستشار ألمانيا بيثمان ـ هولفغ BETHMANN-HOLLWEG يقول : لقد حافظت الامبراطورية التركية في الماضي على بقائها بفضل تضارب مصالح الدول العظمى، وليس بفضل قوتها . وكان الوارثون المتنافسون على ارث ـ الرجل المريض ـ (اي تركيا) من القوة والعدد بحيث لم يجرؤ وارث واحد بمفرده أن يلجأ الى القوة كي يعجل في موت الموروث لينال نصيبه من الارث (راجع بهذا الخصوص الكتاب العربي السابق وأيضاً : Dugdale vol 3, p350) . وهكذا استقر رأي الوارثين على ان يحل الوئام والتفاهم بينهم حول نصيب كل منهم . ففي عام ١٩١١ أعلنت روسيا القيصرية نهائياً عن عدم معارضتها لمشروع انشاء الخط الحديدي الالماني ، وتبعتها عام ١٩١٤ كل من فرنسا وبريطانيا ، وذلك بعد عقد اتفاقات سرية ومعاهدات وقعت بين هذه الدول والمانيا .

وقد أشار المستر Anderson إلى هذه التدابير عندما قال : في شهر آب من عام ١٩١٤ تعهدت الحكومة الروسية القيصرية بعدم معارضتها لاتمام انشاء الخط الحديدي ، ومقابل هذا التعهد القيصري الروسي ، تعهدت المانيا باحترام امتياز روسيا لاحتكار انشاء الخط الحديدي في شمالي ايران . وفي شهر شباط من السنة ذاتها ،

بانتهاج سياسة موازية هي استمالة الامبراطورية العثمانية [1] الى صفوف الامبراطورية الالمانية في الحرب القادمة التي بدأت بوادرها في الظهور في الأفق نتيجة المعاهدات السرية والاتفاقات الودية [2] التي أخذت الدول الأوروبية تعقدها فيما بينها ، تبعاً

وبموجب اتفاق سري تعهدت فرنسا بأن تعتبر أواسط بر الأناضول والقسم الجنوبي منه ، وشمالي سورية والعراق (وبكلام آخر تلك المناطق التي سيمر منها خط بغداد الحديدي والتي ستتأثر منه مباشرة) ، مناطق نفوذ المانية من حيث أن لها علاقة بانشاء خطوط حديدية . ومقابل هذا،اعترفت المانيا بشمالي بر الأناضول كمناطق نفوذ فرنسية من حيث الغاية نفسها . وبعد عقد سلسلة من الاتفاقات الانكليزية التركية بين أعوام ١٩١٣ - ١٩١٤ حصلت بريطانيا على امتيازات من شأنها أن تصون مكانتها في المنطقة صوناً تاماً ؟ فوافقت تركيا على أن لا تتدخل بشؤون الكويت ، وعلى أن لا تسمح بامتداد الخط الحديدي الى منطقة الخليج العربي دون موافقة بريطانية على ذلك . في الوقت ذاته ازدادت مكانة بريطانياً قوة ومناعة من جراء اتفاقية عقدت في شهر آذار سنة ١٩١٤ تعترف المانيا بموجبها بحقوق بريطانيا الكلية في شركة النفط الايرانية التي تأسست سنة ١٩٠٩ ، وفي تطوير مصادر النفط الانكليزية ، الايرانية ، وفي أواسط وجنوبي ايران ، وبموجب اتفاقية أخرى بين بريطانيا والمانيا سحبت بريطانيا مرة ثانية (١٥ حزيران ١٩١٤) معارضتها لانشاء خط بغداد (على أن ينتهي هذا الخط عند البصرة ولا يصل الى الخليج العربي) ، ووافقت الدولتان على سياسة الباب المفتوح في تركيا .

راجع : الصراع الدولي في الشرق الأوسط : ص ٥٠+ ٥٥ للاستاذ زين نور الدين زين . وأيضاً :

Anderson , M.S. The Eastern Question (London 1966) pp 266

١ - وبالفعل انتهت محاولات المانيا لتوثيق علاقاتها بتركيا الى ابرام معاهدة ثنائية بينهما تم التوقيع عليها في استانبول الساعة الرابعة من مساء ١٢ آب ١٩١٤ ومثل المانيا فيها البارون دانجنهايم وعن تركيا الصدر الأعظم سعيد حليم .

ونصت المادة الأولى من المعاهدة ، على وقوف الدولتين على الحياد في حال نشوب حرب بين النمسا والصرب ، أما المادة الثانية ، فنصت على أنه في حال تدخل روسيا القيصرية في هذه الحرب ، وما يترتب عليه من اضطرار المانيا لمساندة حليفتها النمسا ، فان تركيا تكون مرتبطة بهذا التعهد نفسه . . . كما تضمنت المواد الأخرى طرق التعاون بين الدولتين عسكرياً واقتصادياً .

ملاحظة : من البديهي أن لا تدري تركيا شيئاً عن معاهدات المانيا - التي أشرنا اليها في حاشية سابقة - لسبب بسيط هو أن هذه المعاهدات تحمل صفة : « السرية » ، وهي كذلك ، لأن موضوعها هو املاك الدولة العثمانية نفسها . وهكذا نعود فنؤكد - عبر هذا المثل - على مدى فهم الدول للسياسة ، واتباعها الأساليب الميكافيلية أولاً وأخيراً .

وسنرى سبب تركيزنا على هذه الشروحات ، « والهوامش » ، بهذا التكثيف، في فصول قادمة ، عندما نبحث خاصة ، المسألة الأرمنية وعلاقاتها بالقانون الدولي .

٢ - ومن ذلك :

١ - حلف الأباطرة الثلاثة : امبراطور روسيا ، وامبراطور المانيا ، وامبراطور النمسا ١٨٧٢ .

٢ - التحالف الثنائي : بين المانيا والنمسا (الذي تعرضت له المعاهدة السابقة) ١٨٧٨ .

٣ - التحالف الثلاثي : حيث انضمت ايطاليا الى التحالف الثنائي السابق ١٨٨٢ .

للسياسة الالمانية نفسها (سياسة بسمارك في السبعينات من القرن ١٩) .

وفي عام ١٩١٤ ونتيجة مؤتمر لندن LONDON CONFERENCE (٣ ايلول)، وضع مشروع للاصلاحات (سنتعرض له بالشرح في فصل قادم) في الولايات الأرمنية في تركيا، وتم تعيين مفتشين هما هوف HOFF النرويجي ووستينيك الهولندي للاشراف على تنفيذ بنود هذا المشروع. وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى استغلت حكومة الاتحاد والترقي هذه الفرصة النادرة للتخلص من الاصلاحات ذاتها والشعب الأرمني نفسه.

لوحة رقم ٣٦

وهكذا عمدت الى انهاء مهمة هذين الرجلين واعادتهما الى بلادهما (وكانا قد وصلا الى مقر عملهما في تركيا) ، ثم بدأت في تنفيذ مخططاتها لابادة وتهجير الشعب الأرمني .

إلا أننا نرى قبل أن نشرح ذلك ، أن نذكر شيئاً عن تلك النقمة الغريبة حقاً التي حلت بالشعب الأرمني على مدى تاريخه ـ نظراً لعلاقتها بموضوعنا ـ وهي تقسيم بلاده الى اكثر من دولة . فالتقسيم الأخير لأرمينيا ـ كما مر معنا ـ قد جعل أفراد هذا الشعب موزعين بين تركيا وروسيا . وباعتبار أن السياستين الداخلية والخارجية لكل منهما ، تختلف عن الأخرى جذرياً ، فقد كان من الطبيعي أن ينعكس هذا الاختلاف على تصرفات هذين البلدين تجاه الشعب الأرمني فيهما ، وهو ما سوف يؤدي بدوره الى استغلال هذا الوضع من قبل الحكومة التركية ـ بشكل خاص ـ باستخدامه وفق مشيئتها وحسب مشاريعها المعدة مسبقاً لتنفيذ عمليات الإبادة عن طريق ايجاد المبررات الكافية لمواقفها المتطرفة القادمة .

---

٤ ـ التحالف الانكليزي ـ الايطالي ـ النمساوي ١٨٨٧ .

٥ ـ الاتفاق الروسي ـ الفرنسي عام ١٨٩٣

وعملياً قسمت هذه الأحلاف والاتفاقات الدول الأوروبية الى معسكرين عند بدء الحرب العالمية الأولى :

١ ـ المعسكر الانكليزي ـ الفرنسي ـ الروسي .

٢ ـ المعسكر الالماني ـ النمساوي ـ التركي .

وسنرى دور المعسكر الأول بالنسبة لأرمينيا في فصل قادم (المسألة الأرمنية والقانون الدولي ـ أيضاً ـ) .

وقد أدرك الأرمن هذه النوايا المبيتة وعالجوها بتوسع في مؤتمرهم العام الذي عقد في ارزوم ERZURUM في تموز ١٩١٤ - أي قبل نشوب الحرب بأسابيع حيث قرر المؤتمرون ، وقد أدركوا أن كلاً من روسيا وتركيا ، في حال نشوب الحرب ، ستقف في المعسكر الآخر ، أن يوجهوا الشعب الأرمني في البلدين الى التصرف كرعايا مخلصين للدول التي يعيشون فيها بغض النظر عن أي اعتبار آخر .

وكان هذا القرار يعني من الناحية العملية ، قطع الطريق أمام الأتراك الاتحاديين ، وسحب الاعتبارات التي قد يعتمدونها في تبرير أعمالهم ونواياهم القادمة ، وبالتالي تطويق آمالهم في استغلال ما قد يقوم به أرمن روسيا من تأييد محتمل للحكومة الروسية . ولكن حكومة الاتحاد والترقي كانت من الذكاء بحيث أرسلت كلاً من ناجي باي وشاكر ناجي الى ارزوم والاتصال بقادة المؤتمر ، حيث طالبوا المؤتمرين بأن يعمدوا الى تشكيل فرق فدائية أرمنية لقتال الروس وإشعال الثورة في القفقاس ، في مؤخرة الجيش الروسي ، على أن يقابل هذا الموقف بمنح الأرمن ، بعد الحرب ، الأذن باقامة وطن مستقل على بعض الأراضي الأرمنية في كل من تركيا وروسيا .

إلا أن قيادة المؤتمر لفتت انتباه المسؤولين الأتراك إلى أن مصلحة تركيا هي في الوقوف على الحياد في أي حرب قادمة . . أما اذا قررت الحكومة التركية خوض غمار الحرب ، فان الأرمن ، في تركيا ، سيفون بكل الالتزامات التي تفرضها عليهم رعويتهم للدولة التركية ، سواء عن طريق خدمة الوطن في شتى المجالات ، أو الانخراط في الجيش والدفاع عن البلاد كسائر مواطني الامبراطورية . . أما بالنسبة للمطالب التركية باشعال الثورة في القفقاس وغيرها فان المؤتمر لا يستطيع أن يتكلم بالنيابة عن المعنيين - أرمن روسيا - وهم رعايا دولة أخرى .

وفي الواقع فان هذا الطلب الذي تقدمت به تركيا ، كان حجة في تبرير « مواقف قادمة » للحكومة التركية أكثر من أن يكون مطلباً عملياً . وهكذا غادر الرجلان المدينة مهددين متوعدين .

وبالفعل بدأ ايقاع الحوادث يتواتر ويعلو فشيئاً عندما تشكلت لجنة خاصة من الدكتور بهاء الدين شاكر والوزير شكري والدكتور ناظم مهمتها اعداد خطة الاضطهادات وطريقة تنفيذها، خاصة، وان الحرب ـ كما ذكرنا ـ قد أعطت التوقيت المناسب لهذا التنفيذ بسبب انشغال الدول الأوروبية في حرب حياة أو موت . وقد انتهت هذه التدابير، على مستوى الدولة العثمانية الى قتل وتشريد الالاف الذين فروا في قوافل متتابعة، لجأ أكثرها الى سوريا، وكلفت الأرمن أكثر من مليون ونصف قتيل .

لوحة رقم ٣٣

موقف العرب من هذه الحوادث .

« وقد وجدت هذه الجماعات الملاحقة من قبل العشائر الرحل والموظفين الأتراك حماية ورأفة لدى الشعب العربي النبيل الذي كان بدوره يتعرض للاضطهاد من قبل الحكومة التركية . . . وقد حاول الموظفون العرب قدر استطاعتهم تخفيف الأوامر الصادرة اليهم من القسطنطينية،وقد وجد أشخاص رفضوا الانصياع لتلك الأوامر مطلقاً .

فحاكم دير الزور العربي مثلاً « علي سواد باي » كان قد وضع تحت حمايته آلاف اللاجئين الأرمن في منطقته وأوجد لهم فرصة العمل والكسب والحصول على الرزق وعندما صدرت اليه الأوامر بترحيلهم الى داخل الصحراء أبرق هذا الرجل العظيم الى حكام القسطنطينية ما يلي :

« إن وسائل النقل غير كافية لترحيل الجماعات ، أما اذا كان هدفكم قتلها وابادتها فانني لا استطيع القيام أو الأمر به » .

وقد عزل علي سواد باي على أثر رفضه هذا من قبل طلعت « باشا » وأبدل به ذكي باي المشهور بعطشه للدماء .

ـ من أقوال بعض الأدباء الأرمن كما أوردها السيد عثمان الترك في كتابه : (صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية) .

كما جاء في الكتاب المذكور وبنفس الموضوع ما يلي :

« تقضي المروءة بأن تُسجل للعرب عامة ، وللسوريين خاصة ، ما أظهروه لوحة رقم ٥٥
من شهامة وعطف أيام محنتنا لن ينساها الأرمن مدى الحياة . . . فقد آووا في بيوتهم
الكثيرين من اليتامى والمشردين إلى أن انقشعت الغمة . وقد أقدم العرب
(السوريون خاصة) على هذا العمل الإنساني بدافع من ضمائرهم رغم فداحة
المسؤولية التي عرضوا أنفسهم اليها » .

مجموعة أخرى من الأدباء الأرمن.

* * *

الفَصْل الثالث

المسألة الأرمنية خلال الحرب الأولى

الجمهورية الأرمنية - واتفاقيات ١٩١٦ (الانكليزية - الافرنسية - الروسية القيصرية) .

استطاعت الجيوش الروسية ، على الجبهة القفقاسية ، في مطلع الحرب العالمية الأولى ، من احتلال القسم الأكبر من المقاطعات الأرمنية في تركيا وهي : VAN و ERZURUM و BITLIS و ERZENGAN و MUSH . وعندما اندلعت الثورة الكبرى في الروسيا عام ١٩١٧ ، اضطر القيصر إلى سحب معظم قواته من هذه الجبهة ، لسحق الثورة في الداخل ، مما جعل هذه الولايات الأرمنية ، والمناطق القوقازية الأخرى ، بدون حماية ، خاصة بعد أن تخلت السلطات الروسية عن العاصمة TIFLIS[1] .

وعلى أثر الاضطرابات التي عمت أرجاء البلاد في هذه الفترة ، تشكلت في بتروغراد حكومة مؤقتة رأسها كيرنسكي عهد اليها بتسيير دفة الأمور في روسيا ، فعمدت هذه الى تعيين « لجنة عليا » ، عوضاً عن الحاكم القيصري ، مهمتها ادارة شؤون المناطق القوقازية ، ومن ضمنها الولايات الأرمنية ، حيث تألفت برئاسة روسي ، وعضوية أرمني ، وآخر تتري ، وعضوين جيورجيين .

١ - أي عاصمة الدول الترانسقوقازية (عبر القوقاز) Transcaucasia التي تضم أرمينيا الشرقية ، وجورجيا (الكرج) ، وأذربيجان (التتر) .

إلا أن هذه اللجنة فشلت في عملها بسبب الاضطرابات المحلية والنزاعات القائمة بين كل من الأرمن والتتر (الأذربيجانيين) ، والتتر والجيورجيين ، وهؤلاء والأرمن . وبسبب غياب الجهاز الاداري المنظم القادر على امساك مقاليد الأمور وتوجيهها .

والشيء الوحيد الذي تمكنت هذه اللجنة من تنفيذه تقريباً هو الاستجابة الى طلب « المجلس الوطني الأرمني » حول تشكيل جيش أرمني بحت . وبالفعل فقد ظهر هذا الجيش الى الوجود في تموز ١٩١٧ وعين الجنرال « نازاربيكوف » قائداً عاماً له .

ثم عمدت الحكومة الموقتة في بيتروغراد بغرض مداواة المعاملة اللاعادلة التي واجهها الشعب الأرمني من قبل السلطات القيصرية ، الى فصل المقاطعات الأرمنية (المشار اليها) عن روسيا ، واعلانها مقاطعات أرمنية محتلة عينت عليها نائب حاكم من أصل أرمني هو الدكتور زافريان ZAVARIAN . وفي ٢٥ ايلول ١٩١٧ ، وقد أصبحت أيام هذه الحكومة معدودة ، أصدرت قراراً آخر اعترفت بموجبه بحق تقرير المصير للشعب الأرمني من بين شعوب المنطقة [١] .

ومع سقوط الحكومة الموقتة ،عقيب اندلاع الثورة الشيوعية في البلاد في تشرين الأول ١٩١٧ ، واستلام الشيوعيين مهام الحكم ، قامت مفوضية الشعب السوفيتية (الحكومة السوفييتية) ، في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ، باصدار اعلان حقوق عموم شعوب روسيا اعترفت بموجبه بحق تقرير المصير للشعب الأرمني من ضمن شعوب الدولة الروسية [٢] .

وما عتمت الحكومة السوفييتية أن أعلنت حل اللجنة العليا المشار اليها ، ثم أصدرت قراراً آخر أناطت السلطة بموجبه الى المفوضية القوقازية ، ذات الصبغة الاشتراكية الديمقراطية ، التي عينها مجلس العمال والفلاحين لتنوب عن الحكومة

١ ـ راجع : Dr . sh . toriguian , The Armenian question and the international law

٢ ـ سنتوسع بخصوص هذا الاعلان عند دراستنا للمسألة الأرمنية من الناحية الدولية .

السوفييتية بادارة الحكم في هذه المنطقة . وقد تألفت هذه المفوضية من ١٢ مندوباً موزعين على الشكل التالي : ثلاثة أعضاء جورجيين ، ومثلهم من الأرمن ، واثنين من الروس ، وأربعة أعضاء آخرين من التتار .

وكان مجلس المفوضين هذا يتعاون مع مجالس الجنود والعمال ومع اللجان الطائفية والقومية العائدة للكرجيين والتتر والأرمن . كما أن هذا المجلس قام بتشكيل البرلمان القوقازي في تفليس الذي كان نصيب كل حزب فيه (روس ، أرمن ، تتر، كرج الخ. . .) من المقاعد متفقاً مع نسبة أصوات المقترعين التي انشيء بموجبها المجلس التشريعي الروسي .

وبتاريخ ١١ كانون الثاني عام ١٩١٨ أصدرت الحكومة السوفييتية قراراً حول « ارمينيا التركية » DECREE ABOUT TURKISH ARMENIA نص على ما يلي :

« إن مجلس المفوضية يعلن « للشعب الأرمني » بأن حكومة العمال والفلاحين في الروسيا تؤيد قضية الأرمن وحقوقهم في « ارمينيا التركية » التي تحتلها روسيا (كما أشرنا) ، وتتيح لهم فرصة تشكيل حكومتهم وتوطيد استقلالهم ، كما أن مجلس المفوضين يرى تحقيقاً لهذا الغرض أن يتقدم بالضمانات التالية :

أولاً : اجلاء الجيوش الروسية عن حدود « ارمينيا التركية » ، وتشكيل جيش على الفور من المليشيا الأرمنية لضمان أمن وسلامة السكان الأرمن والممتلكات الأرمنية في « ارمينيا التركية » .

ثانياً : عودة جميع اللاجئين الأرمن إلى « أرمينية التركية » ، بدون عائق ، وكذلك جميع المهاجرين في مختلف دول العالم .

ثالثاً : اعادة الأرمن الذين أخرجوا من « أرمينيا التركية » خلال سني الحرب من قبل السلطات التركية فوراً وبدون تأخير .

رابعاً : تشكيل حكومة شعبية مؤقتة في « أرمينية التركية » على شكل مجلس تمثيلي منبثق عن الشعب الأرمني عن طريق انتخابات ديمقراطية . ويكلف

السيد استيفان شاهوميان،الذي « عين مؤقتاً » مفوضاً فوق العادة لشؤون القوقاز،بتقديم كل مساعدةممكنة لسكان « أرمينيا التركية » من شأنها أن تساعدهم على ما جاء في الفقرتين « الأولى والثانية » . كما يكلف السيد شاهوميان أيضاً بتأليف لجنة مختلطة من الروس والأرمن لتحديد تاريخ ووسائل جلاء الجيوش الروسية من حدود « أرمينيا التركية » ، وفقاً لما جاء في الفقرة الأولى ، أما الحدود الجغرافية فتعين من قبل ممثلي الشعب الأرمني المنتخبين بالاتفاق مع السكان المسلمين،وغيرهم من سكان الولايات الواقعة على الحدود المختلف عليها ، وبحضور المفوض فوق العادة « شاهوميان » .

وقد قام كل من لينين وستالين بتوقيع هذه الوثيقة ـ القرار .

وفي الحقيقة ، فان هذه الوثيقة قد أقرت للأرمن بحقين ثم نسفتهما معاً بنفس الوقت:

١ ـ فهي من جهة، قد اعترفت للشعب الأرمني بحق تقرير المصير ، وكذلك بحقه في تشكيل دولة ـ على المدى البعيد .

٢ ـ الا أنها من جهة أخرى الغتهما عملياً ، حينما نصت في الفقرة الأولى ، على جلاء الجيوش الروسية من المقاطعات الأرمنية في تركيا ، مما عنى عملياً ترك الأرمن تحت رحمة الجيوش التركية الزاحفة .

ومهما يكن من أمر ، فان هذا الاعتراف من الحكومة السوفييتية للأرمن بحق تقرير المصير(على الأقل) ، كان يمكن أن يكون أكثر فعالية لولا اضطرار السوفييت في ٣ آذار ١٩١٨ الى توقيع معاهدة « بريست ليتوفسك » مع ألمانيا ، حيث أدت هذه المعاهدة الى الغاء هذا القرار برمته عبر الفقرة التاليةمنها:

« أن روسيا ستعمل كل ما باستطاعتها لاجلاء قواتها بسرعة عن الولايات الشرقية في الأناضول واعادة هذه الولايات الى تركيا ، خاصة ولايات : اردهان

وقارص وباطوم » .

وبموجب هذه الفقرة نلاحظ :

١ ـ انه قد تم استبدال تعبير « الولايات الأرمنية في أرمينيا التركية » ، بتعبير آخر هو « الولايات الشرقية في الأناضول » . ولا يخفى ما في هذا التغيير من تراجع ملموس بالنسبة للقرار السابق ، وبالتالي من سحب للاعتراف بحق تقرير المصير الممنوح للأرمن أولاً ، ولأرمينيا ثانياً .

٢ ـ كما أن هذا النص ترك ـ من الناحية الواقعية ـ مصير الأرمن مرهوناً بتصرفات الحكومة التركية [1] .

وتنفيذاً لبنود معاهدة « بريست ليتوفسك » المذكورة ، أخذت الجيوش الروسية بالانسحاب من هذه الولايات ، بحيث استعادت تركيا بهذه الطريقة كل الولايات الأرمنية التي خسرتها بموجب معاهدة سان استيفانو عام ١٨٧٨ ، بالإضافة الى الولايات الأرمنية المذكورة (اولتي ـ قارص ـ اردهان ـ باطوم) .

إلا أن الوفد القوقازي ، المشكل من الأرمن والتتر والكرج ، الذي دعي الى بريست ليتوفسك لتوقيع معاهدة الصلح مع الدول الوسطى (المانيا ـ النمسا ـ المجر ـ تركيا ـ بلغاريا ،على أساس الاعتراف باستقلال دول القوقاز ، رفض الاعتراف بمعاهدة بريست ليتوفسك ، وبشكل خاص تسليم المقاطعات الأرمنية ، باطوم ، اولتي ، قارص ، اردهان .

وهكذا بادر مجلس تفليس (مجلس النواب لدول القوقاز) ، الذي تشكل في ٢٣ شباط ١٩١٨ ، الى اتخاذ قرار بقطع علاقاته مع روسيا ، ثم أعلن استقلال الجمهورية الديمقراطية الاتحادية المستقلة في القوقاز (أي استقلال الجمهورية

---

١ ـ من الانصاف أن نقول أن روسيا اضطرت إلى التوقيع على معاهدة برست ليتوفسك ، فقد خسرت هي نفسها مساحات شاسعة من أراضيها . . . وجاء هذا التوقيع بعد الخسائر الفادحة التي تكبدها الجيش الروسي نتيجة الحركات المناوئة للسوفييت ضمن الاتحاد السوفييتي بالذات .

الترانسقوقازية) ، وتولى رئاسة الجمهورية الكرجي تشانكالي وذلك بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩١٨ .

إلا أن هذا الاستقلال لم يدم طويلاً ، فقد أصدر مجلس النواب قراراً بحل نفسه بعد أن عاش ٣٤ يوماً ، ثم أعلن الجيورجيون استقلالهم وعقدوا معاهدة تحالف مع المانيا لم تفدهم بشيء بسبب اضطرار هذه الأخيرة الى التوقيع على الهدنة بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ١٩١٨ .

وبانحلال الجمهورية الترانسقوقازية ، وعقيب اعلان الجيورجيين استقلالهم ، أعلنت كل من دولتي هذه الجمهورية الأخريين ، أرمينيا الشرقية ، وأذربيجان استقلالها .

الجمهورية الأرمنية ١٩١٨ - ١٩٢٠.

خلال هذه الفترة الحرجة من تاريخ أرمينيا ، أي خلال الزمن الذي صدرت فيه قرارات الحكومة المؤقتة في بتروغراد ، وعبر معاهدة « بريست ليتوفيسك » ، والاتفاقات السرية [1] والعلنية بين انكلترا وفرنسا ، وبين هاتين الدولتين وروسيا القيصرية ، وبين هذه الأخيرة وتركيا ، وبين ألمانيا وجيورجيا الخ . . . كانت القوات الأرمنية النظامية والقوات الأرمنية في الجيش الروسي (الذي بدأ الآن انسحابه متفسخاً بفعل الحرب) تخوض ومنذ شهر اكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩١٧ معارك فاصلة مع القوات التركية وتقاتلها بضراوة منفردة ودون أدنى مساعدة من الحلفاء أو غيرهم وذلك على عدة جبهات في كل من المقاطعات الأرمنية : تروبيزوند، موش ، دير زنكان ، ارزروم ، وفان ، وذلك في قتال استمر أكثر من ثمانية أشهر اضطرت خلالها القوات الأرمنية الى التراجع ، تحت ضغط الفرق التركية الأربعة ، الى الحدود الروسية ـ التركية القديمة .

---

١ ـ سوف نشرح هذه المعاهدة السرية بالتفصيل بعد صفحات قليلة نظراً لتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة على المسألة الأرمنية ككل .

ولكن القوات الأرمنية،التي كان يقودها ارام مانوكيان يعاونه ضباط أركانه :

لوحة رقم ٣٩ الجنرال ترو كانيان ، والجنرال نازار بيكويان ، والجنرال بروميان ، والجنرال سيلسكيان ، والجنرال اندرانيك(١) ، ما لبثت أن استعادت زمام المبادرة ودخلت

لوحة رقم ٣٥ من جديد في قتال عنيف مع الجيوش التركية في كل من سارتاراباد SARTARABAD، وباش اباران PASH APARAN، وكاراكيليسة KARAKILISE . وفي هذه اللحظات الحاسمة من تاريخ الأمة الأرمنية بالذات وجه القائد نازار إلى جنوده النداء التالي :

« اذا لم نثبت أننا أمة نذود عن حمى بلادنا وندافع عن شرفنا وحريتنا وسلامتنا بأيدينا فاننا نبرهن للعالم أجمع اننا أمة لا تستحق البقاء » .

وبالفعل فقد استطاعت القوات الأرمنية أخيراً من الحاق الهزيمة بالجيش التركي في منتصف شهر أيار ١٩١٨ ، وفي نفس الشهر ، أي في ٢٨ أيار ١٩١٨ على وجه التحديد ، تم اعلان استقلال أرمينيا ، كما سميت الدولة الجديدة « الجمهورية الأرمنية » . وفي يوم ٣٠ أيار من الشهر والعام نفسه وجه « المجلس الوطني الأرمني » البيان التالي الى الأمة الأرمنية في كل مكان مكرساً فيه استقلال الدولة الأرمنية للمرة الأولى بعد قرون عديدة :

« يرى المجلس الوطني الأرمني ، نظراً للوضع الراهن الذي نجم عن انحلال الوحدة السياسية القوقازية ، واعلان استقلال جيورجيا وأذربجان ، أن يعلن نفسه السلطة العليا الوحيدة على المقاطعات الأرمنية . ونظراً إلى أنه سوف يتعذر قيام حكومة وطنية أرمنية في الوقت الحاضر ، لذلك فان المجلس الوطني سيتولى جميع السلطات والأعمال الحكومية التي تساعده على ادارة شؤون المقاطعات الأرمنية السياسية والادارية » (٢) .

---

١ ـ كان هذا الجنرال « جندياً » عادياً خلال حوادث صاصون عام ١٨٩٥ . فقد بدأ حياته فدائياً ، ثم تدرج حتى وصل الى هذه المرتبة ، وقد رفض قبول معاهدة باطوم ، واعتصم مع جنوده في جبال كاراباغ حتى توقيع الهدنة عام (١٩١٨ ـ ٣٠ تشرين الأول) .

٢ ـ بول اميل : تاريخ ارمينيا ـ ترجمة شكري علاوي .

وما لبث هذا المجلس الوطني أن نقل مقره من تفليس الى العاصمة الجديدة « القديمة » يريفان ، بعد أن أرسل وفداً عن الجمهورية الأرمنية للاشتراك في مفاوضات الصلح مع الأتراك في باطوم .

وقد أسفرت هذه المعاهدة (باطوم) التي تم توقيعها في ٤ حزيران ١٩١٨ بين حكومة الجمهورية الأرمنية وحكومة الامبراطورية العثمانية عن اعتراف هذه الأخيرة بالدولة الأرمنية المستقلة التي حددت حدودها بموجب المادة ٢ منها بحيث تضم المقاطعات التالية : اردفان ، سيفان ، ايتشمايازين، الكسندر بول ، ثم ألحقت بها فيما بعد نخجوان NAKHICHEVAN[1] .

وبعد زمن قصير انقلب المجلس الوطني الأرمني الى حكومة انتقالية مؤقتة أخذت على عاتقها مهمة ادارة البلاد وسن القوانين . ثم تشكلت الوزارة الأولى برئاسة اوهانيس كاجازنوني وبدأت هذه الجمهورية تستكمل مقومات الدولة الحديثة حيث أضحت بعد عام من تأسيسها تملك جهازاً ادارياً منظماً خاصة عندما جرت انتخابات نيابية (آب ١٩١٩) أسفرت عن تشكيل أول مجلس نيابي مؤلف من ٨٠ نائباً ، كما أخذ عدد كبير من الدول الأجنبية بالاعتراف بها كدولة مستقلة، وتبادلت معها ـ على هذا الأساس ـ العلاقات الدبلوماسية .

وقد كان ظهور هذه الدولة ، بعد قرون من الضياع بين الدول المنافسة ، بمثابة الشرارة التي أوقدت في قلوب الأرمن المشاعر القومية، فتهافت عليها عدد كبير منهم من مختلف دول العالم، أخذوا يعملون على بناء أرمينيا جديدة التي كانت مساحتها الآن ١٢ ألف كم٢ .

وقد عمدت الوزارة الأولى الى اتخاذ التدابير وانتهاج الخطوات التي من شأنها خلق دولة عصرية ، فبدأت بترميم الطرق ، وتنشيط الصناعة ، وانشاء جامعة وطنية ، ووضع علم للدولة ، وتلافي مشاكل اللاجئين ، واحياء الزراعة

---

١ ـ وجرى ذلك في أعقاب الاصطدام الذي حصل بين الأتراك والأذربيجانيين .

وتوسيعها .

ولما لم يمض على توقيع معاهدة باطوم أيام قليلة ، حتى انتهزت تركيا الخلافات بين دول الحلفاء والمشاكل الداخلية التي عمت هذه الدول ، فعمدت في يوم ١٥ حزيران ١٩١٨ إلى نقض هذه المعاهدة التي كرست استقلال أرمينيا ـ باعتراف تركيا نفسها ـ وهاجمت باكو واحتلتها .

وعندما وقعّت كل من تركيا والمانيا اتفاقية الهدنة مع الحلفاء بتاريخ ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ (معاهدة مودورس) [١] ، عاودت قوات الجمهورية الأرمنية احتلالها لكل من الكسندر بول وقارص واردهان ، التي زحفت اليها الجيوش التركية، وأوقعتها في قبضتها ، وضمتها اليها حيث أصبحت مساحتها الآن ٦٠,٠٠٠ كم٢ .

ثم اتخذت الحكومة الأرمنية خطوة تكتيكية على الصعيد السياسي عندما أرسلت وفدين إلى مؤتمر باريس (للصلح) ، أحدهما برئاسة أواديس اهارونيان (وكان يمثل الدولة الأرمنية) ، وثانيهما برئاسة بوغوص نوبار باشا (وكان يمثل أرمينيا الغربية ، المقاطعات الأرمنية ، الواقعة في الأراضي التركية) . وقد قام الوفدان بتقديم مذكرة رسمية باسم الجمهورية الأرمنية الى الحلفاء بتاريخ ١٩١٩/٢/١٥ احتوت في خطوطها العريضة على مطالب الأرمن لجهة الاعتراف بوعود الحلفاء أثناء الحرب حول انشاء الوطن الأرمني المستقل ، والاعتراف أيضاً بالحكومة القائمة في يريفان .

وتأكيداً على هذه المطالب أعلنت الجمهورية الأرمنية في ٢٨/ ٥/ ١٩١٩ استقلال ووحدة الأراضي الأرمنية في كل من الاتحاد السوفييتي (عبر مناطق القوقاز) ، وتركيا الكمالية (المقاطعات الأرمنية الشرقية في تركيا) معاً .

وجواباً على مذكرة الوفد الأرمني الى مؤتمر الصلح اعترف المجلس الأعلى

---

١ ـ وقعت تركيا هذه المعاهدة ، على ظهر المدرعة « أغا ممنون » في مرفأ مندروس (لنمبي) ، احدى جزر اليونان ، وكانت تتألف من ٢٥ مادة .

للحلفاء THE ALLIED SUPREME COUNCIL باستقلال الدولة الأرمنية، كما اعترفوا أيضاً «فعلياً» DE FACTO بالحكومة الأرمنية القائمة على ادارة وتوجيه سياسة هذه الدولة، كما أوصى هذا المجلس بوضع الجمهورية الأرمنية تحت وصاية عصبة الأمم التي رفضت هذا الاقتراح (؟)[1] وردته باعتباره موضوعاً يخرج عن اختصاصها.

وفي الواقع فقد جاءت مسألة الوصاية ـ الانتداب MANDATE هذه، نتيجة طبيعية لتخوف الأرمن، وبعض دول العصبة (رومانيا وغيرها)، من وضع أرمينيا الذي لا تحسد عليه. فقد كان الأتراك على أبواب العاصمة، كما أصبح الجيورجيون (يساندهم الالمان)، وكذلك الأذربيجانيون (يساندهم الأتراك)، ضد حلفاء الأمس (أي الأرمن). فضلاً عما كانت تعانيه الجمهورية من مشاكل داخلية وخارجية وخاصة من جراء الأمراض وتكاثر اللاجئين والحروب التي استنزفت قوى الجمهورية المادية والبشرية.

وهكذا كان لا بد من حماية أرمينيا من الأطماع الدولية (التركية ـ الالمانية، الجيورجية، الأذربيجانية) الخ ... عن طريق وضعها تحت الانتداب على الأقل.

وبالفعل، ولهذا الغرض، وصلت إلى أرمينيا، موفدة من قبل الرئيس الاميركي ويلسون WILSON لجنة كينغ ـ كراين KING CRANE[2] يرافقها الجنرال هاربويد HARBOID لتدرس على الطبيعة، مسألة فرض الانتداب على أرمينيا. إلا أن رفض مجلس الشيوخ الأميركي (٣١/ ٥/ ١٩٢٠) لاقتراح مجلس الحلفاء (المقدم بتاريخ ٢٥/ ٤/ ١٩٢٠) حول هذا الخصوص (الانتداب) قد نسخ هذه الفكرة، فضلاً عن رفض دول العصبة نفسها القيام بهذه المهمة.

وجاءت معاهدة السلام التي وقعتها تركيا في سيفر بتاريخ ١٠ آب ١٩٢٠،

---

١ ـ سوف نفسر المقصود من هذه الإشارة (؟) عند تحليلنا للمعاهدة السرية الثلاثية لعام ١٩١٦ بعد قليل.

٢ ـ عملت هذه اللجنة، ولنفس الغرض، ولكن أيضاً لدراسة مطالب أهل البلاد في سورية.

بمثابة الدواء الناجع لحل مشكلة الانتداب ـ الحماية أو الوصاية هذه . اذ اعترفت تركيا بموجب هذه المعاهدة ـ التي اشتركت الجمهورية الأرمنية في التوقيع عليها ـ باستقلال الدولة الأرمنية (المادة ٨٨) . كما خول الرئيس الأميركي ولسون (بموافقة أرمينيا وتركيا والدول الموقعة على المعاهدة) صلاحية تعيين حدود الجمهورية الأرمنية وتحديد خطوط ونقاط الفصل بين الجمهورية الأرمنية وتركيا بالنسبة للولايات الأرمنية : فان ، ارزروم ، ترويبزند ، بتليس ، على أن تقبل هاتان الدولتان قرارات الرئيس ولسون الصادرة بهذا الشأن (المادة ٨٩) .

وبتاريخ ٢٢/ ١١/ ١٩٢٠ صدر قرار الرئيس ولسون التحكيمي بصدد الحدود وغيرها عندما نص على حق الجمهورية الأرمنية في استعادة مساحة من الأرض تقدر بـ ٨٧ ألف كم٢ ، أي ولاية فان بأكملها ، والقسم الأكبر من ولايات ارزروم وبتليس مع منفذ على البحر في ولاية ترويبزند . وكان قد سبق للرئيس نفسه أن صرح عن حدود أرمينيا كما يراها (وذلك بتاريخ ٢٤ آذار ١٩٢٠) اذ قال في واشنطن : « يجب أن تكون حدود أرمينيا مرسومة بحيث تنطبق بشكل حقيقي على الشعب الأرمني ويجب أن تعطى ممراً سهلاً إلى البحر خالياً من العقبات » .

وكالعادة ، كان يمكن لمعاهدة سيفر ، لو قيض لها البقاء ، أن تهيء أسباب وجود الدولة الأرمنية المستقلة حتى هذا اليوم ، الا أن نمو القومية التركية وظهور النزعة الكمالية في تركيا أفسدا كل شيء .

فقد قامت القوات التركية الكمالية ، بعد شهر ونصف تقريباً من التوقيع على معاهدة سيفر ، وبالتحديد بعد ٤٣ يوماً أي بتاريخ ٢٤ ايلول ١٩٢٠ ، بفسخ هذه المعاهدة عندما هاجمت تحت قيادة قاظم قره بكير، ثم احتلت، قارص واردهان والكسندر بول وأولتي . . . ثم طلب الطرفان الهدنة ووقف القتال .

والطريف في الأمر ، أن الدول كافة ، وقفت، ازاء هذه العمليات الحربية المنافية لمعاهدة سيفر ، التي لم يجف حبرها بعد ، لا تحرك ساكناً (ولعلنا سنوضح في التحليل المقبل تفسيراً لهذا الموقف) .

وهكذا وجدت الحكومة الأرمنية نفسها مضطرة لتوقيع معاهدة الكسندر بول [1] بتاريخ ٢/١٢/١٩٢٠ مع حكومة الجمعية الوطنية الكبرى في تركيا الكمالية في أضنة .

وتتالت الأحداث بعد ذلك على الجمهورية الأرمنية . فقد بدأ الضغط الروسي ، فضلاً عن تحركات القوات التركية ، يشكل تهديداً خطيراً لاستقلال هذه

---

١ - فيما يلي نص هذه المعاهدة :

أ - يعترف المجلس الوطني الكبير لتركيا (حكومة أتاتورك) باستقلال أرمينيا بالحدود التالية : من جنوب اخلكلاك الى أوج قبة لر، ومنها إلى أربة جاي، ومن مجرى هذا النهر حتى تلاقيه مع اراكس، ومن أراكس إلى محطتها، حتى حدود جايكند.

ب - تبقى متنازعاً عليها لمدة ٣ سنوات ولايتا قارص وسورمالو Sourmalu ، وفي خلال المدة المذكورة فللحكومة الأرمنية حق اجراء استفتاء عام لتعيين أمورها ومقدراتها وذلك تحت رقابة رجال الدرك الأرمن والأتراك معاً .

ج - على أرمينيا أن ترفض معاهدة سيفر ، وتسحب جميع وفودها من أوروبا ، وأن تقصي جميع ممثلي الحلفاء عن بلادها ، حتى يُعقد الصلح مع تركيا .

د - لا يسمح لأرمينيا أن يزيد عدد أفراد جيشها على ١٥٠٠ جندي ، وهذا الجيش يكون للحفاظ على الحدود ، ويكون مثل هذا العدد من الشرطة ، ولا تحصن القلاع بالمدافع الثقيلة، ويحظر التجنيد الاجباري .

هـ - تتعهد تركيا بالدفاع عن أرمينيا حين وقوع أي هجوم خارجي على بلادها وذلك بموجب طلب من أرمينيا .

و - للدولتين الأرمنية والتركية الحق بالاستفادة من الترانزيت بواسطة السكك الحديدية والطرق المعبدة .

ز - لا يدفع الطرفان أية ضمانات حربية .

ح - بعد التوقيع على المعاهدة وعندما يسير القطار، يجري تبادل الأسرى المدنيين ، وفي أثناء تحديد الحدود بين البلدين يكون تبادل الأسرى العسكريين أيضاً .

ط - تلغي أرمينيا جميع معاهداتها المعقودة ضد الأتراك .

ي - لجميع المهاجرين الحق بالعودة الى ديارهم الأصلية خلال سنة واحدة والتمتع بالحقوق المدنية ، عدا أولئك الذين حاربوا ضد حكومتهم .

ك - الأرمن في تركيا، والأتراك في أرمينيا ، متساوون بالحقوق المدنية .

ل - يبدأ تبادل الممثلين السياسيين بين الطرفين وحرية السفر ذهاباً وإياباً للمدنيين بعد المصادقة على المعاهدة من قبل السلطات المسؤولة في الدولتين، وكذلك تعود الاتصالات البرقية والبريدية .

م - يعطى الاستقلال الدائم لولايتي شارور ونخجوان تحت الانتداب التركي حتى يقرر مصيرهما .

ن - يجب أن يتم التصديق على هذه المعاهدة خلال شهر واحد من قبل المجلس الوطني التركي ، ومجلس النواب الأرمني .

س - ينسحب الجيش التركي من أرمينيا حينما تسرح هذه جيشها وتخفض عدده الى المقدار المقرر بالمعاهدة .

الدولة الفتية ، مما دفع بحكومة يريفان الى ارسال وفد عنها يضم تروكانايان، ودردريان،وشانت الى موسكو لمفاوضة حكومتها . الا أن وزير الخارجية الروسي أصر على اجرائها (أي المفاوضات) في العاصمة الأرمنية نفسها . وشكل لهذا الغرض وفداً عهد برئاسته إلى السيد لوكران وزوده بمطلق الصلاحيات ، فعرض هذا على الحكومة الأرمنية اتفاقاً من ثلاث نقاط :

١ ـ الغاء معاهدة سيفر .
٢ ـ اعطاء القوات الروسية حق المرور في الأراضي الأرمنية للوصول الى القوات التركية (الحليفة) .
٣ ـ قبول وساطة روسيا مع كل الخلافات التي تنشب بين أرمينيا وجاراتها .

ولم تلبث الحكومة الأرمنية (وقد رفضت البند الأول الخاص بالغاء معاهدة سيفر) ، أن وافقت بتاريخ ٢٢/١٢/ ١٩٢٠ (أي بعد ٢٠ يوماً فقط من توقيعها على معاهدة الكسندر بول) ، على عقد الاتفاقية التالية مع روسيا :

١ ـ تعترف روسيا باستقلال أرمينيا .
٢ ـ تتوسط روسيا لانهاء الحرب التركية ـ الأرمنية .
٣ ـ تعطى روسيا حق المرور لقواتها عبر الأراضي الأرمنية .
٤ ـ قبول وساطة روسيا في حل الخلافات الأرمنية مع جاراتها.

ثم استقالت الحكومة الأرمنية ، عقيب الاضطرابات التي جرت في أرمينيا ، حيث تألفت حكومة جديدة قامت باعتقال أعضاء الوزارة السابقة ، بالاضافة الى عدد كبير من ضباط الجيش (١٥٠٠ ضابط) .

وتوالت الاضطرابات حتى اشتعلت الثورة ،فتشكلت على الأثر «لجنة انقاذ» بتاريخ ١٨ شباط ١٩٢١ ترأسها سيمون فراتيان الذي احتفظ لنفسه أيضاً بمنصب وزير الخارجية ، واستلم ارشاق اوهانسيان وزارة الدفاع ، وغارو ساسوني وزارة الداخلية ، وهمبارسوم دردريان (عضو بعثة شانت دردريان الى موسكو الآنفة

الذكر) وزارة المالية ، وغورو ترفانيان قائداً أعلى للجيش . ولم تعمر هذه الوزارة طويلاً ، فقد دخلت القوات الروسية الأراضي الأرمنية ، وعينت عليها حاكماً من لدنها ، حيث أصبحت هذه الجمهورية جزءاً من الاتحاد السوفييتي منذ ٣ كانون الأول ١٩٢١ وذلك بموجب الدستور السوفييتي الذي اسماها ، اعتباراً من عام ١٩٢٦ ، جمهورية أرمينيا السوفييتية .

وقبل هذه الحوادث بأشهر قليلة ، تقدم وفد الجمهورية الأرمنية الى مجلس عصبة الأمم بطلب انضمام الجمهورية الأرمنية اليها ، استناداً الى معاهدة سيفر ، التي اعترفت باستقلال أرمينيا كدولة قائمة بذاتها . وكانت الغاية من هذا الطلب هي الاستفادة من مضمون المادة ١٠ من ميثاق العصبة التي تنص « على احترام دولها (العصبة) ومحافظتها ضد كل اعتداء خارجي على سلامة أراضي اعضاء العصبة واستقلالها السياسي ، وفي حالة وقوع تهديد أو اعتداء فان المجلس يعلن عن الوسائل التي يمكن بمقتضاها تنفيذ هذا الالتزام » .

ولم يلبث الوفد أن استلم رد العصبة بالرفض ؟ . . وكان السبب هو عدم وجود حدود سياسية ثابتة للدولة الأرمنية والمعاهدات التي وقعتها مع الروس والأتراك .

تحليل تاريخي ـ المعاهدة السرية الثلاثية ١٩١٦

الاتفاقية: الانكليزية، الأفرنسية ـ الروسية القيصرية وتأثيراتها على الجمهورية الأرمنية والقضية الأرمنية ككل.

مر معنا في فصل سابق ، أن ملابسات مد خط حديد سكة بغداد التي بدأت عام ١٨٩٩ ، قد انتهت في عام ١٩١٤ إلى جملة من الاتفاقات والمعاهدات السرية بين المانيا من جهة ، وفرنسا وانكلترا وروسيا القيصرية من جهة ثانية ، اذ نالت بموجبها كل من هذه الدول ، « حصتها » ، و « مناطق نفوذها الاقتصادية » ، في الولايات العثمانية في آسيا الصغرى . وقد أدت هذه الاتفاقات والمعاهدات ، كما وساهمت

بالنسبة للجانب الثاني ، أي فرنسا وانكلترا وروسيا ، في تحسين علاقات هذه الدول ، وزيادة تقاربها من بعضها ، نظراً لتقارب وجهات نظرها نفسها فيما يتعلق باقتسام الغنائم ، ووراثة تركة الرجل المريض . وقد تجلى هذا التقارب نهائياً في توقيع هذه الدول الثلاث على ما أسماه الفيكونت غراي GRAY الاتفاقية الفرنسية - البريطانية - الروسية، حول مناطق النفوذ في آسيا الصغرى: راجع: .SETON — WATON,R.W. THE RISE OF NATIONALITY OF THE BALKANS P. 127.

وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً بالنسبة للظروف المحيطة بتوقيع هذه المعاهدة الثلاثية السرية ، وسيتبين بعد قليل مدى تقسيماتها وتأثيراتها على القضية الأرمنية بالذات ، فاننا يجب أن نذكر أيضاً انها قد جاءت أيضاً (الى جانب تزايد النفوذ الالماني وتغلغله في الامبراطورية العثمانية، وفق السياسة التي رسمها الامبراطور غليوم، «الزحف شرقاً»، بما بات يشكل خطراً على «مصالح» هذه الدول في المناطق العثمانية نفسها، وفق ما شرحناه حول ملابسات مد خط سكة حديد بغداد)، تحت وقاية «مظلة» من الاتفاقات والمعاهدات السابقة لتاريخ الاتفاقات والمعاهدات التي أشرنا اليها أعلاه ، وهي حسب التسلسل التاريخي الذي ظهرت به:

١ - الاتفاق الودي عام ١٩٠٤ ENTENTE CORDIALE بين انكلترا وفرنسا ، الذي اعترفت بموجبه هذه الأخيرة ببقاء بريطانيا في مصر، في حين سلمت انكلترا بمركز فرنسا الخاص في مراكش، فضلاً عن تسوية مشاكل الحدود بينهما عبر السنوات القادمة .

٢ - اجتماع ريفال RIVAL MEETING عام ١٩٠٧ بين قيصر روسيا وملك انكلترا الذي اتفقا فيه على اقتسام تركة الرجل المريض « الدولة العثمانية » ، وهو الاجتماع الذي دفع رجال الاتحاد والترقي الى الاسراع في ثورتهم على السلطان عبد الحميد لانقاذ ما يمكن انقاذه .

٣ - الوفاق الثلاثي عام ١٩٠٧ أيضاً بين انكلترا وفرنسا وروسيا . وجاء هذا الوفاق عقيب اتفاق روسي - انكليزي ، تلا بدوره الاتفاق الودي ، وذلك بتأييد

ومساعدة فرنسا، حل، بين الدولتين الخلافات حول مناطق النفوذ بينهما في الشرق الأقصى (أي في التيبت وأفغانستان مع تقسيم ايران الى منطقتي نفوذ : شمالي روسي ، وجنوبي انكليزي) . واذا عدنا الآن الى موضوع بحثنا ـ المعاهدة السرية الثلاثية [1] ، نجدها تتألف في الواقع من شقين :

١ ـ الأول وسمي « معاهدة استانبول (وهي التي تفيدنا في هذا المقام)»حيث تم بموجب هذا الشق ـ المعاهدة تحديد حصة روسيا القيصرية في أرمينيا ، وغيرها من بلاد آسيا الصغرى ،من أملاك الامبراطورية العثمانية .

٢ ـ والثاني وعرف باتفاقية : سايكس ـ بيكو (وهو ما سندرسه بدوره في باب قادم ـ العلاقات العربية الأرمنية عبر التاريخ ـ بالتفصيل) . وجرى فيه تحديد حصة كل من انكلترا وفرنسا في سوريا ولبنان والعراق،من أملاك الامبراطورية العثمانية .

معاهدة استانبول[2]
أو
الشق الأول من المعاهدة السرية الثلاثية : الانكليزية، الافرنسية، الروسية القيصرية. بشأن الحاق أرمينيا بروسيا القيصرية.

في الواقع ، فاننا نرى ، وقبل أن نتعرض الى تحديد وتفصيل الأسباب الخفية، التي كمنت ، في اعتقادنا ، وراء سقوط الجمهورية الأرمنية ، وكذلك قبيل تفسيرنا

---

١ ـ كشف تروتسكي ـ وزير خارجية الاتحاد السوفييتي ـ في شهر تشرين الثاني عام ١٩١٧ النقاب عن هذه المعاهدة السرية عند العثور عليها في أرشيف وزارة الخارجية الروسية .وكانت جريدة مانشستر غارديان البريطانية أول صحيفة انكليزية نشرت خلاصة هذه المعاهدة في عدديها الصادرين بتاريخ ٢٦ و٢٨ تشرين الثاني ١٩١٧ (يمكن الرجوع اليهما عند الحاجة لمن أراد التوسع في هذا البحث) .

٢ ـ كتاب المعاهدات الدولية : يوسف بك اصاف . المطبعة العمومية ـ مصر ـ مصر، بالنسبة للنص الخاص أدناه « حول مناطق نفوذ روسيا » .

لماهية الموقف ، اللاعادل ، الذي اتخذته دول العصبة (خصوصاً انكلترا وفرنسا) من قضية انضمام الجمهورية الأرمنية الى هذه العصبة ، وما يوفره لها هذا الانضمام ، اعمالاً لمنطوق المادة ١٠ من ميثاق هذه المنظمة ، من حماية لاستقلالها وديمومتها. م نقول اننا نرى أن نستعرض الآن ، وأولاً ، نص معاهدة استانبول (من الاتفاقية الانكليزية ـ الافرنسية ـ الروسية) التي تشرح بنفسها (مع شقها الثاني ـ اتفاقية سايكس ـ بيكو) أكثر ما خفي من مواقف هذه الدول الثلاث من الأحداث التي ذكرناها في هذا الفصل حول نشوء وانهيار الجمهورية الأرمنية من جهة ، ومن المسألة الأرمنية ككل أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها ، أي حتى تاريخ دخول هذه المسألة ـ بموجب معاهدة لوزان ـ « مستودع » القضايا الدولية « المعلقة » ، من جهة ثانية .

لقد جاءت الحرب العالمية الأولى بفرصة نادرة لتحقيق مطامع [1] هذه الدول الثلاث التي كرسها كل من الاتفاق الودي ، واجتماع ريفال ، والوفاق الثلاثي ، في حصول كل منها ، على حصتها في ممتلكات الدولة العثمانية . وهكذا بدأت المفاوضات فيما بين هذه الدول الثلاث ، وأبرمت مع بعضها معاهدات سرية خلال السنوات الثلاث الأولى من الحرب (١٩١٤ ـ ١٩١٥ ـ ١٩١٦)، توزعت فيها الدول المتحالفة أوصال الامبراطورية العثمانية ، واعترفت بموجبها كل « دولتين » بحق الدولة الثالثة في أجزاء الدولة العثمانية بعد تجزئتها ، كما جرى تبادل المذكرات التي تحدد الحصة الروسية القيصرية في بتروغراد PETROGRADE في يوم ٢٦ نيسان ١٩١٦ بين وزير الخارجية الروسي م . سازونوف M.SAZANOFF، والسفير الفرنسي المسيو م . باليولوج M. BALIULOGH. وبعد اسابيع قليلة جرى تبادل المذكرات بين السفير الروسي الكونت بندنكروف BENDEN KRUFF، ووزير الخارجية الانكليزية ادوارد

---

١ ـ بالنسبة لروسيا ، فهي منذ حكم أسرة رومانوف كانت تحلم بالوصول الى البحار الدافئة عبر مضائق الدردنيل والبوسفور . وبالنسبة لانكلترا فهي مهتمة ، منذ قرون ، بتأمين سبل المرور لقوافلها البحرية من والى الهند عبر باب المندب مروراً بقناة السويس . أما فرنسا ، فهي منذ الحملات الصليبية ، طمحت في الاستيلاء على سورية ولبنان وسواحلهما .

غراي EDWARD GRAY .

وبعد مفاوضات وقع الحلفاء الثلاثـة يوم ٤ آذار ١٩١٦ في سان بطرسبـرغ ST.PETERSBURG على معاهدة ثلاثية جرى فيها تقسيم البلاد العثمانية - ومن بينهـا الولايات الأرمنية في تركيا - الى مناطق نفوذ بين الدول الثلاث المتعاقدة على الشكل التالي :

« منطقة النفوذ الروسية » .

«أولاً : تُضم الى الروسيا المناطق التالية :

أ - ولايتا ارزروم وبتليس والمناطق التابعة لها .

ب - الأراضي الكائنة « جنوبي كردستـان » ، وتمتـد على خط من ولاية موش الى سعرد .

جـ - تتجه نقطة الحدود هذه من موش شمالاً الى البحر الأسود فتدخل تروبيزند في سمتها .

د - تنتهي نقطة حدود الروسيا على البحر الأسود شرقي تروبيزند .

ثانياً : تخضع هذه الأراضي خضوعاً تاماً الى حكومة صاحـب الجلالـة قيصر روسيا وتعتبر من ممتلكاته » .

أما مناطق نفوذ وحصة انكلترا وفرنسا فقد حددها الشق الثاني من المعاهدة (سايكس بيكو) كما أشرنا .

إن نص هذه المعاهدة يوضح ببساطة - كما أسلفنا - الكثير من الخفايا التـي رافقت نشوء وسقوط الجمهورية الأرمنية وموقف الدول الأخرى من المسألة الأرمنية ودخول أرمينيا عصبة الأمم ورد هذه الأخيرة لطلب الانضمام اليها .

وبقول آخر :

١ - أصبح لروسيا القيصرية بموجب هذه المعاهدة حق ضم هذه الولايات الأرمنية

اليها ، ولانكلترا وكذلك لفرنسا حصتها في الدول العربية (سورية ولبنان)، من الامبراطورية العثمانية .

٢ ـ ولأن هذا قد حصل فقد أصبح واجباً على كل دولة :

أ ـ أن تصمت (أو أن تغض الطرف) ، عن « تصرفات » الدولتين الأخريين فيما تقوم به كل منهما من « أعمال » تخص « تحقيق »«وتنفيذ » مضمون الأهداف التي رسمتها هذه المعاهدة السرية كحصة مقررة لها .

ب ـ وأن تساعدهما « أيضاً » ، وبأشكال ايجابية وحتى سلبية ، في الوصول الى هذه الأهداف .

جـ ـ وأن تعمل ، كل من هذه الدول الثلاث ـ منفردة أو مجتمعة ـ وحسب الموقف ، مع دول أخرى ـ خارج نطاق هذه المعاهدة السرية ـ على تشكيل أكثرية مؤيدة لمطالب دولتي المعاهدة الأخريين .

وهكذا رأينا ، استناداً الى هذه « المفاهيم » ما يلي :

١ ـ رفض دول العصبة (عصبة الأمم) قبول فرض الانتداب ، أو الوصاية ، على أرمينيا لحمايتها من الأطماع التركية وغيرها . وإذا ظهرت بعض النوايا من قبل بعض الدول في المساعدة على الاشتراك في هذه العملية ، فان هذه الدول سرعان ما استنكفت في نهاية الأمر ، كما مر معنا آنفاً . وعملياً جاء هذا الاستنكاف نتيجة الجهود الخفية المشتركة المبذولة استناداً الى النبذة « جـ » . وفي تفسيرنا لنجاح هذه الجهود نجد أمامنا عاملين :

أ ـ الثقل السياسي الذي تمثله كل من هذه الدول الثلاث داخل العصبة ، وما ينجم عن هذا الاعتبار من ضغوط قوية على الدول الأعضاء لاتخاذ مواقف مؤيدة لهذه الضغوط .

ب ـ استمرار هذه الدول الثلاث في انكار وجود « المعاهدة السرية الثلاثية » ،

رغم اعلانها .

وفي الحقيقة ، ما كان هناك ما يمنع ، لولا وجود هذه المعاهدة ، من فرض الانتداب على أرمينيا كما فرض على غيرها من دول العالم .

٢ ـ وعندما صدر القرار التحكيمي عن الرئيس ولسون بتاريخ ١٩٢٠/١٢/٥ حول حدود أرمينيا ، جاء خلواً من أي نص صريح يوضح كيفية وطريقة تنفيذ مضمون هذا القرار . وبقول آخر جاء هذا التحكيم حبراً على ورق . والدليل ما انتهى اليه هذا التحكيم نفسه ، ولا نرى بشأن ذلك الا العودة الى النبذة (ج) اياها لتفسير هذا « الخلو » ؟ .

٣ ـ وعندما هاجمت الجيوش التركية الجمهورية الأرمنية وأجبرتها على توقيع معاهدة الكسندر بول المجحفة ، قامت روسيا بدورها بالدخول الى الجمهورية الأرمنية ، وسكتت انكلترا وفرنسا عملياً ، ولم تتداخلا ، لمنع سقوط هذه الجمهورية ـ التي اعترفتا باستقلالها ـ بل وعلى العكس :

أ ـ إذ عندما احتجت أرمينيا على هذه الاعتداءات ، وطالبت عصبة الأمم تذكير الدول الموقعة على معاهدة سيفر بتنفيذ التزاماتها تجاه الأعضاء (خصوصاً المادة ١٠ من ميثاق العصبة) ، كان جواب انكلترا [١] (بالذات) : « بأن الدول الحليفة فعلت كل ما بوسعها لمساعدة أرمينيا وقدمت لها المؤ ن « والمحروقات» ؟ . . . ثم أضافت : « وباعتبار أن الرئيس ولسون لم يصدر قراره بصدد الحدود بعد ، فانه من العبث معالجة الموضوع على ضوء ما نصت عليه تلك المعاهدة » ! .

---

١ ـ لا يجب أن ننتبه ـ بخصوص المعاهدات السرية ـ الى تصريحات رؤساء الدول ، أو الحكومات ، أو الى هيجان الرأي العام العالمي ممثلاً بالصحافة والمظاهرات ، لسببين : الأول تغطية هؤلاء المسؤولين لبنود المعاهدات السرية ، ذراً للرماد في العيون . والثاني عدم معرفة الرأي العام ـ في أي مكان ـ بمضمون الاتفاقات السرية التي تعقدها حكوماتها . وأحببنا ايراد هذا الاستدراك بمناسبة المظاهرات والمقالات الصحفية التي انتقدت موقف بريطانيا من المسالة الأرمنية ـ خصوصاً تفكك الجمهورية الأرمنية ـ التي شهدتها انكلترا وفرنسا في ذلك الوقت .

ب ـ وعندما اشتدت المناقشات بين دول الحلفاء ـ بصدد طلب أرمينيا المشار اليه في الفقرة السابقة ـ تقرر بالاجماع تبني اقتراح فرنسا المتضمن ما يلي :

« ان العصبة تحدوها رغبة التعاون مع المجلس لانهاء المأساة الأرمنية الرهيبة ، تدعو المجلس للاتفاق مع الحكومات ذات الشأن لتكليف دولة تأخذ على عاتقها اتخاذ التدابير الكفيلة بوضع حد للاشتباكات بين أرمينيا وتركيا » . وتطوعت لهذه المهمة كل من أميركا واسبانيا والبرازيل . ولكن السؤال الذي يجب أن يرد هنا هو : « هل أخذت احدى هذه الدول عملياً التدابير الكفيلة بوضع حد للمأساة الأرمنية كما اقترحت فرنسا ؟» ويأتي الجواب بالنفي لأن هذا الطلب وضع «أصلاً» لتمييع تدخل الدول فعلياً في انقاذ أرمينيا . . . وقد أثبتت الأحداث وجاهة هذا الرأي ، بدليل زوال الجمهورية الأرمنية نفسها .

٤ ـ وأكثر من هذا ، فان تقاسم الجمهورية الأرمنية بتوزعها نهائياً بين دولتين ، انما جاء بدوره اعمالاً لمضمون معاهدة استانبول نفسها . . رغم أن الدولة الأولى تركيا كانت هي المحل الذي انصب عليه الاتفاق . أما كيفية تفسير هذا التناقض في هذه المواقف بالنسبة للمعاهدة الأصلية بالذات فهو بسيط :

اذ أن المتغيرات الدولية [١] ، قد أملت على الدولتين الأخريين [٢] في المعاهدة ـ خاصة بعد أن أبدى الطرف الجديد الفاعل [٣] موافقته على التنازل عن « املاكه في سوريا ولبنان » إلى أصحاب العلاقة [٤] ـ أن تطلب الى الطرف الثالث [٥] في المعاهدة تنفيذ ما تمليه عليه التزاماته تجاهها ـ وهي حصولها على

١ ـ ونعني بذلك ظهور الكمالية في تركيا كقوة جديدة منظمة .
٢ ـ أي انكلترا وفرنسا .
٣ ـ أي تركيا .
٤ ـ أي انكلترا وفرنسا أيضاً .
٥ ـ أي روسيا ـ .

الحصة المقررة لهما أصلاً في المعاهدة ؟ . . وهكذا وجدت هذه الدولة[1] نفسها - بحكم المتغيرات اياها تتقاسم مع هذا « المتغير الدولي » [2] - الحصة المحددة لها . . وأكثر من هذا أن تصبح حليفاً لهذا الشريك الجديد ضد شركاء الأمس [3] - أعداء اليوم .

٥ - « وعندما عقد مؤتمر الصلح في الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني عام ١٩٢٣ طلب الوفد التركي - برئاسة عصمت اينونو - شطب أي بحث يتعلق بمعاهدة سيفر وشرعيتها من جدول الأعمال والأخذ بعين الاعتبار فقط واقع الحال كما هو عليه الآن . . . فاستجاب رؤساء الوفود (الحلفاء) الى هذا الطلب الذي كان في نظرهم من« البديهيات » !

٦ - وأخيراً وبغض النظر عن هذه « الحقائق » كلها ، فقد أكدت الأحداث التاريخية - وهي المحك الأول والأخير في تفسير الواقع وتحديده - وصولية المعاهدة الثلاثية والدور الخطير الذي لعبته بالنسبة للمسألة الأرمنية ، سواء لجهة زوال الجمهورية الأرمنية ، أو لجهة تصنيف هذه لمسألة ذاتها في عداد القضايا الدولية التي لا تزال تنتظر الحل؟ . . لوحة رقم ٣٦

* * *

---

١ - أي روسيا أيضاً .

٢ - تركيا .

٣ - أي انكلترا وفرنسا .



الباب الخامس

المسألة الأرمنية والقانون الدولي

THE ARMENIAN QUESTION AND THE INTERNATIONAL LAW .

١٩٢٣ م - ؟

إن الأسطول البريطاني لا يستطيع تسلق جبال ارارات؟ . . .

اللورد سالسبوري

رئيس وزراء «انكلترا العظمى»؟



الجزاء من جنس العمل. هذه قاعدة
عرفتها البشرية منذ فجر التاريخ. واليوم،
والقرن العشرون بدأ يذبل وينتهي، مازال
هذا المبدأ معمولاً به. ولكن السؤال يرد
هنا: ترى هل تطبق قواعد القانون الدولي
«عملياً» كلما استجدت «حالة» تستدعي
«اعمال» هذا القانون.

إن الواقع ، والمتغيرات الدولية ، وسياسة القوة ، والمكيافيلية « الحديثة » للدول الاستعمارية في هذا القرن «المشع »، كلها عوامل تقف حائلاً، لسبب أو آخر، وتبعاً للمصالح «الذاتية» لهذه الدول ، أمام تقديم هذه «الحالة» للهيئات الدولية المختصة للنظر فيها واقرار الأحكام العادلة بشأنها، ومن هذا القبيل المسألة الأرمنية .

ومهما يكن من أمر هذه الدول «العظمى»، وما يلحق باهتماماتها المعكوسة، « تجاه » مصالح وحقوق الأمم المغلوبة، من انتقاصات وارهاصات، فان القانون، والقانون الدولي بوجه خاص، يبقى من الوجهة الموضوعية، صالحاً للنظر في هذه «الحالات»، مهما بعد الزمن، أو امتد، بين وقوع « الغبن » من جهة ، وبين تطبيق العدالة تجاه الظلم الجاري وقوعه بحق المعتدي عليه، من جهة ثانية .

وحتى يهل هذا الوقت، فان هذا الباب سيأخذ على عاتقه معالجة المسألة الأرمنية من وجهة نظر القانون الدولي ومن زاوية مجردة. . وهو من أجل هذه الغرض فانه سيعالج هذا الموضوع برمته عبر الفصول التالية :

الفصل الأول : عمليات الإبادة الجماعية GENOCIDE في القانون الدولي.
الفصل الثاني : مؤيدات القانون الدولي في الاعتراف بالحقوق الأرمنية .

الفَصْل الأوّل

المسألة الأرمنية والقانون الدولي .

ـ عمليات الإبادة العنصرية GENOCIDE في القانون الدولي ـ

إن عمليات الإبادة العنصرية التي شملت الأمة الأرمنية في الامبراطورية العثمانية ، واتخذت مسرحاً لها السنوات الممتدة بين أعوام ١٨٩٤ - ١٩١٥ ، تشكل جريمة بموجب القانون الدولي ، يعاقب مرتكبها[١] ، ويجبر على وضع حد لاستمرارها ، كما يلزم في الوقت نفسه باصلاح الضرر الذي ألحقه بالمتعدى عليه[٢] .

وبالرغم من أن هذا القانون الدولي ينصرف بشكل عام ـ كما يتضح من التعريف[٣] أدناه ـ إلى معالجة القضايا ذات الطابع « الدولي » ، الا أن كثيراً من فقهاء الحقوق الدولية العامة[٤] ، يؤيدون مبدأ تطبيق قواعد هذا القانون على الفرد ، ويبررون ذلك ، انه ما دام الشعب يتألف من أفراد ، فان هدف الحقوق الداخلية والخارجية في النهاية هو خدمة الفرد نفسه[٥] .

---

١ ـ المواد ١ و٣ و ٤ من ميثاق الإبادة العنصرية لعام ١٩٤٨ الذي سنورده مفصلاً في نهاية هذا الفصل .

٢ ـ وذلك استناداً الى نتائج « المسؤولية الدولية » التي ستتعرض اليها في فصل قادم .

٣ ـ القانون الدولي بالتعريف هو : مجموعة القواعد التي تحدد حقوق الدول وواجباتها في علاقاتها المتبادلة (فوشيل Fauchille ـ الكتاب الأول ـ الجزء الأول ـ ص ١) .

٤ ـ ومن هؤلاء : دوكييه ، سيل ، وبوليتس .

٥ ـ الحقوق الدولية العامة ـ الدكتور فؤاد شباط عميد كلية الحقوق بجامعة دمشق ـ طبعة ١٩٥٨

وفي الواقع نجد في الحقوق الدولية العامة ، القانون الدولي العام ، كثيراً من القواعد التي تطبق مباشرة على الأفراد ، فمن هذه القواعد ما يستهدف حماية « حياتهم » (حظر القرصنة) ، أو يستهدف حرياتهم (تحريم الرق) ، أو حماية « اخلاقهم » (منع الاتجار بالمخدرات) .

وإذا رجعنا الى القانون الدولي مرة ثانية ، نجد بين مصادره الأساسية [1] العرف الدولي COUTUMES ، الذي ذكرته الفقرة الثانية من المادة ٣٨ من نظام محكمة العدل الدولية « كمستند ترجع اليه المحكمة في تنفيذ مهمتها بتسوية المنازعات التي تعرض عليها » . ويقول هذا النص :

« إن المحكمة الدولية تستند إلى العرف الدولي كدليل على تعامل معترف فيه بأنه حكم من أحكام الحقوق ، ومنشأ هذا العرف هو اجماع الدول على القبول بقاعدة ما وموافقة اعمالها عليها CONSENSUS AMNIUM ، وهذه القاعدة إما أن تكون صادرة في الأصل عن اجتهاد المحاكم الدولية ، أو عن تعامل دبلوماسي جرى تكراره بشكل شائع ومستمر « واقترن بموافقة الشعور العام الدولي عليه » [2] .

وهذا النص الأخير ، وخصوصاً التعامل « الدبلوماسي الذي جرى تكراره بشكل مستمر نتيجة اجماع الدول عليه » ، يقودنا في الواقع الى اعتبار مداخلات الدول الأوروبية بمناسبة عمليات الإبادة للشعب الأرمني بمثابة العرف

---

١ ـ إن مصادر هذا القانون هي ، نفس المرجع السابق :
١ ـ التصريحات الدولية Declarations .
٢ ـ العرف الدولي نفسه Coutumes .
٣ ـ المعاهدات الدولية Traités .
٤ ـ آراء الفقهاء Doctrines .
٥ ـ مقررات الهيئات الدولية وتوصياتها Decisions et recommendations .
٦ ـ اجتهاد المحاكم الدولية Juris prudence Internationales .
٧ ـ اجتهاد المحاكم الداخلية Juris prudence Internes

٢ ـ وسوف نبرهن على موافقة « الشعور العام الدولي » أي الرأي العام الدولي ، على هذا التعامل الدبلوماسي الذي جرى تكراره في الصفحات القادمة من هذا الفصل .

الدولي القابل للتطبيق عملياً أمام المحاكم الدولية المختصة ، ويمنحنا في الوقت نفسه الأرضية القانونية الصالحة لاستعراض هذه المواقف والمداخلات تأييداً لما جاء به التعريف نفسه :

١ ـ ففي ٣١ كانون الثاني ١٨٧٧ بعث الأمير غورجتوف ـ وزير الخارجية الروسي ـ بكتاب الى الدول الأوروبية يطلب تدخلها للاشتراك في اجراء الاصلاح في الدولة العثمانية والا اضطر القيصر لاتخاذ تدابيره . . وبالفعل وقعت الحرب التركية ـ الروسية التي استمرت من نيسان الى كانون الأول ١٨٧٧ بانتصار الروس وفرض معاهدة سان استيفانو ١٨٧٨ ، والمادة ١٦ منها ، الخاصة بالاصلاحات التركية في المقاطعات الأرمنية .

٢ ـ وكان قد سبق للسير غلادستون رئيس وزراء بريطانيا في عام ١٨٨٠ أن أولى المسألة الأرمنية اهتمام حكومته ، خاصة في بيانه الوزاري،بحيث حض على تدخل انكلترا لارغام تركيا على انصاف الأرمن . وتجلى هذا الاهتمام عملياً في ارسال مذكرات شديدة اللهجة استطاع الباب العالي التهامها بابتسامة ذات مغزى .

٣ ـ ثم عاد رئيس وزراء بريطانيا نفسه ، السير غلادستون ، وقال في خطاب له : « ان تراجع الدول الأوروبية عن مساندة المسألة الأرمنية ، سوف يشوه سمعة هذه الدول . »

٤ ـ وعندما جرى احتلال البنك العثماني ، من قبل بعض الشباب الأرمن تم الفصل بين هؤلاء والحكومة العثمانية عن طريق مداخلات سفراء الدول «الأجنبية»، خاصة السكرتير الأول للسفارة الروسية .

٥ ـ ثم عمد السلطان نفسه إلى الهاء الدول الأوروبية ووقف مداخلاتها الإنسانية ، بوسائل مختلفة [1] كان يقوم بها بغرض ابطال الآثار « العرفية » التي ستنجم عن

---

١ ـ ومن ذلك المماطلة في استقبال سفراء هذه الدول ، أو اعطاؤهم ردوداً مبهمة ، وكذلك التسويف، فضلاً عن شرائه لبعض الصحف الأوروبية التي أخذت تشن حملات تأييد للسلطان الخ . .

استمرار مداخلاتهم .

٦ ـ وبنتيجة حوادث صاصون ، عمدت الحكومة العثمانية ، بهدف التشويش على مداخلات الدول الأوروبية ، إلى ارسال لجنة تركية للتحقيق في الأعمال التي يرتكبها الأتراك والأرمن .

٧ ـ وبتاريخ ١١/ ١١/ ١٨٨٥ ، وفي نفس المناسبة ، طالبت الدول الأوروبية ، بمذكرة مشتركة ، الحكومة العثمانية ببعض الضمانات التي تمنع وقوع حوادث كتلك التي جرت في صاصون ، كما شددت على تطبيق الاصلاحات الكافية لاعادة الهدوء والاستقرار ، بحيث اضطرت الحكومة العثمانية الى تقديم اقتراحات من ١٦ مادة .

٨ ـ وفي أواخر عام ١٨٩٥ ، وفي عهد السلطان عبد الحميد ، وكيما يبرر هذا الحاكم ارتكابه عمليات الاضطهاد التي كان يقوم بها تجاه،سفراء الدول الأجنبية في عاصمته ، لجأ الى استخدام القضاء التركي وتسخيره في اصدار أحكام صورية تتهم« الأرمن »بالخيانة العظمى .

٩ ـ وفي مذكرة اصدرها السلطان بتاريخ ١٧/ ١٠/ ١٨٩٦ عبر عن عزمه على تطبيق التنظيمات والاصلاحات التي طلبتها الدول الأوروبية بشأن الأرمن .

١٠ ـ وجرياً على هذا الاجماع الدولي وموافقة الرأي العام العالمي على هذه المداخلات ، بحيث اتخذ هذا الاجماع صفة العرف في القانون الدولي ، أصدر الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، بمناسبة عمليات الإبادة الجماعية (١٩١٥) ، تصريحاً أعلنوا فيه مسؤولية الأشخاص القائمين على هذه الحوادث وعن رغبتهم في محاكمتهم بعد انتهاء الحرب .

إن هذه المواقف تدل ولا شك ، كما جرى بيانه أعلاه ، على تعامل دبلوماسي جرى تكراره بشكل مستمر ، واقترن بموافقة الرأي العام العالمي عليه (يرجى الرجوع الى الحاشية رقم ٢ السابقة) ، مما يمكن معه اعتبار هذا الموقف تنفيذاً

للتعريف السابق الذي جاءت به المادة ٣٨ من نظام محكمة العدل الدولية ، في شطرها الأول ـ أي من اللازم اعتباره بمثابة العرف الدولي الصالح للتطبيق عملياً كما نوهنا .

وأيضاً . وتأكيداً على هذا العرف الدولي ، نجد أن محاكمات نوزمبرغ تذهب الى أبعد مما جاء به النص السابق .

فقد تألفت هذه المحكمة في نورمبرغ (بألمانيا) ، وباشرت عملها يوم ١٨ تشرين الأول ، وبدأت النظر في رؤية الدعوى اعتباراً من تاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٥ ، واختتمتها في تشرين الأول ١٩٤٦ ، بعد أن عقدت ٤٠٤ جلسات .

وقد نصت المادة ٦ من ملحق اتفاقية لندن المؤرخ في ١٨ آب ١٩٤٥ (المعقودة بشأن هذه المحاكمة) على أنها ـ أي محكمة نورمبرغ ـ تنظر في الجرائم التالية :

١ ـ الجرائم ضد السلم (الحرب العدوانية) .

٢ ـ جرائم الحرب ، كالجرائم المرتكبة بحق المدنيين وتهديم المدن الآمنة بدون مبرر خلال الحروب .

٣ ـ الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية (جرائم الإبادة العنصرية) ، كالاستعباد والإفناء والاضطهاد العنصري .

إن هذه المادة (٦) تثبت بما لا يدع مجالاً للشك وجود « عرف في القانون الدولي »،وهو أن الإبادة العنصرية تشكل جريمة ضد الإنسانية ويعاقب مرتكبها . (وبالفعل صدرت أحكام الإعدام بحق ٢٨ نازياً تم قتلهم جميعاً) .

وقد اعترض بعض كتاب الحقوق الدولية على المفعول الرجعي لاتفاق ١٩٤٥ الذي شمل محاكمة أفعال مسبقة لتاريخ اصداره (بمعنى أن لا جرم بلا قانون ولا عقوبة بلا نص استناداً إلى أن اتفاق عام ١٩٤٥ وضع بعد حدوث الجرم لا قبله) . . ولكن يبرر هذا المفعول الرجعي ثلاثة ضوابط حقوقية هي :

١ ـ قصد الدول المتعاقدة .

٢ ـ وجود نصوص سابقة يمكن الرجوع اليها في تبرير محاكمة مجرمي الإبادة العنصرية ظهرت للوجود قبل الحرب العالمية الثانية ، وهي صك عصبة الأمم من جهة ، وميثاق باريس (بريان ـ كيلوغ) من جهة ثانية .

وهذان الميثاقان يحرمان الحرب ـ وبالاستنتاج المقابل يحرمان ما ينجم عنها من عمليات إبادة عنصرية مقصودة .

٣ ـ وما أجابت به المحكمة نفسها [١] أمام دفوع محامي المتهمين من أنه « لا يعتبر الميثاق (اتفاق آب ١٩٤٥ بخصوص الإبادة العنصرية) ممارسة تعسفية للسلطة من جانب الأمم الظافرة ولكن في نظر المحكمة . . . أن ذلك يشكل تعبيراً للقانون الدولي الموجود منذ انشائه » .

« وبقول آخر كانت المحكمة تقول بأن الميثاق ليس الا اعلاناً عن عرف موجود في القانون الدولي ، أي أنها لم تضع قانوناً جديداً وانما كانت فقط « تعلن » الأنظمة الموجودة في عرف القانون الدولي » [٢] .

كما أن الجمعية العمومية للأمم المتحدة أعلنت في قرارها رقم ٩٦ تاريخ ١٩٤٦/١٢/١١ « بأن الإبادة العنصرية تعتبر بموجب القانون الدولي جريمة ضد روح وأهداف الأمم المتحدة وينبذها العالم المتمدن .

وهكذا نصل الى نتيجة حاسمة وهي أن القانون الدولي كان يعترف ـ قبل محاكمات نورمبرغ ١٩٤٦ ، وقبل ميثاق الإبادة العنصرية ١٩٤٨ ـ بأن الإبادة العنصرية جريمة ينبذها العالم المتمدن ويعاقب عليها القانون الدولي [٣] .

ومرة ثالثة ، ولما كان ميثاق الأمم المتحدة هو المصدر الرئيسي الذي ينبغي الرجوع اليه في الحقوق الدولية المعاصرة ، فاننا نتأكد من حماية الحقوق البشرية أيضاً

---

١ ـ الدكتور شافرش تورجيان ـ القضية الأرمنية والقانون الدولي .

٢ ـ المرجع نفسه .

٣ ـ المصدر ذاته .

في كل من :

١ ـ مقدمة ميثاق الأمم المتحدة والميثاق نفسه .

٢ ـ الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية (الميثاق الأوروبي لحقوق الإنسان) .

٣ ـ اجتهاد المحاكم الدولية .

٤ ـ آراء الفقهاء .

١ ـ حماية الحقوق البشرية في مقدمة ميثاق الأمم المتحدة .

« خطا القانون الدولي في عصرنا الحاضر خطوة جبارة بفضل ميثاق الأمم المتحدة الذي يجب اعتباره بمثابة الناظم للعلاقات بين الدول ، فالمبادىء والأهداف التي تضمنها ليست مجرد رغبات بل يجب اعتبارها في كنهها التزامات حقوقية »[1] . « وفي الواقع نرى أن هذه الالتزامات قد أصبحت ذات تأثير ليس في علاقات الدولة الخارجية فحسب ، بل وفي قوانينها الداخلية ، فقد مضى الزمان الذي كانت تنفرد فيه الدولة بتحديد سياستها الداخلية كما تشاء ، وأصبحت هذه السياسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعلاقات الخارجية »[2] .

« والحقوق الدولية العامة تتناول الفرد ولو بصورة غير مباشرة ، ويمكن التأكيد أن سعادة الفرد أصبحت اليوم مرتبطة بالقواعد الدولية ارتباطها بالحقوق الداخلية نفسها . . . فقد أخذت الحقوق الدولية العامة في الوقت الحاضر تزيد اهتمامها بالفرد ، كما أسلفنا ، مستهدفة خدمته واسعاده »[3] ، والدليل على ذلك ما ورد في مقدمة ميثاق الأمم المتحدة من أنه « يرتكز على ايمان الدول من جديد في حقوق الإنسان الأساسية ، وفي كرامة الشخصية البشرية وقيمتها ، وفي مساواة الرجال والنساء ، وعلى ايجاد الشروط اللازمة لصيانة العدل ، وعلى

---

١ ـ الحقوق الدولية العامة : الدكتور فؤاد شباط .

٢ ـ المرجع نفسه .

٣ ـ المصدر ذاته .

رعاية الرقي الاجتماعي وتنظيم شروط أحسن للحياة في نطاق حرية أوسع ، وانه يهدف إلى أن يعيش الإنسان مع أخيه في سلم وجوار » .

كما جاء في المادة الأولى من الميثاق « أن من أهداف الأمم المتحدة اشاعة وتشجيع حرمة « حقوق الإنسان » و « الحريات الأساسية للبشر أجمع من غير تمييز في العرق أو اللغة أو تفريق بين الرجل والمرأة » .

ويجب أن نذكر هنا أن عدم « اقتران قواعد القانون الدولي بمؤيدات جزائية لا يفقدها (أي لا يفقد هذه النصوص) صفتها القانونية ولا ينقلها الى دائرة القواعد الأخلاقية ، فعلى أثر الحربين الأولى والثانية ظهرت مؤيدات جزائية هامة تنزل بالدول لدى مخالفتها قواعد الحقوق الدولية »[1] .

وبجانب ازدراء الرأي العام الدولي (ازدراء الدول) الذي تبلور في نصوص ميثاق الأمم المتحدة ومن قبلها في نصوص ميثاق عصبة الأمم [2] نص الميثاق الأخير في المادة ١٦ منه على المقاطعة الاقتصادية ، ثم جاءت نصوص الميثاق الأول مشحونة

---

١ ـ نفس المرجع .

٢ ـ أشرنا في حاشية سابقة (رقم ٢) إلى أن العرف الدولي ينشأ نتيجة تعامل معين تقره الدول ويقترن بموافقة الرأي العام الدولي عليه ، ونرى هنا ، بمناسبة ازدراء هذا الرأي العام « لعمليات الإبادة التي ارتكبتها السلطات التركية بحق الأرمن » أن نثبت هذا الازدراء حقاً .

ولا يمكن ، في الوقت الذي جرت فيه عمليات الإبادة ١٨٩٤ ـ ١٩١٥ ، للرأي العام أن يعبر عن سخطه تجاه موقف معين الا عن طريق الخطب والمظاهرات وما تنشره الصحف اليومية من تعليقات حول هذا الموقف . وهكذا يتحدد « طريق التعبير » المتوفر لدى هذا « الرأي العام » ، نظراً لفقدان الاذاعة وعدم اختراع التليفزيون وقتذاك ، بهذه الوسائل من التعبير :

١ ـ فقد تفاعل الرأي العام الأفرنسي مع حوادث صاصون عندما قام المسيو شراسون بالقاء خطاب صاخب في مدينة باريس أمام الجماهير المجتمعة لنفس الغاية شرح فيه ملابسات حوادث صاصون وتالوري ، وأبرز صوراً فوتوغرافية تمثل عمليات احراق القرى .

٢ ـ وأيضاً قامت المظاهرات الحاشدة في العواصم الأوروبية (لندن ـ باريس ـ صوفيا الخ . . .) هتف فيها المتظاهرون بسقوط السلطان عبد الحميد وهاجموا القنصليات التركية .

٣ ـ أما الصحافة ، وهي التي تعبر عن رأي الشعوب التي تصدر فيها فقد جاءت كما يلي :

بالتدابير الجذرية التي يقرها مجلس الأمن في فض المنازعات الدولية ، من مقاطعة اقتصادية ، وتضامن الدول في محاربة الدول المعتدية .

وفضلاً عما تقدم فقد اتجهت الدول الحديثة الى الاعتراف بقواعد الحقوق الدولية في دساتيرها ، علاوة على ما ورد في الوثائق الرسمية الدولية من تصريحات مشتركة ثنائية أو جماعية تقر بهذا الاعتراف بشكل لا يدع مجالاً للشك في تقييد السياسة الداخلية بقواعد الحقوق الدولية ومن ذلك :

- تصريحات اكس لا شابل AIX LA CHAPELLE (٢٥ تشرين الثاني ١٨١٨) وجاء فيها : أن رؤساء الدول لن يحيدوا فيما بينهم وفي علاقاتهم مع الدول الأخرى ، عن مراعاة مبادىء الحقوق الدولية بكل دقة .

- مقدمة صك جمعية الأمم ١٩١٩ من أنه « يجب أن تراعى على وجه التشدد ، قواعد الحقوق الدولية العامة وأن تعتبر من الآن فصاعداً الناظم لسلوك

---

١ - نشرت جريدة الكونجر يجاسيو نالست في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ كانون الأول ١٨٩٣ في بوسطن بأميركا مقالاً تضمن تأييد الشعب الأميركي للمقاومة الأرمنية ضد السلطات التركية كما نشرت فقرات عن أهداف المقاومة الأرمنية .

٢ - كما نشرت جريدة الديلي نيوز في عددها الصادر بتاريخ ٤ تموز ١٨٩٤ مقالاً تحدثت فيه عن نية الدول الأوروبية بشأن الإسراع في تطبيق الإصلاحات في الدولة العثمانية عن طريق تعيين وال يشرف على هذه الإصلاحات (والحقيقة أنه مراقب دولي) A kind of Vice - roy .

٣ - وفي عام ١٨٩٤ قامت الصحف البريطانية بنشر مقالات ونبذات عن النداءات التي وجهها الأرمن .

٤ - وفي أواخر عام ١٨٩٢ - وعقيب سقوط حكومة المحافظين واستيلاء الأحرار بقيادة غلادستون على مقاليد الحكم في إنكلترا - كثر اهتمام الصحافة البريطانية بالمسألة الأرمنية كما كثر عدد السياسيين ورجال الأدب الذين أخذوا يكتبون مع هذه المسألة .

٥ - كما ان مجلة لوستراسيون الصادرة بتاريخ الأول من حزيران ١٨٩٥ نشرت تحقيقاً مصوراً عن الفرقة الحميدية والأعمال التي قامت بها ضد الأرمن .

٦ - ومنذ عام ١٨٨٨ بدأت الصحف التالية : الديلي كرونيكل ، والستاندرد ، والبال مال غازيت اهتمامها بالمسألة الأرمنية وأخذت تشرح أوضاع الأرمن وظروفهم في تركيا بالتفصيل .

الحكومات » .

- مقدمة ميثاق الأمم المتحدة : من أن « شعوب الأمم المتحدة عازمة على ايجاد الشروط اللازمة لصيانة العدل وحرمة الالتزامات الناتجة عن المعاهدات وعن سائر مصادر القانون الدولي » .

٢ - الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية .

وقد تم التوقيع على هذه الاتفاقية في ٤ تشرين الثاني ١٩٥٠ في روما . وتعتبر هذه الاتفاقية خطوة ثالثة (الى جانب الاعلان السابق وميثاق الأمم المتحدة) نحو الاعتراف للفرد بخضوعه لأحكام القانون الدولي ، ونحو حماية هذا القانون لحرياته وحقوقه .

وقد تضمنت هذه الاتفاقية انشاء هيئتين دوليتين لضمانة حقوق الإنسان وهما :

١ - لجنة حقوق الإنسان .
٢ - المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان .

٣ - اجتهاد المحاكم الدولية :

اشارت المادة ٣٨ من نظام محكمة العدل الدولية الى أنها تستند في أحكامها الى الاتفاقيات الدولية العامة والخاصة التي تحدد قواعد تعترف الدول المتنازعة صراحة بها وإلى العرف الدولي . وكذلك تستند إلى مذاهب كبار الكتاب - السياسيين في مختلف الأمم - كوسيلة احتياطية لتعيين القواعد الحقوقية .

وفي الحقيقة وتأكيداً على هذا النص ، الذي يمكن استخدامه في تفنيد عمليات الإبادة العنصرية وشرح ملابساتها ، فاننا نسرد الآن آراء كبار الكتاب السياسيين (كما يفهم من الوظائف المحددة بجانب أسمائهم) الذين عاصروا الاضطهادات الأرمنية والمشكلة الأرمنية واستنكروها بما « يشكل أساساً حقيقياً ومستنداً قانونياً يمكن

لمحكمة العدل الدولية أن تستند اليه في اصدار أحكامها ، فيما لو عرضت عليها عمليات الإبادة الأرمنية وتجريم المسؤولين عنها .

أ - كتابات المؤرخ والسياسي ارنولد توينبي [1]

كتب عام ١٩١٥ يقول :

« . . . وفي يوم معين ، قامت قوات الدرك باحتلال الشوارع في المدن والقرى الأرمنية الرئيسية ثم ساقت الآلاف من الأرمن الى الخدمة العسكرية تحت طائلة التهديد بالإعدام في حال التخلف» .

ب - كتابات هنري مورجانتو - السفير الاميركي في استانبول .

ويتابع هذا الرجل سرد بقية البداية التي أوردها توينبي فيقول :

« . . . سمحت ظروف الحرب للسلطات التركية بتنفيذ مخططاتها تجاه الشعب الأرمني ، فقد تم القاء القبض أولاً على القادة الأرمن ورجالاتهم ثم نفوا إلى أماكن مجهولة جرى اغتيالهم فيها . . . ثم سيق الشباب الأرمني بالمئات إلى الجيش دون تزويدهم بالسلاح حيث جرى استخدامهم في تعبيد الطرق واصلاح الجسور وغيرها . . . كما بدأت السلطات في تدمير القرى بحجة البحث عن السلاح والفارين من الخدمة . . . وما عتمت هذه السلطات أن باشرت بعدها عمليات التشريد الكبرى حيث انتزع الآلاف من دورهم ومزارعهم ونفوا الى صحاري سورية والعراق سيراً على الأقدام » .

ج - كتابات فردريك ناسان - مندوب عصبة الأمم للاجئين .

« . . . وفجأة ، قام وزير الداخلية طلعت باشا بالقاء القبض على رجالات الأرمن في استانبول ليلة ٢٥ نيسان . . . اساتذة،محامين ، أطباء ، رجال دين

---

١ - ومواقف هذا المؤرخ المشهور من القضية العربية الفلسطينية مشهود بها . . اذ يقرر أن لا سلام إلا بعودة الفلسطينيين الى بلادهم .

. . . وعددهم يصل إلى ٦٠٠ انسان نفوا جميعهم الى مجاهل آسيا الوسطى دون محاكمة أو تحقيق » . . .

٤ ـ آراء الفقهاء .

عندما عددنا مصادر الحقوق الدولية (في مطلع هذا الفصل) ، أشرنا إلى أن من بينها آراء الفقهاء . وفي الحقيقة فقد صنفت المادة ٣٨ من نظام محكمة العدل الدولية هذه الآراء في عداد المصادر الاحتياطية ، التي تبقى رغم هذه الصفة ذات الزام دولي وقت الحاجة .

وهكذا نجد بين الفقهاء من يعمل على سرد الوقائع الدولية (ككتابات الرجال السابقين) فيستخلصون القواعد التي تطبقها الدول في سلوكها مع بعض . . . وهم بهذا الاعتبار يعبرون عن شعور الأمم المتمدنة وأعرافها ولذلك فانهم يقدمون معلومات هامة من عناصر الحقوق الوضعية .

وهكذا يمكن القول أن أقوال هؤلاء الكتاب تشكل مصدراً اظهارياً لقواعد الحقوق الدولية .

ويمكن أن نعد من هؤلاء فوتيل VATTEL(١٧١٤ ـ ١٧٧٦) الذي وضع مؤلفه المشهور في الحقوق الدولية المسمى :DROIT DES GENS. . ومما يقوله في هذا الكتاب :

« أنه تجب مساعدة الشعوب ، من قبل الشعوب الأخرى ، عندما تكون الأولى مغلوبة على أمرها ، وذلك لازالة مجاعة أو ضيق» .

* * *

الفَصْل الثَاني

مؤيدات القانون الدولي في الاعتراف بالحقوق الأرمنية

كانت المسألة الأرمنية ، وفق التعريف [1] الذي أوردناه لها في تمهيدنا للفصل السابق ، وإلى ما بعد الحرب الروسية التركية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ بقليل ، محصورة في نطاق مطالبة الشعب الأرمني بتحقيق الاصلاحات الداخلية في المقاطعات الأرمنية الواقعة ضمن حدود الامبراطورية العثمانية .

إلا أن التطورات المفاجئة التي أعقبت هذه الحرب داخل الدولة العثمانية ، وحيثما تعلق الأمر بالشعب الأرمني بالتحديد ، قد دفعت كلاً من الأرمن أنفسهم ، والدول الأوروبية ذاتها ، الى التفكير بضرورة وضع حل جذري للمسألة الأرمنية برمتها .

وبالفعل ، فقد تجسدت هذه الأفكار عملياً من خلال الأحداث الدولية التي شهدها العالم خلال هذه الفترة ـ وبالتحديد احداث الحرب العالمية الأولى وما نجم عنها من معاهدات واتفاقات وتصريحات ـ وذلك حينما أعلن رسمياً عن انشاء الجمهورية الأرمنية في ٢٨ أيار ١٩١٨ كدولة مستقلة ذات سيادة .

إلا أن سقوط هذه الدولة بعد زمن قصير ، وبالتحديد عام ١٩٢٠ ، قد سلخ المسألة الأرمنية عن مفهومها التقليدي الأولي (طلب الاصلاحات) ، وأدخلها في

---

١ ـ إن هذا التعريف مستمد في الواقع من حقيقة المطالب الأرمنية خلال تلك الفترة من القرن التاسع عشر وما قبلها .

عداد القضايا الدولية المعاصرة المعلقة التي تنتظر الحل ، والتي تصلح بذاتها للنظر فيها مجدداً من قبل المجتمع الدولي الممثل بمجالسه المختصة (الجمعية العمومية للأمم المتحدة) ، ومحاكمه المهنية (محكمة العدل الدولية). . وذلك اتفاقاً وانسجاماً مع :

١ ـ مبادىء القانون الدولي العام الذي تشكل المواثيق والمعاهدات والأعراف الدولية عموده الفقري ومحتواه .

٢ ـ ومع الزخم القانوني « الذي تتمتع به هذه المسألة » استناداً الى نفس المؤيدات الدولية السابقة مضافاً اليها التصريحات الدولية ومبادىء العدل والانصاف التي تعتبر بدورها من مصادر القانون الدولي العام .

وهكذا نخلص الى أن الاعتراف « الدولي » بالأرمن ، قد مر بالمراحل القانونية ـ التاريخية التالية :

١ ـ **المرحلة الأولى**: مرحلة الاعتراف الدولي « بضرورة تحقيق الاصلاحات الداخلية في الولايات الأرمنية ضمن الامبراطورية العثمانية » .

٢ ـ **المرحلة الثانية** : مرحلة الاعتراف الدولي « بالجمهورية الأرمنية كدولة مستقلة » .

٣ ـ **المرحلة الثالثة** : مرحلة الوقت الراهن .

وتاريخياً ، امتدت المرحلة الأولى من عام ١٨٦٣ (عام اعلان الدستور الوطني الأرمني) وحتى عام ١٨٧٨ ، تاريخ معاهدتي سان استيفانو وبرلين وإلى ما بعدهما بقليل .

أما المرحلة الثانية فقد بدأت عام ١٩٠٨ مع اعلان الدستور العثماني وحتى عام ١٩٢٠ « حينما تم سقوط الجمهورية الأرمنية » .

أما المرحلة الثالثة فقد نشأت مع معاهدة لوزان ١٩٢٣ وما تزال مستمرة حتى

الوقت الحاضر .

وقد اعتبرنا عام ١٩٢٣ كأساس لظهور المسألة الأرمنية « كمسألة معلقـة » ، نظراً لقيام معاهدة لوزان (١٩٢٣) باحالة هذه المسألة الى « الأرشيف الدولي » . . . أي أن هذه المعاهدة عملياً قد أدخلت المسألة الأرمنية في عداد القضايا الدولية التي ما زالت تنتظر الحل .

ولسوف نستعرض فيما يلي هذه المراحل ، وفق ترتيبها ، من النواحي القانونية والدولية .

I ـ المرحلة الأولى : مرحلة «الاعتراف الدولي» بضرورة تحقيق الاصلاحات الداخلية في الولايات الأرمنية ضمن الأمبراطورية العثمانية .

ويمكن أن ندرج تحت هذه المرحلة كلاً من « الاعترافات الدولية » ـ القانونية التالية :

١ ـ الدستور الوطني الأرمني الذي أقرته الامبراطورية العثمانية نفسها .

٢ ـ مواقف الدول الأوروبية ومداخلاتها بشأن طلب الاصلاح في الولايات الأرمنية .

٣ ـ معاهدة سان استيفانو .

٤ ـ معاهدة برلين [1] .

٥ ـ مؤتمر لندن .

---

١ ـ أكثر هذه النصوص القانونية مرت معنا في فصول سابقة . . . وفي الحقيقة فان النص الحقوقي ـ الدولي الواحد يمكن ان يثبت أمرين في نفس الوقت :

أ ـ الأمر الأول : بالنسبة للحقوق الداخلية ، حيث تؤكد هذه النصوص حق المعتدى عليه في الوصول الى الحقوق الموعود بها . . وهي بهذه الصورة تشكل الوجه الأول من هذه النصوص كما استخدمناه في الفصول السابقة .

١ ـ الاعتراف العثماني « بالدستور الوطني الأرمني[1] » :

وافق الباب العالي في عام ١٨٦٢ على الدستور الوطني الأرمني الذي استوحى أكثر مواده من الدستور الفرنسي الموضوع عام ١٨٤٨ ، وقد وضعت الخطوط العريضة لهذا الدستور الأرمني في الأراضي التركية نفسها حيث أصبح يحق للأرمن استناداً الى اعتراف الدولة العثمانية بهذا الدستور ، انتخاب جمعية وطنية خاصة بهم تقوم على تعيين مجلسين ، أحدهما علماني والآخر ديني يشكلان برئاسة بطريرك القسطنطينية المجلس الوطني الكبير .

وبديهي أن موافقة السلطات الشرعية القائمة في بلد ما على الاعتراف بحقوق أحد شعوبها ، هو اعتراف ضمني بكل من :

ب ـ الأمر الثاني : بالنسبة للحقوق الدولية حيث تؤكد هذه المتون ذاتها ـ وفي نفس الوقت ـ الشرعية الدولية لمطالب المعتدى عليه في الحصول على الاعتراف الدولي بحقوقه، وهو ما سنستخدمه في «وجهه الثاني» في هذا الفصل .

ويؤكد وجهة النظر هذه أن العلاقة بين الحقوق الداخلية والحقوق الدولية ، في وقتنا الحاضر وثيقة جداً . والدليل هنا هو أن المفاهيم والنصوص الدولية التي جاء بها ميثاق الأمم المتحدة قد دخلت في « الدساتير المحلية » لمختلف دول العالم .

١ ـ في أواخر عام ١٨٢٩ قام السلطان عبد المجيد بنشر الخط الهمايوني الذي تضمن ادخال الاصلاحات الى الامبراطورية العثمانية . وعلى الأثر ، وبموافقة السلطات التركية ، قام الأرمن بوضع دستور خاص بهم نص على تشكيل مجلس نواب (ينبثق عنه مجلس تنفيذي) يضم ممثلين عن الأرمن القاطنين في العاصمة وباقي الولايات الأرمنية في الدولة العثمانية بحيث بلغ عدد أعضائه ٢٤٠ نائباً .

وقد تمت المصادقة على هذا الدستور بتاريخ ٢٧ تشرين الأول ١٨٦٢ ، وبموجب هذا الدستور وزعت السلطات بين المجلس النيابي والمجلس التنفيذي اللذين ترأسهما البطريرك نفسه في استانبول .

وقد اختص مجلس النواب بمهام الإشراف على المجلس العدلي والمجلس الروماني ومجلس المعارف الخ . أما المجلس التنفيذي فقد اوكلت اليه مهمة الإشراف على تنظيم الموازنة العامة وسن القوانين والأنظمة الداخلية .

كما أن البطريركية العامة للأرمن في تركيا قد قسمت الى دواوين متعددة (أي ما يشبه الوزارة) كالديوان الروحي والديوان السياسي والديوان الاداري ، والديوان الخارجي الخ . . . وكان لكل ديوان مديره الخاص وموظفوه المسؤولون.

وقد طبق هذا الدستور على الأرمن بوصفه واحداً من قوانين الدولة الأخرى التي يخضعون اليها في الامبراطورية العثمانية .

١ ـ وجود هذا الشعب وأحقيته في البقاء ضمن أراضيه .
٢ ـ بمنحه حق ادارة شؤونه وفق التقاليد والأعراف التي توارثها جيلاً بعد جيل .
٣ ـ باجراء ـ التعديلات ـ والمطالبة بالاصلاحات التي يراها ضرورية لبقاءه ونموه .

وبقول آخر ، فان مجرد اعتراف الدولة العثمانية « بالدستور الوطني الأرمني » هو اعتراف بالأرمن « كشعب » وهو ما نقضه وبشكل ممض الخلفاء العثمانيون فيما بعد .

٢ ـ اعتراف « الدول الأوروبية » بالحقوق الأرمنية في الاصلاحات الداخلية .

نضيف إلى ما استعرضناه ـ في الفصول السابقة ـ من هذه المواقف والاعترافات الدولية بالحقوق الأرمنية في الاصلاحات الداخلية النصوص التالية :

عقيب تولي عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم في الامبراطورية العثمانية (١٨٧٦)، عقد في الآستانة مؤتمر دولي حضره ١١ مندوباً ، اثنان منهم عن انكلترا (وهما سفيرها السير هنري اليوت واللورد سالسبوري) ، ومثلهما عن فرنسا ، وكذلك عن النمسا ، وروسي واحد هو الجنرال اغتاريف .

وقد قدم المؤتمر، الى الباب العالي، قائمة بالاصلاحات اللازم اجراؤها في الامبراطورية العثمانية (بما فيها الولايات الأرمنية)، وذلك بموجب مذكرة رفعها الجنرال المذكور بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٨٧٧ وحدد مهلة ٨ أيام للجواب عليها فكانت بمثابة الانذار ULTIMATUM . إلا أن الحكومة التركية رفضت بعد ٥ أيام مطالب الدول الأوروبية بالاصلاحات . فغادر المندوبون القسطنطينية دلالة على قطع العلاقات الدبلوماسية بين دولهم والباب العالي .

وفي ٣١ كانون الثاني ١٨٧٧ بعث وزير الخارجية الروسي بكتاب الى الدول الأوروبية يطلب تدخلها للاشتراك في اجراء الاصلاحات في الدولة العثمانية . ثم ما لبثت أن نشبت الحرب التركية ـ الروسية التي انتهت الى فرض معاهدة سان استيفانو ـ سيما المادة ١٦ منها ـ الخاصة بالاصلاحات في الولايات الأرمنية .

٣ ـ الاعتراف « الدولي العثماني » بموجب معاهدة سان استيفانو ـ المادة ١٦.

تم التوقيع على هذه المعاهدة في ٣ آذار ١٨٧٨ بين روسيا والامبراطورية العثمانية . وقد جاءت المادة ١٦ منها تعترف بوجود خلل « اداري » و « سياسي » و « ثقافي » في المقاطعات الأرمنية ، بدليل ما أوردته هذه المادة في متنها حول ضرورة ادخال « الاصلاحات » و « التحسينات » التي تتطلبها الظروف السائدة ، وقتذاك بالطبع ، في هذه الولايات .

وفيما يلي نص هذه المادة :

« باعتبار أن انسحاب القوات الروسية من المقاطعات التي تحتلها في أرمينيا (الغربية ـ التركية) ، والتي سيصار الى اعادتها الى تركيا ، قد يؤدي الى نشوب خلافات وتعقيدات قد تضر بالعلاقات الحميدة بين الدولتين المتعاقدتين ، لذلك يتعهد الباب العالي ، ودون ابطاء ، بادخال التحسينات والاصلاحات التي تقتضيها الظروف المحلية في المقاطعات التي يقطن فيها الأرمن ، وبضمان سلامتهم .

٤ ـ الاعتراف « الدولي العثماني » بموجب معاهدة برلين ـ المادة ٦١ ـ.

وبعد أشهر قليلة ، وبالتحديد بتاريخ ١٣ تموز ١٨٧٨ ، اضطر القيصر الكسندر الثاني ، تحت ضغط انكلترا خاصة ، التي رأت في استمرار العمل بالمعاهدة السابقة ما قد يؤدي الى زوال الامبراطورية العثمانية نفسها ، إلى الموافقة على حضور مؤتمر برلين ، حيث تم تعديل واستبدال المادة السابقة ١٦ ، بالمادة الجديدة ٦١ ، التي اعترفت أيضاً ، بشكل أو آخر ، بضرورة ادخال الاصلاحات الى الولايات الأرمنية في تركيا .

وفيما يلي نص هذه المادة :

« يتعهد الباب العالي،ودون أي تأخير،بتحقيق الاصلاحات وادخال التحسينات التي تقتضيها ظروف المقاطعات المحلية التي يقطنها الأرمن ، وبضمان

سلامتهم . وسيقدم الباب العالي - دورياً - بياناً بالخطوات التي يتخذها بهذا الصدد الى الدول المعنية بمراقبة عملية تنفيذ هذه الطلبات » .

٥ - الاعتراف الدولي في مؤتمر لندن بالاصلاحات المطلوب ادخالها الى المقاطعات الأرمنية .

بسبب عدم قيام الدولة العثمانية بادخال الاصلاحات التي ألزمت بها دولياً بموجب النصوص السابقة ، دعت السفارة الروسية بتاريخ ٣ تموز ١٩١٤ إلى عقد اجتماع على مستوى السفراء الأوربيين في العاصمة القسطنطينية وافقوا فيه على تقسيم المقاطعات الأرمنية في تركيا الى قسمين :

أ - القسم الأول : ويشمل ولايات ترويبزند ، سيفاس ، خاربوط ، وديار بكر .
ب - القسم الثاني : ويشمل ولايات وان ، ارزروم ، وبتليس .

وما لبث مؤتمر لندن الذي عقد في ٣ أيلول من نفس العام (١٩١٤) أن قرر :

١ - تقسيم الولايات الأرمنية الى وحدتين اداريتين .
٢ - مع تعيين مراقب دولي لكل وحدة ادارية بموافقة الدول المعنية وبقرار من السلطان .
٣ - وبحيث يكون لكل وحدة ادارية جمعية عمومية يمثل فيها الأتراك والأرمن بالتساوي .
٤ - وعلى أن يناط بهذين المراقبين مهمة تعيين وتسريح الموظفين في هذه الوحدات .
٥ - كما يتم تعيين الأتراك والأرمن بالتساوي بالنسبة للوظائف القضائية والادارية وفي وظائف الأمن العام .
٦ - وأخيراً فان للدول المعنية (أي الموقعة على المعاهدة) حق الاحتفاظ لنفسها بمراقبة تنفيذ الاصلاحات كل منها بواسطة سفرائها وقناصلها (في تركيا) .

ولم تلبث روسيا [1] وتركيا أن وقعتا اتفاقاً بهذا المعنى حيث تم تعيين مفتشين

---

١ - مما لا شك فيه أن « تدخل » الدول الأوروبية عموماً ، والامبراطورية الروسية خصوصاً ، لم يكن ، كما بينا في فصل سابق ، حباً بالأرمن أو دفاعاً عن قضيتهم ، بل كان ، ونحن نذكر بهذا للمرة الثانية ، اندفاعا منها ، كل =

عامين لكل وحدة ادارية هما ـ كما ذكرنا في مكان آخر ـ وستينيك وهوف .

II ـ المرحلة الثانية : «مرحلة الاعتراف الدولي» بشرعية الجمهورية الأرمنية ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ .

يلزم لايضاح هذه المرحلة تثبيت المبادىء الدولية التالية التي تعتبر بمثابة التمهيد لفهم موضوع شرعية الاعتراف الدولي باستقلال الجمهورية الأرمنية :

١ ـ عوامل نشوء الدول .
٢ ـ تعريف الاعتراف الدولي .
٣ ـ اشكال الاعتراف الدولي .
٤ ـ الأسباب « القانونية » غير المباشرة التي دعمت انشاء الجمهورية الأرمنية .
٦ ـ الأسباب « القانونية » المباشرة التي أدت الى ظهور الجمهورية الأرمنية .
٧ ـ المؤيدات الدولية للاعتراف بشرعية واستقلال الجمهورية الأرمنية .

١ ـ عوامل نشوء الدول .

بموجب القانون الدولي العام فان عوامل نشوء الدول هي ثلاثة :

أ ـ فقد تنشأ الدولة بناء على عقد دولي (الامبراطورية النمساوية ـ المجرية بموجب اتفاقية ١٨٦٧) .
ب ـ أو قد تنشأ من العدم ، أي باستكمال مقوماتها الأساسية : الأرض والشعب والسيادة .

واحدة من هذه الدول ، وراء مصالحها في الامبراطورية العثمانية .

على أن هذا لا ينفي ، وبأي شكل ، تلك الصبغة ، الشرعية والدولية ، للمعاهدات والتصاريح التي نجمت عن مداخلات الدول الأوروبية .

وبهذا المعنى ، ولهذا السبب ، يكون التمسك ، بما أقره العرف الدولي ، عبر هذه المعاهدات والمداخلات أمراً واقعاً ومعترفاً به .

جـ ـ أو قد تنشأ بانفصالها عن دولة أخرى (كما هو الأمر بالنسبة للجمهورية الأرمنية) .

وبالنسبة للحالتين السابقتين (ب و جـ) بشكل خاص ، تلعب كل من الاعترافات الدولية والمعاهدات الدولية (وهما مصدران أساسيان من مصادر الحقوق الدولية العامة)،دوراً قانونياً وفعلياً في تقرير مصير الدولة الجديدة .

٢ ـ تعريف الاعتراف الدولي .

الاعتراف الدولي هو « فعل » تقبل الدول بموجبه زميلة جديدة لها في المجموعة الدولية وتقر لها بالحقوق والامتيازات اللاصقة بالسيادة وبذلك تتحول ولادة الدولة المادية الى ولادة حقوقية .

وقال بعض فقهاء الحقوق الدولية ، ان الاعتراف ، « عمل سياسي » ، حيث تقدّر الدول استكمال الدولة المعترف بها للمقومات المتفق عليها ، فتعترف بها ، وفي هذه الحالة يكون الاعتراف انشائياً .

إلا أن بعض الفقهاء الآخرين يقولون ،ان الاعتراف هو «عمل حقوقي»، بمعنى أن الدولة ملزمة بمجرد استكمال الدولة المعترف بها لشروطها المادية (الأرض والشعب والسيادة) ، أن تعترف بها ، وفي هذه الحالة يكون الاعتراف اظهارياً .

وقد حصلت أرمينيا على هذين الاعترافين عندما استكملت المبدأ الثاني ، لجهة تملكها لكل من « الأرض والشعب والسيادة » ، كما استكملت مقومات المبدأ الأول بكامله فاعترفت بها العديد من دول العالم على هذا الأساس .

٣ ـ اشكال الاعتراف الدولي .

الاعتراف الدولي نوعان :

أ ـ اعتراف علني : أي اعتراف حقوقي DE JURE ويتم بالاستناد إلى طلب من الدولة المراد الاعتراف بها ، والإجابة عليه بالموافقة من الدولة المعترفة . ويكون

هذا الجواب غير محدد ، فقد يأتي على شكل « بيان » ، أو « تصريح » ، أو « برقية تهنئة » ، أو « مذكرة دبلوماسية » . كما قد يكون « افرادياً » ، أو « جماعياً » (كما حدث في معاهدة برلين عندما اعترفت الدول الموقعة عليها دفعة واحدة بكل من رومانيا وبلغاريا وصربيا) . . وهو ما تم بدوره بالنسبة للجمهورية الأرمنية نفسها بموجب معاهدة سيفر المادة ٨٨ منها حينما نصت « أن تركيا تعترف ، كما اعترف الحلفاء[1] ، بأرمينيا كدولة حرة . . » ومستقلة .

ب ـ اعتراف ضمني « وهو الاعتراف الفعلي DE FACTO ، ويتم عن طريق التعامل مع الدولة الجديدة وكأنها دولة تم الاعتراف بها صراحة ، فتعقد الدول الأخرى معها « معاهدات » ، أو « تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي » ، أو السياسي ، دون أن يسبق هذه التصرفات اعتراف علني بها .

وأيضاً حصلت أرمينيا وجمهوريتها على هذا النوع من الاعتراف الدولي كما سيمر معنا في النبذة اللاحقة .

٤ ـ العوامل « القانونية » غير المباشرة التي دعمت انشاء الجمهورية الأرمنية .

وهذه العوامل هي :

أ ـ ظهور الدستور الوطني الأرمني .

ب ـ مداخلات الدول الأوروبية وما نجم عن ذلك من مطالب في الاصلاحات وتشكيل لجان للتحقيق الخ . . .

جـ ـ معاهدتا سان استيفانو وبرلين .

د ـ مؤتمر لندن ١٩١٤ .

وفي الواقع فان البند « جـ » بمعاهدتيه ـ وبموادهما ١٦ و ٦١ المشهورتين ، يمكن اعتباره بمثابة الإقرار الدولي ـ المبدئي ـ الذي مهد ، تبعاً لمجريات الحوادث

---

١ ـ وهؤلاء هم الموقعون على هذه المعاهدة وعددهم «٣٣» دولة .

العالمية ، الى ظهور الجمهورية الأرمنية ، والاعتراف بها دولياً بعد ٤٠ عاماً . ويأتي هذا الاستنتاج حول اعتبار هاتين المادتين ، من « العوامل » القانونية غير المباشرة لدعم شرعية الجمهورية الأرمنية ونشوئها ، من ذلك التأثير الذي خلفتاه عن طريق ادخالها المسألة الأرمنية حلبة الاهتمامات الدولية .

كما أن القرار ذا النقاط الست الذي صدر عن مؤتمر لندن عام ١٩١٤ (والذي استعرضناه في حينه ، حول تقسيم الولايات الأرمنية الى قسمين وتعيين مشرف دولي عام على كل منهما) يمكن اعتباره أيضاً بمثابة النواة الأولى في فكرة انشاء الجمهورية الأرمنية (١٩١٨ - ١٩٢٠) .

٥ - الأسباب « القانونية » المباشرة التي أدت الى ظهور الجمهورية الأرمنية :

وتبدو هذه العوامل والأسباب واضحة من خلال التأثيرات التالية :

أ - الظروف الداخلية للولايات الأرمنية في تركيا خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى .
ب - اندلاع الحرب العالمية الأولى وما نجم عنها من معاهدات وتصاريح دولية جاءت لمصلحة الدولة الأرمنية .
جـ - المقاومة والحروب الأرمنية - التركية .
د - اليقظة الفكرية التي عمت مختلف أوساط الأرمن في تركيا .

٦ - الاعتراف الدولي بشرعية الجمهورية الأرمنية ١٩١٨ - ١٩٢٠ :

الآن ، وقد استكملنا بهذا العرض الموجز العناصر القانونية الممهدة لفهم الموضوع الذي نحن بصدده ، فاننا نجد من السهل تحديد الاعترافات والوثائق الدولية التي أيدت شرعية واستقلال الجمهورية الأرمنية .

وفي هذا الصدد ، يمكننا أن نحصر هذه « الأدلة » بالبنود التالية :

أ - اعلان استقلال الجمهورية الأرمنية : في ٢٨ أيار ١٩١٨ ، أعلن المجلس

الوطني الأرمني[1] استقلال ووحدة اراضي الجمهورية الأرمنية . وجاء هذا الاعلان بعد أن أيقن « المعلنون » استكمال دولتهم للمقومات الأساسية للدولة ، كما حددها القانون والعرف الدوليان ، وهي (كما أشرنا في نبذة سابقة : الأرض والشعب والسيادة).وكان هذا الاعلان في حد ذاته اعترافاً بالجمهورية الأرمنية من قبل منشئيها،وبات يلزم الآن الاعتراف بها من قبل الدول الأخرى .

ب ـ اعتراف الدول الأجنبية بالجمهورية الأرمنية : وقد أخذ هذا الاعتراف شكليه القانونيين (الفقرة ٣ : أشكال الاعتراف) . اذ انهالت على الدولة الأرمنية الاعترافات العلنية من قبل الدول الأخرى ، كما وصلتها برقيات التهنئة،وجرى تبادل العلاقات الدبلوماسية مع الكثير من دول العالم ، بالاضافة الى طلبات الاعتراف التي أرسلتها الحكومة الأرمنية نفسها وتلقت الردود عنها من العديد من الدول الأخرى .

كما أن هذا الاعتراف اتخذ أيضاً شكلاً فعلياً عندما اعترف المجلس الأعلى للحلفاء في ١٩ كانون الثاني ١٩١٩ باستقلال ارمينيا وبحكومتها اعترافاً فعلياً .

وقبل هذا التاريخ،وفي ٤ حزيران ، اعترفت تركيا بموجب معاهدة باطوم BATUM بالجمهورية الأرمنية ، وما ترتب على هذا الاعتراف من التزامات دولية على الطرفين (المعترف والمعترف به).

وفي هذه المناسبة يعتبر قرار الرئيس ولسون التحكيمي حول تحديد « حدود أرمينيا (كما أشرنا اليه في حينه)»،اعترافاً فعلياً بهذه الدولة (إلى جانب اعتراف الولايات المتحدة العلني المثبت في معاهدة سيفر باعتبارها واحدة من الحلفاء الكبار الموقعين على هذه المعاهدة) .

---

١ ـ الذي يعتبر بمثابة الحكومة ، كما هو الأمر بالنسبة لباقي الحركات القومية التي شهدها العالم في فترة الحربين الأولى والثانية .

وفي الواقع فان المعاهدات الدولية التي عقدتها الجمهورية الأرمنية بهذه المناسبة أو تلك ، تدخل في جوهرها في عداد « الاعترافات الدولية بشرعية استقلال هذه الدولة » .

وعلى هذا فاننا سوف ندرس بالتتابع هذه المعاهدات وفق الترتيب التالي (دون مراعاة التوافق الزمني الذي لازم ظهورها) :

A - معاهدة سيفر .

B - المعاهدة التركية مع الحلفاء .

C - معاهدة باطوم .

D - معاهدة الكسندر بول .

E - رأي وتحليل بخصوص معاهدة لوزان .

A - معاهدة سيفر :

تم التوقيع على هذه المعاهدة في ١٠ آب ١٩٢٠ . وقد مثل انكلترا رئيس وزرائها لويد جورج ، وأنابت الولايات المتحدة الامريكية عنها في هذا التوقيع رئيسها وود ورد ويلسون ، أما فرنسا فكانت ممثلة برئيس جمهوريتها كليمنصو ، وفوضت تركيا عنها في التوقيع على هذه المعاهدة رئيس وزرائها الداماد [١] فريد باشا .

وقد أعطت هذه المعاهدة كيليكيا والجنوب كله لفرنسا ، أما ايطاليا فقد أخذت جميع المناطق الواقعة الى جنوب غربي الأناضول بموازاة خط يمتد من بورصة حتى قيصرية ويخترق افيون قره حصار ، بينما حظيت اليونان بمدينة ازمير وغربي الأناضول كله بالاضافة الى تراقيا الشرقية (بما في ذلك ادرنه وغاليبولي) حتى مارتيزا وجزر الدوديكانيز [٢]. أما العاصمة استانبول وشواطىء بحر مرمرة فقد أعلنت

١ ـ تعني كلمة الداماد بالتركية : صهر السلطان .

٢ ـ وتعني هذه الكلمة باليونانية : الجزر الأثنتا عشرة.

مناطق مجردة من السلاح كما أخضع الدردنيل ومضيق البوسفور لرقابة لجنة دولية .

وبالنسبة لأرمينيا فقد أعلنت المعاهدة استقلالها الناجز وقضت بانتزاع القسم الشرقي كله من تركيا بما في ذلك مناطق قارص واردهان وارزروم واعلانه « جمهورية أرمنية مستقلة » .

ومن الناحية التفصيلية ـ بالنسبة لأرمينيا ـ جاءت المعاهدة على الشكل التالي :

« إن انكلترا وفرنسا وايطاليا واليابان ، بصفتها الدول الحليفة الرئيسية ، وأرمينيا وبلجيكا واليونان والحجاز وبولونيا والبرتغال ورومانيا وصربيا وتشيكوسلوفاكيا ، التي تشكل مع الدول الكبرى المذكورة آنفاً دول الحلف من جهة ، وتركيا من جهة ثانية . . . » .

إن هذه المقدمة التي استهل بها موقعو معاهدة سيفر البنود التي التزموا بها (والتي سندرجها بعد التعقيب التالي) تعني عملياً :

ا ـ إن الـ ٣٣ دولة الموقعة على مؤتمر السلام ـ معاهدة سيفر خصوصاً ـ قد اعترفت بأرمينيا على أنها :

١ ـ دولة مستقلة،اذ أنها انضمت الى الموقعين على هذه المعاهدة بهذه الصفة التي تحملها الدول الأخرى كاليابان وانكلترا وغيرهما .

٢ ـ وإن أرمينيا هي دولة حليفة شأنها في ذلك شأن هذه الدول نفسها .

٣ ـ وتبعاً لما تقدم فان هذه الدولة (أرمينيا) المستقلة والحليفة ذات حق ـ شأن باقي دول المعاهدة ـ في المشاركة في المؤتمر والاعراب عن رأيها في المداولات والقرارات التي يتخذها الأعضاء بمجموعهم ، وفي نفس الوقت ، ذات حق في الحصول على ذات الامتيازات التي قررها هؤلاء الحلفاء المستقلون في كل ما يخص المؤتمرين .

ومن هذا المنطلق نجد أنفسنا الآن أمام مواد هذه المعاهدة التي جاءت ـ فيما

يخص أرمينيا ـ على الشكل التالي :

المادة ٨٨ : إن تركيا ، انسجاماً مع القرار الذي اتخذه الحلفاء [١] ، تعترف بأرمينيا دولة حرة ومستقلة .

المادة ٨٩ : إن تركيا وأرمينيا ، كما هو الأمر بالنسبة للدول الكبرى المتعاقدة ، توافق على احالة قضية تحديد وتخطيط الحدود بين تركيا وأرمينيا في ولايات : ارزروم ، تروبيزوند ، فان ، بتليس ، الى تحكيم رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية ، كما توافقان على القرارات الصادرة عنه بهذا الخصوص ، بالاضافة الى قبول كل ما سيوصى به من اجراءات تتعلق بايجاد منفذ لأرمينيا على البحر ، وأيضاً فيما يتعلق بتجريد المنطقة التركية المتاخمة للحدود الأرمنية من السلاح .

المادة ٩٠ : اذا تطلبت عملية تخطيط الحدود وفقاً لما نصت عليه المادة ٨٩ ضم كل أو أي جزء من أراضي الولايات المذكورة أعلاه إلى أرمينيا ، فان تركيا تتعهد منذ الآن واعتباراً من تاريخ صدور قرار التحكيم ، بالتنازل عن كل حق في الأراضي المسلوخة عنها ، وعلى هذا الأساس فان الشروط الواردة في هذه المعاهدة والمطبقة على المقاطعات المنتزعة من تركيا ، سوف تكون أيضاً قابلة للتطبيق على المقاطعات المشار اليها آنفاً . وأيضاً فان حصة وطبيعة الالتزامات المالية التركية التي ستتلقاها أرمينيا [٢] وكذلك الحقوق التي ستؤول اليها بسبب انتقال ملكية هذه المقاطعات اليها سوف يتم تحديدها وتفصيلها طبقاً لنصوص المواد ٢٤١ ، و٢٤٢ و٢٤٣ (القسم الثامن ـ البنود

---

١ ـ أي قرارهم الاعتراف بأرمينيا كدولة مستقلة أيضاً .

٢ ـ وفي هذا اشارة إلى « الدين العثماني» الوطني الشهير الذي بلغ ٢٥٠ مليون جنيه استرليني تم توزيعه على الدول التي نشأت عن تفكك الامبراطورية العثمانية ، ومنها أرمينيا .

راجع بهذا الخصوص :

. Toynbee, A.j and Kirkwood; k, pTurkey pp - 128 - 129

المالية) من هذه المعاهدة .

المادة ٩١ : في حالة الحاق أي جزء من الـولايات المذكورة في المادة ٨٩ بأرمينيا ، فيتحتم تشكيل لجنة لتخطيط الحدود تكون قراراتها محددة بوضـوح وذلك خلال ٣ شهور من تاريخ تسلمها القـرار المعطـوف على هذه المادة وعلى هذه اللجنة ، أن تدرس قضية تخطيط الحدود بـين تركيا وأرمينيا على الطبيعة .

المادة ٩٢ : إن الحدود بين أرمينيا وأذربيجان وجيورجيا سوف تحدد باتفاق مباشر بين هذه الدول نفسها ، وفي حالة تعذر الوصول الى مثل هذا الاتفاق فان مهمة تخطيط الحدود سوف تقوم بها دول الحلفاء الرئيسية وعلى الطبيعة أيضاً .

المادة ٩٣ : تقبل أرمينيا وتوافقْ على أن توقع مع الحلفاء الرئيسيين على معاهدة يقدر الحلفاء مدى أهميتها وذلك من أجل حمـاية السـكان في الـولايات المضمومة الى أرمينيا والذين يختلفون عن الأكثرية في الجنس واللغة والدين . كما تقبل أرمينيا وتوافق على أن توقع مع نفس الحلفاء على معاهدة تتضمن شروطـاً يقـدر الحلفـاء مدى ضرورتهـا لحماية حرية المرور (الترانزيت) ، وكذلك تأمين الحماية اللازمة لحرية التجارة بالنسبة للدول الأخرى .

إن هذه المعاهدة ، تتضمن، بما لا يقبل النقاش ـ الاعتراف الدولي ـ بكل من المسائل التالية :

١ ـ الاعتراف بأرمينيا كدولة مستقلة (المادة ٨٩) .

٢ ـ الاعتراف بأن هذا الاستقلال مرتبط بسيادة الدولة الأرمنية نفسها (المواد ٨٩ ـ ٩٠) .

٣ ـ الاعتراف للدولة الجديدة بالحقوق (الولايات التي ستنتقل اليها) والالتزامات

(حصة الدولة الأرمنية في سداد الالتزامات المالية التركية) التي تمارسها الدول المعترف بها دولياً (المادة ٩٠) .

٤ ـ إن هذا الاعتراف جاء نتيجة استكمال الجمهورية الأرمنية عناصر الدولة الأساسية : الأرض والشعب والسيادة .

٥ ـ وأخيراً فان ظهور توقيع ممثلي أرمينيا على هذه المعاهدة يثبت مضمون البنود الأربعة السابقة من الوجهة الدولية ـ القانونية .

أما قضية الحدود ، وتركها في بعض أقسامها بدون تخطيط ، فهو أمر لا ينتقص من سيادة هذه الدولة الناشئة على أساس أن اعلان استقلال دول تشيكوسلوفاكيا وبولونيا قد تم في نفس المعاهدة وبنفس الطريقة ، مما يمكن الاستنتاج معه ، بأن عرفاً دولياً جديداً قد أقرت مبادئه بالنسبة لهذه المسائل [1] .

B - المعاهدة التركية مع الحلفاء :

وقع الحلفاء ـ فرنسا وانكلترا واليابان وايطاليا ـ (وهي دول الحلفاء الكبار الذين أشارت اليهم معاهدة سيفر أكثر من مرة كما أشرنا أعلاه) مع تركيا معاهدة ملحقة جاء فيها ـ بالنسبة لأرمينيا :

« نظراً لاعتراف دول الحلفاء الكبار بأرمينيا كدولة مستقلة ذات سيادة ، ونظراً لعزم أرمينيا على تطبيق مبادىء الحرية والعدالة ضمن حدودها عن طريق اعطائها ضمانة أكيدة لجميع السكان المقيمين في أراضيها والذين تعهدت بحمايتهم بسبب اختلافهم في الجنس واللغة والدين الخ » . . .

وأيضاً ، ودون الحاجة الى شرح مفصل ، فان هذه المعاهدة ، تبين وتعلن

---

١ ـ كنا قد ذكرنا سابقاً أن قرار الرئيس ولسون قد جاء خلواً من قضية تحديد الحدود بخطوطها النهائية ، وهذا صحيح ولا يتناقى مع ما أوردناه آنفاً ، على أساس اننا هنا نعالج الشروط الشكلية لشرعية الاستقلال والاعتراف بالجمهورية الأرمنية . . . أما نوايا الحلفاء واتفاقاتهم السرية فهو بعيد عن هذه المعالجة القانونية التي لا تنقص ـ بأي شكل ـ من حق الجمهورية الأرمنية في هذا الاعتراف .

الاعتراف الدولي بأمرين :

١ - اعتراف دول الحلفاء وحتى تركيا (الطرف الآخر في هذه المعاهدة) بأرمينيا على أنها دولة مستقلة .

٢ - إن هذا الاعتراف - باقرار الحلفاء وتركيا معاً - قد جاء تبعاً لتوفر الشروط اللازمة لاقرار هذا الاعتراف وذلك نظراً لقيام أرمينيا بانتهاج سلوك « الدول المتمدنة » ، الذي يعتبر أساساً لدخول الدول وانتسابها الى عصبة الأمم . . . وهو الأمر الذي لم يتم لأسباب أظهرناها في تحليل سابق .

C - **معاهدة باطوم:** TREATY OF BATUM :

وقد وقعتها كل من « حكومة الامبراطورية العثمانية » ، وحكومة الجمهورية الأرمنية » بتاريخ ٤ حزيران ١٩١٨ . وكما مر معنا فان المعاهدات الدولية تقوم حكماً بين دول ذات سيادة وجرى الاعتراف بها دولياً . وهكذا فان ظهور توقيع مندوبي الجمهورية الأرمنية الى جانب تواقيع ممثلي الحكومة العثمانية هو اعتراف علني صريح وواضح من قبل هذه الحكومة الأخيرة بالدولة الأرمنية كجمهورية مستقلة .

D - **معاهدة الكسندر بول:** TREATY OF ALEXANDER POL

ورغم قيام حكومة ثنائية في تركيا (حكومة القسطنطينية التي وقعت المعاهدة الأولى ، باطوم ، وحكومة أضنة - المجلس الوطني الكبير - التي يرأسها مصطفى كمال - أتاتورك) ، فان هذه الحكومة الأخيرة قد اعترفت أيضاً اعترافاً علنياً دولياً وواضحا بالحكومة - الجمهورية الأرمنية عندما وقعت معها هذه المعاهدة .

اذ اقترن توقيع ممثلي حكومة تركيا الكمالية بتواقيع مندوبي حكومة الجمهورية الأرمنية جنباً الى جنب يوم الثاني من كانون الثاني ١٩٢٠ وقد أنشأ هذا الفعل - بموجب هذه المعاهدة العقدية - حقوقاً تلزم الطرفين كما أشرنا .

بعد مرور ثلاث سنوات تقريباً على معاهدة سيفر ، قام الحلفاء باستبدال هذه المعاهدة مع تركيا الكمالية بمعاهدة لوزان التي عالجت القضايا العالقة بين تركيا الكمالية من جهة ، وكل من دول الحلفاء : انكلترا ، فرنسا ، اليونان ،، ايطاليا من جهة ثانية .

وهكذا فان معاهدة لوزان ، التي احالت عملياً المسألة الأرمنية إلى مستودع القضايا الدولية المعلقة ، قد املتها - كما سنبين بعد قليل - المتغيرات والمصالح والمعاهدات الدولية السرية أكثر من أن عليها مبادىء القانون الدولي العام :

١ - ثمة قاعدة قانونية دولية تقول أن عدم اقرار أو تصديق معاهدة ما لا يعفي موقعيها - بالكامل - من التزامات الموقعين عليها (أي « الحلفاء الكبار » ومعهم « الحلفاء الصغار » من جهة ،وتركيا من جهة ثانية)،وذلك بمجرد اقرار معاهدة لوزان .

٢ - كما أن المادة ١٨ من ميثاق فيينا (حول شرعية المعاهدات)،تنص على أن التزامات الموقعين على معاهدة ما تبقى نافذة بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة حتى وان لم تقترن هذه الأخيرة بالتصديق من قبل السلطات المسؤولة في البلد صاحب العلاقة .

٣ - وأكثر من هذا ، فان الجمهورية الأرمنية التي وقعت على معاهدة سيفر كانت غائبة تماماً عن معاهدة لوزان . وهكذا فان الغاء أو عدم الغاء متون معاهدة سيفر بواسطة معاهدة لوزان يعتبر غير ملزم لأرمينيا،لأنه من صلب القواعد الدولية بالنسبة للمعاهدات - من الناحية القانونية - كما يترتب على هذه الأخيرة التزام دولي ،أن تقترن المعاهدة المعنية بموافقة الطرف صاحب العلاقة نفسه .

٤ - وأيضاً فان معاهدة لوزان لم تتعرض إلى معاهدة سيفر ، بمعنى أنها لم تنص في احدى موادها على الغاء العمل بهذه المعاهدة (سيفر) ، كما أن معاهدة لوزان

لم تشر الى فرض شروط على كل من الأرمن أو الجمهورية الأرمنية،بما يعني عملياً، أن معاهدة لوزان ،لم تحل قانونياً، مكان معاهدة سيفر .

٥ ـ ولهذه القواعد القانونية الدولية كلها لا يمكن لمعاهدة لوزان أن تؤثر على المطالب الأرمنية في أراضي جمهوريتها وذلك بالشكل نفسه الذي لا تدعم فيه مطالب تركيا في أراضي هذه الجمهورية [1].

III المرحلة الثالثة، مرحلة الوقت الراهن: معاهدة لوازن، نتائجها ـ تحليل :

قلنا قبل قليل أن المتغيرات والمصالح والمعاهدات الدولية السرية هي التي أملت توقيع معاهدة لوزان التي أحالت المسألة الأرمنية عملياً الى « المستودع الدولي » للقضايا التي ما زالت تنتظر الحل . ومن هذا الاعتبار فقد شكلت هذه المعاهدة انعطافاً خطيراً في حياة الأمة الأرمنية وحتى المسألةالأرمنية ذاتها . وبسبب من هذا التأثير والاعتبار نرى أن نحلل الظروف الدولية التي تم فيها التوقيع على هذه المعاهدة وكذلك الخلفية السياسية والاجواء الدولية التي جرت من خلالها « مراسم تدشين معاهدة لوزان » .

ويجب أن نذكّر هنا بأمرين يوضحان لنا كثيراً من الخفايا التي أحاطت بهذه المعاهدة وأن نأخذهما في اعتبارنا عند استعراض هذا التحليل :

١ ـ الأمر الأول : تحديد الدول التي دعت الى عقد هذه المعاهدة أو التي حضرتها .

٢ ـ الأمر الثاني : تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة .

---

١ ـ نعالج الموضوع هنا من وجهة النظر الدولية ـ الاعتراف الدولي ـ . ومن هذا المنطلق . فانه لا عبرة للحوادث العسكرية التي سبقت أو رافقت توقيع هذه المعاهدة فهذا مجاله موضوع آخر . وهكذا فاننا بهذه الطريقة ورغم تقلص مساحة الجمهورية الأرمنية ، نتيجة المعاهدة الأخيرة ـ الكسندر بول ـ وفرض التزامات واعباء عسكرية ومالية وسياسية ضخمة عليها ، الا أن هذه المعاهدة وسابقاتها تؤيد الاعتراف العثماني الأتاتوركي بالجمهورية الأرمنية كدولة ذات سيادة . . . سواء اكانت هذه السيادة على اراض شاسعة أو ضيقة، إنما المهم هنا إثبات هذا الاعتراف كما المحنا .

١ ـ الأمر الأول : بالنسبة للدول الرئيسية الداعية الى المؤتمر أو التي حضرته :

في ١٧ تشرين الأول ١٩٢٢ تداعت كل من انكلترا وفرنسا وايطاليا الى عقد مؤتمر لوزان يضمها وحكومات روسيا (للاشتراك في مناقشات المضائق فقط) وأميركا واليونان ورومانيا ويوغسلافيا وتركيا . وقد افتتح المؤتمر في ٢٠ تشرين الثاني عام ١٩٢٢،واستمرت اجتماعاته حتى ٤ شباط١٩٢٣ عندما انفض (لرفض تركيا الكمالية مشروع معاهدة الصلح) . وفي ٨ آذار ١٩٢٣ عادت تركيا الى المؤتمر بمقترحات وافق عليها الحلفاء ، فأعيد افتتاح المؤتمر في ٢٣ نيسان ١٩٢٣ . وبعد مفاوضات اتفق المؤتمر على توقيع معاهدة لوزان في ٢٣ تموز ١٩٢٣،حيث أحيلت المسألة الأرمنية إلى الأرشيف الدولي .

وهكذا يتضح أن الدول الرئيسية الداعية الى مؤتمر لوزان هي : انكلترا ، وفرنسا (وقد رأينا دور كل منهما عبر اتفاقاتهما السرية في زوال الجمهورية الأرمنية) وأيضاً تركيا التي أصبحت الآن ـ بفعل المتغيرات الدوليه ، ـ ظهور الكمالية كقوة منظمة ـ من أصحاب الغنائم في تركة الرجل المريض وأملاكه (الذي أصبح الآن ـ عوضاً عن الدولة العثمانية ـ الجمهورية الأرمنية نفسها ـ) .

وبديهي أن تنسجم القرارات التي ستصدر عن هذا المؤتمر ـ بخصوص أرمينيا ـ مع هذه الاعتبارات ، وهو ما حدث فعلاً .

٢ ـ الأمر الثاني : بالنسبة لتاريخ الدعوة الى المؤتمر .

بين عام ١٩٠٤ (تاريخ الاتفاق الودي الانكليزي ـ الافرنسي) ، وعام ١٩٢٣ (تاريخ التوقيع على معاهدة لوزان) ، جرت الكثير من الحوادث ، وتم التوقيع على العديد من المعاهدات ـ التي أدت وبحدود ـ الى تعديل هذه الاتفاقات والمعاهدات (السرية ـ والعلنية) من حيث الشكل ـ أي الحدود ـ دون أن تتعرض الى الجوهر أي اقتسام أرمينيا نهائياً ـ وذلك تبعاً لتقاسم مناطق النفوذ في العالم بين هذه الدول :

١ ـ فقد ظهرت الكمالية في تركيا كقوة سياسية وعسكرية منظمة استطاعت أن تعمل على تأمين انسحاب اليونان من ازمير ، وفرنسا من كيليكيا ، وانكلترا من سمسون وأرفة وعينتاب ، وايطاليا من اكشير وافيون قره حصار ومونيا ، والأرمن من الكسندر بول وقارص الخ . . . ثم ناورت ؟ .

٢ ـ ونتيجة لهذا التنظيم السياسي ـ العسكري ، استطاعت تركيا الكمالية أن تحصل على التأييد الدولي ـ بأشكال مختلفة ـ والذي انعكس ـ مع المعاهدات السرية السابقة ـ على مصالح الأمة الأرمنية بشكل كامل وأدى الى دخولها متاهات السياسة الباردة :

أ ـ وهكذا رأينا الدول الأوروبية ، التي كانت لبضعة أشهر سابقة لهذه الحوادث (اجلاء الانكليز والأفرنسيين الخ . . .) حرباً على تركيا . . . نقول أن هذه الدول ذاتها قد وجدت نفسها الآن منسجمة مع حكومة الجمعية الوطنية الكبرى في (أضنة)،وأرسلت الى زعيمها (اتاتورك) برقيات التأييد والتهنئة،بعد أن وجدت أن مصالحها باتت تقتضي « التفاهم » مع هذه الدولة الجديدة . . ومن هؤلاء رؤساء حكومات انكلترا وفرنسا وروسيا وأميركا وايطاليا .

ب ـ وعملياً تجسدت « برقيات التهنئة » عبر المعاهدات التالية :

١ ـ عقدت روسيا مع تركيا معاهدة قارص عام ١٩٢١ وأعادت اليها ولايات اردهان ، وقارص ، وارزروم .

٢ ـ وبتاريخ ٢٠ تشرين الأول ١٩٢١ عقدت فرنسا [1] مع تركيا الكمالية معاهدة سرية انسحبت بموجبها من مجموعة الدول الحليفة واعترفت فيها « بعدم شرعية معاهدة سيفر » (التي تؤكد استقلال الجمهورية الأرمنية اعتباراً من المادة ٨٨ وما تلاها ؟ . . .).

---

١ ـ كما افرجت فرنسا بموجب هذه المعاهدة عن ٤٠,٠٠٠ اسير تركي وزودت الجيش الكمالي بالعتاد والسلاح اللازمين لتجهيز نفس العدد تقريباً .

٣ ـ أما ايطاليا فقد انسحبت بدورها ـ بموجب معاهدة وقعتها مع تركيا ـ من ليبيا ثم أعلنت اعترافها بحكومة الجمعية الوطنية الكبرى .

٤ ـ وبالنسبة لانكلترا،فقد « باركت هذه الخطوات » باعترافها بالدولة التركية،وسكوتها عن المتغيرات الجديدة ، على عادة السياسة البريطانية « الهادئة » ؟..

وقد أدت هذه « التهاني » دورها على أكمل وجه في مؤتمر لوزان . . اذ عندما طلب الوفد التركي عام ١٩٢٣ (كما أشرنا سابقاً ونعود فنؤكده من جديد . .) شطب أي بحث يتعلق بمعاهدة سيفر وشرعيتها من جدول الأعمال استجاب رؤساء وفود هذه الدول الى هذا الطلب فوراً ؟

ومن الناحية العملية قسمت اعمال المؤتمر بين ثلاث لجان :

١ ـ اختصت الأولى بالمشاكل الأرضية ومشاكل الأقليات والقضايا العسكرية .
٢ ـ واختصت الثانية بقضايا الأجانب في تركيا .
٣ ـ واختصت الثالثة بالقضايا الاقتصادية والمالية .

وإذا رنونا ننظر إلى مهام اللجنة الثانية لوجدناها تستخدم تعبير « الأجانب في تركيا » . . . ومن هؤلاء الأرمن الذين أصبحوا بموجب معاهدات الحلفاء « غرباء في أراضيهم » (على أساس أن الولايات الشرقية من تركيا هي ـ كما استعرضنا ـ عبر أبواب هذا الكتاب ـ هي أرمنية الموقع والتاريخ) .

نظرة عامة إلى المؤتمر .

ترأس الوفد التركي الى معاهدة لوزان « عصمت باشا »،وهو عصمت اينونو الذي خلف أتاتورك في رئاسة الجمهورية التركية . وكان في عضوية الوفد كل من «حسن بك» نائب «ترابيزوند»، و«رضا بك» وزير الصحة، بالإضافة إلى عدد من المستشارين .

وبشكل عام كانت معاهدة لوزان نصراً لتركيا حيث اعترف الحلفاء أنفسهم « الذين اعترفوا سابقاً باستقلال الجمهورية الأرمنية » ، اعترفوا اليوم باستقلال تركيا وسيادتها على جميع الأراضي والممتلكات التي اعتبرها « الغازي » المدى الطبيعي لتركيا بما فيها الولايات الشرقية الأرمنية ، وفيما بعد محافظة انطاكية العربية السورية أيضاً ؟

وهكذا نجد نتيجة هذا التحليل :

١ ـ أن المصالح الدولية ـ لا القانون الدولي ـ هي التي تملي على الدول مواقفها السياسية النهائية (سواء بالنسبة للأرمن أو العرب أو غيرهما) .

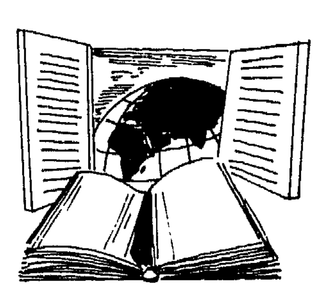
٢ ـ إن هذه المصالح تتحقق عبر « تقاسم » مناطق النفوذ بين الدول « ذات القوة والسيطرة » .

٣ ـ وإن هذا « التقاسم » يتم عبر معاهدات سرية منظمة ودقيقة .

٤ ـ وإن المتغيرات الدولية (وبالنسبة لموضوعنا هي ظهور الكمالية ، وفيما يخص غيرها (العرب مثلاً هي الوحدة والقوة)،لها دور أساسي الى جانب البنود الثلاثة السابقة ، وأحياناً تلغيها مجتمعة .

ومن هنا ، ونتيجة لهذه المعالجات ، وصلت المسألة الأرمنية ، الى مرحلة الوقت الراهن .

* * *



الباب السادس

العلاقات العربية - الأرمنية عبر التاريخ

في هذا الباب محاولة ، تهدف الى تعريف الشعبين ، العربي والأرمني ، ببعضهما البعض عن طريق استعراض العلاقات التاريخية المشتركة التي مرّا بها عبر الحقب الممتدة منذ سنوات ما قبل الميلاد وحتى اليوم ، وذلك بغرض تمتين أواصر الصداقة القائمة بينهما ، فعلاً ، وتوثيقها من أجل مستقبل افضل .

ان كونوا أوفياء للعرب ومواطنين منهم حقاً .

ـ غبطة الكاثوليك خورين الأول ـ



في وقتنا الحاضر لا يعرف أكثر العرب في مصر وسوريا ولبنان بشكل خاص، وهم يرون بين ظهرانيهم اخوانهم الأرمن في هذه البلاد يتعاطون التجارة والطب والمحاماة، ويتقنون الصناعات الحرفية الدقيقة، ويدخلون حياتها السياسية . . .

إلا على أنهم شعب ماهر ومكافح غادر بلاده قبل نحو نصف قرن أو أكثر قليلاً تحت ضغط المذابح التي قام بها الأتراك ضدهم ، وانهم انتشروا في مدن هذه الدول الثلاث على وجه التفرد. وهم في هذا، أي المواطنون العرب، لا يعرفون أيضاً بالوجه المقابل أن أجدادهم قد هاجروا بدورهم إلى بلاد هذا الشعب، أي إلى أرمينيا، وانهم قد سكنوها منذ قرون بعيدة ثم أضحوا مواطنين مقيمين فيها يتعاطون التجارة والطب والزراعة ويدخلون حياتها السياسية والأدبية ويؤثرون كما يتأثرون بالعادات الأرمنية تماماً كما يفعل الأرمن اليوم في هذه الأقطار.

ومهمتنا في هذا الباب إذن هي التطرق إلى هذه العلاقات وإثبات عراقتها منذ نشأتها في عهود ما قبل الميلاد، ثم بيان توثقها عبر القرون العديدة التي أعقبت الإسلام، مروراً بالموقف المشترك الذي اتخذه الشعبان من الدولة العثمانية، وحتى مرحلة الوقت الحاضر.

وفي سبيل ذلك فاننا سنقسم هذا الباب إلى الفصول التالية:

الفصل الأول: العلاقات العربية - الأرمنية وتطورها عبر التاريخ.

الفصل الثاني: العرب مواطنون في أرمينيا.

الفصل الثالث: موقف الدولة العثمانية الموحد من الشعبين الأرمني والعربي وردود فعلهما تجاه سياسة التتريك (والسياسة الطورانية) هذه.

الفصل الرابع: الأرمن مواطنون عرب في لبنان.

الفصل الخامس: الأرمن مواطنون عرب في سوريا.

الفصل الأول

العلاقات العربية- الأرمنية وتطورها عبر التاريخ

بدأت هذه العلاقات عملياً ، منذ عهد ديكران الثاني (٩٥ـ ٥٥ قبل الميلاد)، عندما توسع هذا في فتوحاته جنوباً، حتى وصل إلى دمشق وجبيل وغيرهما من بلاد الشام (كفلسطين وفينيقية ـ لبنان) حيث مكث زهاء ثمانية عشر عاماً، بناء على طلب من أهل سوريا بالذات، كما يذكر الأستاذ محمد كرد علي في كتابه المعروف «خطط الشام».

وتروي المصادر التاريخية أيضاً ، أن الجيش الأرمني في عهد هذا الامبراطور ، كان يضم بين تشكيلاته العسكرية ، « فرقة عربية » ، قاتلت معه عبر حروبه الدفاعية والهجومية التي جعلت دولته تمتد ، من البحر الأسود الى بحر قزوين ، ومن البحر الأبيض المتوسط وحتى حدود فارس . . كما كانت جيوش الملك الأرمني اردافست ARDA VAST بدورها تحوي بعض الكتائب العربية ضمن صفوفها .

وصحيح أن هذا النوع من الاحتكاك بين الشعبين قد اتخذ في بادىء الأمر صبغة عسكرية ، إلا أنه سرعان ما تطور ـ بحكم التجاور الجغرافي بين شبه جزيرة العرب وسوريا ولبنان من جهة ، وأرمينيا من جهة ثانية ـ الى نوع آخر من العلاقات اكثر رسوخاً وصداقة ، سيما عندما توجه البطريرك ابراهام الى مكة

المكرمة ، وأظهر شخصيته للنبي العربي وطلب منه اماناً وحماية لرهبنيات الأرمن وأوقافهم فأعطاه العهد التالي : [1]

« أنا محمد بن عبدالله رسول الله تعالى اعطيت هذا العهد الى شعب [2] ابراهام البطريرك والى المطارنة والرهبان الأرمن الذين يقيمون في القدس ووهبت لهم كنائسهم ودورهم وأوقافهم وأراضيهم » .

وصورة هذا العهد موجودة في كنيسة القديس يعقوب JACOB في القدس ومهورة بخاتم الرسول العربي.(ﷺ) .

ولما قرأ الخليفة عمر بن الخطاب هذا العهد وافق عليه . وظل الأرمن يتمتعون في ظل الدولة العربية بالحماية الكاملة ، ثم لما استرجع صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيين ، اصدر مرسوماً يعترف به بعهد الرسول الكريم مجدداً[3] . وهكذا استمر الخلفاء بعد الرسول على هذا العهد في عصور خلفاء الدولة الأموية ، وبعدها الدولة العباسية ، وحتى خلفاء آل عثمان ، إلى أن نقضه أحد سلاطينهم في القرون الأخيرة .

وفي الوجه المقابل لهذا الاتفاق الودي بين الشعبين، الذي بدأ، كما أشرنا، منذ سنين ما قبل الميلاد ، عن طريق الفتوحات الأرمنية لبعض الدول العربية (سورية ولبنان) ، فان العرب بدورهم ، قد توجهوا الآن ، وبنفس الصفة ، ولغايات استراتيجية أيضاً ، الهدف منها الحد من الهجمات البيزنطية على حدودهم الشمالية ، الى ارمينيا ، وسيروا اليها الحملات العسكرية التي تشابكت من خلالها الأغراض السياسة بالمصالح الأساسية للشعبين عبر المواثيق العربية الأولى المعطاة إلى الشعب الارمني وقادته .

---

١ ـ على لسان سافة المطران شيواش : وجيه الخيمي ـ الأرمن في سورية .

٢ ـ وشعب البطريرك ابراهام يضم : الأرمن والأحباش والقبط والسريان ـ المرجع السابق .

٣ ـ الأرمن في سورية .

وبتفصيل أكثر ، يمكننا أن نمضي مع هذه العلاقات عبر المواثيق والشواهد التالية :

١ - ففي عهد عمر بن الخطاب ، اعطي القائد العربي سراقة بن عمرو ، الذي توغل في أرمينيا ، كتاب الأمان التالي الى الأرمن ، تماماً كما آمن ديكران الكبير أهل سورية :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ما أعطى سراقة بن عمرو ،عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، شهريزار وسكان أرمينيا والأرمن من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملتهم (دينهم) . . . شهد عبد الرحمن بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضي ابن مقرن وشهد » .

- الطبري الجزء الثالث صفحة ١٣٦ -

٢ - وفي عهد معاوية أعيد فتح أرمينيا ثانية على يد حبيب بن مسلمة وكتب كتاباً جديداً للأمان هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من لدن حبيب بن مسلمة الى المسيحيين والمنجمين واليهود في مدينة دوفين ،[1] والى حاضرهم وغائبهم ، كونوا آمنين فانه لا يوجد عليكم أي تهديد على حياتكم ، ولا على أموالكم ، ولا على معابدكم ، ولا على كنائسكم ، ولا على أسوار مدينتكم . واننا مستعدون رعاية واحترام هذه المعاهدة طالما تدفعون الجزية[2] عن أموالكم المنقولة .

---

١ - DVIN.

٢ - درج العرب المسلمون في فتوحاتهم على الطلب الى سكان البلاد الدخول في الاسلام ، فان رفضوا « فلا إكراه في الدين » ، حيث يجب عليهم دفع الجزية (ضريبة) لقاء حماية الدولة العربية لهم . وفي حال الرفض كان لا بد من الحرب . ومهما يكن من أمر ، فان هذه المعاهدات وما يليها ، وحوادث صلاح الدين في القدس وغيرها ما زالت في الأذهان ، تدل على عدم وجود اضطهاد ديني لدى العرب ، بخلاف ما كانت تفعله بيزنطية المسيحية من احتلال أرمينيا ، وإكراهها على الدخول في مذهبها الديني في نفس الوقت ، وهو ما لم يفعله العرب .

والله شهيد على ما أقول . وختم حبيب بن مسلمة هذه المعاهدة بختمه الخاص »

(أورد هذا النص كتاب تاريخ الأمة الأرمنية
لمؤلفه ك . ل . استارجيان
ـ عن تاريخ البلاذري ـ)

٣ ـ وفي عهد معاوية أيضاً ، وقد أدرك القائد الأرمني ثيودور رشدوني أن الوصول الى صلح دائم مع العرب هو في مصلحة أرمينيا،فانه وقع معهم المعاهدة التالية :

١ ـ تعفي الدولة العربية أرمينيا من الجزية خلال ثلاث سنوات.
٢ ـ على الأرمن بعد مرور ثلاث سنوات أن يدفعوا الجزية للدولة العربية بدمشق قدر ما يريدون.
٣ ـ يحق لأرمينيا أن يكون لها جيش مؤلف من خمسة عشر ألف فارس ينفق عليه الأرمن من حساب الجزية .
٤ ـ لا يدعى هذا الجيش للعمل في بلاد الشام.
٥ ـ على الجيش الأرمني كحليف للدولة العربية أن يحارب الى جانبها ضد الاعتداء عليها من الخارج .
٦ ـ ان الجيش الأرمني يكون صاحباً لقلاعه دون أي تدخل أجنبي.
٧ ـ ان الدولة العربية تتعهد حماية أرمينيا وحدودها ضد هجمات العدو وبنوع خاص ضد هجمات الروم.

وعندما نمى الى امبراطور بيزنطة ، «هيروكوليس» ، نبأ هذه المعاهدة ، اشتد غضبه ، وطلب الى الأمير الأرمني الرجوع عنها ، إلا أن هذا الأخير رفض ذلك ، مما دفع بالامبراطور المذكور الى تسيير جيوشه الى أرمينيا[1] .

وفي نفس الوقت عمد الأمير رشدوني الى طلب مساعدة حليفه معاوية،

---

١ ـ سبق لنا وان تعرضنا إلى هذا الموضوع في الصفحة (١٩٨) من هذا الكتاب ولذلك اقتضى هذا التنويه .

فأرسل اليه هذا جيشاً من ١٠٠٠٠ جندي انضم الى القوات الأرمنية،وهاجما معاً الحاميات-البيزنطية التي تركها الامبراطور هيركوليس ،عقب انسحابه من أرمينيا، بسبب اضطرابات داخلية[١] واضطروها للانسحاب.

وعندما علم معاوية بأمر هذا الانتصار ، دعى الأمير رشدوني الى دمشق الذي سافر اليها ودخلها بموكب رسمي حافل، كان على رأس مستقبليه كبار قواده العسكريين، ورجال الدين المسلمين.

٤ ـ أما في عهد عمر بن عبد العزيز : كما يذكر المؤرخون الأرمن ـ وفي هذا الذكر دلالات بارزة على متانة العلاقات العربية الأرمنية ـ فان بطريرك أرمينية كان هوفهانيس أوتسنيتسي الذي اشتهر بمصنفاته وبلاغته ومعلوماته القيمة في الشعر والآداب والفلسفة واللاهوت . وقد صنف معظم أجزاء الكتب الطقسية للكنيسة الأرمنية ، وكان يقضي أكثر أيامه منقطعاً للصوم والصلاة . ولهذا فان الكنيسة الأرمنية تعتبره بين ملافنتها الكبار ،مثل كريكور الناريكي ،ونرسيس الأناني، ونرسيس اللامبروني وغيرهم.

وكان عامل الخليفة عمر في أرمينيا يصف دائماً في رسائله هذا البطريرك (هوفهانيس) ، ويشيد بأخلاقه الطيبة ، فتاق الخليفة العادل الى التعرف على هذا الرجل العظيم، وبعث يدعوه لزيارة دمشق ، ولبى البطريرك الدعوة ، وقدم الى العاصمة العربية ، فاستقبل بمظاهر الحفاوة والاكرام ، حيث قيل أن دمشق لم تشهد مثيلاً لهذا الاستقبال الرائع بالنسبة لرجال الدين وكبار ضيوف الدولة العربية .

وفي اللقاء الأول الذي تم بين الرجلين ، العربي والأرمني ، لفت انتباه الخليفة،(وكان معروفاً بزهده)،حسن قامة البطريرك ، وشعره المسبل الجميل ، وذقنه المزدهرة ، وثيابه الموشاة ، وعصاته المذهبة المرصعة بالأحجار الكريمة . ولم يكتم الخليفة الفضول الذي كان يعتمل في نفسه فسأل ضيفه عن هذا الترف غير

---

١ ـ في بلاده.

الاعتيادي ، طالما أن السيد المسيح قد دعا في الانجيل المقدس الى البساطة ، فقال البطريرك مجيباً :

- « إن المسيح لما اتخذ الطبيعة البشرية غطى بها المجد الالهي ، ولكنه لم يستر المعجزات وقوته الالهية . فبقوته الالهية صنع آيات كثيرة هو وتلاميذه ، ولم يحتج الى ثياب مثل ثيابي هذه ليجعل كلامه مسموعاً وشخصه وقوراً ، ولكننا نحن رجال الدين ، لا يمكننا أن نصنع آيات مثل آيات السيد المسيح ومعجزاته ، فاننا نحاول أن نلقي على أنفسنا مظاهر المهابة والوقار بواسطة هذه الملابس المزدانة . ولكن إذا أردت أن تعرف الحقيقة الكاملة وتشاهد ملابسي الحقيقية التي أضعها على جسدي ، فأرجو أن تأمر الحاضرين باخلاء المجلس » .

وطلب الخليفة الزاهد أن يخرج الجميع ، فلما خلا بالبطريرك نزع هذا ملابسه الخارجية المزدانة بأنواع المجوهرات والوشي ، فاذا بثوب خشن مصنوع من الخيش مسدل على جسده وقال :

- هذه ثيابي الأصلية التي ألبسها بشكل دائم فوق جسدي تحسسها بيدك إن شئت .

فوضع الخليفة يده على الثوب ثم سحبها مندهشاً وهو يقول :

- كيف يستطيع الانسان أن يتحمل مثل هذه الثياب المؤلمة إذا لم يعطه الله الصبر .

ثم خلع الخليفة على البطريرك الخلع النفيسة وزاد في إكرامه وإعزازه . ويضيف الى هذا المؤرخ الأرمني كرياكس الجنزوي بأن الخليفة سأل البطريرك عن حاجته فطلب إعفاء رجال الدين من الضريبة ، فوافق الخليفة ورد البطريرك الى ارمينيا معززاً مكرماً » .

- وردت هذه الحادثة في كتاب « أرمينيا في التاريخ العربي » لمؤلفه السيد أديب السيد نقلاً عن الأب أوهانيس آدميان حول تاريخ البطريرك هوفهانيس

السادس وكرياكس (مقال عمر بن عبد
العزيز والأرمن المنشور في مجلة الحديث -
مجلد ٢٦ صفحة ٣٧٧) .

٥ - في عهد هشام بن عبد الملك : ويسرد الأب أوهانيس آدميان في كتابه المذكور (المرجع السابق) : ان المؤرخ الأرمني غيفونت ذكر في مؤلفه التاريخي : « ان الخليفة العربي هشام بن عبد الملك قد أكرم ملك أرمينيا أشوط حين قدومه الى دمشق ، وان الجيشين العربي والأرمني تحالفا ضد عدوهما المشترك الخزر » .

٦ - وفي عهد هشام بن عبد الملك أيضاً : يتابع المؤرخ الأرمني غيفونت - الذي ينقل عنه الأب أدميان ثم الأستاذ السيد - قائلاً : « ان الخليفة هشام استقبل حليفه البطريق أشوط استقبالاً حافلاً وأكرمه غاية الاكرام وخلع عليه خلعاً ثمينة ثم أمر بأن تدفع الرواتب (للوزراء الأرمن ولفرسانهم الموقوفة قبل قدوم الملك أشوط بثلاث سنوات) عن هذه الأعوام وقدرها ١٠٠٠٠٠ درهم عن كل عام ، ثم استأنفت دمشق دفع هذا المبلغ دون انقطاع » .

٧ - في عهد المتوكل : احتل الأرمن في عهد المتوكل[1] مكانة مرموقة . إذ يفهم من حادثة رواها الطبري وجرت حوادثها عام ٨٢٧ ، ان الأمراء الأرمن لم يدخلوا سجون سامراء SAMARRA (عاصمة الدولة العباسية الجديدة) ولم تغلق عليهم أبواب (المطبق) ، كما هو متبع بالنسبة الى أمثالهم من الأمراء والقادة العرب الذين يخرجون عن طاعة الخليفة ، حيث كان الأمير أشوط من أقرب المقربين الى الخليفة، ومن بين الصفوة المختارة الذين يؤثرهم بمجالسته والاستئناس بآرائهم .

كما كان في الجيش العربي المشترك الذي يدعم عرش الخلافة ، عدد كبير من فرسان الأرمن ومقاتليهم الأشداء . . وأن جيشاً أرمنياً قد ساهم في حملة المعتصم .

---

١ - عن كتاب « ارمينية في التاريخ العربي » لمؤلفه الأستاذ أديب السيد.

٨ ـ وفي عهد المعتصم : تولى الأمير الأرمني أبو الحسن علي بن يحيى الولاية على الثغور الشامية وكان يقوم بغزو الروم كل عام مرتين،ويعود بالغنائم الى الخليفة . ولهذه المكانة التي كان يتمتع بها، فقد طلب الى الخليفة،أن يعفو عن أسرةأردزروني(التي قاومت العرب) ، فيعفو الخليفة عنهم إكراماً لقائده ، ويعيدهم الى بلادهم ـ من أراد منهم ذلك ـ .

وبناء على مساعي الأمير أبي الحسن علي بن يحيى الأرمني، ونزولاً عند رغبة الأرمن ، وافق الخليفة على تسمية البطريق أشوط بن سمباط الباقرادوني أميراً للأمراء، وجعله المسؤول الأول من أمراء وبطاركة أرمينيا . واعتبر هذا العام ٨٦١ بالنسبة لأرمينيا بداية تاريخ جديد .

٩ ـ وفي عهد المقتدر : غضب هذا الخليفة من أعمال أميرهالعربي يوسف،فأمر قائده مؤنس الخادم أن يتولى أمره ، فشعر هذا الأخير انه بحاجة ماسّة الى مساعدة الجيش الوطني في أرمينيا المستقلة ، وبمؤازرة ملكها آشوط الحديدي، دخل الاثنان الحرب ضد الأمير يوسف،بناء على الخطةالمشتركة التي وضعاها سوية، حيث كان النصر حليف« جبهة الأتحاد العربي ـ الأرمني »[1] .

وإذا تركنا هذا الجانب السياسي ـ الحضاري في علاقات الشعبين ، فاننا نستطيع أن نبرهن أيضاً على وجود نوع آخر من العلاقات بينهما وخاصة في مجال الأدب :

ـ إذ يذكر المؤرخون الأرمن[2] أن تأثر الأرمن بالأدب العربي قد ظهر بشكل خاص في شعرهم من خلال « اقتباسهم الوزن والقافية عن الشعر العربي » .

ـ وأيضاً فان مؤرخي الأدب قد لاحظوا وحدة المواضيع الأدبية بين العرب والأرمن . . ومن ذلك ان الشاعر الأرمني أراكيل باغيتشي يكتب عام ١١٨٤

---

١ ـ أرمينية في التاريخ العربي : أديب السيد .

٢ ـ تاريخ الأمة الأرمنية : ك.ل. استارجيان.

قصيدة على شكل حوار بين العندليب والورد . . ومن العرب نجد أيضاً من يكتب عن الورد والبلابل مثل حافظ وغيره .

- وأكثر من هذا ، نقرأ لدى مخيتيار هيراتسي في كتابه المسمى « تسلية للحمى » ، أسماء بعض النباتات التي تنمو في الشرق الأوسط مكتوبة باللغة العربية . كما أنه يعدد أسماء بعض الأطباء العرب مثل محمد بن زكريا وابن سيناء .

- ثم قام كل من كريكور طبير ، وواسيل طبير ، وسركيس بيزال بترجمة بعض الكتب الى الأرمنية عن اللغات الفرنسية واللاتينية والعربية . . وهؤلاء من أدباء كيليكيا .

- كما أن الشاعر المفضل لدى الأرمن - من شعراء الأمم الأخرى - هو أبو العلاء المعري العربي الذي ترجمت بعض قصائده الى اللغة الأرمنية . ثم قام الشاعر الأرمني[1] أواديك ساهاكيان بوضع قصيدة رمزية استوحى أبا العلاء المعري موضوعاً لها ، وهي المسماة « عروج أبي العلاء » ، نقتطف منها الأبيات التالية التي تدل على جمالها[2] ، وتعطينا في الوقت نفسه فكرة عن أصالة الأدب الأرمني بوجه عام :

« قافلة أبي العلاء تسير متهاهلة كالريح . .
مع رنين أجراس الموسيقى العذبة في الليالي الهادئة لقد قطع السبل الملتوية بخطوات رتيبة متزنة . .
ورنين الأجراس البراقة مستمر عبر السهول الشاسعة الصامتة . .
وكانت « بغداد » ترقد بين الأحلام الفردوسية الدافئة اللطيفة . .
أما العندليب فكان مستمراً يغرد بغزل حزين ودموع محرقة . .
ونافورات القصور تقهقه بضحكات ماسية لماعة . .

---

١ - من أدباء مرحلة الأدب الثوري الأرمني التي امتدت بين أعوام ١٨٩٥ - ١٩١٥ .
٢ - تاريخ الثقافة والأدب الأرمني لـ ك . ل . استارجيان :

وتنشر القبلات المعطرة بين قصور الخلفاء الزاهية. :
والنجوم الدرية بمجموعاتها المنيرة تجري في مسالك السماء . .
حيث تترنم في قبة السماء الفسيحة بموسيقاها المتزنة . .
وكانت الرياح تقص بأرجها النفاح قصص ألف ليلة وليلة . .
بين النخيل والصفصاف الراقد على السبل بنوم مريح . .
وكانت القافلة تسير مهللة طرية لا تنظر الى الوراء . .
والسبل المجهولة كانت تدعو أبا العلاء برأفة وحنين . .

لقد هتف الشاعر الأعظم أبو العلاء بقافلته قائلاً :

« سردوما أيها الركب سر حتى آخر أيامي . .
اذهب الى الآفاق البعيدة الزمردية حيث العالم المنقطع[1]
اصعد الى الشمس دون توقف وأحرق قلبي في صميم الشمس . .
وسار الركب منصرفاً بنفسه بين صفوف النخل العالية . .
الى الأمام نحو البادية الى الضفاف المجهولة الى الأبعاد القصوى

« سر أيها الركب فلم نترك وراءنا ما يستوجب العودة أو يحرك الشهوة
سر ولا تقف . لقد تركنا القيد والانحلال وتركنا المكر والخداع . .
وسار ركب شاعر « المعرة » دون ضجيج في السبل الملتوية . .
وكان أبو العلاء يتأمل بآلامه غير المحدودة ، بآلامه الدفينة . .
كطريقه الطويل الملتوي دون حد أو نهاية . .
الى آخر هذه القصيدة الطويلة[2] .

---

١ - ولا يخفى ان الشاعر الأرمني يستخدم هذا الموضوع للتورية على ما يرمي اليه وهو دفق البعث في أمته الأرمنية التي بدأت تشهد عمليات الابادة والاضطهاد.
وفي نفس الوقت ، تطري هذه القصيدة فلسفة الشاعر العربي أبي العلاء ومبادئه إذ لا ينكر أن اتخاذ أحدنا في عمله شخصاً اخر ذا أهمية ، له دلالة واضحة على مدى تقديره لهذا الشخص وإعجابه به .

٢ - ترجم هذه القصيدة ، الى العربية ثانية ، الأستاذ خير الدين الأسدي ، ترجمة حرة (كما ذكر لنا الأستاذ جورج صباغ) .

ولا يتسع المجال هنا لشرح أوسع لسير هذه العلاقات السياسية ـ الحضارية ـ الثقافية ،وفي ما رأيناه من احترام متبادل وعلاقات مكثفة وحميمة . وما قدمناه حتى الآن ، هو غيض من فيض مما تزخر به أواصر التعامل أو التعاون بين الشعبين ، وكلها تدل على أن أرمينيا وشعبها وأدبائها ورجال دينها وقادتها كانوا مع العرب على وئام وصداقة . وإن كان هذا يجب أن لا يمنعنا من الإعتراف بأن هذه العلاقات ـ كأي علاقات بين دولتين ـ كانت تتأزم في بعض الأوقات بفعل تهور بعض القادة من الطرفين ، أو بفعل الضغوط التي كانت تمارسها بيزنطة على بعض الأرمن .

ومهما يكن من أمر ، فان هذا الاحتكاك والتفاعل بين الشعبين الأرمني والعربي خلال تلك القرون الطويلة ، قد مهد ورسخ لإنبات تلك الصلة التي نراها الآن بينهما في سورية ولبنان ومصر والعراق عندما استقبل العرب أصدقاء الأمس واليوم ، وحموهم من الأتراك ، وافسحوا لهم في وطنهم الجديد مجال العيش الكريم ، كما فعل الأرمن مع العرب يوم ذهب هؤلاء بالعشرات . ـ كما سنرى في فصل قادم ـ الى أرمينيا حيث عاشوا في البدء منعزلين عن سكان البلاد الأصليين ـ الأرمن ـ ثم ما لبثوا أن اندمجوا معهم في وطنهم الجديد ، مثلما اندمج الأرمن اليوم في الأقطار العربية .

* * *

الفصل الثاني

العرب مواطنون أرمن في أرمينيا

قد يبدو استخدام هذا التعبير مبالغاً فيه أو غريباً على الأذن العربية، لدى سماعه للوهلة الأولى، رغم انه يبدوعادياً بل وعلى العكس، مألوفاً تماماً، لدى الأشقاء الأرمن.

وفي الحقيقة ، فان محتويات هذا الفصل كفيلة بازالة هذه الغرابة عن الأذن العربية ، عندما نتعرض الى تفاصيل استيطان العرب لأرمينيا ، واتخاذهم لها أرضاً توأماً لبلادهم الأصيلة ، ثم أضحوا بدورهم رعايا في تلك الدولة الصديقة .

وفي الوجه المقابل ،فان صيرورة الأرمن مواطنين عرب فيمصر وسورية ولبنان ، قد نجم ، في الواقع ، عن أسباب مغايرة كلياً لتلك التي دفعت بالعرب الى أن يصبحوا مواطنين في أرمينيا .

ومهما يكن من حال ، فاننا نستطيع أن نرجع بجذور هذه « الرعوية العربية » ، وانتمائها المكاني والزماني الى بلاد آرارات[1] ، الى تلك الهجرات التي تمت من قبل هؤلاء (العرب)،تحت تأثير عاملين متباينين ، كما وجرت وفق شكلين مختلفين :

ـ **الشكل الأول للهجرات العربية « الأولى » الى أرمينيا وأسبابها** : وهذه هجرات

١ ـ خلال السنوات ٦٦١ ـ ١١٢٠ ميلادية فقط .

جماعية قامت بها « القبائل » العربية دعماً[1] للفتح العربي لهذه البلاد،وذلك على مدى الأزمان التي استغرقها هذا الفتح .

- **الشكل الآخر للهجرات العربية « الثانية » الى أرمينيا وأسبابها** : وهي هجرات إفرادية قام بها مواطنون عرب في أوقات متلاحقة تحت دوافع[2] اقتصادية ،بحتة، نبعت من رغبة هؤلاء في العمل والكسب في هذه البلاد المزدهرة ، تماماً كما هو الأمر بالنسبة للهجرات الفردية التي تجري في وقتنا الحاضر باتجاه البلاد الغنية في العالم .

١ - هجرة القبائل العربية الى أرمينيا :

جرت هذه الهجرات القبـائلية على مراحـل متعـددة ، ولأسبـاب سياسية ، وذلك تبعاً لعهود الحكم في الدولة العربية :

١ - **هجرة العرب الأولى في العهد الأموي** : اتفق المؤرخون الأرمن القدماء منهم والمعاصرون ، على أنه خلال حكم الخليفة العربي معاوية ، حدث استتباب للأمن في أرمينيا ، وإنها نعمت تبعاً لذلك ، بسنـوات من الرخـاء والهـدوء (٦٦١ - ٦٨٥ ميلادية) .

وعلى الأثر - وكان قد مضى الآن ربع قرن على فتح العرب لأرمينيا - جاءت الهجرة العربية الأولى الى هذه البـلاد على شكل جماعـات متعـددة يلحـق بعضهـا البعض . وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً ، فاننا نحصرها « بقبائل » صغيرة نزحت الى « البلاد الجديدة » ، وسكنت في أول الأمر في ضواحي المدن والأقضية الأرمنية ، « كرديف» للحاميات العسكرية العربية المتواجدة في هذه الدولة .

وشيئاً فشيئاً أخذت هذه الجماعـات « القبائـل » النازحـة تتجـه نحـو المدن الأرمنية نفسهـا . وهـكذا ، شهـدت مدن تفليس TIFLIS ، وخـلاط ، ودبيل

---

١ - وكلمة « دعما » هنا تعني سبب هذه الهجرة الحقيقي.

٢ - وأيضاً فان كلمة « دوافع » تعني بدورها سبب هذه الهجرة.

دوفين DVIN، وملاذكيرت MANAZIKERT ، وأرغيش ARGISHI، استيطان الجاليات العربية الأولى فيها.

وفي هذا العهد ، لم يحدث اختلاط أو حتى احتكاك من أي نوع كان بين الشعبين العربي والأرمني . وهذا أمر طبيعي تفسره ظواهر عديدة بدت عبر نظرة الأرمن الى هؤلاء الوافدين ، فضلاً عن تلك الفوارق اللغوية والحضارية القائمة بينهما ، مما دفع سكان البلاد الأصليين الى تسمية هؤلاء القادمين باسم « المهاجرين ».

٢ ـ **هجرة العرب الثانية في العهد العباسي** : وبدأت في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور الذي عهد الى قائده يزيد بن أسيد بولاية أرمينيا ، فقام هذا الأخير بفتح باب الهجرة العربية الى هذا البلد على مصراعيه .

وعملياً جاءت هذه الهجرة كسابقاتها ، على شكل قبائل كاملة نزحت من اليمن والعراق وسهول الجزيرة (شمالي سورية)،ومن مناطق عربية أخرى . فأقامت القبائل اليمينية على حدود ولاية اران ARAN (التي تتاخم مدينة دوفين DVIN) . أما القبائل « اليانية » فقد انتشرت في بعض المقاطعات الأرمنية الممتدة على الحدود الجنوبية لهذه البلاد ، والى الشرق .

ثم لحقت بهذه الهجرات ، « جماعات من القبائل النزارية » ، التي هجعت بعض فروعها ، في منطقة ملاذ كيرت MANAZIKERT. . في حين أن عشائر الجزيرة ، وقبائل « بني ربيعة » ، وفدت الى أرمينيا من حدودها الجنوبية ، ثم استوطنت الأقاليم المتاخمة لهذه الحدود.

وفي الوقت الذي تولى فيه كل من الخليفة العربي المهدي (٧٧٥ ـ ٧٨٥م) ، ومن بعده الخليفة الهادي (٧٨٥ ـ ٧٨٦م) ، الحكم في الدولة العربية ، كانت « المنازعات القبلية » ، قد ذرت قرنها بالفعل بين مختلف هذه العشائر العربية ، بحيث مهدت هذه الأحداث السبيل أمام قدوم هجرات عربية طازجة الى أرمينيا

خلال السنوات القليلة القادمة .

وقد تأكد هذا الأمر حقيقة في عهد هارون الرشيد عندما ولى هذا الخليفة قائده يوسف بن راشد السلمي حاكماً على أرمينيا الذي رأى ، بثاقب نظره ، وقد تفاقمت هذه النزاعات العربية الى حدود بعيدة ، بحيث أخذت كل قبيلة ، أو عدد معين منها ، تؤيد هذا الحاكم العربي ، أو ذاك ، تبعاً لانتمائه القبلي ، نقول رأى انه ليس بمقدوره حكم المستوطنين العرب[1] ، إلا باعتماده - كسابقيه من الحكام - على تأييد ومساندة رجال القبيلة التي ينتمي اليها ، وهي « النزارية » . وهكذا رأيناه يستقدم هذه العشائر « النزارية » بكامل أهاليها حتى تمكن ، بسواعدهم ، من مقاومة النفوذ المتزايد للقبائل « اليمانية » ، التي كانت تعاكس حكمه ، بل والانتقاص من سطوتها .

وتماماً كما فعل سلفه الحاكم يوسف ، فان الحاكم الجديد لأرمينيا الآن (وفي عهد هارون الرشيد أيضاً) ، يزيد بن مزيد الشيباني ، قد سار على خطوات يوسف نفسه ، إذ عمد الى بسط نفوذه وتوثيقه على المستوطنين العرب ، بنقل جماعات كبيرة من أفراد قبيلته « بني ربيعه » الى أرمينيا ، مما أمكنه من كبح جماح القبائل النزارية واليمانية وبني قيس معاً ، وبالتالي سمح له باعادة السلام والأمن الى هذه البلاد.

وعندما تحققت هذه الخطوات ليزيد ، فانه عاد الى بغداد ، بعد أن ولى الخليفة العربي واليه عبد الكبير العدوى حاكماً على أرمينيا ، الذي استدعي ، بدوره ، كما وصحب معه جماعاته من القبائل العربية في مصر .

ولما عزله الخليفة وولى مكانه الفضل بن يحيى البرامكي (الذي يعود بنسبه الفارسي الى قاتل الخليفة العادل عمر بن الخطاب) ، فقد رفض الولاة ، ومعهم المستوطنون العرب ، القبول بتولية هذا الرجل حاكماً عليهم ، فثاروا عليه ، ثم ألحقوا به الهزيمة .

وفي هذه السنوات ، قام ملك الخزر (التركمان) ، باجتياح أرمينيا بقوة رهيبة

---

١ ـ القبائل العربية .

لم يستطع أمامها العرب ومعهم الأرمن من الوقوف بوجه زحفها المريع. وعندها عاد الخليفة (هارون الرشيد) ، وبعث مجدداً قائده يزيد بن مزيد الشيباني لصد غزوة الخاقان التركماني . وبالفعل تمكن هذا القائد العربي ـ الذي جلب معه للمرة الثانية بعض العشائر الموالية له من بني تغلب ، ووائل وشيبان ، وهو ما فعله أبناؤه وأحفاده من بعده خلال حكمهم لأرمينيا، وبمساندة الجيوش الأرمنية ـ من وقف زحف الخزر ، وأن يردهم الى بلادهم ، ثم يعيد الوحدة الى أرمينيا ، وأكثر من هذا ، أن ينشر الأمن والسلام في هذه المنطقة بكاملها .

وكان هذا العمل كفيلاً ، وقد أخذت الحياة الاقتصادية في أرمينيا ، تبعاً لانتشار الأمن بين ربوعها ، بالنمو والأزدهار ، أن يمهد السبيل أمام النوع الثاني من الهجرة العربية للقدوم الى أرمينيا ـ الهجرات الافرادية ـ .

٢ ـ هجرة الأفراد العرب الى أرمينيا :

على أثر هذا الرفاه الاقتصادي ، نشطت حركة الهجرة العربية الى أرمينيا على مستوى الأفراد والعائلات ، فانساح هؤلاء في مختلف المدن والمقاطعات الأرمنية قادمين اليها من حدودها الجنوبية .

وقد استفاد القادمون الجدد (بعد أن ترسخت هجرات القبائل العربية السابقة ، كما واختلطت بالسكان المحليين ، ثم اندمجت معهم ـ وبحدود مقبولة ـ) من هذه « الامتيازات » ، التي استخدموها ، مع مهاراتهم الفردية ، من أجل الكسب والعيش، حيث ظهر منهم الأطباء والتجار والحرفيون والصناعيون والمزارعون .

وهكذا رأينا « الفرد العربي » ، يضحي مع مرور الزمن ، « مواطناً في أرمينيا »، ينعم بالأمن والسلام مع السكان المحليين ، ويفيد كما يستفيد ، تماماً ، كما نرى الأرمن اليوم بين ظهرانينا .

وكيما نكون أكثر تحديداً في هذا الصدد ، فاننا سنستعير الآن بعض المقتطفات التي أوردها الأستاذ أديب السيد في مؤلفه ـ أرمينيا في التاريخ العربي ـ التي تؤكد ما ذهبنا اليه أعلاه :

ففي عام ١١٥٤م[1] قام المؤرخ العربي يوسف بن الأزرق الفارقي برحلة الى ولاية الكرج (جيورجيا) ، في أقصى الشمال من أرمينيا ، حيث أقام لدى ملك جيورجيا ديمتري فترة من الزمن . وفي أحد الأيام قام الرجلان بجولة أوصلتهما الى داخل أرمينيا . . ونترك الآن الكلام لهذا المؤرخ :

« وبينما كنت والملك وعسكره نازلين في برج يقع عند سفح أحد الجبال الشاهقة ، إذا بجماعة تقبل علينا من ضياعهم ، فجاء أحدهم الى (ابن الأزرق) وحدثني « بالعربية » ، فعجبت لذلك ، وسألت الفتى :

- من أنت يا فتى ؟ اني ما رأيت بهذه الأرض مستعرباً (يقصد عربياً) .
- من تلك القرية (مشيراً الى قرية على قمة في وسط جبل مأهول بالسكان) .
- ومن أين هذا الكلام العربي ؟
- ان جميع من في القرية « عرب » ونحن جميعاً نتكلم العربية .
- ومتى حللتم في هذا المكان ؟
- منذ نحو خمسمائة سنة (أي مع بدء الفتح العربي لأرمينيا ، بحيث شكل هؤلاء الرعايا ، بقايا المواطنين العرب الذين عادوا الى بلادهم قبل هذا التاريخ (١١٥٤م) بعدة قرون) ـ المؤلف ـ.
- ومن أي العرب أنتم ؟
- من بني أمية ، ومن كنده ومن قبائل أخرى (اذن من هجرات القبائل العربية التي تمت في العهد الأموي)ـ المؤلف.

---

١ ـ لم يمكث العرب في ارمينيا ـ كما أشرنا ـ في حاشية سابقة ، إلا قروناً قليلة . عادوا بعدها الى بلادهم ، عقيب الغزوات القاتلة التي تعرضت لها أرمينيا من جهة ، وبسبب وهن وضعف الدولة العربية من جهة ثانية . ومع هذا تؤكد هذه الرواية البسيطة استقرار العرب في هذه الدولة ـ ذات يوم ـ وصيرورتهم مواطنين ينتمون إليها .

ـ وما الذي جاء بهما الى هذا المكان ؟
ـ لا أعلمك.
ـ لماذا؟ .

الى آخر هذا الحوار[1] . « ثم انصرف الفتى ، وفي اليوم التالي رجع ابن الأزرق ومعه جماعة من قومه ، وكان فيهم شيخ كبير اسمه محمد بن عمران ، فأخذ ابن الأزرق يوجه اليه الأسئلة ، وهذا يجيبه عنها ».

ونترك الكلام الآن ـ ثانية ـ للمؤرخ العربي المذكور :

« قال الشيخ : إن هذه البلاد أصبحت لنا وطناً ، ويوصي بعضنا بعضاً أن لا نترك العربية مطلقاً . ونساؤنا لا تكلم الأطفال إلا بالعربية لكي ينشأوا على اللسان العربي الفصيح .

ـ وكيف أحوالكم هنا؟
ـ في خير ، ليس بيننا وبين أحد معاملة ، ولنا في هذه الأرض التي مساحتها خمسة فراسخ في مثلها نحرث ونزرع ما نحتاج اليه وما يعارضنا أحد ، وهذا الأمير صاحب الكرج يحسن الينا ويوفر علينا مصالحنا ، وكل من ولي من أمر هذه البلاد يحسن الينا . ونكون عنده في أحسن منزلة .

ثم أن الشيخ اعترف لابن الأزرق بأن قومه انهزموا أمام المختار الثقفي».
ويروي ابن الأزرق حادثة أخرى فيقول : « انه بينما كان يسير ذات يوم مع ملك الانجاز إذ وصلا الى برج واسع تحت جبل في قلعة شامخة ، فنزلا هناك وقال له الملك بأن في هذه القلعة رجلاً غريباً أسيراً في ولاية حلب، ثم طلب إليه أن يذهب ويجتمع بهذا الأسير الحلبي ويسأله عن أحواله ، فأجاب ابن الأزرق الملك الى رغبته وعزم على الذهاب في اليوم التالي ثم يسعى لدى الملك لاطلاق سراحه ، وبينما هو

١ ـ اقتطعنا سرد بقية هذا الحديث الذي يبعدنا عن موضوعنا ، وإن كنا قد عدنا اليه بمجرد اتصاله ثانية بصلب الموضوع الذي نحن بصدده .

يتأهب للقاء الرجل وقت السحر إذ تلقى الملك خبراً يقول أن بعض الولاة قد ثاروا وتمردوا عليه فداخله الذعر وارتحل لوقته ومعه ابن الأزرق الذي لم يقدر له الاجتماع بذلك الأمير». . انتهى .

وكان من الطبيعي ، وقد استقر العرب في هذه البلاد، أن يظهر منهم رجالات نبغوا ، كما وبرعوا في مجالات عديدة ، وهو ما نجد مثيلاً له لدى الشخصيات الأرمنية التي نبغت بدورها في الدول العربية من خلال استيطانها هذه البلاد مثل : طلائع بن زريك الأرمني ، وأحمد بن الأفضل ، وبدر الجمالي (من الأرمن الذين استوطنوا مصر) ، والأفضل سيف الاسلام الأرمني الخ . . نقول انه كما وظهر هؤلاء المواطنون الأرمن ـ العرب في وطنهم الجديد العربي ، ظهر أيضاً المواطنون العرب في وطنهم الجديد الأرمني . ومن أشهر هؤلاء :

- الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن منصور « الأرجيشي »[1] ، الذي ولد في أرمينيا ومدينة أرجيش بالذات فيها . . ثم زار حلب حيث قضى نحبه فيها .
- أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي : الذي ولد في مدينة قارن KARN (أرزروم ERZURUM) ووضع مؤلفات عديدة تناولت مواضيع متعددة شملت مختلف العلوم الآداب .
- عبد الرحمن بن يحيى الدبيلي[2] . ووضع تصانيف عديدة عن العرب والأرمن وكتب مؤلفات مختلفة المواضيع .
- حسين الخلاطي (نسبة الى مدينة خلاط GALATIA) ، الذي كان من أعلام عصره .
- محي الدين الخلاطي (من نفس المدينة أيضاً) ، الذي انشأ مرصداً فلكياً في مدينة تبريز الأرمنية .

---

١ ـ نسبة الى مدينة أرجيش الأرمنية.

٢ ـ نسبة الى مدينة دبيل (دوفين DVIN).

ـ أما مدينة نخجوان (نشوى) الأرمنية ، فينتسب اليها جماعة من العلماء العرب الذين ولدوا في هذه المدينة في مقاطعة فاسبوراكان . ومن هؤلاء ، العالم حداد ابن عاصم النخجواني خازن دار الكتب بمدينة NAKHITCHEVAN ، وأيضاً الفرج بن أبي عبيدة النخجواني ، وأحمد الحجاف أبو بكر الآزري النشوي (نخجوان) ، وهؤلاء جميعاً برعوا في العلوم والآداب ، سواء منها الموضوع باللغة العربية ، أو الأرمنية .

ـ وإذا انتقلنا إلى شمال غربي أرمينيا إلى مدينة ملاذكيرت فإننا نجد أبا نصر المنازي(نسبة الى مدينة ملاذكيرت)، الذي أضحى وزيراً، وكان رجلاً فاضلاً، وأديباً، وقد تناول في مواضيعه الحديث عن العرب والأرمن معاً. وقد قام بعض المواطنين «العرب والأرمن» بوضع قصائد شعرية تفننوا فيها في وصف جمال وروعة بعض المدن الأرمنية. . ومن هذا القبيل ما أنشده الشاعر أبو الرضى بن منصور متغزلاً بمدينة تفليس.

بدليس[1]، قد جددت لي صبوة	بعد التقى والنسك والسمت
هتكت ستري في هوى شاذن	وما تحرجت ولا خفت
وكنت مطوياً على عفة	مظنونة عيشي بها وقتي
وإن تحاسبنا فقولي لنا	من انت يا « بدليس »، من انت
وأين ذا الشخص النفيس الذي	يزيد في الوصف على النعت

ويقول ابن حوقل[2] المؤرخ الجغرافي المعروف انه حين زار أرمينيا وجد أن سكانها العرب يتكلمون ـ الى جانب لغتهم العربية ـ اللغة الأرمنية ويتقنونها الى حد بعيد .

ويقول الدكتور آ. هوانيسيان عضو أكاديمية[3] العلوم في الاتحاد السوفيتي في

---

١ ـ المرجع السابق: أرمينيا في التاريخ العربي.

٢ ـ راجع الحاشية نفسها.

٣ ـ المرجع المذكور.

محاضرة ألقاها عن تاريخ الطب الأرمني والروابط بين مدرستي الطب العربية والأرمنية ، انه في القرنين الحادي عشر والثاني عشر برز في أرمينيا كثير من الشخصيات الطبية وردت أسماؤهم في المخطوطات التاريخية ، ومن بينهم أطباء عرب وسوريون كتبوا باللغة الأرمنية أمثال أبو سعيدة عيسى بن أبي سعيد ، وأرمن أمثال سركيس وسيمون .

ويقول أيضاً أن « للطب العربي علاقات وثيقة جداً بالطب الأرمني حيث كان المجال واسعاً أمام الأطباء العرب ليحضروا الى أرمينيا وليعملوا في إماراتها المختلفة ، وكثير منهم من اختص بدراسة الأعشاب الطبية في أرمينيا واستعمل بعضهم صمغ أرمينيا والشند هيزوبوس (نبات صغير ذو رائحة عطرية) وغيره . ولقد اهتم الطب العربي خاصة بعلم الأدوية ، والى العرب تدين أولى الصيدليات الرسمية التي أسست في أوروبا » .

ويردف الدكتور آ. هوانيسيان قائلاً ان الأطباء العرب واليونان الذين عاشوا في أرمينيا قد تمتعوا بشهرة عظيمة، وقد خلف بعضهم كتباً طبية باللغة الأرمنية كالطبيب العربي السوري فرج الحلبي.

* * *

الفَصْـل الثـالث

موقف الدولة العثمانية الموحد من الشعبين العربي والأرمني وردود الفعل العربية والأرمنية تجاه سياسة التتريك ١٨٧٨ - ١٩٢٠ .

لم تكن السياسة، التي اتبعتها الحكومات العثمانية المتعاقبة، تجاه الشعوب التي تضمها بين حدود امبراطوريتها، لتختلف في جوهرها كثيراً. فقد كانت عموماً تتصف بالميل الى السيطرة على القوميات المتعددة التي أخضعتها لسلطانها، وتشديد الضغط عليها لمنعها من التحرك والمطالبة بالاستقلال الذاتي أولاً، ثم الانفصال عنها وتكوين دول مستقلة ثانياً.

وكان الشعبان الأرمني والعربي، بشكل خاص، مثار اهتمام الحكومات العثمانية التي رأت فيهما دائماً مصدر خطر مستمر لها بسبب الحيوية والديناميكية اللتين يتمتعان بها من دون بقية القوميات الأخرى في الامبراطورية العثمانية، وأكثر من هذا نتيجة الماضي المجيد لكل منهما، ونظراتهما المشتركة، بالنسبة للمستقبل، حول تشكيل وطن مستقل، تنمو فيه ومن خلاله، إبداعاتهما الخلاقة.

وقد عنى هذا في الواقع، بالنسبة للدولة العثمانية، كرد فعل ذاتي وحركي في نفس الوقت، قيامها بانتهاج سياسة التتريك تجاه هاتين القوميتين لكبح جماح

انطلاقاتها ، والحد منها في المرحلة الأولى ، ثم السير وفق خطة ثابتة تنبع في جذورها من هذه السياسة بالذات ، وتتمثل في اضطهادهما على الأصعدة الثقافية (اللغة ـ التدريس الخ . .) ، والقومية (خلق الشروط الكافية لخنق الحركات التحررية للعرب والأرمن على حد سواء ونفي زعمائهم وقتلهم) ، والاجتماعية ، وكذلك في السير وفق سياسة متذبذبة ـ بين مختلف شعوبها ـ بهدف خلق النفور فيما بين القوميات عامة .

وكان كل من العرب والأرمن وقادتهما غير غافلين عن هذه الأمور برمتها . وهكذا رأينا الشعب الأرمني يعمل ـ من جانبه ـ على إحياء تراثة الثقافي والروحي بانشاء المطابع ، وإصدار الصحف ، وتعميم الدراسة ، وتكوين المدارس لتستوعب أكبر عدد من الطلاب ، وإرسالهم الى الخارج لخلق النواة الأولى للقيادة الطليعية التي ستأخذ على عاتقها السير بهذا الشعب الى الآفاق التي حددها لنفسه ، وفي الإكثار من إحياء التراث القديم وإعادة توزيعه ، فضلاً عن اهتمام شعرائهم وأدبائهم وكتابهم بهذه الأمور كلها ، عن طريق تأليف الكتب والقصائد الفكرية والأدبية التي تفلسف هذه الاحتمالات وتعمل على إيصالها ، عبر وسائل الاعلام السابقة إياها الى الشعب الأرمني حيثما كان . ولكن ما لبث هؤلاء المفكرون وغيرهم من المناضلين ـ تحت الضغط العثماني المتزايد ، إن اضطروا الى إنشاء الجمعيات السرية لمقاومة الأهداف التركية في تمييع هذه النشاطات ، ومن ثم العمل على إنشاء الأحزاب السياسية العلنية كاستمرار للجمعيات المذكورة نفسها .

ثم ان الشعب العربي ، وقد أحسّ بدوره بحاجته الى بعث حضارته التليدة ، فقد قامت ، في الوطن العربي ، وفي نفس الوقت الذي بدأ فيه الأرمن خطواتهم المماثلة ، تقريباً ، قامت جماعة من المثقفين والأحرار العرب تنادي ، بضرورة إحياء التراث القديم ، وطلب نهوض الشعوب العربية ، عن طريق إنشاء المطابع ، ونشر الكتب ، وترجمة الآثار الفكرية والاجتماعية للشعوب الأخرى التي مرت بنفس التجربة ، أو التي كان فلاسفتها قد أبدعوا أفكار الحرية والعدالة

والبعث ، وفي إنشاء الجمعيات الثقافية في المرحلة الأولى ، ثم الجمعيات السياسية في المرحلة الثانية ، والتي أخذت كل منهما على عاتقها الدعوة الى وحدة الدم والتراب العربي وانفصاله عن الدولة العثمانية ، تماماً كما هو الأمر بالنسبة للأرمن أنفسهم .

وفي هذا الوقت بالذات ، وقد شعر المسؤولون الأتراك بهذا التراكم الاجتماعي ـ الثقافي ـ السياسي الذي بدأ ينمو ويتغلغل في صدور أفراد الشعبين ، الأرمني والعربي ، وما قد ينتج عنه من آثار سلبية ومضاعفات مركبة ، تهز الأسس الثابتة لمواقف الدولة العثمانية بشأن سياساتها المرسومة تجاهها ، فقد عملوا ، ولهذا الغرض ، الى نفي الزعماء العرب والأرمن أولا وعلى حد سواء (وكل بمفرده بالطبع) ، وحل جمعياتهم الأدبية والثقافية ، وزيادة رقابتهم على الصحف العربية والأرمنية ، وحتى إغلاق أكثرها ، ومنع استخدام اللغتين العربية والأرمنية في المعاملات القضائية وغيرها ، وكذلك الحد من إنشاء المدارس والمؤسسات والنوادي الاجتماعية . . حتى بدا للشعبين وقادتهما انه بات معدوماً الرجاء من الإصلاح في الولايات الأرمنية والعربية ضمن حدود الدولة العثمانية ، فاتصل كل منهما ـ من جانبه ـ بالدول الأجنبية ، حتى تمكنا من انتزاع الوعود باعطائهما الاستقلال الناجز عقيب انتهاء الحرب .

وبالفعل فقد أدركت السلطات العثمانية مغبة هذه الاتفاقيات العربية ـ الأرمنية[1] مع الدول الأوروبية المعادية لها ، فأقدمت ثانياً على قتل القادة والزعماء الأرمن اعتباراً من تاريخ ٢٤ نيسان ١٩١٥[2] ثم اتبعتها « بعد أسبوعين » وبالتحديد بتاريخ ٦ أيار[3] ١٩١٥ بنصب المشانق للزعماء العرب في دمشق وبيروت ، حيث بدأ الارهاب للطرفين معاً حين أخذ جمال باشا ، بالنسبة للعرب ، وطلعت باشا ، بالنسبة للأرمن ، وزملاؤهما أعضاء الاتحاد والترقي ، بسفك الدماء

---

١ ـ التي جاءت في حقيقة الأمر بسبب السياسة العثمانية نفسها.

٢ ـ ٣ ـ وما زال هذان التاريخان معمولاً بهما حتى اليوم : عيد الشهداء ـ العرب والأرمن ، كل بمفرده بالطبع .

الأرمنية ـ العربية على حد سواء ، حتى شهدت الأراضي الأرمنية في الولايات التركية ، والأراضي العربية في سورية ولبنان ، الكثير من الحوادث الدامية .

وما لبث الأرمن ، وكذلك العرب ، تحت ضغط هذه التراكمات الجسدية والتناقضات الحضارية ، إن انضموا الى الحلفاء في قتال الأتراك على الجبهة القفقاسية (الأرمن)،في حين قاتلهم (العرب) في الشرق الأوسط ، كما واشترك الطرفان مع حلفائهم في مقاومة الأتراك على الجبهات السورية والفلسطينية والمصرية .

وكأن قدر الشعبين كان واحداً ، فان الحلفاء عادوا فنكسوا بوعودهم لكلا الطرفين ... فلا الأرمن قامت « جمهوريتهم » لتستمر بل انهارت في غضون سنين قليلة بعد نشوئها . . ولا العرب مُنحوا الاستقلال الذي وعدوا به ؟ . . فالأولون تاهت قضيتهم مع معاهدة لوزان ، والآخرون قسمت بلادهم بموجب معاهدة سايكس ـ بيكو الى مناطق « زرقاء » ، و« حمراء » ، و« رمادية » أيضاً ؟

وهكذا ونتيجة هذه الانتكاسات قامت « اسرائيل » مكان فلسطين تحت تأثير السياسة البريطانية . . وذهبت الأراضي الأرمنية بدورها لتشكل الولايات الشرقية من الجمهورية التركية تحت تأثير السياسة البريطانية نفسها . .

هذه هي الخطوط العريضة للنضال المشترك للشعبين ـ كل من أجل قضيته (اعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين) تجاه الدولة العثمانية . ولنحاول الآن استعراض هذه المواقف ـ العربية الأرمنية بشيء من التفصيل الذي نستطيع من خلاله وبواسطته من رؤية وتحديد مدى التشابه الغريب في جوهر القضيتين الأرمنية والعربية كما نعرفهما حالياً ، واللتين جاءتا ـ وفي نفس الوقت ـ بسبب مواقف الدولة العثمانية من جهة ، وخيانات الحلفاء لوعودهم من جهة ثانية . ولا أدل على مدى الارتباط بين النضال المشترك لهذين الشعبين من ذلك الاجتماع الذي ضمهما بدعوة من « معلوميان » مع بعض الارناؤوط حيث اتفقوا على : ١ ـ تأسيس حكومة دستورية . ٢ ـ وقلب الحكومة الحاضرة (١٨٨٦).

أ - ردود الفعل الأرمنية تجاه موقف الدولة العثمانية - السياسة الطورانية - :

مر معنا في الفصول السابقة ، ان المسألة الأرمنية قد طفت على السطح ، نتيجة طلب الاصلاحات في الولايات الأرمنية وخاصة عقيب معاهدتي سان استيفانو وبرلين ، حيث بقي الأرمن - رغم حوادث ١٨٩٥ - ١٨٩٦ العنيفة - يأملون في حدوث معجزة من نوع ما تتحقق من خلالها آمالهم في الاستقلال الداخلي على الأقل .

ولأن شيئاً من هذا لم يحدث . . ولأن تعاقب الحوادث وتسلسلها بعد هذه السنوات بهذا الشكل المفجع قد حدث . . فانهم اتخذوا من جانبهم التدابير الكفيلة - على مدى هذه الحوادث وما قبلها - لابقاء وحدة الدم الأرمني وديمومته وعملوا من أجل ذلك الى :

١ - إحياء تراثهم الثقافي - الحضاري عن طريق انشاء (المطابع والصحافة ، والمدارس والمعاهد) ، وما تبع ذلك من نهضة أدبية شاملة أثرت على الأرمن ككل .
٢ - انشاء الجمعيات السرية .
٣ - إحداث الأحزاب السياسية .
٤ - الاشتراك مع الحلفاء في الحرب ضد الدولة العثمانية عقيب تنكر هذه الأخيرة لمطالب الاصلاحات.

١ - إحياء التراث الحضاري - الثقافي الأرمني ونشوء النهضة :

ليس الأمر متعلقاً بالأمة الأرمنية أو العربية وحسب ، بل انه مفهوم إنساني شامل ينطبق على جميع الشعوب والأمم . ونعني بذلك وجود الارادة لديها في البقاء والديمومة . وهو ما لا يتحقق بدوره إلا بوجود ارث حضاري مشترك تتغذى من خلاله الشعوب المعنية وتتحرك باتجاهه أهدافها وآمالها . ولا يفيد وجود هذا الارث مهما بلغ من الاتساع والسمو ما دام محفوظاً في حدود معينة لا يتجاوزها الى مجموع

الأفراد الذين تتشكل منهم الأمة . وهكذا يلزم لحفظ وحدة اللغة والروح ـ لدى أمة ما ـ نشر هذا التراث وإيصاله الى كل فرد كيما تسري في عروقه تلك المشاعر المتدفقة من الاحساس بالعزة والكرامة اللتين تدفعانه الى الالتفاف حول صديقه أولا ، ثم جاره ثانياً ، ثم حكومته ثالثاً ، ثم أمته أخيراً.

ولا نعرف طريقاً لوصول هذا الارث الحضاري الى الأفراد المعنيين إلا بطباعته ونشره وإضافة الشروح والهوامش اليه ، ثم الكتابة ، وبروح جديدة وبنفس الوسائط والطرق عنه ،وعن الواقع الذي تعيشه الأمة المعنية في التاريخ الساري وقت الحاجة الى وجود هذا التراث.

إن تمازج الاثنين ـ الروح الجديدة في البعث والحرية ، والتعريف بماضي الأمة وحضارتها ـ لا يمكن لهما إلا أن يعملا معاً ، وأن يسيرا جنباً الى جنب حتى يعطيا ثمارهما . وهذا لا يتحقق إلا بتنشيط الطباعة والنشر ، وباحداث المدارس والمعاهد العلمية ، وما يترتب عليهما من نشوء نهضة أدبية على مستوى الأمة بكاملها :

آ ـ الاهتمام بالطباعة والصحافة والنشر :

أدرك الأرمن ، وبحق كما سنرى ، مدى الأهمية التي جاء بها الاختراع المتواضع ـ وقتذاك بالطبع ـلذلك الالماني المغمور غوتنبرج HANS GUENSFLEICH GUTTENBERG ، إذ رأوا فيه ـ قبل غيرهم من الأمم ـ الأداة الأولى للثقافة ونشرها،في وقت امتاز بالجهل والخرافات . وعرفوا انهم به وبواسطته يمكنهم نقل تلك الذخائر من الأرث الثقافي والحضاري لأمتهم . وانهم به وحده سوف يقدرون أن يمنعوا ذوبان وجودهم في خضم تلك الفسيفساء من الشعوب المجاورة لهم . وهكذا وفي عام ١٥١٢ قام الأرمني هاكوب ميغابارد ـ ولما لم يمض بعد قرن على اختراع الطباعة ـ بطبع خمسة كتب أرمنية دفعة واحدة في مطبعة ZUAN ANDREA في فينيسيا في ايطاليا .

وبعد نصف قرن قام بعض الأرمن ، وبالتحديد في عام ١٥٦٧ ، بانشاء أول

مطبعة في الامبراطورية العثمانية استخدموها في طباعة كتبهم وآثارهم . ولم يكتفوا بذلك ، وقد كانت لهم جالية كبيرة في ايران ـ مدينة جولفا (التي جلب اليها الشاه عباس الأول الأرمن بالمئات كما ذكرنا في فصل سابق) ، فإنهم أسسوا فيها أيضاً مطبعة عام ١٦٤٠ . وتتابعت الخطوات ، فأخذ جثالقتهم ورجالاتهم بارسال الوفود الى ايطاليا وهولندا وفرنسا لطبع الكتب الأرمنية في مختلف المواضيع . وفي هذا الوقت عمدت منظمة الميخيتاريست ، الى احداث أكمل مطبعة في أوروبا ـ في فينيسيا ـ لوحة رقم ٤٤ لعبت دوراً بارزاً في نشر الحضارة الأرمنية ، وتعريف شعوب أوروبا بالأمة الأرمنية ، ونقل الارث الحضاري لليونان والرومان وغيرهم الى الأرمنية ، كما أحدثوا معهداً لنفس الأهداف وهو « معهد سان لازار » الذي عاش فيه الشاعر الانكليزي بايرون لوحة رقم ٣٧ BYRON مدة عامين ، وقال عنه « إن معهد لازار يجمع كل مزايا المؤسسات لوحة رقم ٤٦ الأدبية ، وأن أعضاء هذا المعهد هم من أبناء أمة مجيدة » . . وما لبث الميخيتياريون ان أحدثوا (عام ١٨٣٠) مطبعة جديدة في فيينا .

وبالنسبة لأرمن تركيا فانهم لم يستمروا في طباعة كتبهم خارج البلاد ، بل جلبوا اليها عدة مطابع في عام ١٧٧١ ، كما انشأوا الى جانبها معملاً للورق ، وأخذوا بطبع كتبهم وآثارهم القديمة والحديثة . ولم يأت القرن التاسع عشر إلا وكان لهم في استانبول مطبعتان (١٨٤٥) ، وفي أزمير ثلاث، ثم تضاعفت أعداد هذه المطابع وازدادت الى حد مخيف ، خاصة إذا عرفنا أنه أصبح للأرمن في تركيا[١] وحدها :

- في عام ١٨٣٩ أحدثت صحيفة في استانبول اسمها « لراكير » (الأخبار) ، وفي أزمير جريدة « اشديماران » ثم استمرت في الصدور تحت اسم « أويدابير » .
- وفي عام ١٨٤٠ أصبح للأرمن ٧ جرائد في استانبول وأزمير منها : ازطارار

---

١ ـ اقتصرنا هنا على التحدث عن النهضة الأدبية (طباعة ـ صحافة ـ نشر ـ مدارس الخ . .) في تركيا . والواقع أن الأرمن في روسيا وفرنسا والنمسا وايطاليا وهولندا وبلغاريا وايران قد شهدوا ـ بشكل أو آخر ـ وفي نفس التاريخ ، مثل هذه النهضة ولكننا تركناها لاهتمامنا وتركيزنا على موضوع بحثنا .

بوظانيتون (مخبر بيزنطه) ، وهايداراكير ليرو (ناشر الأخبار) ، وأرشالـويس ارارادیان (فجر أرارات) ، وأربي ارارادیان (شمس ارارات) ، واريويليان مامول (الصحافة الشرقية) .

- وفي عام ١٨٤٦ صدرت جريدة رسمية للأرمن تحمل اسم « سورهانطـاك كوستانتنوبولو » (بريد استانبول) .

- وبعد ثلاث سنوات ، أي في عام ١٨٤٩ ، صدرت جريدة « ماسيس » و« أراوبلك » وبوزانطيون . والجدير بالذكر ان هذه الصحف لعبت دوراً هاماً في تنوير الشعب الأرمني ، وفي خدمة اللغة ، بايجادها كلمات جديدة ، وتنقيح اللغة الأرمنية وتشذيبها .

- وخلال الأعوام ١٨٦٢ - ١٨٧٨ قامت مؤسسة داديان اخوان بطبع ٢٠٠ مجلد من الكتب في آلاف من النسخ . وفي هذه الفترة بالذات ارتفع عدد الصحف بصورة متزايدة حتى بلغ ٨٨ مجلة وجريدة يومية وشهرية في استانبـول وأزمير وباقي الولايات الأرمنية .

- ومنذ عام ١٨٨٤ ظهرت ٢١ جريدة جديدة . وهكذا فانه بين أعوام ١٩٠٨ - ١٩١٠ كان للأرمن في تركيا وحدها ١٠٣ مجلة وجريدة منها ٨ جرائد يومية و١٥ مجلة .

إن هذا العدد الهائل من المطابع والصحف والمجلات والكتب ، خاصة إذا ما قيس بالنسبة لعدد الأرمن في تركيا في ذلك الوقت (٢٢٠٠٠٠٠) ، كان في الحقيقة رد فعل مدروس ضد السياسة التي بدأت السلطات التركية في اتخاذها ضد شعبهم . وقد انعكس هذا الرد عملياً على المدارس والمعاهد نفسها :

ب - المدارس والمعاهد :

حتى مطلع القرن التاسع عشر ، كانت المدارس في تركيا محصورة في نطاق الكنائس والأديرة . وما لبث المخيتياريون أن أولوا هذه الناحية اهتمامهم ،

خصوصاً بعد انتشار المطابع ودور النشر والصحف ، وهكذا فانه :

- في عام ١٨٤٥ وجدت في استانبول ١٠ مدارس ، كما أوفد - وحتى عام ١٨٥١ - ٤٨ طالباً الى أوروبا للدراسة .

- ثم ارتفع هذا الرقم (للمدارس) عام ١٨٥٩ الى ٤٢ مدرسة تضم ٥٠٠ ٥ طالباً ، كما أحدثت ١٥ مكتبة عامة .

- وبحلول القرن العشرين (عام ١٩٠٠) ، أضحى لدى الأرمن ١١٠٠ مدرسة في تركيا تضم بين صفوفها ١٢٠ ٠٠٠ طالباً . كما تم افتتاح العديد من المعاهد والكليات .

جـ - النهضة الأدبية :

ومن البديهي أن يؤدي وجود هذا العدد الكبير من دور العلم والثقافة والمعاهد والصحف الى نشوء نهضة أدبية شاملة ، والى ظهور جيل أدبي لم تشهد أرمينيا خلال تاريخها حجماً بكثافته . وقد أخذ هؤلاء الأدباء ، بتأثير هذه النهضة الشاملة الى الكتابة في مختلف الفروع : في القصة (ميساكيان - أوسكان - روسينيان - هايريك - ماموريان - حكيميان - ترزيان - دزيرنيتس (د. شيسمانيان) - سيرواندسيان - بارونيان) .والترجمة (ديرويان - ماموريان - نوباريان - الاخوان داديان - أوتوجيان - زوريان - أوسكان ، وأكثر هؤلاء التراجمة هم من الأدباء الروائيين الواقعيين الذين مررنا بهم . . وجل اهتماماتهم انصبت على الأدب الفرنسي : هوغو - فولتير - روسو الخ . .) . والأدب الواقعي (ترزيان - بربريان - سيتيان - عجميان - ميناس جيراز - ثم أدباء الجيل الثاني : زوهراب - آربياريان - باشاليان - كامساراكان - كرجيان - أسادور - دير كارابيديان - هراجيا آراجيان) .

والأدباء الفنيون والثوريون، وجاؤوا على أثر الاضطهادات (زابيل أسادور- ليون شانت- زاراطاريان- أرتينيان- هاروتونيان- شرماكشيان- رافي «آكوب ملك آلوبيان : مانزيني أرمينيا»- أهارونيان- أوديان- «ساهاكيان» : وكتب عن أبي العلاء المعري

قصيدة اسمها مغادرة أبي العلاء المعري لبغداد» - زابيل يسابان .والشعراء : بشكطاشيان طوريان- كامار كاتيبا- بانوسيان- دومانيان- جوبانيان واهان تكه يان - سيامانطو « آدوم يارجانيان » - واروجان - سيفاك) . وأدت كتابات هذا العدد - غير المحدود- عبر الصحف والكتب والمدارس والكليات الى شد الشعب الأرمني ورص صفوفه وتوعيته ، مما أوجد لديه المناعة الكافية للاستمرار في الحياة ،والى أن يعمل في نفس الوقت من أجل الحياة نفسها،حتى انضم الأرمن الى الجمعيات السرية التي بدأ هؤلاء الأدباء وغيرهم من الأرمن الثوريين بتشكيلها للوقوف بوجه السياسة الطورانية للدولة العثمانية :

٢ - الجمعيات السرية : كان احداث هذه الجمعيات بمثابة رد الفعل الانعكاسي تجاه السياسة التركية . وهكذا بدأ الأرمن بالتجمع إذ وجدوا في وعود الدول الأوروبية مجرد أوهام في الهواء :

« لقد طبخت الحرية في برلين[1]،ولكننا لم نتمكن من أكلها بملعقة من الورق . . لا ترجوا يا أولادي أي أمل من الأجانب واعتمدوا على أنفسكم بأنفسكم . » .

خريميان هايريك

فكان هذا القول نذير الثورة وتشكل الجمعيات السرية بصورة عملية :

آ - في عام ١٨٨٠ تشكلت جمعية « أرضروم » .

ب - ثم بدأت أولى الجمعيات عملها في ولاية وان VAN ،حيث تشكلت عام ١٨٨٥ الجمعية السرية المسماة « الاتحاد الوطني » . .

جـ - وعلى أثر حوادث صاصون تشكلت « لجنة مسيروب » السرية ومن أهدافها ، إعطاء الحرية وتعميم المساواة بين جميع الأهالي دون فرق في الجنس أو اللغة ومن أبرز شخصياتها « معلوميان » .

---

١ - ويشير الى معاهدة برلين ١٨٧٨ - عن كتاب : تاريخ الأمة الأرمنية ك . ل . استارجيان .

د ـ وفي خارج تركيا تشكلت العديد من الجمعيات السرية الأرمنية التي أخذت تبعث رجالها الى داخل تركيا لتوحيد الأرمن وتوجيههم. ومن هذه الجمعيات « دوز : القوة » و« جمعية الوطنيين » في تفليس (في روسيا) ، وأخذ الشعراء « رافي ـ كاميكار وغيرهم » ، والروائيون « زوهراب ـ هايريك : « أبو الأرمن» »والصحفيون ،وبقية الأدباء بأفكارهم وكتاباتهم يفعلون فعل السحر في نفوس الأرمن، مما هيأ الظروف الفعلية لنشوء الأحزاب السياسية وظهورها.

٣ ـ الأحزاب السياسية : جاءت الشرارة الأولى من روسيا في البدء حيث تشكل فيها حزب أرمينيا الفتاة الذي أخذ على عاتقه مهمة إثارة حركة المقاومة الأرمنية المنظمة ضد الأتراك ، في الولايات الأرمنية من الامبراطورية العثمانية . . وما مرت شهور قليلة حتى بدأت فروع الأحزاب السياسية عملها ضمن الأراضي التركية نفسها . . وجاء تشكل هذه الأحزاب في الواقع نتيجة تضافر العوامل التالية :

١ ـ انتشار الوعي القومي بين صفوف الأرمن نتيجة النهضة الشاملة التي عرفوها .

٢ ـ تفاقم الاضطهاد والظلم بصورة مضطردة .

٣ ـ حصول بعض شعوب البلقان (بلغاريا ـ اليونان الخ . .) على استقلالها .

٤ ـ شعور الأرمن بالحاجة الى عمل من نوع ما لتلافي الاضطهاد والحصول بالتالي على نوع من الاستقلال الذاتي :

آ ـ حزب ارمينياكان ARMENAGAN : أسسه برتقاليان عام ١٨٨٥ ، وانفرط عقده بعد عام أي سنة ١٨٨٦ بعد أن قام بحركة عصيان واسعة في تركيا . وقد استخدم الأتراك أشد القسوة في قمع هذه الحركة حيث قتل العشرات من الأرمن .

ب ـ حزب الهنجاك : تأسس في جنيف خلال الأعوام ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨ بهدف تحرير ارمينيا الخاضعة لحكم الأتراك وإقامة دولة مستقلة . وكان من أبرز

مؤسسيه همبارسوم بوياجيان ومهران دامديان . وقد استطاع هذا الحزب القيام بعديد من الأعمال المهمة كتنظيم المظاهرات السلمية في استانبول سنة ١٨٩٠ من أجل طلب الإصلاحات في المقاطعات الأرمنية . . كما تولى قيادة حركة العصيان في منطقة زيتون ZEITUN عام ١٨٩٦ ضد السلطات التركية ، ولفت عمله ـ الذي تم بنجاح ـ انتباه الدول الأوروبية الى واقع الأرمن في تركيا .

ولم تلبث أوصال هذا الحزب إن تفككت وحصل فيه انشقاق مفاجيء . . إلا أنه استطاع البقاء حتى وقتنا الحاضر حيث تصدر عنه في بيروت جريدة «ارارات» ،كما لمكتبه السياسي دوائر إقليمية في أكثر دول العالم التي يوجد فيها الأرمن .

ج ـ حزب الطاشناق: تأسس هذا الحزب عام ١٨٩٠ ، وهو يغطي بنشاطه معظم المدن الأوروبية والأميركية ، ويضم في عضويته عدداً كبيراً من الصحفيين والأدباء.

وهو يشرف اليوم في وقتنا الحاضر، في لبنان ، على العديد من الجمعيات الخيرية والثقافية .

د ـ حزب الرامغافار (الجمهوري) RAMGAVAR : تأسس عام ١٩٠٨ في القاهرة . ومن مؤسسيه ناظاريان وبوزيكيان ، ويتمتع هذا الحزب بنفوذ معقول بسبب غناه . ويدير مؤسسات عديدة منها : الاتحاد الخيري الأرمني الخ . وقد طالب في البدء باستقلال أرمينيا ثم عاد وحصر همه في المحافظة على كيان الشعب الأرمني .

ـ اشتراك الأرمن في قتال الأتراك مع الحلفاء :

دخل الأرمن الحرب ولهم على الجبهة القفقاسية ما يقارب ٢٠٠ ٠٠٠ متطوع أرمني في الجيش الروسي قتل منهم عدد كبير .

وبعد انسحاب الجيوش الروسية من هذه الجبهة قاوموا وحدهم الالمان والأتراك والجيورجيين والأذربيجانيين . وكانت لهم مواقف مشرفة في باكو حيث منعوا الأتراك من احتلالها لأكثر من ٧ أشهر . أما في جبهة فلسطين فقد كان لهم ١٠٠٠٠ جندي نظامي يقاتلون مع الحلفاء.

وكانت النتيجة هي تلك التي حصل عليها العرب بالذات ؟

ب- ردود الفعل العربية تجاه موقف الدولة العثمانية ـ سياسة التتريك :

لئن كانت أسباب ردود الفعل الأرمنية تجاه الدولة العثمانية نابعة في الأصل من مطلب الاصلاح ثم التمرد على الاضطهاد ، فان أسباب ردود الفعل العربية جاءت نتيجة النهضة العربية نفسها مضافاً اليها ـ في وقت متأخر بالقياس الى تصرفات الدولة العثمانية ـ الاضطهاد العثماني وطلب الاصلاح نفسه .

وهكذا اتخذ العرب بدورهم ـ بدافع النهوض أولا ، ثم التخلص من الاستعمار التركي،وآثاره السلبية على الوطن العربي ثانياً ـ الخطوات نفسها التي أتبعها الأرمن ، أي :

١ ـ إحياء تراثهم الثقافي والحضاري عن طريق انشاء (المطابع والصحف والمدارس)، وما تبع ذلك من نهضة أدبية شاملة أثرت على العرب ككل .

٢ ـ إنشاء الجمعيات الثقافية،ثم السرية .

٣ ـ إنشاء الأحزاب السياسية .

٤ ـ إعلان الثورة العربية ضد الدولة العثمانية،والاشتراك مع الحلفاء في الحرب ضد الأتراك .

١ ـ إحياء التراث الحضاري الثقافي العربي ونشوء النهضة .

وأيضاً هنا تلزم مشاعر الارادة في البقاء والديمومة . وأيضاً يلزم وجود أرث حضاري مشترك يتحمل مسؤولية بعث الدم في العروق . وهو ما يتطلب بدوره اتخاذ الخطوات اللازمة لنشر التراث العربي .

آ ـ الاهتمام بالطباعة والصحافة : جاءت الحملة الافرنسية ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ معها

بأول مطبعة عربية . (ويقول العلامة العربي ساطع الحصري انه كان يوجد قبل هذه المطبعة اثنتان في كل من لبنان وحلب . وان الأولى كانت تطبع المناشير الادارية فقط . وإن هذه الرواية ـ أي حمل الافرنسيين لهذه المطبعة ـ هي قصة افرنسية لبيان فضل هذه الأخيرة على العرب . وعن هذه القصة نقل الكتاب المصريون دون دراسة، ثم لحق بهم الكتاب العرب) . ونحن نميل الى رأي الاستاذ الحصري، وإن كنا افتتحنا البحث بنسب هذه المطبعة الى الحملة الافرنسية لمنضفي توقيتا محدداً على الموضوع .

وما لبثت الدول العربية إن أخذت بجلب المطابع حتى تكاثر عددها الى حدود بعيدة . . حيث عرف الوطن العربي الصحف التالية :

١ ـ في عام ١٨٥٥ ظهرت جريدة الأحوال في الشام .
٢ ـ وفي عام ١٨٦٠ أحدثت « حديقة الأخبار » و« الحوادث » في استانبول .
٣ ـ وما جاء عام ١٨٨٦ حتى ظهرت جريدة « الاهرام » التي ما زالت قائمة حتى اليوم .
وكذلك المقتطف في القاهرة ثم لسان الحال .
٤ ـ ولحقت بهذه الصحف جريدة المقطم اللبنانية .
٥ ـ ثم الرأي العام[1] ١٩١٠ والمقتبس والغرباء وفتى العرب والشرق .
٦ ـ وازداد عدد الصحف العربية في سورية ولبنان حتى انتشرت الصحافة على نطاق واسع بين صفوف الرأي العام ولعبت دورها في تنبيه الشعب وإيقاظه خاصة وان عدداً كبيراً من المدارس قد بدأ بالظهور :

ب ـ المدارس والمعاهد : في عام ١٨٦٠ أحدثت الجامعة اليسوعية في بيروت ، ثم انقلبت الى الجامعة الأميركية المعروفة حالياً . وكان للعرب في كل أمصارهم مدارس تابعة لأفراد معنيين ، وما عتم أن لحق بها العديد من المدارس الخاصة ، ثم توسع التعليم فانتشرت المدارس الخاصة والعامة كالتجهيز في

١ ـ لصاحبها الاستاذ المرحوم طه المدور . .

دمشق وابن خلدون وعمر بن عبد العزيز وهنانو ، وفي لبنان اليسوعية ، ومدرسة عمر بيهم ، وفي مصر المدرسة الخديوية ثم الجامعة المصرية وتلتها جامعة دمشق ثم جامعة بغداد وبيروت التي ضمت كل منها في صفوفها آلاف الطلبة الذين أصبحوا حملة المشعل والنهضة .

جـ ـ النهضة الأدبية : لم يقل أثر الأدباء العرب في بعث النهضة العربية عن أثر الكتاب الافرنسيين في بعث الثورة الافرنسية ، وهكذا رأينا :

ـ ناصيف اليازجي : ١٨٠٠ ـ ١٨٧١ ينكب على دراسة المخطوطات في الأديرة، وينشر الشعر والمؤلفات عن تراث الآباء، ويؤلف الكتب في نحو اللغة العربية وقواعدها.

ـ ابراهيم اليازجي : وتعتبر قصائده أول صوت ارتفع بتمجيد الروح العربية ، والتغني بمآثر العرب ، والدعوة الى التسامح الديني ، وأصدر في مصر مجلتين : البيان وكذلك الضياء .

ـ بطرس البستاني : ١٨١٩ ـ ١٨٨٣ ترجم الكتاب المقدس الى العربية ، ونشر محيط المحيط ، ثم نشر دائرة معارف البستاني ، كما أصدر في سورية جريدة « نفير سورية » ، ومجلة « الجنان ».

ـ جمال الدين الأفغاني : ١٨٣٩ ـ ١٨٩٧ قاوم في كتاباته الاستعمار ، وتتلمذ على يديه الكثيرون من رجال النهضة العربية ، وقام برحلات الى أوروبا، كما دعا الى الجامعة الاسلامية، ويعتبر من كبار المصلحين .

ـ الشيخ محمد عبده : ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ تولى رئاسة « الوقائع المصرية » ، واشترك في الثورة العرابية، وأقام في سورية مدرسة، ثم لحق بالأفغاني الى باريس حيث أصدرا مجلة : « العروة الوثقى » . ألّف كثيراً من الكتب والمقالات السياسية ضد الاستعمار .

ـ عبد الرحمن الكواكبي : ١٨٤٩ ـ ١٩٠٢ صحفي وقانوني دعا الى تحرير المرأة

العربية ، وألّف كتابين كان لهما تأثير كبير على العرب . . « أم القرى »، و« طبائع الاستبداد » دعا فيهما الى نهضة العرب،ونبذ الخلافات الطائفية، والتخلص من الاستعمار .

- مصطفى كامل : ١٨٧٤ - ١٩٠٨ . درس الحقوق في فرنسا ، واتصل برجال السياسة والأدب ، وأنشأ جريدة اللواء عام ١٩٠٠ ، ثم أصدر بعد حوادث دنشواي في مصر صحيفتين إحداهما بالعربية والثانية بالانكليزية .

- قاسم أمين : دعا الى تحرير المرأة والنهوض بها . وهناك عشرات الكتاب الذين نهضت على أكتافهم الحركة القومية والدعوة للتخلص من ربقة الاستعمار كسليم البخاري والشيخ طاهر الجزائري وغيرهم .

٢ - الجمعيات الثقافية - السياسية :

رافق حركة النهضة العربية،حركة تأسيس الحلقات والجمعيات الأدبية التي قاومت حركة الاتحاديين وسياسة التتريك،ودحضت أقوالهم وآراءهم . ومن هذه الجمعيات :

١ - جمعية الفنون والعلوم : ظهرت في بيروت عام ١٨٤٧،من أعضائها البستاني واليازجي.

٢ - الجمعية العلمية السورية : ظهرت عام ١٨٥٧ . من أعضائها أولاد البستاني وأبناء مختلف الطوائف . وكان تأسيسها « أول ظاهرة من ظواهر الوعي القومي المشترك ».

٣ - الجمعية السرية : وزعت في بيروت عام ١٨٨٠ ثلاث نشرات سرية تتضمن أول برنامج عمل سياسي من أجل :

آ - منح سورية ولبنان متحدتين استقلالهما (وسنرى ان هذه الأهداف هي نفسها التي عمل من أجلها المتصرفان الأرمنيان داوود باشا وقيومجيان باشا

اللذان تعاقبا على حكم لبنان منذ عام ١٨٦٠، وذلك في فصل قادم).

ب ـ الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية .

جـ ـ التخفيف من سيف الجاسوسية الذي سلطه عبد الحميد على الأفكار والآراء.

د ـ عدم استخدام الجنود العرب إلا ضمن حدود بلادهم[1] .

٤ ـ رابطة الوطن العربي : تأسست في باريس عام ١٩٠٤ للعمل على تحرير سورية ولبنان وفلسطين والأردن والعراق من سيطرة الأتراك[2] ، كما أصدرت مجلة باللغة الافرنسية باسم « الاستقلال العربي ».

٥ ـ الجمعية القحطانية : وهي جمعية سرية أيضاً تأسست في استانبول نفسها عام ١٩٠١،ودعت الى الاستقلال الذاتي « للدول العربية »[3].

٦ ـ جمعية العربية الفتاة : جمعية سرية تأسست في باريس عام ١٩١١ وجعلت أهدافها :

آ ـ استقلال الدول العربية وتحريرها من الحكم التركي.

ب ـ الدعوة الى نهضة العرب.

وقد وجهت هذه الجمعية الدعوة الى عقد اجتماع عام في باريس لدراسة التدابير الواجب اتخاذها في الوطن العربي من أجل إصلاح أموره . . والتأم عقد الاجتماع (الذي حضرته أكثر الجمعيات العربية السرية في سوريا ومصر ولبنان الخ . .) في القاعة الجغرافية في باريس بتاريخ ١٨ حزيران ١٩١٣ برئاسة عبد الحميد الزهراوي و٢٤ مندوباً رسمياً عن الجمعيات المذكورة بالاضافة الى ٢٠٠ مستمع واستمر انعقاده ستة أيام عقد فيها ٤ جلسات رسمية ثم اتخذت القرارات التالية :

---

١ ـ التاريخ الحديث : شاكر مصطفى ، فيصل شيخ الأرض ، أنور الرفاعي طبعة ١٩٥٤ .

٢ ـ المصدر السابق.

٣ ـ المرجع نفسه.

١ ـ المطالبة باجراء الاصلاحات في البلاد العربية[1]
٢ ـ حصر الخدمة العسكرية للعرب ضمن الحدود العربية
٣ ـ اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الدولة .

وفي الواقع تلتقي هذه المطالب مع رغبات الأرمن تماماً . . حيث كانوا ـ كما بينا ـ يطالبون على الأخص بتنفيذ البندين ٢ و٣ (وفيها يخصهم بالطبع).

وفي هذا الوقت،انشأ الأتراك جمعية « ترك اوجانجي »،أي « العائلة التركية » ، مركزها استانبول ولها فروع في مختلف دول الامبراطورية، غايتها الرئيسية العناية بالآداب التركية وتطهيرها من الكلمات العربية،وكذلك تتريك العناصر « الأجنبية » ، من عرب وأرمن وأرناؤوط الخ . . واستبدل أعضاء هذه الجمعية أسماءهم العربية بأخرى تركية قديمة . ومن أقوال زعمائهم . . « ان البلاد العربية يجب تحويلها الى مستعمرات تركية »[2] .

٣ ـ الأحزاب السياسية : انقلبت أكثر هذه الجمعيات الى أحزاب وطنية سياسية .

٤ ـ اشتراك العرب في قتال الأتراك من أجل الاستقلال :

تظاهر الاتحاديون قبل نشوب الحرب بالتساهل مع العرب . وقد أدركوا حجم ما يمثله هؤلاء من ثقل بالنسبة للحرب القادمة . فعينوا أحد كبار الضباط العرب حاكماً على الجيوش المرابطة في سورية ، وقلّدوا السوريين والعراقيين ـ عدداً من زعمائهم ـ مناصب عالية ، وأعلنوا انهم « سوف يعملون مع العرب يداً واحدة للدفاع عن كيان الدولة المشترك » . وتم هذا الاعلان بالفعل بتاريخ ٦ أيار ١٩١٥، عندما نصبت المشانق في دمشق وبيروت حيث أعدم الأتراك ٢١ من رجالات العرب وقادتهم بتهمة الانتماء الى جمعيات سرية والاتصال بالدول الأجنبية ودعوتها لانقاذ البلاد من الحكم العثماني[3] .

---

١ - التاريخ الحديث : طبعة ١٩٥٤.
٢ - التاريخ الحديث : طبعة ١٩٥٤
٣ ـ المرجع السابق.

وتحت تأثير هذه الأعمال والاضطهاد العثماني المتزايد ، وباتصالات العرب مع الانكليز ، مراسلات الحسين[1] ، مكماهون[2] ، تم إعلان الثورة العربية ببرقية مشهورة « أرسلوا الفرس الشقراء » . . ثم نشر الحسين منشوراً يشرح فيه أسباب الثورة .

وما لبث الجيش العربي أن تقدم شمالاً بقيادة فيصل ، فنسف سكة حديد الحجاز ، ثم تحرك حتى العقبة . وقد أضرّت حركة فيصل بالأتراك تماماً وأفادت العرب والحلفاء بسبب اضعافها لمعنويات الجيش العثماني المتواجد في البلاد العربية حيث اضطر جمال باشا الى التخفيف من بطشه في سورية . كما ساعدت في الوقت نفسه حملة الجنرال اللنبي[3] على احتلال جنوبي فلسطين، حيث أصبح بالامكان نقل ميدان الأعمال الحربية الى سورية .

وهكذا زحف جيش اللنبي نحو فلسطين ، في حين توجه فيصل بجيوشه الى سوريا، حيث حشد الأتراك ثلاث جيوش لصد الزحف العربي ـ البريطاني (المرجع السابق) . وما لبثت مدن سورية أن سقطت الواحدة تلو الأخرى الى أن وصلت الى دمشق حيث تم تشكيل حكومة مؤقتة .

وفجأة ظهرت نوايا الحلفاء تجاه العرب عبر معاهدة سايكس بيكو (التي هي التسمية الثانية للقسم الثاني من المعاهدة السرية الثلاثية : الروسية القيصرية ، والافرنسية، والانكليزية التي عقدتها هذه الدول عام ١٩١٦، والتي شرحناها وحللناها سابقاً) . وبموجب هذه المعاهدة (وخاصة سايكس بيكو فيما يتعلق بالعرب) ، قسمت بلاد الشام والعراق الى ٥ مناطق : ثلاث منها ساحلية واثنتان داخليتان . وقد لونت المناطق الساحلية ـ في الخريطة الملحقة بالمعاهدة السرية ـ باللون الأحمر والأزرق والرمادي . ولذلك عرفت باسم المناطق الحمراء والزرقاء والرمادية . أما

---

١ ـ الحسين : هو شريف مكة .

٢ ـ راجع TOYNBEE, SURVEY OF INTERNATIONAL AFFAIRS, 1952 - Volum I

٣ ـ التاريخ الحديث : شاكر مصطفى ـ أنور الرفاعي ـ فيصل شيخ الأرض .

المنطقتان الداخليتان فقد تركتا بلا لون وعرفتا باسم المنطقة « آ » والمنطقة « ب ». وشملت المنطقة الزرقاء البلاد الساحلية التي تمتد من الناقورة الى الاسكندرونه وتركت لفرنسا . وشملت المنطقة الحمراء بغداد والبصرة وتركت لانكلترا . وانحصرت المنطقة السمراء في فلسطين .

وفلسطين هذه تلقت هدية الحلفاء بوعد « بلفور » الذي أصبح الأساس في القضية الفلسطينية والشعب العربي بأسره .

* * *

الفصل الرابع

الأرمن مواطنون عرب في لبنان
هجرة الأرمن إلى لبنان عبر التاريخ

وصل ملك أرمينيا ديكران الثاني في فتوحاته (٩٤ ـ ٥٥ قبل الميلاد) إلى فينيقية نفسها[١] . وفينيقية هي الاسم القديم للدولة اللبنانية في الوقت الحاضر . كما ان المؤرخ الأشهر سترابون . STRABON XI. 14,6 [٢] ، ينبئنا أن القائد المعروف هانيبعل « ابن قرطاجنة العظيمة » . قد أوصى لملوك اسيا الصغرى وأرمينيا بمواقع لبناء عواصمهم ،

ومن ذلك أن هانيبعل HANNIBAL، هو الذي اختار مركز مدينة أرتاكساتا ARTAXATA الأرمنية، وأن ملك أرمينيا ارتكسياس (ارداشيس) ARTAXIAS قد سر لهذا الاختيار، وأمر ببناء العاصمة الأرمنية ارتاكساتا في نفس الموقع. وقد أيدالمؤرخ المعروف بلوتارك PLUTARCH هذه الواقعة. وهكذا نجد أن العلاقات الأرمنية ـ العربية (اللبنانية)، موغلة في القدم وتحمل علامات حضارية مميزة.

ومن البديهي أن يترسخ هذا التعاون عن طريق التواتر في نفوس الأرمن واللبنانيين ولو بشكل غير مباشر، حتى أدى الى تفاعل بين الشعبين عبر هجرات الأرمن الى لبنان.

---

١ ـ عام ٨٣ قبل الميلاد.

٢ ـ راجع كركوبينو.

ومن ذلك حسب ما يروي الدكتور جميل جبر[1] « إن وصول نفوذ ديكران الثاني الى الساحل الفينيقي قد أنشأ تفاعلاً حضارياً بين الأرمن واللبنانيين القدماء ، وانه منذ هذا التاريخ بدأ الأرمن يؤمون لبنان ، ومنهم من استقر فيه واندمج مع شعبه ، ثم سار على خطاهم الكثيرون في العهود الميلادية الأولى ، فتوطنوا لبنان وصاروا من أبنائه الأوفياء ، وتدل على هذا الأسماء الأرمنية المحرفة من عائلات عديدة » .

أما الدكتور سيساك فرجابيديان[2] VARJABEDIAN (فيقسم الهجرة الأرمنية الى لبنان الى أربعة فترات، امتدت الأولى من العهود القديمة (ويقصد بالطبع عهد ديكران الكبير) وحتى عام ١٧٠٠م عندما جاءت فئة من الرهبان الأرمن الكاثوليك وأقاموا في لبنان ، أما الهجرة الثانية فتمتد من عام ١٧٠٠ وحتى عام ١٨٩٥ حيث جرت المذابح الحميدية وهربت عائلات أرمنية كثيرة وسكنت لبنان . (وبالنسبة للفترات الأخرى فهي معروفة وسنعالجها بعد قليل) .

ويتحدث المؤرخ اللبناني الدكتور يوسف يزبك[3] عن هجرة الأرمن الى لبنان فيقول « ان المؤرخ الفرنسي رينيه غروسييه، والمؤرخ المعروف تغري بردي (المصري الجنسية)، يؤكدان ان العلاقات بين الأرمن واللبنانيين قد بدأت في منتصف القرن الثالث عشر على أثر غزوة التتار، ثم المماليك، على بلاد كيليكيا، وتدميرها، وجلب الألوف من أبنائها أسرى فرقوهم على البلاد الشامية» .

ويؤكد الدكتور فرجابيديان هذه الواقعة ويفصل بشأنها حينما يقول : « وفي عام ١٢٦٦ عندما غزا المماليك كيليكيا، أمروا بترحيل ١٠٠٠٠ أرمني كسجناء الى مصر بطريق الساحل الممتد عبر أنطاكية وبيروت وحيفا، فتمكن عدد كبير من السجناء من الهرب واللجوء الى الجبال المحيطة ببلدة زغرتا وأهدن مما يفسر بقاء

١ـ من مقال له نشر في مجلة المدينة العدد ١٤ عام ١٩٧٤.

٢ ـ نفس المرجع السابق.

٣ـ المرجع السابق.

بعض العائـلات الأرمنية ذات الأسماء الأرمنية كآل سركيس وآل كركور وآل كركماز[1]».

ويتابع الدكتور فرجابيديان حديثه عن هجرة الأرمن الى لبنان فيقول « وبدأ الأرمن بالاستقرار فعلاً في الأراضي اللبنانية بعد عام ١٨٢٠ فشهدت تلك السنة ثلاث أساقفة من الأرمن هم الأسقف هاغوب أريكيان والأسقف فارتابيت بولوتزي والأسـقف ديونيسيس غرابـديان الـذين ـ بعـد استقالتهـم ـ استقـروا في طرابلس وبيروت وتزوجوا من لبنانيات فأخذ أولادهم اللغة العربية عن أمهاتهم وأصبحوا من الأدباء البارزين ».

وفي القرن السادس الميلادي ـ حسبما يشير الدكتـور يوسف يزبـك (تنظـر الحاشية رقم ٣)، فان المؤرخ زكريا الغزاوي كتب كتاباً عن البطريرك سيفيروس (بطريك انطاكية) قال فيه : « إنه وسيفيروس المذكور قد درسا علم الحقوق في مدرسة ببيروت ومعهما طالب أرمني اسمه ميناس ».

وقد تأكدت متانة العلاقات الأرمنية ـ اللبنانية عندما عرف تاريخ لبنان المعاصر اثنين من المتصرفين الأرمن كانا من أكثر الولاة حماساً وغيرة على لبنـان وأبنائـه هما داوود باشا وأوهانيس قيوجيان باشا[3]. إذ عمل الأول على تحقيق العدالة بين جميع الطوائف اللبنانية دون تمييز ، كما جاهر بطلب استقلال لبنان . وقد انصب اهتمام هذا الوالي على الطائفة الدرزية فأنشـأ لهـا مدرستهـا المعروفـة باسمـه « المدرسـة الداوودية » . وما لبثت الدسائس أن حيكت من حوله حتى اضطر الى الاستقالة .

أما المتصرف الثاني أوهانيس قيوجيان فلم يكن أقل إحساساً بواجبـه تجـاه مواطنيه اللبنانيين من سابقه فاضطر بدوره الى الاستقالة .

وأما الهجرة الفعلية ـ برأينا ـ الى لبنان ، فقد بدأت خلال عامي ١٨٩٥ ـ

---

١ ـ يرجى الرجوع إلى الحاشية رقم « ١ » الصفحة السابقة ـ الدكتور جبر .

٢ ـ ٣ فؤاد افرام البستاني ـ مجلة المدينة العدد ١٤ نيسان ١٩٧٤

١٨٩٦ حيث عمد المئات من الأرمن الى الهرب من تركيا الى مختلف دول العالم ومنها الى لبنان . وما لبثت هذه الهجرة أن تضاعفت عام ١٩٠٩ عبر الساحل السوري الى لبنان .

وقد بدأت الهجرة الأرمنية الكبرى الى سورية أولاً ومنها الى لبنان ، أو مباشرة الى هذا البلد الأخير من تركيا عن طريق البحر والدول الأخرى خلال الحرب العالمية الأولى وعقيب المجازر الأرمنية التي بدأت منذ مطلع عام ١٩١٥ حين هاجر الآلاف منهم (٢٥٠,٠٠٠) الى لبنان وسكنوه .

وجاءت هجرة جديدة للأرمن الى لبنان عام ١٩٣٩ حينما هاجر ١٠٠٠٠ أرمني الى بلدة عنجر اللبنانية بمساعدة عصبة الأمم.

الكثافة وتوزع الأرمن في لبنان :

في البدء، وقبل الهجرة الأرمنية الكبرى خلال أعوام ١٩١٥ - ١٩٢٣ ، توزع الأرمن في قرى لبنان الشمالي ، ثم انتقل الكثيرون منهم مع مرور الأيام الى بيروت وطرابلس وكسروان . وفي قضاء زغرتا لا تزال قرية « بيت بابع » تدل بوضوح ـ بسبب كثافتها السكانية الغاصة بالأرمن ـ على سكن هؤلاء لهذه المنطقة.

وفي عام ١٩١٨ ، وعقيب توقيع معاهدة الهدنة ، تشكلت في لبنان لجنة أرمنية حملت اسم « الاتحاد الوطني الأرمني» ، ضمت مختلف الطوائف والأحزاب الأرمنية (الكاثوليك ـ البروتستانت ـ الأرثذوكس ـ وأحزاب الطاشناق والهنشاق)أخذت على عاتقها تسهيل انتقال اللاجئين الأرمن (في فلسطين وسوريا ومصر) الى لبنان ، واستقبال وفود اللاجئين المتعاقبة ، وتأمين أماكن الاقامة لهم ، سواء ضمن المخيمات المقامة لهذا الغرض، أو في بعض مباني بيروت ومساكنها، مع الاهتمام بشكل خاص بتوفير العناية والغذاء لهم[1].

وهكذا فان مخيمات بيروت وحدها في عام ١٩١٩ تمكنت من استيعاب ٥٠ ـ

٢ ـ الأرمن في لبنان ـ مجلة المدينة.

٦٥ الف أرمني .

وفي عام ١٩٢٢ رفض المفوض السامي الفرنسي الجنرال « غورو » السماح للأرمن بالتوجه إلى كيليكيا، التي احتلتها الجيوش الافرنسية ، وأصر على بقاء، البقية الباقية من الأرمن في تركيا[1] إلا أنه مالبث أن وافق ، وبعد إلحاح على السماح للأرمن بالتوجه الى سوريا ولبنان حيث وصلوا باعداد كثيفة وبحالة مؤسفة من التعب والبؤس . وقد دخل هؤلاء الى لبنان عن طريق مرفأ بيروت حيث بقي منهم ٥٣ ألفاً فيها على امتداد سكة حديد بيروت - طرابلس بينما توزع ١٢ ألفاً في الجبال[2] .

وفي خريف عام ١٩٢٥ أقيمت لهؤلاء اللاجئين المخيمات المعروفة باسم « أرمينيا الصغرى » والتي اتخذت الأسماء التالية : مراش الجديدة، و« ادنة الجديدة ». وما عتمت لجنة الاتحاد الوطني الأرمني، أن تمكنت من الحصول على أرض واسعة شرقي محطة الترام (شركة كهرباء لبنان حالياً)،حيث قطن الأرمن في هذه المخيمات لسنوات . وشاء القدر العاثر أن يشب الحريق في مخيم« نجيب تيان »، (وهو صاحب الأرض التي شيدت فوقها هذه المخيمات)،فتشرد ٦٠٠٠ أرمني من جديد . فكان أن عملت لجنة الاتحاد الوطني (التي أسمت نفسها الآن « لجنة مساعدة منكوبي الحريق ») على تأمين التبرعات اللازمة لاعادة إسكان هؤلاء المنكوبين .

ومع مرور الزمن أخذ الأرمن بالتوزع والانتشار في مختلف أرجاء لبنان ، وهم يعيشون اليوم بكثافة في مدينة بيروت نفسها وبين سكانها العرب ولهم فيها حي خاص، الدورة، وفي ضواحيها، برج حمود الذي يبلغ عدد سكانه من الأرمن وحدهم أكثر من ١٥٠،٠٠٠ نسمة. وأهم احياء برج حمود(الذي يمكن اعتباره بمثابة مدينة

---

١ - أوضحنا في فصل سابق من هذا الكتاب وجود معاهدة سرية بين فرنسا وتركيا . وهو ما يفسر هذا الرفض. (الصفحة).

٢ - المرجع السابق.

متوسطة الحجم)، كل من مرعش ، وجادة صادر ، وسيس (على اسم عاصمة كيليكيا)، والبضة ،وسجق الخ. وأهم شوارع برج حمود هو شارع الجسر الرئيسي ، وشارع أراكس (اسم نهر ARAX في أرمينيا) ومتفرعاته ، وشارع طرابلس ، وشارع رمسيس ، وشارع عساف الخوري ، بالاضافة الى خط الأوتوستراد . وتتمركز في برج حمود مناطق صناعية هامة . كما أن الأرمن موزعون بين مدن لبنان وقراه ،كانطلياس وعنجر والبقاع وطرابلس وزلقا.

هذا ويبلغ عدد أرمن لبنان اليوم ۲۰۰۰۰۰ نسمة أو أكثر قليلاً يشكلون عشر سكان البلاد الأصليين تقريباً . ونورد فيما يلي جدولاً يبين توزعهم في القطر اللبناني حسب إحصاءات ۱۹۲۵[1] حيث بلغ عددهم وقتها ۳۳۸۷۰ نسمة :

بيروت ۲۸۰۰۰ / انطلياس ۳۰۰ / جونيه ٦٠٠ / غزير ۷۰ / جبيل ۷۰ / البترون ٥٠ / طرابلس ۱۲۰۰ / زغرتا ۱۲۰ / صيدا ۷۰۰ / صور وضواحيها ۱۰۰ / بكفيا ۱٥۰ / زحلة ۱٥۰۰ / رياق ۹۰ / عاليه وسوق الغرب ۳۰۰.

ولا شك أن هذا التوزع قد تبدل اليوم سواء لجهة ازدياد عدد الأرمن في هذه الأقضية والمدن بأكثر من عشرة أضعاف وأكثر ،أو لجهة كثافتهم في كل منها زيادة أو نقصاناً ،بحدود النسبة السابقة .

توزع الأرمن من النواحي المهنية:

منذ وجودهم في تركيا،واستانبول،بصورة خاصة ، برز الأرمن في مختلف الميادين التجارية والصناعية والفنية . كما اشتهرت منهم عائلات عديدة (باليان - بزجيان BEZDJIAN - داديان DADIAN الخ. .) سيطرت على الأسواق المالية وحتى السياسية .

وفي لبنان لا يختلف الأمر كثيراً، إذ يشمل نشاط الأرمن اللبنانين ويغطي، مختلف الفعاليات الاقتصادية،من صناعة وتجارة وتجارة ترانزيت وحرفيين . كما أنهم،

۱ - المرجع السابق.

واعتبارا من الستينات ـ بشكل خاص ـ انصرفوا وباعـداد كبـيرة نسـبياً الى المهـن الأخرى غير التجارية ، كالطب والهندسة والمحاماة . وهم قليلاً ما يهتمون بالزراعة (عنجر ـ انطلياس وبعض القرى اللبنانية الأخرى) ، كما انهم يعزفون عن العمل الوظيفي بشكل عام، وهو ما نلاحظه عنهم في كل دول العالم التي يتواجدون فيها .

الصناعة :

اتجه نشاط الأرمن المهني في لبنان ومنذ وصولهم اليه الى العمـل على كسـب القوت دون تمييز في نوع هذا العمل ، وإن كان الغالب على المهن التي انخرطوا فيها ـ في ذلك الوقت ـ تلك التي تحتاج الى مهارات يدوية وخبـرة معينـة (كتصـليح الآليات، والمحركات، والساعات، والخياطة الخ . .) . . إلا أنهم ما لبثوا أن انتقلوا ـ بحكم توفر الرأسمال الصناعي لدى بعضهم ـ الى نشاطات صناعية أعم وأوسع ، كإنشاء المعامل والدباغات وورشات التصليح الكبيرة والصياغة الخ . .

١ ـ صناعة الدباغة : في لبنان ١٠ معامل للدباغة يملكها أرمن لبنانيون . وبعضهم يقوم في الوقت نفسه باستيراد الجلود من الدول العربية وتصديرها الى أوروبا . كما أن إنتاج أكثر هذه المعامل يصدر الى خارج لبنان . وتتمركز معامل الدباغة بشكل خاص في المنطقة الصناعية ـ كورنيش النهر والدورة وبرج حمود.

٢ ـ صناعة الاسفنج الاصطناعي : قام أحد الاقتصاديين الأرمن[١] بانشاء معامل ضخمة على الأراضي اللبنانية لهذه الصناعة النشطة التي توسعت في السنوات الأخيرة ، ثم ازداد رقم أعمالها الى حدود بيانية عالية ، بحيث أخذت تصدر معظم إنتاجها الى دول الخليج ، وباقي الدول العربية . وفي لبنان اليوم أكثر من معمل لهذه الصناعة يملكها أرمن في المكلس وبرج حمود .

٣ ـ صناعـة الأدوات المنـزلية : وتشمـل هذه معامـل وصـلات حديد صب[٢] ،

---

١ ـ هو السيد آرا يروانيان .

٢ ـ انشأ هذا المعمل السيد أوهانيس قصارجيان .

وصناعة منجور الألمنيوم ، وصناعة الليف الفولاذي ، والحدادة ، وصناعة الأدوات المنزلية من أبواب ونوافذ . وقد أخذت هذه الصناعات في البدء شكل شركات محدودة المسؤولية ، وما زال بعضها على هذه الصورة ، في حين تطور بعضها الآخر الى شركات لبنانية مساهمة برأسمال ضخم. وتتركز هذه المعامل في الشياح قرب بيروت ، وفي المرداشة على طريق وادي الشحرور . وقد بدأت بتصدير إنتاجها الى دول الشرق الأوسط .

٤ ـ صناعة الصياغة : برع الأرمن منذ القديم ـ واستفادوا في ذلك من فن الأورارتيين ـ في فن الصياغة ، حتى أن الأتراك كانوا يعتمدون عليهم كلياً في هذه الصناعة الفنية (إن صح التعبير) . وما زال الأرمن حتى اليوم من المبرزين في مجال الصياغة في لبنان حيث يمثل تجارهم ٣٠ بالمئة من مجموع تجار هذه الصناعة، كما أن العمال يشكلون ٧٥ بالمئة من كامل عمال هذه الحرفة[١] في هذا البلد. ويتوزعون في مختلف أحياء مدينة بيروت ومحافظات لبنان.

٥ ـ صناعة الميكانيك : وتعتمد هذه الصناعة في لبنان بشكل خاص على الأيدي الأرمنية ذات المهارة، وخاصة في صنع هياكل السيارات وتصليحها مع محركات السيارات والمضخات والجرارات. فضلاً عن أن بعضهم يملك ورشات عديدة لهذه الأغراض.

٦ ـ صناعات مختلفة : يمتد نشاط الأرمن الى صناعات أخرى كاصلاح وبيع الساعات والخياطة والنظارات الخ . .

التجارة :

عمد عدد من الأرمن في لبنان ، منذ مطلع الخمسينات ، الى تأسيس العديد من الشركات الصغيرة ، ومتوسطة الحجم ، التي تتعاطى تجارة الاستيراد والتصدير من والى لبنان ، والى الدول العربية والأجنبية ، حيث يؤمنون ، وخاصة لدول الخليج والكويت والسعودية ، حاجاتها من الصفقات التجارية على اختلافها ، من مواد غذائية ونسيجية وأدوات ميكانيكية وصناعية الخ . .

١ ـ قبل عام ١٩٧٥ .

وفي بيروت اليوم العديد من المحلات التجارية التي يملكها أرمن ، وتشكل بذاتها ، ومع مثيلاتها في المدن اللبنانية الأخرى ، مجّمعات تجارية ضخمة ، سيما ما كان منها في العاصمة : في الحمراء ورأس بيروت والروشه . كما ويساهم عدد لا بأس به من الأرمن في المصارف اللبنانية .

والى جانب ما تقدم نرى بعض الأرمن يملكون حوانيت صغيرة متعددة ذات نشاطات اقتصادية عالية المردود تتعاطى ببيع المواد الغذائية ـ وخاصة الأرمنية منها ـ كالبسطرمة والسجق الخ . . وكذلك المحلات التجارية لبيع الملبوسات الجاهزة والمكتبات ومحلات الأواني الفخارية وغيرها .

المحاماة :

إنصرف الأرمن في السنوات الأخيرة بحماس الى تعاطي المحاماة في لبنان حتى وجدنا نقابة المحامين اللبنانيين تضم بين أعضائها ١٤ محامياً أرمنياً يترافعون ـ بالطبع ـ أمام المحاكم اللبنانية بالعربية ، وأحياناً ، بالنسبة لقضايا تنازع القوانين مع البلدان الأجنبية ، باللغة الافرنسية وحتى الانكليزية ، مما يعني اتقانهم ، الى جانب لغتهم الأم ، لأكثر من ثلاث أو أربع لغات . ويغلب على أكثر هؤلاء المحامين كونهم في الوقت نفسه من رجال السياسة ، وزراء ونواب ، ومن أصحاب الفعاليات الاقتصادية ، شركات ومستشارين . وقد انضم مؤخراً الى سلك القضاء اللبناني أول قاض أرمني في تاريخ لبنان وذلك عام ١٩٧٤[1] .

الهندسة :

باعتبار أن هذا النوع من الأعمال الحرة يتطلب مهارات معينة فقد رأيناهم يبدعون في هذا المجال حقاً. والواقع أن أحد شوارع بيروت قد خططها

---

١ ـ هو السيد رهراب عواريان.

مهندس أرمني قبل نصف قرن . واليوم قام مهندس أرمني[1]آخر بتصميم بعض الجوامع (في العراق والكويت)، والكنائس والمصحات في لبنان، بالاضافة إلى تصميمه العديد من المدارس . . وله مؤلف بعنوان « علاقة الهندسة السورية والأرمنية من القرن الرابع حتى السابع » . وقد قال فيه رئيس لجنة المهندسين في فرنسا . .«هذه الميزات نابعة من قدرته المهنية ونابعة أيضاً من تراث أجداده المهندسين الأرمن الذين أعطوا بلادهم هندسة مميزة وأصيلة » .

وفي لبنان نجد بعض الحدائق العامة من تصميم مهندس أرمني[٣] ، مثل حديقة الكرنتينا وحديقة اليسوعية في الأشرفية ، وحديقة برج أبو حيدر (وكلها في بيروت) ، بالاضافة الى تصميمه وتنفيذه لمشاريع مهمة كتصميمات بطريركية الأرمن في انطلياس (١٩٦٣)، ومعهد هايكازان المعروف(١٩٦٠).

وثمة مهندس أرمني[٣]تخرج على يده أكثر من ١٦٠٠ مهندس من الجامعة الأميركية في بيروت حيث يعمل أستاذاً لهذه المادة فيها . ومن أهم المشاريع التي قام بها : مشروع أتوستراد فؤاد شهاب في شارع بشارة الخوري ، جسر المدخل الشرقي - المسلخ ، ومعظم الحدائق العامة في بيروت كحديقة السيوفي والمصطبة .

الطب :

يتجه الأرمن منذ سنوات دراستهم الابتدائية الى تعلم اللغات الأجنبية الحية كالانكليزية والافرنسية مما يوفر لهم الفرص الذهبية للانخراط في كليات الطب الوطنية في لبنان ، وفي الخارج (الولايات المتحدة - فرنسا) ، وبالتالي اتقان هذه المهنة الانسانية والابداع فيها . وأكثر ما يدفعهم الى ذلك اهتمامهم برعاية صحة أطفالهم وكذلك بالأيتام والعجزة وإنشاء المستوصفات والملاجيء اللازمة لهم والتي تتطلب وجود اختصاصيين .

---

١ - هو المهندس : باسكال بابوجيان .

٢ - هو المهندس كيفورك كراجرجيان .

٣ - هو المهندس حسروف يراميان

ويشترك بعض الأطباء الأرمن اللبنانيين مع المحامين في دخولهم معترك السياسة. كما ينفرد بعض هؤلاء الأطباء بأحداث مستشفيات خاصة مهمة يعمل فيها العديد من الاختصاصيين في مختلف فروع الطب البشري.

السياسة :

انخرط رجالات الأرمن في حلبة الحياة البرلمانية والسياسية في لبنان ، وكان ذلك في البدء في عهد المتصرفين الأرمنيين اللذين أشرنا إليهما. وقبل أن ينال لبنان استقلاله عرف المجلس النيابي عددا من النواب الأرمن (وهرام ليلكيان ١٩٣٤ - ١٩٣٧) وصلوا اليه نتيجة إخلاصهم في خدمة قضايا لبنان الوطنية وباعتبارهم مواطنين لبنانيين أولا وأخيراً ، لهم ما للبناني من الحقوق، وعليهم ما عليه من الالتزامات.

وإذا أردنا أن نعددهم فهم كالتالي (بعد الاستقلال) :

موسيس دركالوسيان (١٩١٣ - ١٩٤٧)، هراتشا شامليان (١٩٤٣ - ١٩٤٧)، ملكون هيرابيديان (١٩٤٧ - ١٩٧٣)، ديكران توسباط (١٩٦١ - ١٩٧١)، خاتشيك بابكيان وهو نائب منذ عام ١٩٥٧ ، سورين خان اميريان نائب منذ عام ١٩٦٠ كذلك ، اندريه طابوريان .

ومما هو جدير بالملاحظة، بالنسبة لتمثيل الأرمن العددي في المجلس النيابي اللبناني، هو ارتفاعه المطرد نتيجة :

١ - زيادة عدد السكان الأرمن في لبنان، وما يتبعه من ازدياد عدد مقاعدهم في المجلس .

٢ - مساواتهم مع اللبنانيين الآخرين وحسب طوائفهم، في التمثيل النيابي.

وتأكيداً على ما تقدم ، نجد عدد النواب الأرمن في المجلس النيابي لعام (١٩٧٤) ستة، في حين كان نائباً واحداً خلال أعوام ١٩٣٤ - ١٩٣٧ . ثم ارتفع تمثيلهم

في هذا المجلس الى نائبين بعد عامين ، ثم الى أربعة في الدورة النيابية ١٩٥٦ ـ ١٩٧٣ ، ثم الى ستة في دورة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤ .

وبعض النواب الأرمن يشغلون أيضاً مناصب وزارية الى جانب تمثيلهم في المجلس . وكما هو الأمر بالنسبة لغيرهم فان أكثر هؤلاء النواب الأرمن يتعاطون المحاماة والطب ، الى جانب هذا الوجه السياسي لنشاطاتهم .

الصحافة الأرمنية والأدباء الأرمن في لبنان:

لا غرو ان تنشط الصحافة الأرمنية في لبنان . فهم من أوائل من أنشأ الصحف في تركيا وروسيا من بين شعوب الشرق الأوسط . كما وانهم كانوا الدولة العاشرة بين دول العالم التي انشأت الصحف وذلك قبل الولايات المتحدة الأميركية نفسها . وأول جريدة أرمنية ظهرت في لبنان طبعت عام ١٧٩٤ . ومما هو جدير بالذكر أن اهتمامات الجرائد الأرمنية المحلية ينصب على الأبواب الاجتماعية التي تهم الأرمن وتتضمن زوايا ثقافية وتاريخية وعقائدية . ثم يلي ذلك الاخبار الخاصة بلبنان والوطن العربي حيث تتخذ هذه الصحف مواقف مؤيدة للقضايا العربية .

وعملياً نشأت الصحف الأرمنية في لبنان ، في العشرينات من هذا القرن ، منذ بدء تنظيم نشاطهم الثقافي والاجتماعي، وكانت أول هذه الجرائد قد طبعت تحت اسم «بونيك»[1] في عام ١٩٢٤ وأصدرها الدكتور ملكونيان، وفي عام ١٩٢٧ استبدلت بـ «أزتاك» التي أصدرها السيد هايك باليان ولا تزال قائمة حتى اليوم.

والفكرة العامة أن أغلبية هذه الصحف تتبع تنظيمات الأحزاب الأرمنية فحزب الطاشناق يصدر الجريدة المذكورة أعلاه (أزتاك) ، أما حزب الهنشاك فيصدر جريدة « آرارات » منذ عام ١٩٣٧ وصاحبها هو السيد كريكور هاجلنيان ، أما حزب « الرامغافار» فيصدر منذ عام ١٩٣٦ جريدة « زارتونك ». وفي لبنان

---

١ ـ الأرمن في لبنان.

جريدة أرمنية يومية مستقلة اسمها « ايك » يصدرها السيد ديكران توسباط (نائب بيروت عن دورات ١٩٦٠ - ١٩٧١) ، فضلاً عن المجلة الأسبوعية «سبورك» التي يصدرها السيد سيمون سيمونيان، وأيضاً المجلة النسائية « الفتاة الأرمنية» التي أصدرتها الأديبة سيزا . ويتراوح عدد صفحات هذه الجرائد بين ٤ - ٨. وتحاول الواحدة منها أن توفق بين الحياة اليومية، والقضايا العالمية، دون إهمال المواضيع المسلية من رياضة وثقافة وأدب وفن.

هذا وتعتبر الصحف الأرمنية « قوة ثقافية مؤثرة تلعب دوراً عميقاً في بلورة الشخصية الأرمنية لبنانياً وإنسانياً وذلك في خدمة وتطور هذا الوطن الحبيب (لبنان) »[١] .

ويأتي في طليعة الأدباء الأرمن اللبنانيين الأب اسحق كشيشيان اليسوعي الذي نال جائزة الشاعر اللبناني سعيد عقل « على مباشرته نقل التراث الروحي الأرمني الى اللغة الأفرنسية» والمسمى «يسوع الابن الوحيد للأب» الذي كتبه القديس الأرمني نرسيس شنورهالي (وتعني شنورهالي بالأرمنية الشاعر خارق النبوغ) عام ١١٥٢ . ويعمل الأب كشيشيان مديراً لمدرسة القديس كريكور (المنور)،وهو مدرس الأدب الأرمني القديم في جامعة القديس يوسف ، وسبق له عمل مماثل ،هو نقله رائعة القديس الشاعر « كريكور دو ناريك » الى الافرنسية أيضاً .

والجدير بالذكر أن هذا العمل الأخير قد ترجمه الى العربية عن الافرنسية الأب جورج عقل « الصلاة الخامسة والعشرين ». (نجد نصه في فصل سابق من هذا الكتاب).)

ويحتل موشيغ ايشخان ، وهو أديب أرمني لبناني بارز ، مرتبة عالية بين الأدباء القوميين . وإخلاصاً لوطنه - لبنان - وضع الأديب موشيغ - الذي يسمى

---

١ - حسبما ورد حرفياً في المصدر السابق.

أيضاً أمير الأدباء الأرمن المعاصرين ـ مؤلفين أدبيين أسماهما « لبنان » و« بناء البيت اللبناني » يصف فيهما جمال لبنان وروعته .

وعملياً فاننا نستطيع تقسيم الأدباء الأرمن في لبنان(المصدر السابق) الى ثلاث أجيال :

١ ـ أدباء جيل المحنة : ومنهم الأديب موشيغ المذكور ، وكذلك الأديب المعروف في الأوساط السورية السيد سيمون سيمونيان ، والسيد فاهيه فاهيان،والسيد انترانيك زاروكيان (الذي يصدر مجلة NAIRI ناثيري الأسبوعية الاجتماعية) . وبالنسبة للسيد فاهيه فقد سبق له إصدار مجلة ANI آني . ولجميع أفراد هذا الرعيل الأول كتب معروفة ـ في الأوساط الأرمنية ـ تظهر من خلالها المعاناة التي لازمت أفراد هذه الأمة عبر نكباتها الأخيرة،وخاصة خلال الحرب العالمية الأولى .

٢ ـ أدباء الجيل الثاني : وهم أدباء ما بعد الحرب العالمية الثانية،ومنهم الشاعر الغزلي « كارنيك اطاريان » وله مؤلفات وطنية أيضاً . والكاتب الناثر « ادوار بوياصيان » . وثمة أديب أرمني هو « كيفارت » خص لبنان بكتاب شعر . وأيضاً الصحفي « بوغوص سينابيان »،والناقد الأدبي كريكور شاهينيان .

٣ ـ أدباء الجيل الثالث : أو أدباء « الدم الجديد » ونجد منهم الشاعر « خسروف اسوريان »،وكاتب الدراما « موسيس بيشاكجيان وسركيس كيراكوسيان » والأدبية «سيزا» التي فقدها الأرمن قبل سنوات، والسيدة شهنتوخت صاحبة « وشربنا مياه صنين » الذي ترجم الى العربية ومنحها عليه الشاعر اللبناني سعيد عقل جائزته الشهرية . وهناك الدكتور شافرش توريجيان الذي اهتم بالكتابات الحقوقية « حول المسألة الأرمنية » .

وإذا عدنا بتاريخ الأدباء الأرمن في لبنان قليلاً الى الوراء لوجدنا أن الدكتور فاردابيديان هو أحد مؤسسي الكلية السورية الانجيلية التي تحولت فيما بعد الى

الجامعة الأميركية في بيروت ، كما كان أيضاً من مؤسسي « الجمعية السورية» التي ضمت كبار الأدباء العرب اللبنانيين، « لنشر العلوم وتنشيط الفنون بين الناطقين بالضاد »[1] وذلك عام ١٩٤٧ . ومن هؤلاء أيضاً الأديبان الأرمنيان حنا ابكاريوس ويوسف باخوس ، وكذلك أديب إسحاق الذي اشترك في الثورة الوطنية المصرية ضد الانكليز .

وفي الواقع، فان الصحافة الأرمنيّة في لبنان لا تقتصر على العدد الذي ذكرنا بل ثمة صحف ومجلات أخرى، مثل مجلة « جاناسير » و« نور » و« صدى الأحداث » و« شيراك » و« خوسناك » وغيرها . . . وبالتحديد كان يوجد في لبنان عام ١٩٧٤ ، ١٢ صحيفة ومجلة أرمنية من أصل ٩١ مجلة وجريدة لبنانية . وهكذا تمثل الصحافة الأرمنية، من حيث العدد ١/ ٧ الشبكة الصحفية اللبنانية القائمة وقتذاك . وللأرمن في لبنان عدة دور للنشر والطباعة منها دار سيفان[2] ومطبعة هاماسكايين (العائدة للجمعية الثقافية الأرمنية) الخ . . .

المدارس والمعاهد :

إن المدارس الأرمنية القائمة في لبنان، هي ثمرة النشاطات التي تقوم بها الطوائف الدينية الثلاث المعروفة : الارثذوكسية والكاثوليكية والانجيلية ، وبالتعاون مع الجمعيات الأرمنية الثقافية والخيرية ، بالاضافة الى المدارس الخاصة التي أحدثت بمبادهات فردية .

آ - مدارس الطائفة الارثذوكسية: ويتبع هذه الطائفة تسعة عشر مدرسة (وهذه الاحصاءات وما يليها عن عام ١٩٧٤) منتشرة في مختلف محافظات لبنان وأقضيته . وتتوزع هذه المدارس الى ستة عشر مدرسة ابتدائية ، وثلاث مدارس ثانوية ، وواحدة إعدادية ، تضم جميعها ٥٨٠٦ طالباً وطالبة ،

---

١ - المؤرخ الدكتور يوسف يزبك : الأرمن في لبنان العدد ١٤ لعام ١٩٧٤.

٢ - وصاحبها الأديب سيمون سيمونيان .

وتخضع كلها لإشراف مطرانية الأرمن الارثذوكس حيث يتولى المطران نفسه ، وبمعاونة « اللجنة التربوية العليا » ، مهمة توجيه هذه المدارس وتنظيمها .

وتقوم « اللجنة المذكورة بدورها بمهمة الإشراف والسهر على التربية الاجتماعية والثقافية لطلاب وطالبات هذه المدارس ، كما تطبق المناهج الدراسية المقررة من قبل وزارة التربية اللبنانية، حيث يدرس فيها ، بالاضافة الى « هذا المنهاج الرسمي » ، مواد أخرى كالتاريخ والآداب واللغة الأرمنية . ويتقدم طلابها في الصفوف الاعدادية (البروفيه) ، والثانوية (البكالوريا) ، الى الامتحانات الرسمية كباقي الطلاب في المدارس اللبنانية الأخرى.

أما طلاب المدارس الابتدائية فيخضعون لامتحانات انتقالية تؤهلهم للوصول الى صفوف أعلى .

آ ـ المدارس الثانوية للطائفة الأرمنية الارثذوكسية :

١ ـ ثانوية سورين خان أميريان[1] : وكانت تسمى سابقاً مدرسة القديس نيشان ، وهي اليوم مدرسة ثانوية تضم جميع صفوف المراحل الدراسية : الابتدائية والاعدادية والثانوية . وهي كباقي المدارس الأرمنية والعربية ، تطبق المناهج المقررة رسمياً ، وتحضر طلابها للبكالوريا اللبنانية بقسميها العلمي والأدبي،ويقع مركزها بالقرب من المدخل الشرقي في بيروت .

٢ ـ ثانوية ليون صوفيا هاكوبيان[2] : وبدأت نشاطها الفعلي خلال العام الدراسي ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ ، كما تم افتتاحها رسمياً عام ١٩٦٤ . وتضم اثني عشر صفاً ، وقاعة مكتبة كبيرة ، وأخرى للمطالعة ، ومختبراً ، الى جانب قاعة كبيرة للاحتفالات ، وملاعب رياضية متنوعة . وهي كسابقاتها تطبق المناهج الرسمية وتقدم طلابها لامتحانات الشهادات

---

١ ـ على اسم المتبرع باحداثها.

٢ ـ وهو اسم السيدة التي تبرعت بانشائها.

الابتدائية ، الاعدادية ، والثانوية .

٣ ـ ثانوية تشاطلباشيان : وتضم بدورها الصفوف الابتدائية والاعدادية والثانوية .

ب ـ المدارس الابتدائية للطائفة الأرمنية الارثذوكسية : وهي موزعة كالتالي :

١ ـ في بيروت : مدارس ـ طوركوميان، روبنيان ، مسروبيان ، آراميان .

٢ ـ في سن الفيل : مدرسة ليلى قره كوزيان[1] .

٣ ـ في برج حمود : مدارس ـ ابكاريان ، اكسور قصارجيان ، اهراجيان ، كيليكيان ، نوباريان ، كاراسون مانكانس .

٤ ـ في الفنار : مدرسة مارديكيان .

٥ ـ في طرابلس : مدرسة بالكجيان .

٦ ـ في زحلة : مدرسة نورباريان .

٧ ـ في عاليه : مدرسة هراتش .

٨ ـ في انطلياس : مدرسة نوباريان خريميان .

ب ـ مدارس الطائفة الأرمنية الكاثوليكية : وتتبع هذه المدارس بطريركية الأرمن الكاثوليك وعدد مدارسها تسعة (مع ميتمين : ميتم راهبات الأرمن الكاثوليك للفتيات في بزمار ، وميتم الكردينال اغاجانيان للصبيان العجز في عنجر)، وهي موزعه في لبنان كالتالي :

١ ـ في بيروت (الحازمية) : مدرسة الآباء المخيتاريست وعدد طلابها /٤٧٦/ .

٢ ـ في برج حمود : مدرسة مسروبيان للأرمن الكاثوليك وعدد طلابها /٦٤٠/ . ومدرسة سانت اغنيس لراهبات الأرمن الكاثوليك وعدد طلابها ٦٢١.

---

١ ـ على اسم السيدة المتبرعة بنفقات تأسيسها.

٣ ـ في زحلة : مدرسة راهبات الأرمن الكاثوليك وعدد طلابها / ٢١٤/ .
٤ ـ في عنجر : مدرسة راهبات الأرمن الكاثوليك وعدد طلابها / ١٢٧/ .

٥ ـ في بزمار : المدرسة الكيريكية للأرمن الكاثوليك (لمؤسسة بزمار البطريركية)،وعدد طلابها / ٣٧/ .
٦ ـ في جونيه : مدرسة يانتس لراهبات الأرمن الكاثوليك وعدد طلابها / ٧٠٥/ .
٧ ـ في الجعيتاوي : مدرسة سانت سوزان لراهبات الأرمن الكاثوليك وعدد طلابها / ٢٩٠/ .
٨ ـ في الدكوانه : مدرسة سيدة بزمار وعدد طلابها ٢٦٢ [1] . .

وبذلك يكون مجموع طلاب مدارس الطائفة الأرمنية الكاثوليكية ٢٨١٦طالباً، وجميع هذه المدارس تطبق أيضاً المنهاج المقرر من قبل وزارة التربية اللبنانية ، الى جانب قيامها بتدريس الأدب واللغة والتاريخ الأرمني .

جـ ـ مدارس الطائفة الانجيلية الأرمنية :

١ ـ المدرسة الأرمنية الانجيلية العالية التي تأسست عام ١٩٢٢ كمدرسة ابتدائية،وأصبحت بعد ذلك تضم صفوف الحضانة والبكالوريا ، وتقع حالياً في شارع المكسيك،وتضم / ٧٩٣/ طالباً وطالبة ، وفيها / ٥٩/ مدرساً .

ويتبع هذه الطائفة أيضاً المدارس التالية :

٢ ـ المدرسة الأرمنية الانجيلية المركزية العالية : وتضم ٣٦٥ طالبة وطالباً يشرف عليهم ٣٢ أستاذاً،ومقرّها بيروت الأشرفية،وتأسست عام ١٩٣٢ .

٣ ـ المدرسة الثانوية الأرمنية الانجيلية (في مرعش):وتضم / ٤٦٤/ طالباً

---

١ ـ إحصاءات العام الدراسي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ .

وطالبة و٣٥ أستاذا ،تأسست عام ١٩٣٤ .

٤ ـ المدرسة الثانوية الأرمنية الانجيلية (في عنجر):وتضم / ٥٢٥/ طالباً وطالبة،وتأسست عام ١٩٤٨ .

٥ ـ مدرسة بيتر واليزابيث طومسون الأرمنية الانجيلية : وتضم ٣٤٠ طالباً وطالبة و٢٣ أستاذاً ومقرها (نور امانوس)،وتأسست عام ١٩٦٦ .

٦ ـ المدرسة الأرمنية الانجيلية:وتضم / ٨٥/ طالباً وطالبة،و١٠ معلمين،ومقرها (مار ميخائيل):وتأسست عام ١٩٥٤ .

٧ ـ المدرسة الأرمنية الانجيلية : وتضم /١٠٣/ طالباً وطالبة و١٠ أساتذة ومقرها (كرم الزيتون) وتأسست عام ١٩٢٩ .

٨ ـ المدرسة الأرمنية الانجيلية،وتضم / ٢٠٦/ طالباً وطالبة،بالاضافة الى ١٤ معلماً،ومقرها (كامب هاجين)،تأسست عام ١٩٣١ .

٩ ـ المدرسة الأرمنية الانجيلية : وتضم / ٢١٠/ طالباً وطالبة،و١٤ أستاذاً ومقرها (كامب طراد)،تأسست عام ١٩٣٦ .

١٠ ـ المدرسة الأرمنية الانجيلية : وتضم مئة طالب وطالبة،عليهم ٥ معلمين ومقرها (سن الفيل)،تأسست عام ١٩٥٣ .

١١ ـ المدرسة الأرمنية الانجيلية : وفيها ١٦ طالباً وطالبة،مع ٦معلمين،ومقرها (طرابلس)،وتأسست عام ١٩٣٩ .

١٣ ـ المدرسة السريانية الانجيلية : وتضم ٢٢ طالباً وطالبة يشرف عليهم أستاذين .

١٤ ـ معهد هايكازان : وتأسس عام ١٩٥٧ في بيروت وهو يضم الآن ٦٠٥ طالباً مع ٦٦ أستاذاً .

وبذلك يكون مجموع طلاب هذه الطائفة وطالباتها / ٣٢٨٧/ .

د ـ مدارس الجمعيات الأرمنية : ١ ـ **مدرسة جمعية هاماسكايين « مدرسة نيشان بالانجيان » :**

إفتتحت هذه الجمعية في ٣٠ آذار ١٩٣٠ مدرستها « جياران » في القنطاري ببيروت،وبلغ عدد طلابها (وقتذاك) ٨١ طالباً . ثم انتقلت الى بنائها الجديد في شارع بيهم وتم تدشينها باحتفال كبير حضره رئيس الجمهورية الأسبق (بشارة الخوري) ورئيس الوزراء (رياض الصلح) والوزراء وبعض النواب،وأسميت رسمياً باسم « ثانوية نيشان بالانجيان » ، وهي تضم اليوم مجموعة من المباني الحديثة الى جانب البناء القديم وقاعة للمطالعة ومختبراً ومكتبة وصالة كبيرة للاحتفالات والمحاضرات الخ . . وتضم بين صفوفها ٨٠٠ طالباً وطالبة موزعين على مختلف الصفوف، وقد تخرج منها أكثر من ٥٠٠ أرمني يشغلون مناصب مهمة .

٢ ـ مدرسة جمعية تكيان : وهي ابتدائية تقع في برج حمود . تأسست عام ١٩٥١ بغرض الاهتمام بالطفولة . ثم شيدت الجمعية بناء جديداً عام ١٩٦٥ يستوعب . ١٠٠ طالباً وطالبة . وهذه المدرسة مجانية .

هـ ـ المدارس الأرمنية الخاصة : وعددها ١٢ مدرسة موزعة على مختلف أنحاء لبنان وتضم لا أقل من ٤٠٠٠ طالباً وطالبة .

إن مطالعة هذه الاحصائيات تدل :

١ ـ إن الأرمن في لبنان يملكون ٦٠ مدرسة (حتى عام ١٩٧٤).

٢ ـ وإذا وزعنا هذا العدد على السكان،لوجدنا أن كل ٣٥٠٠ نسمة يصيبهم مدرسة . وهذه نسبة مرتفعة خاصة إذا استثنينا من هذا الرقم من هم دون سن الدراسة والذين تجاوزوها ، وكذلك المتخرجين والطلاب أنفسهم

---

١ ـ إحصائيات العام الدراسي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤.

بحيث يكون ـ في الواقع ـ لكل ٢٠٠٠ نسمة مدرسة واحدة .

٣ ـ إن هذا الارتفاع في عدد المدارس يدل على الرغبة الكامنة لدى الأرمن في النهوض بالشعب الأرمني من النواحي العلمية والثقافية . وبالتالي يدل بوضوح على تأييد الحكومة اللبنانية لهذه الخطوات .

٤ ـ إن الفضل الأول في هذه النهضة الدراسية،يعود بالدرجة الأولى الى اهتمامات الطوائف الأرمنية الثلاث المعروفة، وعلى أكتافها ، بالاضافة الى دور الجمعيات الخيرية والمحسنين الأرمن أنفسهم .

٥ ـ إن مجموع عدد الطلاب في هذه المدارس الـ ٦٠،هو ١٨٧١٠ طالب وطالبة . في حين ان عدد السكان الأرمن اللبنانيين هو ٢٠٠٠٠٠ نسمة . وهكذا فان الطلاب يشكلون ٩/١ مجموع الأرمن في لبنان على مختلف أعمارهم . ونعتقد أن هذه واحدة من أعلى نسب التعليم في العالم ، خاصة إذا أضيفت الى هذ ه الأرقام تلك الأعداد غير المحصية ـ هنا ـ من الطلاب الذين يتابعون دراساتهم العالية في الجامعات اللبنانية ، وفي الخارج (أميركا ـ وفرنسا الخ . .).

الجمعيات الثقافية والخيرية :

تعمل هذه الجمعيات من أجل تحقيق هدفين متوازيين ومتوازنين في نفس الوقت :

الأول : توثيق العلاقات بين الأرمن،ضمن المجتمع الواحد في لبنان،من النواحي الثقافية والاجتماعية والأدبية ، وبين هؤلاء والأرمن في جميع أنحاء العالم وحيثما وجدوا (في أميركا ، فرنسا ، انكلترا ، روسيا ، الدول العربية الخ . .) .

الثاني : توثيق العلاقات،بين الأرمن وإخوانهم العرب اللبنانيين ضمن المجتمع

الواحد في لبنان ، ومع العرب ـ عموماً ـ في الأقطار العربية الأخرى،وحيثما وجدوا (في سورية ، مصر، العراق الخ . .) .

هذا ويمكننا أن نرصد في لبنان من الجمعيات الأرمنية نوعين :

١ ـ الجمعيات الأرمنية الثقافية : ومنها :

آ ـ هامسكايين : الجمعية الأرمنية للثقافة والتعليم والنشر : وتعود أسباب انشاء هذه الجمعية،في جذورها الأصلية،الى الأحداث التاريخية التي مر بها الشعب الأرمني، اعتباراً من الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وخصوصاً في مطلع القرن العشرين،حيث نكبوا بأكثر من مليون ضحية . وقد أراد مؤسسيها من وراء إحداثها « فتح المجال أمام الأرمن للنضوج الأدبي والعلمي والتعليمي واللحاق بركب الحضارة والدعوة الى استعادة نشاطهم وحيويتهم في الانتاج الفكري المستمر بقيم وأهداف جديدة وصولاً الى تحقيق الخير للمجتمع[١] الذي يعيشون فيه باعتبارهم عضواً عاملاً فيه وجزءاً لا يتجزأ منه »[٢] .

وهكذا فانه عقيب عمليات التشريد والاضطهاد التي جرت مع مطلع عام ١٩١٥،لجأ أوهانجانيان[٣] ، وليفون شانت الكاتب المعروف ، ونيكول أغبانيان الأديب الناقد،وغيرهم،الى مصر . وفيها ـ أي في مصر ـ اختمرت في ذهنهم « أفكار الصحوة » و« ضرورة تغيير الواقع وبالتالي رسم خطة تتيح لأبناء جلدتهم أن يصيبوا قسطاً وافراً من العلم والمعرفة والانفتاح على آداب وثقافات جديدة » ، وكذلك إقامة مدرسة تكون نواة صرح تربوي للأجيال القادمة . . وهكذا ولدت جمعية هامسكايين . وتحققت أهدافها بالتدريج عندما افتتحت مدرستها الأولى المسماة « جباران » عام ١٩٣٠ في بيروت في بناء متواضع ما

---

١ ـ اشارة الى لبنان وبالتالي الى المجتمع العربي ، وهو ما يتفق مع ما ذكرناه حول أهداف الجمعيات الأرمنية في لبنان وحيثما وجدت في الدول العربية .

٢ ـ هامسكايين : الأرمن في لبنان . العدد ١٤ لعام ١٩٧٤ .

٣ ـ أحد رؤساء وزراء جمهورية أرمينيا (المعلن استقلالها في ٢٨ أيار ١٩١٨) .

لبثت أن انتقلت منه الى بناء جديد في شارع بيهم عام ١٩٤٨ ، وتم تدشينه بحضور رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس الوزراء والوزراء وبعض النواب تقديراً منهم لمركز هذه الجمعية وأهدافها الفنية والتفافاتها نحو تمتين العلاقات الأرمنية ـ العربية . وقد سميت الكلية الجديدة باسم « ثانوية نيشان بالانجيان » التي ما لبثت أن تطورت بدورها ، حيث أقيم لمصلحتها ، والى جانبها ، العديد من الأبنية الجديدة التي تضم أحدث ما تتطلبه التربية الحديثة من وسائل الإيضاح والتعليم والتسلية[١] . وما تزال الجمعية ماضية في الطريق المرسوم لها بثبات .

ب ـ تكيان ، الجمعية الثقافية الأرمنية : أسسها عام ١٩٤٧ عدد من الشباب الأرمن المثقف . واتخذت هذا الاسم تخليداً لذكرى الشاعر فاهان تكيان . وتتفق أهداف هذه الجمعية مع ما ذكرناه ، حيث تنص المادة الثالثة من النظام الداخلي للجمعية على ما يلي : « تهدف جمعية تكيان الثقافية الى تثقيف أعضائها عن طريق الثقافة والفنون ، كما تهدف خاصة الى تعريف الشباب الأرمن المحب للثقافة على فنون العرب وآدابهم ».

« ومن المهمات الأولية للجمعية تنمية روح الولاء بين أعضائها للأرض التي تقلهم والسماء التي تظللهم للذود عن حياض الوطن »[٢].

ولا أدل على ذلك « من اندفاع أعضاء الجمعية الى مراكز الدم ـ وكلما دعت الحاجة الى ذلك ـ كما فعلوا في حرب رمضان حيث استشهد العديد من السوريين المنحدرين من أصل أرمني ». وقد قامت هذه الجمعية بانشاء مركز لها في بيروت مؤلف من ١٠ طوابق استخدمته مع تأجير بعض طوابقه للانفاق منها على مشاريعها ، خاصة مدرسة تكيان التي أشرنا اليها قبل قليل ، ولجمعية تكيان،

---

٤ ـ من أجل تفصيلات أوسع يرجى الرجوع الى الفقرة ١ من النبذة الخاصة بالمدارس العائدة للجمعيات.

٥ ـ المصدر السابق ـ الفقرة ٢ ـ

عدة لجان: اللجنة النسوية ، وتعمل على تدريب المرأة على الطهو والاسعاف والتدبير المنزلي .

اللجنة الرياضية : وتهتم بالفرق الرياضية .

اللجنة الفنية : وتلحق بها فرقة للرقص الشعبي والغناء والتمثيل[1] .

جـ- مركز الك مانوكيان : جامعيي انترانيك أو رابطة شبيبة انترانيك . وهو كما أراده مؤسسوه « مركزاً لتطلعات الشبيبة الأرمنية اللبنانية ».وغرض هذا المركز خدمة النشء الجديد من النواحي الثقافية والوطنية وغيرها . وقد تم تدشينه عام ١٩٧١ وهو عبارة عن بناء من ٦ دور تتوزع عليها صالات العرض الفني (من رسم ونحت ويعرض فيها أشهر الفنانين العالميين والمحليين إنتاجهم) ، في الطابق الأول ، ومركز الجمعية العمومية الخيرية الأرمنية في الطابق الخامس ومقر الأعضاء (في الطابق السادس)وهكذا . هذا ويضم هذا المركز صالات رياضية وقاعات للموسيقى وللمحاضرات ومكتبه الخ . .

وفي لبنان أيضاً العديد من الجمعيات الثقافية مثل جمعية زاخاريان ومؤسسة هيسيان الخ . .

٢ ـ الجمعيات الأرمنية الخيرية :

آ ـ جمعية جينيشيان : أسسها رجل أعمال من أصل أرمني ، هو الذي تحمل اسمه ، مدفوعاً بشعوره الانساني نحو المشردين والمحتاجين من بني أمته . وتدار هذه الجمعية بواسطة جمعية خيرية سويسرية بمعاونة كنيسة أرمنية ـ لبنانية . وقد مارست هذه الجمعية نشاطها منذ الستينات حيث قامت بتأسيس مركزين لحضانة الأطفال في برج حمود وأمنت الدواء للمرضى والمستشفيات كما ساهمت بعدة مشاريع خيرية منها :

ـ بناء مأوى لذوي العاهات.

---

١ ـ المرجع السابق.

- بناء ثلاث دور للأيتام .
- تمويل مشروع التعاونيات المنوي إقامته في برج حمود ببيروت .

ب - مؤسسة قره كوزيان : انشئت كفرع للمؤسسة التي تحمل نفس الاسم في نيويورك ، وهو اسم المؤسس الأصلي لها : « هيوارد قره كوزيان ». . ارمني الأصل . والغاية من المؤسسة تحسين أوضاع الأطفال الأرمن الأيتام . وقد أنشئت أولاً في استانبول،ثم أحدثت لها فروع في سورية ولبنان . وتتبنى المؤسسة مبدأ عدم التمييز في جنسية المستفيد من خدماتها،حتى ان٤٠ بالمئة من الأطفال المنتفعين منها من غير الأرمن.

جـ- جمعية صليب إعانة أرمن : ظهرت للوجود عام ١٩١٠ وتعمل في كل دول العالم ، وتأسس فرعها في لبنان بترخيص من الحكومة اللبنانية كجمعية خيرية أكثر أعضائها من النساء ، وغايتها مساعدة المعوزين والمحتاجين وتقديم العناية الصحية وتسهيل سبيل الدراسة للفقراء . وقد أنشأت هذه الجمعية العديد من المدارس والمياتم ، وهي تعتبر المؤسسة النسائية الأرمنية الوحيدة وفيها ٥٥٠ عضوة و٤٥٠ مرشدة ، ولها ٢١ فرع في لبنان ، وتمنح الأقساط المدرسية للطلاب المحتاجين في ١٤ مدرسة ابتدائية و٦ معاهد سنوية وجامعتين ، كما توزع مجاناً كميات من الحليب والطحين والمواد الغذائية .

وفي لبنان العديد من الجمعيات الخيرية الأرمنية والكشفية الأخرى مثل : جمعية ليون نازريان ، وجمعية زافاريان ، وجمعية أصدقاء الفن ، والجمعية الخيرية للأرمن الكاثوليك ، وكشاف الهومنمن ، والهومنتمن الخ . . وكلها تحمل نفس الأهداف .

الأديرة والكنائس :

تقوم الكنيسة الأرمنية بطوائفها الثلاث :الأرثذوكسية والكاثوليكية والانجيلية بدورها الطليعي بالنسبة لحياة الأرمن في لبنان ، ليس من النواحي الدينية .

وحسب ، بل ويمتد نشاطها الى مختلف ميادين الحياة،من أحداث المدارس والجمعيات الخيرية،وملاجيء الأيتام،ودور العجزة ، كما وتساهم وتساعد في جمع التبرعات اللازمة لهذه المشاريع وغيرها .

وفي لبنان اليوم،مركز كيليكيا ، في انطلياس ، وهو المقر الروحي للأرمن الأرثذوكس. ويقوم الكاثوليكوس بالاشراف على الكنائس الارثذوكسية المنتشرة في ربوع لبنان ويتعهدها بعنايته .

أما الأرمن الكاثوليك،فان الكنائس التابعة لبطريركيتهم هي ستة ،على الشكل التالي :

- كنيسة بشارة العذراء (الجعيتاوي) ، كاتدرائية مار الياس ومار يغريوس (الدباس) ، وكنيسة القديس مسروب (برج حمود) ، كنيسة الأرمن الكاثوليك (بزمار) ، كنيسة الأرمن الكاثوليك (عنجر) ، كنيسة الأرمن الكاثوليك (زحلة) .

وأيضاً للكنيسة الانجيلية الأرمنية ٩ كنائس في لبنان أربع منها في بيروت وواحدة في عنجر،وكنيسة سريانية - انجيلية في سد البوشرية .

النوادي الرياضية:

تماماً كالجمعيات الثقافية والخيرية الأرمنية ، فان النوادي الرياضية الأرمنية تحمل صبغة « دولية »،إن جاز التعبير ، حيث يوجد نادي « الهومنتمن » - مثلاً - بهذا الاسم ، في أغلب الدول التي يتواجد فيها الأرمن ، وكذلك الأمر بالنسبة لنادي الهومنمن .

وعموماً يمكننا أن نجد في لبنان النوادي الرياضية - الكشفية التالية :

- نادي الهومنتمن : تأسس في استانبول أولاً . وفي لبنان تم إنشاؤه عام ١٩٢٤ في

مدينة بيروت ثم لحقت به فروعه في المحافظات والمدن اللبنانية الأخرى. ويمارس هذا النادي ألعاب الكرات (القدم ، السلة ، الطاولة ، التنس)،بالاضافة الى الرياضات الأخرى كالجيدو والكاراتيه والدراجات ، ويبلغ عدد أعضائه ٢٠٠٠ .

- نادي الهومنمن : وهو يمارس بدوره العديد من الألعاب الرياضية،وخاصة القدم أو السلة،وله فروع للكشاف ونواد اجتماعية ذات نشاطات متنوعة .
- نادي مركز الك مانوكيان : وله فرق رياضية كالقدم والسلة وغيرها .
- نادي جمعية هامسكايين : ويقوم أعضاؤه بمزاولة الألعاب الرياضية السابقة .
- نادي الأرمن الكاثوليك : وأعضاؤه منتظمون في فرق رياضية متعددة : سباحة ، تنس الخ .
- نادي سيفان : للرياضة أيضاً .
- نادي انجاليان : للسباحة وغيرها .
- نادي آرا يروانيان : ناد رياضي - اجتماعي .

النشاطات الفنية :

يمارس الأرمن في لبنان نشاطات فنية متنوعة تمتد من تشكيل فرق الرقص الفلوكلورية (الشعبية)،الى التصوير والغناء والتمثيل والنحت . والحق ان دلت هذه الاهتمامات على أمر فهي تشير بوضوح الى رعاية هذا الشعب لكل ما ينمي الحياة ويغذيها :

- فرق الرقص الفلوكلورية :
  - فرقة LORI (على اسم مقاطعة في أرمينيا) وتضم ٦٠ عضواً بين راقص وراقصة تؤدي الألوان المختلفة للرقصات الشعبية ، بينها الفلوكلور الأرمني ، والدبكة اللبنانية ، والرقص اليوناني ، والكوزاكي (الشركسي) . . وقد أحدثت في نهاية عام ١٩٧٢ .

ـ فرقة « الأخوة كازازيان »،وهي ما زالت تمارس الرقص منذ مطلع الستينات . وقد قدمت عروضاً لها في أميركا وكندا ، ثم ما لبث أحد الأخوين (كارنيك) ان أسس فرقة « آرارات » للرقص الشعبي الأرمني والروسي ، أما الأخ الآخر « هيرابيت »،فقد شكل فرقة « فاهاكن » المماثلة في ولاية ميتشيغان بأميركا .

ـ الفرقة الشعبية الأرمنية:وتقدم عروض الرقص الشعبي الأرمني بألوانها المختلفة وتضم ١٢٥ راقصاً وراقصة،ومن ذلك عروضها في البرتغال وعلى مسرح بعلبك الدولي.

ـ فرقة هامسكايين المسرحية : تأسست في بيروت عام ١٩٤١ ، وهي من أول الفرق المسرحية الأرمنية في لبنان . وقد قامت بجولة في الدول العربية ، ثم طارت الى أميركا وكندا،حيث قدمت العديد من أعمالها على مسارح هاتين الدولتين ومقاطعاتها .

ـ رقص الباليه : ولا يقتصر نشاط الأرمن الفني على الرقص الشعبي والتمثيل ، بل يمتد الى « الباليه ». وثمة راقصة باليه أرمنية[١] قدمت على مسارح أوروبا رقصات من تصميمها ، ثم افتتحت في بيروت معهد للباليه بهدف تشكيل فرقة لهذا النوع من الرقص،تعوزها الدول العربية،حتماً إذ لا توجد إلا فرقة عربية واحدة في مصر.

ـ التصوير : منذ وجودهم في تركيا ، وبعد وصولهم الى لبنان ، عرف عن الأرمن المهارة في التصوير الفوتوغرافي ـ الشمسي ، وغيره ، وما زالت محلاتهم حتى الآن منتشرة في لبنان بكثرة . والذي يهمنا هنا ليس هذا العمل باعتباره مورد أ للعيش ، بل بالنظر اليه كفن. ومن هذا المنطلق يوجد في لبنان مصور أرمني[٢] نال بعدسته جوائز عالمية : الجائزة الأولى في معرض نيويورك (١٩٦٥) ،

---

١ ـ سونيا بولاديان.

٢ ـ مانوك المیان

والجائزتين الأولى والثانية في معرض ميونيخ للتصوير الفوتوغرافي (١٩٦٢).

- الرسم : ثمة فنانان أرمنيان في لبنان : أولهما[١] له لوحتان في متحف « لازار » الشهير بالبندقية ، عدا عن اشتراكه في إقامة معارض فنية خاصة به في أميركا وفرنسا وايطاليا . وثانيهما[٢] دخلت لوحاته العديد من متاحف العالم[٣] ، وأقام كزميله معارض فنية في ايطاليا وباقي أوروبا .

- النحت : يوجد العديد من الفنانين الأرمن في لبنان يتقنون هذا النوع من الفنون الجميلة . وقد قام أحدهم[٤] بوضع تصميم تمثال الشهداء الأرمن « قرب العامرية » بعلو ١٣ متراً ويتكون من ٣ أطنان من النحاس و٧ أطنان من الحديد .

- الغناء الأوبرالي : في لبنان مطربة[٥] من هذا النوع نالت جائزة الشاعر سعيد عقل كما قلدها - تقديراً لفنها - سيادة الكاثوليكوس « خورين الأول » وساماً ذهبياً .

---

١ - غوف « جورج عوفرجنيان ».
٢ - بول غراسيان .
٣ - متحف يريفان .
٤ - زافين هديشيان .
٥ - السيدة أربينيه بهليوانيان .

الفَصْل الخَامِسْ

الأرمن مواطنون عرب في سورية

وقفت جبال القوقاز الشاهقة حائلاً دون انتشار الأرمن شمال هذه الجبال ، كما يمكن اعتبار المناخ البارد شمالاً والمعتدل جنوباً سبباً آخر دفعهم الى التوسع جنوباً وغرباً وشرقاً [١] .

وهكذا أدت هذه العوامل الجغرافية الى توثيق روابط الصداقة ،وحتى الهجرة ، ما بين الأرمن ،وجيرانهم العرب في سورية . وعلاقة الأرمن - بهذا الاعتبار - مع سورية قديمة جداً ، تعود الى قرون ما قبل الميلاد . ويمكننا أن ندرس هجراتهم اليها وفق الترتيب التالي : .

١ - في عام **٥٣٩** ميلادية حدثت الهجرة الأولى المعروفة للأرمن الى سورية اثر هزيمة بيزنطة أمام فارس الذين سمحوا لهؤلاء أن يقطنوا انطاكية وأورفة وغيرها .

٢ - وبين أعوام ٧١٧ - ٧٢٨ ميلادية جرت الهجرة الثانية . ويقول عنها المؤرخ السرياني مار صليبي (المتوفى عام ١١٧١) « انه حدثت منذ ٤٥٠[٢] سنة هجرة

١ - الارمن في سوريه - وحيه الخيمي.

٢ - ويتحدد تاريخ هذه الهجرة اذا طرحنا هذا الرقم الأخير من التاريخ السابق فيكون موعد هذه الهجرة هو عام ٧٢١ ، وباعتبارها حدثت قبل وفاته،فقد أصبح تاريخها بين أعوام ٧١٧ - ٧٢٨ كما أسلفنا.

الأرمن الى سورية عندما استولى الفرس على بلادهم . وكان ذلك في زمن بطريرك الأرمن أوهانيس الفيلسوف، والبطريرك السرياني في سوريا أناناس الثالث حيث اتفق البطريركان على إرسال ثلاثة مطارنة أرمن ليرعوا الأرمن المهاجرين. وفي تلك الأثناء ترجم هؤلاء المطارنة كتب الأجداد[1]

٣ ـ وفي أعوام ٩٣٧ ـ ٩٩٢ وقعت الهجرة الأرمنية الثالثة : ويقول أحد المؤرخين الأرمن عن هذه الهجرة انه في زمن البطريرك خاتشيك اتجه الأرمن نحو الغرب باعداد كبيرة حتى اضطر البطريرك نفسه الى إرسال مطارنة الى سورية والى طرسوس .

٤ ـ وعقيب سقوط آني ١٠٦٤ بيد السلجوقيين، هاجر الآلاف من الأرمن الى مختلف البلاد ، ومنها سورية وكيليكيا، حيث أسس الأمير الأرمني روبين (١٠٨٠) الامارة ـ المملكة الأرمنية (ارمينيا الصغرى).

٥ ـ وبالاضافة الى ما تقدم فان ثمة دلائل عديدة تشير الى كثرة المهاجرين الأرمن الى سورية . وذلك :

آ ـ حينما عقد البطريرك الأرمني كريكور الشاب مجمعاً في مدينة « روم قلعة » قرب الحدود السورية ، اشترك في هذا المجمع مطارنة من أرمن سوريا .

ب ـ صورة عهد الرسول العربي الكريم، التي أشرنا اليها، والتي تدل على وجود أرمن في فلسطين مهاجرين اليها من أرمينيا[2] .

٦ ـ وعقيب الاضطهادات الأرمنية الكبيرة (١٨٩٥ ـ ١٨٩٦)، توجه عدد كبير من الأرمن، الى سورية، ومنها الى لبنان، حيث توزعوا بين البلدين .

٧ ـ أما الهجرة الكبرى الى سورية فكانت خلال الحرب الأولى ، وبالتحديد عقيب عمليات الابادة في ٢٤ نيسان ١٩١٥، حيث وصلت القوافل الأرمنية الى حلب

١ ـ الأرمن في اقليم سورية ـ وجيه الخيمي.

٢ ـ المرجع السابق.

أولاً ، ومنها الى دمشق ، ثم انتشرت (بعد أن استقر قسم منها في القامشلي والمحافظات السورية الشمالية)،في حمص وحماه واللاذقية .

ومن هؤلاء الأرمن من توجه فيما بعد الى لبنان .

٢ ـ الكثافة وتوزع السكان :

نظراً لقرب حلب من الحدود التركية ، واستقبال هذه المدينة لأفواج القبائل الأرمنية الأولى ، فقد أصبح الأرمن القاطنين فيها يشكلون العدد الأكبر من الأرمن المقيمين في سوريا ، حيث تبلغ نسبتهم ٧٥ بالمئة من مجموع الأرمن في هذه الدولة .

هذا وقد ازداد عدد السكان الأرمن منذ عام **١٩٣٢** في مدينة حلب بسبب تدفقهم عليها عقيب الحوادث التي جرت للبقية الباقية منهم في تركيا في عهد عصمت اينونو . وهكذا فان عدد الزيادة كان ٢٠ ألفاً في دمشق،بينما وصلت في حلب الى ٤١ الفاً خلال عامي ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ .

وبعد حلب تأتي مدينة دمشق حيث تبلغ نسبتهم ١/٧ الأرمن في سورية . ثم تليها الجزيرة،وتشكل النسبة الباقية من الأرمن في سورية مع اللاذقية وحماه .

٣ ـ توزع الأرمن في سورية ضمن المدن .

ـ **في حلب** : يتركز الأرمن في حلب شمالي المدينة ، حي الميدان ، وبستان الباشا ، حي شيبان باشا ، والشيخ مقصود . وبسبب هجرة الأرمن الى حلب ، وخصوصاً من ناحية الشمال ، فقد انشىء الحي الأرمني الجديد منعزلاً عن مدينة حلب في بادىء الأمر . ثم أحدثوا حياً جديداً في منطقة قبور الشراكسة ، وآخر في الشيخ مقصود ، وكذلك في الجابريه،وآخر في الميدان (كما أشرنا) . . ثم اتسعت هذه الأحياء شيئاً فشيئاً،واقتربت من بعضها فامتد حي الجابرية حتى شمل السفح الشمالي لمرتفع الشيخ أبي بكر واتصل بحي الميدان .وبعد عام **١٩٤٧**

اختلط الأرمن مع السكان العرب، وأصبح الأرمن والمسلمون يعيشون مع بعض[1].

- في دمشق : ووفد الأرمن الى دمشق بعد فترة راحة قضوها في حلب أو على الحدود . ثم نقل الافرنسيون عدداً منهم ووزعوهم على المدن السورية واللبنانية . وعند وصولهم الى دمشق نزلوا في معمل الزجاج (في باب شرقي) ، ثم بمساعدة جمعية باري كورزاكان (الجمعية الخيرية الأرمنية) استأجروا أرضاً وبنوا عليها بيوتاً لسكنهم .

وبعد ذلك انقسم الأرمن في دمشق الى ثلاثة أقسام، القسم الأول : سكن في المنطقة المذكورة . والثاني : سكن معسكر خوتشير (معسكر الزبلطاني) . أما القسم الثالث والأخير : فقد سكن في القدم (في ضواحي دمشق) .

وعندما تحسنت الأحوال المادية للأرمن ، نتيجة عملهم ، انتشروا نحو المدينة الجديدة من دمشق . واليوم يقيمون في مختلف أحياء هذه المدينة دون تحديد ، وبين كافة المواطنين ، وإن كانت أحياء المزرعة والشعلان والحلبوني والزبلطاني وغيرها،هي أحياؤهم المفضلة[2] .

- في اللاذقية وكسب : يقيم أكثر الأرمن في هذه المنطقة في قرى كسب وقره دوران وبغجاز .

- في الجزيرة : وكانت مقرهم الأول الذي توجهت اليه قوافلهم عام ١٩١٥ ، ولا يزال عدد منهم يسكن هذه المحافظة السورية حتى اليوم .

٣ - توزع الأرمن من النواحي المهنية :

لا يميل الأرمن بشكل عام الى عملين : العمل الوظيفي ، والعمل الزراعي .

---

١ - المرجع السابق.

٢ - المرجع نفسه.

ومن هنا نستطيع أن نرصد توزعهم المهني وفق التالي ، وحسب الأهمية :

أ ـ الصناعة : وهي من أحب الأعمال اليهم ، حيث وجد في سورية منذ الستينات معمل النسيج (العائد لـ كارغايان بارصوميان) ، وكذلك شركة نشارتوا للنسيج المساهمة و١٥٠ معملاً للنسيج الآلي يملكها صناعيون أرمن وهي من المعامل المتوسطة والصغيرة . كما أن بعضهم يقوم بتصنيع (الجبالات ، للاسمنت) وفي صناعة البرادات .

ب ـ صناعة الميكانيك : اشتهر الأرمن ببراعتهم في هذه الصناعة ، لذلك فان أعداداً كبيرة منهم في الستينات ـ خاصة ـ كانت تعمل فيها ، ومن هذه الصناعات :

ـ صناعة هياكل السيارات .

ـ إصلاح السيارات والآلات الزراعية (حلب ـ القامشلي ـ الجزيرة ودمشق).

ـ ادارة المضخات .

ـ صنع الأثاث الحديدي .

ـ صنع العدسات الطبية والنظارات ، ومن أبرع هؤلاء في دمشق السيد سركيس كيشيشيان .

جـ ـ الطبابة : أخذ الأرمن يهتمون بالدراسات العالية بعد أن استقر وضعهم المادي . وهكذا بدأ عدد كبير منهم في سوريا (ولبنان خاصة) بدراسة الطب البشري وطب الأسنان . وفي سورية اليوم عدد كبير يتجاوز الـ ٧٠، منهم : ٤٥ طبيباً في حلب برز منهم الدكتور انطونيان الذي أحدث مستشفى خاص لمعالجة المرضى الأرمن والعرب ، كما أن أحد شوارع حلب يحمل اسم هذا الطبيب ، وهناك الدكتور طوروس طورانيان خريج جامعة يريفان . و٢٧ في دمشق، و١٠ في الجزيرة،و٨ في اللاذقية،وخمسة في حمص . كما أن هناك أكثر من ٢٥ صيدلانياً في مدينة حلب،و٩ في دمشق،وثلاثة في الجزيرة،واثنين في اللاذقية، وواحد في حمص .

د ـ المحاماة : يوجد في سورية عدد لا بأس به من المحامين وعلى رأسهم السيد فريد أرسلانيان (نائب سابق) الذي ما زال يمارس عمله بنشاط حتى اليوم .

هـ ـ التجارة : ثلث الأرمن في سورية يعملون في التجارة وفي الاستيراد والتصدير وتجارة الترانزيت، فضلاً عن الحرف اليدوية الأخرى من : خياطين،وبائعي أحذية معروفين ، وآلات دقيقة (مجاهر مناظير مقربة) الخ ،

ويبدو من هذا العرض السريع عن النشاط الاقتصادي للأرمن في سورية انهم جماعة نشطة دأبت منذ وصولها الى البلاد الى العمل المثمر بحيث ساهموا في الفعاليات الاقتصادية للبلاد السورية بجد . وإن دل هذا على شيء فعلى مدى الحيوية التي تنغرس في نفوس هذا الشعب[1] .

ـ الصحف والأدباء

صدرت في سورية العديد من الصحف والمجلات الأرمنية ، كما برز العديد من الأدباء . ومن أهم هذه الصحف :

ـ سورية .

ـ الشروق من الشمال (هوسيس ايك).

ـ الفرات (يبراد).

عدا النشرات الدورية مثل :

ـ نائيري .

ـ الى الوطن (تيبي يركير) .

وهناك التقويم السوري (سوريا غان دار يكيرك) .

وتوجد في مدينة دمشق أكثر من مطبعة أرمنية تقوم بطبع بعض الكتب الأرمنية وبطاقات الأفراح وغيرها.

---

١ ـ المصدر السابق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ـ المدارس الأرمنية في سورية :

أكثر المدارس الأرمنية انشأتها الجمعيات الدينية وباسم أحد رجال الدين . وتتوزع بين المذاهب الأرمنية الثلاثة : الكاثوليكية والارثذوكسية والانجيلية . وكان لهذه المدارس شارات خاصة يحتفل بتوزيعها على الناجحين بحفلات رسمية . ومنذ عام ١٩٤٩ اهتمت وزارة التربية بالمدارس الأرمنية في سورية بحيث أصبح يطبق فيها المنهاج الذي تضعه هذه الـوزارة،بالاضافـة الى تدريس اللغـة الأرمنية في كل الصفـوف، والادب الأرمنـي والـدين بالاضافـة،الى احـدى اللغتـين الانـكليزية والافرنسية .

وقد أدى ذلك الى ظهور جيل أرمني يتقن العربية،دون أن يتخلى عن لغته الأم مما سهل الاندماج بين الشعبين وتسيير التفاهم والتعامل بينهما .

وقد نشرت مجلة «MISSI» الصادرة في فرنسا ـ عدد نيسان ١٩٦٥ ـ في زاويتها « المعجـم الصغيـر لتـاريخ أرمينيا »،إن عدد المدارس الأرمنية في سورية هو ٦٨ مدرسة. وفي الواقع وجدنا عددها ٧٣ موزعة كالتالي:

ـ في دمشق :

١ ـ مدرسة تاركمانتشاتز: ابتدائية وإعدادي مختلطة ـ باب شرقي.
٢ ـ مدرسة آليشان : ابتدائي ـ باب توما.
٣ ـ مدرسة ساهاكيان : ابتدائية مختلطة ـ المزرعة .
٤ ـ مدرسة زاواريان : ابتدائية مختلطة ـ المزرعة.
٥ ـ مدرسة اتحاد ارمن : ابتدائية مختلطة ـ المزرعة .
٦ ـ المدرسة الانجيلية الأرمنية : مختلطة ، ابتدائي .
٧ ـ مدرسة الأرمن الكاثوليك : للبنات ـ ابتدائي ـ باب توما .

- في حلب : وعددها أكبر من تلك المتواجدة في دمشق ، بسبب كثافة السكان الأرمن :

١ ــ مدرسة كيليكيان : مختلطة ـ حي الميدان.

٢ ــ مدرسة كيليكيان سبي : للبنين.

٣ ــ مدرسة كيليكيان سبي : للبنات.

٤ ــ مدرسة أرمنيان : مختلطة ـ الشيخ مقصود.

٥ ــ مدرسة هايكازيان : للبنين.

٦ ــ مدرسة هايكازيان : للبنات.

٧ ــ روضة هايكازيان : مختلطة.

٨ ــ مدرسة ساهاكيان : مختلطة ـ الميدان.

٩ ــ مدرسة مسروبيان : مختلطة ـ الميدان.

١٠ ــ مدرسة وارطانيان : مختلطة ـ الداودية.

١١ ــ مدرسة أراميان : مختلطة ـ البراكات.

١٢ ــ مدرسة كلبنكيان : مختلطة ـ السليمانية.

١٣ ــ مدرسة كرتاسيراتس : للبنين.

١٤ ــ مدرسة كرتاسيراتس : للبنات.

١٥ ــ مدرسة زاوارايان : مختلطة.

١٦ ــ مدرسة أوسومنا سيراتس ليونيان : مختلطة.

١٧ ــ مدرسة كيرمانيكيان : مختلطة.

١٨ ــ مدرسة القديس يوسف للكاثوليك الأرمن في حلب.

١٩ ــ مدرسة القديسة هريبسيمة : للارمن الكاثوليك في حلب.

٢٠ ــ مدرسة القديسة تريزا : للارمن الكاثوليك ـ الداودية.

٢١ ــ مدرسة القديسة بربارة : للارمن الكاثوليك في حلب.

٢٢ ــ مدرسة عمانوئيل : للارمن البروتستانت المختلطة بحلب.

٢٣ ــ مدرسة عمانوئيل : للارمن البروتستانت المختلطة بحلب.

٢٤ ـ مدرسة بيت ايل : بالجابرية ـ مختلطة.

٢٥ ـ مدرسة بيت ايل : الشيخ مقصود.

٢٦ ـ المدرسة المركزية الابتدائية.

٢٧ ـ ميتم العناية الربانية للارمن الكاثوليك للبنات.

٢٨ ـ ميتم الأرمن الارثذوكس ـ ابتدائي داخلية.

ـ **مناطق حلب :**

٢٩ ـ مدرسة مسروبيان ـ مختلطة.

٣٠ ـ مدرسة وارطانيان ـ مختلطة

٣١ ـ المدرسة الموحدة للارمن الكاثوليك.

٣٢ ـ مدرسة سحاقيان المختلطة ـ عفرين.

٣٣ ـ مدرسة خيريميان المختلطة ـ عين العرب.

٣٤ ـ مدرسة فيراز رنوش المختلطة ـ اليعقوبية.

٣٥ ـ مدرسة المخيتاريست.

ـ **في اللاذقية :** باعتبار أن عدد السكان الأرمن قليل في هذه المحافظة ففيها مدرسة ابتدائية ـ ثانوية هي ثانوية الارمن المقدسة الداخلية للبنين.

ـ **في قرى اللاذقية :**

ـ **في بغجاز:** المدرسة الانجيلية الارمنية المختلطة.

في قره دوران: ١ ـ الاتحاد التعليمي للارمن ارثذوكس: مختلطة.

٢ ـ مسروبيان للارمن الارثذوكس : مختلطة.

٣ ـ المدرسة الانجيلية للارمن.

ـ **في كسب:** مدرسة الارمن الكاثوليك المختلطة.

المدرسة الوطنية الاهلية للارمن الارثذوكس المختلطة.

ـ **في فورقنة:** المدرسة الانجيلية الارمنية المختلطة.

ـ **في اكزاولون:** المدرسة الانجيلية الارمنية المختلطة.

- في طرطوس: مدرسة نوباريان للارمن الارثذوكس المختلطة.
- في حماه: مدرسة ساهاكيان للارمن الارثذوكس المختلطة ـ الحميدية.
- في الجزيرة: مدرسة الارمن الارثذوكس المختلطة.
- في الرقة: مدرسة الارمن الارثذوكس المختلطة.
- في تل ابيض: مدرسة الارمن الارتذوكس المختلطة.
- في الحسكة: مدرسة الارمن الارثذوكس المختلطة.
مدرسة الارمن الكاثوليك للبنين.
مدرسة الارمن الكاثوليك للبنات.
- في القامشلي: مدرسة الارمن الارثذوكس المختلطة.
- في ديريك: مدرسة الارمن الارثذوكس المختلطة.
في الدرياسية: مدرسة الارمن الارثذوكس المختلطة.
- في عامودة: مدرسة الارمن الارثذوكس المختلطة.
- في القامشلي: مدرسة الارمن الكاثوليك للبنين.
مدرسة الارمن الكاثوليك للبنات.
- الدرباسية: مدرسة الارمن الكاثوليك المختلطة، مدرسة كيليكيان المختلطة.
- في الحسكة: المدرسة الكاثوليكية الموحدة.

أما المدارس الثانوية فهي كالتالي:

- في حلب: ١ ـ مدرسة الحبل بلا دنس للارمن الكاثوليك.
(حضانة + ابتدائي) للبنات.
٢ ـ مدرسة الاباء المخيطاريين الكبرى للارمن الكاثوليك.
(حضانة + ابتدائي + إعدادي) للبنين. (سابقاً).
٣ ـ الثانوية السورية الخاصة (وكانت تحمل اسم الثانوية الارمنية).

ومؤسسها هو الكاثوليكوس زاره الأول.

٤ ـ الثانوية المركزية (لازار ناجاريان) وتتبع جمعية باري كورزاكان.

٥ ـ ثانوية كيليكيان (إعدادي ـ ثانوي).

ـ في اللاذقية: ١ ـ الثانوية الارمنية للارمن الارثذوكس المختلطة.

٢ ـ ثانوية الأرض المقدسة للبنين وتضم قسم ابتدائي وآخر ثانوي.

ـ في كسب: مدرسة الاتحاد التعليمي الأهلية للارمن الارثذوكس ـ مختلطة (حضانة + ابتدائي + ثانوي).

ـ في دير الزور: متوسطة القديس يوسف.

وهناك ثانويات مختلطة هي: الثانوية المركزية (لازار ناجاريان)، وثانوية كيليكيان (إعداد + ثانوي).

ومن هذا التعداد المفصل للمدارس الأرمنية في سورية نخلص الى النتائج التالية:

١ ـ إن العلاقات القومية بين الشعبين الأرمني والعربي السوري قد سمحت بانشاء هذا العدد الكبير من المدارس.

٢ ـ إن هذا العدد الذي يتجاوز الـ ٧٠ مدرسة انشئت كلها في حدود ٣٠ عاماً بين سنوات ١٩٣٠ ـ ١٩٦٠، وإن دل هذا فعلى، رغبة الأرمن في التعلم، وعلى مساعدة الجمهورية العربية السورية لهم في ذلك. ولا شك أن هذا الرقم ارتفع كثيراً في الثمانينات من هذا القرن.

٣ ـ إذا أخذنا عدد السكان الأرمن في سورية (٥٠٠٠٠ نسمة) لكان لكل ٣٠٠٠ نسمة منهم مدرسة، وهذه نسبة عالية.

٤ ـ إن أكثر هذه المدارس «مختلطة» للبنين والبنات، وتتمتع بحريتها في تدريس

اللغة الأرمنية والتاريخ الأرمني والآداب الأرمنية .

الأديرة والكنائس الأرمنية في سورية :

٦ - أكثر الكنائس الأرمنية في سورية انشئت في القرون الأخيرة . وأهم الأديرة الأرمنية في دمشق هو دير مار سركيس وقد جددت فيه نقوش يعود تاريخها الى عام ١٦١٧، ويقول هذا النقش[١] : « أنا الراهب بذروس رممت كنيسة الارمن مار سركيس في دمشق أيام البطريرك غريغور باروندير بطريرك القدس ». وتوجد لوحة أخرى محي اسم صاحبها وتقول : « . . . أصلحت ثلاث غرف في هذه الكنيسة ذكرى لآبائنا وذلك في عام ١٦٦٦ »، وعن هذا الدير يقول البطريرك بوغوص الثالث عام ١٧٦٨ ما يلي[٢] :

« لما كنت طفلاً أخذني والدي من أرمينيا مع الزوار الى القدس عن طريق الشام فوصلنا حلب عام ١٧٢٧ ثم تابعنا سيرنا نحو الشام فوجدنا فيها ٧٠٠ من الزوار فاجتمعنا وشكلنا قافلة وقصدنا القدس ولقد أعطانا الوالي اسماعيل باشا العظم جنوداً رافقونا على الطريق حتى وصلنا القدس » . وموقع هذا الدير هو في باب شرقي في دمشق، وقد احترق عام ١٨٦٠، ثم استعملت بعض غرفه كمدرسة (مدرسة تاركيا نكشاتسر)

وتوجد في دمشق : كنيسة القديس غريغورس للارمن الكاثوليك ، أما :

- في حلب : فهناك ٥ كنائس أرمنية بني أكثرها في النصف الثاني من القرن الماضي، وهي بالترتيب وحسب إنشائها :

١ - كنيسة أم المعونات للارمن الكاثوليك - بنيت عام ١٨٤٠.

٢ - كنيسة السيدة - بنيت عام ١٨٥٠.

٣ - كنيسة الاربعين : وهي كنيسة قديمة جددت عام ١٨٦٩.

---

١ - وجيه الخيمي: الأرمن في سورية.

٢ - المرجع السابق.

٤ ـ كنيسة مار جرجس : للسريان الارثذوكس ، وهي كنيسة قديمة للارمن.

كما توجد كنيسة خامسة هي كنيسة العذراء التي بنيت في القرن الثالث عشر[١] .

ـ **وفي اللاذقية** : يوجد دير كان ينزل فيه الحجاج الارمن القادمون من أرمينيا في طريقهم الى القدس.

ـ **وفي الجزيرة** : تشترك مختلف الطوائف في الكنائس بسبب قلة عدد الطوائف .

ومن الناحية البنائية للكنيسة فانهم يجعلون لها مدخلين : احدهما للرجال والآخر للنساء ، ويجعلون في المصلى سقيفة خاصة للنساء ، فان لم توجد ، صلت النساء الى يسار الرجال في مجموعة خاصة . هذا ويقيم الارمن صلواتهم بلغتهم القومية القديمة وكذلك في دعاآتهم . ويتبعون طقوساً هي مزيج من طقوسهم قبل اعتناقهم المسيحية،ومن الطقوس النصرانية . والارثذوكسية أشد تمسكاً من الكاثوليكية بالتقاليد القديمة .

٧ ـ الجمعيات الارمنية في سورية :

١ ـ الجمعيات الخيرية : توجد للارمن عدة جمعيات عالمية منها باري كورزاكان ، وجمعية كولبنكيان الخ . ولهذه الجمعيات فروع في جميع انحاء العالم وحيث يوجد أرمن . ومركز الجمعية الأولى الرئيسي في نيويورك ، ولها مركز في القاهرة للشرق الأوسط ويعتبر نوبار باشا من المؤسسين لهذه الجمعية ، ومن أهدافها في القطر السوري،مساعدة الارمن في بناء المساكن . كما تساهم في تنشيط التعليم ، فتدفع للطلاب المبرزين لمتابعة علومهم ، بالاضافة الى تسديد نفقات دراساتهم العالية . ويمكننا أن نذكر « بالمستر فايف» أو السيد ٥ بالمئة المعروف عالمياً والذي تحمل مؤسسته اسمه « كولبنكيان »،على انه أوصى بقسم كبير من ثروته الى مؤسسة كولبنكيان في لشبونة لتنفق على تقدم الفن والثقافة لكل

---

١ ـ الأستاذ جورج صباغ.

مستحق بغض النظر عن جنسيته . والى جانب هاتين الجمعيتين العالميتين نجد في اللاذقية : الجمعية الخيرية للطائفة الارمنية . ويمكن أن نضم جمعية إعانة صليب أرمن الى الجمعيات ذات الأهداف الانسانية .

٢ ـ أما بالنسبة للجمعيات الثقافية فنعدد منها :

١ ـ الجمعية الخيرية الارمنية في حلب . وشكلت مؤخراً فرقة مسرحية باسم بدروس أتاميان تقدم ،عروضها على مسارح القطر . ويخرج مسرحياتها كريكور كلشيان (من خريجي جامعة يريفان) .

٢ ـ جمعية الشبيبة الارمنية بدمشق وأهدافها ثقافية اجتماعية .

٣ ـ جمعية الترقي الثقافي بدمشق وأهدافها ثقافية اجتماعية .

٤ ـ الجمعية الثقافية لخريجي طلاب وطالبات مدارس كيليكيان في حلب .

٥ ـ الجمعية الثقافية للمعري (أبو العلاء المعري الشاعر السوري الذي يعتز الأخوة الأرمن بشعره) ، وهي جمعية ثقافية أدبية .

٦ ـ جمعية الشبيبة الأرمنية بحلب ، ويغطي نشاطها الاهتمامات الفنية (الكورال والمسرح والرقص الشعبي)،والأدب والاجتماع .

٧ ـ جمعية الثقافة الوطنية بحلب .

٨ ـ جمعية الجيل الجديد الثقافية في حلب .

٩ ـ جمعية الشبيبة الارمنية في اللاذقية ـ ثقافية رياضية .

١٠ ـ جمعية الشبيبة الارمنية في تل أبيض .

١١ ـ جمعية الشبيبة الارمنية في الرقة .

٨ ـ النوادي الرياضية :

تعتبر النوادي الرياضية الارمنية بمثابة المنتديات الاجتماعية بما تغطيه بنشاطاتها من فروع مختلفة للألعاب الرياضية والحفلات الاجتماعية والثقافية .

وقبل صدور قرار دمج الأندية الرياضية في سورية،الذي جعلها على شكل مجموعات،كل منهاتضم عدة أندية تحت اسم واحد : كنادي الثورة والمجد الخ . .

بغرض تطوير الرياضة ، فقد كان في سورية الأندية الأرمنية التالية ، التي ما زالت تمارس نشاطاتها السابقة ولكنها اندمجت مع نواد أخرى تحت اسم واحد :

- في حلب :

١ ـ النادي السوري الرياضي الهومنتمن « يحمل الآن اسم نادي اليرموك » : (ومعناها الجمعية الرياضية الجسمانية لجميع الأرمن) ويضم هذا النادي فروعاً كشفية ، وفرق كرة قدم، وفاز ببطولة سورية خلال الستينات ، وكرة سلة وجمال جسماني حيث فاز أبطال النادي في هذه الرياضة ببطولات عالمية :

ـ لندن ١٩٥١ المرتبة الثانية (كيون آ . ميديان).

ـ لندن ١٩٥٤ المرتبة الرابعة.

ـ باريس ١٩٥٥ المرتبة الثالثة.

٢ ـ الفاسبوراكان : (اسم مقاطعة أرمنية)، ويسمى أيضاً العهد الجديد وأعضاؤه من مهاجري مرعش .

٣ ـ الاستقلال : وكان يسمى الهومنمن ، ويمارس ألعاب السلة والقدم ، له فرقة كشافة .

٤ ـ المشعل : أي نادي الشبيبة الارمنية .

٥ ـ نادي نسر الشهباء الرياضي (ويسمى داروني أرزيف)، أي نسردارون من مهاجري صاصون .

- في دمشق :

١ ـ النادي السوري الرياضي : تأسس عام ١٩٢٥ ويشترك بألعاب القدم والسلة .

٢ ـ نادي الشبيبة الأرمنية

٣ ـ النادي الرياضي الأرمني[1] .

---

١ ـ المصدر السابق ـ حسب معلومات ١٩٦٠ .

٩ ـ المؤسسات الصحية :

يهتم الارمن بالتربية الجسمانية وقد فازوا فيها ـ كما مر معنا ـ ببطولات عالمية . كما يعتنون بصحة أطفالهم ولهذا الغرض نجد لديهم العديد من هذه المؤسسات الصحية مثل :

١ ـ دار التوليد الارمنية باسم كولبنكيان (تأسست ١٩٣٥) .
٢ ـ المستوصفات الصحية ومنها : المستوصف العمومي ـ مستوصف الميدان ـ مستوصف الاشرفية .
٣ ـ دار شبيبة الصليب الأحمر .
٤ ـ جمعية التقدم لرعاية المكفوفين .
٥ ـ جمعية صليب إعانة أرمن ـ باللاذقية .
٦ ـ جمعية صليب إعانة أرمن ـ بدمشق .
٧ ـ مأوى العجزة بحلب وهو يشغل اليوم بناء حديثاً يتألف من طابقين (بُستان الباشا ـ حي الميدان)،ويتسع لـ ١٥٠ عاجزاً .

١٠ ـ الأعياد الأرمنية :

من هذه الأعياد ما هو ديني،وبعضها وطني . وباعتبار الارمن من المسيحيين، فلهم ٥ أعياد دينية :

١ ـ عيد الميلاد : ويحتفلون به ٣ ـ ٤ أيام ويتزاور الأهل والأصدقاء خلاله وتجري استقبالات في الكنائس .
٢ ـ عيد الصعود : ويحتفلون به في الكنائس، كمايتزاور الأهل والأصدقاء .
٣ ـ عيد العذراء .
٤ ـ عيد الصليب .
٥ ـ عيد التجلي .

ومن الأعياد الوطنية :

١ ـ عيد الشهداء: ٢٤ نيسان من كل عام وتغلق فيه سائر المحلات ويتوقف الارمن عن نشاطهم اليومي ويؤبنون شهداءهم (٢٤ نيسان ١٩١٥) .

٢ ـ عيد فارتانانك : VARTANANK ويحتفل بهذا العيد منذ ١٥٣٠ عام تقريباً .

٣ ـ عيد القديسين ساهاك وميسروب مخترعا الأبجدية الأرمنية .

الخرافات والأساطير :

١ ـ تقول الاسطورة الارمنية ان ملك الأرمن ارداشيس الأول (١٣٩ قبل الميلاد) كان له ابن يدعى اردافست خرج يوماً الى الصيد وجن أثناءه فقبضت عليه الآلهة وأودعته جبل ماسيس (آرارات) وقيدته بالاغلال . . وتمضي الأسطورة فتقول:ان كلبين احدهما أبيض والآخر أسود يلحسان أغلاله،ويخشى الارمن أن يفلت من اصفاده،لأنه سيدمر العالم،لذلك ففي عيد رأس السنة يضرب كل عامل أرمني بمطرقة على سندانه لتمكين اغلال اردافست التي يلحسها الكلبان (تاريخ الأمة الأرمنية ـ الدكتور استارجيان) .

لوحة رقم ٩ ٢ ـ وهناك أسطورة الملك الارمني الوسيم آرا،الذي عشقته ملكة بابل سميراميس وأرادت الزواج منه فرفض،إذ كان يحب زوجته ، ولما يئست من انتزاعه من زوجته زحفت بجيوشها على أرمينيا حيث قتل آرا فحزنت عليه سميراميس وسجته فوق سطح قصرها (المصدر السابق) .

٣ ـ وهناك أسطورة العملاق ـ الجبار بل وهايك ـ كما شرحناها في البدء .

١١ـالشخصيات الأرمنية في سورية .

في دورة مجلس الشعب السوري قبل الحالي ، كان ثمة نائب أرمني هو السيد ليون غزال،وكان قد سبقه كنائب في مجلس الشعب السيد كريكور ابلغتيان. أما في العهود السابقة فقد وصل كل من الارمن التالين الى منصب النيابة :

١ ـ فريد ارسلانيان : نائب دمشق لدورة ١٩٤٧ ـ وهو محام حالياً .

٢ ـ نظريت يعقوبيان : نائب دمشق لدورة ١٩٤٣ ، ورشح نفسه لدورة ١٩٤٧ .
٣ ـ عبد الله فتال : نائب حلب لدورة ١٩٤٧ ، وكان يشغل منصب مفتش في وزارة العدل في السابق .
٤ ـ لويس هندية : نائب حلب لدورة ١٩٤٧ .

وقد برز من الارمن قادة عسكريون معروفون تماماً مثل هرانت ماليوان،وهو يحمل وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة (وكان مديراً للشرطة والأمن العام في حلب) ، ثم استلم قيادة الدرك العامة ١٩٤٥ ، وأصيب أثناء الخدمة بجراح . كما أنه يحمل وسام النيل (من مصر) من الدرجة الثالثة،ووسام الاخلاص السوري مع السيف . وفي الحق ان هذا الرجل يمثل إخلاص الارمن بأوسمته التي هي أوسمة للشعب الذي ينتمي اليه . وهناك اللواء كرمانوكيان،بالاضافة الى العديد من الضباط الارمن العاملين في الجيش السوري . وقد قدم العديد من الشهداء الارمن أرواحهم على التراب الفلسطيني في سبيل الوطن فاستحقوا تقدير الشعب السوري .

١٢ العادات والتقاليد :[1]

لكل شعب على وجه الارض عاداته وتقاليده الخاصة به وتكون بمثابة التراث الذي يتناقل به ، أباً عن جد ، مجموعة الأخلاق والتعاليم الموروثة . وللارمن كأي شعب آخر ، مثل هذه العادات والتقاليد التي تأثرت بعادات القبائل العربية التي سكنت بين ظهرانيهم في أرمينيا . وبعد فتح العرب لارمينيا احتك الشعبان فنشأت عن ذلك العادات العربية عند الارمن وأكثر من هذا تسمية أبنائهم بأسماء عربية « عبدالله ـ مليح ـ عباس الخ » . ومن الناحية الدينية تتلخص عاداتهم كالتالي :

١ ـ في الزواج : بعد أن يتفق الطرفان العريس والعروس ، يعين موعد الزواج ، فيذهب الرجل الى الكنيسة قبل المرأة التي تأتي بعده ، ويقف الاثنان أمام رجل الدين فتشبك يداهما ومعهما الاشبين فقط ويسألهما رجل الدين : هل ترضين

---

١ ـ الأرمن في سورية

بأن يكون لكما عائلة فترد بالايجاب ، ثم يسأل الزوج هل أنت موافق على تشكيل عائلة فيرد بالايجاب أيضاً وبعدها يقربهم الخوري من المذبح ويقوم بالصلاة للمرة الثانية وعندها يحضر والد الزوج والأقارب فيقدم الخوري كأس نبيذ ويقرأ عليها ثم يقدمها للعريس أولاً ثم للعروس ثم لوالد العريس ثم بقية الموجودين ولا يتناول هو شيئاً منها وبعدها يجري تبادل الخواتم من اليد اليمنى الى اليد اليسرى علامة انهما أصبحا زوجين ويباركهما الأهل والأصدقاء .

٢ - في الولادة : وفق التعاليم المسيحية يجب أن تتم العمادة ضمن تاريخ معلوم . وهو يمتد بين اليوم السابع للولادة وبين اليوم الاربعين لها . وتقضي مراسم هذه العمادة بوجوب وجود «الاشبين » الذي يكون عادة وكيلاً عن الأب وعن الأم .

ويقف الاشبين أمام الخوري ويسأله هذا ماذا يريد المولود ؟ فيرد الاشبين انه يريد (أي المولود) الايمان والحب لله والجميع والمعمودية .

ثم بعد القراءة يسأل الخوري الاشبين : ماذا تريد أن تسميه ؟ فيقول « الاسم » . . ثم يأخذ الخوري المولود ويعمده في وعاء يشبه الجرن ثم يعيده الى الاشبين ويأخذ الميرون (زيت الزيتون وضع فيه ٤٠ زهرة من أنواع مختلفة) ويغمس أصبعه فيه ثم يقول : باسم الاب والابن والروح القدس ، ويمسح جبهة المولود ثم عينيه ثم دقنه ثم أنفه ثم فمه ثم يديه وصدره ثم ظهره وأخيراً رجليه .

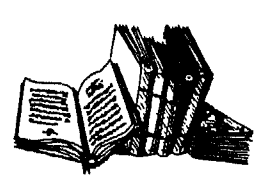
ويأخذ الأهل مولودهم ليلبسوه ويأخذه الاشبين بعد ذلك ويتقدم به الى الهيكل ماسكاً شمعتين (يكون الخوري في هذه الأثناء مشرفاً على الهيكل) فيأخذ المولود ويركع به ٣ مرات أمام المذبح قائلاً : « إن هذا المولود يركع أمام الله والابن والروح القدس» ثم يعودفيعطيه للاشبين ويطعم المولود قطعة صغيرة من الطحين المعجون بدون خميرة والذي يضعه الخوري بيديه « القربان » .

وأخيراً يعود الاشبين وأهل المولود الى البيت حاملين المولود الى أمه وبعد إجراء الصلاة تقبل هذه الأم يد الاشبين اليمنى وتأخذ ابنها .

الباب السابع

الأرمن بين الامس واليوم


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



بالأمس في عهد الامبراطورية البيزنطية، اعتلى عرش هذه الدولة اكثر من عشرين امبراطوراً ارمنياً، رغم الكراهية والعداء المستمر بين الشعبين الأرمني والرومي.

وأكثر من هذا فقد أضحى عدد كبير من الأرمن قادة في جيوش هذه الدولة، حتى ان احدهم وهو الجنرال ترسيس قد هزم امبراطور روما نفسه.

وكما وصلوا بجدهم واخلاصهم، بالأمس، الى مراكز المسؤولية هذه في بيزنطة، وجدنا بعضهم وزراء وحكاماً وقادة جيوش في دول أخرى.

واليوم، في جمهورية ارمينيا السوفيتية، يعيشون في وطن مصغر قدروا من خلاله أن ينجبوا اشخاصاً أصبح بعضهم رئيساً لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية نفسه (انسطاس ميكويان)، وآخر يخترع طائرة الميغ (ارام ميكويان) المشهورة . . .

كيف حدث هذا وهم الموزعون في العالم منذ قرون؟ . . . هذه هي مهمة هذا الباب الذي سيتولى ايضاحها عبر الفصول التالية :

الفصل الأول : الأرمن بالأمس : اباطرة وحكام في الامبراطورية البيزنطية، ووزراء وقادة في دول الاتحاد السوفيتي وايران .

الفصل الثاني : الأرمن اليوم : جمهورية ارمينيا السوفيتية.

الفصل الثالث : الأرمن في العصر الحديث :

الفصل الرابع : اعلام الأرمن في القرن العشرين .

الفصل الأول

الأرمن اباطرة وحكام في الامبراطورية البيزنطية
ووزراء وقادة
في دول الاتحاد السوفيتي وايران

ندر، أن عرف تاريخ الانسانية، شعباً، خبر ما مرت به الامة الأرمنية عبر تاريخها الطويل من كوارث ومصائب مستمرة، تناولت بالتفتيت عزتها القومية، وبالقتل والتشريد عنصرها البشري، وبالأذابة والتهديم تراثها الثقافي [1]

والغريب في الموضوع ، أن هؤلاء الأرمن رغم هذه الويلات مجتمعة ، وهذه التقسيمات المتتالية، التي اصابت أيضاً أراضي بلادهم ومؤسساتهم على مختلف انواعها ، كما بيناه في حينه من فصول هذا الكتاب ، فان شيئاً من هذا كله لم يؤد ، بشكل أو آخر ، إلى ضياعهم كأمة متماسكة وواحدة ، او زوالهم من خارطة شعوب الأرض كما حدث لمعاصريهم من الأمم الأخرى كالحثيين والأشوريين والبابليين والميتانيين والفريجيين والتراقيين الخ . . وانما على العكس تماماً فان كل فرد ، من هذه الامة الغريبة حقاً بصفاتها الفيزيولوجية والسيكولوجية ، قد شكل بحد ذاته، كيانا ثابتاً غير قابل للتداعي أو الانهيار مع واحدة فقط من هذه الكوارث .

وأكثر من هذا ، ورغم خضوع ارمينيا ، على مدى تاريخها بالتقريب ، لحكم الفرس تارة،والاغريق تارة اخرى،وللبيزنطيين والرومان مرة ثالثة،وحتى الروس، والعثمانيين،والايرانيين مرات رابعة وخامسة وسادسة . . فان العديد من

١ ـ واستعراض الفصول السابقة كلها ، يؤكد عدم المبالغة أو التهويل في هذه العبارات.

الشخصيات الأرمنية اللامعة قد احتلت ، رغم ضياع وطنها وفقدانـه الاستقـلال الضروري لكل شعب ليأمن تقدمه الحضاري والقومي والروحي ، مراكز مرموقـة وعلى درجة عالية من الأهمية والحساسية في هذه الامبراطوريات والدول المستعمرة لارمينيا نفسها ، وذلك دون أن يكون وراء وصول هذا الأرمني ، او ذاك ، إلى هذه المناصب ، إلا سند واحد لا يمكن أن نعلله إلا بتلك الحيوية والديناميكية المتميزة التي انفردت بها الشخصية الأرمنية نفسها . . وإلا كيف نفسر وصول هؤلاء الأرمن ، (وبالجملة)،الى حكم الامبراطورية البيزنطية بالذات،كاباطرة،رغم ان هذه الأخيرة قد حكمت بدروها الدولة الارمنية نفسها ؟ . . أو كيف نعلل تلك المكانات السامية التي تسلمها الأرمن في الامبراطـورية العـربية وعلى المستـوى العسكري والاداري ايضاً . وأبعد من هذا ما هي الطريقة التي نقدر بواسطتها ومن خلالها ان نحـدد السبب في بروز هذا العدد الكبير من الشخصيات الارمنية كوزراء وحكام وقادة في الامبراطوريات الأخرى التي ضمـت أرمينيا اليهـا والحقتهـا بهـا ، كدولـة فارس وامبراطورية بني عثمان وروسيا القيصرية ؟ . .

أننا لا نستطيع ان نجد جواباً لهذه الاسئلة،إلا عبر تفسير واحد،وهو أن ثمة صفات غير محددة من نوعها ، ومضامين مخصوصة جداً احتلت،(وما زالت)،مكانا صمياً في أعماق النفس البشرية الأرمنية على مدى تاريخ هذا الشعب ، كانت هي السبب في ايصاله الى ما تحدثنا عنه،بل وفي استمراره بالبقاء كواحد من شعوب العالم المعاصر في مختلف الدول .

ونحن في كل ما تقدم لا نطلق هذا الكلام على عواهنه ، بل نذكرهُ مستندين في ذلك الى ما أورده التاريخ نفسه في هذا الصدد وفق ما يلي :

١ ـ الأرمن « أباطرة » EMPERORS في الامبراطورية البيزنطية [١] .

من الممكن أن يصل بعض افراد « امـة غريبة »،الحقـت بدولـة ثانية،نتيجـة

١ ـ نرجو عند قراءة كل نبذة الرجوع الى تاريخ أرمينيا تحت حكم الدولة المعنية بالنبذة المذكورة .

« ظروف معينة »، إلى مراكز مرموقة في هذه الدولة الأخيرة، نتيجة دهاء وعبقرية بعض مواطني الدولة المستعمرة[1] . ولكن وصول « هؤلاء » يبقى بدوره محدوداً بمراكز قليلة، وعلى مستوى متواضع من مراكز المسؤولية في الدولة المستعمرة[2] ، وباعداد قليلة جداً أيضاً . . أما أن يكون الشعب ، الذي يتألف منه هؤلاء الأفراد الذين تسلموا «هذه المراكز» ، أي حكم الدولة التي استعمرت أمتهم ، على نزاع دائم معها لأسباب دينية وقومية ، ثم يستطيع عدد غير محدود من هؤلاء الافراد «المستعمرين »[3] أن يصبحوا على رأس جهاز الحكم في الدولة الغازية ، فهو أمر غير عادي . .

وبهذه المناسبة يذكر التاريخ ، في أكثر من أحد عشر مصدراً عدنا اليها جميعاً للتحقق مما سنورده الآن ، ان الأرمن كانوا واحداً من أهم شعوب الأمبراطورية البيزنطية وأكثرهم تأثيراً في مجرى حياتها .

وتأكيداً على ما تقدم فاننا سنبدأ من الابسط إلى الأكثر تعقيداً وتحديداً فيما يعنينا من هذا الفصل . فبالنسبة للحياة العسكرية في بيزنطة فان عديداً من المؤرخين، يذكرون اسماء خمسة عشر قائداً (جنرالا) في جيش الأمبراطور جوستينيان JUSTINIAN وحده . ومن هؤلاء القائد الأرمني نرسيس[4] NARSIS ، وبتروموس PETROMOS (شقيق امبراطورة بيزنطة ثيودورا THEODORA) ، وكوركداس CURGUDAS ، وأمير البحر (ادميرال) موسيل (او موشيل) ، MUSELLE الخ .

وإذا انتقلنا إلى جهاز الادارة، وجدنا عدداً لا يستهان به من الأرمن يضحون حكاماً للدول التي ضمتها الامبراطورية البيزنطية إلى أملاكها (وقد مرت معنا حروب أرمينيا مع بيزنطيه في القرنين العاشر والحادي عشر . وكذلك حروب

---

١ - بفتح الميم والراء .
٢ - بكسر الميم .
٣ - بفتح الميم .
٤ - نرسيس فتح ايطاليا وانتصر على القائد (القيصر) الروماني أوغسطين .

الدولتين في كيليكيا ايضاً ، وأكثر من هذا مهاجمة هذه الامبراطورية البيزنطيةلارمينيا على مدى القرون الرابع وحتى العاشر واقتسامها مع الامبراطورية الفارسية) .

وقد بلغ شأن بعض هؤلاء القادة العسكريين والحكام الاداريين في الدولة البيزنطية أهمية بالغة اوصلتهم إلى عرش الامبراطورية البيزنطية نفسه . وبالاجمال يمكننا ان نعدد واحداً وعشرين امبراطوراً أرمنياً تسلموا حكم هذه الدولة منهم ثلاثة عشر امبراطـوراً وثماني امبراطـورات نورد فيما يلي لائحـة باسمهائهـم وتـواريخ حكمهم :

١ ـ الاباطرة الأرمن الذين حكموا الامبراطورية البيزنطية :

١ ـ موريس[١]	MORISUS.	٥٨٣ ـ ٦٠٢	ميلادية.
٢ ـ هيركيوليس	HERCALIUS	٦١٠ ـ ٧١٣	ميلادية.
٣ ـ فيليبكيوس	PHILIPIXIOUS.	٧١١ ـ ٧١٣	ميلادية.
٤ ـ ليون الخامس	LION V.	٨١٣ ـ ٨٢٠	ميلادية.
٥ ـ باسيل الأول	BASIL I.	٨٦٦ ـ ٨٨٦	ميلادية.
٦ ـ ليون السادس الفيلسوف	LION VI.	٨٩٠ ـ ٩١١	ميلادية.
٧ ـ الكسندر باسيل الأول	ALEXANDER.	٩١١ ـ ٩١٢	ميلادية.
٨ ـ قسطنطين السابع	COSTANTINE VII.	٩١٣ ـ ٩٥٩	ميلادية.
٩ ـ رومان الأول	ROMAN I.	٩١٨ ـ ٩٤٤	ميلادية.
١٠ ـ رومان الثاني	ROMAN II.	٩٥٩ ـ ٩٦٣	ميلادية.
١١ ـ أوهانس	OHANS.	٩٦٩ ـ ٩٧٦	ميلادية.
١٢ ـ باسيل الثاني	BASIL II.	٩٧٦ ـ ١٠٢٥	ميلادية.
١٣ ـ قسطنطين التاسع	COSTANTINE IX.	٩٧٦ ـ ١٠٢٨	ميلادية.

---

١ ـ واسمه بالكامل فلافيوس ديبيرموس موريسيوس.

٢ ـ الامبراطورات الارمنيات اللواتي حكمن الامبراطورية البيزنطية :

١ ـ مارينـا.	MARINA.	٧٨٨ ـ ٧٩٥	ميلادية.
٢ ـ ثيودوثيا.	THEODOSIA.	٨١٣ ـ ٨٢٠	ميلادية.
٣ ـ اوفروزاين.	EFOZINE.	٨٢٣ ـ ٨٣٠	ميلادية.
٤ ـ ثيودورا (الاولى)	THEODORA I	٨٣٠ ـ ٨٦٧	ميلادية.
٥ ـ هيلانة.	HELLINA.	٩١٩ ـ ٩٦١	ميلادية.
٦ ـ ثيودورا (الثانية).	THEODORA II.	٩٧١ ـ ٩٧٦	ميلادية.
٧ ـ ثيودورا (الثالثة).	THEODORA III.	١٠٤٢ ـ ١٠٥٦	ميلادية.
٨ . ريتـا.	RITA	١٢٩٦ ـ ١٣٣٢	ميلادية.

وإلى جانب ما تقدم فقد لعب الارمن في الامبراطورية البيزنطية دوراً هاماً في حياتها الاجتماعية،وأكبر دليل نسوقه هنا قيام الامبراطور الأرمني بارداس بتـأسيس جامعة القسطنطينية،التي أنجبت العديد من الفلاسفة الأرمن المرموقين.

ومما تقدم يتضح ان الشعب الأرمني قد ساهم ـ والى حدود معينة ـ في صنع عظمة بيزنطة وفي تطـوير تقدمها . كما وأمدهـا برجـال الادارة والجيش والحـكام والفلاسفة والضباط والجنود . .

ويذكر العديد من العلماء المعاصرين ان ثمة مشاركة معينـة محـدودة ومعينـة ومتلازمة ما بين الفن الأرمني والبيزنطي في مجال الريازة (الهندسية المعمارية) [١] .

٢ ـ الأرمن رؤساء ووزراء وقادة في دول إيران والاتحاد السوفيتي :

وبقـي الأرمـن موزعين في دول العالـم ، وفي دولتهـم ضمـن الاتحـاد السوفيتي، وفي ايران وفرنسا وأميركا والهند ورغم فُرقتهم هذه عملوا لمصلحة هذه البلاد التي وجدوا فيها.

---

١ ـ يرجى الرجوع بهذا الشأن الى الفصل الخاص بالريازة الأرمنية في هذا الكتاب.

وكان من الممكن ، لولا ذلك التحليل الذي اوردناه في مطلع هذا الفصل ، والذي اشرنا فيه الى تلك الخصوبة الفكرية والعقلانية المرتفعة المستوى التي تمتع بها هذا الشعب . . نقول كان من الممكن، على مدى العصور والقرون الطويلة التي مرت على الأرمن في «المنفى»، ان تذوب شخصيتهم القومية، وان تنصهر في بوتقة القوميات التي عاشوا بينها، وان تضيع في زحمة الاحداث ولا يعود الانسان فيسمع شيئاً عن هؤلاء الذين اسمهم «الأرمن».

اما ما حدث فقد كان على العكس . . ولنر ما فعلوه في هذه الدول :

١ ـ الأرمن وزراء وقادة جيش في الاتحاد السوفيتي :

لم يكن انتماء الأرمن إلى الاتحاد السوفيتي تبعاً لكون بلادهم (جمهورية أرمينيا الاشتراكية) احدى جمهوريات هذه الدولة ، كافياً في حد ذاته لوصولهم الى أعلى المناصب في دولة كبرى مثل هذه البلاد لولا ، ذلك الاخلاص والمقدرة والنبوغ الذي ابدوه ـ على الطبيعة ـ وفي مختلف المجالات السياسية والعسكرية والثقافية والفنية .

فهذا[1] هو انسطاس ميكويان يصبح رئيساً لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية . . وهذا هو المارشال باغريان قائد الكلية العسكرية الروسية . . وهذا هو المارشال سافريان أول من دخل بجيوشه برلين خلال الحرب العالمية الثانية .

ويذكر السيد كرسام اهارونيان في كتابه « القضية الأرمنية أمام الرأي العام العالمي » أن « الشعب الارمني قد ساهم مساهمة فعالة ومشرفة في الحرب الوطنية الكبرى [2]،إذ قاتل زهاء ٣٠٠ ألف أرمني في صفوف الجيش الأحمر وسقط منهم ٥٠ ألفاً في مختلف قطاعات الجبهة».

ويضيف المؤلف المذكور قائلا : أن سبعين من العسكريين الأرمن قد رفعوا

---

١ ـ راجع بهذا الخصوص كتاب تاريخ الأمة الأرمنية لمؤلفه الدكتور ك . ك . استارجيان .

٢ ـ والمعروف أن الروس يسمون الحرب العالمية الثانية (فيما يخص منها حروبهم ضد النازية بهذا الاسم أي/ الحرب الوطنية الكبرى .)

الى رتب اعلى ، بين قائد جيش وقائد بحرية ومارشال للاتحاد السوفيتي ، كما نال مئة وستة مقاتلين لقب بطل الاتحاد السوفيتي،وحاز آلاف آخرون على أوسمة حربية مختلفة .

وقد اشترك المقاتلون الأرمن في الدفاع عن مدن اوديسا (على البحر الأسود)، وسيبايتبول، وموسكو ، ولينغراد،حيث برز القادة كينوسيان وهايك مرديروسيان وسركيس مرد يروسيان . أما في معارك الدفاع عن لينغراد وتحريرها فاشتهر القائد كالوستيان وغيره من القادة العسكريين الأرمن .

٢ ـ الأرمن في الدولة الايرانية،يبرم خان :

شغل هذا الرجل منصب مدير الأمن العام في إيران ، وبالاجمال فقد كان ، لدى هذه الشخصيات الأرمنية التي برزت في الدولة البيزنطية ثم الروسية والايرانية ، كفاءات ومهارات مكنتها من أن تغرض وجودها وحضورها بسبب انتمائها الى الأرض التي تعيش عليها وابدائها الاخلاص الكامل للقضايا الوطنية للبلاد التي عاشوا فيها.

* * *

الفصل الثاني

جمهورية ارمينيا السوفيتية

THE SOVIET SOCIALIST REPUBLIC OF ARMENIA

أعلنت أرمينيا الشرقية جمهورية سوفيتية بتاريخ ٣ كانون الأول عام ١٩٢٠. وفي عام ١٩٢٢ أصبحت أرمينيا احدى جمهوريات اتحاد ما وراء القوقاز الاشتراكية السوفيتية، الذي ضم أيضاً كلا من جمهوريتي اذربيجان وجيورجيا.

وعندما قامت حكومة الاتحاد السوفيتي بتعديل الصيغة الدستورية لبنيانها الاداري ، تناول هذا التعديل دول الاتحاد المذكورة،حيث أصبحت أرمينيا الشرقية بموجب القانون الاساسي[١] للدولة السوفيتية الصادر عام ١٩٢٦،جمهورية مستقلة ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي الخمس عشرة التي تألف منها وقتذاك (وما زال) وحملت اسم جمهورية أرمينيا السوفيتية الاشتراكية وعاصمتها يريفان.

هذا وتبلغ مساحة هذه الجمهورية اليوم ٣٠٠٠٠ كم٢[٢] تقريباً،أي عشر مساحة أرمينيا الطبيعية . ويحدها من الشمال جمهورية جيورجيا السوفيتية ، ومن الغرب الولايات الشرقية والشمالية الشرقية من أرمينيا التركية ، ومن الشرق جمهورية اذربيجان الاشتراكية السوفيتية ، ومن الجنوب (والجنوب الشرقي والغربي) ايران.

وتتألف جمهورية ارمينيا السوفيتية طبيعياً ، تماماً كأرمينيا التاريخية ، من هضبة واسعة يتراوح ارتفاعها بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ م عن سطح البحر ، كما وتخترقها

---

١ - أي الدستور.

٢ - والرقم الصحيح هو ٢٩٨٠٠ كم٢.

سلسلة من الجبال الممتدة من آسيا الصغرى وحتى ارمينيا،وأهمها آرارات الكبير والصغير وجبال آلاغوس . . أما سهولها فأهمها أودية آراكس وزانكيزور . وتعتبر أراضي هذه الجمهورية وتربتها من نفس ذلك النوع الذي عهدناه في الأراضي الأرمنية عموماً ، أي أنها تتألف من أراضٍ بركانية تغطيها الصخور ومادة التوفا TUFA . وإن كانت هذه المظاهر الطبيعية لا تحول دون وجود تربة رسوبية واخرى غرينية صالحة للزراعة. وبالنسبة للمناخ فهو اقليمي يفتقر الى الأمطار التي يبلغ معدلها السنوي ٣٠٠ـ ٤٥٠ مم في السنة ، وهو معدل منخفض تماماً وغير كاف لري الأراضي ، مما دفع بالحكومة السوفيتية الى اقامة العديد من مشاريع الري والسدود على الأنهار الأرمنية.

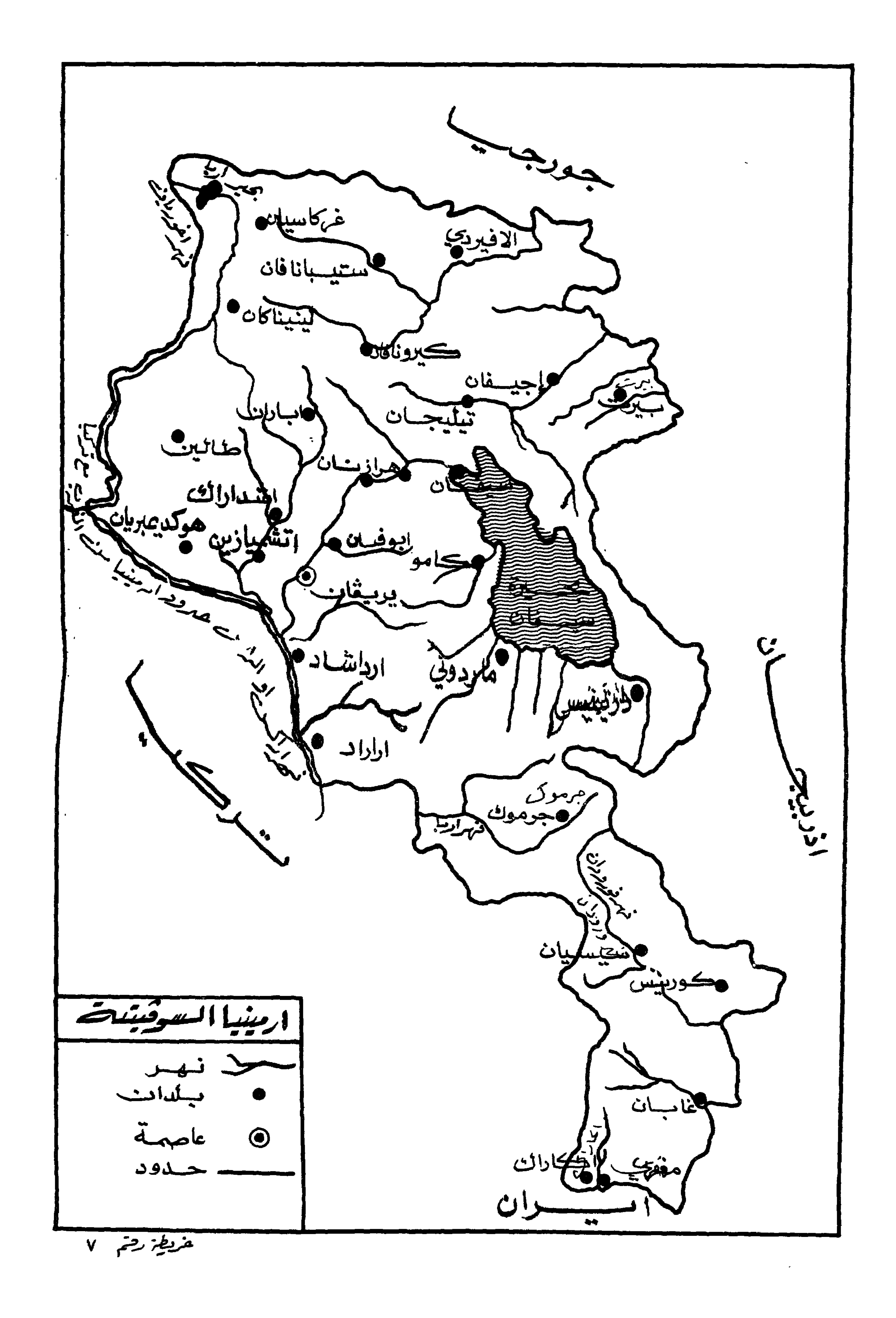
١ ـ الحياة البشرية : اشارت الاحصاءات الرسمية لعام ١٩٧٩ الى ان عدد سكان أرمينيا السوفياتية قد بلغ ٣,٠٣١,٠٠٠ نسمة يشكل الأرمن منهم ما نسبته ٨٩,٤ في المئة . . أما ما تبقى فتتوزع نسبته (وحسب الترتيب) على الاذربيجانيين والروس والأكراد والسريان . . كما تبلغ نسبة الكثافة ١٠٠ نسمة في الكلم[٢] . خريطة رقم ٧

أ ـ توزع السكان : يقطن ثلث السكان في العاصمة يريفان ؛ وأما ما تبقى فيتوزع على المدن والقرى الأخرى. هذا ويشكل سكان المدن ما نسبته ٥٥٪ من مجموع السكان العام .

ب ـ زيادة السكان : يبلغ متوسط الزيادة في عدد سكان أرمينيا ما مقداره ٢٣,٣ نسمة لكل ١٠٠٠ شخص، وهذه الزيادة تُشكل ضعفي متوسط الزيادة في عدد سكان الاتحاد السوفيتي نفسه، مما يسمح لارمينيا باحتلال المركز الرابع بعد الجمهوريات الإسلامية في نسب الزيادة هذه. وفي الحقيقة يرجع السبب في هذا، الى ارتفاع عدد المواليد وعودة ٢٠٠,٠٠٠ مهاجر الى الوطن منذ مطلع القرن الحالي .

جـ ـ السكن : ارتفعت مساحة السكن في أرمينيا بين أعوام ١٩٢٢ـ ١٩٧٤ من ٠,٩ مليون م^3 الى ١٨ مليون م^3، أي الى اكثر من ٢٠ ضعفاً . كما تم خلال عام ١٩٧٤ تسليم ما مقداره ٢,٣ مليون م^3 من المساكن لأفراد الشعب، أما في عام





جورجيا
تركيا
أذربيجان
ايران
غركاسيان
الافيردي
ستيبانافان
لينيناكان
كيروناكان
اجيفان
تيليجان
بيرت
ابارات
طالين
هرازنان
اشداراك
هوكديمبريان
اتشميازين
ابوفان
كامو
يريفان
بحيرة سيفان
اراشاد
ماردولي
ارتيشيس
ارارات
جرموك
جوموك
نهر اربا
سيسيان
كورينس
غابان
مغري
اكاراك
ارمينيا السوفيتية
نهر
بلدان
عاصمة
حدود

خريطة رقم ٧


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩٧٩ فقد ارتفعت مساحات السكن المسلمة للمواطنين الى ٢,٧ مليون م٣ بحيث ارتفع بذلك متوسط المساحات المخصصة للفرد الواحد الى ١٠,٨١م٢. وفي المقابل يعتبر السكن مجانياً، حيث لا يدفع المواطن مقابل سكنه إلا أجوراً رمزية.

٢ ـ التعليم العام والمدارس:

التعليم العام الزامي ومجاني تتولاه الدولة نفسها وبشكل منفصل عن سلطة الكنيسة، وعملياً ينقسم التعليم نفسه الى المراحل التالية: التعليم العام الابتدائي، التعليم العام الثانوي، التعليم العام الاختصاصي، التعليم المهني، التعليم الجامعي. وقد أشارت احصاءات عام ١٩٧٩ الى أن عدد الطلاب في جميع هذه المراحل قد بلغ ما مقداره ١,١٣٤,٠٠٠ طالب.

آـ **التعليم الابتدائي**: ومدته ٨ سنوات. يبدأ في سن السابعة وينتهي في سن الخامسة عشرة من عمر الطالب. وتستخدم اللغة الأرمنية في التعليم لهذه المرحلة. هـذا وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية (عام ١٩٧٥) ما مقداره ١٥٩٦ مدرسة منها ٨٨٣ في الارياف، كما بلغ عدد طلاب هذه المرحلة ٦٠٧,٠٠٠ طالب، في حين بلغ عدد طلاب المرحلة الثانوية، المهنية ٢٨٠٠٠ طالب. أما عدد طلاب المرحلة الثانوية الاختصاصية فهو ٥٤,٠٠٠ طالب، كما يبلغ عدد الجهاز التعليمي لهذه المراحل كافة ٤٢,٠٠٠ مدرس (احصاء ١٩٧٥) منهم ٢٧,٨١٥ يحملون شهادات جامعية.

ب ـ **التعليم الجامعي**: التعليم الجامعي مجاني. ولمعظم الكليات فروع في مختلف المدن عدا العاصمة يريفان. وتقسم مراكز التعليم العالي على النحو التالي:

جامعة يريفان: تأسست عام ١٩٢٠ وأصبحت تضم اليوم ١٥ كلية موزعة على الشكل التالي:

كلية التاريخ ـ كلية الحقوق ـ كلية الآداب ـ كلية آداب اللغة الروسية ـ كلية الاستشراق (قسم اللغة العربية) ـ كلية الفيزياء ـ كلية الفيزياء الكونية ـ كلية الكيمياء ـ كلية علوم الأحياء ـ كلية الجيولوجيا ـ كلية تخريج مدرسي الرياضيات والفيزياء للمدارس كافة.

هذا وقد بلغ عدد طلاب كليات جامعة يريفان عام ١٩٧٥ ما مقداره ١٠,٩٤٥ طالباً. ومدة الدراسة هي ٥ سنوات وتضاف سنة دراسية سادسة للدراسة المسائية. وللجامعة يريفان مرصد فلكي خاص بها، كما يتبعها ١٢٣ مختبراً للأبحاث ومكتبة تحوي ١,٤١٥,٠٠٠ كتاب ودار خاصة للنشر تقوم باصدار المجلات العلمية والدورية أو الشهرية.

والمعروف ان جامعة يريفان تقوم بمنح شهادة الدكتوراه لجميع الكليات والفروع

معهد يريفان البيطري: تأسس عام ١٩٣١ ويضم ٢٦٥٠ طالباً. كما يبلغ عدد جهازه التعليمي ٣٢ مدرساً من حملة الدكتوراه و١٥٢ مرشحاً للعلوم. ويملك المعهد مكتبة تحوي ٣٠٠ ألف كتاب، كما يصدر مجلة خاصة به.

معهد الطب: تأسس عام ١٩٢٢ ويتبع وزارة الصحة والحق عام ١٩٣٠ بجامعة يريفان ويمتلك المعهد ٦٠ كرسياً لجهازه التعليمي، كما يدرس فيه ٧٠ شخصاً من حملة الدكتوراه و٢٣٥ من مرشحي العلوم.

هذا وتبلغ مدة الدراسة في المعهد ٧ سنوات. كما يبلغ عدد الطلاب ٢٧٢٥ طالباً يمنحون شهادة الدكتوراه عند تخرجهم.

معهد البولي تكنيك: ويعادل كلية الهندسة. تأسس عام ١٩٣٠ وينقسم الى الكليات التالية:

كلية الهندسة المعمارية- كلية الهندسة المدنية- كلية الهندسة الكيميائية- كلية الهندسة الميكانيكية- كلية تقنية الالكترويات- كلية الالكترونيات. وقد بلغ عدد طلاب هذا المعهد حسب احصاءات عام ١٩٧٥، ١٣٤٣ طالبا.. وتتبعه مكتبة تضم ٦٠٠,٠٠٠ كتاب.

وهناك كليات خاصة لطب الأسنان والصيدلة والهندسة الزراعية والاسكان والصحافة..

٣ ـ الحياة العلمية

تبلغ عدد مواطني أرمينيا السوفيتية العاملين في المجال العلمي والبحوث

١٨,٠٠٠ عالم واختصاصي. والمعروف أن أكاديمية العلوم في الجمهورية هي التي تقود معظم الأبحاث العلمية بالاضافة الى نشاطات الجامعات وبعض المراكز الاختصاصية.

آ - أكاديمية العلوم في أرمينيا السوفيتية: وتأسست عام ١٩٤٣وقد ضمت عام ١٩٧١ ما مقداره ١٧٧٠ طالباً قام بتدريسهم ٤٣عضواً اصيلاً و٤٧ عضواً مراسلاً و٤ أعضاء شرف وعضوين من الخارج.

أقسام الأكاديمية:

مرصد بيوراكان PURAGAN الفلكي- قسم الفيزياء الرياضية- معهدالرياضيات البحتة والحاسبات- قسم الرياضيات الميكانيكية- معهد الكيمياء العضوية للمواد الدقيقة- قسم الكيمياء الحيوية- معهد الكيمياء العامة والعضوية- قسم الكيمياء الفيزيائية- قسم الجيولوجيا- قسم الجيوفيزياء- قسم علم الأحياء- قسم علم النبات والأحياء الدقيقة- قسم الفيزيولوبيا- معهد الأحياء المائية- قسم العلوم العامة- قسم التاريخ- قسم العلوم الاقتصادية- معهد آجاريان AGARYAN للعلوم اللغوية،- قسم الفلسفة- معهد ابيقيان APEGHIAN للآداب- قسم الاستشراق- معهد شكسبير.

ويلاحظ من هذا التعداد مدى الاهتمام الجدي الذي يبديه المسؤولون في الاتحاد السوفيتي وارمينيا للعلوم الحديثة على مختلف فروعها مما يؤهل مواطني هذه الجمهورية بل ويساعدهم على بلوغ المراتب العلمية الفريدة في العالم كله، وهو ما نلحظه فعلاً في نطاق الأبحاث الجارية، في الاتحاد السوفيتي حاليا حيث يشكل الأرمن عدداً واسعاً من مجموع العلماء العاملين في مختلف هذه الفروع وتطبيقاتها العملية.

هذا وتضم مكتبة الاكاديمية ٢,٨٠٠,٠٠٠ كتاب. كما يتم تبادل المنشورات مع ٧١٧ مركزاًعلمياًفي مختلف أرجاء العالم. وكذلك قامت الأكاديمية بنشر ١٩٣٢ مؤلفاً في شتى الاختصاصات المذكورة اعلاه بين اعوام ١٩٤٥- ١٩٧٢. ويضاف الى ما تقدم اصدار الاكاديمية لـ(٨) مجلات اختصاصية بالاضافة الى اعداد ونشر الموسوعة الأرمنية. هذا ويرأس الأكاديمية الأرمنية الفلكي المشهور فيكتور هامبارسوميان. VICTOR HAMPARTSOUMIAN

ب ـ **مرصد بيوراكان الفلكي** :وتأسس عام ١٩٤٦ على السفح الغربي لجبل أراكاتس على ارتفاع ١٥٠٠ م عن سطح البحر. ويبلغ قطر المنظار الفلكي في المرصد ٢,٦م على نظام المرايا الفلكية.

ج ـ **مركز أبحاث الأشعة الكونية** :تأسس عام ١٩٤٣ على جبل أركاتس أيضاً وبارتفاع ٣٢٠٠م عن سطح البحر وذلك بجهود الاخوين اليخانيان ALIKHANIAN حيث يعتبر المركز الأول من نوعه في الاتحاد السوفيتي بما يمتلكه من أكبر مقياس طبقي مغناطيسي بمغناطيس ثابت: MAGNATIC SPECTROMETER WITH RIGID MAGNETS.

د ـ **معمل انتاج العقول الالكترونية ـ نائيري NAIRI** :

ويحتل المرتبة الثالثة في الاتحاد السوفيتي بين المعامل المنتجة للعقول الالكترونية. تأسس عام ١٩٦١. وهو ينتج أنواعاً مختلفة من أنظمة العقول (٧ أنواع) الالكترونية، وكان آخرها هو النظام المسمى بـ NAIRI الذي حاز على عدد كبير من المداليات في المعارض الدولية في لايبزيغ ـ سان باولو ـ بغداد...

لوحة رقم ٥٨

هـ **مركز الأبحاث النووية**[1]: ويقع في العاصمة يريفان، ويتابع كل ما يجدّ من أبحاث في العلوم الالكترونية. وهو يضم اجهزة المسرّع الالكتروني الدائري الأكبر من نوعها في الاتحاد السوفيتي، ومنها المسرّع بطول ٢١٧ م.

وبالاضافة الى ما تقدم نذكر مركز أبحاث الكيمياء العضوية الدقيقة ـ ومركز أبحاث الزلازل الخ...

٤ ـ الحياة الثقافية:

الشعب الأرمني، كما مر معنا عبر أبواب وفصول هذا الكتاب، شعب عريق بحضارته وثقافته. وثقافة هذا الشعب في الواقع هي ناتج عشرات السنين. ومن هنا وعقيب تطبيق النظام الاشتراكي في ارمينيا، وجدنا التعليم الزامياً ومجانياً بحيث انمحت الأمية تماماً، مما أدى بدوره الى تطور متواتر في المستوى الثقافي لمجموع الشعب الأرمني في ارمينيا وقفز بالتالي

١ ـ الموسوعة الأرمنية المجلد الأول ص: ٦٧٩

قفزات سريعة في هذا الصدد:

آ ـ الأدب: قامت الدولة الأرمنية الفتية عقيب تأسيسها باحتضان الأدب الأرمني القديم منه والحديث، كما فتحت المجال أمام الأدباء للانتاج والابداع مقدمة في سبيل ذلك جميع التسهيلات التي تضمن تحقيق هذه القفزات الأدبية.

ومن هنا وجدنا المؤلفات الموضوعة تزداد كمًا وكيفاً خاصة وأن الأدب أصبح الآن ملكاً للشعب. ومن ناحية أخرى نشطت الترجمة بدورها وامتزجت مع الأدب الوليد فأعطت للبلاد وجهاً ثقافياً متميزاً.

أشهر وجوه الأدب الأرمني في أرمينيا السوفيتية:

ـ يغيشيه تشارنتس YEGHSHE TCHARENTS ١٨٩٧ـ ١٩٣٧. أديب وشاعر وثوري. أهم أعماله: أسطورة دانتي ـ أرض نابيري ـ قصائد ـ كتاب للطريق.

ـ نائيري زاريان من مواليد عام ١٩٠٠. فقد أهله خلال مجزرة ١٩١٥. معظم مؤلفاته روائية. أهم أعماله: «في بلاد الفتاة الزرقاء»«ارا الجميل (مسرحية). ومن رواياته: الأستاذ بيدروس.

ـ هوفهانيس شيراز HOVHANNES SHIRAZ. ولد عام ١٩١٤ شاعر قومي. أهم أعماله: سيامنطو وخاجيزاره ـ أغنية أرمينيا ـ كتاب الأغاني ـ قصائد آني.

ـ أكسيل باكونتس AKSEL PAKOUNTS ١٨٩٩ـ ١٩٣٩. مهندس زراعي فضل الأدب. معظم أعماله روائية وقصصية. أشهر مؤلفاته: الإنسان الأحمق ـ المطر ـ الحصان الأبيض.

ـ باروير سيفاك B.SEVAK ١٩٢٤ـ ١٩٧١. من أعظم وجوه الأدب الأرمني الحديث.. قضى في حادث سيارة. من أهم أعماله: طريق الحب ـ برج الأجراس ـ الإنسان في الكف.

وهناك عدد كبير من أدباء أرمينيا نذكر منهم: سيلفا قابوديكيان. فاهاكن طافطيان.. ومعظم مؤلفات هؤلاء مترجمة الى الروسية.

ب ـ دور النشر والكتب:[1]

---

١ ـ الموسوعة الأرمنية ـ المجلد الثالث. ص٨٩

بالإضافة لدور النشر التابعة للمؤسسات العلمية والجامعات والكليات فإن ثمة أربعة دور أخرى كبيرة للنشر في أرمنيا هي :

- دار هاياستان للنشر.
- دار لويس (النور) للنشر.
- دار الأكاديمية للنشر.
- دار الجامعة للنشر.

وقد قامت هذه الدور مجتمعة عام ١٩٧٩ بنشر ١١٠٠ كتاب وبعدد نسخ بلغ ١١ مليون نسخة. أما الكتب ذات الاهتمام الاختصاصي المنشورة فيبلغ عدد نسخها من ٢٥٠٠ـ ٣٠٠٠ نسخة سنوياً. وبالنسبة للأعمال الأدبية والكتب الشعبية فيرتفع هذا العدد الى ١٠,٠٠٠ـ ٨٠,٠٠٠ نسخة، سنوياً. وبهذا تكون المطابع الأرمنية الحديثة هي الخلف الأصيلي لأول مطبعة أرمنية تأسست عام ١٥١٢ في مدينة البندقية بعد ٥٠ عاماً فقط من اختراع غوتنبرج لأول آلة طابعة في العالم.

ج ـ الموسوعة الأرمنية السوفيتية :

بعد انتظار دام أكثر من ثلاثين عاماً على ظهور أول فكرة لوضع وتأليف موسوعة أرمنية، نجحت الأكاديمية الأرمنية في تحقيق وتنفيذ تلك الفكرة حيث بدأ ما يزيد عن ١٠ آلاف شخص في العمل معاً، كل في اختصاصه، لانجاز هذا العمل الحضاري. وبالفعل فقد صدر المجلد الأول منها عام ١٩٧٤، وسيتم الانتهاء من اعداد كافة أجزاء هذه الموسوعة خلال ٦ـ ٧ سنوات بحيث تضم ١٢ مجلداً وذلك لما مقداره ٥٠,٠٠٠ مادة[1].

د ـ **الصحافة**[2]: يتم في أرمنيا طباعة ٨٠ صحيفة و١٠٠ مجلة ونشرة دورية يصل عدد نسخها الى اكثر من مليون نسخة تغطي في مواضيعها واختصاصاتها مختلف العلوم والآداب

---

١ - ارمينيا السوفيتية ـ العدد ٢٦ تاريخ ٣١/١/١٩٨٠

٢ - وبهذه المناسبة نـود ان نشير الى العالم اللغوي الأرمني الأشهر هراحيا حاريان HARTCHIA AGARIAN الذي يعتبر من العلماء الأفذاذ في عصرنا الحاضر. فهو عضو الاكاديمية الأرمنية، وعضو مجمع علم اللغات الأفرنسي، وعضو الأكاديمية التشكيلية ولد عام ١٨٧٦ وتوفي عام ١٩٥٣ درس في جامعتي السوربون وستراسبورغ يزيد عدد مؤلفاته عن ٢١٠ كتاب. من أشهر اعماله. قواعد اللغة الأرمنية بالمقارنة مع ٥٦٢ لغة. معجم اللغة الأرمنية في ٤ أجزاء

والثقافة والفن.

هـ - الاذاعة: تقوم محطة إذاعة يريفان بالبث يومياً بأربعة لغات هي الأرمنية والروسية والعربية والكردية ويصل مجال البث بالاضافة للاتحاد السوفيتي، الى دول الشرق الأوسط وأوروبا والأميركيتين.

و - التلفزة: معظم الارسال التلفزيوني ملون. ويستطيع المواطن الأرمني إضافة لمحطة تلفزيون يريفان مشاهدة الكثير من برامج جمهوريات الاتحاد السوفيتي أيضاً.

ز - السينما:[1] يبلغ عدد دور السينما في أرمينيا ٨٧٣ قاعة أمها عام ١٩٧٨ (٢٦) مليون إنسان

ح - المكتبات[2]: يصل عدد المكتبات العامة في أرمينيا الى ٣٣٠٠ مكتبة عامة تضم بين لوحة ر رفوفها أكثر من ٤٦ مليون نسخة كتاب.

وأكبر هذه المكتبات، مكتبة الاكاديمية، وهي تضم، كما اسلفنا ٢،٨ مليون كتاب، ويليها مكتبة الجامعة وتحوي ١،٣٨ مليون كتاب.

ط - الموسيقى: الموسيقى الارمنية معروفة عالمياً وساعد على نشرها الموسيقار المعروف آرام خاتشادوريان (اقرأ نبذة عن حياته في فصل قادم). وهناك بالاضافة الى هذا الموسيقار موسيقيون آخرون منهم ادجار هوفهانسيان. ومن أشهر الفرق الموسيقية الأرمنية كل من: الاوركسترا السيمفونية الكلاسيكية، ورباعي كوميداس KOMIDAS، وفرقة الكورال الاكاديمية.

وتقوم هذه الفرق بزيارات خارج ارمينيا الى مختلف دول العالم حيث تتمتع بشهرة واسعة في الاميركيتين وفرنسا والنمسا.

ك - المسرح: يعتبر المسرح الارمني من اقدم المسارح في العالم حتى انه احتفل عام ١٩٣٩ بالذكرى الألفية الثانية لنشوء المسرح الارمني على يد الملك اردواست عام ٥٢ ق م (كما سبقت لنا الاشارة الى ذلك في الباب الثاني: تاريخ ارمينيا السياسي فيرجى الرجوع اليه).

---

١ - ارمينيا السوفيتية العدد ٢٦ تاريخ ٣١ / ١ / ٩٨٠

٢ - ارمينيا السوفيتية العدد ٢٦ تاريخ ٣١ / ١ / ٩٨٠

ومع قيام الجمهورية الارمنية الاشتراكية، بذل المسؤولون في الاتحاد السوفياتي وارمينيا جهوداً ملموسة للارتفاع بسوية المسرح والتمثيل المسرحي عن طريق اعداد الكوادر الفنية والتمويل وانشاء المسارح مما رفع من قيمة المسرح الارمني الابداعية. كما تم انشاء الكليات المسرحية لتخريج الممثلين والمخرجين و المساعدين الفنيين وفي مختلف الاختصاصات الفنية المسرحية وذلك كله بهدف تحويل الفن المسرحي ألى فن شعبي هدفه خدمة المواطنين وتثقيفهم وتسليتهم. ونذكر فيما يلي اهم المسارح والفرق المسرحية المعروفة:

لوحة رقم ٤٢

ــ **مسرح يريفان الدرامي**[1]: تأسس عام ١٩٦٧ وهو مسرح محترف يقوم باعداد وتقديم الاعمال المسرحية العالمية والسوفيتية والارمنية ونذكر منها ريتشارد الثالث لشكسبير (١٩٧٢)، الجندي والدمية لبرناردشو، اوبرا أنوش لهوفهانيس طومانيان وغيره.

ــ **مسرح يريفان الكوميدي الغنائي**: تأسس عام ١٩٤٢. ومن اعماله الخالدة: الشجاع ناظار.

ــ **مسرح يريفان للأطفال**: تأسس عام ١٩٢٩ وهو مسرح يهتم بتقديم عروضه للاطفال فقط كما يدل اسمه.

ــ **مسرح يريفان الحكومي**: وهي الفرقة المسرحية الارمينية في الجمهورية. تأسس بقرار حكومي عام ١٩٢١ ويمول من قبل الدولة. وتم افتتاح هذا المسرح رسمياً عام ١٩٢٢ وقام باخراج معظم الاعمال الكلاسيكية لكبار المؤلفين الارمن السوفيت وغيرهم.

وهناك مسارح أخرى معروفة منها: مسرح ستنوكيان ويتسع لـ ١٥٠٠ شخص في قاعته الاولى، ولـ ١٠٠٠ شخص في قاعته الثانية.

٥ ــ الحياة الاقتصادية:

أ ــ الصناعة والتصنيع: انخفض الانتاج الصناعي بين اعوام ١٩١٤ - ١٩٢٠ (نتيجة الحرب العالمية الاولى والمشاكل الداخلية في ارمينيا ومجازر ١٩١٥) الى الحضيض. ومن هنا كان لابد من بذل الجهد الدؤوب لاسترجاع النشاط الصناعي السابق والتفوق عليه، وهو ما توجب الانتظار من أجل تحقيقه حتى عام ١٩٣٧.

---

(١) المسرح الارمني السوفياتي، المقدمة، ص ٥ منشورات الاكاديمية. يريفان ١٩٦٧

هذا وتمثل الصناعة في ارمينيا ما مقداره ٦٤٪ من مجموع الناتج القومي العام (احصاء عام ١٩٧٢)[(١)]. واشهر الصناعات هي :

ـ صناعة العقول الالكترونية ـ صناعة المحركات الكهرباءية ـ الصناعات الكيمائية ـ المعادن ـ المخارط ـ الصناعات الدقيقة والمعمرة (مجاهر ـ تليفزيون ـ راديو ـ برادات الخ . . .) .

وتشير احصاءات عام ١٩٧٩[(٢)] الى أن مجمل القوة الكهربائية المنتجة قد بلغ ١٢،١ مليار كيلو واط . والاسمدة ٣٧٥ ألف طن . والمنظفات ١٤ ألف طن والمحولات الكهربائية ١،٦ طن بقدرة كلية مجموعها ٩٤٣،٩ الف لكيلو واط ، ومولدات متحركة بقدرة ٦٤٦ ألف كيلو واط . واجهزة الكترونية بقيمة ٧٠ مليون روبل . واسلاك كهربائية بطول ٩٥ ألف كلم . ولمبات كهربائية بعدد ١٧٩ مليون وحدة . واحذية ١٤٨ مليون زوج . وساعات بعدد ٥ ملايين ساعة .

ـ **اهم المؤسسات الصناعية**[(٣)] : ويأتي في مقدمتها معمل انتاج المنتجات الكهربائية . وله عدة فروع في مختلف المدن . ويحتل من ناحية الانتاج المرتبة الثالثة في الاتحاد السوفيتي ويقوم بتصدير انتاجه الى اليابان ـ ايطاليا ـ فرنسا ـ انكلترا الخ . . . وهناك معمل انتاج السيارات يراز YERAZ وتأسس عام ١٩٦٥ ويقوم بانتاج السيارات من الطراز المذكور (YERAZ) لوحة رقم ٥٩ بحمولة ١ طن . ويضاف الى ما سبق معمل انتاج المخارط ، وهو واحد من أكبر المعامل من نوعه في الاتحاد السوفياتي حيث انتج عام ١٩٧٥ ما مقداره ٤٤٦٠ مخرطة .

ب ـ **المواصلات وتتبعها كل من :**

ـ **المواصلات الجوية** : وقد تم نقل مليون ٣٩ ألف مسافر جواً من والى ارمينيا و ٤٠ بلداً في العالم . والمعروف أن الجمهورية العربية السورية قد دشنت مؤخراً (١٩٨٠) خطاً جوياً مباشراً يصل حلب بيريفان ،

ـ **المواصلات الحديدية والبرية** : ونقلت ما مجموعه ١٨،٤ مليون طن و ٤، ٧٠ طن بالسيارات والشاحنات و ٤ مليارات و ٨،٥ مليون مسافر /كم .

---

(١) الموسوعة الارمنية المجلد الثاني ص ١٦

(٢) ٢ ـ ٣ المصدر السابق المجلد الثالث ص ٢٧٢ .

جـ ـ القدرة الكهربائية[1]: في وسط سهل ارارات تم الانتهاء من بناء المحطة الثانية لانتاج الكهرباء بقدرة ٤١٠ ألف كيلو واط ساعي مما يرفع انتاج الكهرباء الذرية الى ٨٢٠ ألف كيلو واط ساعي، والمحطة مبنية بما يمنع عنها الدمار نتيجة الهزات الأرضية وغيرها.

هـ ـ الزراعة والانتاج الحيواني: الكولخوزات والسوفخوزات هي الخط الأساسي للوحدات الانتاجية الزراعية في أرمينيا السوفيتية حيث هناك ٣٥٤ سوفخوزاً و٣٧٤ كولخوزاً. ومعظم الأراضي مروية. وتتوزع الأراضي المزروعة كالتالي:

الحبوب والخضار (٤٦٩) ألف هكتار. الأشجار المثمرة ٧٩ هكتار المراعي ٦٥٣ ألف هكتار. لانتاج الاعلاف ١٣٢ ألف هكتار.

والزراعة في معظم مراحلها ممكننة. كما يتم استعمال المخصبات بكميات كبيرة لزيادة الغلال، ولري الأراضي تتم الاستفادة من كثير من مصادر المياه وأهمها بحيرة سيفان وسد آباران (٩٠ مليون م٣).

و ـ السياحة: ارمينيا غنية بالمراكز السياحية وأماكن الراحة ويؤمها السياح من جميع أنحاء العالم حيث بلغ عدد زوارها خلال السنوات الخمس الأخيرة حوالي ١٥ مليون سائح. وفي العاصمة يريفان أربعة فنادق فخمة من الدرجة الممتازة وهي ارمينيا وآني ودفين وايريبوني (على اسماء المدن الأرمنية القديمة). وبسبب اكتظاظ الطرق في العاصمة بالسيارات ولتسهيل أمور السير والسياحة بدأ العمل في انشاء مترويريفان الذي سيبلغ طوله ١٦ كيلومترا بعد الانتهاء من العمل فيه مع بداية عام ١٩٨١ حيث ستفتح المرحلة الأولى منه بطول ٦ كلم.

لوحة رقم ٦٠

الكنيسة في أرمينيا السوفياتية

لوحة رقم ٥٣

حرية الاعتقاد والدين مصونة حسب الدستور السوفيتي. وللكنيسة الأرمنية ملء الحرية في العمل في المجال الديني، وان كان الدين منفصلا عن الدولة. ويقع

---

(١) ارمينيا السوفيتية العدد ٢٦ تاريخ ٣١ / ١ / ١٩٨٠.

مركز الكنيسة الأرمنية في ايتشمايازين قرب العاصمة يريفان. ومن أهم المعالم الدينية في أرمينيا:

دير ايتشمايازين: وهو مركز الكنيسة الأرمنية منذ تأسيسها عام ٣٠١ م. وقد بُني الدير عام ٣٠٣ م ويعتبر من أهم بقايا الفن المعماري الأرمني. ويحوي متحفاً خاصاً باسم: «متحف ايتشمايازين»: تأسس عام ١٨٦٩ ويمتلك على مخطوطات قديمة نادرة وأدوات للاستعمال الكنسي مذهبة وفضية ومطعمة بالأحجار الكريمة.

لوحة رقم ٥١

لوحة رقم ٥٠

- **معهد ايتشمايازين اللاهوتي**[1]: تأسس عام ١٩٤٥ وهو يشكل تكملة لمعهد كيفوكيان المؤسس عام ١٨٧٤ ويعتبر هذا المعهد المركز الرئيسي لتخريج رجال الدين الأرمن. ومدة الدراسة فيه ٦ سنوات، بلغ عدد طلابه عام (١٩٧١) ٣٢ طالباً. وفي هذا الدير مطبعة خاصة، ويصدر مجلة شهرية دينية لاهوتية علمية باسم «ايشيمايازين».

لوحة رقم ٤٨

لوحة رقم ٤٩

وبالاضافة الى هذين (المعهد والدير) فهناك العشرات من الاديرة والكنائس المنتشرة في أرجاء أرمينيا أهمها كنيسة القديسة هريبسمية والقديسة غيانة وليفارت.

تلك كانت لمحة سريعة عن أرمينية السوفياتية بشرياً وثقافياً واقتصادياً، هدفنا من وراء التفصيل بشأنها بعض الشيء، إلى القاء الضوء على هذا «الرمز» الأرمني، وما قدمه الاتحاد السوفيتي من مساعدات مادية ومعنوية لنهضته بحيث ابقت أرمينيا السوفياتية مركزاً لآمال الأرمن في كل مكان باعتبارها استراحة لتطلعاتهم في وطن موحد عاشوا فيه يوماً وما زالوا...

---

(١) يبقى أن أقدم شكري الجزيل للسيد رمين كساريان بشأن المساعدة التي قدمها لي في تأمين المصادر اللازمة لاعداد هذا الفصل وبالشكل الذي ظهر عليه

الفَصْل الثالث

توزع الارمن وعددهم في العالم في الوقت الحاضر
١٩١٥ - ١٩٧٤

منذ مطلع هذا القرن ، ورغم الخسائر البشرية الجسيمة التي مني بها الارمن نتيجة تصرفات السلطات العثمانية بحقهم بين أعوام ١٨٩٤ - ١٩٢٧ ، فان عدد هؤلاء أخذ بالازدياد خصوصاً بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . ويعلل هذا النمو السكاني كل من الظروف التالية :

١ - فيما يتعلق بأرمن الاتحاد السوفيتي ، وخاصة أرمن الجمهورية الارمنية السوفيتية الاشتراكية ، فان زيادة عدد المواليد ونسبة التكاثر الناجمة عن العناية الفائقة بالطفولة ومعالجة المرضى ، قد ساعدت ، كما وساهمت ، الى جانب استقرار هذا الشعب النفسي والمهني ، في الوصول الى هذه الزيادة. . حتى أن عدد الارمن في روسيا قد تضاعف أكثر من ثلاث مرات في أقل من نصف قرن .

٢ - ثم ان اهتمام الارمن بشكل عام بالأمومة والطفولة تبعاً لتحسن ظروفهم المعاشية في جميع الدول التي يتواجدون فيها في العالم اليوم ، وانصرافهم الى أعمالهم بهدوء وعناية بعيدين عن الحروب والكوارث المادية والبشرية التي كانت تصيبهم في الماضي خلال وجودهم في الامبراطوريتين العثمانية والروسية ، قد ساعد بدوره على تضاعف عددهم حتى بلغ اليوم ستة ملايين ومئة ألف نسمة تقريباً في حين انه لم يتجاوز الأربعة ملايين ونيف قبل خمسين عاماً من اليوم .

ونرى توسيعاً للبحث أن ندرج ثلاث احصائيات عن عدد الارمن وتوزعهم

في دول العالم حسب احصائيات أعوام ١٩١٥ و١٩٥٠ و١٩٧٤ (تقديراً على احصاءات ١٩٧٠) .

١ ـ عدد الارمن وتوزعهم في العالم قبل عام ١٩١٥ :

كان الاستقرار الرئيسي للارمن قبل الحرب العالمية الأولى محصوراً في كل من الامبراطوريتين الروسية والعثمانية،الى جانب جاليات أرمنية صغيرة موزعة على مختلف دول العالم،في الهند وايران وبولونيا وفرنسا وكندا والولايات المتحدة الاميريكية وبعض الدول العربية . . حيث قدر عدد الارمن قبل الحرب العالمية الأولى في هذه الدول مجتمعة وفق الشكل التالي :

آ ـ في روسيا :

ينقسم الارمن في روسيا منذ القديم (وحتى اليوم) الى فئتين :

١ ـ الارمن القاطنون في الأراضي الارمنية التاريخية (التي شكلت فيا بعد في الاتحاد السوفيتي جمهورية أرمينيا السوفيتية) .

٢ ـ والارمن القاطنون في مختلف الجمهوريات والمدن الروسية .

وعلى هذا الأساس فقد قدر عدد الارمن في أرمينيا التاريخية قبل عام ١٩١٥ بـ : ثمانمائة ألف نسمة تقريباً . وبما يقارب المئتي ألف أرمني موزعين ما بين اذربيجان وجيورجيا وموسكو والقرم واستراخان الخ . . . وبموجب هذا التعداد فان عدد الارمن الروس قد بلغ مليون نسمة ونيفاً قبل الحرب العالمية الأولى .

ب ـ في الامبراطورية العثمانية :

كان الارمن في تركيا قبل عام ١٩١٥ موزعين الى قسمين أيضاً ضمن حدود هذه الدولة ، حيث قطن القسم الأول في العاصمة نفسها « استانبول » ، وضواحيها ، والمدن المجاورة حيث بلغ عدد هؤلاء مليون ومئة ألف نسمة

تقريباً . بينما قطن القسم الثاني في الولايات الارمنية الست (العثمانية) الذين قدر عددهم وقتها (قبل عام ١٩١٥)،بمليون وثلاثة آلاف مما جعل العدد الاجمالي للارمن وقتذاك مليونين ومئة وثلاثين ألف نسمة في مختلف مناطق ومدن الامبراطورية العثمانية .

جـ ـ الارمن في دول العالم (قبل عام ١٩١٥) :

وقدر عددهم قبل عام ١٩١٥ بحدود ٢٧٠ ٠٠٠ نسمة تقريباً . انتشروا كما أشرنا ، في الهند (بومباي ، كراتشي) ، وايران (طهران ، أصفهان ، جولفا) ، وبولونيا(وارسو ، لامبرغ) ، وكندا (أوتاواه ، ومونتريال) ، وأميركا (كاليفورنيا ، نيويورك ، بوسطن . .) ، وفرنسا (باريس ، مارسيليا ، نيس) ، والدول العربية (مصر ، العراق ، لبنان ، سوريا) . وبموجب هذا الاحصاء الثلاثي (روسيا ، تركيا ، العالم) ، يكون عدد الارمن قبل الحرب العالمية الأولى بحدود ثلاثة ملايين وأربعمائة ألف نسمة .

٢ ـ عدد الارمن وتوزعهم في العالم حسب احصاءات عام ١٩٥٠ :

عددت الموسوعة العلمية السوفيتية عدد الارمن في عام ١٩٥٠ على الشكل التالي :

في أرمينيا	١ ٣٥٠ ٠٠٠.
في أرجاء الاتحاد السوفيتي	١ ١٧٠ ٠٠٠ (جيورجيا ٣٨٠ ٠٠٠ ، اذربيجان ٣٦٠ ٠٠٠ ، روسيا وأوكرانيا ٣٣٠ ٠٠٠).
في سوريا ولبنان	١٥٠ ٠٠٠.
في تركيا	١٢٥ ٠٠٠.
في فرنسا	١٢٠ ٠٠٠.

في ايران.	١٣٠ ٠٠٠.
في اميركا.	١٨٠ ٠٠٠.
في دول اخرى.	١٢٠ ٠٠٠.
المجموع	٣ ٢٤٥ ٠٠٠.

ويبرر حصول هذا النقص الطفيف في عدد الارمن بين احصائيات ١٩١٥ و ١٩٥٠ ، الى كل من مجزرة نيسان عام ١٩١٥ ، وخسائر الارمن خلال الحربين الأولى والثانية ، وكذلك أثناء الحرب الارمنية التركية ، والى حالات عدم الاستقرار والقلق التي عاشها هذا الشعب بين اعوام ١٩١٥ ـ ١٩٤٥ .

٣ ـ عدد الارمن وتوزعهم في العالم اليوم استناداً الى احصاءات عام ١٩٧٠ (وتقديرات ١٩٧٣)

وبدءاً من الخمسينات من هذا القرن وعقيب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حيث بدأ استقرار الارمن في جمهوريتهم في الاتحاد السوفيتي ، وما لحق هذه الجمهورية من تطوير على الأصعدة البشرية والعلمية من جهة وفي دول العالم ، وحيثما وجد « أرمن » من جهة ثانية ، فقد تصاعد عددهم تدريجياً حتى بلغ اليوم ستة ملايين ومئة ألف نسمة تقريباً موزعين على الشكل التالي :

ـ جمهورية ارمينيا السوفيتية.	٢ ٦٠٠ ٠٠٠.	
ـ الاتحاد السوفيتي وجمهورياته.	١ ٤٠٠ ٠٠٠	(اذربيجان وجيورجيا وموسكو واستراخان والقرم الخ . . .).
ـ الدول العربية.	٥٥٠ ٠٠٠	(٣٠٠ ٠٠٠ في لبنان، ١٥٠ ٠٠٠ في سورية ، ٥٠ ٠٠٠ مصر، ٥٠ ٠٠٠ العراق ، ودول عربية اخرى ، الاردن ، وغيرها).

ـ اميركا.	۳٥۰ ۰۰۰.	
ـ كندا.	۲٥۰ ۰۰۰.	
ـ فرنسا.	۳٥۰ ۰۰۰.	
ـ تركيا.	۲۰۰ ۰۰۰.	
ـ دول العالم.	٥۰۰ ۰۰۰.	(الهند، ايران، بولونيا، بلجيكا، دول امريكا اللاتينية، أوروبا الغربية الخ . .).
العدد الاجمالي	٦ ۱۰۰ ۰۰۰	

وهكذا نجد ان الشعب الارمني قد حقق خلال نصف قرن أو أكثر زيادة قدرها ۳ ملايين انسان .

وعملياً حدثت هذه الزيادة خلال خمسة وعشرين عاماً الممتدة منذ الخمسينيات من القرن الحالي،وحتى الربع ما قبل الأخير منه (۱۹۷٤). هذا ويتوقع خبراء علم السكان أن يصبح عدد الارمن في العالم سنة ۲۰۰۰ بحدود ۱۰ ۰۰۰ ۰۰۰ نسمة موزعين على دول العالم ، هذا اذا استمرت معدلات نموهم الحالية .

* * *

الفصل الرابع

أعلام الأرمن في العصر الحديث

انسطاطس ميكويان

A. MIKOYAN

رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية

ولد انسطاط ميكويان عام ١٨٩٥ . ثم أصبح الرئيس السابع لجمهورية الاتحاد السوفيتي. ارمني الأصل انضم الى الحزب الشيوعي عام ١٩١٥ وساهم بنشاطه الحزبي في القوقاز حتى عام ١٩٢٠ .

ثم عين رئيساً لمنظمة الحزب في غبني نو فجرد عام ١٩٢١ ، وأصبح عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي منذ عام ١٩٢٣ ، كما سمي وزيراً للتجارة الداخلية عام ١٩٢٦ ، ثم وزيراً للتجارة الخارجية في العام نفسه .

وما عتم انسطاس ميكويان أن كلف بالاشراف على صناعات الأغذية في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٠ . ثم انتخب عضواً كاملاً في البريسيديوم عام ١٩٣٥ . كما انتخب نائباً أول لرئيس وزراء الاتحاد السوفيتي خروشوف سنة ١٩٥٨ . مما جعله واحداً من أبرز قادة الاتحاد السوفيتي .

زار انسطاس دولاً عديدة كان الهدف منها دعم السياسة الخارجية للاتحاد

السوفيتي في العالم . ومن أجل هذا الغرض عقد معاهدات صداقة مع الكثير من الدول ، وخاصة مصر وسوريا وغيرها .

وفي ١٥ تموز عام ١٩٦٤ ، انتخب رئيساً للاتحاد السوفيتي خلفاً لبريزنييف .

يعتبر انسطاس ميكويان رجلاً فذاً بحق . ويقول مؤرخوه انه كان في مطلع شبابه واحداً من أبرز اعضاء الحزب الشيوعي،حيث سجن عدة مرات،كما ونظم حلقات عديدة ترأسها جميعاً خلال الحكم القيصري لروسيا .

والمعروف عن هذا الرجل اهتمامه الواسع بالقراءة والمطالعة والموسيقى ، حتى انه عندما اصبح رئيساً لاتحاد الجمهوريات السوفيتية ، حرض كما وحث على افتتاح الكثير من المكتبات وقاعات الموسيقى .

هذا ويتمتع ميكويان باحترام سلطات الحزب الشيوعي والمواطنين السوفييت على حد سواء،نظراً لنزاهته وادارته الحكيمة للبلاد خلال تسلمه رئاسة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية .

والجدير بالذكر ، ان العائلة التي ينتمي اليها هذا الرجل قد قدمت ايضا للاتحاد السوفيتي شقيقه ارديم الذي كانت له اليد الطولى في اختراع طائرة الميغ المعروفة .

* * *

أرديم ميكويـان

ARDEM MIKOYAN

مخترع ـ طائرة الميغ

ولد الجنرال ارديم ميكويان عام ١٩٠٥ في بلدة سهانين بارمينيا . وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمـره غادر قريتـه الى مدينـة تفليس لمتابعة دراسته الاعدادية، وعندما حاز الشهادة الثانوية فيها التحق كعامل فني بأحد المعامل الصناعية الروسية.

وفي عام ١٩٢٥ توجـه الى موسـكو وانضـم الى عداد عمال مصنـع دينامـو المعروف ، وما عتم بعد عام ، أي في سنة ١٩٢٦ ، أن انتسب الى الجيش الروسي كضابط فني حيث اكتسب المبادىء الأولية للعلوم التقنية الحديثة التي ساعدته خلال السنوات القادمة على البروز في مجال علوم الطيران والهندسة الميكانيكية .

وفي غضون سنوات قليلة ، وكان الآن قد أصبح أحد الفنيين المتمرسين في هذا المجال ، فقد حاز على شهادة مهندس من أكاديمية الطيران الروسي . . وتمكن أرديم ميكويان خلال دراسته في الأكاديمية المذكورة من وضع بعض التصاميم لنماذج الطائرات النفاثة الحديثة العهد .

وخلال العام نفسه «١٩٣٣»، وضع أرديم أول تصميم عملي لطائرة حديثة حملت اسم « تشرين » نسبة الى ثورة « اكتوبر ـ تشرين » السوفيتية الاشتراكية عام ١٩١٧ . وكان هذا العمل لميكويان بداية عهده في مجال اختراع وتطوير الطائرات في الاتحاد السوفيتي.

وعلى هذا الأساس رأينا ميكويان مع مرور الوقت واكتسابه الخبرة العملية ، ينتقل للعمل في مصنع طائرات « تشايكا » الروسية المعروفة.

وخلال وجوده في المصنع المذكور تعرف ، ثم أضحى الصديق المقرب من المهندس الروسي الكبير (العامل في حقل الطيران) السيد ميخائيل يوسفدفيتش غروفيتش وكذلك المخترع الروسي نيكولاي كروفيتش.

وبين أعوام ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩ تمكن كل من ميكويان وزميله غروفيتش من تصميم واختراع أول طائرات روسية مقاتلة.

وعقيب نجاحهم في اختراع هذا النوع من الطائرات عمد الاثنان خلال أعوام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ الى اختراع طائرة الميغ المعروفة التي جاء اسمها نتيجة دمج الحرفين الأولين » من اسم ميكويان ، والحرف الأول من اسم غروفيتش (غ)... وهكذا عرف العالم للمرة الأولى هذا النوع من الطائرات المشهورة التي حملت نهائياً إسم ميغ «رقم ١» ، ثم تبعتها سلسلة طائرات الميغ «١٧» و«١٩ و٢١ و٢٣ و٢٥ و٢٧» ، وهي ما زالت حتى اليوم السلاح الرئيسي للقوات الروسية الجوية المسلحة التي زود بها الاتحاد السوفيتي دول أوروبا الشرقية والدول العربية ولعبت دوراً رئيسياً في دعم المجهود العسكري العربي في عملياته القتالية ضد العدو الاسرائيلي . والجدير بالذكر أن النموذج الأول لطائرات الميغ «١» قد بلغت سرعته ٦٤٨ كم في الساعة في حينه (١٩٤٠) ، كما وصلت الى ارتفاعات قدرها ٦٩٠٠ م.

وعقيب تجارب عديدة قام بها ميكويان وزميله غروفيتش تمكنا من ايصال سرعة هذا النوع من الطائرات الى سرعة تبلغ ٢,٨ ماك ، والى الارتفاعات العالية المعروفة اليوم ، وهكذا نجد أن هذا الرجل الأرمني الأصل والسوفيتي الجنسية كان له الفضل الأكبر في اختراع هذا النوع من الطائرات المتطورة والمتقدمة والمعروفة في العالم كله.

آرام خشادوريان

ARAM KHACHATURYAN

ـ موسيقار الاتحاد السوفيتي ـ

يبدو من الخطأ الحكم على مواهب خشادوريان الموسيقية المتنوعة ، من خلال متابعة أعماله العادية . ولعل عبقريته الموسيقية تكمن بشكل رئيسي، كما وتبرز

بأكثر ما يكون وضوحاً وبروزاً وأمانة من ملاحظة الأعمال والمؤلفات التي قدمها للأعمال السيمفونية العالمية. SYMPHONY وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً وتركيزاً بهذا الصدد، فاننا نشير ـ كما يقول النقاد الموسيقيون الكبار في العالم ـ الى أن عبقريته وعطاءه الموسيقي ينبعان، كما ويصدران، من قدراته غير المحدودة على ترجمة الحوادث والانفعالات الذاتية، الى موسيقى محكية. . وأيضاً في حركته ونشاطه الدائبين من أجل رسم الصور الموسيقية باخلاص الانسان والفنان الكبير حقاً.

لقد قدمت أعمال هذا المؤلف السيمفونية والموسيقية في عواصم العالم ودور الأوبرا فيها . . في لندن وباريس وموسكو وبودابست وبخارست وبوينس ايرس وبرلين ، ونالت إعجاباً واسعاً لدى جماهير هذه البلدان ، حتى يمكن اعتبار آرام خشادوريان الموسيقار الأرمني الأصل،والسوفيتي الموطن ، واحداً من أشهر الملحنين والمؤلفين ، ليس في الاتحاد السوفيتي وحسب بل وفي العالم كله .

لقد بدأ آرام التأليف الموسيقي منذ كان طالباً في أكاديمية موسكو للعلوم الموسيقية . ثم أخذت أعماله الغنائية (الملحنة منها والمغناة)،تترى تباعاً حتى تأكدت استقلالية أعماله وانفرادها بطابعها الخاص المميز . ومن هذا القبيل ان سيمفون-

الأولى،وكونشرتو البيان،اللذين وضعهما في مستهل حياته الموسيقية،كانا كافيين لذيوع صيته ، ليس داخل الروسيا وحسب ، بل وفي العالم كله أيضاً .

ولد خشادوريان في ٦ حزيران ١٩٠٣ لأب (ايليا) ينحدر من عائلة قروية ترجع في أصلها الى بلدة ازا AZA بالقرب من نخجوان NAKHICHEVAN . ويتحدث آرام عن حياته المبكرة فيقول : « لقد عشت في بلدة لم يعرف أهلها يوماً إغلاق أبواب بيوتهم ، فالكل أهل وأصدقاء . . ولأن هذا قد حدث ، فان الوقت كان يمضي والغناء والموسيقى والرقص ترافق هذه الحياة » .

ولم تقتصر مواهب خشادوريان على الموسيقى ، بل عرف بولعه واهتمامه بالرسم،وكتابة الرواية والنقد،ومشاهدة الأعمال المسرحية الغنائية وغيرها .

ولعل أعظم أعماله الموسيقية هي :

١ ـ موسيقاه النابعة من جذوره الأرمنية : ومن هذا القبيل مؤلفه « السعادة » ، وهي باليه في ثلاثة فصول عرضت لأول مرة عام ١٩٣٦ في يريفان . وكذلك « غايانه » ، وهي أيضاً باليه من أربعة فصول عرضت للمرة الأولى في دار الأوبرا في كييف عام ١٩٤٢ ، وأخيراً عمله المشهور « سبارتاكوس »[1] ، وهي أيضاً باليه مؤلفة من أربعة فصول عرضت للمرة الأولى في دار الأوبرا في ليننغراد ، ثم على المسرح القومي في براغ وموسكو وغيرها .

٢ ـ أعماله السيمفونية الأوركسترالية : وأشهرها السيمفونية الأولى (٣ حركات: عام ١٩٣٤)، ثم السيمفونية الثانية (في ٤ حركات : عام ١٩٤٣) ، والسيمفونية « القصيدة » عام ١٩٤٧ ، وسيمفونية « ليننغراد » (عام ١٩٥٠) .

٣ ـ أعماله الأوركسترالية والغنائية : وأهمها ثلاث مؤلفات لحنها لشعراء أرمن تناولت ، الأساطير والشعر ، والميثولوجيا الأرمنية القديمة .

١ ـ محرر العبيد في الامبراطورية الرومانية.

٤ ـ موسيقى « رقصة السيف » SWORD DANCE المشهورة عالمياً .

٥ ـ أعماله الموسيقية للكونشرتو : ومنها كونشرتو البيان والأوركسترا (في ثلاث حركات عام ١٩٣٦) ، وكونشرتو الفيولين والاوركسترا (في ثلاث حركات عام ١٩٤٠) ، وكونشرتو الفيولونشللو (في ثلاث حركات أيضاً عام ١٩٤٦) .

٦ ـ أعماله الموسيقية « للبيان » : وأعظمها تلك المسماة « قصيدة » عام ١٩٢٧ ، و« رقصة » في نفس العام.

٧ ـ أعماله للبيان والفيولين : ومنها « الأغنية القصيدة » عام ١٩٢٩ ، و« السوناتا » عام ١٩٣٢ . وإذا أردنا أن نعدد أعماله الموسيقية بالكامل فاننا سنستنفذ وقتاً كبيراً ، ولكن يمكن أن نشير ان خشادوريان قد وضع الموسيقى التصويرية لعدة أفلام سوفيتية معروفة مثل « السجين رقم ٢١٧ » و«فلاديمير ايليتش لينين»، و« معركة سالينغراد » و« عطيل » الخ.

هذا ويجمع النقاد على اعتبار خشادوريان أحد كبار المؤلفين العالميين الذين أنجبهم الاتحاد السوفيتي إلى جانب كورساكوف ورخمانينوف وغيرهم .

ولا يفوتنا أن نذكر أخيراً أن خشادوريان هو واضع النشيد الوطني الارمني .



وليم سارويان

W .SAROYAN

- روائي ومؤلف مسرحي وكاتب عالمي -

يعتبر وليم سارويان الأرمني الأصل ، أحد أشهر الكتّاب الأميركيين الذين يتمتعون بشهرة واسعة في عالم الأدب ، إلى جانب تنسي وليامز (مؤلف عربة اللذة ، وقطة على سطح صفيح ساخن) ، وأرنست همنجواي (مؤلف وداعاً للسلاح ، والشيخ والبحر) ، والشاعر الأميركي عذرا باوند وغيرهم .

ولد وليم سارويان عام ١٩٠٨ في تركيا ، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية حيث عمل في مهن مختلفة قبل أن يمتهن الأدب والكتابة عام ١٩٣٤ .

ويميل النقاد إلى أعتباره من المؤلفين « الفوضويين » ذوي الميول « الهادئة » والمرحة في الوقت نفسه . وتمتاز كتاباته بالطراوة والصفاء الفكري ، إلى جانب تمتعه بالمقدرة الفائقة على الانتقال من موضوع الى آخر ، بصمت وعمق ودون لفت انتباه القارىء ، كما ان أغلب رواياته وقصصه ومسرحياته يغلب عليها الطابع الرومانسي وعدم المبالاة ، وهذه الأخيرة نبعت من أفكاره الفوضوية ذاتها .

ونتيجة مواهبة الفذة فقد نالت مسرحيته المعروفة « أيام حياتك » التي أصدرها عام ١٩٣٩ جائزة بوليتزر الأميركية للآداب . . كما ترجمت للعربية ، ومن أهم مؤلفاته :

١ ـ الشباب الجسور التي كتبها عام ١٩٣٤ .

٢ ـ الكوميديا الانسانية ، وهي رواية طويلة مترجمة إلى العربية .

٣ ـ وكتاب « اسمي آرام » الذي وضعه عام ١٩٤٠ ، وتحدث فيه عن حياة شاب ومعاناته من أجل الوصول إلى الحياة وهي في الحقيقة قصته نفسه .

٤ ـ وثمة بعض أعمال له أخرجت سينمائياً كقصة « محطة البنزين » وغيرها .

والمعروف عن وليم ساروريان ، تمتعه بنفوذ أدبي واسع في أميركا والخارج وخصوصاً في انكلترا وفرنسا وروسيا والدول العربية . ويميل ساروريان إلى الموسيقى والمساهمة في تشجيع صغار المؤلفين والكتاب وتقييم اعمالهم .

هذا وما تزال صلاته ببني قومه « الأرمن » وثيقة من خلال رواياته ، سيما المسماة « اسمي آرام » ، التي تعتبر في الواقع تعبيراً عن «غربة الأرمني» ووحدته (أي غربة وليم نفسه) ، في دول متمايزة ومتجانسة بشعوبها وقوميتها ، خلاف الأمة الأرمنية التي ينتمي إليها والمشردة في أنحاء العالم .

ورغم جذوره الأرمنية العميقة هذه ، فقد عرف عنه تجرده وإخلاصه لوطنه الأميركي ، تماماً كما هو الأمر بالنسبة للأرمن الذين يعيشون في مختلف دول العالم .

وما تجدر الإشارة إليه ، أن الصداقات التي كونها لنفسه مع الادباء والصحفيين الأميركيين ، قد ساهمت والى حد بعيد في التعريف به في الأوساط الأدبية المحلية والدولية ، رغم ذيوع صيته وموهبته المشهود بها .

ولا زال ساروريان ممثلا للادب الأميركي الحديث إلى جانب همنجواي وغيره ، داخل الولايات المتحدة الأميركية وخارجها .

* * *

شارل ازنافور

SH. AZNAVOUR

مغنٍ وممثل معروف

ولــد شارل أزنافــور يوم ٢٢ أيار عام ١٩٢٤ بباريس . وقد أسماه والـداه أولاً شهنور ، ونظراً لغرابة هذا الأسـم فقـد غـيراه إلى اسمـه الحـالي المعـروف « شارل » .

كان والده « ميشا » ازنافوزيان يملك مطعماً يحمل أسم القوقاز،وكانت زوجته كنار تساعده في هذا العمل . وعندما أصبح شارل ازنافور في الثانية عشرة من عمره كتب لأحد أصحاب المسارح كيما يجرى له تجربة على الغناء . وبالفعل فقـد غنـى ازنافور ضمن الفرقة الموسيقية في مدرسته عقيب نجاحه في هذه التجربة .

وخلال يفاعته عمل ازنافور في مهن متعددة، فعمل بائعاً منادياً للصحف،ثم التحق باحدى الفرق الفرنسية المتجولة ، التي كانت تقدم الأعمال المسرحية المصحوبة بالغناء والرقص التي جاب معها انحاء فرنسا .

ومع مرور الزمن،انتسب ازنافور إلى معهد التمثيل في باريس ، ثم انشأ مع زميله بيير روش نادياً لتعليم الغناء والرقص والتمثيل . ثم شكل الرجـلان ثنـائيا غنائياً حاز صيتاً محدوداً في فرنسا .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية ، التحق والده بالجيش الفـرنسي بغـرض الحصول على الجنسية الفرنسية، وهو ما تم له بالفعل .

وفي عام ١٩٤٧ تعرف ازنافوريان على الآنسة ميشلين،وعاش معها قصة حب طويلة انتهت إلى زواجها ، حيث ولدت لهما بنتاً أسمياها باتريشيا .

وفي غضون سنوات قليلة عاد ازنافوريان وتزوج لل
ايفلين . . وقدعاش فناننا المعروف حياة عاطفية مثيرة ساد

وبالنسبة لعمله الغنائي فقد رافق في مطلع حياة
المعروفة «ميستنغيت» في عروضها الغنائية المسرحية
الافرنسية الذائعة الصيت الراحلة اديث بياف .

وفي فترة من حياته التجأ الى تأليف الأغاني للمط
لاغانيه الخاصة .

ويعتبر صوت شارل ازنافوريان واحداً من أحلى و
فرنسا ، ويمتاز ببحة خاصة ،كما أن أغـانيه المشهورة « الط
« الحب » المعروفة تحمل طابع الحزن والمعاناة .

والمعروف أن شارل ازنافور قام بزيارة كندا في الخمسينات والستينات لتقديم عروضه الغنائية على مسارحها .

ومن الجدير بالذكر بهذه المناسبة انه عندما اعتلى خشبة المسرح،الذي احتشد فيه الالاف من المعجبين بصوته في كندا، اقترب منه مقدم الحفلة وسأله هل أنت افرنسي الأصل ؟ فرد شارل قائلاً : كلا ، ولكنني أفرنسي العاطفة والشعور . وهنا عاد المذيع وسأل ازنافور للمرة الثانية : وما هو أصلك اذاً ؟ فرد ازنافور قائلاً : انني أرمني الأصل . . فما كان من المذيع إلا أن أبتسم ثم قال : أي من ذلك الشعب . . . ؟ فما كان من شارل الا أن غادر القاعة ثم توجه إلى المطار ، ثم عاد إلى بلاده فرنسا، دون أن يقدم أغانيه المخصصة لهذا الحفل. هذا ويعتبر موريس شوفالييه ومستنغيث واديث بياف وادي كونستانتين من أقرب أصدقائه.

ويباع له سنوياً أكثر من مليون أسطوانة، وهو معروف في دول اوربا الشرقية والغربية على السواء، وفي أمريكا والدول العربية على نطاق واسع .

وهو إلى جانب كونه مطرباً ومغنياً معروفاً ، يتقن الشعر ويجيده وله أشعار

غنائية عديدة قدمها كثير من المطربين الفرنسيين . . بالاضافة إلى أنه رجل أعمال من طراز فريد .

وقد اتجه أزنافوريان مؤخراً إلى التمثيل السينمائي الذي امتنع فيه عن الغناء بحيث أكتفى باستغلال موهبته التمثيلية منفردة عن عبقريته الغنائية .

وأخيراً نذكر أن شارل لم يصل إلى مرتبته الحالية دفعة واحدة ، بل رأيناه ينتقل من بائع صحف أولاً ، إلى عامل في الملاهي الليلية وكباريهات باريس ثانيا ، إلى أن تمكن أخيراً بجده ومثابرته الحقيقية من الوصول إلى المكانة الفنية الواسعة التي يتمتع فيها الآن في فرنسا والعالم كله .

* * *

يوسف كارش

YOUSUF KARSH

ـ مصور العظماء والعامة ـ

يذهب العديد من النقـاد العـالميين ، إلى أعتبـار المصـور الأرمنـي الأصـل يوسف كارش ، واحـداً من أهــم الفنانـين الفوتوغرافيين في وقتنا الحـاضر ، ليس في وطنـه الحـالي (كنـدا) وحسـب ، بل في العالم كله .

وتأكيدا على هـذه النظرة فقد صرح اللورد بيفربروك BEAVER BROOK (ملك الصحافة البريطانية) ، أثر مشاهدته العمل الفوتوغرافي الذي التقطـه له يوسف كارش قائـلاً بلهفـة : ـ أواه كارش لقد جعلتني خالداً ؟ .

ولد يوسف عام ١٩٠٨ في أرمينيا، ثم هاجر إلى كندا عام ١٩٢٤، حيث افتتح لنفسه بعد عشر سنوات (وفي عام ١٩٣٣ بالتحديد)، استوديو للتصوير خاصاً به في اوتاواه (عاصمة كندا) ، وما عتم أن تزوج من السيدة سولونج جوتييه التي كانت تعمل ممثلة في أحد مسارح أوتاواه. وقد كان لهذه السيدة دور كبير في ارشاد زوجها الى طريقة استخدام الأنارة والضوء بشكل فني دقيق من خلال العمل الذي امنته له في هذا المسرح ،وضمن المجال المذكور ،الأمر الذي ساعده في المستقبل على استخدام هذه المهارة الفنية المكتسبة بتقنية كبيرة .

بدأ كارش عمله في استديو التصوير الذي افتتحه بداية متواضعـة ، إلا أن مواهبه الكبيرة ما لبثت ان تفجرت من خلال اعماله الفنية العديدة ، مما دفع الحكومة الكندية عام ١٩٤٧ إلى منحه « لقب مواطن شرف »تقديراً لنبوغه وأبداعه .

ومنـذ هذا التـاريخ بدأت مسيرة يوسف كارش الطويلـة في عالـم التصـوير

الفوتوغرافي ، حتى أضحى واحداً من أعظم الفنانين في عصرنا ، فقد امتازت عدسته بشفافية ملموسة ، وباختياره الظل والضوء والزوايا المناسبة للتصوير ، التي جعلت أعماله منتقاة بدقة ، وعلى درجة عالية من الوضوح والرؤ ية . ومن هذه النقطة بالذات وجدنا كارش « المصور العالمي » يتهافت عليه عظماء الدول ورؤ ساؤ ها وفنانو العالم وعباقرته لالتقاط صور لهم .

ومن أبرز هؤ لاء الذين خلدهم كارش في اعماله التصويرية،كل من ونستون تشرشل ، رئيس وزراء بريطانيا ، والأمير رينيه وزوجته ، والكاتب الانكليزي المعروف سومرست موم ، والمؤ لف الأميركي الأشهر أرنست همنجواي ، والموسيقار الأفرنسي سيبيلوس ، والروائي الألماني الكبير توماس مان ، والرسام العالمي بابلو بيكاسو وغيرهم .

يقول كارش عن نفسه : « ان صوري الفوتوغرافية ليست وسيلة للتعبير عن احاسيسي الداخلية ، أو هي مجرد حرفة خاصة بي وحسب . . بل أنها تمثل نظرتي للحياة نفسها » .

والمعروف عن كارش أنه كان ، قبل أن يقوم بالتقاط صور احد « عظمائه » يعمد إلى دراسة حياة هذا الشخص بشكل مستفيض ، حتى أنه كان يلم بعادات هذا الانسان ، ونفسيته ، وهواياته ، ومزاجه النفسي ، وتصرفاته ، وأعماله (الأدبية والسياسية الخ . .) . ويقول كارش بهذا الصدد :

« رغم أنني أطلع على كل هذه المعلومات ، إلاّ أنني نادراً ما استخدمها . . ولكنني اعتقد أنها ترسخ في اعماقي وتساعدني في عملي من خلال التجاوب الذي تخلقه بيني وبين عميلي . . ورغم هذا كله فانني أشعر بحاجتي الماسة إلى هذه المعلومات مهما كان شأنها » .

والأساس في أعمال كارش هو ذلك التجاوب الخفي بينه وبين الشخص الذي يصوره كما بدا من خلال كلامه .

ويضيف كارش : « وبهذه الطريقة صورت تشرشل وموم وهمنجواي وغيرهم حتى أصبحوا من أخلص أصدقائي » .

ومن هنا يمكن القول ، أن أسلوب كارش هذا هو الأول من نوعه بين مصوري العالم قاطبة ، كما ويعتبر أسلوبه هذا طريقة جديدة ورفيعة وضعها كارش في « علم » التصوير الفوتوغرافي ؛ مما يمكن اعتباره رائداً في هذا المجال . انه في صوره كلها يعبر عن السعادة والحزن الأنساني من خلال الصور التي يلتقطها . أنها عدسة للحياة نفسها ، عدسة كارش .

* * *

جاكوب كوينزلر

JACOB KUNZLER

ـ أبو الأيتام الأرمن ـ

في عام ١٩٠٥ تزوج جاكوب من الآنسة اليزابيت[1] . ومنذ ذلك التاريخ بدأت تضحيات الزوجين من أجل الأرمن الذين شردوا أو جرحوا نتيجة المجازر الأرمنية عام ١٩١٥ ، وبسبب الحرب العالمية الأولى أيضاً .

لقد كرس الاثنان عمريهما ووقتهما بشكل يندر تحديده او تفصيله . فقد التحق جاكوب أولاً وفي مطلع حياته ببعثة تبشيرية للالمان البروتستانت في مدينة أورفه URFA (اديسا سابقا) ، في تركيا ، وذلك خلال السنوات الأخيرة من القرن الماضي ، حيث أخذ يعتني بالمعوزين والمرضى الأرمن الذين افتتح لهم عيادة خاصة بهم . ثم استمر يعمل من أجل هؤلاء على مدى خمسة وعشرين عاماً متواصلة ، وفي ظروف قاسية شهد خلالها عمليات التشريد والنفي التي تعاقبت على الشعب الأرمني خلال هذه السنوات الطوال .

---

١ ـ وقد ولدت لهما ابنة ، هي عائدة AIDA ، جاءت كأبويها تماماً . فقد رأت عائدة النور في بلدة أورفه المذكورة التي غادرتها بعد الحرب الأولى الى سويسرا لتمضي أربع سنوات من الدراسة . ومنذ أن أصبحت في الحادية عشرة من عمرها قررت أن تصبح طبيبة كأبيها ، وأن تكرس حياتها للمعذبين . وبالفعل فقد تابعت علومها الأولى في مدينة صفد الفلسطينية ، ثم نالت شهادة « دكتور » من الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٣٦ .

ومنذ هذا العام بدأت عائدة عملها في حقل الخدمات الاجتماعية ، فالتحقت بمستشفيات فلسطين والأردن لعدة سنوات أخذت خلالها تداوي المرضى وتعالجهم .

وفي أواخر عام ١٩٣٦ تزوجت من السيد نجيب علم الدين (الرئيس السابق لمجلس ادارة شركة طيران الشرق الأوسط) ، وهي ما تزال حتى اليوم تعمل في حقل الخدمات الاجتماعية ، ولها كتاب باسم الأب كوينزلر والأرمن من منشورات دار موريسون وجيب المعروفة بلندن .

ولم يكن يعمل بمفرده ، كانت زوجته اليزابيت لا تقل عنه حماساً وحنواً وعطفاً على مواطنيها الأرمن . وهكذا شكل الاثنان فريقاً للعمل أخذ على عاتقه مواجهة الظروف القاسية التي عاشها هؤلاء وتخفيفها عليهم قدر الامكان .

ومن هذا القبيل ما بدأه الزوجان عام ١٩٢٠ حينما احدثا في لبنان (قرية غزير) مركزاً للأيتام الأرمن ، وهنا لم يجد هؤلاء فقط الرعاية والعطف من هذين الانسانين ، بل وأخذوا يتلقون تدريباً على القيام بأعمال يدوية تساعدهم مستقبلاً على كسب قوتهم والاستقلال في العيش والكسب الحر .

ثم عمد الأب كوينزلر والأم اليزابيت عام ١٩٣٠، إلى إنشاء معسكرات جديدة وبيوتات أخرى، خصصاها للآجئين الأرمن إلى لبنان وكذلك للأرامل واليتامى .

« لقد كان لك هدف واحد ، وطموح واحد يعملان في قلبك . . ان تساعد وأن تؤمن من الراحة والدعة، وأن تخلق الأمل، وأن تقوي الإيمان والعزيمة . . أن تدعم المحبة تشعّ وتسطع في نفوس الأرمن والإنسانية».

وبالفعل كان هذا هدف حياته . لقد ضحى ، بوقته وعمره من أجل مواطنيه ، كما سعى إل حمايتهم وانتشالهم بكل طاقاته . . فأمن لهم الدواء والسكن والعلم ، ثم عندما انهى واجبه . . ذهب إلى الأبدية والابتسامة تملأ شفتيه وتغزو حناياه .

* * *

أعلام أرمن آخرون

هنري تورياً (H. TROYAT (TAROSSIAN . كاتب أفرنسي شهير . ولد في الأول من كانون الأول عام ١٩١١ في موسكو حيث كان يحمل أسم ليون تاراسوف ثم استبدله ، بعد وصوله الى فرنسا باسمه الحالي .

هذا ويعتبر هنري ترويا أحد الروائيين والقصصيين الأفرنسيين الأوائل في العصر الحديث . ويلحقه النقاد بالمدرسة الطبيعية NATURALIST.

وفي عام ١٩٥٩ انتخبت عضواً في الأكاديمية الأفرنسية L'ACDAMI FRANCAISE تقديراً لمواهبه الأدبية ، وكان بهذا الانتماء أصغر عضو يدخل هذا المجمع الأدبي ـ العلمي الراقي منذ نشأته .

كما وتعتبر مؤلفاته على جانب كبير من الذيوع والانتشار في فرنسا وخارجها بحيث ترجمت بعض اعماله ورواياته الى اللغات الأخرى ، كالانكليزية والافرنسية والالمانية والايطالية .

ط ـ روبين مامولیان RUBEN MAMULIAN . مخرج سينمائي أرمني الأصل وأميركي الجنسية أخرج افلاماً عالمية عديدة . أشهرها دماء ورمال BLOOD AND SAND في الاربعينات من القرن الحالي (تمثيل تيرون باور، انطوني كوين) وهذا الفيلم الأخير يعتبر أعظم أعماله السينمائية إلى جانب العديد من الافلام القصيرة والطويلة والوثائقية الأخرى التي اخرجها . . .

٢ ـ المرشال باغرامیان BAGRAMIAN . أحد القادة العسكريين الكبار في الاتحاد السوفيتي . وهو احد القلائل من الضباط السوفيت الذين منحوا لقب « بطل

الاتحاد السوفيتي » ـ .

خاض غمار الحرب العالمية الثانية (الحرب الوطنية الكبرى) ، وكان قائداً للجيوش السابع والتاسع عشر . وكان آخر منصب شغله هو مدير الاكاديمية (الكلية) العسكرية السوفيتية في موسكو .

٤ ـ الجنرال سافريان SAFARIAN. . وهو أيضاً من كبار ضباط الجيش السوفيتي . ومما يذكر لهذا الرجل العسكري الأرمني الأصل ، أنه كان أول من دخل برلين على رأس جيوشه الروسية من بين الحلفاء (الروس ، الانكليز ، الاميركيين ، الافرنسيين) . وسجل بذلك انتصاراً أكسب الاتحاد السوفيتي مركزاً استراتيجياً ساعده في المفاوضات التي جرت فيما بعد بين الحلفاء حول توازع مناطق النفوذ في المانيا .

٥ ـ هنري فورنيل VERNEUILLE احد المخرجين السينمائيين الأرمن الذين يحملون الجنسية الأفرنسية . له افلام عديدة نالت شهرة واسعة في فرنسا وخارجها ومن أشهرها « الرجل ذو الاصابع الباردة » و « البارود » الخ . . وتمتاز افلامه بشفافية من نوع غريب وبواقعية ملموسة . واسمه الحقيقي آشوط مالاكيان .

٦ ـ سيلفي فارتان S. VARTAN . مطربة افرنسية معروفة على الصعيد العالمي . أرمنية الأصل . ولها مجموعة من الأغاني المعروفة في الاوساط العربية . .

٧ ـ تشارل ديران CHARLES DIRAN TEKEIAN . شغل منصب مفتش عام للبحرية الأفرنسية . وما يذكر بشأن هذا العسكري الأرمني الأصل قيادته لبعض قطع الأسطول الأفرنسي التي انقذت أكثر من أربعة الآف أرمني التجأوا الى جبل موسى (في تركيا) هرباً من الاضطهادات في الأمبراطورية العثمانية عام ١٩١٥ .

الخاتمـــة

لقد كان هذا الكتاب، «الأرمن عبر التاريخ»، محاولة متواضعة مررنـا فيهـا بعرض سريع حول كينونة ارمينيا احدى مراكز الحضـارات الانسـانية المعـدودة في العالم التي شهدت ولادة الانسان القديم ، تماماً كما هو الأمر بالنسبة لالمانيا والصين واندونيسيا .

ثم عرفنا الأصول العرقية الحقيقية للارمن ، وانتماءاتهم الجنسية ، وتشكلهم كأمة منـذ الألف الأولى قبـل الميلاد . . كما تعرضنـا بالحـديث أيضـاً الى التـاريخ السياسي لهذا الشعب على مدى ثلاثين قرناً هو عمر الأمة الارمنية نفسها ، هذا إذا أنقصنا منه الروايات والميثويولوجيا الارمنية التـي ترجـع بتـاريخ هذا الشعـب الى أربعين قرناً ما قبل الميلاد . وكان لا بد لنا أيضاً في هذا الكتـاب من القـاء نظـرة متفحصة بعض الشيء حول حضارة الشعـب الارمنـي وتراثـه الروحـي واللغـوي والادبي .

وفي استعراضنا المتقدم هذا رأينا لزاماً علينا أيضاً تعريف القارىء بالمسألة الارمنية وجذورها التاريخية التي ما زالت قيد النقاش والجدال أمام المجتمع الدولي ومجالسه ومحاكمه المختصة بهدف إيضاح العدالة التي تتمتع بها هذه القضية.

إن ثمة الكثير الذي يمكن تفصيله بخصـوص هذه الأبـواب كلهـا ، والتـي يصلح كل منها على حدة ، أن يكون كتاباً منفرداً . وهو ما ننصح به لمن يرى السير في الطريق الذي مشينا عليه عندما وضعنا مؤلفنا هذا .

كما رأينا ، عبر تسطيرنا لتاريخ هذه الأمة ، ونحن نرى الارمن اليوم يعيشون بين ظهرانينا في سوريا ولبنان والعراق والاردن كأخوة وأشقاء مواطنين ، نقول . .

رأينا انه من الواجب علينا أن نتعرض للحديث عن سير العلاقات العربية الارمنية عبر التاريخ ، ووضع الارمن اليوم وتوزعهم السكاني والمهني والسياسي والثقافي باعتبارهم مواطنين عرباً لهم ، ما لهذا الشعب العربي من الحقوق ، وعليهم ما عليه من الالتزامات .

ثم ألحقنا بهذا المؤلف تتمة دقيقة أكدناها عندما بينا أن هذا الشعب المبعد والمشرد عن بلاده والموزع في أقطار الارض ، قد استطاع رغم هذه القرون الثلاثين، التي مرت على مولده،أن يقدم للانسانية تراثاً حضارياً واسعاً ومجيداً ، وشخصيات فذة عملت من أجل نفس هذا الهدف الانساني الذي طورته شعوب أخرى ، ومن هؤلاء أولئك الذين مررنا بهم في الفصل الخاص باعلام الارمن حيث كان منهم الروسي والامريكي والافرنسي والانكليزي والألماني الخ . . .

ولأن شعباً له مثل هذا التاريخ المجيد فقد نظرنا ، ثم كتبنا ، عنهم عندما أضحى الكثيرون منهم أباطرة في الدولة البيزنطية ذاتها ، وذلك إلى جانب أولئك الوزراء والحكام والقادة العسكريين والأدباء والكتاب الأرمن الذين برزوا في دول أخرى كروسيا ودول أوروبا وأمريكا الخ . .

إن شعوباً كثيرة وكثيرة جداً عاصرت الأرمن عندما تشكلت دولة هؤلاء الآخرين . ولكن أين هذه الشعوب من خارطة الشعوب اليوم ؟ لقد بادت وانقرضت بينما نرى الارمن اليوم أحياء متماسكين ، رغم تفرقهم في مختلف أقطار وأرجاء المعمورة ، يعملون من أجل أنفسهم ومن أجل مصالح الدول التي يتواجدون فيها.

وحري بنا أخيراً ، والشعب الارمني هو على ما قدمناه . . . نقول حري بنا أن نكتب ما كتبناه وأن نفخر بهذه المحاولة المتواضعة حقاً والجادة حقيقة كما قدمناها عبر فصول هذا الكتاب وأبوابه . . والله نسأل التوفيق .

المؤلف

مروان المدور


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية:

١ ــ تاريخ الأمة الارمنية: الدكتور ك.ل. استارجيان.

٢ ــ تاريخ ارمينيا: تأليف بول اميل ترجمة شكري علاوي.

٣ ــ صفحات من تاريخ الامة الارمنية: السيد عثمان الترك.

٤ ــ أرمينيا في التاريخ العربي: السيد اديب السيد.

٥ ــ المعاهدات الدولية: السيد يوصف آصاف.

٦ ــ رحلة في بلاد المشرق: الاديب الافرنسي لامارتين.

٧ ــ كمال اتاتورك رجل في امة: السيد مصطفى الزين.

٨ ــ الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سورية ولبنان: السيد زين نور الدين زين.

٩ ـ تاريخ الديانات: السيد مظهر سليمان.

١٠ ـ التاريخ الحديث: السادة انور الرفاعي ـ شاكر مصطفى ـ فيصل شيخ الارض.

١١ ـ دليل المدارس الخاصة بلبنان: المؤسسة العامة للدليل والاعلان.

١٢ ـ الارمن في سورية: السيد وجيه الخيمي.

١٣ ـ الارمن يتذكرون: منشورات مكتب المعلومات الارمني.

١٤ ـ المذابح في ارمينيا: السيد فائز الغصين.

١٥ ـ دائرة معارف فؤاد افرام البستاني.

١٦ ـ الموسوعة العربية الميسرة.

١٧ ــ تاريخ الادب والثقافة الارمني: السيد ك.ل. استارجيان.

١٨ ــ تطور الكائنات الحية: الدكتور كمال علم الدين.

١٩ ــ الاصول البشرية: ترجمة فاروق مصطفى اسماعيل.

٢٠ ـ الحقوق الدولية العامة: الدكتور فؤاد شياط.

٢١ ـ تاريخ الحضارة العامة: وول ديوروانت.

٢٢ ـ القضية الارمنية امام الرأي العام العربي: السيد كرسام اهارونيان.

٢٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية.

٢٤ ـ ارمينيا السوفيتية: دار هايستان للطباعة والنشر- يريفان.

٢٥ ـ مجلة المدينة العدد ١٤ لعام ١٩٧٤.

٢٦ ـ مجموعة الصحف البريطانية الصادرة بين اعوام ١٨٧٥- ١٩١٤ (باللغة الانكليزية).

٢٧ ـ تاريخ الطبري.

٢٨ ـ تاريخ العالم: ارنولد توينبي.

٢٩ ـ اصول الحضارات: سالم خورشيد.

المصادر بالأجنبية:

1 — Torigian, Dr. Sh. The Armenian Question and the International Law.

2 — Encyclopedeia Britanica.

3 — Simpson, The Meaning of Evolution

4 — George M. Lang, Armenia: Cradle of civilization.

5 — Sirarpie Der Nersessian, the Armenians

6 — Trevelyan, G.M. British history in the 10. century and after p.p: 173 — 214

7 — Howard, Harry N. the partition of ottoman empire.

8 — Anderson, M.S. the eastern Question (London 1966).

9 — Aida Alamuddin, Papa Kuenzler and the Armenians.

10 — Aram Khachaturyan.

11 — Missi Magazine, N. 4, 1965.

الفهرس

كلمات شكر وعرفان

لا يسعني الا ان اقدم شكري الجزيل الى الاستاذ جورج صباغ الذي قام باعداد الخرائط الملحقة بهذا الكتاب، كما تفضل مشكوراً بابداء وجهات نظره في بعض الحوادث التاريخية التي وردت في كتابنا هذا حيث يطلع القارىء الكريم عليها في مواضعها، وكان لها اثر كبير في ايضاح الكثير مما غمض علينا.

ان الصديق الاستاذ صباغ هو من الاخوة الارمن السوريين الذين يتمتعون بثقافة نادرة واطلاع واسع على التاريخين العربي والارمني مما يصح معه ان اكرر له شكري الجزيل مرة ثانية هو والصديق طوروس طورانيان الذي تفضل بدوره وقدم كل المساعدات الممكنة في تأمين المصادر واعداد كلمته التي يطلع عليها القارىء في مقدمة هذا الكتاب.

واخيراً أجد نفسي مدفوعاً لان أقدم عملي الأدبي الأول هـذا إلى الآنسـة حياة خ . التي لولا تشجيعها وصدق مشاعـرها نحـوي لما تمكنت من دفـع هـذا الكتـاب إلى الـطبـع

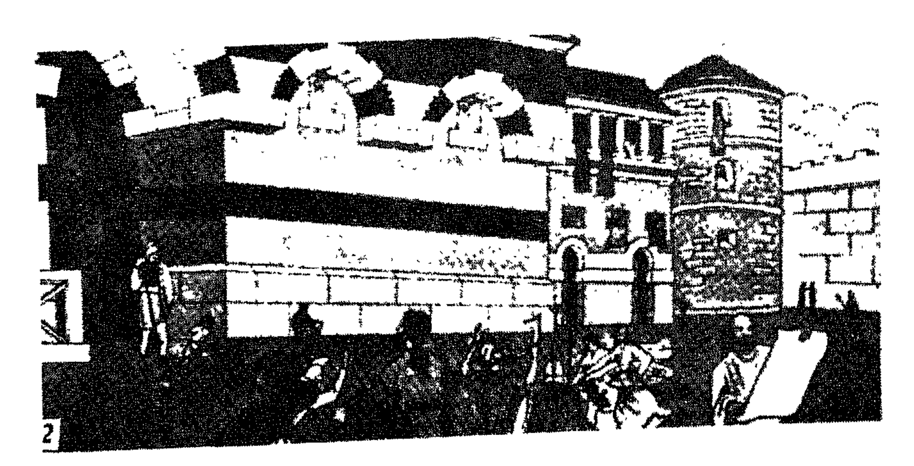
بيروت في ٢٥ / ٣ / ١٩٨١ المؤلف



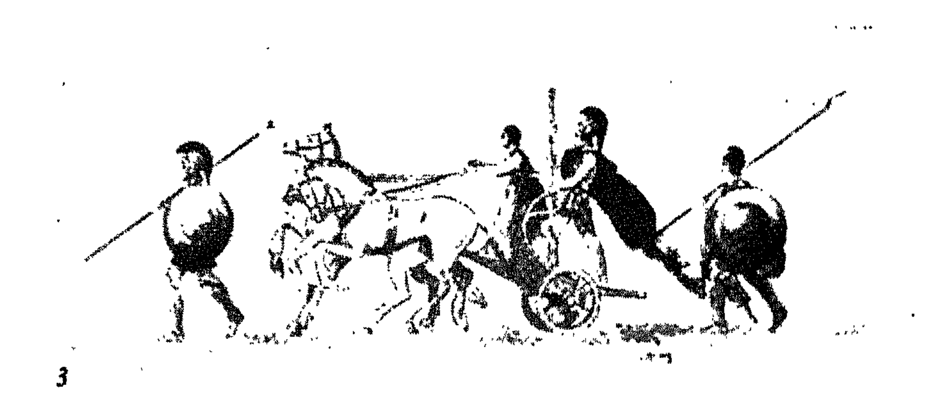
لوحات الكتاب







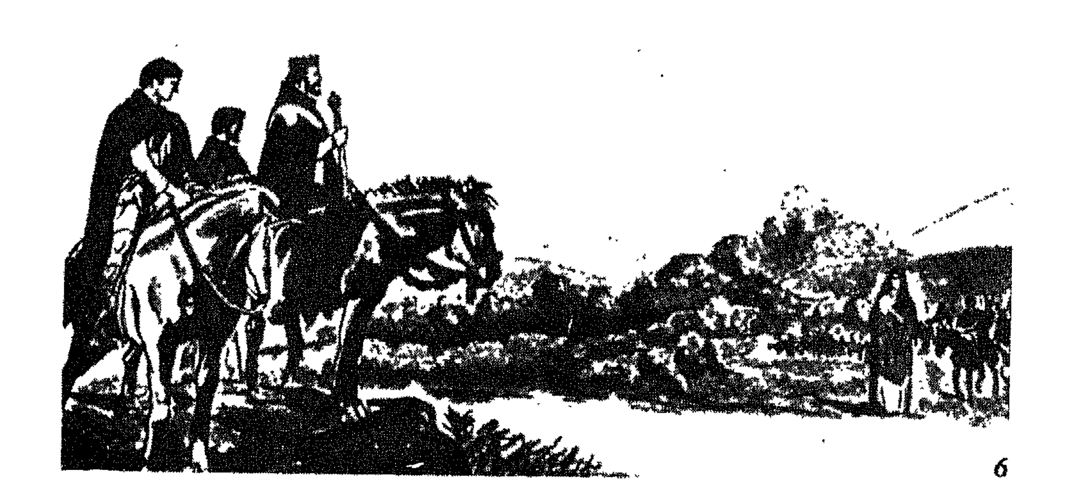
2



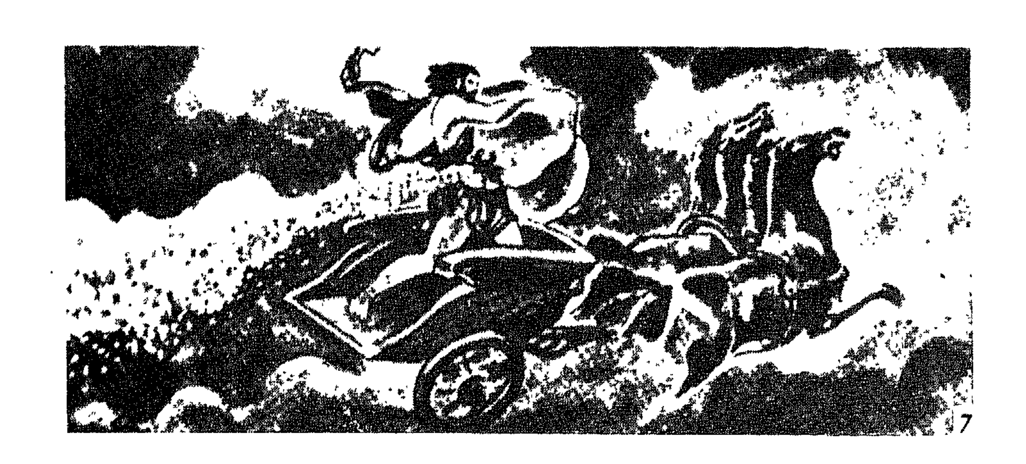
3


4


5



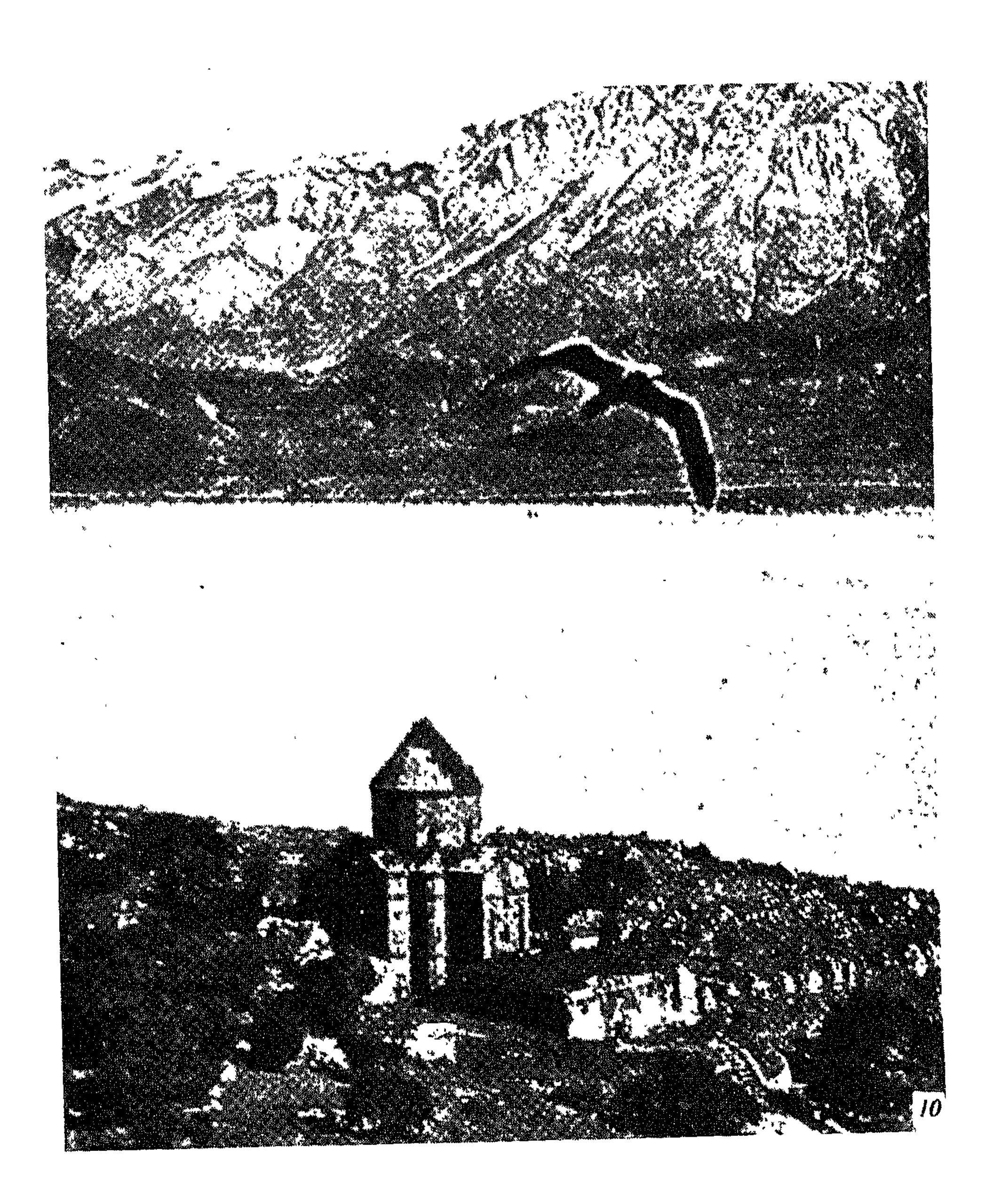
6



7






10


11


12

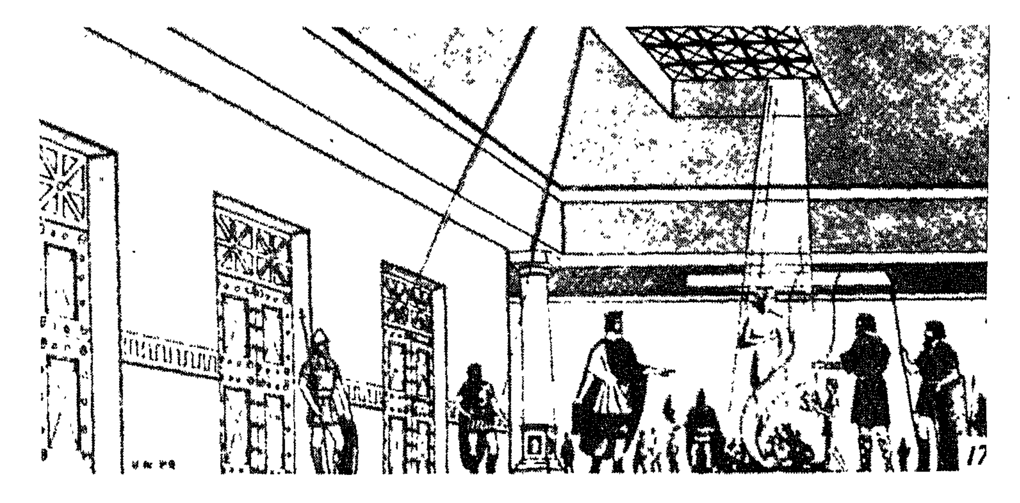

13


14


15



16



17



18


19


20


21


22


23


24

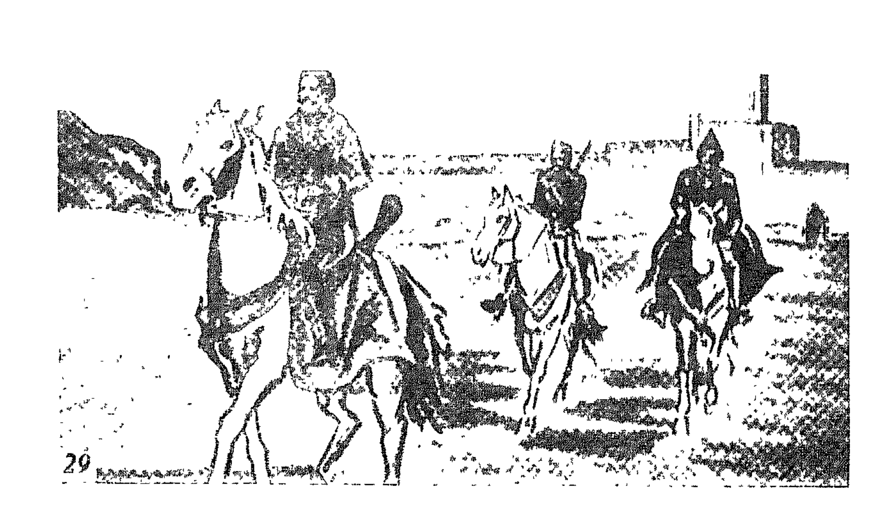

25


26


27



28



29



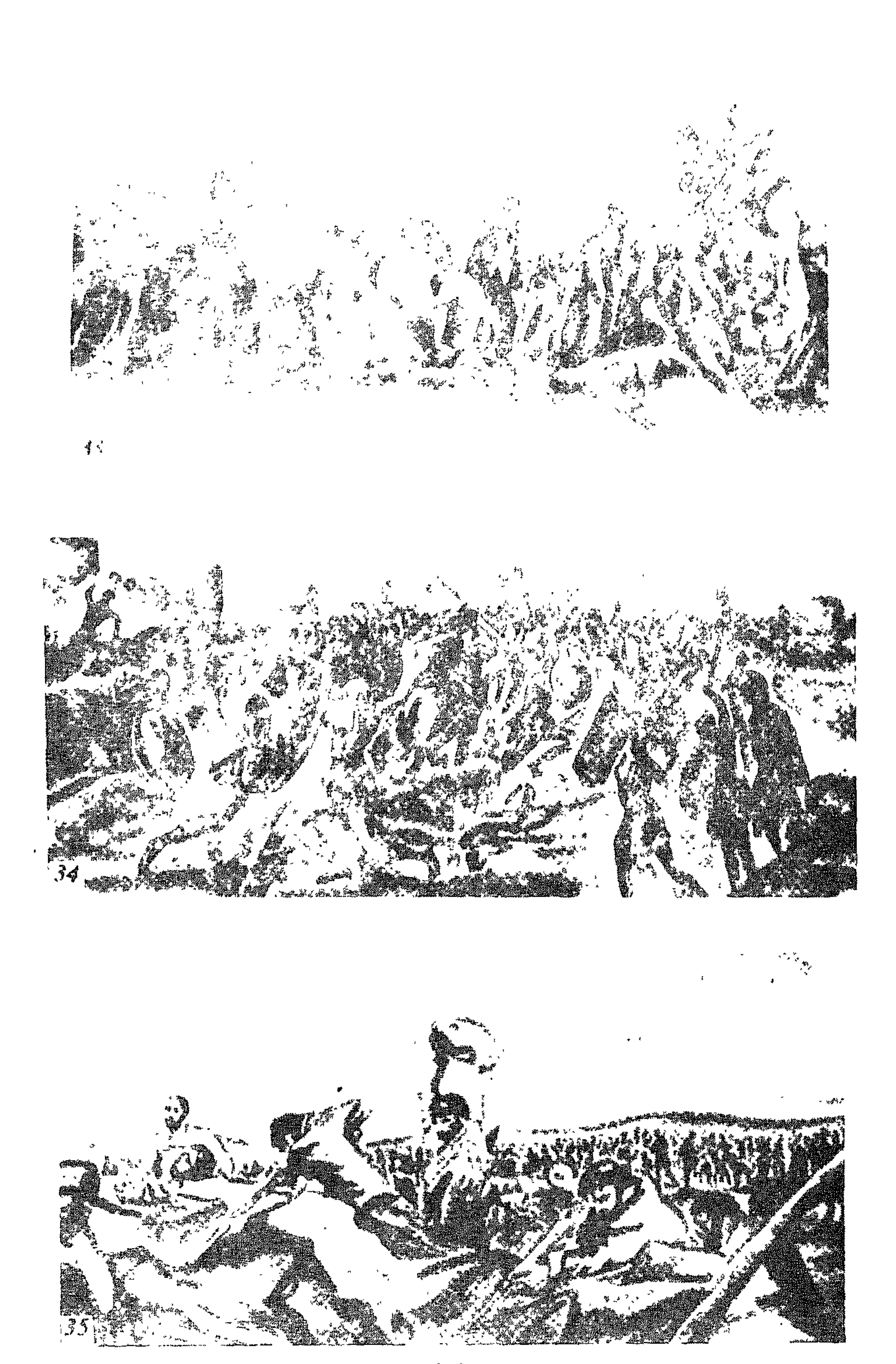
30

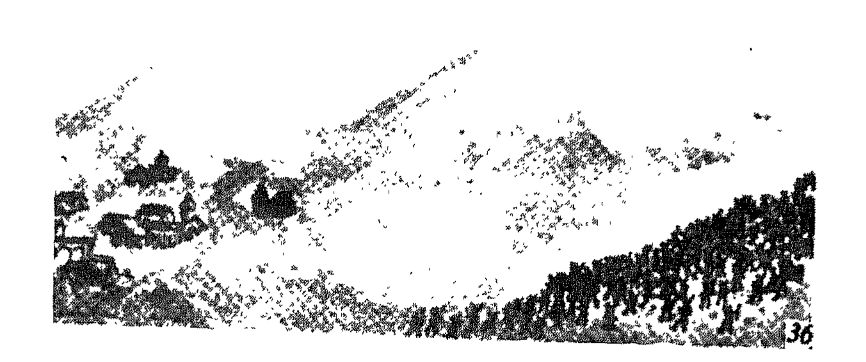


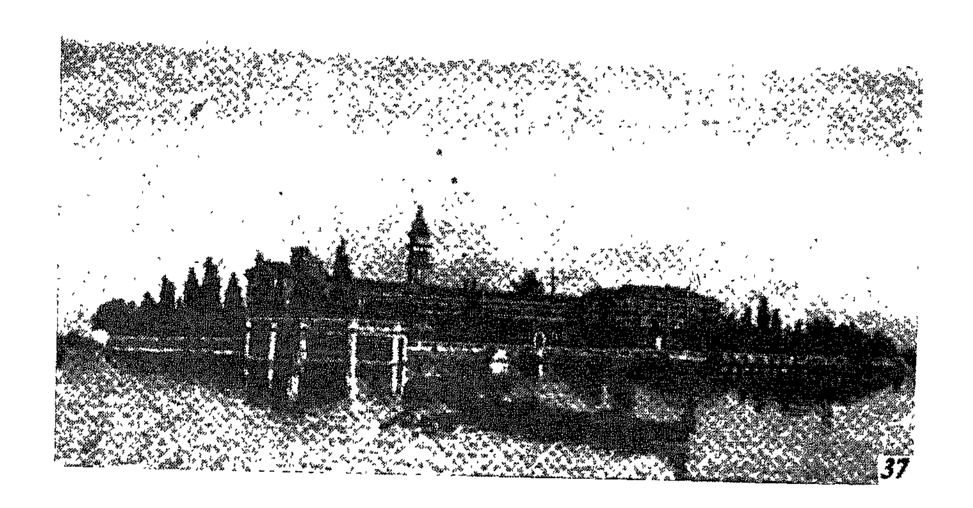
31

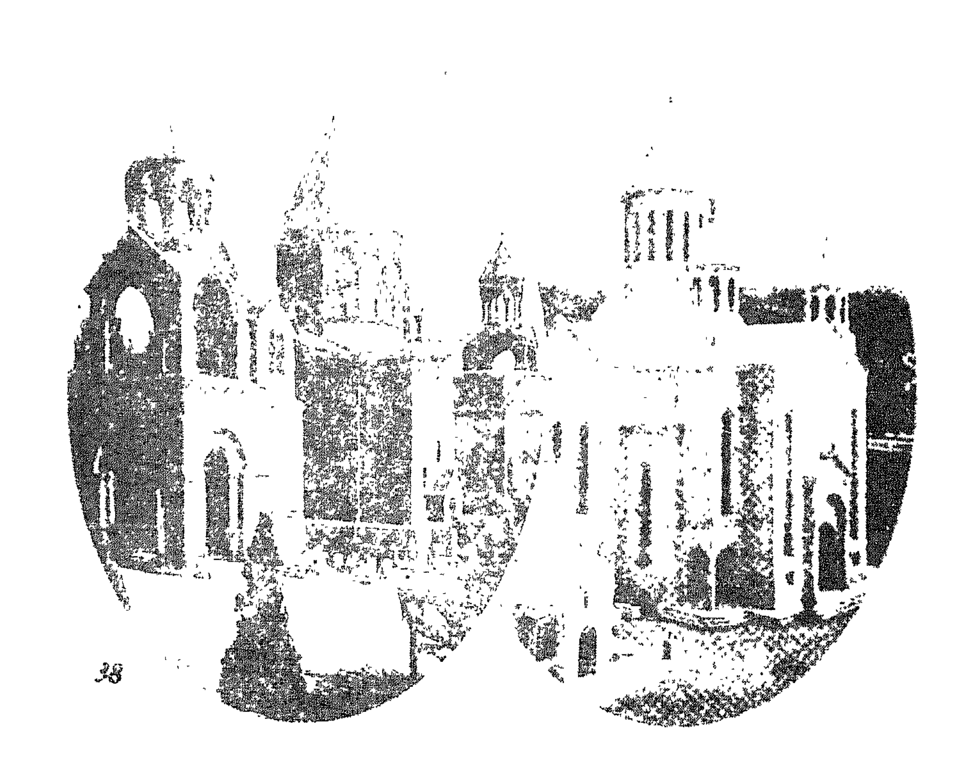


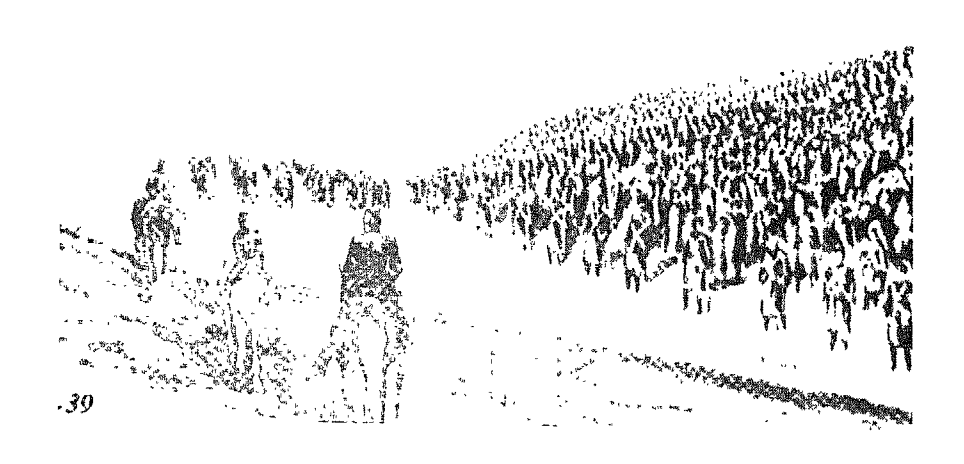
32

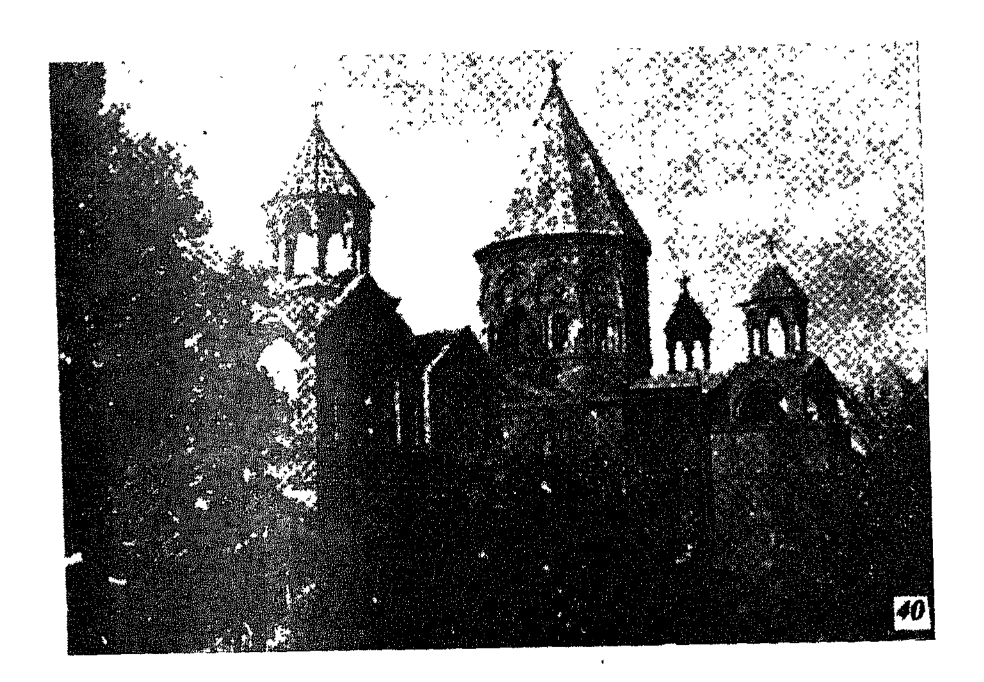

34
35


36

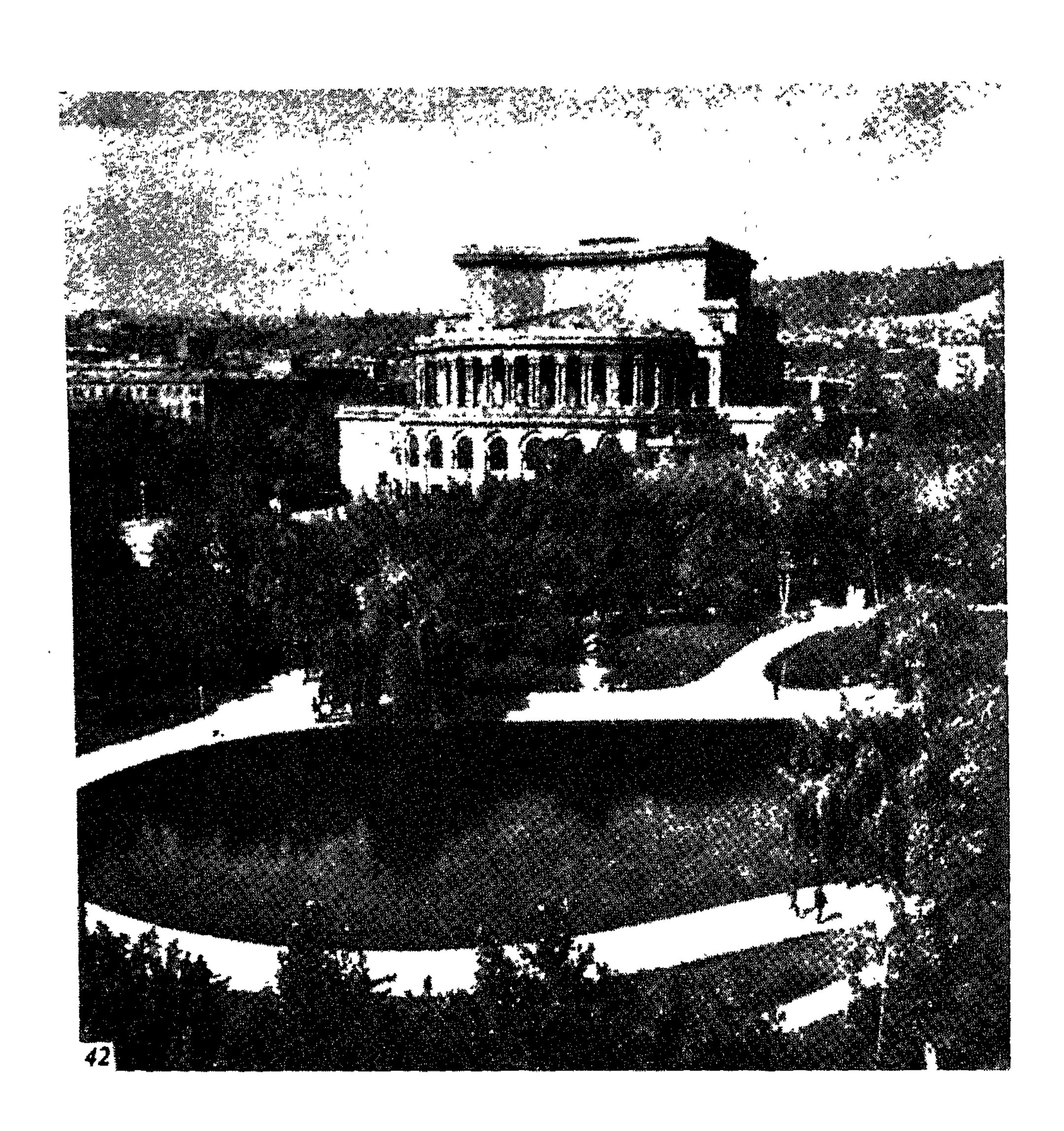

37


38


39

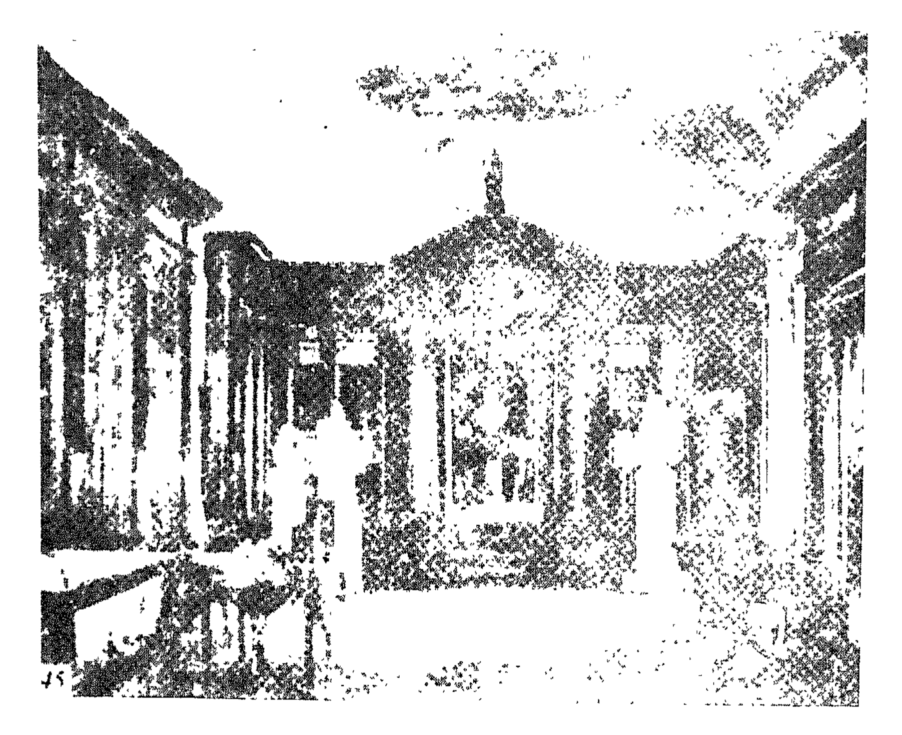

40


41



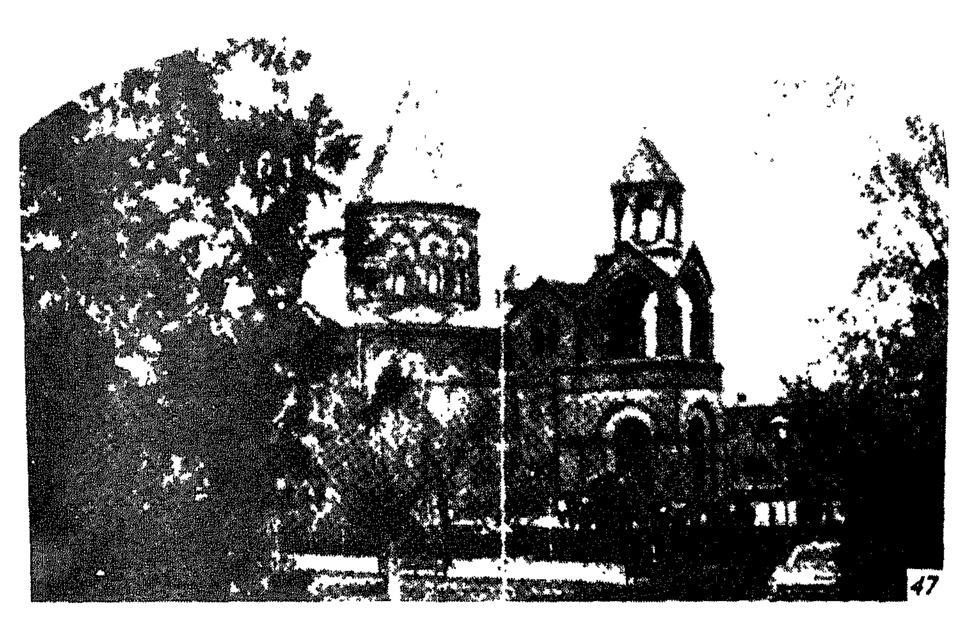

43



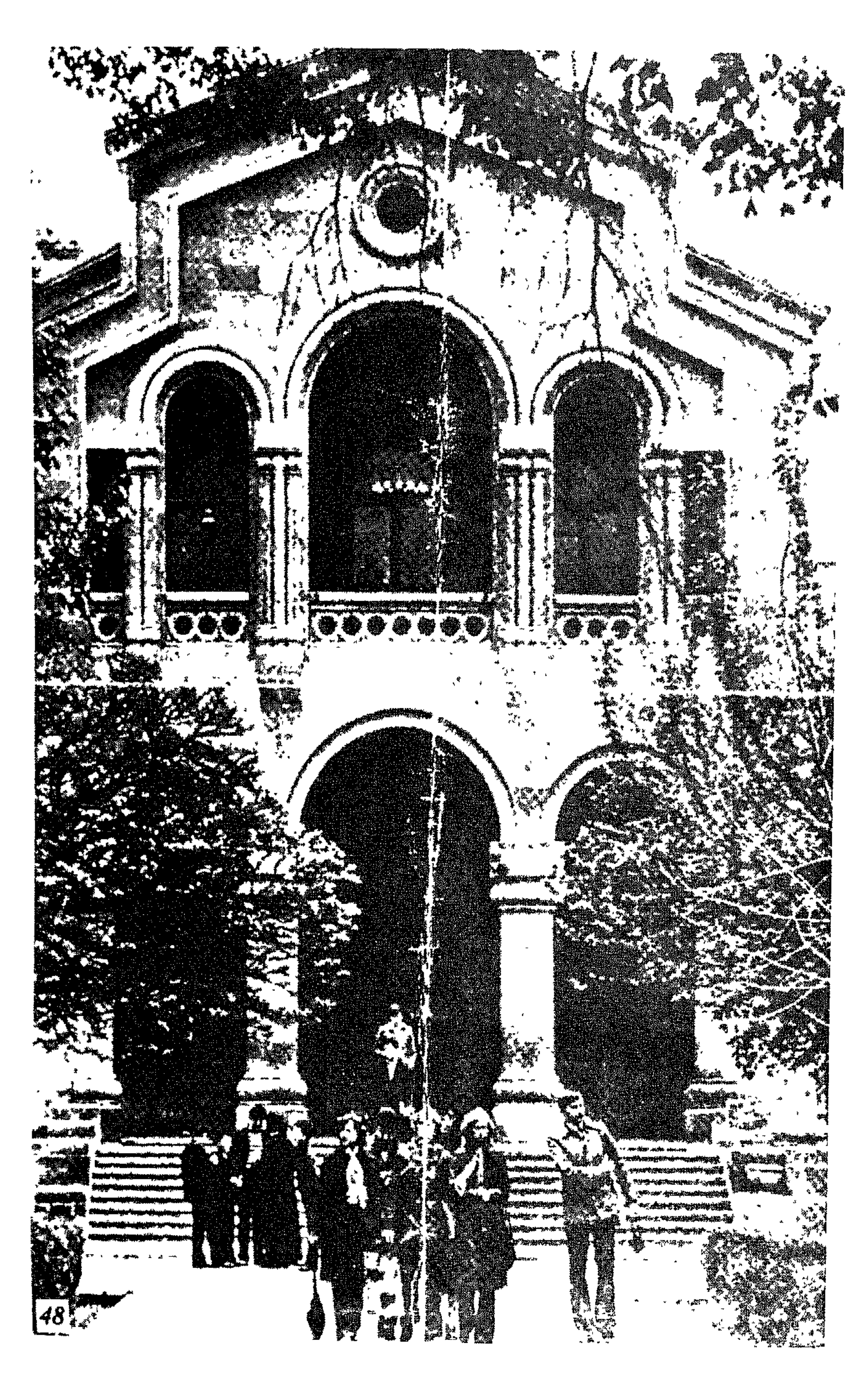


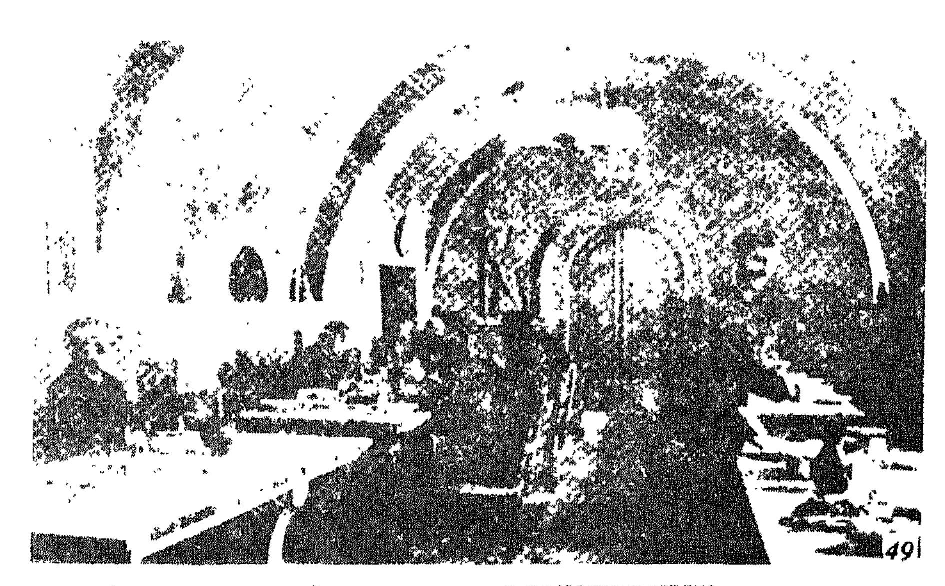


46



47



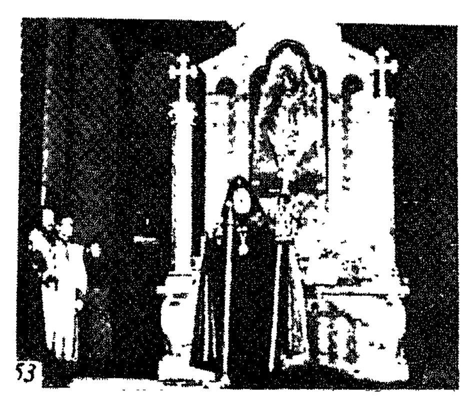


49

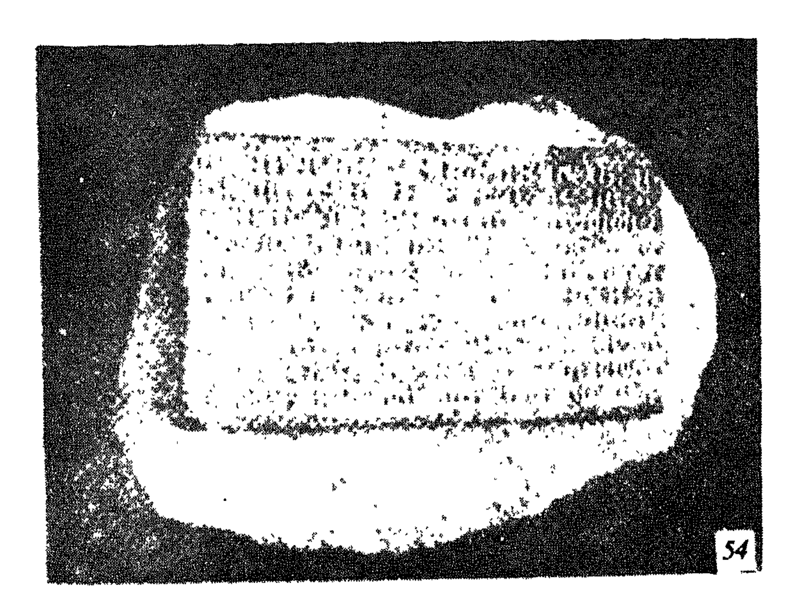


50


51


53


52


54



وثيقة تاريخيـة هامـة

ومن جملة الوثائق التاريخية التي تثبت حماية العرب المسلمين للنصارى وخاصة الارمن ، الرسالة الصادرة عن شريف مكة الملك حسين بن علي سنة ١٣٣٦ هـ — ١٩١٧ م . وفيها يوصي الاميرين فيصل عبد العزيز الجربا بالمحافظة على أبناء الطائفة الارمنية وتسهيل مهمتهم في طعمهم واقامتهم باعتبارهم أهل ذمة المسلمين وقد أثبتناها بنصها وهذا ما جاء فيها[١] .

من الحسين بن علي ملك البلاد العربية وشريف مكة

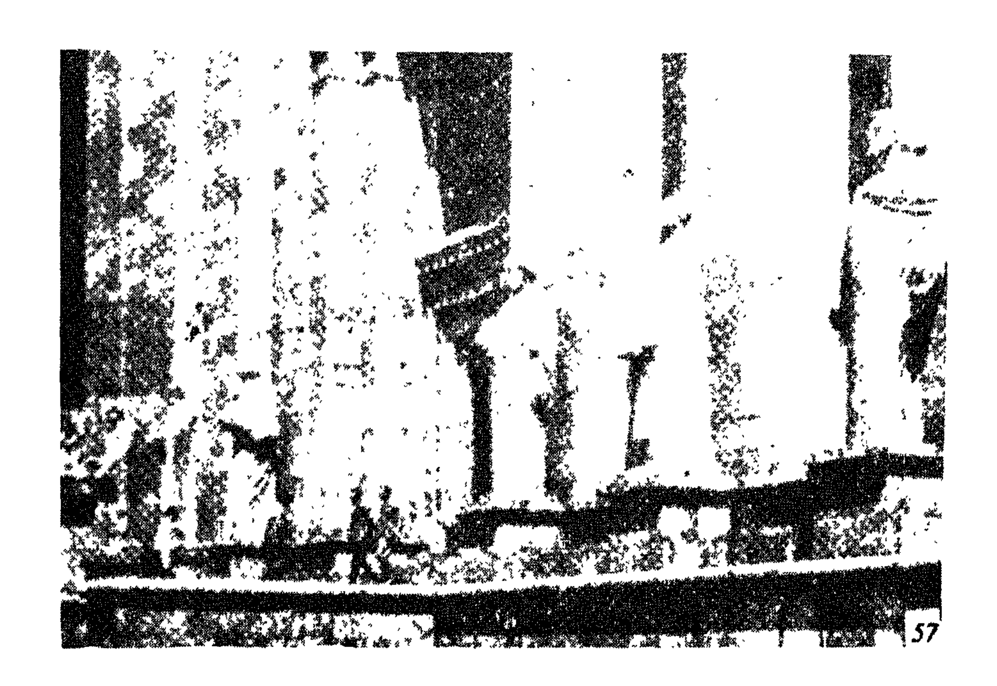
بسم الله الرحمن الرحيم

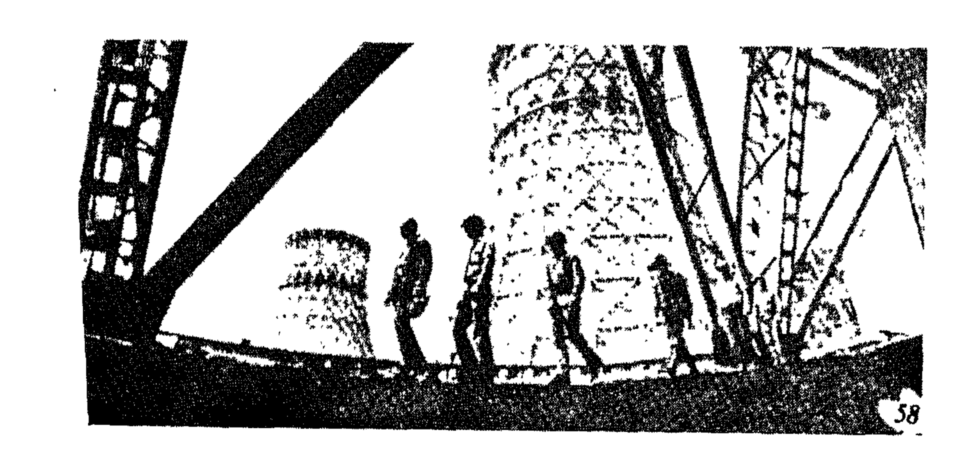
الامراء الاحلا الاماجد الامير فيصل والامير عبد العزيز الجربا ، السلام ورحمة الله وبركاته . اما بعد صدرت الاحرف من أم القرى بتاريخ ١٨ رجب ١٣٣٦ نحمد الله الذي لا إله الا هو اليكم ثم نصلي ونسلم على نبيه وآله وصحبه وسلم . ونخبركم باننا والثناء له تبارك وتعالى بصحة وعافية ونعمة من فضله ضافية وافية اسبل الله علينا واياكم سوابغ نعمه . وان المرغوب بتحريره المحافظة على كل من تخلف بأطرافكم وجهاتكم من الطائفة اليعقوبية الارمنية تساعدوهم على كل أمورهم وتحافظون عليهم كما تحافظون على أنفسكم وأموالكم وابنائكم وتسهلون كل ما يحتاجون اليه في طعمهم واقامتهم فانهم أهل ذمة المسلمين والذي قال فيهم صلوات الله عليه وسلامه من أخذ عليهم عقال بعير كنت خصمه يوم القيامة .. ما نكلفكم به وننتظره من شيمكم وهممكم والله بتوفيقه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

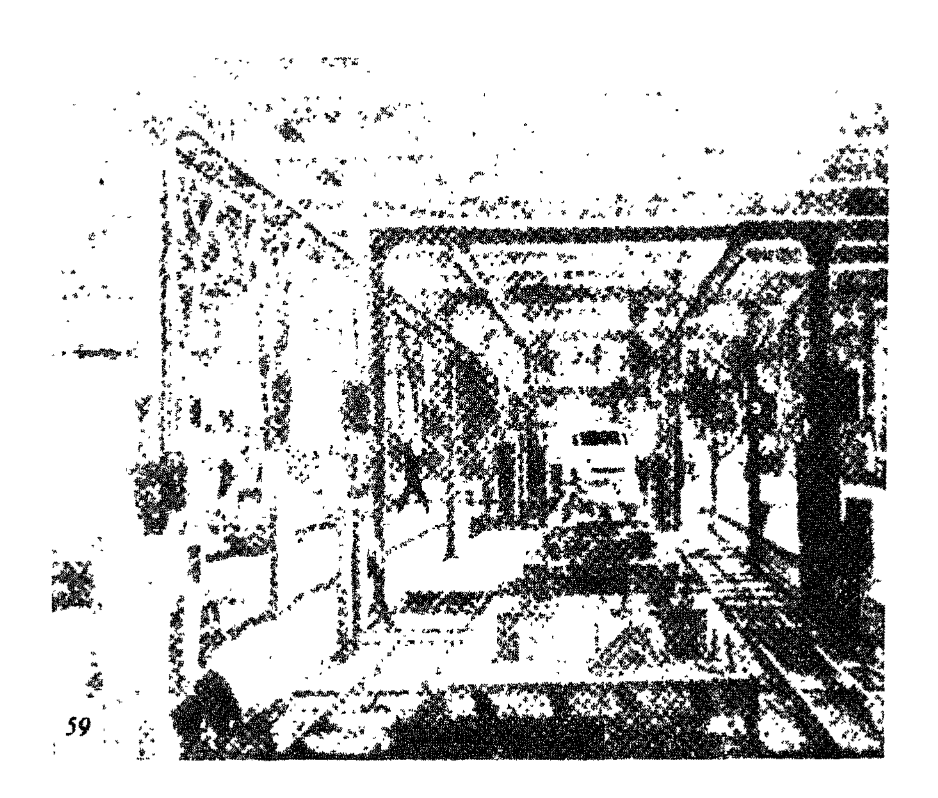
ال

---

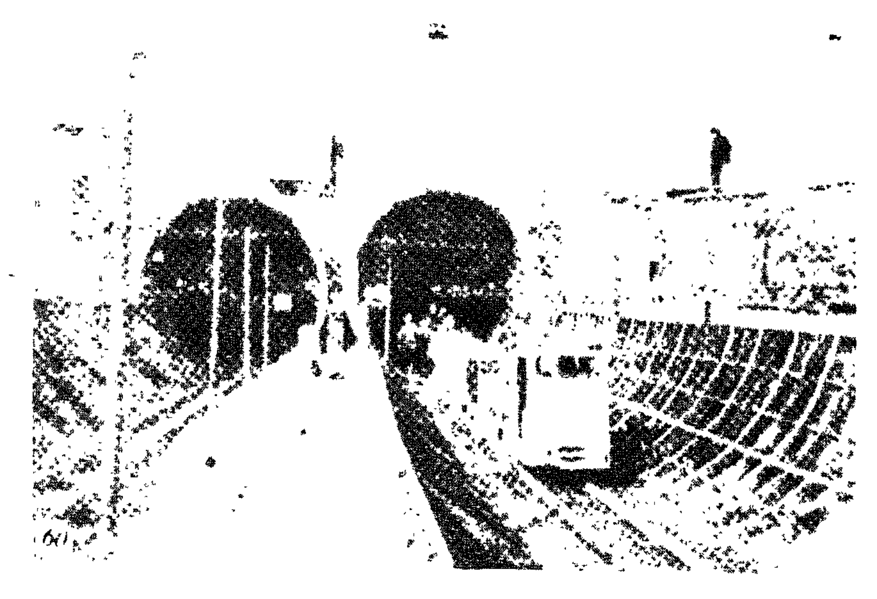
١ — ورد خطأ في نص الرسالة (الطائفة اليعقوبية ا
والواقع أن الارمن ليسوا يعقوبيين اي سريان بل ا
المونوفيزية شبيهة بالكنيسة اليعقوبية .


57


58

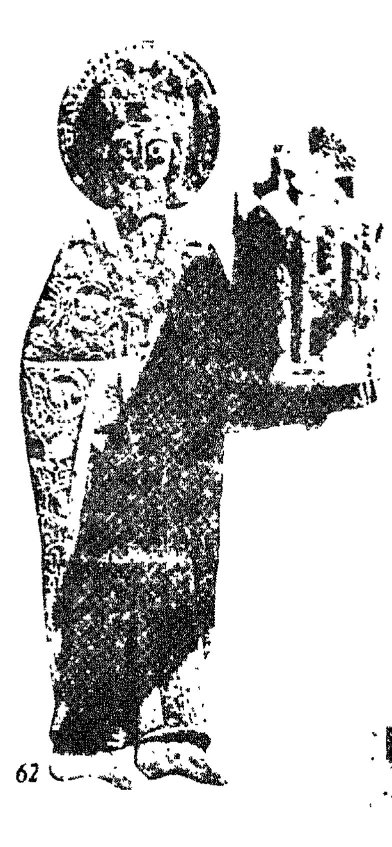


59



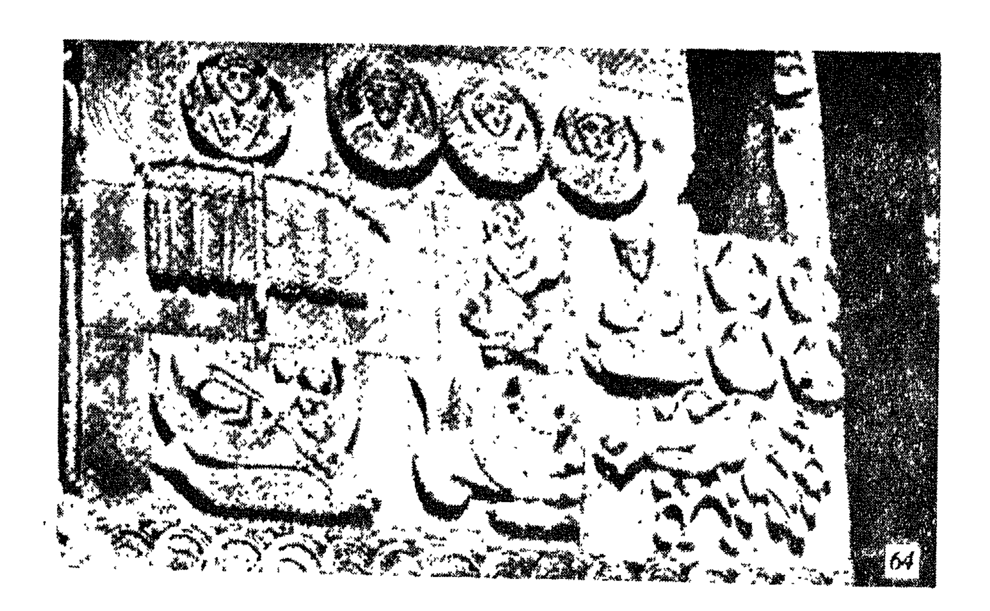
60


61

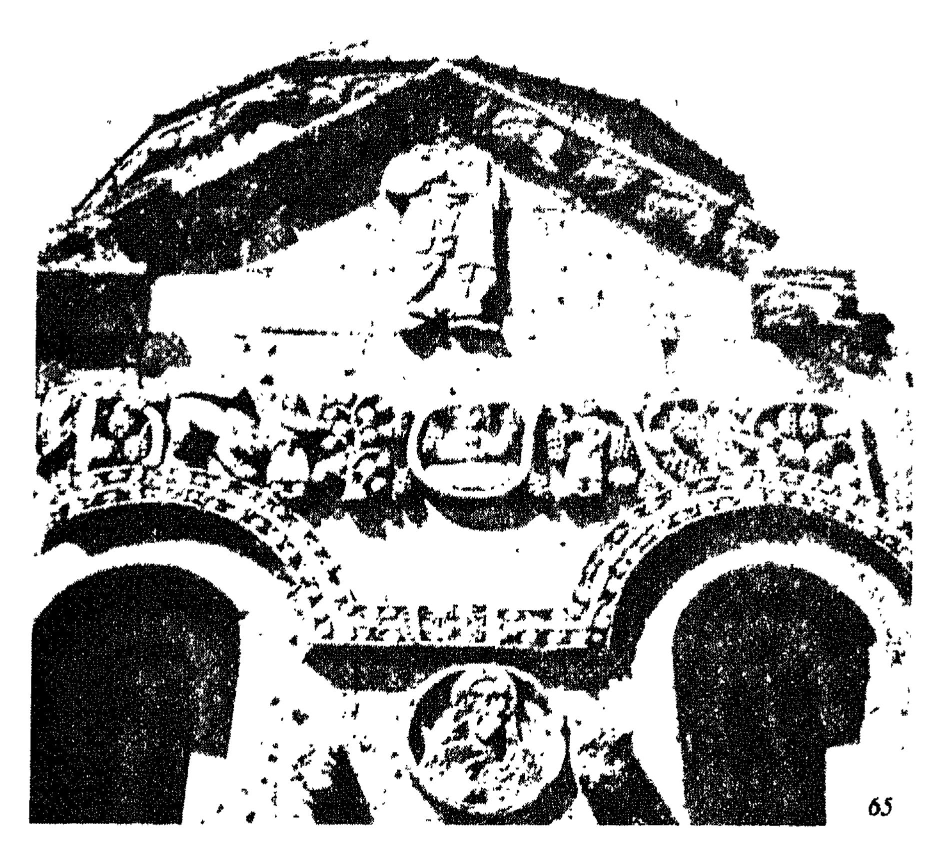


62

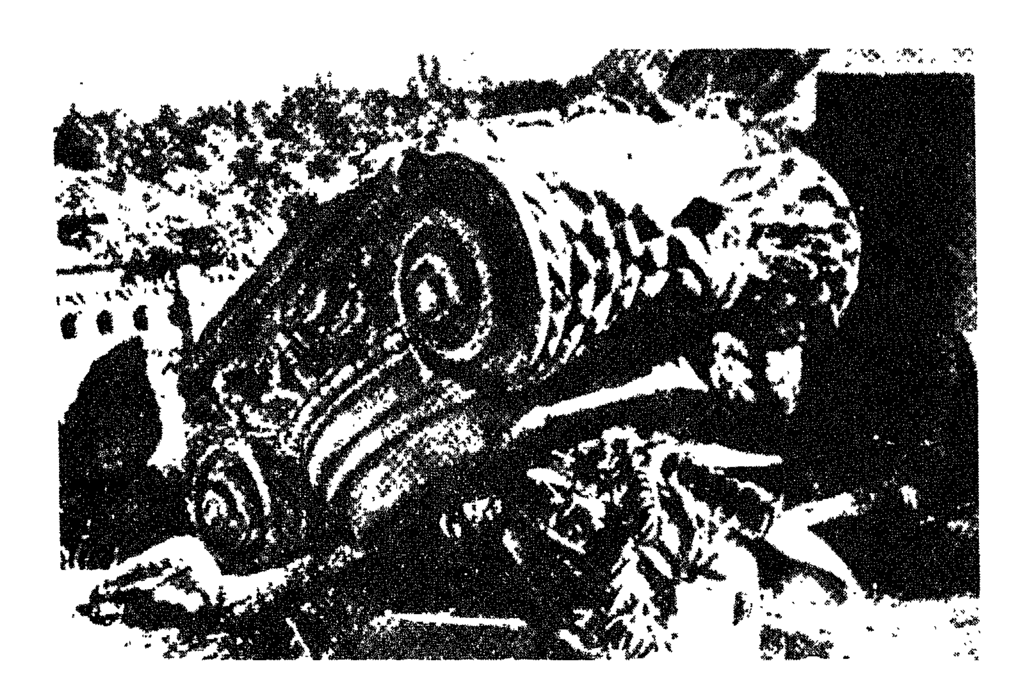
63



64



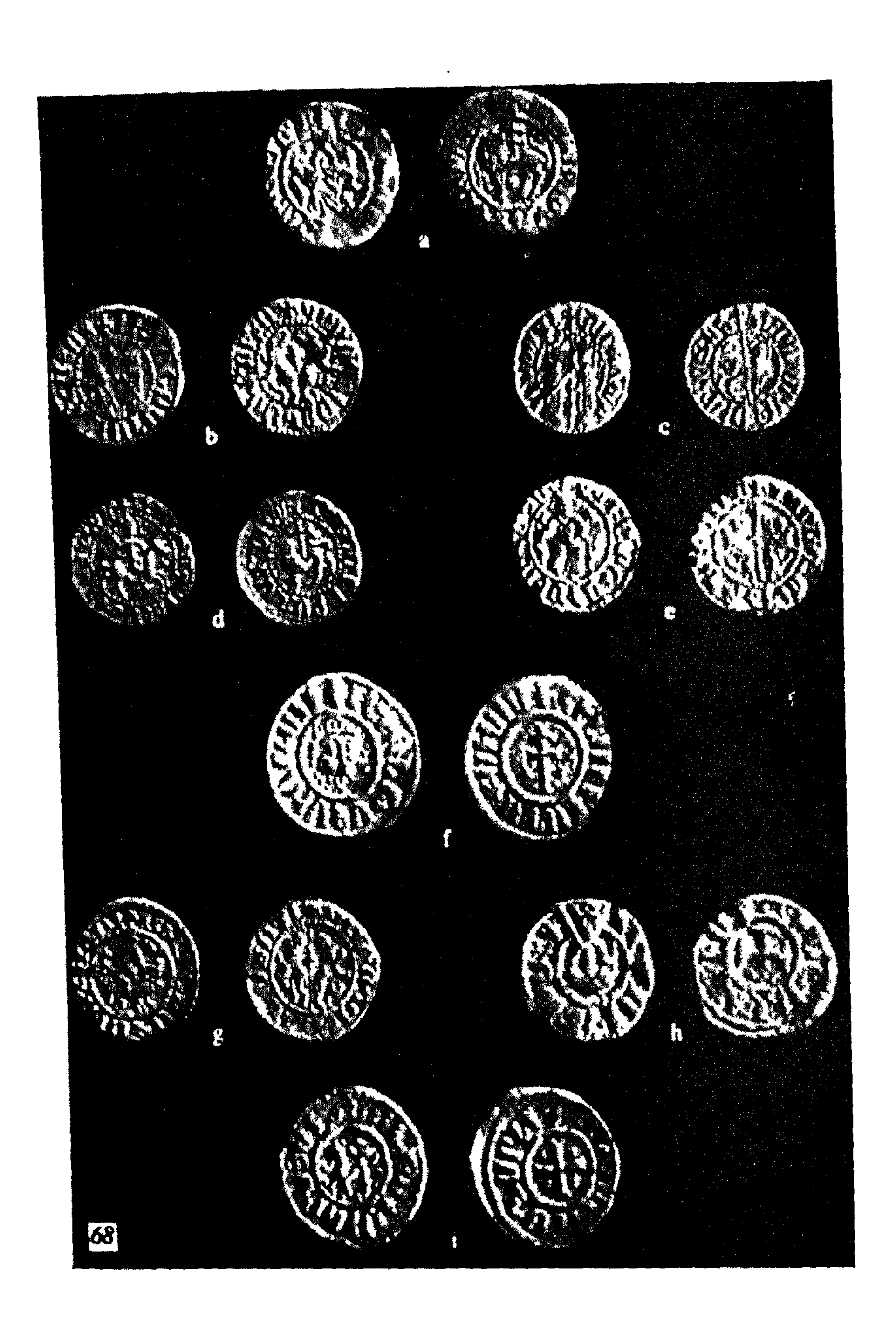
65



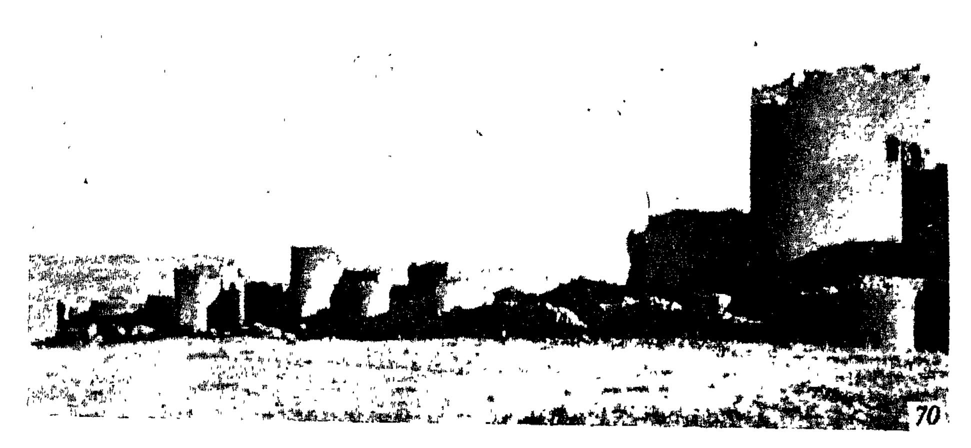

66






a
b
c
d
e
f
g
h
i
68

69



70

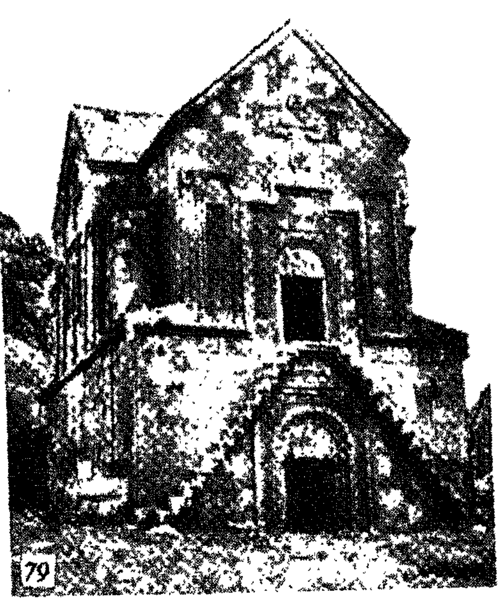

71


72


74
73
76
75


77


78


79


80



شرح لوحات الكتاب

لوحة رقم ١:
ـ ديكران وملك الميديين:

من الأساطير الأرمنية المعروفة أسطورة الأمير ديكران وملك الميديين العملاق اشداك الذي دعا الأمير الأرمني لحفلة صيد وحاول قتله فنشب قتال ضار بين الطرفين انتهى بمقتل ملك الميديين.

لوحة رقم ٢
أناهيد:

ـ مشهد يمثل الاحتفال بعيد ناواصارات الوثني حيث تزدان الشوارع في المدن والقرى الأرمنية بالأعلام والرايات ومظاهر الاحتفالات ويرتدي الشعب أفخر ثيابه ويحتفلون به سبعة ليال متواصلة.

لوحة رقم ٣ : **الملك ارداشيس الأول ؟ق م - ؟ ق - م:**
ـ لوحة تمثل الملك الأرمني يقود عربته بلباس القتال، ويحيط به بعض المشاة الأرمن.

لوحة رقم ٤ :
هايك أبو الأرمن.

لوحة رقم ٥ :
ارداشيس الأول مؤسس الأسرة الأرداشيسية.
؟ ٠ق . م - ؟٠

لوحة رقم ٦ :
ارداشيس الأول والأميرة ساتونيك:
لوحة تمثل الملك ارداشيس يقف على الضفة اليسرى لنهر الكورة بعد أن كان قد أسر ابن ملك الالان (الشركس)، كما بدت في الصورة الأميرة ساتونيك على الضفة الأخرى للنهر نفسه وهي تنشده بعض الأشعار، تستحثه الملك الأرمني على اطلاق سراح أخيها. وانتهى الموقف بين الاثنين الى زواجهما. .
كما مر معنا في الباب الحضاري.

لوحة رقم ٧ :
فاهاكن:

أمير أرمينيا. طرد الفرس من بلاده بعد معارك متعددة بين الطرفين أبدى خلالها فاهاكن بطولة باسلة. ولذلك يقول الأرمن القدماء عن فاهاكن.
ـ إن فاهاكن ليس إنساناً. . إنه إله؟؟.

لوحة رقم ٨:
بيل وهاييك :
مشهد لمعركة بحيرة الماء المالح فان Van بين هاييك أبو الأرمن وبيل الجبار ملك بابل ،وانتهت هذه المعركة الى مقتل هذا الأخير بسهم رماه به هاييك في صدره.

لوحة رقم ٩:
أسطورة آرا الجميل والملكة سميراميس ملكة اشور :
وتشير هذه الأسطورة الى عشق الملكة الآشورية للأمير الأرمني وأغوائه، ثم قتلها له لرفضه حبها بسبب اخلاصه لزوجته.

لوحة رقم ١٠ :
كنيسة الصليب المقدس في جزيرة اغطامار.

لوحة رقم ١١ :
معركة سهل تسيراف عام ٣٧١ ب.م.
حيث انتصرت الجيوش الأرمنية بقيادة موشيغ ماميكونيان (ابن القائد واساك ماميكونيان) على الجيوش الفارسية بقيادة الامبراطور شابوه.

لوحة رقم ١٢ :
الملك ارشاق ٣٥١ م - ٣٦٧م:
لوحة تمثل النبلاء الأرمن يهاجمون مدينة ارشاقافان ويدمرونها حيث كان الملك ارشاق قد جمع الخارجين عن القانون واسكنهم فيها.

لوحة رقم ١٣ :
لوحة فريدة تجمع مخترعي الأبجدية الأرمنية الثلاث عام ٤٠٠ ب.م:
١ ـ ميسروب ماساشدوتس.
٢ ـ فرام شابوه.
٣ ـ الكاثوليكوس سحاق.

لوحة رقم ١٤:
ديكران الثاني الكبير :
مؤسس الامبراطورية الأرمنية.
٩٥ / ٩٤ ق.م - ٥٥ / ٥٤ ق.م.

لوحة رقم ١٥ :
قطعة نقود أرمينية تحمل صورة وجه ديكران الثاني الكبير **٩٥ ق.م - ٥٥ ق.م.**

لوحة رقم ١٦ :
الملك درطاد الثالث :
ويبدو طريح الفراش وقد هده المرض.

لوحة رقم ١٧ :
الملك درطاد والقديس كريكور المنور:

لوحة تمثل الملك درطاد يطلب الى القديس كريكور أن يركع لتمثال الآلهة أناهيد (في منتصف الصورة). ولكن كريكور (المسيحي) يرفض هذا الطلب فيسجنه الملك (١٥) عاماً فيما يسميه الأرمن «خور -غيراب» في زنزانة رطبة في أعماق الأرض، ثم يطلق سراحه بعد إيمانه بالدين المسيحي عقيب شفاء درطاد من مرضه العضال ويعلن تنصر أرمينيا عام ٣٠١ م بحيث تصبح بذلك أول دولة مسيحية في العالم.

لوحة رقم ١٨ :
خسروف الكبير ٢١٧ م - ٢٣٨ م:
لوحة تمثل اغتيال الملك خسروف في حفل صيد على يد أناك (والدكريكور المنور).

لوحة رقم ١٩ :
الامبراطور نيرون:
يضع التاج فوق رأس درطاد الأول عام ٦٦ ب.م وينصبه ملكاً على عرش المملكة الأرمنية.

لوحة رقم ٢٠:

اردافست الثاني ٥٥ ق.م - ٣٥ ق.م:
لوحة تمثل الملك أردافست الثاني يحمل رأس القائد الروماني كراسوس في أحد مسارح العاصمة الأرمنية ارداشاد.

لوحة رقم ٢١ :

الكاثوليكوس القديس سحاق:

أحد مخترعي الأبجدية الأرمنية يحمل بيده اليسرى الكتاب المقدس بعد ترجمته الى اللغة الأرمنية (بحروفها الأبجدية الجديدة).

لوحة رقم ٢٢ :
القديس كريكور المنور.

لوحة رقم ٢٣ ·
معركة افاراير ٤٥١ ب.م.
وتبدو في اللوحة طلائع الجيش الفارسي (الخالدون) يمتطون الأفيال.

لوحة رقم ٢٤:
وارطان ماميكونيان:
بطل معركة افارير ٤٥١ ب.م.

لوحة رقم ٢٥:
واهانماميكونيان: ٤٨٠ ب.م - ٥١٠ ب.م:
ابن أخي وارطان ماميكونيان. حارب سنوات طويلة ضد الفرس الذين يحتلون بلاده من الجبال (فيما يسمى اليوم بحرب العصابات).

لوحة رقم ٢٦:
تمثال لمؤسس (المخيتاريست).
١٦٧٦ م - ١٧٤٩ م.

لوحة رقم ٢٧:
الملك ليون الثاني : ١١٩٨ م - ١٢١٩م:
مؤسس المملكة الأرمنية في الوطن البديل: كيليكيا: Cilicia.

لوحة رقم ٢٨:
حفل تنصيب ليون الثاني بحضور النبلاء والأمراء الفرنك والتوتان والصليبيين.

لوحة رقم ٢٩:
قائد المقاومة الأرمنية:
دافيد بيك ١٧٢٦ م.

لوحة رقم ٣٠:
الكاثوليكوس هاغوب الرابع ١٦٧٨ م.

لوحة رقم ٣١:
المقاومة الأرمنية في زيتون.

لوحة رقم ٣٢:
مجازر فان.

لوحة رقم ٣٣:
٢٤ نيسان ١٩١٥.
وعمليات الإبادة الأرمنية.

لوحة رقم ٣٤
سقوط آني Ani:
وزوال الأسرة الباقرادونية مع أسر الملك كاكيك الثاني عام ١٠٤٥ م على يد البيزنطيين.

لوحة رقم ٣٥:
معركة سارداراباد ١٩١٨ :
لوحة تمثل رجال المقاومة والجنود الأرمن أثناء المعركة التي خسرها الأتراك أمام القوات الأرمنية.

لوحة رقم ٣٦:
سقوط الجمهورية الأرمنية:
٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٠.

لوحة رقم ٣٧:
معهد سان لازار:
ــ البندقية ــ
مقر منظمة «المخيتاريست» الثقافية الأرمنية.

لوحة رقم ٣٨ :
مقر الكاثوليكوسية الأرمنية:
في ايتشمايازين (الى اليسار)، وانطلياس (الى اليمن).

لوحة رقم ٣٩:
الجنرال ناظاربجيان:
لوحة تمثل الجنرال ناظار يستعرض قواته قبل معركته مع القوات التركية وايقاف تقدمها.

لوحة رقم ٤٠ :
كاتدرائية ايتشمايازين.

لوحة رقم ٤١ :
القبض على السيد المسيح بعد خيانة يهوذا الاسخريوطي. ويظهر في الرسم الجنود يقودهم يهوذا في طريقهم للقبض على السيد.
ــ الفنان هوفسيان ١٣٠٧ م.

لوحة رقم ٤٢:
بناء الأوبرا ومسرح الباليه في يريفان.

لوحة رقم ٤٣:
العالم الفلكي انانياشيراكاتزي الذي ساهم مساهمة كبرى في ارساء قواعد علم الفلك.

لوحة رقم ٤٤ :

المطبعة في دير سان لازار في البندقية.

لوحة رقم ٤٥:
مكتبة في دير سان لازار.
منظمة المخيتاريست الأرمنية ـ البندقية.

لوحة رقم ٤٦:
اللورد بايرون:
خلال وجوده في دير لازار الأرمني.
المصدر : منشورات سان لازار.

لوحة رقم ٤٧:
الكنيسة الرئيسية في ايتشمنايازين.

لوحة رقم ٤٨:
المدرسة الدينية في ايتشمايازين.

لوحة رقم ٤٩:
في مطعم الدير (ايتشمايازين).

لوحة رقم ٥٠:
مخطوطات المتحف القديمة.

لوحة رقم ٥١:
المتحف: تيجان الأسقف.

لوحة رقم ٥٢:
كنيسة القديسة هريبسيمة.

لوحة رقم ٥٣:
فازكين الأول يلقي موعظة.

لوحة رقم ٥٤:
كتابة مسمارية (من آثار الامبراطورية الأوراردية) منحوتة على الصخر.

لوحة رقم ٥٥:
الملك درطاد الثالث والملكة وأخت الملك بلباسهم الملكي (لوحة جدارية من أواخر القرن السابع عشر).

لوحة رقم ٥٦:
وثيقة تاريخية هامة.

لوحة رقم ٥٧:
«المادييناتاران»، يحتوي على كتب ومخطوطات نفيسة.

لوحة رقم ٥٨:
مركز الطاقة النووية في أرمينيا.

لوحة رقم ٥٩:
معمل السيارات «يراز».

لوحة رقم ٦٠:
مترو يريفان ـ قيد التنفيذ.

لوحة رقم ٦١:
بوابة خشبية محفورة بدقة. الأغلب انها جزء من كنيسة الرسل المقدسين في موش. يعود تاريخ النقش والحفر لعام ١١٣٤ م.

لوحة رقم ٦٢ :

الملك كاكيك يحمل بيده نموذج كنيسة.
ـ منقوشات كنيسة الصليب المقدس: اغطامار.

لوحة رقم ٦٣:
الملك كاكيك بالملابس الشرقية:
(تلاحظ العمامة).

لوحة رقم ٦٤:
كنيسة الصليب المقدس:

٩١٥ م - ٩٢١ م
في جزيرة اغطامار.

لوحة رقم ٦٥:
كنيسة الصليب المقدس (اغطامار).

نقش على الحجر يمثل النبي يونس والحوت الذي ابتلعه ثم لفظه على شاطىء البحر. والميداليات الأربع في الأعلى تمثل سكان فينول الذين تحدث اليهم يونس.

لوحة رقم ٦٦:
تيجان ونقوش وحفريات على الحجر لبقايا الكنائس الأرمنية وتظهر دقة الهندسة المعمارية الأرمنية.

لوحة رقم ٦٧:
نسخة من الانجيل مزينة وموضحة بالرسوم من عام ١١٩٣ من موجودات دير سكيفرا (كيليكيا) للأمير هيتوم اللامبروني واخيه الأسقف نرسيس اللامبروني.

لوحة رقم ٦٨ :
مجموعة نقود أرمنية من كيليكيا بالحجم الفعلي.

مجموعة بول بيدوكيان نيويورك.
A نقود ذهبية من عهد ليون الأول (١١٩٨ -١٢١٩ب.م.). الى اليسار قطعة النقود تمثل الملك ليون يحمل صليباً بيده اليسرى. وإلى اليمين تمثل الصورة الملك نفسه على شكل أسد.

B) قطعة نقد (دراخما) من عهد الملك ليون الأول. والى اليسار يبدو الملك نفسه جاثياً وقد حمل فوق رأسه تاج الملك وامامه السيد المسيح واقفاً. والى اليمين يبدو أسدان ينتصب بينهما صليب.
C) دراخما فضية تعود لعهد الملك هيتوم الأول والملكة زابيلا (١١٦ - ١٢٧٠ م). الى اليسار الملك والملكة متوجان يقابلان بعضهما البعض وقد حمل كل منهما صليباً. والى اليمين الملك هيتوم يمسك صليباً وقد أدار وجهه يميناً.

D) دراخما فضية من عهد الملك ليون ٢ (١٢٧٠ - ١٢٨٩). الى اليسار الملك يجلس على صهوة حصانه متوجاً. يدير رأسه الى اليمين ويحمل صوبجانا. إلى اليمين الملك نفسه وجهه إلى اليمين ويحمل صليباً.

E) دراخما فضية من عهد الملك سمباط (١٢٩٦ - ١٢٩٨). الى اليسار الملك بالوجه الكامل، متوجاً، وإلى اليمين أسدي كيليكيا والصليب بينهما.

F) نقد نحاسي من عهد ليون الأول (١١٩٨ -١٢١٩ م). الى اليسار الملك متوجاً. الى اليمين صليب طويل يحمل نجمتان على طرفيه.

G) دراخما التتويج للملك أوشين ١٣٠٨ - ١٣٢٠ م. الى اليسار الملك بالوجه الكامل متوجاً ويحمل صليباً. الى اليمين أسدا كيليكيا وبينهما صليب.

H) عملة نحاسية لهيتوم الثاني ١٢٨٩ - ١٣٠٧ م.

I) عملة نحاسية من عهد ليون، الى اليسار الملك يتنزه. والى اليسار صليب ذو أربعة نجوم.

لوحة رقم ٦٩:
جبال ارارات.

لوحة رقم ٧٠:
بقايا تحصينات وقلاع مدينة آني.

لوحة رقم ٧١:
كاتدرائية آني: بدأ البناء عام ٩٨٩ خلال حكم سمباط الثاني. . وانتهى عام ١٠٠١ خلال حكم كاليك الأول وزوجته طاتواميد.

لوحة رقم ٧٢:
واغاراشاباد: كنيسة القديسة هريبسيمة.

لوحة رقم ٧٣:
كتاب الصلوات لغريغوار دونارك زين عام ١١٧٢ لصالح الاسقف نرسيس اللامبروني.

لوحة رقم ٧٤:
انجيل مزين بالرسوم من عام ١٢٦٢ في هرومقلا وتبدو في الصورة الملائكة تخدم السيد المسيح بعد خضوعه لتجربة الأغراء.

لوحة رقم ٧٥:
انجيل مزين من عام ١٢٦٨ في هرومقلا للكاثوليكوس قسطنين ويبدو يهوذا الاسخريوطي يُقبض الـ (٣٠) قطعة نقدية ثمناً لخيانته للسيد المسيح.

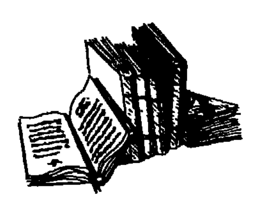
لوحة رقم ٧٦:
انجيل مزين بالرسوم في كيليكيا للأمير فاساك.

لوحة رقم ٧٧:
مارماشن: كاتدرائية بنيت بين أعوام ٩٨٦ و١٠٢٩.

لوحة رقم ٧٨ :
بقايا احدى الكنائس الأرمنية .

لوحة رقم ٧٩:
اماجو ـ نورافانك كنيسة العذراء. بناها الأمير بورتل عام ١٣٣٩ وتبدو هنا الكنيسة بعد ترميمها.

لوحة رقم ٨٠:
هاغاباه. برج الجرس.





الابجـــديـــة الارمنيـــة

Ա	آيب	Ayp	Ջ	تشي	Tché
Բ	بين	Pen	Ռ	را	Ra
Գ	كيم	Kim	Ս	ث	Cé
Դ	تا	Ta	Վ	فيف	Véve
Ե	يتش	Yetch	Տ	ديون	Dune
Զ	ظا	Za	Ր	ري	Ré
Է	إي	E	Ց	تسو	Tso
Ը	إط	Et	Ւ	هيون	Hioun
Թ	تو	To	Փ	بيور	Piour
Ժ	جي	G	Ք	كي	Ké
Ի	ايني	Ini			
Լ	لون	Lune	և	يف	Yève
Խ	خي	Khe	Օ	او	O
Ծ	تزا	Tza	Ֆ	ف	Fé
Կ	غين	Guène			
Հ	هو	Ho			
Ձ	تسا	Tsa			
Ղ	غت	Guath			
Ճ	دجي	Djé			
Մ	مين	Men			
Յ	هي	Hi			
Ն	نو	Nou			
Շ	شا	Cha			
Ո	فو	Vo			
Չ	تشا	Tcha			
Պ	ب	Be			

Գլուխ Է.

ՀԱՅԵՐԸ ԵՐԷԿ ԵՒ ԱՅՍՕՐ

ՀԱՅԵՐԸ ԵՐԷԿ

Կայսրեր եւ իշխանուհիներ բիւզանդական կայսրութեան մէջ:

Նախարարներ եւ ղեկավարներ Սովետ. Միութեան եւ Իրանի մէջ:

ՄԱՍՆ ԵՐԿՐՈՐԴ

ՀԱՅԵՐԸ ԱՅՍՕՐ

ՍՈՎԵՏԱԿԱՆ ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ՀԱՆՐԱՊԵՏՈՒԹԻՒՆԸ

ՄԱՍՆ ԵՐՐՈՐԴ

ՀԱՅԵՐԸ ՆՈՐ ԺԱՄԱՆԱԿՆԵՐՈՒ ՄԷՋ

ԱՆՈՆՑ ԲԱԺԱՆՈՒՄԸ ԱՇԽԱՐՀԻ ՎՐԱՅ ԱՅՍՕՐ

ՄԱՍՆ ՉՈՐՐՈՐԴ

ՀԱՅ ՀՌՉԱԿԱՒՈՐ ԴԷՄՔԵՐ 20ՐԴ ԴԱՐՈՒՆ ՄԷՋ

ՀՈՒՍԿ ԲԱՆՔ

Թարգմ.՝ Յ. ՄԻՔԱՅԵԼԵԱՆ

21—23 *Հոկտ.* 1980



7·— Հայկական մամուլը եւ հայ գրողները Լիբանանի մէջ: Լիբանանի հայ թերթերուն անունները եւ անոնց թիւը: Լիբանանի հայ նշանաւոր գրողները եւ անոնց հեղինակութիւնները: Հայկական հրատարակչատուները Լիբանանի մէջ:

8·— Հայկական վարժարանները եւ Գոլէճները· ա·— Երեք յարանուանութեանց վարժարանները, բ·— Հայկական սեփական վարժարանները, գ·— Այս վարժարաններու թիւը եւ վայրը:

գ·— Հայկական մշակութային եւ բարեգործական միութիւնները: Անոնց անունները, անոնց նպատակը, որ կը ձգտի Լիբանանի եւ աշխարհի Հայոց կապերը մէկ կողմէ զօրացնել Լիբանանի, Սուրիոյ եւ ընդհանրապէս արաբ ժողովուրդին հետ՝ միւս կողմէ: Այս միութիւններու անունները եւ կազմակերպութիւնները:

10·— Հայ երեք յարանուանութեանց պատկանող վանքերն ու եկեղեցիները: Անոնց անունները:

11·— Մարզական ակումբները, անոնց անունները, գործունէութիւնը, նպատակը:

12·— Հայկական գործունէութիւնները· 1·— ժողովրդային պարախումբ, 2·— Համազգային թատերախումբ, 3·— Պալէի խումբ, 4·— Հայ նշանաւոր լուսանկարիչներ Լիբանանի մէջ եւ անոնց ստացած համաշխարհային մրցանակները, 5·— Լիբանանահայ նկարիչներ, անոնց նշանաւորները եւ միջազգային ցուցահանդէսները, 6·— Հայկական քանդակագործութիւնը եւ նշանաւոր քանդակագործները, 7·— Օփերային երգարուեստ:

ՄԱՍՆ ՀԻՆԳԵՐՈՐԴ

ՀԱՅԵՐԸ ԱՐԱԲ ՔԱՂԱՔԱՑԻՆԵՐ ՍՈՒՐԻՈՅ ՄԷՋ.

Հայոց հին գաղթը Սուրիա 529, 717—728, 937—992 թուականներուն: Հայերու նոր գաղթը դէպի Սուրիա եւ անոնց կեդրոնումը 1895—1896, 1909, 1915, 1920 եւ 1937 թուականներուն: Խտութիւնը եւ բաժանումը երկրին վրայ: Հայոց բաժանումը սուրիական քաղաքներու մէջ: Անոնց բաժանումը ըստ արհեստներու:

1·— Ճարտարարուեստ, 2·— Բժշկութիւն, 3·— Փաստաբանութիւն, 4·— Վաճառականութիւն, 5·— Ազատ գործեր, 6·— Գրողներ եւ հայկական թերթերը Սուրիոյ մէջ, 7·— Հայկական դպրոցները Սուրիոյ մէջ, անոնց անունները. թիւը եւ վայրը, 8·— Հայկական վանքերն ու եկեղեցիները Սուրիոյ մէջ, 9·— Հայկական մշակութային եւ բարեգործական միութիւնները, 10·— Մարզական ակումբները, 11·— Հայկական կրօնական տօները, 12·— Հայկական նախապաշարումները եւ առասպելները (Սուրիոյ, Լիբանանի եւ աշխարհի մէջ), 13·— Սուրիահայ նշանաւոր անձնաւորութիւնները — Հայ երեսփոխանները Սուրիական փարլամենթին մէջ, 14·— Հայկական սովորութիւններ եւ բարքեր:

վրայ: Միւս կողմէ Հայերու եւ Արաբներու (իւրաքանչիւրը առանձին) հիմնադրումը դպրոցներու, տպարաններու, թերթերու, մշակութային եւ քաղաքական—կազմակերպութիւններու եւ այս վերջիններու վերածումը ազատագրական կուսակցութիւններու, որպէսզի դիմադրեն օսմանեան քաղաքականութեան, որ կը կեղեքէր երկու ժողովուրդները: Հայկական եւ Արաբական գաղթօճախները վերոյիշեալ խնդիրներուն նոյնպէս արդիւնք: Հայերու մասնակցութիւնը Ռուսերու հետ Թուրքերու դէմ պատերազմին: Արաբներու մասնակցութիւնը Անգլիացիներուն հետ Թուրքերու դէմ պատերազմին: Հայկական գունդը կը կռուի Անգլիացիներու եւ Արաբներու կողքին Պաղեստինի մէջ: Դաշնակիցներու դաւաճանութիւնը Հայկական եւ Արաբական հարցերուն: Հայկական Հանրապետութեան կործանումը եւ հարցին մուտքը միջազգային «առկախ» հարցերու պահեստանոցը (Լոզանի դաշնագիր):

ՄԱՍՆ ՉՈՐՐՈՐԴ

ՀԱՅԵՐԸ ԱՐԱԲ ՔԱՂԱՔԱՑԻՆԵՐ ԼԻԲԱՆԱՆԻ ՄԷՋ

Հայերու գաղթը Լիբանան պատմութեան ընթացքին: Պատմաբաններու բաժնեերը այդ ուղղութեամբ: Եուսէֆ Եազպէկ, Սիմակ Վարժապետեան, եւ ճեմիլ ճապըր: Երկու հայ կառավարիչներ (Լիբանանի Միութասարըֆներ)՝ Դաւիթ փաշա եւ Յովհ. Գույումճեան: Հայերու նոր գաղթը Լիբանան՝ 1895—1909—1915 եւ 1939 տարիներուն: Խտութիւնը եւ Հայերու տարածումը Լիբանանի մէջ: Հայոց առաջին բանակավայրերը Լիբանանի մէջ եւ անոնց բնակած շրջաններ: Անոնց այժմու տարածումը Լիբանանի մէջ: Հայերու թիւը Լիբանանի մէջ: Անոնց աշխատանքային բաժանումը:

1.— Ճարտարարուեստ:

ա.— Կաշեգործութիւն, բ.— Արուեստական սպունգի շինութիւն, գ.— Տնային առարկաներու շինութիւն, դ.— Ոսկերչութիւն, ե.— Մեքենիք, զ.— Այլեւայլ գործեր:

2.— Առեւտուր. ա.— Թրանզիթ առեւտուր, բ.— Ընդհանուր վաճառականութիւն, գ.— Վաճառականական հաստատութիւններ, դ.— Դրամատուներ, ե.— Հատավաճառի խանութներ:

3.— Փաստաբանութիւն: Փաստաբաններու թիւը, Հայերու այս մասնագիտութեան բերումը, Հայերը «արաբ» դատարաններ Լիբանանի մէջ:

4.— Երկրաչափութիւն: Հայ նշանաւոր երկրաչափներ, անոնց գործերը Լիբանանի մէջ եւ արաբական այլ երկիրներու մէջ:

5.— Բժշկութիւն: Բժշկական դարմանատուներ եւ հայկական հիւանդանոցներ Լիբանանի մէջ:

6.— Քաղաքականութիւն: Հայ երեսփոխաններ լիբանանեան խորհրդարանին մէջ անկախութենէն առաջ եւ ետք: Հայ նախարարներ Լիբանանի մէջ, անոնց թիւը, հայ քաղաքական եւ կրօնական անձնաւորութիւններու գործունէութիւնները արաբական հարցին ի նպաստ:

բ — Թուրքիոյ դաշինքը իր դաշնակիցներուն հետ Հայաստանի Հանրապետութիւնը ճանչնալու շուրջ

գ — Պաթումի դաշնագիր

դ — Ալեքսանդրապոլի դաշնագիր

ե — Լոզանի դաշնագիր. արդիւնքները. վերլուծումը:

ԳԼՈՒԽ Զ.

ԱՐԱԲ-ՀԱՅԿԱԿԱՆ ԿԱՊԵՐԸ ՊԱՏՄՈՒԹԵԱՆ ԸՆԹԱՑՔԻՆ

ՄԱՍՆ ԱՌԱՋԻՆ

ԱՐԱԲԱԿԱՆ-ՀԱՅԿԱԿԱՆ ԿԱՊԵՐՆ ՈՒ ԱՆՈՆՑ ԶԱՐԳԱՑՈՒՄԸ Ք. Ա. ԴԱՐԵՐ ԱՌԱՋ, ՄԻՆՉԵՒ ՄԻՋԻՆ ԴԱՐԵՐԸ

Այս կապերու սկիզբը Տիգրան Բ. Մեծի օրերուն (94—55 Ք. Ա.) երբ արաբական զունդեր մասնակցեցան Տիգրանի յարձակողական եւ պաշտպանողական կռիւներուն: Ինչպէս նաեւ երբ արաբական վաշտեր գտնուեցան Արտաշէս Ա.ի բանակի մէջ: Աշխարհագրական դրացնութեան ազդեցութիւնը — Արաբական թերակղզի. Սուրիա, Լիբանան մէկ կողմէ եւ Հայաստան՝ միւս կողմէ: Մոհամմէտ Մարգարէի տուած Դիրին պատճէնը Աբրահամ Կաթողիկոսին, հայկական եկեղեցիները եւ Ղպտի եկեղեցիները իր պաշտպանութեան տակ առնելուն առընչութեամբ, ինչպէս նաեւ անոնց ժողովուրդին եւ ունեցուածքներուն: Խալիֆաներու խոստումը այս գիրը յարգելու մասին: Օսմանցիներու դրժումը այս գիրին. Հայերու նուաճումը Սուրիոյ եւ Լիբանանի: Արաբներուն կողմէ Հայաստանի նուաճման պատճառները: Արաբական ապահովագրագրերը Հայոց: Արաբ-Հայ կապերու ընթացքը Արաբ խալիֆային եւ Հայ իշխաններու ու թագաւորներու օրերուն: Հայկական կապերը քաղաքակրթութեան մարզին մէջ: Հայկական գրականութենէ հատուածներ Արաբ բանաստեղծ Աբուլալայի մասին:

ՄԱՍՆ ԵՐԿՐՈՐԴ

— ԱՐԱԲՆԵՐԸ, «ՀԱՅ» ՔԱՂԱՔԱՑԻՆԵՐ ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ՄԷՋ

Յառաջաբան: Արաբական գաղթերը դէպի Հայաստան: Խումբային գաղթերը Հայաստանի նուաճումէն ետք: Անհատներու գաղթերը ընկերային եւ տնտեսական պատճառներէ մղուած: Այս գաղթերու բաժանումը ըստ տեղի ունենալուն, Օմայեաններու իշխանութեան շրջանին եւ երկրորդ Աբբասեաններու շրջանին: Այս գաղթերուն արդիւնքները մշակութային, գիտական եւ տնտեսական մարզերուն մէջ երկու ժողովուրդներուն վրայ:

ՄԱՍՆ ԵՐՐՈՐԴ

ԸՍՄԱՆԵԱՆ ՊԵՏՈՒԹԵԱՆ ՆՈՅՆԱՆՄԱՆ ԿԵՑՈՒԱԾՔԸ ՀԱՅ ԵՒ ԱՐԱԲ ԺՈՂՈՎՈՒՐԴՆԵՐՈՒ ՆԿԱՏՄԱՄԲ ԵՒ ԱՆՈՆՑ ՀԱԿԱԶԴԵՑՈՒԹԻՒՆԸ ՓԱՆԹՈՒՐՔԱԿԱՆ (ՀԱՅՈՑ ՀԱՄԱՐ) ԵՒ ԹՐՔԱՑՆԵԼՈՒ (ԱՐԱԲՆԵՐՈՒ ՀԱՄԱՐ) ՔԱՂԱՔԱԿԱՆՈՒԹԵԱՆՑ ՆԿԱՏՄԱՄԲ

Օսմանեան կեղեքումը Արաբ եւ Հայ ժողովուրդներուն լեզուական, ազգային, ընկերային եւ մշակութային մակարդակներու

1 — Հայկական ազգային Սահմանադրութիւնը, որ հաստատուած էր Օսմանեան կայսրութեան կողմէ:

2 — Եւրոպական պետութեանց զանազան կեցուածքները ու միջամտութիւնները այս բարենորոգութիւնները պահանջելու առընչութեամբ:

3 — Սան Ստեֆանոյի եւ Պերլինի դաշնագիրները

4 — Պերլինի դաշնագիրը

5 — Լոնտոնի համագումարը

բ — Երկրորդ հանգրուան՝ Հայկական Հանրապետութեան (1918—1920) օրինական ճկատուելու «միջազգային ճանաչողութեան» հանգրուան:

1 — «Միջազգային երանգ» ունեցող սկզբնական ծանօթութիւններ, որոնք կը բացատրեն եւ կը հաստատեն այս օրինականութեան միջազգային՝ ճանաչողութեան օրինականութիւնը:

ա) Պետութեան ստեղծման ազդակները

բ) Միջազգային ճանաչողութեան ծանօթացում

գ) Միջազգային ճանաչողութեան ձեւեր

դ) Ոչ-անմիջական օրինական պատճառները, որոնք սատարեցին Հայկական Հանրապետութեան կերտման:

ե) Օրինական անմիջական պատճառները, որոնք պատճառ դարձան Հայաստանի Հանրապետութեան ստեղծման

զ) Միջազգային պետութիւններու Հայաստանի Հանրապետութեան օրինական ընդունում ի նպաստ կեցուածքը

2 — Օրինական փաստեր միջազգային այս ճանաչողութեան

1 — Հայաստանի Հանրապետութեան անկախութեան հռչակումը:

2 — «Պետութեանց» ճանաչումը Հայկական Հանրապետութեան — DE FACTO ճանաչում եւ DE JURE օրինական ճանաչում:

3 — Միջազգային դաշնագրեր, որոնք Հայաստանի Հանրապետութեան անկախութեան կողքին կանգնեցան եւ ճանչցան զայն:

ա — Սեւրի դաշնագիրը: Անոր յօդուածներու մանրամասն բացատրութիւնը, ստորագրութիւնը, պայմանները եւ միջազգային նպաստաւոր կեցուածքը

1948-ի Ցեղասպանութեան մասին գրուած համաձայնագրէն)։ Միջազգային օրէնքի ծանօթացում եւ աղբիւրներ։ Միջազգային օրէնքը եւ անոր 38-րդ յօդուածը, որ կը դատապարտէ Ցեղասպանութիւնը եւ կ'արտօնէ որ եւրոպական պետութեանց միջամտութիւնը հայկական վիլայէթներու մէջ բարենորոգութիւններ կատարելը նկատուի որպէս միջազգային օրէնք, որ պէտք է գործադրուի, Հայերու դէմ կատարուած ոճիրներուն համար 1895—1927: Այս միջամտութեանց վկայութիւնները, զորս կարելի է նկատել որպէս միջազգային օրէնք: Ընդհանրապէս բոլոր ցեղասպանական արարքները դատապարտող միջազգային օրէնքի հաստատում: Նիւրեմպերկի դատավարութիւններէն բխած միջազգային օրէնքը: Միջազգային օրէնքի յետադարձ ազդեցութիւնը, ինչպէս հաստատեց զայն Նիւրեմպերկի դատավարութիւնը, ինչպէս նաեւ այս օրէնքի յետադարձ ազդեցութեան կիրարկումը (ըստ Ցեղասպանութեան համաձայնագրին, 1948) Հայոց վրայ գործադրուած ցեղասպանութեան առընչութեամբ:

Մարդկային իրաւանց պաշտպանութիւնը ըստ ՄԱԿ-ի համաձայնագրին եւ անոր պնդումը, որ դատապարտուին ցեղասպանական արարքները:

1 — ՄԱԿ-ի համաձայնագրի, յառաջաբանը եւ համաձայնագրի բովանդակութիւնը:
2 — Եւրոպական համաձայնագիրը, մարդկային իրաւանց եւ տարրական ազատութեանց պաշտպանութեան առընչութեամբ:
3 — Միջազգային դատարաններու աշխատասիրութիւնները:
4 — Գիտնականներու եւ պատմագէտներու կարծիքը, զոր կարելի է նկատել ուղեցոյց միջազգային դատարաններու մէջ գործածելու համար, նախորդ փաստերու կողքին Հայկական հարցը միջազգային դատարաններու առջեւ պարզելու ժամանակ:

ՄԱՍՆ ԵՐԿՐՈՐԴ

ՄԻՋԱԶԳԱՅԻՆ ՕՐԷՆՔԻ ՏՐԱՄԱԴՐՈՒԹԻՒՆՆԵՐԸ ՄԱՐԴԿԱՅԻՆ ԻՐԱՒԱՆՑ ՃԱՆԱՉՄԱՆ ՀԱՐՑԻՆ ՄԷՋ

Ա — Հայկական հարցի զարգացումը բարենորոգութիւններու պահանջքէն մինչեւ Հայերու ինքնավարութեան շնորհումը, ապա անոնց իրենց ճակատագիրը որոշելու իրաւունքի շնորհումը, ըստ իրենց իրաւունքներուն Թրքահայաստանի վիլայէթներուն մէջ: Այս պահանջներուն միջազգային համակիրները:

1 — Միջազգային օրէնքը եւ անոր աղբիւրները:
2 — Օրինական յատկութիւնը, զոր կը վայելէր Հայկական հարցը, նախորդ սկզբունքներուն հետեւելով:

Բ — Հայկական հարցը ճանչնալու հանգրուանները

ա — Առաջին հանգրուան՝ «միջազգային ճանաչման» հանգրուան, Թուրքիոյ հայկական վիլայէթներու մէջ բարենորոգումներ կատարելու անհրաժեշտութեան կապակցութեամբ:

ՀԱՅԿԱԿԱՆ ՀԱՐՑԸ ՀԱՄԱՇԽԱՐՀԱՅԻՆ Ա. ՊԱՏԵՐԱԶՄԻ ԸՆԹԱՑՔԻՆ ՀԱՅԿԱԿԱՆ ՀԱՆՐԱՊԵՏՈՒԹԻՒՆԸ 1918—1921

Պատմական վերլուծում.— Ռուսական–անգլիական–ֆրանսական Եռեակ գաղտնի համաձայնութիւնը եւ անոր ժխտական հետեւանքները Հայաստանի հանրապետութեան եւ ընդհանրապէս Հայկական հարցին վրայ (1916)։

Հայաստանի վիճակը Ա. Աշխարհամարտի օրերուն։ Ռուսիոյ մէջ յեղափոխութեան ծագումը եւ անոր ազդեցութիւնը Հայոց վրայ։ Համայնավարներու իշխանութեան գլուխ գալը եւ Հայերուն իրենց ճակատագիրը որոշելու իրաւունքին յայտարարութիւնը (ինչպէս նաեւ ուրիշներուն)։ Սովետական Միութիւնը (Լենին) եւ «Թրքահայաստանի» որոշումը։ Պրեսթ–Լիթովսկի դաշնագիրը եւ Ռուսիոյ պատերազմէն քաշուիլը եւ անոր ազդեցութիւնը Հայկական հարցին վրայ։ Անդրկովկասեան երկիրներու անկախութեան հռչակումը՝ Վրաստան–Ատրպէյճան–Հայաստան։ Հայաստանի հանրապետութիւնը Հայերու եւ Թուրքերու ճակատամարտերը, Հայերու պարտութիւնը, ապա յաղթանակը եւ Հանրապետութեան հռչակումը 28 Մայիսի 1918–ի։ Դարեր իր անկախութիւնը կորսնցնելէ ետք Ազգային Ժողովը կը կազմուի, նաեւ նոր Հանրապետութեան երեսփոխանական խորհուրդը։

Այս պետութեան զարգացումը, մնայուն սահմանադրութեան որոշումը, ազգային բանակի կազմակերպում, համալսարանի հիմնադրութիւն, տնտեսութեան տրուած կարեւորութիւն (հողագործութեան եւ ճարտարարուեստի)։ Դրացի պետութիւններու (Վրացիներ, Ատրպէյճանցիներ, Թուրքեր եւ Գերմանացիներ) ախորժակը Հայկական Հանրապետութեան վրայ։ Եռեակ գաղտնի համաձայնութիւնը եւ անոր ազդեցութիւնը այս Հանրապետութեան վրայ։ Հայաստանի արգիլումը որ մաս կազմէ ազգերու լիկային, ինչպէս նաեւ կ'արգիլուի որ անMANDATE–ի տակ մտնէ, կը զլացուի անոր զինուորական եւ ստնտեսական օգնութիւն։ Պատմական վերլուծում եռեակ գաղտնի դաշնագրին, եւ միջազգային դաշնագիրները։

1 — Սեւրի դաշնագիր, թուրքերու դրժումը այս դաշնագրին եւ անոնց յարձակումը Հայաստանի Հանրապետութեան վրայ
2 — Ալեքսանդրապոլի դաշնագիր
3 — Ուրիշ դաշնագրեր եւ Հայկական Հանրապետութեան անկումը։

ԳԼՈՒԽ Ե.

ՀԱՅԿԱԿԱՆ ՀԱՐՑԸ ԵՒ ՄԻՋԱԶԳԱՅԻՆ ՕՐԷՆՔԸ

ՄԱՍՆ ԱՌԱՋԻՆ

ՑԵՂԱՍՊԱՆՈՒԹԻՒՆԸ ՄԻՋԱԶԳԱՅԻՆ ՕՐԷՆՔԻ ՄԷՋ

Ցեղասպանութիւնը ոճիր կը նկատուի միջազգային օրէնքով։ Օրէնքի տրամադրութիւնը, որ Ցեղասպանութիւնը ոճիր կը նկատէ ու պէտք է պատժուի ըստ միջազգային օրէնքի (յօդուած 1, 3, 4,

ՄԱՍՆ ԵՐԿՐՈՐԴ

ՀԱՅԿԱԿԱՆ ՀԱՐՑԸ ԵՒ ՀԱՅ—ՕՍՄԱՆԵԱՆ ԲԱԽՈՒՄՆԵՐԸ

ՊԱՏՄԱԿԱՆ ԱԿՆԱՐԿ

1.— Հայկական հարցը Սուլթան Աբտիւլ Համիտի գալէն առաջ: Հայոց վիճակը Թուրքիոյ մէջ:

2.— Հայկական հարցը Սուլթան Աբտիւլ Համիտի շրջանին:

Ա. Հայկական հարցի միջազգային մակարդակի վրայ երեւիլը որպէս արդիւնք Սան Ստեֆանոյի եւ Պերլինի դաշնագրերուն:

Բ. Եւրոպական պետութեանց պահանջքները, որ բարենորոգումներ կատարուին Թուրքիոյ Հայկական Նահանգներուն մէջ:

3.— Սուլթան Աբտիւլ Համիտի շրջանի կարեւորագոյն դէպքերը.

Ա.— Համիտեան հեծելազօրքի մը ստեղծումը, անոր գործերը (1891)

Բ.— Սասնոյ դէպքերը (1893)

Գ.— Օսմանեան Սահմանադրութեան հռչակումը 1908ին եւ Երիտ. Թուրքերու երեւան գալը

Դ.— Սուլթանին խժդժութիւնը Ատանայի եւ Կիլիկիոյ մէջ

4.— Հայկական հարցը Երիտ. Թուրքերու ժամանակ (Իթթիհատ վէ Թերաքքի)

Ա.— Հայոց կեցուածքը Իթթիհատ վէ Թերաքքի կուսակցութեան հանդէպ

Բ.— Այս կուսակցութեան համաթուրանական քաղաքականութիւնը Հայոց հանդէպ

Գ.— Կիյյոմ կայսեր քաղաքականութիւնը, որ շարունակուեցաւ Սուլթան Համիտի օրերուն եւ մեծապէս պրկուեցաւ Երիտ. Թուրքերու ժամանակ (դէպի Արեւելք յառաջանալու քաղաքականութիւնը

Դ.— Գերմանիոյ ազդեցութեան ընդարձակումը Թուրքիոյ մէջ եւ անոր ազդեցութիւնը Հայկական հարցին վրայ, Պաղտատի երկաթուղագծի շինութիւնը եւ անոր ազդեցութիւնները Հայկական հարցին վրայ

Ե.— Լոնտոնի համագումարը եւ բարենորոգումներու ծրագիրը

Զ.— Իթթիհատ եւ Թերաքքի կուսակցութեան ժխտական կեցուածը այս ծրագրին հանդէպ

Է.— Ցեղասպանութեան գործադրման նախագիծը

Ը.— Հայոց՝ Ցարական Ռուսիոյ եւ Թուրքիոյ միջեւ բաժնուելուն հետեւանքը, եւ Թուրքիոյ այս առիթին օգտագործումը որպէսզի իր ծրագիրները գործադրէ:

Թ.— Մեծ Եղեռնը՝ 24 Ապրիլ 1915-ը, 1,5 միլիոն զոհ, եւ Արաբներու կեցուածքը

ՄԱՍՆ ԵՐՐՈՐԴ

Բ. Հայաստանի դիրքը թուրանական (Սելճուք, Մոնղոլ, Թիւրքմէն) ցեղախումբերու յառաջխաղացման խաչմերուկին վրայ, զգետնող եւ քանդիչ հարուած մը հասցուց անոր անկախութեան:

Գ. Ներքին քայքայուածութիւնը եւ տեղական կռիւները օգնեցին վերոյիշեալ երկու հետեւանքներուն իրականացման: Հայկական պետականութեան անկումը եւ հայկական հարցի ծագումը: Վերոյիշեալներու բացատրութիւնը:

1. Հայաստանի դիրքը ճակատող կայսրութեանց միջեւ: Այս դիրքը զինուորական, քաղաքական, մարդկային եւ տնտեսական մեծ կարեւորութիւն տուաւ դրկից պետութեանց: Զինուորական-քաղաքական տեսակէտէն, այս երկրի վրայ իր ամբողջ պատմութեան ընթացքին յարձակում գործեցին Միտանիները, Պարթեւները, Հռոմայեցիները, Պարսիկները, Սասանեանները. Ցոյները, Թուրքերը, Ռուսերը, Վրացիները, Չերքեզները եւ Քիւրտերը: Եւ գրաւեցին զայն, քանդեցին ու կործանեցին ամբողջ քանի դարեր ու աւելի: Մարդկային տեսակէտէն, սոյն իրարայաջորդ պատերազմները պատճառ դարձան բնաջնջումին հայ ժողովուրդի, որ կը պաշտպանէր իր երկիրը, կամ կը մտնէր դաշնակից բանակներու շարքերէն ներս, կամ ստիպողաբար կը զօրակոչուէր ուրիշ երկիրներու բանակներուն մէջ: Տնտեսական տեսակէտէն վերոյիշեալ երկու ազդակները պատճառ դարձան որ կորսուի Հայաստանի տնտեսական հարստութիւնը եւ քանդուին հողագործութիւնն ու ճարտարարուեստը եւ Հայաստան յետադիմէ, բացի Հայերու անդադար գաղթերէն դէպի աշխարհի զանազան երկիրները՝ ազատելու համար այս պատուհասներէն:

2. Թուրանական ցեղախումբերու արշաւանքները: Հայաստանի բնական դիրքը այս ժողովուրդներու յառաջխաղացքի խաչմերուկին վրայ: Երբ անոնք կ'ուղղուէին դէպի Փոքր Ասիա եւ Եւրոպա, պատճառ դարձան որ անոնք կործանեն Հայաստանը, ինչպէս նաեւ պատճառ դարձան որ ան կորսնցնէ իր ազատութիւնը վերջնականապէս, նախ Սելճուքներու եւ Մոնկոլներու եւ ապա Թուրքմէններու կողմէ, ինչ որ պատճառ դարձաւ որ Հայաստանը մնայ միւս յարձակողներու քմահաճոյքին ենթակայ, Պարսիկ, Ռուս, Թուրք եւայլն:

3. Ներքին պառակտումի եւ տեղական պայքարներու շրջանը: Մրցակցութիւնը գահին տիրանալու համար եւ այս կամ այն պետութեան կողմնակից կուսակցութեանց երեւան գալը պատճառ դարձաւ որ մոռցուի բուն նպատակը եւ քայքայուի ազգային միութիւնը, բան մը որ օգնեց օտար պետութիւններուն, որ գրաւեն եւ բաժնեն Հայաստանը, որ վերջապէս յանգեցաւ Հայաստանի բաժանումին՝ Ցարական Ռուսիոյ եւ Օսմանեան Թուրքիոյ միջեւ:

4. Տնտեսական կառոյցը Հայաստանի եւ Կիլիկիոյ մէջ:

Տնտեսական բարգաւաճումը երկու երկիրներու մէջ. — Թրան-
զիթ վաճառականութիւն: Հայկական դրամներ: Վաճառականու-
թեան ծաղկումն ու յառաջդիմութիւնը: Առեւտրական ճանապարհ-
ներն ու քաղաքները: Հայկական նաւահանգիստները Կիլիկիոյ մէջ:

ՄԱՍ ՉՈՐՐՈՐԴ

ՀԱՅԿԱԿԱՆ ԿԱԹՈՂԻԿԷ — ՃԱՐՏԱՐԱՊԵՏՈՒԹԻՒՆ

Պատմական ակնարկ: Հայկական կաթողիկէի նախնական ու-
սումնասիրութիւններ, յայտնաբերուած հայկական հնութիւններու
եւ կոթողներու դերը, կաթողիկէ կարեւորութիւնը ընդգծելու մէջ:
Հայկական ճարտարապետութեան տեղը համաշխարհային ճարտա-
րապետութեան մէջ: Մասնագէտներու եւ գիտնականներու խօսքերը
այս ուղղութեամբ: Հայկական ճարտարապետութեան անկախ և զար-
գացած արուեստ դառնալը: Կարգ մը հնագէտներու տեսութիւն-
ները հայկական արուեստին ազդեցութեան շուրջ բիւզանդական
ճարտարապետութեան վրայ: Հայերը կղմինտրեայ գմբեթներու շի-
նութիւնը եւ գործածութիւնը առաջին անգամ Պարսկաստան մտցնող
կը նկատուին: Հայերը առաջինն էին որ եկեղեցիները կլոր նախագի-
ծով պատրաստեցին:

Հայկական ճարտարապետութեան ազդեցութիւնը գոթական
կաթողիկէի վրայ: Հայոց դերը այս արուեստին մէջ. Կոստանդնու-
պոլսոյ Այա Սոֆիա եկեղեցւոյ գեղազարդումը: Հայկական կաթո-
ղիկէի ազդեցութիւնը սլաւոնեան ճարտարապետութեան վրայ: Հայ-
կական ճարտարապետութեան զարգացումը եւ անոր որպէս աշխարհի
կարեւորագոյն կաթողիկէներէն մին նկատուիլը (բիւզանդական,
հռոմէական եւ յունական կաթողիկէներու կողքին): Փարիզի Նոթր
Տամ եկեղեցւոյ նախագիծին վրայ Հայերու ազդեցութեան շուրջ:

ԳԼՈՒԽ Դ.

ՄԱՍ ԱՌԱՋԻՆ

ՀԱՅԿԱԿԱՆ ՀԱՐՑԻ ՊԱՏՄԱԿԱՆ ԱՐՄԱՏՆԵՐԸ. ՀԱՅԿԱԿԱՆ ՊԵՏՈՒԹԵԱՆ ԱՇԽԱՐՀԱԳՐԱԿԱՆ ԴԻՐՔԻ ԴԵՐԸ ԵՒ ԱՆՈՐ ՀԵՌԱՒՈՐ ԱԶԴԵՑՈՒԹԻՒՆՆԵՐԸ

1. Հայկական պետութեան անկումը:

2. Հայկական հարցի երեւան գալը տեղական եւ միջազգային
մակարդակներու վրայ: «Աշխարհագրական դիրք» հասկացողութեան
սահմանումը:

Ա. Հայաստանի գոյութիւնը որպէս կամուրջ պատերազմող
կայսրութիւններու միջեւ ցոյց տուաւ անոր *«ստրաթեժիք»* կարեւո-
րութիւնը զինուորական, մարդկային եւ տնտեսական կողմերէն,
բան մը, որ մղեց սոյն պետութիւնները որ յարձակում գործեն Հա-
յաստանի վրայ եւ զայն բաժան-բաժան ընեն ամբողջ քանի դարեր եւ
աւելի:

2. Պատմագրական շարժում եւ նշանաւոր պատմագիրներ:

3. Գիտական շարժում եւ նշանաւոր հայ գիտնականներ:

4. Բանաստեղծական շարժում եւ նշանաւոր բանաստեղծներ: Հատուածներ Գրիգոր Նարեկացիի, Ներսէս Շնորհալիի եւ Ներսէս Լամբրոնացիի բանաստեղծութիւններէն: Մխիթարեան միաբանութեան եւ Հայ Եկեղեցւոյ դերը հայ լեզուի, գրականութեան եւ ազգապահպանման մէջ:

ՄԱՍՆ ԵՐՐՈՐԴ

ԴԱՍԱԿԱՐԳԱՅԻՆ ԿԱՌՈՅՑԸ ԵՒ ԸՆԿԵՐԱՅԻՆ ԿԵԱՆՔԸ ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ԵՒ ԿԻԼԻԿԻՈՅ ՄԷՋ: ՏՆՏԵՍԱԿԱՆ ԿԱՌՈՅՑԸ:

1. *Հողատիրական օրէնքը (դասակարգային կառոյց եւ անոր զարգացումը Հայաստանի մէջ):*

Ա. Պարսկական Աքամենեան հարստութեան իշխանութեան օրերուն 550—400 Ք. Ա., ինչպէս նաեւ Հայոց Երուանդեան հարստութեան իշխանութեան ժամանակ, 400—331 Ք. Ա. (սատրապութիւն):

Բ. Հողատիրական օրէնքը եւ դասակարգային կառոյցը հայկական առաջին թագաւորութեան ժամանակ — Երուանդեան, 331—189 Ք. Ա.:

Գ. Հողատիրական օրէնքը եւ դասակարգային կառոյցը, հայկական երկրորդ թագաւորութեան օրերուն — Արտաշէսեան, 189 Ք. Ա. — 1 Ք. Ե.:

Դ. Հողատիրական օրէնքը եւ դասակարգային կառոյցը երրորդ եւ չորրորդ թագաւորութիւններու ժամանակ — Արշակունեան եւ Բագրատունեան (եւ օտարներու տիրապետութեան ժամանակ): Փատիշահ — նախարար — սեպուհ — ազատներ — ռազմիկներ — կղերականներ — 1 — 1071 (Ք. Ե.):

2. *Հողատիրական օրէնքը (դասակարգային կառոյց եւ անոր զարգացումը Կիլիկիոյ մէջ): Հայկական հինգերորդ թագաւորութիւն — Ռուբինեանց հարստութիւն:*

3. *Առօրեայ ընկերային կեանքը Հայաստանի եւ Կիլիկիոյ մէջ, դահի մակարդակով (պալատ), ազնուականներ, ժողովուրդ:*

Ա. Առօրեայ կեանքը Հայաստանի մէջ, գահի եւ ազնուականներու մակարդակով (հողատիրական օրէնք, որսահանդէսներ, թատրոն):

Բ. Առօրեայ կեանքը Հայաստանի մէջ, ժողովուրդի մակարդակով (կրօնական եւ ազգային տօներ, որսահանդէսներ եւ պարահանդէսներ, հայ ժողովուրդի ընկերային սովորոյթները):

Գ. Առօրեայ կեանքը Կիլիկիոյ մէջ, գահի եւ ազնուականներու մակարդակով (ճիվալրութեան օրէնք, ֆրանսական սովորոյթներ, ընկերային հաստատութիւններ):

Դ. Առօրեայ կեանքը Կիլիկիոյ մէջ ժողովուրդի մակարդակով (վանառականութիւն — ճիվալրութիւն — որսորդութիւն — հանդէսներ):

կախութեան կապակցութեամբ։ Մեծն Պետրոսի համաձայնութիւնը այդ առաջարկին (1701)։ Ռուս—Պարսկական պատերազմը։ Հայ ազատագրական պայքարի հերոս Դաւիթ Բէկի երեւումը եւ մահը (1728)։ Պարսկա—Ռուսական պատերազմը (Կատարինէ Բ. Կայսրուհի)։ Պարսիկներու պարտութիւնը եւ Ռուսերու կողմէ գրաւում Հայաստանի հողերու կարեւոր մասին։ Ռուս—Թրքական պատերազմը (1829) եւ երկու երկիրներուն իրարու մէջ բաժանումը Հայաստանի· այս վիճակի շարունակութիւնը (որոշ փոփոխութիւններով իւրաքանչիւր պետութեան սահմաններուն վրայ) մինչեւ Քսաներորդ դարու առաջին քառորդը։

ԳԼՈՒԽ Գ.

ՄԱՍՆ ԱՌԱՋԻՆ

ՀԱՅԱՍՏԱՆ՝ ՀԵԹԱՆՈՍՈՒԹԵՆԷ ՄԻՆՉԵՒ ՔՐԻՍՏՈՆԷՈՒԹԻՒՆ։ ՀԱՅԱՍՏԱՆ՝ ԱՌԱՋԻՆ ՔՐԻՍՏՈՆԵԱՅ ՊԵՏՈՒԹԻՒՆԸ ԱՇԽԱՐՀԻ ՄԷՋ (301)։

Ս. ԳՐԻԳՈՐ ԼՈՒՍԱՒՈՐԻՉ ԵՒ ՏՐԴԱՏ Գ. ԹԱԳԱՒՈՐ ԵՒ ԱՆՈՆՑ ԳՈՐԾԵՐԸ։

Հեթանոսութիւնը Հայաստանի մէջ։ Ակնարկ մը կրօնքի զարգացման։ Սումէրներու, Աքքատեաններու, Ասորեստանցիներու եւ Պարսիկներու կրօնքները եւ անոնց ազդեցութիւնը հայ հին կրօնքին վրայ։ Հայ հին Զաստուածները։ Յունական կրօնքի ազդեցութիւնը Հայոց հեթանոսութեան վրայ։

Քրիստոնեայ Հայաստանը։ Առաջին առաքեալները։ Տրդատ թագաւոր եւ Ս. Գրիգոր Լուսաւորիչ։ Հայկական եկեղեցին։ Կրօնական ժողովները։ Հայոց Եկեղեցւոյ յատուկ սովորութիւններ։ Եկեղեցւոյ տնօրինութիւնը։

ՄԱՍՆ ԵՐԿՐՈՐԴ

ՀԱՅՈՑ ԼԵԶՈՒԻ ԵՒ ԳՐԱԿԱՆՈՒԹԵԱՆ ԶԱՐԳԱՑՈՒՄԸ, ՀԱՅ ԳԻՐԵՐՈՒ ԳԻՒՏԸ ԵՒ ԱՆՈՐ ՄՕՏԻԿ ՈՒ ՀԵՌԱՒՈՐ ԱԶԴԵՑՈՒԹԻՒՆՆԵՐԸ։

Հայերէն լեզուն՝ հնդեւրոպական եւ գիտնականներու փաստերը այդ մասին։ Համաշխարհային լեզուներու ցանկը, որ կը փաստէ այս տեսութիւնը եւ հայերէն լեզուի անկախ ըլլալը։ Հին հայերէն լեզուին գործածութիւնը արամական, յունական եւ ասորական գիրերով։ Պարսկական բառերու մուտքը հայերէնի մէջ։ Հին հայկական գրականութեան ազդեցութիւնը հռոմէական եւ յունական գրականութեանց վրայ։ Հայ անգիր գրականութիւնը։ Գողթան երգեր։ Գրաւոր հայ գրականութիւն եւ անոր զարգացումը հայ գիրերու գիւտին շնորհիւ։ Ի՞նչպէս գտնուեցան հայ գիրերը. Վռամշապուհի, Սահակ Պարթեւի եւ Մեսրոպ Մաշտոցի դերը այդ գործին մէջ։ Հայերէն այբուբենի ցուցակ։ Հեռաւոր եւ մօտաւոր ազդեցութիւնը հայ գիրերու գիւտին։

1. Թարգմանչական եւ ստեղծագործական շարժումը, նշանաւոր թարգմանիչները (Ս. Գիրքի, կրօնական գիրքերու, Արիստոտելի գիրքերուն եւ յունարէն գիտական, փիլիսոփայական եւ գրական գիրքերու թարգմանութիւններ)։

Լեւոն Ե. թագաւորը 1320—1342։ Գահ բարձրացաւ իր մօ-
րեղբօր խնամակալութեան տակ։ Խնամակալ Օշինի յարափոփոխ
նկարագիրը իր գործունէութեանց մէջ։ Լեւոն գահ կը բարձրանայ
եւ Մեմլուքներու արշաւանքները թափ կ՚առնեն իր երկրին վրայ։
Հայ—Մեմլուք դաշնագիր որպէս հետեւանք Եւրոպայի միջամտու-
թեան։ Մեմլուքները կը դրժեն դաշինքը եւ կը գրաւեն հայկական
պետութեան կարեւոր մասերը։ Նոր դաշինք։ Երկու կրօնական խըմ-
բաւորումներու երեւումը, որոնք կը տկարացնեն երկիրը։

10․— Գահը կ՚անցնի Լուսինեան փրանսացի ընտանիքի։ Կի տը
Լուսինեան թագաւոր 1342—1344, անոր դիմադրութիւնը Մեմլուք-
ներու արշաւանքներուն։ Ներքին քաղաքականութիւն։

11․— Կոստանդին Բ. թագաւոր 1344—1363։ Ներքին քաղաքա-
կանութիւն, Հայերը իր կողմ կը գրաւէ՝ անոնց զգայուն պաշտօններ
շնորհելով պետութեան մէջ, որոնցմէ փրանսացի եւ լատին պաշտօ-
եաները կը քաշուին։ Կը գործածէ հայերէն լեզուն։ Մեմլուքներու
յարձակումը Կիլիկիոյ վրայ Այաս AYAS եւ անոր գրաւումը, ինչ-
պէս նաեւ Միսիս, Թորուս, եւ Սիսի գրաւումը։

Կիպրոսի թագաւորը կը կենայ Հայոց կողքին, Մեմլուքները
կը ձախողին, Կոստանդիանոս կը մահանայ։

12․— Կոստանդիանոս Գ. թագաւոր 1363—1373։ Կրօնական
վէճերը կը վերսկսին, Կոստանդիանոսի սխալ վերաբերմունքը եւ
սպանութիւնը։

13․— Լեւոն Զ. թագաւոր 1373—1375։ Կիլիկեան թագաւորու-
թեան անկումը։

ՄԱՍՆ ՏԱՍՆԵՐՈՐԴ

ՀԱՅԱՍՏԱՆ ԱՆԻԻ (1071) ԵՒ ՍԻՍԻ (1375) ԱՆԿՈՒՄԷՆ ԵՏՔ

Նախ Հայաստանի անկումը Բիւզանդացիներու գերիշխանու-
թեան տակ, ապա՝ Սելճուքներու։ Վրացիներուն կողմէ Հայաստանի
ազատագրումը։ Մոնկոլներու երեւումը եւ Հայաստանի վրայ արշա-
ւերը։ Ճենկիզխան Թեմուրլանկ կը գրաւէ Հայաստանը։ Ուզուն Հա-
սան (1468) ինքզինք սուլթան կը հռչակէ Պարսկաստանի վրայ ու կը
յարձակի Հայաստանի վրայ։ Օսմանցի Մուհամմէտ Բ. (1440—1481)
եւ անոր յաղթանակը Ուզուն Հասանի վրայ, Թուրքեր կը գրաւեն
Հայաստանը։ Շահ Իսմայիլ Ա. (1514) կը յարձակի Հայաստանի վրայ
ու կը պարտուի Սուլթան Սելիմ Օսմանցիէն։ Թուրքիան կը գրաւէ
Հայաստանի հողերուն մեծ մասը։ Շահ Աբբաս Ա. ժէ. դարու սկիզ-
բին կը գրաւէ Արարատի նահանգը Թուրքերէն։ Թուրքերու վերա-
դարձը Հայաստան Սուլթան Ահմէտ Ա.ի (1603—1617) գլխաւորու-
թեամբ, Շահ Աբբասի պարտութիւնը։ Յիշեալ Շահի վերաբերմուն-
քը Հայերուն նկատմամբ։ Կը կերտէ Ջուլֆա քաղաքը։ Հայերը եւ
Ղարաբաղի նահանգը։ Հայ հինգ իշխանութիւնները (մելիքութիւն-
ներ) այս նահանգի մէջ եւ իշխող հայ տոհմերը։ Շահ Աբբասի յա-
ջորդներուն վայրագ վերաբերմունքը Հայերու հանդէպ։ Էջմիածնայ
գաղտնի ժողովը (1678)։ Օրի իշխանի երեւումը։ Օրի իշխանի փոր-
ձերը կապ կապելու եւրոպական պետութեանց հետ Հայաստանի ան-

րին մէջ: Կիլիկիոյ վիճակը իր օրերուն եւ Անտիոքի իշխանութեան հարցը: Թագաւորութեան սահմանները: Հայկական դրամներ հատանելը:

3.— ԽՆԱՄԱԿԱԼՈՒԹԵԱՆ ՇՐՋԱՆ (1219—1226 Ք. Ե.)

4.— Զապէլ Թագուհի եւ Հեթում Ա. Թագաւոր, 1226—1270 Ք. Ե.: Լեւոն Բ. Թագաւորի մահէն ետք խնամակալութեան շրջան, 7 տարիներ, Զապէլ թագուհիի վրայ (որ 12 տարեկան էր). Ատամ տի Կիսթիմ, ապա Կոստանդին: Այս վերջինին փորձերը Զապէլի ամուսնութիւնը ապահովելու, որպէսզի ախորժակները հեռացնէ գահէն: Զապէլի ամուսնութիւնը Հեթում Ա. թագաւորի հետ: Հեթումի իշխանութիւնը Կիլիկիոյ վրայ 44 տարի: Ներքնապէս Լեւոն Բ. թագաւորի քաղաքականութեամբ կը քալէ, կ'ապահովէ ազգային միութիւնը, կ'ապահովէ իր երկրին յառաջդիմութիւնը տնտեսապէս եւ ընկերային գետնի վրայ: Իր արտաքին քաղաքականութիւնը կ'ըլլայ հաշտ ապրիլ Գոնիայի սելճուք էմիրին հետ: Կը դաշնակցի Մոնկոլներու հետ ու կը մղէ զանոնք որ գրաւեն իր երկիրը: Իր պատերազմները Մեմլուքներու հետ:

5.— Լեւոն Գ. Թագաւոր 1270—1289 Ք. Ե.: Կիլիկիոյ վիճակը իր շրջանին: Ներքին քաղաքական անհանդարտութիւնը: Իր պատերազմները Մեմլուքներու դէմ, իր երկրի կարգապահութեամբ զբաղուիլը, Մոնկոլներու հետ իր դաշնակցիլը. Հաշտութեան դաշնագիր Հայերու եւ Մեմլուքներու միջեւ եւ դաշնագրին պայմանները:

Հեթում Բ. Թագաւոր 289—1305 Ք. Ե.: Գահ բարձրանալը երբ իր երկրին շատ մը մասերը Մեմլուքներու բռնապետութեան տակ կը գտնուէին: Մեմլուքները կրկին կը գրաւեն Կիլիկիան: Հեթում կարգ մը հայկական քաղաքներ կը զիջի Մեմլուքներուն: Հայ—մեմլուք հաշտութիւն: Հեթում իր գահը կը զիջի իր եղբօր՝ Թորոսին: Կը վերադառնայ իշխանութեան գլուխ. կը գործակցի Թաթարներու թագաւոր Ղազան խանի: Դաշնագիր կը կնքէ անոր հետ եւ իր երկրին օգտին կարգ մը առանձնաշնորհումներ ձեռք կը ձգէ: Խնամիական կապ կը հաստատէ բիւզանդական արքունիքին հետ: Հեթումի ճամբորդութիւնը Կոստանդնուպոլիս եւ իր եղբօր Թորոսի գահին գրաւումը: Օտար երկիրներու ախորժակը հայկական պետութեան տիրանալու որպէս հետեւանք գահին շուրջ ստեղծուած անհամաձայնութեանց: Հեթումի վերադարձը թագաւորութեան, Հայեր եւ Թաթարներ կը պարտուին Մեմլուքներէն: Հեթում գահէն կ'իջնէ:

7.— Լեւոն Դ. թագաւոր 1305—1308 Ք. Ե.: Կրօնական անհամաձայնութեանց երեւումը եւ անոնց ազդեցութիւնը հայկական թագաւորութեան վրայ, Լեւոնի սպանութիւնը:

8.— Օշին Ա. թագաւոր 1308—1320 Ք. Ե.: Իր յարձակումը Մոնկոլներու վրայ՝ Լեւոն Դ. թագաւորը սպաննած ըլլալուն համար, ու յաղթանակը՝ զանոնք Կիլիկիոյ սահմաններէն հեռու քշելով: Կրօնական անհամաձայնութիւններ կը դիմագրաւէ, իր առած քայլերը այս առնչութեամբ: Մեմլուքներու յարձակումներու շարունակուիլը: Իր մահը 1320-ին:

ՄԱՍՆ ԻՆՆԵՐՈՐԴ

ՀԱՅԿԱԿԱՆ ՀԻՆԳԵՐՈՐԴ ԹԱԳԱՒՈՐՈՒԹԻՒՆԸ՝ ՌՈՒԲԻՆԵԱՆ ՀԱՐՍՏՈՒԹԻՒՆԸ RUBENIDS DYNASTY ԿԻԼԻԿԵԱՆ ԹԱԳԱՒՈՐՈՒԹԻՒՆԸ 1080—1375 Ք. Ե.

Պատմական ակնարկ: Կիլիկիոյ աշխարհագրական նկարագրութիւնը: Հայկական հինգերորդ թագաւորութեան շրջանները:

1.— ԻՇԽԱՆԱԿԱՆ ՇՐՋԱՆ

Ռուբէն Ա. 1080—1095 եւ անոր կողմէ հիմնադրում հայկական պետութեան Կիլիկիոյ մէջ, Անիի անկումէն ետք: Կոստանդին Ա. իշխան 1059—1100, Վահկայի գրաւումը VAHKA հայկական նոր պետութեան սահմաններու ընդարձակումը, խաչակիրներու արշաւանքներու երեւումը եւ Կոստանդինի գործակցութիւնը Եդեսիոյ իշխանին հետ: Պարոնական BARONY շրջանի սկիզբը, Պարոն (իշխան) Թորոս Ա. 1100—1123 Ք. Ե., իր երկրի սահմաններու ընդարձակումը, Անտիոքի էմիրին հետ դաշնակցութիւնը: Անոր գրաւումը իր երկրի մէջ շինարարութեամբ, անոր դիմադրութիւնը եւ յաղթանակը Պարսիկներու վրայ, իր պատերազմները Բիւզանդացիներու հետ, իր հռչակի տարածումը Եւրոպայի մէջ: Իշխան Լեւոն Ա. 1123—1137 Ք. Ե.: Անոր կռիւը Անտիոքի Էմիրին հետ, անոր հակառակութիւնը Բիւզանդացի կայսր Կոմնենոսի հետ: Իշխան Թորոս Բ. 1145—1168 Ք. Ե., գերութենէ փախուստը եւ Կիլիկիոյ իշխանութեան մեծ մասերու վերագրաւումը Բիւզանդացիներէն, իր շրջանին Հայոց իշխանութեան տարածումը Կիլիկեան դաշտավայրին մէջ, իր պատերազմները Բիւզանդացիներուն հետ, պարտութիւնը եւ անոնց դրած պայմանները ընդունիլը, հայկական պետութեան շարունակուիլը Կիլիկիոյ մէջ Թորոսի Բիւզանդացիներուն պայմանները ընդունելուն պատճառաւ, իր յարձակումը Կիպրոսի վրայ: Իշխան Մլեհ 1169—1174 Ք. Ե.: Անոր գործակցութիւնը Նուրեստին Զընգիի հետ եւ Կիլիկիոյ գրաւումը, ապա ինքզինք անոր վրայ կառավարիչ հռչակելը, Մլեհի սպանութիւնը եւ Ռուբէն Բ.ի իշխանութեան գլուխ անցնիլը: Պարոն Ռուբէն Բ. 1175—1186 Ք. Ե., գրաւումը Մլեհի փճացուցածը վերաշինելով Կիլիկիոյ մէջ, ընդհարումը Անտիոքի իշխանին հետ, գերի տարուիլը յիշեալ կառավարիչին կողմէ, Ռուբէնի եղբօր՝ Լեւոնի զինուորական արշաւանքը, որով կարողացաւ Ռուբէնը գերութենէ ազատել եւ վերադարձնել իշխանութեան: Ռուբէնի կողմէ իր իշխանութեան զիջումը իր եղբօր Լեւոնին, հայկական իշխանութեան փոփոխումը թագաւորութեան:

2.— ԹԱԳԱՒՈՐԱԿԱՆ ՇՐՋԱՆ

Լեւոն Բ. Թագաւոր, 1186—1219 Ք. Ե.: Լեւոնի թագադրումը Կիլիկիոյ թագաւոր՝ Պապի, Գերմանիոյ կայսեր եւ Եւրոպայի թագաւորներու հաւանութեամբ: Լեւոն կը յաջողցնէ ազգային միութիւնը Կիլիկիոյ մէջ՝ իրեն կցելով Լամբրոնի LAMPRON եւ Պապիռոնի BABIRON իշխանութիւնները: Իր խնամիական կապերը Անտիոքի, Կիպրոսի եւ Երուսաղէմի իշխանաւորներուն հետ: Կիլիկիան իր շրջանին կը հասնի եւրոպական թագաւորութիւններու մակարդակին: Երկիրը կը յառաջդիմէ եւ կը զարգանայ տնտեսապէս, ընկերային եւ մշակութային մարզերուն մէջ: Բարենորոգումներ կ'ընէ երկ-

ՄԱՍՆ ՈՒԹԵՐՈՐԴ

ՀԱՑԿԱԿԱՆ Դ.՝ ԹԱԳԱՒՈՐՈՒԹԻՒՆ։ ԲԱԳՐԱՏՈՒՆԵԱՑ ՀԱՐՍՏՈՒԹԻՒՆ BAGRATIDS DYNASTY 885—1071 Ք. Ե.(1)։

Պատմական ակնարկ։ Աշոտ Բագրատունիի Նշանակումը թագաւոր Հայաստանի վրայ 885—890 Ք. Ե.։ Աշոտի դիմադրութիւնը հայ իշխաններուն, որոնք մրցեցան իշխանութեան գլուխ անցնելու համար, ապա իր յաղթանակը անոնց վրայ։ Իր ճամբորդութիւնը Բիւզանդիոն։ Իր գործերը եւ Հայաստանի վիճակը իր թագաւորութեան շրջանին։ Սմբատ Ա. Թագաւոր 890—910 Ք. Ե.։ Անոր անհամաձայնութիւնը Վալի Ափշինի հետ, կռիւները Ափշինի դէմ եւ Սըմբատի յաղթանակը։ Հայաստանի դէպքերը իր օրերուն։ Էմիր Ահմէտի երեւումը, Սմբատի անհամաձայնութիւնը էմիր Եուսէֆի հետ եւ իրենց կռիւները։ Վասպուրականի իշխանին դաւաճանութիւնը հանդէպ Սմբատ Թագաւորին, գրաւումը, Սմբատի բանտարկութիւնն ու սպանութիւնը Եուսէֆի կողմէ։ Աշոտ Բ. Թագաւոր — Աշոտ Երկաթ — 914—929։ Հայաստանի անհանդարտ վիճակը իր իշխանութեան գլուխ գալու օրերուն, իր դերը կարգապահութեան վերահաստատման հայկական թագաւորութեան մէջ եւ անոր յառաջդիմութեան ապահովումը, իր եղբօրը Մուշեղի ինքզինք թագաւոր հըռչակելը Կարսի KARS վրայ, Աշոտի Անի քաղաքը իր թագաւորութեան մայրաքաղաք հռչակելը եւ անոր ծաղկումը, երկու համալսարաններու կառուցումը, ճարտարապետութեան զարգացումը իր շըրջանին։ Սմբատ Բ. 977—1080, Գագիկ Ա. Թագաւոր 989—1070 Ք.Ե.։ Անոր հոգատարութիւնը ճարտարապետութեան, արուեստներու, եւ տնտեսութեան վրայ ուշադրութիւն դարձնելը, Հայաստանի յառաջդիմութիւնը իր շրջանին մշակութային եւ տնտեսական մարզերուն մէջ։ Արաբ խալիֆան իրեն կը շնորհէ «Շահնշահ» տիտղոսը իր գործերուն համար։ Սմբատ Գ. Թագաւոր 1020—1030 Ք. Ե.։ Թուրք Սելճուքներու երեւումը, զոյգ իշխանութիւն՝ Աշոտ Դ.ի իշխանութիւնը Սմբատ Գ.ի կողքին։ Հայերու դիմադրութիւնը Թուրք Սելճուքներու յարձակումներուն։ Հայ թագաւորներու զիջումը եւ իրենց թագաւորութեանց եւ իշխանութեանց յանձնումը Բիւզանդացիներուն։ Հայաստանը եւ Բագրատունեան հարստութեան անկումը եւ Բիւզանդացիներուն դերը անոր մէջ։ Գագիկ Բ. Թագաւորի (1042—1045) դիմադրութիւնը՝ Բիւզանդացիներու Հայաստանը իրենց կցելու փորձերուն։ Հայաստանի անկումը Բիւզանդացիներու տիրապետութեան տակ։ Մանազկերտի MANAZI KERT 1071 թուի ճակատամարտը եւ Սելճուք Թուրքերու իշխանութիւնը Հայաստանի վրայ։

(1) Բագրատունեաց հարստութիւնը վերջ գտաւ գործնականապէս Գագիկ թագաւորի անկումով 1045 թուականին Ք. Ե.։

Վալի Մարուան Ըպըն Մուհամմէտի (որ վերջը խալիֆա պիտի ըլլար) եւ հայ իշխան Սմբատ Բագրատունիի միջեւ: Արաբական եւ հայկական բանակներու մասնակցութիւնը խազարներու դէմ մղուած պատերազմներուն եւ անոնց յաղթութիւնը: Հայաստանի վիճակը այս խալիֆայի օրով:

8.— Մարուան Ըպըն Մուհամմէտ եւ Հայերը 745—750 Ք. Ե.: Մարուանի հրաւէրը Սմբատին որ Դամասկոս այցելէ: Իր կողմէ Գրիգոր Մամիկոնեանի նշանակումը որպէս Հայաստանի ընդհանուր հրամանատար, ապա Մուշեղ Մամիկոնեանի նշանակումը: Արաբ-Հայ փոխ-յարաբերութիւնները Մարուանի օրով:

Գ — Արաբները եւ Հայերը Աբբասեաններու օրով 750—765 Ք. Ե.:

1.— Ապի Ճաաֆար էլ Մանսուրի նշանակումը վալի Հայաստանի վրայ 754—775 Ք. Ե.: Անոր դիրքը Հայերու հանդէպ: Հայաստանի մէջ ապստամբութեան ծագում: Բիւզանդացի կայսեր միջամտութիւնը: Հայաստանի վիճակը երբ Ապու Ճաաֆար Աբբասեան պետութեան խալիֆա եղաւ: Անոր կողմէ Եզիտ Ըպըն Ասիտի վալի նշանակումը Հայաստանի վրայ: Այս Վալիին դերը Հայաստանի մէջ կարգապահութեան վերահաստատման մէջ: Եզիտի օրով արաբ ցեղախումբերու գաղթը դէպի Հայաստան: Անոր պատճառները: Ապի Ճաաֆարի նշանակումը իշխան Սահակ Բագրատունիի որպէս կառավարիչ Հայաստանի եւ երկու պետութեանց մասնակցութիւնը խազարներու յարձակումները դիմագրաւելու մէջ:

2.— Էլ Մէհտի եւ Հայերը 775—785 Ք. Ե.: Հայաստանի կառավարիչները անոր խալիֆայութեան շրջանին: Սմբատ Բագրատունի եւ Բագարատ Բագրատունի իշխաններ: Հայաստանի վիճակը եւ իր կապերը արաբական պետութեան հետ այս շրջանին:

3.— Հարուն Ռաշիտ եւ Հայերը 786—809 Ք. Ե.: Հայաստանի ծաղկումը եւ վայելումը յառաջդիմութեան ու անդորրութեան շրջան մը:

4.— Ամին, Մաամուն, Մութասէմ Ուասէք, Մութաուաքքէլ եւ Հայերը 809—861 Ք. Ե.:

Այս խալիֆաներու ժամանակակից Հայաստանի կառավարիչներն էին Սմբատ Բագրատունի, Բագարատ Բագրատունի, Աշոտ Բագրատունի, որ վերջը պիտի դառնայ «իշխանաց իշխան» եւ Բագրատունեաց հարստութեան — Հայաստանի Գ. Թագաւորութիւն — հիմնադիրը: Արաբ-հայ փոխ-յարաբերութեանց վերիվայրումը այս խալիֆաներու եւ հայ իշխաններու օրով, խաղաղութեան եւ զինադադարներու միջեւ: Հայաստան 865—885 տարիներու շրջանին եւ Աշոտ Բագրատունիի իշխանութիւնը որպէս «իշխանաց իշխան», ապա՝ որպէս թագաւոր եւ ապա հիմնադրումը Հայկական Դ. Թագաւորութեան: Հայ կառավարիչներու անուանացանկը Արաբական պետութեան օրով՝ 640—885 Ք. Ե.: Ուրիշ անուանացանկ մը Արաբ կառավարիչներու՝ 652—870 տարիներուն Ք. Ե.:

գլխաւորութեամբ եւ այն հողամասերը, ուր հասաւ։ Երկրորդ արշաւանք նոյն խալիֆայի օրերուն Սաաաքա Ըպըն Ամռուի գլխաւորութեամբ եւ ապահովութեան դաշինքի ստորագրում Հայերու եւ Արաբներու միջեւ։ Տոքթ. Ասթարճեանի կարծիքը վերջին արշաւանքին մասին։ Արաբական արշաւանքները խալիֆայ Օսման Ըպըն Աֆֆանի օրերուն։ Երրորդ արշաւանքը Հապիպ Ըպըն Մուսլիմայի ղեկավարութեամբ, նուաճումները, դաշինքները։ Չորրորդ արշաւանքը նոյն խալիֆայի օրերուն եւ Հայաստանի գրաւումը 660-ին Ք. Ե.։ Հայոց կեցուածքը այս արշաւանքներու նկատմամբ։ Թէոդորոս Ռշտունի իշխանը կը ստորագրէ հաշտութեան դաշինք Արաբներու հետ։ Դաշնագրի բովանդակութիւնը, Բիւզանդիոնի կեցուածքը Արաբ-Հայ դաշնակցութեան հանդէպ։

Բ — Արաբները եւ Հայաստանը Օմայեաններու պետութեան շըրջանին 660—750 Ք. Ե.։

1.— Մուաւիա եւ Հայերը 660—680 Ք. Ե.։ Հայաստանի արաբ եւ հայ կառավարիչները։ Մուաւիայի շրջանէն ետք.— պետութեանց փոխյարաբերութիւնները։ Ռշտունի իշխանին մահէն ետք Հայոց ժողովին որոշումը նախկին արաբական-հայկական դաշինքի պահպանելու նկատմամբ։ Սմբատի եւ իշխան Գրիգոր Մամիկոնեանի այցելութիւնը Դամասկոս եւ Մուաւիայի լաւ ընդունելութիւնը անոնց։

2.— Եզիտ եւ Հայերը 680—685 Ք. Ե.։ Երկու երկիրներու փոխյարաբերութեանց ընոյթը այդ շրջանին։

3.— Ապտէլ Մալէք Ըպըն Մարուան եւ Հայերը 685—705 Ք. Ե.։ Իր ժամանակուան Հայաստանի արաբ եւ հայ կառավարիչները։ Խազար ցեղախումբերու յարձակումները։ Բիւզանդիոնի կայսեր արշաւանքները։ Կառավարական վարչաձեւը Հայաստանի մէջ (Արաբ վալի եւ Հայ կառավարիչ)։ Արաբ-Հայ փոխ-յարաբերութեանց բնականոնացումը։

4.— Ըլուալիտ Ըպըն Ապտէլ Մալէք եւ Հայերը 705—715 Ք. Ե.։ Արաբ եւ հայ վալիները ու կառավարիչները իր շրջանին։ Վալի Քասէմի գործերը եւ խալիֆային կեցուածքը։

5.— Սուլէյման Ըպըն Ապտէլ Մալէք, Օմար Ըպըն Ապտէլ Ազիզ եւ Հայերը 715—720 Ք. Ե.։ Յովհաննէս Օձնեցի կաթողիկոսի այցը Դամասկոս եւ իր կրօնական խօսակցութիւնները Ապտէլ Ազիզի հետ։ Ապտէլ Ազիզի ընդունելութիւնը եւ իր հիացմունքը կաթողիկոսին։

6.— Եզիտ Ըպըն Ապտէլ Մալէք եւ Հայերը 720—724 Ք. Ե.։ Արաբներու եւ հայերու դիմադրութիւնը խազարներու արշաւանքներուն։

7.— Հիշամ Ըպըն Ապտէլ Մալէք եւ Հայերը 724—743 Ք. Ե.։ Հայ կառավարիչները իր ժամանակ։ Արաբ խալիֆայի բարեկամական կեցուածքը հայկական պետութեան հանդէպ։ Արաբներու եւ Հայերու միջեւ կռիւի վերածագումը մէկ կողմէ եւ խազարներու միւս կողմէ; Բարեկամական կապերու ստեղծումը Արաբ

ձը իշխանութեան գլուխ 414—415 Ք. Ե.: Շապուհ (Շապուր) թագաւոր 416—420 Ք. Ե.: Հայաստան 420—423 տարիներուն Ք. Ե.: Արտաշէս Դ. թագաւոր 423—429 Ք. Ե.(1) եւ Արշակունեան հարստութեան անկումը:

ՄԱՍՆ ՎԵՑԵՐՈՐԴ

ՀԱՅԱՍՏԱՆԸ ԱՐՇԱԿՈՒՆԵԱՆՑ ՀԱՐՍՏՈՒԹԵԱՆ ԱՆԿՈՒՄԷՆ ԵՏՔ ՄԻՆՉԵՒ ԱՐԱԲԱԿԱՆ ՆՈՒԱՃՈՒՄ 429—640 Ք. Ե.:

ԿՐՕՆԱԿԱՆ ՊԱՏԵՐԱԶՄՆԵՐԸ(2) ԵՒ ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ՔԱՂԱՔԱԿԱՆ ԵՒ ԸՆԿԵՐԱՅԻՆ ՎԻՃԱԿԸ ԻՐ ԲԻՒԶԱՆԴԱԿԱՆ ԵՒ ՊԱՐՍԿԱԿԱՆ ՄԱՍԵՐՈՒՆ ՄԷՋ:

Պատմական ակնարկ: Կրօնական պատերազմները: Աւարայրի ճակատամարտը AVARAYR 451 Ք. Ե.: Անոր պատճառները եւ հետեւանքները: Վարդան Մամիկոնեանի երեւումը, ապա՝ Վահան Մամիկոնեան: Կրօնական պատերազմներու վերադարձը եւ անոր շարունակութիւնը մինչեւ 491 Ք. Ե.: Հայերու յաղթանակը եւ իրենց կրօնական իրաւունքները պաշտպանող դաշնագրի ձեռքբերումը: Հայաստանի քաղաքական եւ ընկերային վիճակը Պարսկահայաստանի մէջ: Մարզպաններով SATRAPS կառավարուող Հայաստանը: Պարսկաստան կը զօրացնէ հողատիրական օրէնքը Պարսկահայաստանի մէջ: Մարզպաններու (հողատէրեր) առանձնաշնորհումները, եւ իրենց հողամասերուն տնօրինումը: Անուանացանկը մարզպաններու, որոնք իշխեցին Սասանեան Հայաստանի վրայ 430—634 տարիներու ընթացքին Ք. Ե.: Հայաստանի քաղաքական և ընկերային վիճակը Բիւզանդական Հայաստանի մէջ: Բիւզանդիոն կը տկարացնէ հայկական հողատիրական օրէնքը՝ նախարարական դրութիւնը եւ զայն քանդելու նպատակը, որպէսզի քանդուի Հայոց ազգային միասնականութիւնը, որ ապահովուած էր այս ընտանիքներով, Բիւզանդացի կայսրերու որոշումները այս գծով, Զենոն ու Յուստինիանոս: Անուանացանկը նախարարներու, որոնք իշխեցին բիւզանդական Հայաստանի վրայ 591—705 Ք. Ե.:

ՄԱՍՆ ԵՕԹՆԵՐՈՐԴ

ՀԱՅԱՍՏԱՆ ԵՒ ԱՐԱԲԱԿԱՆ ՏԻՐԱՊԵՏՈՒԹԻՒՆԸ 640—885 Ք. Ե.: ԱՐԱԲՆԵՐՈՒ ՆՈՒԱՃՈՒՄԸ ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ, ՀԱՅԵՐԸ ԵՒ ԱՐԱԲՆԵՐԸ:

Ակնարկ՝ Հայաստանի նուաճումին պատճառներուն մասին Արաբներու կողմէ.—

Ա — Հայաստանի նուաճումը Ռաշիտեան խալիֆաներու օրով 640—660 Ք. Ե.: Արաբական արշաւանքները խալիֆայ Օմար Ըպըն Խաթթապի օրերուն: Առաջին արշաւանք Այատ Ըպըն Ղանամի

(1) Յիշուած թագաւորներու իշխանութեան շրջանին թուարկման մէջ կորսուած տարիներուն պատճառները բացատրուած են մանրամասնութեամբ մեր գիրքի այս մասի մէջ:

(2) Պարոյկ Սասանեաններու հետ, կռապաշտութեան համար երբ յիշեալները ուզեցին այս կրօնքը պարտադրել Հայոց, քրիստոնէութեան փոխարէն:

Հայաստանի վիճակը Տիգրանի օրերուն: Արտաւազդ Բ. ARTAVAZD II 55/54 — 34 Ք.Ա., որդի Տիգրան Ա.ի: Անոր կեցուածքը Հռոմայեցիներու եւ Պարթեւներու հանդէպ, անոր խնամիութիւնը Պարթեւներու թագաւորին PARTHIA II Մարկոս Անտոնիոսի հետ, (որ Եգիպտոսի հռոմայեցի կառավարիչն էր): Արտաւազդ Բ.ի կռիւը եւ սպանութիւնը: Արտաշէս Բ., որդի Արտաւազդ Բ.ի, 30—20 Ք. Ա.: Հռոմի եւ Պարթեւներու կողմնակից կուսակցութեանց երեւումը: Արտաշէս Բ.ի սպանութիւնը: Տիգրան Գ. TIGRANES III 20—8 Ք. Ա., որդի Արտաւազդ Բ.ի: Տիգրան Դ. TIGRANES IV եւ Երատոյ թագուհին 8—5 Ք. Ա., Հռոմայեցիներու եւ Պարթեւներու դերը այս երկու թագաւորներու օրերուն: Արտաւազդ Գ. ARTAVAZD II 5—2 Ք. Ա. եւ անոր սպանութիւնը: Տիգրան Դ.ի եւ Երատոյ թագուհիի վերադարձը 2 Ք. Ա. — 1 Ք. Ե. եւ հայկական Բ. Թագաւորութեան անկումը Ք. Ե. 1 թուականին:

ՄԱՍՆ ՉՈՐՐՈՐԴ

ՀԱՅԱՍՏԱՆ ԵՒ ՕՏԱՐ ԹԱԳԱՒՈՐՆԵՐՈՒ ԻՇԽԱՆՈՒԹԻՒՆԸ
1—60 Ք. Ե.

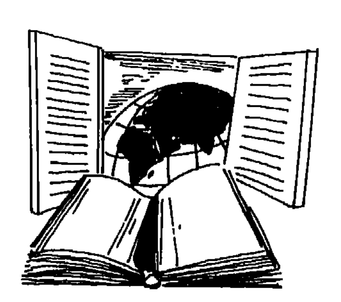
Հռոմէական-Պարթեւական կռիւները: Հայկական Պարթեւա-Հռոմէական կուսակցութիւնները եւ անոնց դերը այդ թագաւորներու նշանակումին մէջ: Հայաստանի օտարազգի թագաւորները 1—66 թուականներուն Ք. Ե.: Հռոմի Օգոստոս կայսեր քաղաքականութիւնը:

ՄԱՍՆ ՀԻՆԳԵՐՈՐԴ

ՀԱՅԿԱԿԱՆ Գ. ԹԱԳԱՒՈՐՈՒԹԻՒՆԸ
ԱՐՇԱԿՈՒՆԵԱՆՑ ՀԱՐՍՏՈՒԹԻՒՆԸ
66—429 Ք. Ե.

Ռեհանդիայի (Հրանդէա) RHANDEA դաշնագիրը Հռոմի եւ Պարթեւներու միջեւ: Ներոն NERO կայսեր կողմէ Տրդատի Հայաստանի թագաւոր ձեռնադրութիւնը Հռոմի Ֆորումին մէջ եւ Հայկական Գ. Թագաւորութեան հիմնադրութիւնը: Այս հարստութեան թագաւորները (այդ թագաւորներէն կարեւորները եւ անոնց յրիւ թուարկումը): Տրդատ Ա. թագաւոր 66—100 Ք. Ե., Տրդատ Բ. թագաւոր (Մեծն Խոսրով Ա.) 217—238 Ք. Ե.: Խոսրովի սպանութիւնը Անակի ձեռքով, Սուրէնեան ընտանիքէն: Հայաստանի անկումը Սասանեան, Հռոմէական եւ Փալմիրի իշխանութեանց տակ: Տրդատ Գ. թագաւոր, Ս. Գրիգոր Լուսաւորիչ եւ անոր իշխանութեան 3 շրջանները 250—330 Ք. Ե.: Հայաստանի վիճակը իր օրերուն: Հայաստանի քրիստոնէացումը: Խոսրով Փոքր (Կոտակ) Բ. թագաւոր 331—339 Ք. Ե.: Տիրան թագաւոր 340—350 Ք. Ե. եւ անոր վարքը: Արշակ Բ. թագաւոր եւ անոր անձնապանութիւնը 351—367 Ք. Ե.: Պապ թագաւոր 369—374 Ք. Ե.: Վարազդատ թագաւոր 374—378 Ք. Ե.: Արշակ Գ. թագաւոր եւ Վաղարշակ 378—386 Ք. Ե.: Խոսրով Գ. թագաւոր 386—392 Ք. Ե.: Հայաստանի բաժանումը Սասանեաններու եւ Բիւզանդացիներու միջեւ 387 Ք. Ե.: Վռամշապուհ թագաւոր 392—414 Ք. Ե. եւ հայ գիրերու գիւտը: Խոսրով Գ. թագաւորի վերադար-

Արտաշէսի արքունիքը: Անոր առաջարկը հայկական պետութեան մայրաքաղաքի կառուցման տեղին շուրջ, Արտաշէսի համաձայնութիւնը եւ Արտաշատի ARTAXATA կառուցումը: Արտաշէսի պարտադրանքը որ հայերէն լեզուն գործածուի որպէս պաշտօնական լեզու, իր վարչական եւ տնտեսական գործունէութիւնները, Ալաններու ALANS ցեղախումբերուն դիմադրութիւնը: Արտաւազդ Ա.ի ARTAVAZD I (որդի Արտաշէսի°) Ք. Ա., Տիգրան Ա. TIGRANES I (որդի Արտաշէսի°') Ք. Ա., Տիգրան Բ. Մեծ TIGRANES II 95 / 95 — 55 / 54 Ք. Ա., որդի Տիգրան Ա.ի: Մեծն Տիգրան Բ.ի շրջանը: Հայկական թագաւորութեան ծաղկումը եւ միացումը եւ ապա կայսրութեան հիմնադրութիւնը եւ անոր սահմանները: Անկման շրջանը եւ իր պատերազմները Հռոմայեցիներուն հետ (Լուկուլլոս LUCULLUS եւ Պոմպէոս POMPEY իր աներհօր, Պոնտոսի արքայ Միհրդատի MIHRITIDATES դերը՝ Տիգրանը Հռոմայեցիներու դէմ պատերազմի հանելուն մէջ: Հռոմէական կայսրութեան անկումը եւ Հայաստանի վերադարձը իր բնական սահմաններուն:



ԱՌԱՋԻՆ ՀԱՅ ԹԱԳԱՒՈՐՈՒԹԻՒՆԸ

ԵՐՈՒԱՆԴԵԱՆ ՀԱՐՍՏՈՒԹԻՒՆԸ 331—182 Ք. Ա. ՍԵԼԵՒԿԵԱՆ ԱԶԴԵՑՈՒԹԵԱՆ ՏԱԿ: ՀԵԼԼԵՆԱԿԱՆ HELLENISTIQUE ՔԱՂԱՔԱԿՐԹՈՒԹԵԱՆ ԱԶԴԵՑՈՒԹԻՒՆԸ ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ՎՐԱՅ

Պատմական ակնարկ: Հայաստանի փոփոխութիւնը մարզպանութենէ (հողամաս) թագաւորութեան: Աղեքսանդրի նուաճումներու ազդեցութիւնը Հայաստանի: Քաժի Աղեքսանդր Մեծի ALAXANER THE GREAT մահը եւ հետեւանքները: Հայաստանի միացումը Սելեւկոս Ա.ի SELUCUS I իշխանութեան: Ֆրաաթափերնիս: Նուաճումը եւ տիրակալութիւնը արեւմտեան Հայաստանի վրայ (323—321 Ք. Ա.): Երուանդեան հարստութեան թագաւորները: Միհրան MIHRANES եւ իր իշխանութիւնը Արեւելեան Հայաստանի, ապա ամբողջ Հայաստանի, Ֆրաաթափերնիսի PHRAATAPHERNES մահէն ետք, Երուանդեան հարստութեան ծագման իսկական անունը: Սելեւկեան ընտանիքի թագաւորները SELEUCIDS OYNESTY : Հայաստանի պատմութեան ուսումնասիրութիւնը 323—189 Ք. Ա. Երուանդեան եւ Սելեւկեան ընտանիքներու փոխյարաբերութեանց քաղդատականի ընդմէջէն, կրօնական, մշակութային, ընկերային եւ քաղաքական մարզերու մէջ: Հայկական երկրորդ թագաւորութեան կազմութեան սկզբնաւորութիւնը: Արտաշիսեան հարստութիւնը ARTASHESES DYNASTY Երուանդեան հարստութեան անկումէն ետք Երուանդ Դ.ի մահով եւ Անտիոքոս Գ.ի կողմէ ANTIOCHUS III նշանակումը Արտաշէս Ա.ի ARTASHES I Մեծն Հայքի (Արմենիոյ) կառավարիչ եւ Զարեհը ZARIADRIS Փոքր Հայքի կառավարիչ:

ՄԱՍՆ ԵՐՐՈՐԴ

ԱՐՏԱՇԻՍԵԱՆ ՀԱՐՍՏՈՒԹԻՒՆԸ 189 Ք. Ա.—1 Ք. Ե.: ՀԱՅԿԱԿԱՆ ԿԱՅՍՐՈՒԹԻՒՆԸ ԵՒ ՄԵԾՆ ՏԻԳՐԱՆ Բ.

Պատմական ակնարկ: Արտաշէս Ա. 189—160 Ք. Ա. եւ իր հիմնելը Հայկական Բ. թագաւորութիւնը Մեծ Հայքի մէջ: Իր փորձը Զարեհի թագաւորութիւնը իրեն կցելու եւ ձախողութիւնը: Կարկեդոնացի Աննիբալի HANNIBAL THE CARTHAGINIAN ապաստանումը

կան «Ասիական» ցեղախումբեր, Հնդեւրոպական «Եւրոպական» ցեղախումբեր: Հայոց դիրքը այս խմբաւորումներուն մէջ, զիրենք նկատելով հնդեւրոպական «Եւրոպական—Ասիական միացեալ» ցեղախումբ: Արիական ARIAN ցեղի ծանօթացում: Հնդեւրոպական բառի իմաստը: Հայկի HAYK եւ Բէլի BEL առասպելը: Հայկազնեան պետութիւնը: Պատմաբաններ Հերոդոտոսի HERODOTUS եւ Ստրաբոնի STRABO տեսութիւնները Հայոց ծագման մասին: Ժամանակակից տեսութիւնները հայ ազգի կազմութեան մասին: Փռիւգեան PHRYGIAN ցեղախումբերու վերադարձը Պալքաններէն Փռիւգիա: Հայերու բաժանումը իրենց ազգակից Փռիւգացիներէն եւ երթը դէպի Հիթիթեան Հայասա հողամասը HAYASA (Եփրատի վերերը) եւ անոր գրաւումը: Անոնց էջքը դէպի Վանայ VAN եւ Արաքսի ARAX դաշտագետիններ եւ Հայկական — Շուպրիա միութեան կազմումը: Հիթիթեան HITTITE եւ Ուրարտական կայսրութեանց անկումը: Հայերու օգուտը այս անկումներէն: Հայ ազգի կազմաւորումը որպէս հետեւանք հիւսիսի Հայերու (Հայասա) միութեան, դաշտային շրջաններու Հայերուն (Հայկական — Շուպրիա միութիւն): Հայաստան եւ Արմենիա անուններու ծագումը:

Մարդաբաններու փաստերը Հայերը հնդեւրոպական ցեղ նկատելու առընչութեամբ եւ Հայու տիպարը: Կրուսէ, Տանթէս, Ռոզպալխ, Մաքս, Կլենտ, Ռութ, Ռայխման, Փեթերսըն: Հայոց հոգեբանական եւ փիզիոլոկիական յատկութիւնները:

ԳԼՈՒԽ Բ.: ՀԱՅԿԱԿԱՆ ՊԵՏՈՒԹԵԱՆ ՊԱՏՄՈՒԹԻՒՆԸ ԿԱՄ ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ՔԱՂԱՔԱԿԱՆ ՊԱՏՄՈՒԹԻՒՆԸ

ՄԱՍՆ ԱՌԱՋԻՆ

ՀԱՅԱՍՏԱՆ ԵՒ ՕՏԱՐՆԵՐՈՒ ՏԻՐԱՊԵՏՈՒԹԻՒՆԸ 610—331 Ք. Ա.

Հայաստան եւ Մեդացիներու THE MEDES EMPIRE իշխանութիւնը 610—331 Ք. Ա.: Հայաստանի վիճակը այս շրջանին: Հայաստան եւ պարսիկներու իշխանութիւնը: Աքեմենեան ACHAEMENIDS ընտանիքը 550—331 Ք. Ա.: Այս ընտանիքի եւ Երուանդեան ORANTIDS DYNASTY ընտանիքի (հարստութեան) թագաւորները: Աքեմենեան իշխանութեան տակ Հայ Մարզպաններու SATRAPY ընկերային, քաղաքական եւ մշակութային պայմանները: Պարսկական ազդեցութիւնը հայկական քաղաքակրթութեան վրայ: Առաջին հայկական թագաւորութեան՝ «Երուանդեանց» կազմաւորումը:

ՄԱՍՆ ԵՐԿՐՈՐԴ

ԳԼՈՒԽ Ա.: ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ՀՈՂԸ ԵՒ ՀԱՅ ԱԶԳԻ ԿԱԶՄՈՒԹԻՒՆԸ

ՄԱՍՆ ԱՌԱՋԻՆ

ՆԱԽԱՄԱՐԴԸ ԵՒ ԿԻՈԼՈԿԻԱԿԱՆ ԴԱՐԱՇՐՋԱՆՆԵՐԸ ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ՄԷՋ

Կիոլոկիական դարաշրջաններու հասկացողութիւնը: Կիոլոկիական դարաշրջաններու բաժանումները: Մարդկային կեանքի զարգացումը աշխարհի մէջ եւ մարդու տեսակները: Նախամարդը Հայաստանի մէջ: Հայաստան՝ հին մարդու օրրան: Սովետ, Գերման եւ Թուրք հնագէտներու փաստերը «Մարդակերպի» ու «Մարդու» բնակութեան մասին Հայաստանի մէջ, հին դարերուն: Այս մարդոցմէ մնացած հնախօսական բաներ: Գերեզմանաքարեր, քարէ գործիքներ, քարայրներ, գծագրութիւններ: Հին քաղաքակրթութեան կեդրոններ Հայաստանի մէջ (Արդուինի) բլուր ARTIN): Այս տուեալներով Հայաստան կը նկատուի որպէս աշխարհի քաղաքակրթութեան համբուած կեդրոններէն մին (Չինաստան–Ինտոնեզիա–Գերմանիա):

ՄԱՍՆ ԵՐԿՐՈՐԴ

ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ՀՈՂԸ ԵՒ ԱՇԽԱՐՀԱԳՐԱԿԱՆ ԴԻՐՔԸ

Դիրքը եւ Սահմանները: Կիոլոկիական կառոյցը: Բնութիւնը, լեռները, գետերը, լիճերը, կլիման եւ հողը, բուսական եւ կենդանական կեանքը: Տնտեսական կեանքը: Արաբ ճամբորդող Ըպըն Հաուքալի վկայութիւնները Հայաստանի տնտեսական յառաջդիմութեան մասին Ք. Ե. Ժ. դարուն: Հայկական քաղաքները եւ վաճառականական ճամբաները:

ՄԱՍՆ ԵՐՐՈՐԴ

ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ՀԻՆ ԲՆԱԿԻՉՆԵՐԸ ԵՒ ՈՒՐԱՐՏԱԿԱՆ (URARTU) ԿԱՅՍՐՈՒԹԻՒՆԸ

Հայաստանը պրոնզէ դարուն: Հայաստանի մէջ ցեղային անճանդարտութեանց հետեւանքները: Նայիրի երկրի պետութեան ծնունդը: Ուրարտուի պետութեան երեւումը: Ուրարտուի փոփոխումը կայսրութեան: Ասորեստանցիներու յարձակումը այս կայսրութեան վրայ:

Ուրարտուի զարթօնքը, ապա անկումը (860—590 Ք. Ա.), ժամանակակից պատմութեան փաստերը վերոյիշեալ ցեղային անհանդարտութեան մասին, եւ Նայիրի NAIRI եւ Ուրարտու երկիրներու ծագման, զարգացման եւ անկման փուլերը: Ուրարտական թագաւորներու անուանացանկը Արամէ-էն 860 Ք. Ա. մինչեւ Ռուսաս Գ. 605—590 Ք. Ա.:

ՄԱՍՆ ՉՈՐՐՈՐԴ

ՀԱՅՈՑ ՑԵՂԱՅԻՆ ՀԻՄՔԵՐԸ ԵՒ ՀԱՅ ԱԶԳԻ ԿԱԶՄՈՒԹԻՒՆԸ

Հնդեւրոպական INDO - EUROPEAN ցեղախումբերու գաղթը Ասիայէն Եւրոպա: Այս ցեղախումբերու բաժանումները.— Հնդեւրոպա-

աշխատած է որպէս դատախազ Սուէյտայի մէջ: Ապա մեկնելով Պուտափեշթ եւ Միացեալ Նահանգներ՝ տիրացած է արտաքին առեւտուրի, գիւղատնտեսական ապրանքներու վաճառումի եւ Միջազգային Առեւտուրի զարգացումին վերաբերեալ տիպլոմներու՝ Քոլորատայէն:

Այն հարցումիս թէ, ինչպէ՛ս իր մէջ ծնաւ Հայոց պատմութիւնը իր մայրենի լեզուով գրելու գաղափարը, պատասխանեց.

— Արաբական վերածնունդի մասին ծրագրած էի գրել ուսումնասիրութիւն մը: Առ այդ, աչքէ կ'անցընէի բազմաթիւ գիրքեր: ընթերցումներուս ընթացքին հանդիպեցայ տողերու, ուր գրուած էր թէ Հայերը անասելի ջարդի մը ենթարկուած են թուրքերու կողմէ, եւ տուած են շուրջ երկու միլիոն զոհ: Ցնցուեցայ: Մեր դարուն, մեզի դրացի երկրի մը մէջ ջարդած էին միլիոնաւոր Հայեր: Դամասկոսի մէջ, Սուրիոյ մէջ տեսած ու ճանչցած եմ Հայեր եւ ես տեղեակ չըլլայի՞ այդ մասին:

Սկսայ պրպտումներ կատարել: Լրիւ երկու տարի կարդացի արաբերէն եւ օտար լեզուներով ինչ որ գտայ Հայոց մասին, եւ ի վերջոյ եկայ այն եզրակացութեան, որ պէտք էր գիրք մը գրէի Հայոց մասին, որպէսզի իմ ժողովուրդս, Արա՛բ ժողովուրդը, աւելի՛ լաւ ճանչնայ Հայը:

Ու ահա՛ այս գիրքին Հեղինակը իր գիրքով: Գի՛րք մը, որ Արաբներու մօտ անպայման պիտի յառաջացնէ շեշտուած սէր մը դէպի Հայերը:

Արաբը տպաւորած ժողովուրդ է հայոց նման: Արաբը մինչեւ այսօր ալ իմպերիալիստական դիւանագիտութեան կու տայ զոհեր, բայց լարած է իր ոյժերը տէր կանգնելու համար իր իրաւունքներուն:

Ժողովուրդ մը, որ արթնցած է, անպայմա՛ն կը տիրանայ իր իրաւունքներուն: Ու Արաբութիւնը արթնցած է։

Ուրախալի է, որ Մրուան Թահա էլ Մտաուար, որպէս միջազգային օրէնսգիտութեան գիտակ մարդ, իր այս գիրքին մէջ վեր առած է նաեւ Հայկական Դատը եւ շեշտած է մեր ժողովուրդին հանդէպ գործուած անարդարութիւնը:

Ամբողջ սրտով բարի երթ կը մաղթենք այս բարեկամութեան գիրքին:

Հալէպ, 22 *Հոկտ*. 1980 Բժիշկ ԹՈՐՈՍ ԹՈՐԱՆԵԱՆ

ՀԱՅՈՑ ՊԱՏՄՈՒԹԻՒՆԸ՝ ԱՐԱԲԵՐԷՆՈՎ

Ժողովուրդներու միջեւ բարեկամութեան ամրապնդումը պահանջք մըն է այսօր, բոլո՛ր ժամանակներէն աւելի:

Բարեկամութիւնը գրաւականն է խաղաղութեան, որուն պէտք ունին աշխարհի բոլոր ժողովուրդները:

Ու բարեկամութիւնը կը սկսի ճանաչողութեամբ: Երկի՛րդ անգամ աւելի կը սիրես երբ ճանչնաս անոր գետերն ու լեռները, հովիտներն ու ծերպերը:

Եւ ահա՛ նոր առիթ մը, ուր Արաբ ընթերցողին կը տրուի լայն պատեհութիւն մը՝ ճանչնալու համար դարերէն եկող փոքր ժողովուրդ մը, որ հայ ժողովուրդն է:

Հայերը դարաւոր կապեր ու բարեկամութիւն ունեցած են աշխարհի հնագոյն ժողովուրդներէն մէկը եղող Արաբներուն հետ: Կապած են դաշինքներ, տուած են զօրավարներ արաբական բանակին, տուած են Մեմլուքներ Եգիպտոսին, յիշելու համար երկուքը՝ Պահրամ էլ Էրմէնին (Վահրամ), Պատր էլ Ճեմելին եւ ուրիշներ:

Սակայն, Հայերը նոր ժամանակներու մէջ, յատկապէս Առաջին Համաշխարհային Պատերազմէն ետք փախչելով օսմանեան ու Երիտ-Թրքական ջարդերէն, որուն ենթարկուեցան զանգուածայնօրէն, եկան ապաստան գտնել Արաբական հիւրընկալ հողերուն վրայ:

Աշխատասէր, արհեստաւոր, առեւտրական այս տարագիրները շուտով սիրուեցան արաբ ազնիւ ժողովուրդներէն, Սուրիոյ եւ Լիբանանի մէջ յատկապէս, ուր եւ կ՚ապրին մեծ զանգուածներով մինչեւ այսօր:

Արաբը մեզ ճանչցաւ որպէս արհեստաւոր ժողովուրդ: Մենք, Հայերս, քիչ անգամ առիթ ընծայեցինք մեզ հիւրընկալող Արաբ ազնիւ ժողովուրդին, որպէսզի ա՛ն ճանչնայ նաեւ արուեստի ու գիտութեան նուիրուած մեր ժողովուրդը:

Ու ահա՛ դարձեալ Արաբ մը, Սուրիական քաղաքացի, բնակիչն ու ծնունդը յաւերժական Դամասկոսի, *Մըրուան Թահա Մտաուարը*, որ բոլորովին անձնական նախաձեռնութեամբ տարիներով ուսումնասիրելէ ետք հայ ժողովուրդի պատմութիւնը, գրած է ստուար գիրք մը հայ ժողովուրդի մասին՝ անոր ծագումէն մինչեւ մեր օրերը:

Գնահատելի՛ գործ մը արդարեւ, որ անպայմա՛ն պիտի գայ Արաբօ-հայկական բարեկամութեան զօրացումին մէջ իր դերը խաղալու:

Մրուան Թահա էլ Մտաուար, Դամասկոսի համալսարանին մէջ ուսած է օրէնսգիտութիւն: Երկու տարի

թրքացման քաղաքականութիւնը, *Արաբներուն համար*)։

Եօթներորդ՝ *կարեւորութեամբ վեր առնել Սուրիա եւ Լիբանան ապրող Հայերու վիճակը այսօր, եւ ցոյց տալ անոնց դերը այս երկու երկիրներուն տնտեսական եւ մշակութային մարզերուն սատարման մէջ, զանոնք նկատելով Սուրիացի եւ Լիբանանցի արաբ քաղաքացիներ։ Այս նպատակին համար աշխատեցանք մանրամասնել անոնց աշխատանքային եւ բնակչական բաժանումը այս երկիրներուն մէջ, յիշատակելով նաեւ մշակութային, բարեսիրական եւ ընկերային միութիւնները, որոնք կ'աշխատին ամրապնդելու մէկ կողմէ՝ արաբական երկիրներուն մէջ ապրող Հայերու կապերը, եւ միւս կողմէ՝ Հայոց ու անոնց եղբայր Արաբներու մէջ, ինչպէս նաեւ թուեցինք դպրոցները եւ ուսումնական հաստատութիւնները, եկեղեցիներն ու վանքերը եւ հայկական մշակութային միութիւնները եւ հայ հռչակաւոր անձնաւորութեանց անունները՝ յիշեալ զանազան մարզերուն մէջ, Սուրիոյ եւ Լիբանանի տարածքին։*

Ութերորդը, *վերջապէս՝ առանձին գլուխ մը տրամադրեցինք, զոր խորագրեցինք՝ «ՀԱՅԵՐԸ՝ ԵՐԷԿ ԵՒ ԱՅՍՕՐ», ուր խօսեցանք Հայկական Սովետական Սոց. Հանրապետութեան եւ հռչակաւոր Հայոց ու անոնց թուային բաժանման մասին ամբողջ աշխարհի մէջ, այս դարուն։ Ինչպէս նաեւ բացատրեցինք անոնց վիճակը անցեալ դարերուն, երբ անոնցմէ շատեր հասան պետութեանց գլուխը որպէս՝ «կայսրեր» Բիւզանդական կայսրութեան մէջ, կամ որպէս իշխաններ, կառավարիչներ ու հրամանատարներ այլ երկիրներու մէջ։*

Այս ձեւով, այս մտահոգութեամբ եւ գիրքին մէջ յիշուած այլ ձեւերով յօրինեցինք այս բարեկամ ժողովուրդին պատմութիւնը ըստ մեր ծրագրին։

Յաջողութի՛ւն՝ Աստուծմէ։

Հեղինակը՝
ՄԱՐՈՒԱՆ ԷԼ ՄՏԱՌՒԱՐ

տալ՝ ժամանակագրական յաջորդականութիւնը վերստին դասաւորելով, ըստ նորագոյն պատմական մանրամասնեալ ուսումնասիրութեանց:

Երբ այս կ՚ըսենք, չենք ուզեր ըսել որ այս «ուսումները» եղած են Հայոց Պատմութեան ամբողջ տարածքին, այլ ըսել կ՚ուզենք որ անոնք վեր առած են յատուկ, որոշ, սահմանափակ[3] շրջաններ այս պատմութենէն, այնպէս որ այս «շրջանները» փոփոխութեան ենթարկուած են մէկ հեղինակէն միւսը, կամ մէկ գիրքէն միւսը: Այնպէս որ, ահա՛ այս ձեւով կը յաղթուի Հայոց պատմութեան գրի առնուելուն դժուարութիւնը:

Հինգերորդը՝ մեր մեծ կարեւորութեամբ լայն տեղ տալն է Հայկական Հարցին, թէ՛ տեղական իմաստով (երբ Հայերը կը գտնուէին Օսմանեան կայսրութեան մէջ 19-րդ դարուն եւ 20-րդ դարու սկիզբին, ու իրենց վրայ գործադրուեցան խժդժութիւններ), եւ թէ՛ միջազգային իմաստով, երբ ի լոյս բերենք միջազգային փաստարկութիւնները կռթնելով միջազգային օրէնքի աղբիւրներուն, որ զօրավիգ կը կանգնին այս Հարցին, միջազգային պատկան ատեաններու ու հաստատութեանց առջեւ, եթէ այս անլուծելի Հարցը արծարծուելու ըլլայ հոն: Միեւնոյն ժամանակ աշխատեցանք հետազօտել այս հաստատութեանց արձակած վճիռները, Հայկական Հարցին նմանող Հարցերու առիթով. այնպէս որ կարելի ըլլայ այս վճիռները, այս իմաստով նկատել որպէս օրինական երկրորդ պաշտպանողական, որ կարենայ նեցուկ կանգնիլ նախորդ պաշտպանողականներուն:

Վեցերորդը՝ ցայտեցնել Արաբ-Հայ փոխ-յարաբերութիւնները պատմութեան ընթացքին, եւ այս երկու ժողովուրդներուն նոյնանման կեցուածքը Օսմանեան քաղաքականութեան դէմ, որ կը կիրարկուէր իրենց հանդէպ (փանթուրանիզմը՝ Հայոց համար, եւ

---

[3] Այսպէս եղած է Հայոց Պատմութեան Քրիստոսի թուականին նախորդող քանի մը դարերուն մասնաւորաբար, եւ որոշ շրջաններու համար՝ Ք. Ե. յաջորդող դարերուն ընդհանրապէս:

Չորրորդը՝ մանրամասնութեանց ու բացատրութեանց առատութիւնն է, այս գիրքի էջատակերուն, մասնաւորաբար այն ժողովուրդներու մասին, որոնք ժամանակակիցը եղած են Հայոց, որպէսզի նիւթը հասկնալու ճամբան հարթենք ընթերցողին համար, քանի որ այդ ժողովուրդներուն եւ Հայոց կապը շատ մօտիկ եղած է, եւ մենք այս ձեւը օգտագործած ենք այնտեղ, ուր անհրաժեշտ գտած ենք:

Հաւանաբար այս մտահոգութիւնները բնական ու սովորական թուին, նոյնիսկ հարկադրական՝ քանի որ «պատմագրութիւնը» ընդհանրապէս պէտք է արձանագրէ ճի՛շդ այս պատկերին պէս, այսինքն՝ ըլլա՛յ առարկայական, Գլուխներու վերածուած եւ ժամանակագրական ճշդութեամբ:

Իսկ եթէ այս հարցերը բնական թուին — ըստ այս ընդհանրացումներուն — այն ընթերցողին, որ առաջին անգամ կը սերտէ Հայոց պատմութիւնը այս գիրքով, կամ որեւէ ազգի պատմութիւն՝ ուրիշ գիրքերով, մենք կրնանք հաստատել որ մեր այսպիսի «դասաւորումի» հասնիլը երբեք ալ դիւրին գործ չէր:

Բոլոր այն գիրքերը, որոնք գրուած են՝ այս ժողովուրդին մասին, ըլլան անոնք արաբերէն, անգլերէն կամ ֆրանսերէն, եւ նոյնիսկ հայերէն, այս պատմութիւնը տուած են շատ խրաբանցած ձեւով: Բոլորն ալ խօսած են Հայոց քաղաքական, ընկերային, ազգային ու կրօնական պատմութեանց մասին միաժամանակ եւ մէկ գլուխի մէջ: Կամ ալ եթէ այսպէս չեն եղած, ապա անոնք իրենց գլուխներուն ու մասերուն մեծամասնութեանց մէջ վեր առած են վերոյիշեալ մարզերէն միայն մէկը, եւ դուրս ձգած են միւս մարզերը, իսկ եթէ որդեգրած են այս վերջին ձեւը, ապա շատ ամփոփ կերպով, որ նպատակին չէ ծառայած,

Եթէ մենք սերտած ենք այս ժողովուրդին պատմութիւնը, տարի առ տարի, վերեւ յիշուած նպատակին սիրոյն, ապա ուրիշներ տարօրինակ մեծ ոստումներ կատարած են, ոստումնե՛ր, որոնք չափազանց բաց-թողումներու տեղի տուած են, մինչեւ մէկ կամ կէս դար ժամանակամիջոցներ դուրս ձգելով: Մենք փորձեցինք այս սխալը ուղղել յարաճուն ճիգով ու աշխատանքով, պրպտելով, սերտելով, թուականներու բաղդատութիւններ ընելով,

եւ յաճախակի գործածուող բանաձեւեր»:

Այո՛, ակնարկ մը աշխարհի քաղաքական քարտէզին վրայ, ցոյց կու տայ որ ուրիշ վայրեր եւս կան, զորս կարելի է կոչել «կամուրջներ», «կենսական դիծեր» կամ՝ «փոխադրութեանց երակներ», սակայն(2) *աշխարհի վրայ դուցէ չկայ այլ վայր մը, ուր պատերազմները տեղի ունեցած ըլլան այնքան յաճախակի եւ ուրկէ ազգեր անցած ու դարձած ըլլան այնքան, ինչպէս «Մերձաւոր Արեւելքի» պարագային, որ տեւապէս պատերազմներու դաշտ եղած է, ինչպէս նաեւ եղած է «միտքի կռուադաշտ»:*

Եթէ ուզենք սահմանել այս գիրքին գլխաւոր մտահոգութիւնները, կրնանք զանոնք թուել հետեւեալ ձեւով.

Առաջինը՝ *այն կարգն է, որուն հիման վրայ ընթացանք մեր պատմական նիւթերը դասաւորելու համար, երբ զանոնք բաժնեցինք անկախ «Գլուխներու», որոնցմէ իւրաքանչիւրը կը քննէ «որոշ» նիւթ մը հայ ժողովուրդի պատմութեան որոշ շրջաններուն ընդմէջէն:*

Երկրորդը՝ *մեր հետապնդումն էր այս ազգի պատմութեան, տարի առ տարի, անոր հիմադրութեան առաջին օրէն, Ք. Ա. եօթներորդ դարէն մինչեւ այսօր, առանց բաց թողելու ամենակարճ ժամանակաշրջան մը իսկ, զոր մեր ուշադրութեան առարկայ դարձուցած չըլլանք:*

Երրորդը՝ *մեր պատմական բացարձակ ու առարկայական մօտեցումն է:*

---

(2) Յաջորդող նկարագրութիւնները մեր սահմանումով եղած են, ցայտեցնելու համար այն ինչ որ ըսուեցաւ նախորոք այս «հարուստ» պատմութեան մը՝ անդադրում պատերազմներուն մասին, զորս տեսաւ Հայաստան իր կեանքի ընթացքին, եւ ապա շեշտելու համար իմաստը այն խօսքին, զոր գործածեցինք՝ երբ խօսեցանք ընթերցողին զգալիք «ձանձրոյթ»ին մասին, երբ կարդայ թուարկումը անթիւ աղէտներուն ու փորձանքներուն (Գլուխ Բ-ի ամբողջ ընթացքին), եւ ապա ցոյց տալու համար նկարին միւս երեսը՝ *«Քաղաքակրթութեան Պատմութիւնը»* այս ժողովուրդին որ պիտի վանէ նախորդ ձանձրացուցիչ պատկերը եւ վերաշխուժացնէ ընթերցողը:

խականութիւնն է, որոնց զոհ գացած են Հայերը, կամ, պատերազմներու եւ գաղթերու պարագային, այն վտանգները յաղթահարելու կամ անոնցմէ զերծ մնալու համար հարկադրաբար յանձն առած գաղթը, որ սովորական ընթերցողը պիտի թողու վարանումի ու զարմանքի մէջ եւ որ գուցէ «ձանձրոյթ» զգայ Հայերու քաղաքական պատմութիւնը կարդացած միջոցին, սակայն Հայոց քաղաքակրթութեան լուսապայծառ երեւոյթը, կրօնական, մշակութային, լեզուական, տնտեսական եւ նոյնիսկ քաղաքական մարզերու մէջ, ընթերցողին միտքին մէջէն «անպայման» պիտի ջնջէ նախապաշարող մտածումներն ու տրամադրութիւնները, երբ վերջացնէ լրիւ ընթերցումը Հայոց այս պատմութեան։

Հաւանաբար հայ ժողովուրդի այս «հարուստ» պատմութիւնը կը բացատրուի առաւելաբար անոր բացառիկ աշխարհագրական ու ռազմագիտական դիրքով եւ այս բացատրութիւնը կը հաստատէ ուսթէզ Նուրէտտին Զէյնը իր «Միջազգային պայքարը Միջին Արեւելքի մէջ եւ Սուրիոյ ու Լիբանանի պետութեանց ծնունդը» գիրքին մէջ, ուր կը խօսի ընդհանրապէս երկիրներու աշխարհագրական դիրքերու կարեւորութեան մասին ու կ'ըսէ. «Աշխարհի մէջ Մերձաւոր Արեւելքի(1) երկիրներուն պէս շատ երկիրներ չկան: Այդ երկիրներուն աշխարհագրական դիրքը եւ անոնց ռազմագիտական կարեւորութիւնը մեծ դեր խաղացած են իրենց մէջ ապրող ժողովուրդներու ճակատագիրը տնօրինելու մէջ»։

Ապա նոյն գիրքին մէջ ուրիշ տեղ մը կ'ըսէ. «Մերձաւոր Արեւելքի աշխարհագրական դիրքը մեծապէս կապուած է անոր ռազմագիտական կարեւորութեան, եւ ասոնք կարելի չէ բաժնել իրարմէ: Սոյն բանաձեւերը արդէն կը գործածուէին 19-րդ դարուն այս շրջանը նկարագրելու համար, օրինակ՝ «Կամուրջ դէպի Ասիա», կամ «Բրիտանական կայսրութեան համար կենսական ճամբայ», «Եւրոպայի ու Ասիոյ միջեւ գլխաւոր երակ», եւ ասոնք դարձան ծանօթ

---

(1) Հայաստանն ալ այս շրջանի երկիրներէն մէկն է եւ կը թելադրենք մեր ընթերցողներուն անմիջապէս վերադառնալ այս գիրքի Ա.՝ Գլուխի Երկրորդ մասին:

Հայոց պատմութեան ամենամութ շրջաններուն վրայ (մասնաւորաբար Հայկական Բ. Թագաւորութեան նախորդող դարերուն), բան մը, զոր բացատրելու եւ լրիւ պարփակելու աշխատանքը տարինք մեր այս գիրքին մէջ, այնպէս որ այս «չորրորդ» գիրքը եկաւ ամբողջացնելու նախորդ գրողներուն յիշուած գործերը, բացի այն համեստ աշխատութիւններէն, զորս կատարեցինք, ուր որ կարելի էր, ըլլայ բացատրելով մութի մէջ մնացած այս ժողովուրդի պատմութեան որոշ շրջանները, կամ ինչ որ կապ ունի օրէնքի տրամաբանութեանց եւ Հայկական հարցը իրաւաբանականօրէն քննելու գծով, կռթնելով միջազգային ընդհանուր օրէնքին եւ անոր աղբիւրներուն։

Գուցէ աւելի անկեղծ ու հաւատարիմ ըլլանք պատմութեան, երբ ցաւով խոստովանինք որ այս գիրքը մեր գրել սկսելէն քանի մը տարի առաջ ոչինչ գիտէինք այս բարեկամ ժողովուրդին մասին, ինչպէս մեր արաբ ժողովուրդի մեծամասնութեան պարագային, բացի այն իրականութենէն, որ այս ժողովուրդը աւելի քան կէս դար առաջ հարկադրուած եղած է Թուրքիայէն հեռանալու։ Իսկ հիմա երբ դրդապատճառները մղեցին որ գրենք այս գիրքը, ինչպէս նոյնպիսի դրդապատճառներ մղեցին որ տասնեակներով արեւելագէտներ գրեն Արաբներու, Պարսիկներու եւ ուրիշ ժողովուրդներու մասին, «հիանալով» անոնց ստեղծած քաղաքակրթութեան վրայ եւ «գնահատելով» զանոնք, ինչպէս պատահեցաւ իմ պարագայիս, կ'ըսենք հիմա, երբ սկսանք շատ, իսկապէս «շատ» բաներ գիտնալ Հայոց մշակոյթի ու պատմութեան մասին, ապա բոլոր այս «շատ»երը հարկ է որ գիտնայ իմ ժողովուրդս եւ նոյնիսկ Հայերը հարկ է որ գիտնան, թէ պատմութեան նորագոյն խօսքը ի՛նչ է իրենց մասին, ըստ վերջին գիտական տեսութեանց ու պեղումներուն, եթէ ոչ ի սէր պատմական իրողութեան, ապա գոնէ Հայերու եւ Արաբներու առօրեայ փոխյարաբերութեանց ու եղբայրական զգացումներուն պատճառով, որոնք գոյութիւն ունին երկուքին միջեւ, եւ ի սէր ճշմարտութեան, բոլոր անոնց, որոնք կը հասկնան եւ կը գնահատեն ճշմարտութիւնը այս երկու ազգերէն դուրս։

Հայոց պատմութեան մէջ, ամենէն աւելի աչքի զարնողը պատերազմներու, արշաւանքներու, աղէտներու եւ գաղթի յաճա-

ՀԵՂԻՆԱԿԻՆ ԽՕՍՔԸ

Մեր այս գիրքով, «ՀԱՅԵՐԸ ՊԱՏՄՈՒԹԵԱՆ ԸՆԴՄԷՋԷՆ», փափաքեցանք մեծ ու կարեւոր բաց մը գոցել արաբական գրականութեան մէջ, ուր, կրնանք ըսել՝ գրեթէ չկայ ոչ մէկ գիրք արաբ գրողի հեղինակութեամբ, հայ ժողովուրդի պատմութեան մասին, անոր քաղաքակրթութեան ու կապերուն մասին հին եւ նոր ժողովուրդներու ու կայսրութեանց հետ, սկսեալ Քրիստոսէ դարեր առաջ մինչեւ այսօր, երբ ամենայն դիւրութեամբ կարելի է Պէյրութի, Դամասկոսի, Գահիրէի, Պաղտատի եւ այլ արաբական մայրաքաղաքներու շուկաներուն ու գրադարաններուն մէջ գտնել տասնեակներով գիրքեր, գրուած օտար լեզուներով, անգլերէնով, ֆրանսերէնով, գերմաներէնով, ռուսերէնով, որոնք բոլորն ալ կը խօսին ուղղակի այս նիւթերուն մասին, այսինքն հայ ժողովուրդի պատմութեան, մշակոյթին ու աւանդանքներուն մասին։

Իսկ եթէ ուզենք աւելի ճշգրիտ ըլլալ, կարելի է ըսել որ միմիայն երեք գիրքեր գրուած են արաբերէնով Հայոց պատմութեան մասին, որոնցմէ առաջինը երեսուն տարի առաջ (1950–*ին, հեղինակութեամբ Տոքթ. Ասթարճեանի, Մուսուլ, Իրաք), ապա երկրորդը, գրուած քսան տարիներ առաջ* (1960–*ին, հեղինակութեամբ Օսման Էլ Թիւրքի, Հալէպ, Սուրիա), եւ վերջապէս երրորդը* 1971–*ին (հեղինակութեամբ Ուսթէզ Էտիպ Էլ Սայյետի, Հալէպ, Սուրիա)։ Ասոնց բոլորը խօսած են Հայոց մասին՝ նկատելով զանոնք բնակիչները կայսրութեան մը, քան թէ որպէս ժողովուրդ եւ քաղաքակրթութիւն։*

Հակառակ այս երեք գիրքերուն պատրաստութեան համար թափուած ճիգերուն, անոնք պակասաւոր են ոչ թէ իրենց հեղինակին թերացումին պատճառաւ, այլ որովհետեւ անոնք հեռու էին վերջերս եղած պեղումներէն, որոնք տեղի ունեցան Սովետական Հայաստանի եւ Թրքահայաստանի մէջ, եւ որոնք լոյս սփռեցին



ՁՕՆ

Ի սէր պատմական պայծառ իրականութեան, ճշմարիտին, բարիին եւ գեղեցիկին վեհ ըմբռնումներուն՝ ի նպաստ աշխարհի իրաւազրկուած բոլոր ժողովուրդներուն, եւ մանաւանդ հայ ժողովուրդին, որուն որպէս հիացում եւ գնահատանք գրուած է այս գիրքը՝ սրտագին հաւատալով որ ան պիտի ծառայէ իր աւագ ու գերագոյն նպատակին, տալով յստակ պատկերացում ժողովուրդի բազմադարեան պատմութեան մասին՝ Արաբին եւ բոլոր ազատ ու անձնախապաշար մարդոց, ուր որ ալ գտնուին անոնք:

Այս երկասիրութիւնը մեր խորունկ համոզումով պիտի նպաստէ հայ եւ արաբ ժողովուրդներուն՝ ամրապնդելով անոնց եղբայրական կապերը, խորացնելով անոնց փոխադարձ ճանաչումը եւ յաւերժացնելով անոնց միջեւ գոյ եղող անխախտ բարեկամութիւնը:

Ես այս գիրքը միաժամանակ կը ձօնեմ բոլոր անոնց, որոնք համագործակցեցան ինծի՝ ի լոյս ընծայելու համար զայն:

Հեղինակ՝
ՄԱՐՈՒԱՆ ԷԼ ՄՏԱՈՒԱՐ


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ՀԱՅԵՐԸ ՊԱՏՄՈՒԹԵԱՆ ԸՆԴՄԷՋԷՆ

ARMENIANS THROUGHOUT HISTORY

ՀԵՂԻՆԱԿ

ՄԱՐՈՒԱՆ ԷԼ ՄՏԱՈՒԱՐ

ՀՐԱՏԱՐԱԿՈՒԹԻՒՆ **ՏԱՐ ՆՈՊԷԼ**
ՀՐԱՏԱՐԱԿՉԱԿԱՆ ՏԱՆ, ԴԱՄԱՍԿՈՍ



ՀԱՅԵՐԸ ՊԱՏՄՈՒԹԵԱՆ ԸՆԴՄԷՋԷՆ

ARMENIANS THROUGHOUT HISTORY









BY

MARWAN AL-MOUDAWAR

PUBLISHERS
NOBEL BOCKSTORE
DAMASCUS-SYRIA.